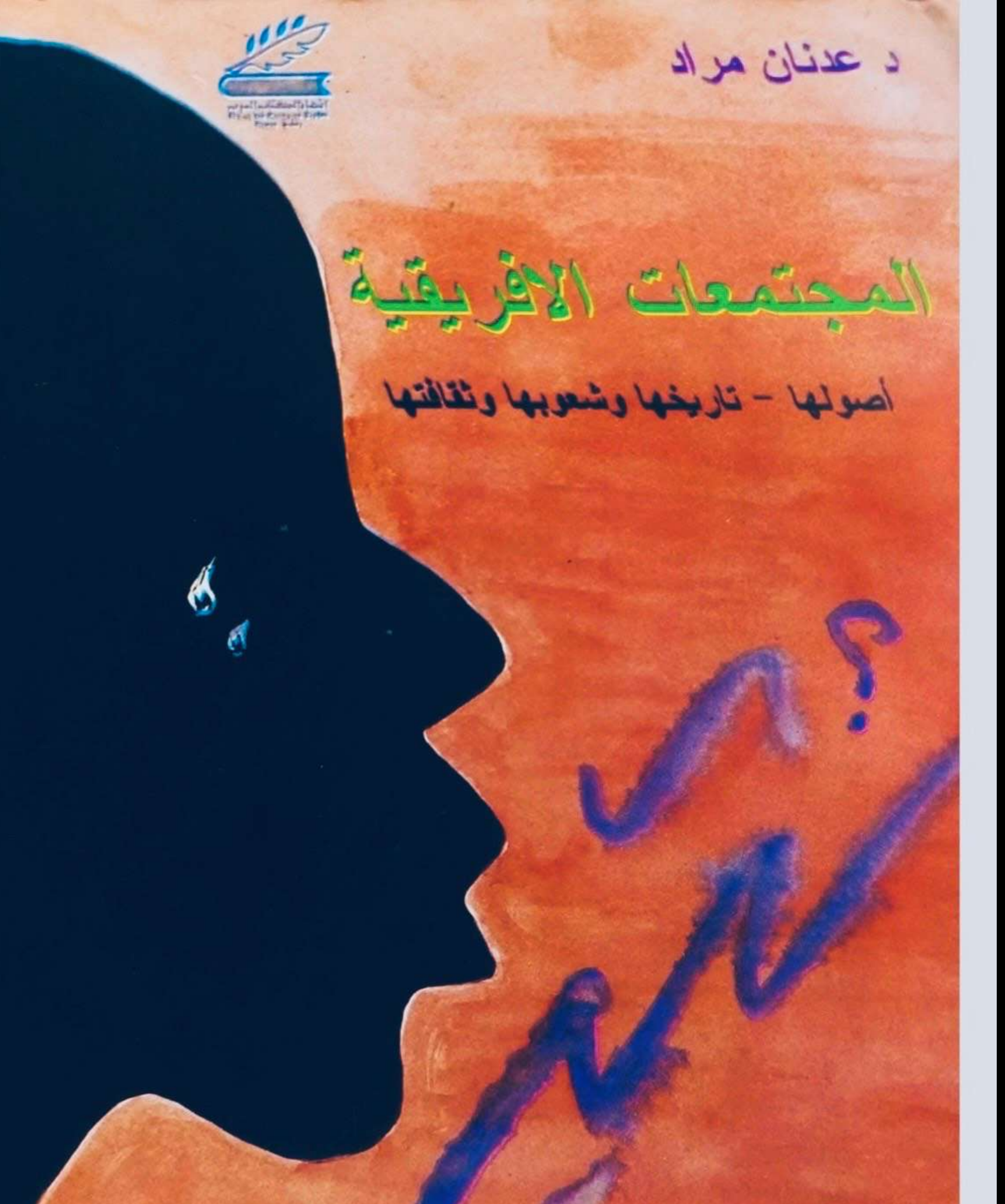


د عدنان مراد

المجتمعات الافريقية

أصولها - تاريخها وشعوبها وثقافتها

دراسة

اعادة رفع وتحميل الكتاب
الخميس ٢٨ شعبان ١٤٤٦ هـ

المجتمعات الافريقية

أصولها – تاريخها – شعوبها وثقافتها

محمد عدنان مراد

المجتمعات الافريقية

أصولها - تاريخها وشعوبها وثقافتها

دراسة

منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٥

تصميم الغلاف الفنانة : سندريلا بهلوان

الإهــــــــــداء

إلى رفاق السفر والاغتراب .

زوجتي ليلى ...

وأولادي : خلدون جمانه ، أنس ، مازن

أقدم كتابي هذا

محمد عدنان مراد

مقدمة المؤلف :

رحلة طويلة قضيتها مع القارة الأفريقية قبل أن أضع كتاباً عنها . والظروف والأقدار هي التي ساقتني نحوها والإقامة على أرضها وزيارة عدد كبير من دولها ، والتعرف قدر الامكان على هموم شعوبها ومشاكله العميقة . ساعد على ذلك محبتي منذ الصغر للجغرافيا والتعرف على تاريخ الشعوب و كانت تجذبني بخاصة رحلات الرواد الأوائل الذين اكتشفوا القارات وداروا حول العالم واكتشفوا منابع النيل وارتادوا الصحارى والقطبين الشمالي والجنوبي بالإضافة إلى المعلومات القليلة التي كانت تتوارد بعض الأحيان في المجلات المصرية عن القارة الأفريقية بحكم العلاقة القديمة بين مصر والقارة ومنذ القدم كانت مصر ولا تزال بوابة افريقية بحكم موقعها. وإلى ما كانت تقدمه في ذلك الزمن السينما الأمريكية من أفلام المغامرات ككنوز الملك سليمان وثلوج كليمانجارو وغيرها .

في أحد الأيام وقع في يدي كتاب جولة في ربوع افريقيه للرحالة المصري محمد ثابت وهو مطبوع عام ١٩٣٦ ، وقد أعدت قراءته عدة مرات وكان له أثر كبير في نفسي فقد أعجبت بهذا الرحالة الشجاع الذي أعاد للأذهان الرحلات الطويلة للرحالة العرب ، ويكفي اقتحامه لقلاع الاستعمار في تلك الفترة من الزمن التي كانت فيه الأمبراطوريات الاستعمارية في أوج هيمنتها على القارة السوداء ، وربما كان أول رحالة عربي يلقي بعض الأضواء الهامة على شعوب جنوب افريقية وشرقها للقارئ العربي .

لقد فرض الاستعمار الأوربي نطاقاً حديدياً حول القارة الأفريقية منذ أكثر من ثلاثة قرون مستغلاً ثرواتها وشبابها لإقامة حضارته ، وكان من الصعب حتى التفكير بزوال الاستعمار الأوربي لولا الحرب العالمية الثانية فبقدر ما أضرت الحرب بأوربه بشرياً واقتصادياً ، حطمت امبراطورياتها العتيقة التي كانت تمدها بالثروة والأسواق ، ورغم أن استغلال افريقية بلغ ذروته في تلك الحرب من قبل الحلفاء إلا أن ذلك فتح عيون الأفارقة على حقيقة قوتهم إذا اضطر الحلفاء إلى طلب المعونة من الأفارقة فقدمها لهم هؤلاء عن طيب خاطر وبذلوا الجهود الجبارة لمعاونة جلاديهم وفقدوا مئات الألوف من الضحايا وجند الأفارقة من عرب وزنوج وبانتو أكثر من مليون ونصف جندي عدا ملايين من العمال والمستخدمين الذين عملوا في المصانع وفتح الطرقات وفي كل الأعمال التي تتطلبها الحرب . ومن موارد القارة الاقتصادية استعاد الحلفاء الثقة بنعمهم والفضل للأفارقة في جعل فرنسا تجلس على مائدة المنتصرين بعد هزيمتها المنكرة في بداية الحرب .

ومنذ بداية الحركة الاستقلالية التي وصلت ذروتها في الستينات ظهرت أهمية القارة بالنسبة للوطن العربي لاحتوائها على ثلثي مساحته وسكانه . وقد لعبت القارة

بعدد دولها الكبير دوراً هاماً خلال الحرب البارده بين الاتحاد السوفييتي وامريكا وأصبحت كتلة الدول الأفريقية (منظمة الوحدة الأفريقيه) أكبر الكتل في هيئة الأمم المتحدة ومجموعة عدم الانحياز واحتاجتها الدول العربية في كثير من المواقف المتعلقة بالقضية الفلسطينية وقد قدرت اسرائيل ملياً أهمية القارة بالنسبة لها فعملت جاهدة منذ نشأتها على دخولها وقد وجدت من القوى الاستعمارية التي كانت لا تزال مسيطرة كل مساعدة وفتحت لها الأبواب بخاصة جنوب افريقيه العنصريه وكان هناك تعاون وثيق في مختلف المجالات مع غياب كامل للنشاط العربي ولن أعود للماضي بذكرياته المريرة بعد التطور الذي حدث على القضية الفلسطينية منذ زيارة أنور السادات للقدس .

خلال الفترة بين عام ١٩٦٢ - ١٩٦٦ كنت مديراً لإدارة الوطن العربي في وزارة خارجية الجمهورية العربية السورية وكانت القضية الفلسطينية محور نشاط الادارة ، وقد اشتركت في كل المؤتمرات التي عقدت في تلك الفترة والتي كان أكبر اهتمامها مقاومة التسلل الاسرائيلي في القارة ضمن نطاق اجتماعات الجامعة العربية بمستوياتها المختلفة ومؤتمرات رؤساء أجهزة فلسطين . وكانت مناسبة للإطلاع على أمور كثيرة تعلق بالشعوب الأفريقية وأصبحت لدى الجميع القناعة بأنه لايمكن التغلب على اسرائيل في القارة دون التعرف عليها وعلى شعوبها وإقامة تعاون بناء لفائدة الطرفين وهكذا انطلقت فكرة التعاون العربي الأفريقي ضمن نطاق الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية وتم تأسيس البنك العربي للتعاون الأفريقي - العربي.

لم تكن الخدمة في القارة الأفريقية تخطر ببالي مطلقاً . ولكن عندما كنت في القاهرة كنت أنصت في مطارها دون إرادة لصوت المذيع معلناً عن انطلاق طائرة من طائرات الخطوط الجوية العالمية نحو أعماق القارة المجهولة ، مردداً أسماء المطارات التي تحط الطائرة . وكنت أعيد ذلك لرغبتي الدائمة في التعرف وحب الاستطلاع ، ولكن الظروف والأقدار التي جاءت بي إلى وزارة الخارجية عام ١٩٦١ بعد انتقال من الجيش مع عدد من الضباط السوريين والمصريين خلال الوحدة ، وإقامتي في القاهرة مقر وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة وتحول مسار حياتي من قيادة وحدات المدرعات إلى الحياة الدبلوماسية هي نفسها دفعت بي إلى جمهورية الصومال لأعتمد فيها سفيراً لبلادي بمهمة التعاون مع الحكومة الصومالية لتخفيف الضغط الأثيوبي عن الثوار الأرتيريين بعد أن ألغى الأمبراطور هيلاسلاسي في ١٢ تشرين ثاني ١٩٦٢ الاتحاد الفدرالي الذي أقامته الأمم المتحدة بين البلدين في نهر كانون أول ١٩٥٠ بموجب القرار رقم ٣٩٠ وكانت سورية أول من قدم الدعم لهؤلاء المناضلين عام ١٩٦٢ وكان من جملة مسؤولياتي .

كان الطريق إلى العاصمة الصومالية طويلاً وغير مباشر ولكنه كان مفيدا ويعطي عن القارة الأفريقية انطباعاً جيداً ، فبعد حرارة ورطوبة مطاري جدة والخرطوم استقبلنا

مطار أديس أبابا بهوائه المنعش و آثار الأمطار الغزيرة بادية في كل مكان ومنذ إقلاع الطائرة من مطار أديس أبابا اتجهنا جنوباً نحو نيروبي عاصمة كينيا، وبدأت في الأفق الواسع أمام الطائرة وتحتها تتوالى المناظر التي انفردت بها القارة الأفريقية . وهاهو الأخدود العظيم الذي يقسم الهضبة الحبشية العالية إلى قسمين متناظرين ممتداً من البحر الأحمر حتى يصل نهر الزامبيزي يظهر واضحاً بانحدار عمودي وبحيراته المتصلة مع بعضها كحباب السبحه ، وتفتحت وراء الهضبة العالية السهول الصومالية الواسعة الممتدة إلى ساحل المحيط الهندي بمياهه الزرقاء ولسان طويل من الرمل لا ينتهي يندفع في المحيط يفصل بينه وبين البحر العربي وهو الذي أطلق عليه الجغرافيون قرن افريقية أو رأس غاردنوي (أو رأس التوابل) و كلما اتجهنا جنوباً ازدادت الغابات كثافة ، تخللها البحيرات الواسعة والأنهار الضخمة ومع عبورنا خط الأستواء دون أن نشعر به أصبحنا في نصف الكرة الجنوبية وظهرت قمة كليمانجارو البيضاء بسبب الثلج الدائم عليها وكأنها تطير بين السحاب و كلما اقتربنا من نيروبي اتسعت سهول السافانا التي تسرح فيها مختلف أنواع الحيوانات . ثم ظهرت نيروبي تحت الطائرة بشوارعها العريضة وأبنيتها العالية وهبطنا في مطارها الحديث ، وقد اختلطت ألوان البشر وتنوعت السحن بين بيض وسود وملونين و كان السائق الذي نقلنا في الفندق أول عربي التقينا به جنوب الاستواء وقد تفتحت أساريره وهو يرحب بنا بلهجته اليمنية ، وهكذا انهى أول يوم لنا في افريقية جنوب خط الاستواء ونحن على أحسن حال وأزاح عن نفسي ما كنت أشعر به من تشوش في الذهن ، وكأن على رأسي الطير أترقب حدوث شيء ما . وكأنني في رحلة مغامرات لا أعرف مداها وقد استقبلتنا نيروبي بطقسها المعتدل وفنادقها الحديثة التي قل مثلها ، ولكن حرارة الاستقبال التي قوبلنا فيها عند وصولنا في اليوم الثاني إلى مقديشو محت كل ما علق بذهني من غموض وتشوش . وهي وإن لم تكن بحداثة نيروبي إلا أنها ببساطتها وبوجود كل ما يتطلبه الانسان من راحة ودعة أهلها واعتدال مناخها ، تجذب الانسان لها و كانت الصومال في ذلك الوقت في بداية عهدها بالاستقلال بعد انتهاء الوصاية الايطالية التي دامت عشر سنوات والغليان الشعبي على أشده بعد حرب مهلكة دارت بينهم وبين اثيوبيه بخصوص الاوغادين أو ما يعرف ، بالصومال الحبشي ، و كان الصوماليون يطالبون بعودة كل الأراضي الصومالية التي لا تزال تحت حكم بريطانيا (كينيا) وفرنسا (جيبوتي) للجمهورية الصومالية .

كانت إقامتي في الصومال والتي دامت أربع سنوات مناسبة مفيدة أطلقت فيها بشكل جيد على مشاكل الصومال من جهة وما تتعرض له القارة الأفريقية من أحداث ، وقد ساعدني فيها ما قرأته من كتب و كذلك التعرف على الزعماء والمسؤولين الأفارقة الذين زاروا الصومال خلال تلك المدة ، و كانت مناسبة أيضاً للتعرف على بلاد

الصومال الواسعة من شمالها إلى جنوبها والمسافة بين الطرفين أكثر من ألفي كيلو متر أي من الشمال الجبلي المحاذي للبحر العربي إلى حدود كينيا بما فيها سهول السافانا في الوسط والغابات الكثيفة وأنهارها الضخمة (جوبا وشبيللي) في الجنوب . ولا شك أن الشعب الصومالي وإن كان يعيش في قلب الافريقية إلا أنه يتطلع دائماً إلى الشمال فخور بنفسه معتز بقوميته وفخور أيضا بأخوته للشعب العربي ، ومما يجدر ذكره أن الصومال في ذلك الوقت كان يتمتع بنظام ديموقراطي مستقرٍ ولو كان فضفاضاً أكثر مما ينبغي مبني على توازن قبلي يعمل الجميع للاحتفاظ به خوفاً من النتائج الوخيمة في حال فقده ، وهذا ما حدث عندما أطلق النار على رئيس الجمهورية الرجل الطيب عبد الرشيد شيرماركي أحد حراسه عام ١٩٦٩ ، وما تلاه من قيام الجنرال محمد سياد بري رئيس الأركان في ذلك الوقت بانقلاب عسكري أطاح بالحكومة الديموقراطية انهار بعد التوازن ولم يستطع الجنرال سياد رغم حكمه الطويل أعاده هذا التوازن بل على العكس زاد في تعقيداته وهذا الخلل هو سبب كل المشاكل التي يعاني منها الشعب الصومالي حاليا .

وكما وصلت مقديشو قادماً من الجنوب غادرتها بعد أربع سنوات متجهاً لجو الجنوب في طريقي لدمشق وكانت نيروبي بداية رحلة طويلة بالسيارة والطائرة شملت عدا كينيا ، تنزانيا وأوغنده . وكانت الدول الثلاث مرتبطة بما يعرف في ذلك الوقت بالسوق المشتركة لمنطقة افريقية الشرقية وتتخذ الدول الثلاث اللغة السواحيلية كلغة مشتركة (لنغوا فرانكا) . ورغم الصبغة السياحية التي اتصفت بها الرحلة إلا أنها ساعدتني على الاطلاع على الحياة اليومية للدول الثلاث وعن همومها ومشاكلها كما تعرفت على كثير من أفراد الجالية العربية والمسلمة منهم من احتفظ بلغته العربية ومنهم من نسيها وبعضهم كان يشغل مناصب عليا في الدول بخاصة في تنزانيا واوغندا وأستاذاً في إحدى الجامعات . وكانت أوغندا في ذلك الوقت واقعة تحت سيطرة الرئيس ملتون أو بوتي الذي ألغى الملكية وحكم البلاد حكماً ديكتاتورياً جلب عليه عداوة الجميع بخاصة الجيش الذي كان يرأسه كرئيس للأركان الجنرال عيدي أمين وكانت جميع التوقعات تدل على أن حدثاً سيقع وأن عيدي أمين سيكون بطله .

لم أكد أن أصل إلى دمشق حتى عدت إلى القارة لحضور مؤتمرٍ عدم الانحياز الذي عقد في لوساكا عاصمة زامبيا ٦ – ١٠ عام ١٩٧٠ وكان اجتماعاً حاشداً حضره أكثر من ٧٠ رئيس دولة ووزير خارجية بينهم انديرا غاندي وامبراطور اثيوبيه . والرئيس نيريري وجعفر النميري ... الخ . وقد التقيت من خلال اجتماعات الوفد السوري بعدد كبير من الزعماء الأفارقة الذين كانوا في السلطة والمعارضة . وكانت القضية الفلسطينية ومشكلة التفرقة العنصرية (الأبارتايد) محور نشاط المؤتمر وجرى الربط بينهما .

لم تنقطع علاقتي مع القارة فبعد إقامة قصيرة في الوطن عدت إلى الخارج كسفير لسورية في اليمن بجزئيه الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديموقراطية وذلك عن طريق اليمنين الذين كانوا في حركة دائمة بين بلادهم وشرق افريقيه من اثيوبيه وجيبوتي إلى مدغشقر وبعد انتهاء مهمتي في اليمن وبقائي أربعة أعوام في اليونان عدت إلى الوطن واستلمت إدارة افريقيه اشتركت من خلالها في أغلب المؤتمرات التي عقدت في نطاق الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقيه وفي "اللجان الدائمة للتعاون العربي – الأفريقي" وزرت عدة دول افريقية كما استقبلت دمشق عدداً من الشخصيات الأفريقية . وكان التماس مع هؤلاء أمراً مفيداً جداً يطلع فيها المرء عن خفايا السياسة الداخلية الأفريقية وما كانت تعانيه افريقيه من صعوبات بسبب تركه الاستعمار الثقيلة وأهم المؤتمرات التي شاركت فيها هو في الحقيقة المؤتمر الذي عقد برعاية الجامعة العربية في تونس بتاريخ ١١/٣/١٩٨٦ لوضع تصور لمستقبل العلاقات مع الدول الأفريقية ويمكن أن يعتبر أول خطوة جادة من قبل العرب للتعاون العربي الأفريقي الحقيقي .

خلال استلامي الادارة الأفريقية وضعت عدة دراسات مطولة في نطاق الوزارة حول مفهوم القومية الزنجية لدى الرئيس السنغالي سنغور ودراسات عن كينيا وتنزانيا واوغندا وغينية والصومال وعن التعاون العربي الأفريقي وآفاقه . ثم المشاركة في اصدار العدد الخاص عن افريقية والذي أصدرته مجلة الآداب الأجنبية التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب وهو العدد ٣٨ – ٣٩ (١٩٨٤) وقد شجعني هذا المقال وعنوانه القارة الأفريقية أصولها وتاريخها وحضارتها وما لاقاه من استحسان لدى كثير من القراء للتفكير بتوسيعه وإصدار كتاب عن القارة في نفس الاتجاه والحديث عن المجتمعات الأفريقية فبالرغم من تزايد عدد المنشورات والكتب والدراسات التش شملت كافة نواحي الحياة الأفريقية إلا أن القسم الأعظم منها لا يزال بلغته الأجنبية وينتظر من ينقله إلى اللغة العربية ، تشمل على دراسات تاريخية صدرت جميعها بعد سقوط الاستعمار في القارة ولا تزال المكتبة العربية بحاجة للمزيد من الكتب والدراسات فمن المفارقات أن يكون اهتمام العرب بأفريقيه بعيداً عن الجدية رغم وقوع القسم الأكبر من الوطن العربي بمساحته وسكانه في القارة الأفريقيه ، وفي كل مكان وصلته في القارة كنت أجد منه من يحدثني باللغة العربية أو من يحييني بسلام الاسلام ، ومنذ عام ١٩٦٩ أرسل الرئيس سنفور وهو من كبار المثقفين الأفارقه والعالميين إلى مهرجان الثقافة الأفريقيه – العربية في الجزائر برقية يقول فيها "إنه يحس بأن الروح الأفريقيه ستسيطر على جو المهرجان وقال إن القارة الأفريقية ما هي إلا حوار دائم بين عرب – بربر وزنوج وأفارقه أي بين عرقين أصيلين يتمم أحدهما الآخر " لذلك ومهما كانت الصعاب يجب العودة بجدية أكثر للحوار العربي الأفريقي ووضع أسس تعاون مشترك من مختلف

النواحي السياسية والأقتصادية والثقافية فمصير العرب يرتبط إلى حد كبير بمستقبل القارة الأفريقيه .

لم أشأ الإطالة رغم ما تجمع لدي من معلومات تتطلب مساحات أكبر عن القارة وجعلت هذا الكتاب القاعدة لإصدارات مقبلة عن مختلف المواضيع الأفريقيه بتفاصيل أدق وأطول فقد توجهت في هذه الدراسة الحالية لإلقاء بعض الأضواء عن البنية التحتية للمجتمعات الأفريقية "ثقافتها ، دياناتها ، لغاتها وأصولها." والتي لا تزال تلعب دوراً هاماً في مختلف المشاكل التي تتعرض لها القارة ثم مروراً بتاريخها والممالك والامبراطوريات التي أقامتها . وتم تبويب المعلومات ضمن أربعة أبواب حسب المجموعات العرقية – اللغوية أما الفصول الثمانية التي تتشكل منها الأبواب الأربعة فقد وضعت على أساس الموقع الجغرافي وأفردت فصلاً خاصاً لدويلات العرب في شرق زائير (الكونغو) والتي بقيت حتى بداية الحرب العالمية الأولى وألحقت بالكتاب ٢٤ خريطة إيضاحية وبعض الصور وأملي أن أكون قد وفقت إعطاء القارئ العربي فكرة لا بأس بها عن القارة الأفريقيه بما فيه الفائدة للجميع .

وبالرغم من المصائب المتلاحقة التي مرت عليها القارة منذ بداية الاستقلال ولا مجال لعدها إلا أن الأمور في كثير من المناطق تسير نحو الأفضل ، وكم أود أن أرى ذلك الرجل من جنوب افريقيه والذي طلب مقابلتي عندما كنا في لوساكا في مؤتمر عدم الانحياز وأخذ ينصحني وغيري بالابتعاد عن مشاكل جنوب افريقيه وهو وغيره (حسب قوله) يفضلون بقاء الأبيض في السلطة لأن الأسود سينكل بهم عند استلامه السلطة وعدد بعض الزعماء الأفارقة ومنهم كاوندا مضيفنا في ذلك الوقت. لقد استقلت ناميبيا وسقطت التفرقة العنصرية (الأبارثيد) وفي كثير من الأماكن أمكن التغلب على مخلفات الاستعمار . وستحتاج القارة دون شك لفترة طويلة حتى تتغلب على مصاعبها – كما حدث في غيرها من القارات – والزمن كفيل بذلك وستظل القارة لا يعرف المقيم فيها أو زائرها ما يشده إليها هل هو اعتدال مناخها رغم مرور خط الاستواء في منتصفها وملاءمته للحياة الانسانية الفطرية أم منظر أمطارها الاستوائية وهي تصب كأفواه القرب ، سماؤها الصافية نهاراً وكثرة النجوم المتلألئة ليلاً . أنهارها الضخمة وجبالها العالية بشكل عمودي ، شمس العصر الأرجوانية التي تعكس في السماء ما هو موجود على الأرض ، سهول السافانا الواسعة التي تسرح فيها مختلف أنواع الحيوانات شلالاتها العالية ، تقاليدها وعاداتها وغموضها ، رقصاتها وموسيقاها الإيقاعية التي لا تغيب عن السمع . فلا عجب إذا حاول الأوربيون البقاء فيها أطول مدة ممكنة .

محمد عدنان مراد

القـــارة الافريقية

عموميـــــــــات

القــارة الأفريقية

عموميات

- تمهيد
- لمحة جغرافية
- الأصول العرقية واللغوية
- الأديـــان
- طبيعة المجتمعات الأفريقية وثقافتها
- التنظيم الاقتصادي
- الفن الأفريقي

القــارة الأفريقية
عموميات

تمهيد

أطلق عليها بعضهم (القارة المظلمة) في حين يعتبرها آخرون قارة المستقبل ، وتاريخها السياسي الحديث لم يبدأ إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وتعتبر أعوام الستينات أعوام القارة الأفريقية حيث ابتدأت مسيرة القارة نحو الأستقلال ولم يعد في القارة الأفريقية أي منطقة مستعمرة بعد استقلال ناميبيا .

ولاشك أن ظهور القارة على المسرح العالمي هو حدث عظيم ويعتبره بعضهم أهم أحداث هذا القرن حيث انضمت قارة كاملة بطاقاتها البشرية واقتصادها الفني إلى ركب الحضارة وانطلقت شعوبها من قمقم الاستعمار بعد تضحيات جسمية . وتخوض القارة حالياًنضالاً صعباً ، لاثبات هويتها وإزالة مخلفات الاستعمار الذي وجهها الوجهه التي لم تكن الشعوب الافريقية تريدها . فهو الذي حدد حدودها بمسطرته. وفرض عليها نوع اقتصادها الذي يخدم مصالحه ، ولم يراع في تقسيمه النواحي العرقية واللغوية مما أربك ولايزال يربك حياتها . وزاد

في ذلك المجاعات بسبب السنين العجاف التي مرت عليها. وما سببته الحروب الأهلية التي لاتزال مستعرة في أنحاء كثيرة من خسائر مادية وبشرية وقد لعبت الحرب الباردة بين الروس والامريكان دوراً مميزاً في هذه الحروب . ولاتزال القارة حتى الآن غير مستقرة وستمضي فترة ليست بالقصيرة لتتبلور وتتماسك شعوب كل دولة ضمن حدودها ، متناسية جذورها بعيدة عن الانتماءات القبلية والدينية واللغوية وهي وحدة لابد منها ، مرت عليها القارات الأخرى منذ مئات السنين عندما ظهرت في كل دولة شعوب جديدة تنتمي إلى ثقافة واحدة مؤمنة بوحدتها السياسية متناسية جذورها القبلية . ولاشك أن المهمة صعبة نظراً لانجذاب الفرد الأفريقي الوثيق إلى مجتمعه وتاريخه ولم يحاول الاستعمار خلال حكمه الطويل إزالة الفروق القبلية والعرقية بل عمل على أساس فرق تسد زاد في تكريسها وتقويتها . وجاء الزعماء الجدد ينظرون إلى المستقبل بمنظار الماضي ويستندون في حكمهم على مجموعاتهم القبلية التي من الممكن أن تكون أقلية،وقد أتخذ بعضهم القاب قديمة رنانة وقسم منهم غير اسم دولته بأسماء قديمة تيمناً بالماضي ولاشك أن هذا الماضي لم يكن كما تصوره بعضهم تاريخاً لشعوب بدائيةٍ عمل الاستعمار على رفع حياتها وتنظيمها بل كان ماضياً مجيداً لايقل عن تاريخ كثير من الشعوب الاخرى التي عاشت في نفس المرحلة وفي نفس الزمن من مختلف النواحي الجغرافية والتاريخية والبشرية .

– لمحة جغرافية : يصف كارلتون كون ، في كتابه القافلة الجغرافيا بأنها أميرة كل العلوم ويوافقه على رأيه أكثر الرحالة والمؤرخين وقد سبقه إلى ذلك الرحالة العرب من جغرافيين ومؤرخين وقالوا بأنه لابد لدراسة شعب ما ، من التطلع إلى الأرض التي يعيش فيها ، وأفريقية وشعوبها . بخاصة تأثرت بالدور الذي لعبته تضاريسها ومناخها وموقعها أكثر من غيرها من القارات كما سنرى .

– تبلغ مساحة القارة الأفريقيـة /٣١/ مليـون كـم٢ . فهـي ثـاني القارات . وتحـوي ربـع الأرض اليابسـة وليـس لهـا اتصـال باليابسـة مـع القارات الأخرى إلا عن طريق المضائق [1] الأخرى كجبل طارق ومضيـق باب المندب . وماتبقى . فتحيط بها البحار والمحيطات والسـواحل العاليـة من جهة والغابات الكثيفة والسواحل الرملية من جهة أخرى وأدى ذلك إلى عزلها قديماً من الغـرب والجنـوب الغربـي عـن الأتصـالات البحريـة . وعندما أخذ البحـارة الأوربيـون يغـامرون بالاندفـاع جنوبـاً علـى طـول السواحل الأفريقية الغربية وبعد زوال الخوف من أن يصبحـوا سـوداً إذا تجاوزوا الرأس الأخضر في السنغال . كان اهتمـامهم بـالوصول إلى الهنـد والشرق للعودة بالغنائم الغاليـة الثمـن مـن التوابـل والأفاويـة . ولكنهـم فطنوا فيما بعد الأهمية القارة . وقد وجدوا صعوبة قوية في رسوهم على تلك السـواحل فلم يجدوا الموانـئ أو الأحـواض العميقـة الصالحـة للرسـو والاختباء من العواصف . وكما ساعد على صعوبة الموقـف عـدم وجـود الخلجان العميقـة في جسـم القـارة كمـا هـو الحـال في القـارات الأخـرى ونظرة واحدة على الخارطة نجد أن كل ١٤٠٠كم٢ يصيبه ١٠كـم مـن السواحل ، أما في أوربا فيصل إلى ٣٠٠ كم .

وتقل في افريقيا السلاسل الجبلية . ففي الوقت الـذي ظهـرت فيـه السلاسـل الجبليـة الضخمـة في العصـور الغـابره في القـارات الأخـرى كسلاسل جبال همالايا وجبال الألب والانديز لم يحدث شيء من هذا في افريقية . والقارة عبارة عن هضبة سافانا واسعة تحيـط بهـا ثـلاث منـاطق منخفضة على شكل حفر واسعة . ففي الشمال الصحراء الكبرى . والتي وقفت في الأزمنة القديمة سداً أمام شعوب المتوسط بالدخول إلى أعماق

---

(١) برزخ السويس الذي كان همزة الوصل بينها وبين الحضارات والأقوام في آسيا وبالتحديد في الجزيرة العربية . أو عن طريق المضائق الأخرى .

القارة وبالعكس ثم صحراء كالاهاري في الجنوب . وحوض الكونغو في الوسط بغاباته الكثيفة وذبابة تسه تسه مما جعل الشعوب الشمالية تضطر في حركتها نحو الجنوب اتباع طريق دائري طويل حول الحوض الواسع من طرفيه .

وانخفاض الحوض أدى إلى ظهور صدوع وتشققات واسعة حيث ظهرت البراكين الخامدة ، العالية كسلسلة جبال القمر (روينزوري) Ruweng ure (١٠٩ر٥ م) في الغرب وصدوع أخرى ذات أهمية أقل تقع في خليج غينية .

وتغلب السهول على القارة فهناك ٦٧٪ من مساحتها سهول ترتفع بين ٥٠٠ – ١٠٠٠ م وقد ساعدت هذه السهول المرتفعة على استقرار الشعوب فيها ، وَعمل قسم منهم بالزراعة لوجود المياه الجارية والأمطار الملائمة والقسم الآخر عمل في تربية الحيوان حيث المناطق العشبية من السافانا وفيها ظهرت أروع الامبراطوريات الزنجية الكبرى .
وترتفع حول الهضبة في الشمال والجنوب سلاسل موازية للبحر ففي الشمال سلاسل جبال الاطلس الساحلية ثم سلاسل الاطلس الصحراوية وفي الجنوب سلاسل جبال الكاب وهي التي تمنع الرياح الباردة من الشمال والجنوب من الوصول إلى داخل القارة وتقع التضاريس المرتفعة في الشرق ، فالهضبة هناك مصدعة بشقوق عميقة ظهرت فيما البحيرات ذات الشواطئ العالية . وضمن هذه التصدعات ظهرت البراكين المرتفعة. وتشكل مجموع البحيرات والبراكين والصدوع الأخدود العظيم الذي يبدأ من بحيرة ملاوي (٦٠٤ر٢٩ كم٢) ويتجه شمالاً حيث يتفرع إلى فرعين يفصلهما عن بعضهما ارتفاعات عالية . ففي الغرب توجد بحيرات روكوا (٨٠٠ر٢ كم٢) وتنغانيكا (٨٩٣ر٣٢ كم٢). والبرت (٦٠٤ر٢٩ كم٢) وفي الشرق بحيرات فكتوريا (٤٢٢ر٦٨ كم٢) وكيوجا . ومن بين هذه البحيرات والبحر تشكلت

الاندفاعات البركانية العالية المعممة طوال العام بـالثلج جبـل كليمانجـارو (٥٩٦٣م) وجبـل كينيـا (٥٢٠٢ م) في الشـمـال . وشمـال بحـيرة رودولف (٤٠٥ر٦ كم٢) يتجه الأخدود العظيم شمال - شرق مخترقاً الهضبة الحبشية ويقسمها الى قسمين ثم يدخل حفرة البحر الأحمر وخليج عدن . وفي هذه المناطق المرتفعة ذات الطبيعة الجميلة والمناخ المعتدل رغم قربها من خط الاستواء استقرت الشعوب منـذ أزمـان قديمـة وحققت نجاحات حضارية عالية المستوى ومنها الدول المنظمه .

ويقسم خط الاسـتواء القـارة إلى قسمين متسـاويين تقريبـاً ولكـن القسم الشمالي أكـثر قاريـة مـن الجنوبي . ومـن خـط الاسـتواء . شمـالاً وجنوباً يبدأ المناخ من ناحية المطر والرطوبة والحرارة ويقل بقـدر ابتعـاده عن خط الاستواء الذي تصل كمية الامطار حوله إلى مترين وثلاثـة أمتـار سنوياً . ويشذ عن ذلك المناطق المرتفعة ، حيـث يخفـف الأرتفـاع درجـة الحرارة عدا المناطق الساحلية في الشـمـال والجنـوب التي يظهـر فيهـا مـا يسمى بمناخ البحر الأبيض المتوسط .

وتعتبر القارة الأفريقية جنة للنباتات . وتظهر خارطة النباتات تأثير الطقس على الأوضاع النباتية وبخاصة على نمو الغابات . وأكثف الغابات هي الموجودة على شـواطئ الأنهـار وحـول خـط الاسـتواء وتحـوي هـذه الغابـات علـى أنـواع الأشـجار العاليـة والنباتـات المتسـلقة وتعيـش فيهـا الزواحف بخاصة وأفراس النهر والتماسيح . ويحوي بعضهـمـا ذبابـة تسـه تسه (حوض الكونغو) وقد أثرت هذه الذبابة القاتلة للحيوان والأنســان على التوزيع الحيواني والسكاني في المنطقة لذلـك خـلا قسـم كبـير مـن الغابات الوسطى من الحيوان والأنسان أيضاً . وتعيش الحيواتات المفترسة في مناطق السافانا عادة وتخاف من دخول الغابات كالأسـود والكركـدن والنمور والذباب والضياع كما تسرح في السافانا الحيوانات الاخرى من الابقار لوحشية وانواع الغزلان وحمار الوحش والزراف .

أما النباتات الصحراوية فهي قليلة ، والموجود فيهـا يعيـش بسـبب تركيبها الداخلي الذي يساعدها على حفظ الرطوبة والمـاء وتنتـج القـارة مختلف المحاصيل فمنها الأصلي ومنها مـاقدم إليهـا مـن القـارات الاخـرى بخاصة أسيا وأمريكـا الجنوبيـة وأهـم المحاصيل الدرقيـات والـرز والقطـن والحبوب والذرة ونباتـات الكـولا والقهـوة والفـول السـوداني والنخيـل والبالم والمطاط وشجر جوز الهند (الكوكو) .

وافريقية غنيـة بمواردهـا المعدنيـة الستراتيجية كالبـترول والذهـب والمـاس والحديـد والنحـاس والبوكسـيت والكوبـالت وحجـر النـار والفوسفات والمنغنيز والزنك والرصاص واليورانيوم ... الخ.

الأصول العرقية واللغوية :

يبلغ عدد سكان القارة حالياً (٦٠٠) مليون نسمة احصـاء (٩٢) وهناك تقديرات بأنهم سيصلون في نهايـة القـرن إلى ٨٠٠ مليـون نسـمة وهـم يتوزعـون بشـكل غـير متناسـق أو متسـاو . والمنـاطق ذات الكثافـة السكانية هي سواحل البحر الأبيض المتوسط وغرب افريقية وفي الغابـات الساحلية الكثيفة ومرتفعات شرق افريقية ولكن غابات الكونغو الكثيفـة قليلـة السـكان هـي والسـهوب الشـمالية الشـرقية في شـرق افريقيـة وصحارى كالاهاري الكبرى .

وتعتبر القارة الافريقية موازابيك شعوب وهناك أكثر مـن ١٥٠٠ عرق بشري وأكثر من ألف لغة ولهجة وبعضهـم يعطـي أرقامـاً تصـل إلى ثلاثة آلاف والمهم هو كثرة العروق البشرية في افريقية لذلك لم يكن مـن السهل وضع تصنيف محدد للأعراق البشرية مـن ناحيـة وحـدة اللـون أو البنية أو الشعر .. الخ ومنهم من عاد إلى الأصول اللغوية . لقد امـتزجت شعوب القـارة كثيراً خـلال قـرون طويلـة مـع بعضهـا نتيجـة للحـروب الداخلية بين القبائل والشعوب،مع ماكـان يرافقهمـا مـن أخـذ الاسـيرات

وعمليات الاغتصاب بالإضافة إلى الجائحات المرضية والمجاعات التي كانت تشتت شعوباً بكاملها واندماج بعضها بالاخرى لذلك اختلطت الدماء كثيراً وقد تعددت نماذج التصنيف وكلها في الواقع غيردقيقة ووضعت للتسجيل فقط وأفضل تصنيف للشعوب الافريقية الحديثة هو ما استند إلى النواحي اللغوية مع النظر بعين الاعتبار للنواحي الفيزيائية ويضم هذا التصنيف خمس مجموعات

أولاً – مجموعة شعوب الخوسان وتضم الهوتنتوت واليوشمن وهم حالياً أقلية في جنوب وجنوب شرق افريقية وغربها . وهم على العموم قصار القامة واللون بين الأصفر والبني والشعر مفتل ويختلفون عن غيرهم من الشعوب الاخرى من ناحية الزمر الدموية والعجز الضخم للنساء والاعتقاد بأنهم أصل سكان القارة الأفريقية .

ثانياً : الأقزام هم أيضاً قصار القامة واللون بني رغم أنهم حالياً يميلون إلى الخصائص الفيزيائية الزنجية بسبب الاختلاط المتواصل معهم .

ثالثاً : المجموعة الزنجية : وهي أكثر المجموعات العرقية انتشاراً وهم يختلفون كثيراً فيما بينهم من النواحي الفيزيائية واللون ويتراوح بين الأسود الفاحم في غرب افريقية إلى اللون البني الفاتح في شرق وجنوب افريقية ويطلق على الأوائل الزنوج الافحاح (الحقيقيون) أما الأخيرون ويطلق عليهم شعوب البانتو وقد اختلطت دماؤهم بالسكان الأوائل ومع المجموعة القوقازية وأما البنية فتقترب من القصر وأغلبهم في غرب افريقية في حين تكون بنية البانتو أكثر طولاً وتضم هذه المجموعة الزنجية أيضاً مايعرف بالشعوب النيليه ذوي الاجسام الطويلة والالوان الفاتحة في جنوب السودان.

رابعاً : المجموعة القوقازية في شمال وشمال شرق افريقية ويعود الشماليون إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط وألوانهم بين الأبيض الفاتح

واليني الفاتح وغالباً الأسود في الصومال وشعرهم على العموم متمتوج ومنهم ذوي الشعر المرسل ومنهم ذوي الشعر المفتل .

خامساً : المنغوليون وهم الشعوب التي تقطن فقط في جزيرة مدغشقر وقد قدموا حديثاً للقارة من أسيا .

وتتكلم هذه الشعوب لغات مختلفة صنفها غرينبورغ في القرن التاسع عشر حيث عد أكثر من ٧٣٠ لهجة ولغة ذكر اسماء ٤٣٧ لغة جمعها ضمن أربعة مجموعات رئيسية (عائلة) وهي :

- أولاً : عائلة لغات - الكونغو - كردفان وتنتشر بين كينيا حتى نهر السنغال غرباً .
- ثانياً : عائلة اللغات النيليه الصحراوية وتنتشر في تشاد جمهورية افريقية الوسطى والسودان - كينيا - أو غندا الكنغو مالي - النيجر .
- ثالثاً : عائلة اللغات الأفراد اسيوية والتي يتكلمها الحاميون والساميون في شمال وشمال شرق افريقية وتضم العربية واللغات المصرية القديمة والكوشية والتشادية والامهرة والتيجري واللغات البربرية .
- رابعاً: لغة الخويسان

ويمكن إضافة مجموعة خامسة وهي اللغة الملفاشية المنتشرة في جزيرة مدغشقر .

وضمن احتكاك هذه اللغات مع بعضها من جهة واللغات الأجنبية من جهة أخرى فقد ظهرت لغات مشتركة لينغوا - فرانكا وأشهرها السواحيلية في شرق افريقية وتعود أكثر من نصف مفرداتها إلى اللغة العربية وهي اللغة الرسمية لدول ساحل شرق افريقية كما ظهرت لغات حديثة هي مزيج من اللغات المحلية واللغة الانكليزية كلغة الأفريكانز في جنوب افريقية ولغات سيراليون وليبيريا . وأغلب الدول الأفريقية حالياً تستخدم اللغات الفرنسية والانكليزية والبرتغالية والاسبانية كلغات رسمية.

ولاتزال اللغة العربية أوسع اللغات انتشاراً في شمال افريقية وشمال شرقها وقد استخدمت في السابق كلغة رسمية في الامبراطوريات الزنجية وحتى في جزيرة مدغشقر كماكتبت كل من السواحيلية والغولاني بالاحرف العربية قبل وصول الاستعمار .

← الأديان : تنتشر الأديان السماوية الثلاث في القارة الافريقية بجانب الأديان المحلية القديمة أو الوطنية . ويشكل الاسلام ٣٥٪ من السكان وأما المسيحية فهي ١٢٪ أما اليهودية فعددها قليل بين الشعوب القديمة واليهود من الأصول الافريقية المعروفون باسم الفلاشا هجروا القارة إلى اسرائيل أما الأديان المحلية فتشكل أكثر من ٥٥٪ من السكان .

وقد وصل الأسلام للقارة بعد ظهوره مباشرة في الجزيرة العربية في القرن السابع عندما وصل المهاجرون الأوائل الذين أرسلهم الرسول هرباً من ظلم قريش إلى افريقية وعن طريق البحر الاحمر تتابعت الهجرات العربية حاملة معها الاسلام . وعندما احتل العرب شمال افريقية واندفعوا إلى أعماق القارة خلال فترات متعاقبة أسلمت الامبراطوريات الزنجية وأصبحت احدى الدعائم الاسلامية وعن طريقها أخذ المد الأسلامي يتسع ويمتد حتى شمل القسم الأكبر من غرب افريقية كما كان لوادي النيل واتصاله بأعماق القارة أثره في وصول الاسلام إلى وسط القارة . رقد قبل الافارقة الاسلام بسرعة بسبب بساطنه التي تلائم حياتهم البدائية وأهم من ذلك مساواته بين الالوان والاعراق البشرية والسماح بتعدد الزوجات مع البساطة في العبادة وقد أصبح المبشرون الأفارقة ولايزالون الدعامة الرئيسية للتبشيرالاسلامي الذي لا يزال على زخمة حتى الوقت الحاضر في القارة .

– أما المسيحية فقد دخلت افريقية منذ العصور الأولى لظهور المسيحية من الشمال ولكنها ظلت على السواحل وقد عرفت المسيحية في ذلك الوقت ازدهاراً كبيراً في الشمال الافريقي وقدمت للعالم المسيحي

القديس سان اوغوستين . كما انتشرت المسيحية التي تعتقد بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح عن طريق المبشرين المصرين كما وصلت الحبشة عن طريق الرهبان السوريين . عندما وصل العرب إلى شمال افريقية وخرج الرومان منها زالت المسيحية ولم تعد منتشرة في افريقية إلا في الحبشة . وظلت لفترة طويلة بعيدة عن افريقية حتى وصول العناصر الأوربية من مكتشفين واستعماريين ومع ذلك لم تنتشر المسيحية في الواقع إلا في القرن التاسع عشر وكان انتشارها بطيئاً أيضاً . ويعزو أكثرهم عدم سرعة انتشار الديانة المسيحية في افريقية إلى أن السود كانوا يربطون بين المستعمر حامل السياط والمبشر حامل الانجيل "وقد أخذ الافارقة الانجيل وأخذ حامل السياط الأراضي (حسب قول المؤرخ الأفريقي كلود فوتييه ي كتابه (افريقيه للأفريقيين) .

ومما يذكر أن المبشرين الأوائل لقوا المساعدة الكبرى من المسلمين في بادىء الأمر . ولم يفطنوا لأهدافهم في القضاء على الاسلام حسب قول آلان مورهيد في كتابه النيل الأبيض إلا بعد فترة طويلة وهنا أخذوا في محاربتهم ولو تأخر دخول الاستعمار الأوربي للقارة خمسون عاماً فقط لأصبح جميع سكانها مسلمون (حاضر العالم الاسلامي لوثروب ستودار).

أما الديانات المحلية . أو الوطنية . فهي كثيرة الأنتشار بخاصة بين الأقوام السوداء في وسط وجنوب الصحراء وهي بعيدة من أن تكون كما يطلق عليها وثنية . فالاصنام غير موجودة في افريقية . وليست هذه الديانات سوى تقاليد افريقية لذلك كثر عددها واختلفت اتجاهاتها وتعقيداتها ولاتزال بعض المعتقدات الافريقية راسخة لدى المسلمين والمسيحين على حد سواء . ومعظم الديانات الوطنية هي زنجية افريقية الأصل . وهي وإن كانت شديدة التباين في ظاهرها . كما هو الحال بالنسبة للجماعات البشرية فإننا نستطيع أن نعثر دون مشقة كبيرة على وحدة أساسية لها والمثل على ذلك المعتقدات في كل من السودان

والنيجر والكونغو . وقد احتفظت تلك المعتقدات بكامل حيويتها في المناطق الريفية ولم تفقد إلا القليل من قوتها ونفوذها في المراكز الحضارية وهناك قاسم مشترك هو التعريف بالاله الذي هو الخالق وله اسماء شتى حسب القبائل والنظر نحوه فمثلاً يسمى /فارو/ لدى /البامبرا / و/ ماوو /لدى الأشانتي ولدى اليوروبا /اورلوم/ أما الكيكيو فيؤمنون بخالق واحد هو (نجاي) .. الخ . كما لدى بعضهم اعتقادات بوجود الآلة الثانويين والوسطاء من البشر حيث استغل هؤلاء هذه الوساطة ليقوموا بالسحر والشعوذة والخالق عادة يعيش في مكان بعيد لا يمكن الوصول إليه إلا بوجود الوسطاء يشترك فيهم النساء والرجال وهم الآلهة المقيمون على الأرض كما هناك اعتقاد بوجود الآخرة والحساب. وبسبب تمسك الرجل الاسود بمجتمعه كانت الديانات المحلية مرتبطة بالأجداد وأرواحهم فهم أسياد أحياء أو أموات وهم المحافظون على الحق وتقوية المعنويات وهم مقدسون والاحتفالات التي تسجل دخول اليافعين ضمن الحياة الاجتماعية هي الأخرى تسجل شكلاً للتماسك في المجموعة العرفية الواحدة وللطبيعة أيضاً أثر كبير في الديانات الافريقية فهي التي تحيط الانسان وتغلفه وهي أصل خلق الكون وتنسج حولها الخرافات التقليدية، وكل العمليات السحرية والتنبؤ بالغيب وللسحرة والمنجمين دور كبير في الحياة الاجتماعية التقليدية يمكن اعادة الديانات الأفريقية إلى أربعة نماذج رئيسية هي :

أولاً – الديانات الغولتية : وترتبط كل الديانات القديمة في مناطق السافانا من غينية إلى كردفان بها وهناك اختلافات كثيرة بينها . فأحياناً تسود فيها عبادة الأرض ويطلق فيها على الفلاح /ياجين/ أي عابدا الأرض . وأحيانا تسود قدسية أرواح الأجداد

ثانياً: ديانات خليج غينية . وتنتشر لدى شعوب الثقافة الزنجية

الحقيقية الصافية وتتوضح في المنطقة الغابية بين ليبيريا والكاميرون . وقد عرفت تطوراً روحانياً وطقسياً كبيراً في بنين (داهومي سابقاً) و /توجو/ وبلاد اليوروبا . ولدى أكان غانا الذين يؤمنون بالأله الواحد . وقد تطورت هذه الديانات ضمن نموذج خاص جداً يتكشف بسهولة عن مؤثرات شرق أوسطية قديمة فيها وعلى سبيل المثال الاسبوع ذو الأيام السبعة التي يحكم كل منها أحد الكواكب .

ثالثاً : ديانات النموذج النيجيري. وقد نشأت هذه بشكل أساسي على عدة طبقات متتالية تميزها عن غيرها مثلاً عبادة الجن والرقصات الهستيرية .

رابعاً : الديانات البنتوبة : نسبة إلى شعوب البانتو : وتنتشر في مختلف مناطق الكونغو والغابة الاستوائية وهنا تلعب الأقنعة دوراً كبيراً في الاعتقادات لبانتوبة . ويلبسها الرجال فقط . وحامل القناع دائماً له قدسيته وقوته التي تفوق القوة الطبيعية ، وهو ليس نفسه وانما الروح التي تختبئ وراء القناع . والاقنعة ذات مواصفات محلية وبعضا له أهمية قبلية . وتضطلع الأقنعة بأدوار مختلفة وهامة في الحياة الاجتماعية . فالقناع يجسد الشعار الاخلاقي . ويحمي القوانين العرفية . ويجازي من يتجاوزها ويسهر على مايجب أن يبقى محترماً وينتقل من جيل إلى جيل ومنها ماهو على مراتب مختلفة كأقنعة التورا بعضها يمثل جنياً (جمع جني) أو أرواحاً ولكنها في أغلب الأحيان تجسد أرواح الجدود والأموات، وبعضهما لاينتقل أو ينقل إلا على عكاكيز وآخر لايخرج إلا في الليل وقد أدى الاعتناء بالأقنعة لظهور فن خاص اشتهر في افريقية . وهو فن الدوغن له طقوسه وجذوره .

– المجتمعات الأفريقية : حتى الحرب العالمية الثانية كانت المعلومات عن المجتمعات الأفريقية قليلة وغامضة وإن وجدت فتكون مملوءة بالاساطير والتخيلات . وهذا مأأراده المستعمر الذي حجب القارة

عن الخارج عدة قرون ولم تظهر الكتابات الافريقية المعمقة والمفصلة إلا بعد استقلال الدول الافريقية حيث ترك المؤرخون الأوربيون لشأنهم دون ملاحظات من حكوماتهم كتابة ونشر ماكان لديهم من معلومات عن القارة الأفريقية بعد حجبها خلال فترة بقائه السنين الطويلة . وكانوا يطلقون عليها القارة المظلمة مستفيدين من كتابات المؤرخين الأوائل الذين وصفوها بالوحشية ومنهم هيرودوت نفسه وليون الأفريقي (حسن الوزان لأندلسي) وغيرهم .

والواقع أن الذي أعطى معلومات صحيحة وواضحة عن الفترة التي سبقت وصول الأوربيين إلى القارة هم الرحالة والجغرافيون والمؤرخون العرب . وبعض المؤرخين الأفارقة الذين كتبوا باللغة العربية وأشهر الرحالة العرب المسعودي ٩٥٦ م وابن حوفل القرن العاشر ٩٧٧ م وابن خلدون ١٣٣٢ - ١٩٠٦ م - البكري ١٠٢٨ - ١٠٩٤ م . الأدريس ١١٠٠ م وابن بطوطة ١٣٠٤ - ١٣٧٧ م ومن السودانين . السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله (١٥٦٦ - ١٦٥٥) م والقاضي الفح محمود كعت في القرن السادس عشر ثم ابن صود في نفس المدة وقبلهم أحمد بابا التمبكتي (نسبة إلى تنتبوكتو . ,آخرون غيرهم .

ومما يجدر ذكره أن أوربا كانت تجهل في القرون الوسطى والأولى قلب افريقية جهلاً كاملاً حتى ظهور البرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر .

وعلى كل حال دلت المكتشفات عن الحقبة ماقبل التاريخ أن القارة الأفريقية كانت مسكونة من أقصاها إلى أقصاها منذ بداية العصر الرابع . ويعتبر كثير من المؤرخين الأفارقة وأشهرهم المرحوم الشيخ انتاديوب أن افريقية هي مهد البشرية الأول وعلى وجه التحديد في رقعة من الأرض تقع بين كينيا واثيوبية . حسب ما يعرف حالياً باكتشافات (

لوسي) الأخيرة وكان الجد الأكبر زنجياً وكان لتضاريس القارة أثر كبير في ضيق الصلات بالخارج عن طريق البحر وأدى هذا إلى ظهور القصص والحكايا عن القارة الافريقية التي تعج بالعماليق والأقزام والرجال القرود والفيلان المفترسة وعن النساء اللواتي يشبهن الطيور وعن شعوب ليس لها أنف أو ألسنة أو فم أصابعه مقلوبة إلى غير ذلك من الأساطير ولكن الذين استطاعوا دخول القارة من العرب ومن بعدهم الأوربيون في المرحلة التاريخية وجدوا أمامهم ممالك وشعوباً منظمة . والغريب أن هذه الشعوب أو الممالك لم يعثر عليها حسب قول /دنيس بولم/ في كتابه الحضارات الافريقية عندما عاد الملاحون الأوربيون بعد أربعة قرون بل وجدوا اطلالاً يجثم عليها رعب حقيقي مما يدل على أن مصائب وكوارث قد حلت بها ولاتقتصر هذه الكوارث على الناحية الطبيعية بل تعدتها للشعوب والممالك ويعزو ذلك إلى تهافت تجار الرقيق (النخاسون) من كل حدب وصوب عليها لاقتناص الرقيق مما أدى إلى تهديم الممالك وتشتيت الشعوب والقضاء على قبائل كاملة بسبب مانقلوه من فتيانها وفتياتها إلى الخارج وجاء الاستعمار ليقضي على البقية الباقية من حياتها السياسية .

يمكن النظر في افريقية إلى مجتمعين رئيسيين وهما المجتمع الزراعي وقد وصل حب الأرض لديهم لدرجة عبادة الأرض والمجتمع الرعوى الذي كان يقدس الحيوان وبخاصة البقر .

والنظرة العامة للمجتمعات الأفريقية من الناحية السياسية تظهر بأنها كانت قوية التركيب فيما يتعلق بالوحدات الصغرى كالقبيلة والعائلة والفخذ في حين كانت ضعيفة التركيب فيما يتعلق بالوحدات الكبرى وقوة الوحدات الصغرى وتماسكها هما اللذان حافظا على المجتمعات الأفريقية بالرغم من الكوارث التي ذكرناها.

أما الناحية الطبقية فلم تكن معروفة إلا في بعض الممالك حيث

استطاعت طبقة حاكمة معينة إما أنها قدمت من الخارج أو أنها تعود لفخذ قوي في المجتمع الداخلي وهي التي عملت على الحفاظ على مكتسباتها عن طريق إعطائها لنفسها هالة من القدسية وأحاطت نفسها بالاتباع والمريدين وقسمت المجتمع إلى طبقة نبلاء وأحرار وعبيد أما أكثر الشعوب فعمدت عن طريق طبقات الاعمار على إبعاد فكرة الانتماء إلى العائلة أو الفخذ بل الانتماء الى المجتمع بغض النظر عن الانتماء القبلي. وكانت طبقات الأعمار المتقاربة تجعل من الفرد يعيش في مجتمع متساو وعليه من الواجبات والالتزام نحو الآخرين في كل مرحلة من مراحل حياته التي تنظمها دروات طبقات الاعمار مع الاحتفاظ بحقوقه . وكانت تعطى أهمية بالغة لتحديد الحقوق والالتزام ، وعادة الأكبر سناً في المجتمع ومعه كبار السن يلقون احتراماً قوياً . ويتمتعون بسلطة معينة . وقد انعكست فكرة المنزلة المرتبطة بالعمر بوجود مراتب يمر عليها الفرد في حياته إلى درجة التي تؤهله لإعطاء القرار أو المشاركة فيه بعيداً عن الانتماء القبلي أو العائلي . ونظراً لاعتقاد الجميع بأهمية الختان في وصول الفتى أو الفتاة لمرحلة الرجولة فقد أصبح الختان بداية لتنظيم المجتمع على أساس طبقات الاعمار المتقاربة التي تسود أغلب الشعوب الافريقية .

كما أن الانتماء للأجداد وعبادة أرواح الاسلاف تعتبر قضية أساسية في المجتمع من الناحيتين الاجتماعية والدينية لذلك أعطت بعض القبائل أهمية كبيرة للنسب الأبوي . في حين أن اخرى أعطت أهمية خاصة للنسب الأمومي وهذا النسب هو الذي يحدد الانتماء للجد الأول الذي يمكن أن يكون أول من زرع الأرض أو استصلحها ويعيد الشيخ انتاديوب في كتابة الوحدة الثقافية الافريقية / موضوع النسب إلى أن مناطق سيادة الأب ومناطق سيادة الأم تعني في العصور القديمة للانتماء في الحالة الأولى لأوربة . وفي الحالة الثانية لافريقية أي بين الأفكار القادمة

من الشمال والأفكار القادمة من الجنوب . والشمال الأفريقي هو منطقة احتكاك بين العناصر القوقازية والزنوج وهنا تظهر سيادة الأب كما هو الحال في أوربة والبلاد العربية أما الجنوب فيتميز بالعائلة التي تكون فيها سلطة الأم وهذا الجزء يشمل المناطق الزراعية صاحبة الأرض . ومفهوم النسب للام غير مايعتقده بعضهم من مفاهيم خاطئة عن وجود الاباحية لدى المجتمعات الافريقية القديمة والتي تجعل من الرجل والمرأة لايعرف أباه . فالمرأة المتزوجة من خارج القبيلة ("وهو محبذ جداً " فكثير من القبائل تمنع زواج الأقارب وحتى تمنع الزواج من نفس لفخذ وأهدافه معروفة) فتبقى مرتبطة من ناحية النسب بقبيلة والدها أو بوالدها فهي كالأرض لايمكن تقلها وكل مايزرع فيها فيعود إلى صاحب الأرض وهو الأب لذلك فمسؤولية تربية الأولاد تعود إلى الجد (والدالام) أو الخال ويرثونه أيضاً .

والزواج بواحده هو المتعارف عليه إلا أن أموراً كثيرة اجتماعية واقتصادية لاتجعل من الرجل مسؤولاً عن زوجة واحدة فشقيق المتوفي مسؤول حكماً عن زوجة المتوفي وأولاده وتصبح هذه زوجة بالأضافة إلى الاقارب المتوفين لأن ضرورة إعالتهم واجبة على أقرب الأقرباء ، أما الناحية الاقتصادية ، فهو اضطرار الرجل لترك زوجته المربية أطول مدة ممكنة مع طفلها لرعايته والاعتناء به لذلك فوجود زوجة ثانية كان ضرورة اقتصادية كيد عامله في أعمال العائلة أو الفخذ . والمهر ضرورة اجتماعية أولا لرفع قيمة المرأة وثانياً لأن المهر يستخدم من قبل والد الفتاة لتزويج أبنائه الآخرين وكثيراً مايكون المهر خدمه يقدمها العريس لوالد زوجة . ولايصبح الفرد مواطناً مسؤولاً في مجتمعه إلا بعد الزواج.

وقد اعتنت المجتمعات الأفريقية بمكان الاقامة الذي يمكن أن يكون مؤلفاً من عدة مستقرات منزلية تحاط جميعها بسور من الخشب أو الطين للحماية من الحيوانات المفترسة والاعداء وهناك المدن والعواصم التي

كانت تتسع لعدة عشرات الآلافُ المحاطة بالأسوار للدفاع وقد ظهرت مدن كثيرة في شرق افريفية مبنية بالحجارة .

وهناك احترام خاص للأموات وذلك لاعتقادهم بخلود الروح وانتقالها للعيش في مدينة الأموات بنفس الدرجة التي كانت عليها في حياتها الخاصة ولكنها لاتفنى وهذا هو سبب تضحيات كثير من أصدقاء الميت وبخاصة الزوجات للبقاء مع المتوفي في حياته الثانية .

وقد عرفت المجتمعات الأفريقية القديمة المبادلات التجارية التي كانت قائمة على شيء من التكامل في الحاجيات يجعل منها ركناً من أركان الاستقرار الاجتماعي . وكانت هناك صادرات من الذهب والعاج والنحاس وريش النعام ويقال أن أكثر ذهب العالم اليوناني – اللاتيني كان يصدر من افريقية وأشهر المواد التجارية الاخرى هي الرقيق ، وتجارته لقيت رواجاً في مختلف العهود . فقد تحولت تجارة العبيد من بيع الاسرى خلال الحروب والأطفال خلال المجاعات والغزوات المتبادلة إلى تجارة رهيبة تناولت المجتمعات الأفريقية بشرهاالخبيث. وقد استخدمها الحكام كطاقة نقدية وعمله للتبادل مع ماكان يرد المنطقة من الخارج كالثياب والخمور والأدوات المصنوعة من حديدية وغيرها . وأهم الواردات . / وفي وقت متأخر / هي البنادق الحربية والتي كانت محصورة بالملوك والزعماء وهؤلاء كانوا يستخدمونها لغرض سيطرتهم الكاملة على شعوبهم وعلى العموم كانت المواد المصدرة تصل إلى الموانئ الساحلية على ظهور الرجال وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أخذت القوافل الضخمة تتغلغل في مختلف أنحاء القارة وتأسست المراكز التجارية على طول الطرقات الداخلية . وكان التبادل التجاري يتم غالباً عن طريق المقايضة . ولكن بعد وجود العملات استعيض عن المقايضة بالعملة ، والعملة الأولى كانت الأصداف (الكوريس وهو نوع من الصدف ثم انتشرت العملات الأجنبية من نمساوية واسبانية وبرتغالية وعربية .

وهكذا يمكن القول بأن المجتمعات الأفريقية لم تكن من الناحية الحضارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية أقل من غيرها في المجتمعات الاخرى وربما تكون أفضل منها في مجال التعاون بين أفراد المجتمع وحتى في غياب الحكومات فالتقاليد والواجبات والالتزامات كانت تسيطر على الفرد الافريقي وتجعله يعمل دائماً بروح الجماعة بعيداً عن المصلحة الذاتية والقبلية.

الفن الأفريقي: تعتبر الفنون الافريقية من أكثر فنون العالم تنوعاً واختلافاً سواء من حيث العصور التي بدأت فيها . ومن حيث الأماكن التي ازدهرت فيها ويمكن حصرها في مجموعتين كبيرتين :

– الأولى التي ترعرعت في البلاد المتاخمة للبحر المتوسط . وهذه الفنون يمكن أن لاتعتبر افريقية بحتة ولكن تأثيرات افريقية دخلت فيها ويمكن أن نجد مثل هذه الفنون في المدن العربية كفاس والقيروان وتونس والقاهرة .

– الثانية : وهي مايعرف بالفن الأفريقي البحت أو بالاحرى الفن الزنجي الذي ترعرع في السافانا السودانية . وفي الغابات الاستوائية بعيداً عن التأثير الاسلامي الذي لايرضى بوجود الملامح الانسانية ولو كانت للفن. وقد ظهر هذا الفن في القرن الثالث عشر . ومع ذلك فالحفريات كثيرة ويمكن أن نجمع منها آثاراً للثقافات الداخلية فقسم منها ماهو متعلق بفنون الأزمنة القديمة السحيقه مثل رسوم صحراء تاسيلي في كتنفا والرسوم البوشمانية في جنوب أفريقية وأقدم انتاج فني افريقي يصل إلى القرن الخامس ق .م وهو ثقافة /النوك/ التي يختلف المؤرخون على مكان ظهورها وإن يكن أغلبهم يؤكدون على ظهورها في غرب افريقية . ومع بداية العصر الميلادي يمكن معرفته الثقافة الزيمبابوية في القرن السادس الميلادي وكذلك ثقافة (ساو) في القرن التاسع . وفي القرن الثالث عشر ظهرت الأمبراطوريات الكبيرة (كاليوروبا) واعتبارا من القرن الخامس عشر ظهرت امبراطوريات الكونغو وداهومي ...الخ وقد انتجت هذه

المالك أعمالاً فنية رائعة ومتعددة وهامة حتى القرن التاسع عشر أي عندما وصل الأوربيون ومنذ ذلك الوقت بدأ الفن الافريقي الخالص بالتراجع .

وبالرغم من الأصالة التي يتمتع بها الفن الإفريقي القديم يبدو أنه تأثر كثيراً بالفن المصري القديم وربما أيضاً بالفن الروماني القادم من شمال افريقية ، وقد وجدت قطع من الحجر الصيني في زيمبابوي كما تأثر الفن الافريقي بالفن العربي السوداني بخاصة ، وقد تعرضت الفنون الساحلية في وقت متأخر للتأثيرات الأوربية وبخاصة البرتغالية مع ماعليها من ملامح وتأثيرات عربية . ان فنون القبائل السوداء ، نمت خاصة ضمن المجتمعات الدينية واستخدمت كمراسم وشعائر دينية حيث تظهر الاهمية الكبرى لاحترام روح الأجداد وللأقنعة ذات التأثير السحري . وفي الامبراطوريات الكبرى أخذ الفن يتجه نحو الفن التنزيني للاعمال اليدوية والصناعات الخشبية مثل الصناديق وغلايين التدخين وسنادات الرأس التي تشبه الوسادة حيث تستخدم لعدم تشويش الشعر المصفف ، كما بلغ صنع الجرار حدوداً عالية وبسبب كثرة الشجر فكانت كل الأعمال من الخشب . وبرز في هذا المجال فنانون كثيرون وأفضل من نقش على الخشب هم شعب الدوغن (كما رأينا سابقاً) الذي يعيش في مرتفعات مالي . ويحتفظون بثقافة خاصة بهم ، وبشعور فني على مستوى عال ممزوج بروح دينية زاهدة ومتصوفة وأشهر أعمالهم التي تمثل المجموعات الانسانية من رجل وامرأة متلاصقين أو متقابلين وبعض أعضائها موحدة الدلالة على الوحدة بين الرجل والمرأة . وتنقش هذه الصور على الكتل الخشبية الكبيرة . وتزين بالنتوءات المطلية بالذهب في بعض الأوقات يضاف إليها الأحجار الكريمة ويمكن اعتبار فن الدوغن نموذجاً للفن في غربي افريقية خاصة وافريقية عامة والواقع أن هذا الشعب هو رائد الفنون الزنجية الأصلية وهم أشهر من صنع الاقنعة كما

رأينا وتصنع الاقنعة عادة من الخشب الطري لذلك كانت سريعة العطب وبخاصة الاقنعة الطويلة التي تمثل الحيوانات التي تتخذ عادة كطواطم كالفهد والتمساح . ومنها مانقش عليه نشوء الخليفة وعادة لكل مناسبة دينية قناعها وصورها الخاصة المتعلقة بالمناسبة وحسب تخيلات الفنان . ويقوم على صناعة الأقنعة اختصاصيون يعملون ضمن طقوس معقدة تقدم فيها الأضاحي ولها رموزها وأدعيتها السرية لذلك تتخذ الأقنعة هاله قدسية . وتهدف الأقنعة لدى الشعوب العالمية إلى تمثيل شخصيات معينة بينما تعبر الأقنعة السودانية الخزفية عن معنى كوني .

أما النقوش الحجرية فنادرة والموجودة منها قديمة جداً مثل نقوش (ايفة) و(الكيسي) أما العاج فقد برعت بصناعته الشعوب الافريقية القديمة خاصة بنين القديمة وصنعت على شكل أقنعة صغيرة مرسومه باللون الاحمر والبرتقالي الخاص بقبائل /بابندية/ أما صناعة البرونز فلم تزدهر إلا لدى بعض الشعوب الاكثر تطوراً كشعب بنين القديم جنوب النيجر واشتهر هؤلاء بصناعة الاطباق النحاسية . ويعتقد بأن شعوب البانتو عرفت الحديد وأقامت الافران لصهره وصبه . كما عرف بعضهم صناعة النبيذ واستخراج اللآلىء وعندما وصل البرتغاليون إلى مملكة الكونغو أعجبوا بالمنسوجات المصنوعة من لحار الشجر أما الشعوب الغينيه فقد اشتهرت بصناعة المنسوجات القطنية وقد اشتهرت مقديشو بهذه الصناعة منذ القدم حتى الآن بالاضافة إلى طباعة القماش ودبغ الجلود في جنوب السودان واشتهرت كتنفا وزامبيا بصناعة النحاس واشتهرت شعوب شمال نيجيريا بصناعة الزجاج والخرز أما قبائل الهوسا والماند في شمال نيجيريا فقد برعوا بصناعة نوع من الجلد الأحمر ودباغته وهو مشهور في أوربا ويعرف باسم الجلد المراكشي لأنه يصلهم عن طريق المغرب.

والدارس للفن الافريقي . من حيث مبادئه وأساليبه يجد أن هذا

الفن ليس تكمله خارجية بل إنه منبعث من المجتمع نفسه يساهم في وصف مثله العليا وقيمه. والفنون الافريقية كغيرها من الفنون إنما هي لغة تعبر عن الوضعيات الجوهرية الخاصة بالمجموع . فهي وسائل اتصالات ذهنية وانسجام . وقد اشتهر الرسامون الزائرويون (الكونغو) حالياً الذين رسموا الطبيعة ونقلوها نقلاً أميناً يصل إلى حد الاعجاز . وعندما دخل المبشرون في القرن السادس مملكة الكونغو القديمة أخذت الصور المسيحية للقديسين والمسيح وأمه تدخل في الفن التقليدي غير أن الكونغوليين طبعوها بطابعهم الخاص إذا كان فيهم من الحيوية ما أمكنهم من أدخال الصيغ الأجنبية في صلب تصوراتهم التقليدية .

من الفنون التي برع بها الأفارقة حد الأعجاز نقل الرسائل والمخابرات عن طريق الطبل الصغير النقارة وقد دهش الأوربيون للسرعة التي كانت تنتقل بها الأخبار والرسائل عن طريق الطبل . ويعتمد نقل الرسائل على قاعدتين النغمة وتتغير حسب اللهجات واللغات ثم الايقاع ويستوحي من التراكيب والقوالب أو القواعد اللغوية (النحو) في اللغة المستعملة . وتتحصر لغة الآلات هذه في حدود اللغة المستوحاة منها، ولكن ليس بالضرورة القصوى . ولوكان ذلك بالنسبة لأفريقية الغربية ، حيث ينتمي ضاربو الطبول على مايبدو إلى طبقة معينة تستعمل لغة مشتركة لايفهمها سواهم (على طريقة اشارات المورس) وهم قادرون على تأويل كل رسالة صوتية مهما كان أصلها ولعلنا نجد في هذا مايفسر لنا هذه التيارات السرية الخفية التي تخترق القارة من أقصاها إلى أقصاها بسرعة خارقة .

كان الافارقة يستعملون بجانب النغمات الموسيقية الرسائل الشفوية يحملها الرسل بجانب الشعارات التي تبين هو يتهم ففي داهومي يحمل هؤلاء الشعار الملكي . ويمكن أن يسير حامل الرسالة على قدميه لذلك يجب أن يتصف بالجلد وتحمل الركض لمسافات بعيدة . وفي اثيوبية كان

الفرسان هم حملة الرسائل ونقله البريد . ولكن أسرع الطرق في الواقع هي ماينقل عبر الطبول . فخلال الحوادث التي وقعت في الكونغو خلال الحرب الأهلية تمكنت أبعد القبائل . وأكثر المراكز العسكرية انعزالاً من أن تحاط علماً يوماً بعد يوم بكل مايقع في العاصمة /كنشاسا/ بفضل نقل الأخبار عن طريق الطبول في حين كانت الاذاعة والهاتف والبرق متوقفة عن العمل . ويقال أن خبر موت الملكة فكتوريا (الملكة البيضاء) وصل إلى افريقية وانتشر قبل وصوله مع البريد المرسل من بريطانيا بأمد بعيد .

■■

الباب الأول

المجموعة القوقازية

الباب الأول

- المجموعة القوقازية

تمهيد :

الفصل الأول : شمال افريقية

- الشعوب واللغات : البربر - الطوارق - التيبو

- التنظيم الاجتماعي

١ - السياسي

٢ - الحياة الاجتماعية - الطبقية العائلة - النسب والقرابة الزواج - المرأة

التنظيم الاقتصادي

- الأديـــان

■■

الباب الأول
المجموعة القوقازية

تمهيد :

تعتبر المجموعة القوقازية احدى المجموعات الرئيسية التي تتشكل منها الشعوب الافريقية الحالية .. وجميع الدلائل تشير إلى أنها قدمت من الخارج على فترات متباعدة من الزمن يصل إلى عدة آلاف من السنين عن طريقين اثنين لاثالث لهما وهما برزخ في السويس ومضيق باب المندب والبحر الأحمر وأكثر الاحتمالات أنه قدموا على فترات قديمة من آسيا وفي الفترات الحديثة قدموا من الجزيرة العربية وتنتشر المجموعة القوقازية حالياً في شمال وشمال شرق افريفية على شكل قوس كبير يبدأ من خط الاستواء وينتهي في المحيط الاطلسي على الشاطيء الغربي للقارة من جبال الأطلس حتى السواحل الموريتانية الحالية وتضم هذه المنطقة حالياً الوحدات السياسية ، الصومال وجيبوتي واثيوبية . ومصر وليبيا وشمال تشاد وتونس ، والجزائر والمغرب والصحراء الكبرى وموريتانيا .

وتقسم المجموعة القوقازية إلى فرعين رئيسين من الناحية العرقية وهما الشعوب السامية وتنتشر هذه الشعوب في منطقتين ثقافيتين متميزتين وهما:

أولاً – : شمال افريقية
ثانياً – : شمال ـ شرق افريقية

وبالرغم من الأصول الواحدة إلا أن هناك بعض الاختلاف من النواحي الثقافية وبخاصة من الناحية الفيزيائية فالحاميون الشماليون (شمال افريقية) يفترقون عن الحاميين الشرقيين بسبب كثرة مادخل إليهم من الدماء الزنجية ويظهر الاختلاف في شكل الجمجمة المستطيلة والمدورة والفك لايكون بارزاً لدى الشماليين ، وعادة يكون الأنف أكثر استقامة وبعض الأحيان أعقف والشفاه الغليظة نوعاً ما لدى الشرقيين غير موجود لدى الشماليين وإن كانت غير مقلوبة كما هو الحال بالنسبة لشفاه الزنوج ولون الشماليين أفتح من لون الشرقيين وإن كان الطرفان يميل لونهما إلى البني الفاتح ، واللون الاسود هو الغالب لدى الشرقيين المختلطين بالزنوج والبانتو أما الشعر فيكون مرسلاً أو متماوجاً لدى الشماليين في حين يصبح قصيراً أجعد لدى الشرقيين ويتصف الطرفان بالطول والنحافة والشرقيون أطول من الشماليين .

والساميون أقصر من الحاميين عامة ولكن لونهم أفتح ويغلب البياض على الشعوب السامية (العرب) في شمال افريقية في حين يغلب السواد على أغلب العرب في شرق شمال افريقية ولديهم بعض الملامح الزنجية أو بالبانتوبه.

ويغلب الدين الاسلامي على القسم الأكبر من شعوب المجموعة القوقازية . وتنتشر المسيحية فقط في اثيوبية وبعض من أجزاء مصر.

وتنتشر بينهم اللغة العربية ثم مجموعة اللغات البربرية ومجموعة اللغات الحامية . وأكثرهم مزارعون بخاصة في شمال افريقية وقسم من شمال شرق افريقية والقسم الثاني هم الشعوب الكوشية الحامية وقسم من الساميين فيعملون بتربية الماشية وبخاصة البقر والجمال .

ويمكن القول بأن أول اتصال جرى بين خارج القارة وداخلها حدث عن طريق المجموعة القوقازية ومع المناطق التي انتشرت فيها وكان لها اتصال مع حضارات ساحل البحر الأبيض المتوسط كالحضارتين

الاغريقية والرومانيــة . وأقـدم منهمـا الحضـارة المصريـة الـتي تعتـبر بحـق حضارة رائعة ويصفها انتاديوب بأنها افريقيـة خالصـة فقـد ترعرعـت في وادي النيل وكان القائمون عليها ينتمون إلى القارة الافريقية والحضارتان الاغريقية والرومانية هما حضارتان مسـتوردتان ويمكـن القـول بأناالدولـة المصرية القديمة هي أول كيان سياسي منظم في تاريخ العالم وكان للمنطقة الشـرقية والشـمالية الشـرقية أثـر كبـير في نقـل حضـارة شـعوب أسـيا والجزيرة العربية إلى القارة الافريقيـة وإذا اعتبرنـا المصريـين القدامـى مـن الحاميين . فحسـب قـول سـيجلمان في كتابـة السـلالات الافريقيـة "بأنـه مهما كان التأثـير القرطـاجي (الفينيقـي) المحـدود جـداً أو التأثـير العزبـي الاسلامي الواسع والمنتشر جداً في كل مكان فالحضارة الافريقيــة القديمة هي حضارة الحـاميين . وتاريخهـا يعـود إلى هـؤلاء الشـعوب وكذلـك إلى ردود فعلهـم مـع المجموعتـين العرقيتـين الضخمتـين الزنـوج والبوشمـان . كمـا تـأثرت بشـكل واسـع بالحيـاة الرعويـة الـتي تمثلهـم شـعوب البجـة والصومال .. الخ

■■

الفصل الأول

شمال افريقية

تمهيد : يقصد بشمال افريقية المنطقة الواقعة بين مصر وساحل المحيط الاطلسي وبين البحر الأبيض المتوسط حتى الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى وتغلب على المنطقة التضاريس الحادة من سلاسل جبلية كسلاسل الاطلس الساحلية والصحراوية إلى الصحراء الكبرى التي تعتبر أكبر صحارى العالم اتساعاً وتقع السهول بين الجبال والبحر وبين الجبال والصحراء فالأولى كثيرة المياه والامطار والثانية قليلة الأمطار قليلة المياه عدا الواحات المنتشرة في السهول الصحراوية وحتى في الصحراء نفسها ويعود مناخ المنطقة بشكل عام إلى مناخ البحر الأبيض المتوسط لذلك كانت معتدلة المناخ في الجبال والسهول الشمالية أما السهول الجنوبية والصحراء فهي حارة.

وتنتج المنطقة مختلف زراعات البحر الأبيض المتوسط . وفي السهول الجنوبية يعتمد السكان على رعاية الماشية وتربية الثروة الحيوانية مع زراعة الواحات ، كما تحوي أرضها معادن استراتيجية هامة كالبترول والحديد والملح والفوسفات ...الخ وقد ظهر حديثاً الذهب والماس واليورانيوم ولازال السكان يحصلون على الاسفنج والمرجان من البحر الأبيض المتوسط وقد لعب الملح المنتج من الصحراء دوراً هاماً في التجارة

القديمة بمبادلته بالذهب ولايزال الملح يبدل بين الواحات في المواد الزراعية .

وكانت المنطقة ولاتزال نافذة القارة الأفريقية على حضارات البحر الأبيض المتوسط ونقطة انطلاق إلى داخلها لذلك كانت هدفاً لأقوام كثيرة من شعوب البحر الأبيض المتوسط خلال تاريخها الطويل من فينيقيين واغريق ورومان وفندال وآخرهم العرب الذين بوصولهم تغيرت هويتهما وأصبحت جزءاً من الوطن العربي الكبير.

وهناك إجماع بأن سكان شمال افريقية كانوا من الجنس الأبيض وإن كان حتى الآن لاتعرف هويتهم ويعتقد بعض المؤرخين وعلماء الإنسان مثل /ا.رامبوغ/ أن أول إنسان ظهر وجد بشمال افريقية فهي المهد الأول للجنس البشري وقد بنى العلماء نظرياتهم هذه على الاكتشافات التي ظهرت في المنطقة وبخاصة قرب مدينة معسكر حيث وجد هيكل عظمي متحجر يعود إلى مليون ونصف المليون من السنين . كما لم يعرف عن لغات الشعوب القديمة وربما تكون قريبه من ولغات المصريين والليبين القدماء . أما دياناتهم فربما تكون مبنية على عبادة مظاهر الطبيعة والأجرام السماوية كالشمس والقمر أو على عبادة بعض الحيوانات التي لاتزال محترمة لدى بعض المجتمعات كالقرد والتيس والأفعى . .

ومنذ الفتح العربي وانتشار الاسلام طبعت المنطقة بالطابع العربي وشهدت المنطقة في الوقت نفسه اختلاطاً واسعاً بين البربر والعرب بعد أن وحدهم الدين واللغة .

– الشعوب واللغات : كما رأينا تعود أصول شعوب شمال افريقية إلى المجموعة القوقازية (الحامية – السامية) ويعود العرب إلى الأصول السامية أما البربر والشعوب الاخرى مثل الطوارق والتيبو فهم يعودون إلى الأصول الحامية الشمالية وينتمي إلى الحاميين الشماليين أيضاً شعوب

الفولاني في غرب افريقية والفانش في جزر المحيط الاطلسي ولن نتحدث عن الفولاني باعتباره ينتمي إلى غرب افريقية أما شعب الفانش فهو في حكم المنقرض حالياً . وبقاياه في جزر ماديرا حالياً .

١) – البربر : لايوجد مايؤكد على أصولهم الحامية أو السامية وإذا كنا ننظر إليهم كحاميين وذلك لتسهيل البحث وحسب مااصطلح عليه كثير من المؤرخين في حين أن البربر أنفسهم يعيدون أصولهم إلى الكنعانيين وجدهم هو مازيغ بن كنعان . وهذا ماصرحوا به للخليفة عمر بن الخطاب وحسب قول بروكلمن أن اليهود هم الذين عملوا على اقصاء الكنعانيين من جدول بني سام وألحقوهم بجدول حام . ولا يخفى أن كلمة بربر لم تعرف سابقاً . ولم يكن هناك شعب يسمى البربر وكلمة بربر أصلها يوناني ومعناها الألثغ وهو كل انسان أجنبي عنهم ولايتكلم اللغة اليونانية وقد أطلقوها على الشعوب الافريقية التي التقوا بها ومن جملتهم البربر .

وبقدر عدد المتكلمين باللغات البربرية عشرة ملايين نسمة (٧٥) وينتشرون من مصر إلى ساحل الاطلسي ومن البحر حتى النيجر وهي تعود إلى مجموعة اللغات الحامية السامية التي تضم مجموعة اللغات ذات الاصل السامي ومنها العربية ومجموعة اللغات الحامية الكوشية في شمال شرق افريقية ولغات تشاد ولغة المصريين القدامى وهي تقسم إلى عدة مجموعات : كمجموعة تاماشيك أو لغة الطوارق فيتكلم بها شعب الطوارق الذين يعيشون في وسط الصحراء وجنوب نهر النيجر ويبلغ عددهم مليون شخص ، ثم اللغة الشاوية التي يتكلم بها قبائل الشاويه ، ثم لغة الزواوه (القبائل في الجزائر) ولهجات الريف وتمازيغ في المغرب ولغة الشلوح في المغرب وموريتانيا . وزيناجا في السنغال ثم اللغة القديمة التي كان يتكلم بها الليبيون القدامى والمعروفة باسم النوميديه. كما كان شعب الفانس يتكلم بها . وتستخدم الاحرف العربية في كتابة هذه

اللغات عدا تاماشبك التي تستخدم الاحرف المعروفة بتيفيناز (أو تيغيناغ) وعدد حروفها أربع عشرة ومعناها الحروف المنزلة ولها حركات وضوابط تسمى (ستيدياكيين) ولايزال الطوارق يستخدمون هذه الابجدية .

٢) الطوارق هم في الواقع قسم من الشعوب البربرية الذين اختلطوا كثيراً بالزنوج وهم شعب رحال يعيش في الصحراء وينتشر ما بين مالي والنيجر والفرد منهم يسمى طارقي . ويعتقد بأنهم الطرقه الذين كتب عنهم الكتاب العرب . وكانوا يعيشون في جنوب المغرب من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر . ثم انتقلوا إلى وسط الصحراء اعتباراً من القرن الرابع عشر والتقوا بقبائل صنهاجه البربرية التي كانت تتراجع أمام القبائل العربية وهناك اعتنقوا الاسلام وقد احتموا بجبالهم الصحراوية وبخشونة الصحراء ، وحافظوا على لغتهم حتى الآن . وبعد امتزاجهم بكثير الاعراق البشرية لم يعد حد يميز الطوارق الا من خلال اللثام / الذي يضعونه على وجوههم وأصبحوا يسمون بالملثمين ويضعه الرجل منهم منذ بلوغه الخامسة عشر من عمره وهو يعتبر رمزاً للرجولة. وقد اختلف في أسباب وضع اللثام وربما هناك أسباب كثيرة وأهمها اتقاء الغبار وربما لاخفاء الشخصية بسبب الثارات القبلية وربما كلها مجتمعة واشتهروا أيضاً بثيابهم المصبوغة بالنيلة الزرقاء ومن هنا جاءت تسميتهم بالرجال أو الفرسان الزرق . وقد أعجب الرحالة الأوربيون الأوائل مثل بارت ١٨٥٠ - ١٨٥٥ دفيريه ١٨٥٩ - ١٨٦١ م بفرسان الصحراء هؤلاء من راكبي الهجن السريعة ولكن هؤلاء الفرسان . رفضوا السماح للأوربين باجتياز الصحراء كما اصطدم هؤلاء بالبعثات الفرنسية الحربية الأولى . وقد قضى طوارق /الاهاجار/ على حملة فلاتيه الفرنسي ١٨٨١ . وبذلوا جهدهم لايقاف حملتي فورولامي ١٨٩٨ - ١٨٩٩ م المتجهة نحو مملكة رباح . ولم يستطع الفرنسيون القضاء على مقاومة

الطوارق حتى عـام ١٩١٥ عـن طريـق المفاوضـات . وقـد قـاتل هـؤلاء بجانب السنوسيين خـلال الحـرب العالميـة الاولى . وقـد اضطـر الطـوارق لقبـول الامـر الواقـع بعـد أن تخلى عنهـم عبيدهـم واشـتغل قسـم منهـم بالزراعة وقد ثاروا مؤخراً ضد جمهورية مالي وحصلوا منها على استقلال ذاتي . ولا تزال المشاكل بينهم قائمه .

٣) التيبو : وهو شعب حامي آخر يقطن شمال افريقيـة ويعيـش في مرتفعات جبال التيبستي الصخرية الواقعة شمال جمهوريـة تشـاد الحاليـة . وقد أطلق عليهم شعب الصخور تي بـو Ti - Busti وأصولهـم مـن واحـة الكفرة ولكن النوبيين أخرجوهـم منهـا فـأنطلقوا إلى مرتفعـات التيبسـتي طلباً للحمايـة والحـرارة الملائمـة ويبلـغ عددهـم حـوالي ٧٥ ألـف حسب احصاء (٧٥) وهناك اختلاف في تحديـد أصولهـم العرقيـة فـالمؤرخ فوتيـه يقول بأنهم عرق صحراوي قديم أما (شايل) فيقول بأنهم عـرق متناسـق أتى دون شك من نمازج طويل وقديم بين سـود وبيـض وجلودهـم حاليـاً سوداء ولكـن تقـاطيع وجوههـم وتناسـقها يـدل علـى أنهـم مـن أصـول قوقازيه فهم عرق وسيط ولكنه نقي .

والتيبو قسمان شمـالي وهـو /التيـدا/ وجنوبـي وهـو /الـدازا/ وقـد اندمج الشماليون بالبربر أما الجنوبيون فقد طغت عليهم السمات الزنجيـة التي تعيش في السودان الأوسط ورجال التيبو عادة أخش من الطوارق .

– الصفات الفيزيائية : يتصف البربري بشكل عام باستطالة الرأس واعتدال القامة ، وبرزوا الخدين وعدم نتوء العينين . وهي إما سـوداء أو بنية غامقة . وربما زرقاء لدى سكان الريف الأقصـى ، وهـو واسـع الفـم قوي البنية مع رقة بالأنف والشفتين ، ويغلب عليهم الشعر الأسـود عـدا الريف الأقصى فأغلبهم شقر الشعر .

أماالطوارق الذي اختلطوا كثيراً بالزنوج فهم طوال القامة وسـطيا ١٧٥سم مع استطالة في الرأس واللون الاسمر والشـعر الأسـود والعيـون

الغامقة والإكتاف والأوراك الضعيفة ويتصف التيبو بنفس صفات الطوارق مع بنية أقوى وأخشن وقد عركت الصحراء الشعبين المذكورين وتأقلما على حياتها ومنطقة التبستي بالنسبة للتيبو ليست إلا مكاناً يلتجئون إليه وهناك اكتسبوا ميزات فيزيائية جعلت منهم شعباً صبوراً وتنوعاً ولكنه نشيط فردي وعصبي كما هو الحال بالنسبة للطوارق إلا أن الطوارق أهدأ .

- التنظيم الاجتماعي :

١| السياسي :

حتى وصول العرب إلى شمال افريقية كانت المناطق الساحلية تخضع للدول الموجودة في البحر الأبيض المتوسط من رومان وفاندال وبيزنطين أما الداخل فكانت للبربر ممالكهم المستقلة وتصدت هذه الممالك للفتح العربي الذي ابتدأ منذ عام ٦٤٣ م واستطاع العرب في بادئ الأمر احتلال كل مايعرف بافريقية وبنوا مدينة القيروان إلا أن مقتل عقبة بن نافع عام ٦٨٢م أمام الملك البربري /كسيله/ أوقف المد العربي لفترة دخل فيها كسيلة مدينة القيروان أثر خروج القائد العربي زهير بن قيس البلوي منها وقد انشأ كسيله مملكة بربرية تشمل الأوراس والجزء الجنوبي من قسطنطينية والجانب الأكبر من بلاد تونس إلا أن زهير بن قيس عاد بعد أربعة أعوام واستطاع عام ٦٩٠ م قتل كسيلة وقد خلفه في المقاومة زوجته المعروفة بالكاهنة التي استطاعت الأنتصار على القائد العربي الجديد حسان بن النعمان واخرجت العرب من كل المقاطعة لافريقية إلا أنها لم تكن على مستوى المهمة فقد أخذت بتخريب المناطق الساحلية لتلا يستفيد منها العرب وقطعت الاشجار وهدمت الحصون مما أدى إلى تذمر شعبها الذي التجأ للعرب لتخليصه من حكمها

وقد استطاع حسان بن النعمان في حملته عليها من القضاء على الكاهنه وعقد لأكبر أولادها بالحكم وكان الفراغ من وقائع الكاهنة عام (٧٠١)م

ومع ضعف السيطرة العربية ظهرت الحركات الاستقلالية في شمال افريقية وتتابعت الدول وكان آخرها امبراطورية المرابطين العظيمة ١٠٧٩ - ١١٤٥ وتنتمي هذه الدولة إلى قبيلة لمتونه إحدى فروع القبيلة البربرية الكبرى اصنهاجه.

ونظام العشيرة لدى البربر ديمقراطي وليس لديهم سلطان أو ملك. وننتخب القبيلة رئيسها بنفسها وتقلده الحكم وترجع إليه عادة في الملمات والمعام . ويشترط فيه على الطريقة الاسلامية المزايا الفاضلة والقوى العقلية الصحية . وصحة البدن.

والقرية هي أساس الوحدة القبلية وليست القبيلة ففي كل قرية يوجد عادة بناءان هما الجامع للصلاة والمنتدى لعقد الاجتماعات . وحضور المنتدى واجب على كل شاب صام رمضان لثلاث مرات متتالية لحضور الاجتماعات التي تعقد مرة في الاسبوع ويحضرها رؤساء العائلات والاحياء . ويرأس الاجتماع شخص وقور يدعى الأمين وظيفته كرئيس للبلدية . ولابد من الاجماع عند القيام بتنفيذ أي مشروع . وقد حافظ البربر خلال العهد العثماني على استقلالهم وإصدار القرارات الخاصة بهم بما فيها إعلان الحرب أو عقد المعاهدات وإقامة الصلح.

وتعتبر القبيلة لدى الطوارق والتيبو الوحدة الرئيسية . وكل قبيلة لها هيئتها الخاصة في الحكم ويرأسها أحد الأشخاص من نسب عال يدعى (امرار) ويعاونه مجلس منتخب من القبيلة ومجموع القبائل تشكل وحدة كونفدرالية لها رئيسها وهو/الأمينو كل/وربما اتى الاسم من الكلمة العربية (أمين الكل) ويعني السلطان ولكن دون صلاحيات كبيرة كما هو الحال لدى التيبو حيث القوة الرئيسية بيد رئيس الفخذ أو العائلة .

ولم يشكل التيبو في حياتهم مجموعة نظامية سياسية في بلادهم ولم يشكلوا في يوم من الأيام إدارة ووحدتهم جاءت عن طريق اللغة وربما كانوا يخدمون الغير فعندما كانت لهم القوة في القرن السادس عشر كانوا بخدمة مملكة البورنو كانم ويشكلون القوة العسكرية للملكه. "في حين وجدت قبائل الطوارق الجنوبية مكاناً متسعاً لها لدى زنوج السودان حين وضعوا قبائل الهوسا التي تعيش الآير PIR (في النيجر) تحت سيطرتهم في القرن الرابع عشر وأخذوا يتنازعون السيطرة على منحنى النيجر وتمبكتو وغاو Gao Tombouctou مع مالي والسنغالي . وقد سيطروا على تلك المناطق خلال القرن الرابع عشر وحتى القرن السادس عشر بالاضافة إلى نزاعهم مع الحاميات المراكشية التي بقيت على نهر النيجر بعد الغزو المراكشي (١٥٩١م) . كما اصطدموا بالبول (الفولاني) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

والطوارق شجعان في الحروب ويستخدمون دائماً طريقة الهجوم المفاجئ الصاعق ويحاربون بشدة وعنف وجهاً لوجه ، ورغم وجود الحصان لديهم إلا أن أكثر اهتمامهم بالجمل أو مايعرف بالهجن السريعة ويتسلحون بالسيوف الطويلة ذات المقبضين والمعروفة باسم السيوف الصليبية ويحملون تروساً من الجلود وهم سريعو العدو بسبب أجسامهم النحيلة ، ويقضي الرجل من الطوارق أو قاته إذا لم تكن لديه مهمات في التمارين العسكرية وفي الطراد وتعلم فن الحرب وحماية مصادر الطعام واحتياجاتهم وكثيراً مايغزون بعضهم أما التيبو فيقاتلون بالسكاكين وذلك بقذفها على أعدائهم عن بعد .

٢) الحياة الاجتماعية والطبقية ..

-- يشكل المجتمع البربري من مجموعتين (جذمين) الأول /مادغيس/ الملقب /بالأبتر/ ويسمون البتر والقسم الثاني هم البرانس وينتسبون إلى

برنس بن بر/ وهما أخوان والدهما هو مازيغ بن كنعان أما من الناحية الاجتماعية فيقسم البربر إلى قسمين أهل الحضر الذين يسكنون النواحي الشمالية والسفوح المزروعة ثم الرحل الذين يعمرون الصحراء والواحات ويقال إن كلمة /البتر/ تعود إلى الكلمة اليونانية بوتروس ومعناها الرمل وأهل البادية أما كلمة البرانس فتعود إلى الكلمة اليونانية بارانواس ومعناها أهل الحضر ويعمل أغلب البربر بالزراعة ورعاية الماشية في وقت واحد فهم يزرعون مختلف أنواع الحبوب والبقول .

ويرجع نظام الأسرة الداخلي إلى المرأة فهي ربة المنزل وصاحبة النفوذ به محترمة الجانب مسموعة الكلمة وكثيراً ما ينتسبون الى امراة وهذه زناته تشهد بذلك حسب قول الجيلاني) في كتابه تاريخ الجزائر). وهناك كثير من الأسر البربرية الحاكمة اشتهرت وعرفت فيما بعد الاسلام أيضاً بانتسابها إلى الام كأبناء تاسرغيت في توجين وأبناء تنابعت في مرين وغيرهم وهم حالياً يتبعون النسب الأبوي أما المرأة البربرية فتكون عادة بجانب الرجل مقاومة في كل شيء وقد خلد هو مبروس ذاكرها حين ذكر خبر تلك الملكة والنسوة المسترجلات (الأمازونيت) اللواتي فتحن لوبيه وبعض مناطق أسيا الصغرى . وتنزين النساء عادة بالأقراط والخواتم والاساور والخلاخيل المعدنية وهي مفضلة لدى الرجال أيضاً ، وقد اشتهر الرجال بلبس الصوف ولبس البرانس التي يعود تاريخها إلى الألف الثالث ق م . وقليلا من كانوا يحلقون رؤسهم وسراويلهم عادة قصيرة . ولديهم تعدد الزوجات

ويقسم السكان المزارعون في الواحات الى قسمين الاحرار وهم من العرب والبربر ثم الحراثون الذين يعملون بالخمس وهم من الزنوج .

أما الطوارق فينقسمون إلى ثلاث طبقات رئيسية هي :

١ – الأيمجبرين: أو الأهاجار وهم طبقة النبلاء والفرد منهم ايموشا
٢ – الأمراد : والواحد منهم أمريد وهم الطبقة الوسطى المرتبطة بالنبلاء ويتبادلون معهم في العمل والسلطة .
٣ – الأنسيلمان : (المرابطون) وهم الذين يحافظون على التقاليد الإسلامية وتلقين الطلاب والاطفال مبادئ الدين والقراءة والكتابة.
وهناك طبقة رابعة هي الموالي الذين أصلهم أما من الأسرى أو من العبيد وهم يقومون بكافة الاعمال أما الطبقة الفرعية الثانية فهي /الانياداان/ وهم مختصون بالاعمال الفنية والمهنية وارفعها مهنة الحدادة .

ولايتزوج الطارقي سوى امرأة واحدة ولكن هناك كثير من الجواري . وعندما يسافر الرجل منهم يصطحب معه جاريه لخدمته أثناء السفر كما لكل نبيل أو غني عبد يكون مقرباً لـه يضع فيه كامل ثقته ويرافقه في كل أعماله وأسفاره وحروبه . ولكل امرأة نبيلة جارية أو جاريتان للقيام بالاعمال التي يتطلبها المنزل في تحضير الطعام وتربية الأطفال أما العبيد الذكور فيعتنون بقطعان الماشية التابعة للنبلاء والأمراد ويخدمون كحراس لمضارب القبيلة . ويختلف وضع المرأة لدى الطوارق عن وضعه لدى المجتمعات الاسلامية الاخرى فلها الحرية في كل شيء حتى اصطحاب الأصدقاء من الرجال . وقد انتقد ابن بطوطة الحرية التي تمتع بها المرأة الطارقية واستهجنها والتي لايقرها الدين الاسلامي – حسب قوله – وباعتبار ان الواجبات المنزلية تقوم بها الجواري لذلك توجه المرأة اهتمامها للغناء والموسيقى وقرض الشعر والرقص وتعلم القراءة والكتابة. وفي الوقت ذاته تشرف على تدريب الاطفال وتعليمهم وبخاصة الفتيات . والزواج عادة يكون من نفس الطبقة وهو باهظ التكاليف لذلك يتأخرون في الزواج حتى العقد الثالث والرابع وأبناء الجارية يبقون عبيداً حتى يحررهم الأب والرحم هو الذي يقرر طبقة الطفل حسب قول الطوارق.

ويلبس الطارقي الثياب الطويلة مع اللثام (تاغلوماست) الذي لايرفع حتى وقت النوم أو الأكل ويكون من القماش الجيد وهناك قطعة قماش أخرى تشبه اللثام توضع على الرأس وتسمى ليسجا يقدمها الشاب لعروسته عند خطبته لها لتضعها على رأسها ، ويمكن تقديمها قبل الزواج مباشرة في المناطق الجنوبية ولاتضع المرأة مطلقاً أي حجاب على رأسها .

وهناك تعاون بين النبلاء والأمراد على تربية الماشية والحصول على الثروة والعادة أن يذهب النبلاء في الشتاء إلى مراكز تقع على طريق القوافل للتجارة ويعيشون في الصيف في النجود العالية حيث توجد بعض المزروعات والواحات ويخيمون في الخريف والربيع بين اتباعهم الأمراد الذين يهتمون بقطعانهم الخاصة وقطعان سادتهم . ويأكل النبلاء من منتجات قطعانهم ويستبدلون جمال الركوب والأحمال التي قدموا بها بغيرها وينتسب الطوارق للأب .

أما التيبو فهم أيضاً رعاة للماشية كما يعملون بتجارة القوافل والمستقرون منهم يعيشون على ما ينتجونه من الزراعة فهم يزرعون النخيل وأنواع الحبوب والخضار وهم يتبعون النسب الأبوي ويتزوجون من الأقارب ويكثرون من الزوجات . وقد اشهرت المرأة من التيبو بجمالها ويعتقد بعضهم بأنهن أجمل نساء افريقية وتأثيرها عليهم كبير وعندما يكون الرجل في سفر يقود جماله تكون النساء والأطفال في المضارب وهي راس المنزل وتقوم مقام القانون

التنظيم الاقتصادي :

لقد عرف البربر سكن الخيام بعد دخول العرب وكانوا يسكنون الأكواخ البسيطة والكهوف أما في القرى الجبلية فيعيش البربر في القرى المحصنة والمبنية على أساس عسكري دفاعي كما هو الحال في بلاد اليمن.

حيث يصعب الوصول إليها ويعيش الطوارق في الخيام في الصحراء أما الواحات فيعيشون بالبيوت الطينية . وقد اشتهروا بعملية قيادة القوافل وتسييرها وحمايتها في الصحراء بعد أن ... حلت حالياً التجارة لديهم محل الغارات والقوافل التي تسير بين توات والمنطقة السودانية تبادل الملح بالحبوب وفي الأزمنة القديمة كانوا يبادلون الملح بالذهب . ويعيش الرجل من التيبو بالخيم العربية ويعمل هؤلاء بتجارة القواقل مثل الطوارق أما المزارعون منهم فيعيشون عادة في أكواخ مستطيلة من الطين الطري أو أكواخ مدورة مبنية من الطين والحجارة مع سقف مخروطي .

ويعيش في الواحات المتناثرة في الصحراء شعوب مزيجه من عرب وبربر وتيبو ويتصفون بسواد الوجه والشعر واستطالة الرأس ونقرة واطئة مع قصر القامة ١٦٠ سم مع وجه ضيق وأنف أقنى وهم يمثلون حسب قول كارلتون كون في كتابه القافلة نموذجاً لشعب متوسطي (عائد للبحر الأبيض) لديه بعض القدم . وتنتج الواحات أنواعاً كثيرة من التمر والحبوب . وتشكل الواحات حتى الآن محطات للقوافل وأسواقاً تجارية يجري فيها تبادل السلع مع المواد الثمينة داخلياً مع السلع والمواد المحمولة على ظهور الجمال التي تحوي المنسوجات وغيرها وأهمها الملح وقد لعبت الواحات دوراً هاماً في نشر الديانة الاسلامية باعتبارها مراكز انطلاق نحو الجنوب وكانت مستقراً لعدد من الطرق الصوفية حيث يتم فيها أعداد المبعوثين ضمن مدارس خاصة ولا تزال ، وهناك عدد كبير من الزنوج يعيشون في المنطقة أعلاه بخاصة غرب ليبيا . وهم موجودون بكثرة في الجنوب وهناك النموذج الذي يعيش في جزيرة جربا أمام الساحل التونسي . وكذلك في الجهة المقابلة من الساحل حتى أبو عجيلة، وهو متوسط القامة مع وجه ضيق نسبياً وأنف مسطح أكثر من سكان شمال افريقية

يتصف العرب في شمال افريقية بأنهم أطول من البربر ولكن لديهم

نفس الجمجمة والغالب عليهم ضيق الأنف ومن هؤلاء الموجودون في المناطق الساحلية. وهم قصار الرؤوس وأنف نحيف وصغير وهناك بعض الأصول العرقية المعقدة في بعض أماكن الجزائر وتونس والواحات مثل الفاردايا، وبسكره ويشبهون سكان الواحات المصرية ، الليبية في قصرهم وهيئاتهم القزمية .

الأديان : ينتشر الدين الاسلامي في شمال افريقية جميعها ولايوجد في المنطقة أديان اخرى وهم متمسكون بالتقاليد الاسلامية ويطيقونها بشدة ولكن لدى بعض قبائل التيبو بعض آثار الديانات القديمة حيث يبتهلون إلى قوة عظمى هي /اكيدو/ ويصلون لها وهناك بعض الحجارة المقدسة التي يضحي من أجلها بالدماء .

الفصل الثاني

شمال شرق افريقية

- الحاميون الشماليون الشرقيون (الكوشيون) الساميون
- تمهيد

الشعوب واللغات :

أولا – الشعوب التي تتكلم اللغات السامية الأمهره والتيجري والعرب

التنظيم الاجتماعي :

١ – السياسي – مملكة اكسيوم – الامبراطورية الأثيوبية – مملكة الغونج

٢ – الحياة الاجتماعية الطبقات – العائلة – النسب والقرابة الزواج

ثانياً – الشعوب الحامية

– الشماليون ١ – المصريون القدامى

٢ – البجه

٣ – النوبا (نوبيا)

– الجنوبيون : تمهيد – الشعوب واللغات – الهجرات الاستيطانية والتحركات

١ – الشعب الصومالي

٢ – الجالا

٣ – العفر (الدناكل)

– التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي

– سلطانات الطراز الاسلامي

■■

الفصل الثاني

شمال شرق افريقية

الحاميون الشماليون الشرقيون (الكوشيون) والساميون

تمهيد :

تقع منطقة شمال شرق افريقية بين كينا ومصر العليا وتضم الوحدات السياسية الحالية شمال كينيا والصومال واثيوبية وارتيرية وشرق السودان ومصر العليا ويفصلها عن الجزيرة العربية حفرة البحر الأحمر التي كانت غير موجودة في الأزمنة الغابرة وتقترب المنطقتان من بعضهما في مضيق باب المندب (٣٢كم) وتكثر في البحر الاحمر الجزر المرجانية وكانت هي ومضيق باب المندب الجسور التي مرت عليها الشعوب المهاجرة بين الشاطئين منذ أقدم العصور وكان لهما أثر كبير في حياتهما .

وتتشكل هذه المنطقة من الهضبة الحبشية ذات الارتفاعات العالية ويقابلها في المنطقة العربية جبال اليمن التي لها نفس الارتفاع وتتصف بنفس صفات الهضبية الحبشية ويقسم الهضبة الأخدود العظيم (المعروف باسم ريفت فالي Rift Valley القادم من بحيرة أدوار متجهاً نحو البحر الأحمر في ارتيرية وحول الهضبتين تبدأ السهول التي تنتهي من جهة

في المحيط الهندي ومن جهة أخرى تنتهي بوادي النيل مع ميولها القاسية والحادة .

وقد أثرت هذه الارتفاعات على نمط الحياة في المنطقة بسبب انخفاض درجة الحرارة بالنسبة للسهول والوديان ذات الحرارة المرتفعة وعلى سفوح هذه الارتفاعات تركزت الشعوب الزراعية في حين كانت السهول مسرحاً لقطعان الماشية الكثيرة وبخاصة البقر ، على تنقل الشعوب الرحالة التي تمتهن تربية الماشية .

وتنمو في المنطقة مختلف الزراعات حبوب دخن وذرة وأجود أنواع القهوة وتنمو على شواطئ الانهار أشجار الموز وجوز الهند والمانغا.

وتنشر في المنطقة شعوب المجموعة القوقازية من حامية (كوشيه) وسامية ذات أصول عربية . ولاتزال في المنطقة بقايا شعوب البانتو من السكان الاصليين . ومن المعروف أن الساميين وصلوا المنطقة بعد العناصر الحامية إلا أن هجراتهم كانت أبعد أثراً في حياة المنطقة ويعود الساميون إلى شعوب الجزيرة العربية وبخاصة جنوب غرب الجزيرة أو مايعرف في ذلك الوقت بالعربية السعيدة (فيليكس آرابيا) وينتمون إلى ممالك وأقوام سبأ وحمير ومعين .. الخ ويعتقد أن المهاجرين الأوائل الذين استقروا على الساحل اختلطوا بالشعوب الموجودة وهم الذين أسسو مدينة وميناء عدو ليس /زيلع الحالية/ التي وصفها البيربيلوس عندما بهرته كثرة السفن العربية الموجودة في الميناء وأعجب بالعلاقات التي كانت قائمة بين السكان والعرب والتزاوج والاختلاط بالأنساب بشكل لايجد الخصام فيما بينهم سبيلاً ويقول (وتجيء السفن من الجزيرة العربية ومن كل مكان من المحيط الهندي حاصلة معها الخناجر والرماح والزجاج، وتقلع من الميناء حاملة أنواع العاج وقرون الكركدن والجلود...الخ

- الشعوب واللغات :

أولاً : الشعوب التي تتكلم اللغات السامية : - الأمهرة والتيجري - العرب :

يبلغ عدد الأمهرة حوالي ٩ ملايين (٨٢) ويقطن هؤلاء في المرتفعات العالية الجنوبية للقسم الشمالي من الهضبة الحبشية الشمالية القريبة من مقاطعات بيفميدر - سيمن ووالوا - غوجام - شوا .
أما النيجيريون الذين يقسمون إلى قسمين الجنوبيون ٢,٥ مليون نسمة الشماليون ٥ و١ ويقطن الجنوبيون في القسم الشمالي من الهضبة الأثيوبية الوسطى في منطقة النيجيري وقسم من ارتيرية .
وتعبر اثيوبية من الناحيتين السياسية والثقافية الوطنية عن هذين الشعبين المرتبطين مع بعضهما ارتباطاً وثيقاً وهم نتيجة لامتزاج طويل بين العرب المهاجرين الأوائل والمتكلمون باللغات الكوشية من السكان القدماء . وتضم منطقة التيجري العواصم القديمة ، لممالك اكسيوم والزاقوي والحبشية القديمة كأكسيوم وغواندار وليليبيلا .
اللغات : تعود مختلف اللغات واللهجات السامية في المنطقة إلى اللغات العربية القديمة التي كانت منتشرة في جنوب غرب جزيرة العرب أي اليمن التي لاتزال بعضها حياً كلغة ظفار ولهجة المهرة وسقطرى وأقدم اللغات السامية في اثيوبية هي الجعزيه (أو الجعيزيه) . وهي لغة مملكة السيوم القديمة ولاتزال حبة في الأدب القديم والكنيسة وعندما اعتنق الاحباش المسيحية في القرن الرابع ترجم الانجيل إلى اللغة الجعيزيه.

أما اللغة التيجرية فهي أكثر اللغات السامية صفاء من ناحية الاصل ويتكلم بها شعب التيجيري . أما لغة التيجره فهي لغة التيجيرين الشماليين وهم شعوب مختلطة في العادات والتقليد ويقطن هؤلاء في شمال

اثيوبية وشمال ارتيريه والحدود الغربية للسودان والمرتفعات الوسطى جنوبا والبحر الأحمر شرقاً .

وتضم مجموعة لغات الامهرة اللغة المهرية (مهرينا) ولغة جوارغ واللهجة الهرريه ويتكلم الامهرية عدا الامهرة حوالي ثلاثة ملايين من السكان من الأجناس الاخرى باعتبارها اللغة الرسمية والقومية للدولة ، وقد ظهرت الأمهرية في القرن الثالث عشر كلفة البلاط الملكي ومنذ ذلك الوقت أخذت بالانتشار وتكتب بالاحرف السنسكريتية .

ومن اللغات السامية لغة منطقة هرر (الهررية) وهي لغة عربية صحيحه مع بعض التأثيرات الأخرى ويبلغ عدد المتكلمين بها / ١٤٠ ألف / نسمة أما لغة جوارج فهي لغة التجارة ويتكلم بها حوالي مليون نسمة حول العاصمة أديس أبابا ومقاطعة شوا وتحتوي على (١٢) لهجة .

- التنظيم الاجتماعي :

١) السياسي : أقام الامهرة والتيجري منذ القرن الرابع قبل الميلاد انظمة سياسية قوية في الهضبة الشمالية . ورغم كل مثالبها إلا أنها كانت أقوى من كل الأنظمةالسياسية التي ظهرت في المنطقة من ناحية التنظيم والاستمرارية لايماثلها سوى حكم الأسر المصرية القديمة إلا أن مصر وقعت في نهاية هذه العائلة من الأسر الحاكمة تحت حكم سلالات أجنبية بالاضافة إلى ماتعرضت إليه مصر من هجوم الأقوام الاسيوية من آشورية وفارسية ثم اتى بعد ذلك الاغريق والرومان في حين ظلت ممالك الحبشة محافظة على قوتها محتمية بجبالها ومرتفعاتها حتى الوقت الحاضر عدا فترة الحكم الايطالي ١٩٣٠ - ١٩٤٠ . وكان بإمكان العرب فقط القضاء علي هذه الأنظمة . ولكن يقال بأن الرسول الاعظم أوصى بالاحباش خيرا بسبب استقبالهم المهاجرين المسلمين الأوائل " اتركوا الأحباش ماتركوكم " لذلم لم يتوجه إليها أي جيش عربي . وعندما أقدم الأحباش

على مهاجمة السودان في زمن المهديه غزاها هؤلاء بعـد مناقشات طويلـة حول تفسير كلمة الرسول . وبذلك كـان بإمكـان أثيوبيـة المحافظـة علـى ثقافتها التي تعتمد من جهة على الشعوب الكوشية ومن جهة أخرى على القبائل العربية السامية القديمة .

أول الممالك هـي مملكـة اكسيوم القديمـة الـتي ظهـرت في المنـاطق الشمالية في النهاية من القـرن التاسـع ق م وقـد شـكلت في بـادئ الأمـر جزءاً من مملكة نباتا وتابعتها مروه التي قامت بين (٣٥٠ق م – ٣٠٠ ق م) وقد انفصلت اكسيوم عن مـروه بعـد حـروب طويلـة استطاع فيهـا ملك اكسيوم عيزانـا الـذي حكـم ٣٥٠ ق.م – ٣٢٠ ق.م مـن تدمـير مدينة مروة واحرق مخازن الذرة فيهـا كمـا ضـرب مدينـة علـوه الواقعـة قرب الخرطوم . وضم إليه الاجـزاء الشـرقية . وفي ذلـك الوقـت اعتنـق المسـيحية وأصبـح يلقـب باسـم ملـك حمير وسـبأ وكـوش (مـروه) وقـد سجلت انتصارات عيزانا علـى المسـلات الحجريـة الموجـودة في اكسيوم الحالية في القرن السادس الميلادي اعادت مملكة اكسيوم ضمهـا للمنـاطق العربية الجنوبية الغربية وقد اجتاز القـائد المعروف ابرهـة الأشـرم البحـر واحتل اليمن في محاولة لنصره المسيحين (أصحاب الاخدود) الذين كـانوا يضطهـدون مـن قبـل يهـود اليمـن كمـا حـاول التوجـه شمـالاً في محاولـة للوصول إلى مكة وتدميرها وقصته مذكورة في القرآن الكريـم. ﴿ ألم تـر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ... ﴾ ولايعرف اسم الملك الذي اتصـل به الرسول ويذكر الطبري اسمه أصحمه والموسوعة البريطانيـة تذكـر بأنـه ارمحه أما المصادر الحبشيه فتذكر فقط أنه الملك الوحيـد بـين ملـوك العـالم الذي أرسل له الرسول كتابا وأجاب عليه .

بعد ذلك مـر التـاريخ الأثيوبـي بعـدة مراحـل منـذ تأسـيس مملكـة اكسيوم وقد انتقل مركز الثقـل عـدة مـرات باتجاه الجنـوب . وحسـب المصـادر الحبشـية أن العائلـة المالكـة (المعروفـة باسـم السـلومونيه) نسـبة

للملك سليمان والتي سقطت عام ١٩٧٤ وظلت تحكم اثيوبية منذ ظهورها في القرن الأول ق م حتى سقوطها عدا فترة انقطاع دامت ثلاثة قرون حكمت فيها اسرة /زاقوي/ البلاد وتعود هذه الاسرة إلى فروع قبائل /الآجاوا/ الشديدة المراس وهي عبارة عن قبائل مزيج من الحامين الأوائل والزنوج .

ويعيد السلومونيون أصولهم في المرحلة الأولى إلى ابن كوش (اثيوبيس) ومنه أخذت اثيوبية اسمها أما المرحلة الثانية فحسب الأسطورة الحبشية فتبدأ مع تولي الملكة ميكيدا الحكم وهي التي زارت الملك سليمان وتزوجته وثمرة الزواج كان منليك الأول الذي حكم من ٩٧٥ - ٩٥٠ ق م وفي كتاب الملوك (ماتانيفاست) يذكر بأن ميكيدا هي ملكة سبأ وهي مدينة بالقرب من اكسيوم ولاتزال موجودة في نفس المكان حتى الآن والواقع أن المصادر العربية تجعل مملكة سبأ موجودة في اليمن وكانت عاصمتها مأرب وملكتها هي بلقيس المعروفة باسم ملكة سبأ وبعد عودة ميكيدا إلى بلادها تنازلت لولدها منليك الأول . ومنذ ذلك الوقت ابتدأ حكم العائلة السلمونية التي حكم منها ١٥٠ ملكاً تتابعوا من نفس العائلة عدا فترة حكم اسرة (زاقوي) وأول الملوك بعد سقوط عائلة زاقوي عام ١٢٦٠ م كان /يكونوا أملاك/ وهو جد العائلة الحالية .

كانت الأمبراطورية الأثيوبية خلال مختلف مراحلها امبراطورية كنفدرالية مبنية على عقيدة الفتح والامتداد الثقافي والديني . واستغلال الخلافات العرقية والدينية الأخرى . وقد سيطر على تاريخها أيضاً الصراع الطويل بين قوة المركز (الامبراطور) والأمراء والأقطاعيين حوله. والأمبراطور عادة يعتبر رأس السلطة وزعيم أو قائد الحرب وحاشيته هي المقر العام له وعادة يكون لقادته وحاشيته ألقاباً عسكرية ، والامبراطور يحكم بموجب حق مقدس باعتباره سليل الملك سليمان ويعبر عن ذلك

بخاصة في الاحتفالات والمراسم التقليدية والطقوس الدينية وهو عادة لايجدد من يخلفه في الحكم ولكن شرط الانتساب للملك سليمان شيء مشترك لدى كل الأمهرة والتيجري . وهذا هو سر هذا النظام المَرن وهو في الوقت ذاته يمنع أي زعيم من الطموح للسلطة فالقوة العليا مرتبطة بالامبراطور سليل سليمان وعن طريق هذا الحق المقدس يستطيع الامساك بزمام الأمور والأمهرة عادة يدعمون الأمبراطور. وعن طريقه كانوا يتحكمون ببقية شعب الأمبراطورية

٢) الحياة الاجتماعية – الطبقات العائله والنسب والقرابة – الزواج .

يعمل كل من التجري والأمهرة بالزراعة وينتجون الذره والدخن والشعير والسمسم واليانسون والحبوب .. الخ وتتحكم لدى المجتمعين قوة العلاقة الشخصية بين ملاك الأرض والفلاحين أي بين طبقة الحاكم والمحكوم بالتحديد العلاقة بين السيد والخادم . وأهمية الرجل حسب مايملكه من أرض لذلك فالتاجر لاقيمة له وعلى هذا الاساس كان أغلب التجار في أديس أبابا من غير الأمهرة وكانوا من العرب ولايزالون . والأقطاعيون الكبار هم الذين يزودون الملوك بالرجال للحرب وبالعتاد . والأرض تمنح الرجل كل معاني العزة والنبل وحتى في العائلة الواحدة هناك تسلسل في المستوى ويمنع الأمهرة (سابقاً) الشعوب التي كانت تحت سيطرتهم من تملك الأرض فالأرض للامبراطور وحده وهو الذي يوزعها بين أفراد العائلة المالكة وبين بطانته من العائلات الكبيرة والحكام العسكريين وجميعهم من الأمهرة أو التيجري الذين يشكلون الطبقة العليا. وتضمن الأرض الحصول على المراتب العليا .

والمزارعون الأمهرة والتيجري الذين يعيشون في المناطق العالية هم أقوياء وهادئون كفلاحين وهم مستعدون للإذعان للنظام الإقطاعي العشائري الذي يمثله زعماء الإقطاع وهم دائماً حذرون منهم والشك

بهم ولكنهم كانوا بعيدون عن الثورة ولم يكونوا من الصناعيين وليسوا من المهرة في النسيج والأعمال الجلدية والحديدية وهي عادة مهن وراثية ولكنها مختصرة بالنسبة إليهم وينظر إلى الذين يقومون بها نظرة محتقرة وهناك بعض الأرنزانا ولكنها منخفضة المستوى . وهناك بعض المجموعات الشعبية التي تقوم بمثل هذه الأعمال مثل (الدروس) النساجون أو اليهود الفلاشا الذين تركوا اثيوبيه مؤخراً وكانوا يعملون بأعمال الحديد والفخار وهناك الجواري الذين برغم نسبهم الكوشي إلا أنهم يتكلمون اللغات السامية ويعيشون في مناطق زراعة اليانسون ، كما يشكلون اليد العاملة في أديس أبابا .

تلعب المجموعات التي تنحدر من جد واحد دوراً مهماً في التنظيم الاجتماعي لشعوب المنطقة وهم عادة ينتسبون للأب أي يتبعون النسب الأبوي المنحدر من جد واحد ذكر ويظهر ذلك في الوراثة والملكية الخاصة ، وفي الدولة وتشكيل المجموعة ونقطة الضعف لدى الأمهرة المسيحيين هو نظرتهم للعلاقة مع الأب نفس النظرة للعلاقة مع الأم أي يعترفون بالنسبين الأبوي والأمومي . هذا النظام المهلهل من القرابة ، المزدوجة هو الذي يحدد دور الجماعة المحلية وتعتبر الوحدة الأولية الإدارية المحلية وتتحلق حول الكنيسة أعداد من المراكز السكنية (المحلات الصغيرة) والمستوطنات وبشكل واضح تشكل قربه ، وتعطي هذه القرابة المزدوجة الحق من ناحية المبدأ ، على الأقل حقوقاً لأعضائها غير قابلة التحوزيل أو الموارنة ، في استخدام الأرض الزراعية التابعة للأبرشيه العائدة للكنيسة ، ولا تسمح هذه القرابة أو بالأحرى الانتساب للمجموعات التي تنتمي إليها للزواج فيما بينها إلا إذا كان الزوجان لا يمتان بصلة قرابة تصل إلى سبعة أجيال والقبيلة عادة غير موجودة في اثيوبيه .

– التنظيم الاقتصادي : لا يوجد لدى الأمهرة ولا حتى لدى

الذين تأثروا بثقافتهم وحياتهم القرى بمعناها المعروف والقاعدة الصغرى أو نواة الوحدة الاستيطانية في الحياة الريفية هي العائلة وامتدادها ولتشكل عادة من الزوج والزوجة وفروعها من الأقرباء والأنساب حسب التسلسل ويعيش هؤلاء في أكواخ مدورة من الطين والقصب أو الأعشاب يتحلقون حول الكنيسة ، وتعتبر هذه مركز الأبرشيه التي تضم عادة ٢٠-٣٠ بيتاً ينحدر سكانها من جد واحد يرتبطون بالأبرشيه ولهم حقوق زراعية في أرض الأبرشية . هؤلاء المزارعون الذين يحصلون على الأرض من الإقطاعي لزراعتها تنظمهم علاقات منظمة ببراعة ، والأرض عادة تكون مملوكة من قبل الكنيسة أو كبار رجال الإقطاع الذين يرسلون الوكلاء ليمثلوهم في المقاطعات والاقطاعيات وجمع المحاصيل وتقسيمها ، وربما يكلفون بالسخرة وعادة الذي لا يقدم محصولاً يعمل دون أجر ويمكن الحصول على الأرض إما عن طريق الوراثة أو الزواج ، والمتزوجون الجدد غالباً ما يبقون في بيت الأب أو الزوج وهناك ثلاثة أنواع من الزواج لدى الأمهرة والتيجري الأول الزواج الكنسي ويسمى كاريان والزواج المدني سيميانا والموقت هو الدامور . والنوعان الأولان من الزيجات ينظمان من قبل الأهل والطلاق ممنوع في الزواج الكنسي .

- الديانة : في القرن الرابع الميلادي اعتنق ملك اكسيوم عيزانا الدين المسيحي (٣٤١ م ٣٤٦) الذي أخذ ينتشر شيئاً فشيئاً بخاصة لدى الشعوب السامية القديمة الأمهرة والتيجري . وتؤمن المسيحية في اثيوبيه بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح حيث بنيت على أسس وعقائد مسيحيي مصر الأقباط . وقد وصلت في بادىء الأمر مع التجار وبخاصة الاغريق والرومان ويقال أن من الشباب السوريين هما ايديسيوس وفرومانتوس هما اللذان حملاها من سورية .

ويعرف فرومانتوس في اثيوبيه باسم « اباسلاله » أو /أبونا/ وهو اللقب الذي يطلق على بطريرك الكنيسة الأثيوبية حالياً ويعتقد أنه كرس

كأول بيشوب لأثيوبيه في وقت ما عام ٣٤٢-٣٤٦ م من قبل القديس آناسيوس في الاسكندرية ، وهذا التكريس هو الذي جعل الكنيسة الحبشية تتبع الكنيسة القبطية في مصر . وكانت الكنيسة المصرية هي التي ترسل البطارقة للحبشة حتى عام ١٩٤٨ عندما طلب الأحباش أن يكون زعيم كنيستهم حبشياً ، فقد كرس أول بيشول لأثيوبيه من الأثيوبيين في مصر عام ١٩٥١ ومع ذلك فمع اتفاقية (٤٨) لم يعد هناك رابطة بين الكنيستين سوى رابطة الاحترام المتبادل بين الطرفين . وتعتمد الكنيسة الأثيوبيه على الطبيعة الواحدة للسيد المسيح . وقد حاول البرتغاليون عندما وصلوا السواحل عام ١٤٥١ ادخال الكاثوليكية في اثيوبيه إلا أنهم فشلوا بسبب معارضة الأحباش لهم . أما الإيطاليون فقد لاقوا بعض النجاح بين مسيحيي ارتيرية حيث أصبح أغلبهم يدين بالكاثوليكية .

– العرب : من المعلوم أن العرب كانوا يعرفون الأقسام الشرقية ـ الشمالية للقارة الأفريقية وقد تعرضنا فيما سبق إلى الهجرات العربية القديمة التي سبقت وصول الاسلام إلى المنطقة . وقد استخدمت هذه الهجرات بشكل دائم سواحل البحر الأحمر ومضيق باب المندب . وبعد وصول الإسلام إن كان في الشرق أو الشمال في مصر بدأت هجرات عربية جديدة وبخاصة عن طريق وادي النيل كان لها دورها الحساس والذي يختلف عن دورالجماعات المهاجرة السابقة وهي التي لم تكن لديها أية عقيدة أو ثقافة بينها الهجرات الجديدة كانت مسلحة بالدين والقوة والثقافة وقد أضافت العناصر العربية إلى أجناس البلاد القديمة عنصراً دموياً جديداً وأمدتهم بالدين الإسلامي واللغة العربية والثقافة الاسلامية، وحولت اتجاه البلاد ـ بخاصة في السودان الحالي ـ السياسي والفكري والاجتماعي وربطته بالعالم العربي الاسلامي .

وقد اختلف العرب الذين دخلوا السودان عن طريق وادي النيل منذ العهد الطولوني عام /٨٥٦/ م في مصر في مدى بداوتهم لذلك

اختلفت مساكن العرب المتحضرين عن عرب الشمال عن مساكن البدو من جنوبيين وشماليين فاسماعلية قريش كانت أقل بداوة، وأدنى اكتراثاً بحياة الرعي .ولذلك فضلت أقسام كبيرة منها الاستقرار على النيل مع النوبة واختطلت معهم واندفعت أجزاء أخرى منها ودخلت مناطق السودان الأخرى أما الأقسام الأخرى من جنوبيين وشماليين والتي آثرت حياة الرعي والتجوال فقد ضربت جنوباً واتجهت أقسام منها إلى الجنوب الشرقي من أسوان وكرسكو . ودخلت بلاد البجه وساكنتها .وسارت الغالبية متابعة مجرى النيل حتى دخلت منطقة دنقلا .ومن هناك سار بعضها غرباً بطريق وادي القعب /واستقر فيه وسار البعض الآخر جنوباً من الديه بطريق وادي الملك ، ومن اميكول بطريق /المقدم/حتى دخل مراعي النيل الأبيض وكردفان ودارفور أما الذي دخل أرض البطانه ، وحوض نهر عطبره ، وحوض النيل الأزرق من العرب ، فقد عبر صحراء /بيوضه/ من دنقلا وسار حتىوصل النيل وتابعه جنوباً حتى نهر عطبره . وعن طريقه دخل حوض نهر عطبره والبطانه أو استمر جنوباًحتى وصل النيل الأزرق .

وتحت دولتي الفونج والغور يستمر دخول العرب أفراداً ومبشرين. وتزول المسيحية وينتشر الاسلام وتتم السيطرة للعنصر العربي.

لقد دخلت القبائل العربيةالسودان الشمالي والأوسط والشرقي . وساكنت السكان الأصليين . وتزاوجت معهم واختلطت بهم . واستمر هذا التمازج بين العنصر العربي والعناصر الأصلية ، حتى إذا ما وصلنا القرن السادس عشر ، وجدنا أن القبائل والمجموعات ، قد أصبحتا على ما هي عليه اليوم وذلك إذا استثنينا القبائل الكبرى كالكبابيش والحمر التي تكونت في القرين الثامن عشر والتاسع عشر من مجموعات القبائل . ولم يتمكن العرب من التقدم جنوباً وراء حدود ذبابة تسه تسه. ولذلك لم

تتأثر قبائل الجنوب بهم في حين أن القبائل العربية في الشمال والوسط والشرق أخذت تتأثر بالدم الزنجي نتيجة التزاوج والاختلاط .

لقد دخل العرب السودان بقسميهم الكبيرين القحطاني والعدناني وقد بقي هذا التمييز إلى اليوم في قبائل السودان العربية . ويقسم كتاب تاريخ السودان من أقدم العصور قبائل السودان إلى قسمين كبيرين تقريباً وهما :

١ـ المجموعة الجعليه وتنتسب إلى العرب العدنانيين . وتشمل الجعليين والميرفاب والرباطات . والمناصير والشايقيه . والركابيه وأتباعهم والبديريه والجوامعه والبطاحين . وقد أقام أكثرها على النيل في الغالب وتخلت الغالبية العظمى منها عن البداوة . وأصبحوا أهل السواقي (مزارعون) وهؤلاء كانوا أقل بداوة من العرب الجنوبيين .

٢ـ المجموعة الجهينية وتنتسب إلى القحطانيين وتشمل قبائل رفاعة وأقربائهما القواسمة والعبدلاب والعركيين واللحونيين وهذه سكنت البطانه . وحوض النيل الأزرق ، وفزاره (دار حامد والشنابله) والبقارة والكبابيش والحمر . وهذه سكنت كردفان ودار فور ويلاحظ أنهم أهل ابل ومواش .

وعلى العموم فيمكن تقسيم العرب بعد استقرارهم في القارة الأفريقية إلى ثلاثة أقسام :

ـ الرحل " أو أهل الوبر) ورعاة الجمل .

ـ البكارة : رعاة البقر وهم رحل في حدود ضيقة .

ـ المقيمون ويعرفون باسم أهل السواقي . يعني المزارعون وأهل المدن والصناعيون وسكان القرى .

ومع ذلك لايمكن الاعتماد على هذا التصنيف بشكل دائم بسبب التغيرات في طبيعة الحياة الاجتماعية والهجرات المتبادلة في البلد الواحد أو البلدان الأخرى . وبعض القبائل تعيش التصنيف الثلاثي بكامله

كقبائل كنانة في السودان ، وعدد من القبائل الرحل لديها جماعة مستقرون وجماعة مستوطنون وقد قلت القبائل الرحل . وبعض القبائل تزرع الواحات ولكنها تبقى رحلاً ولكن هناك حدود جغرافية بين رعاة البقر وملاكها وبين رعاة الابل وملاكها وتكون مراعي الأخيرين جنوب الدرجة ١٠ شمالاً في المنطقة المطيرية ولهذا فالبقاره مضطرون للعيش في الجنوب . ومضطرون لاستخدام البقر للنقل عوضاً عن الجمال .

ولاشك أن العرب في شرق افريقية فقدوا ألوانهم بتزاوجهم مع السكان الأصليين القدامى وعادة لايهتم العربي بنقاء لونه بقدر اهتمامه بنقاء نسبه . لذلك يفضل هؤلاء رغم زواجهم بالأفريقيات يفضلون تزويج بناتهم إلى عرب لبقاء النسب والعربي الذي تصفه الكتب طويل القامة طويل الرأس بيضوي الموجه ناعم التقاطيع ويشكل في أغلب الأحيان جمالاً خيالياً حسب قول ج سيليجمان G. seligman غير موجود حالياً في أغلب المجتمعات العربيةالتي دخلت عليها التأثيرات الخارجية .

أما سواحل البحر الأحمر الشرقية فقد شهدت كما رأينا هجرات من جنوب الجزيرة العربية بخاصة خلال العصور القديمة كما وصلت هجرات عربية متأخرة منذ القرن السادس الميلادي إلى اريترية كهجرات بني يونس.وربيعة والقبائل القحطانية . وبني حمير (البلو) وهجرات العرب المسلمين كفاتحين وتجار وأخيراً الهجرات العربية التي حدثت أثر الصراعات السياسية والدينية في الجزيرة العربية ، وتحت تأثير الهجرات العربية التي دامت أكثر من ألفي عام نجد أن كثيراًمن المجموعات والقبائل من أقاليم الهضبة الجنوبية والوسطى والشمالية والأجزاء الغربية والسهل الشمالي تنتسب إلى الأصول العربية التي هاجرت إلى اريترية قديماً. ويقول السيد حامد صالح تركي في كتابه إريتريا .. إن كثيراً من البيوتات العربية في الهضبة الأريترية تعرف جيداً جذورها الأولى التي تربطها بالمهاجرين الأوائل مثل قبائل الأجاغويان والحبشات /وغيرها من القبائل

اليمنية التي هاجرت في العصور الأولى . وتنتسب أيضاً إلى القبائل العربية كثير من القبائل الدنكلية وبني عامر ، وبعض القبائل الأخرى في الاقليم الغربي وقبائل اقليم سمهر /وقبائل الحباب بفروعها الثلاثة بين /اسعدي وتكليس . وتماريام / والتي كان زعماؤها ينتمون إلى أسر حاكمة في هضبة قوازي قبل انتقالهم للأقليم الشمالي . وقبائل الأساورنا والمنفري والماريا والمنسح والسنقد كلي والطروعه والحزو . وغيرهما من العشائر في أريترية التي أشارت إلى انتماءاتها العربية عدد من المراجع التاريخية ولم تقتصر في الواقع الهجرات على ساحل البحر الأحمر ومضيق باب المندب بل تعدته إلى السواحل الصومالية الموجودة على خليج عدن وأغلب القبائل التي تدعي انتماءها للعرب جاءت من اليمن والخليج العربي وسواحل عمان ، كما سنرى وأهم الممالك التي ظهرت في المنطقة :

ـ مملكة الفونج : يبدو أن القبائل العربية التي دخلت السودان والمناطق الشرقية وغيرها عجزت عن تقديم حكومة مركزية للبلاد ، أيا كان نوعها تنظم القطر منذ البداية . ولكن بدلاً من ذلك قسمت بلاد النوبة ودولتهم فيما بينهم . وأصبحت الحكومة الوحيدة وهي حكومة مشايخ العرب التقليدية التي تقوم على أساس سيطرة القبيلة . ومثل هذه الحكومات كان ضعيفاً لقلة العدد . كما أن القبائل العربية الأولى لم تعمد إلى نشر الدين الاسلامي بطريقة صحيحة وفعالة فهذه القبائل البدوية هي نفسها لم تكن قوية في عقيدتها وفي اسلامها وكان ينقصها العمق الديني . ولم تكن تهتم إلا بالبحث عن المراعي وأماكن الاستقرار . ونتيجة لذلك تفشى الجهل وأصبح الناس لاهم بمسيحيين ولا مسلمين ما يقرب من قرنين من الزمن بعد سقوط مملكة دنقلا العجوز وإزالة المسيحية من السودان .

ولكن لم يلبث أن عاد العرب واستقروا وأسسوا مع جماعة من الوطنيين الذين سبقوهم للسودان ويدعون الفونج مملكه سميت بالمملكة

أو السلطنة الزرقاء عام ١٥٠٤ م على نفس النهج الذي انتهجه العرب الذين دخلوا بلاد افريقيه الأخرى وأسسوا مملكتي برونو والغور اللتان عاصرتا الفونج وسيمر ذكرها فيما بعد .

وتختلف الآراء اختلافاً كبيراً حول أصل الفونج هل هم عرب أم من أصل نيلي شلوكي (حسب ادعاء هؤلاء) وهل ينتسبون إلى عائلة برونو المالكة أم إلى أحفاد الأمراء الأمويين أو العباسيين وغيرهم ولكن الثابت حسب رأي الدكتور شبيكه ــ في كتابه مملكة الفونج أنه يؤثر فكرة كونه من الأمراء الأمويين مستنداً إلى الرويات المحلية وعلى ما جمعه أحد الانكليز الذين عاشوا في السودان وهو مستر غاستون في كتابه " سن النار " ١٩١١ بأن الفونج أنفسهم يؤكدون ذلك وأن سليمان أحد الأمراء الأمويين بعد سقوط دولتهم هرب إلى الحبشة وتزوج من بنت الملك وهناك رواية أخرى تجعله يتزوج من بنت ملك السودان وله ولدان داوود وأنس وعلى كل حال انتقل الفونج على ما يبدو من اريتريا رغم اتساع نفوذهم إلى منطقة النيل الأزرق وأصبحت عاصمتهم سنار .

والثابت أنه في أوائل القرن السادس عشر حوالي (١٥٠٤ م) تحالفت قبيله القواسم العربية التي كانت تحوم حول أقليم الجزيرة تبحث عن حليف ـ للقضاء سوية على دولة علوه المسيحية التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة . وكان على رأس قبيلة القواسم شيخ يدعى عبد الله جماع حيث أسندت إليه مهمة تكوين حلف من القبائل العربية التي كانت تجاور قبيلته ليعمل مع الفونج الذين كان على رأسهم / عماره دنفس / لتأسيس مملكة. وقد استطاعت مجموعة من التحالف القضاء على مملكة علوة وتدمير عاصمتها مدينة سوبا بعد انتصارها في معركة / أربجي/ وبسقوط سوبا أصبح اقليم الجزيرة الممتد من سنار حتى سوبا خاضعاً للدولة الجديدة الجديدة كما امتد سلطانها حتى حجر العسل ورجع عمارة / لسنار / واتخذها عاصمة له ، ثم أخذت الدولة

الجديدة تتوسع في بقية أجزاء السودان إلا أنهم توقفوا عندما حاولوا ضم القسم الشمالي من السودان ، حيث اصطدموا بالأتراك ، فبعد فتح مصر عام ١٥١٧ من قبل السلطان سليم الأول استولى على المنطقة الواقعة شمال /دنقلا / ونصب عليها حكاما يعرفون بالكشاف وجعل لكل كاشف (أمير) حاميه من الجنود الأتراك والمهجرين أو المبعدين من بلاد المجر (ولا يزال هؤلاء يعيشون في المنطقة) . وقد استولى الأتراك أيضاً على ميناء سواكن . وبقيت المنطقة الواقعة شمال دنقلا في قبضة هؤلاء الحكام الكشاف الذين استقلوا فيما بعد عن ولاةمصر والأتراك .

اقتسم الفونج والعبدلاب (القواسم) السلطة في البلاد فقد كان عماره دنقس وخلفاؤه المقدمين ، في الدولة . وكانوا يحكمون القسم الأكبر منها ؛ في حين كان عبد الله جماع وخلفاؤه يحكمون المناطق التي خصصت لهم حكماً مباشراً وفي الوقت ذالة كانو يعتبرون وزراء الدولة وقادة جيوشها .

وأول من أدخل التنظيم الاداري في الدولة هو /ولداكن / عام ١٥٦٣ كما نظم الجيش وسن القوانين وجعل رجال الدولة في مراتب بالنسبة لمجلسه وقد اتخذ النسق الاسلامي نموذجاً له كما عين من لدنه حكاماً للأقاليم المختلفة .

كان مجلس السلطان أو مجلس الأعيان يتكون عادة من بعض أفراد عائلته الهامين . ومن أكابر رجال دولته ورعاياه ومن يكون في سنار من حكام الأقاليم عند انعقاد المجلس وكان لهذا المجلس سلطات كبيرة إذ كان بوسعه عزل الملك ، وقتله . وكان المجلس يجتمع أربعة أيام في الأسبوع في الصباح والمساء يصرف شؤون الدولة . وكان الملك محترماً في دولته وفي مجلسه ويحيا حياة خاصة به ، ويشرف بنفسه في المواسم والمناسبات العامة كبدء الزراعة . ويمكن اعتبار دولة الفنج دولة كونفدرالية بالمعنى الحديث حيث كان حكام المقاطعات يتمتعون بحرية

ويطلق على الحكام اسم المانجل وعند منحه هذه الصفة يحق له لبس الطاقية المعروفة /بأم قرنين/ ويجلس على الكركر . وكان دخل الحكومة المركزية من الضرائب التي وضعت على رؤساء القبائل والتي يجمعها الحاكم لصالحه وصالح السلطان بالاضافة إلى الضرائب الجمركية على البضائع القطنية الواردة من الحبشة وكان ملك الحبشة يقاسم ملك سنار هذه الرسوم ، وكانت سنار العاصمة السياسية والتجارية للدولة حسب وصف الرحالة الذين زاروها مع أوائل القرن الثامن عشر وتحوي حوالي عشرة آلاف من السكان مع جيش دائم يقيم حولها عدده (٢٠) ألف وكانت تمتد أميالاً ثلاثة وأربعة على النيل الأزرق وهي مبنية من القش والطين وللملك بيت كبير محاط بالاسوار وبما أنها كانت تقع على الطرق التجارية بين مصر والحبشة . وبين وسط افريقيا وبلاد الشرق – الهند – والجزر وبلاد العرب لذلك كانت تصلها مختلف أنواع البضائع وكثير منها يعاد تصديرها عن طريق النيل والبحر الأحمر وكانت البهارات والصندل والروائح العطرية احدى أنواع البضائع ، كما يجد التجار عادة سوقها عامرة بالانتاج المحلي الذي يصل إلى سنار ومن أطراف الدولة كالتمر والبقر والحديد والرقيق والذهب والعسل والجلود وريش النعام والسمسم والعاج وقرون الكركدن والزباد والأبنوس والبهائم ، وكانت وسيلة التبادل المعروفة قطعاً من الدمور وكذلك النقود كالريال الأسباني وعملة تركية من الحديد في الفئات النقدية الصغيرة . وكانت طرق القوافل البرية تصلها مع مختلف أنهار افريقيا الشمالية . وقد نشرت دولة الغونج الدين الإسلامي الصحيح وأزالت المسيحية وازدادت الخلاوي والمساجد والطرق الصوفيه واتصل ملوك الغونج بالأزهر الشريف .

بلغت دولة الفتح أقصى اتساع لها في عهد بادي أبي شلوخ ، ١٧٢٤ – ١٧٦٢ م ، نتيجة للحروب الخارجية مع الحبشة وكردفان حيث ضم الغونج أجزاء كبيرة من كردفان والسودان الشرقي وكان قد

مر على البلاد نحو ١٥٠ عاماً من القوة وبعد بادي أخذت الدولة بالتفكك فقد استعان هذا للوصول الحكم برجال من النوبة جاء بهم من كردفان . ومن أهل سوبا وكان الغونج يطلقون على هؤلاء اسم الهمج وعندما أصبح هؤلاء أقوياء العدد ابعدوا /بادي/ عن الحكم وسلموا ابنه الذي عين كبير الهمج محمد أبو لكيلك وزيراً له ومنذ ذلك الوقت سيطر هؤلاء الهمج على الدولة وقد تعاقب على كرسي السلطنة بين نفي بادي وفتح السودان من قبل اسماعيل باشا عام ١٨٢١ مما يقرب الثلاثة عشر سلطانا . وحصل أن تعاقب على الحكم ثلاثة سلاطين في سنة واحدة وكانت الدولة قبل سقوطها مفككة الأوصال ولم يكن نفوذ سلاطين سنار يمتد أكثر من شمال الخرطوم الأمر الذي يسرمهمة الفاتحين المصريين (الأتراك) في تدمير الدولة .

ثانياً – الشعوب الحامية : رأينا فيما سبق أن الحامين في القسم الشمالي من شرق افريقية إلى قسمين كل منهم يشكل منطقة ثقافية واحدة وهذان القسمان هما :

الشماليون وهم المصريون القدماء – البجه – والنوبه .

الجنوبيون وهم الشعوب الصومالية الجالا والدناكل (العفر) .

– الشماليون :

– المصريون القدامى : يعتبر المصريون القدامى أفضل ممثل للحاميين الأوائل في فترة ما قبل السلالات الملكية أي حوالي (٣) آلاف ق.م ويعود ذلك إلى وجود الهياكل العظيمة التي تعود للعصر الحجري القديم . وكذلك القبور المغرقة في القدم والتي حافظت عليها الطبيعة المصرية الجافة لذلك فوصف هؤلاء يمكن أن يعطي صفة عامة للمحاميين.

وقد قسم /باتراوه/ في كتابه الأصول العريقة للمصريين والنوبة المصريين القدماء إلى قسمين رئيسين الأول في شمال مصر ووسطها ، والقسم الثاني في الجنوب (مصر العليا) ويفترق هؤلاء عن الشماليين

بأنهم أصغر جمجمة والدليل الرأس أصغر مع أنف عريض ، وفك بارز ويعود هذا التقسيم إلى عهد النيولوتيك . وقد ظل التمييز بينهما خلال مرحلة الأسرة القديمة حتى غزو القسم الشمالي للقسم الجنوبي بعد مرحلة انتقالية أدت إلى تعايش النموذجين في منطقة واحدة حتى الأسرة ١٨ حيث عم النموذج الشمالي كل مصر . ووصل إلى الجنوب حتى /دندره/ حتى نهاية المرحلة الرومانية وكان المصريون في تلك الفترة متوسطي القامة وبشرتهم وجمجمتهم تماثل جمجمة (نكادا) وهم يشبهون من الناحية الفيزيائية قبائل البجة .

– البجه : هم مجموعة القبائل الذين يقطنون الجبال الواقعة بين البحر الأحمر والنيل ونهر عطبره ومن المنطقة على مستوى أسوان حتى هضبة إرتيرية ويبلغ عددهم حسب إحصاء (٦٠) حوالي ٣٠٠ ألف، وكانوا يعيشون في المنطقة منذ أربعة آلاف عام ق.م ووصفهم محمد صالح ضرار في كتابه تاريخ السودان /اقليم البجه/ وهو من البجه (والبجاوي في مظهره صغير البنية متوسط القامة خفيف الحركة وسريعها، يقفز إلى أعلى في خفة وإلى الطير إلى الأمام في سرعة الفهد ووجهه نحيل بيضاوي ولكنه ينزل في زاوية حادة على الذقن فتصبح كأنها زاوية المثلث . أما أنفه فحسن الرسم والاستقامة جميل التكوين . ويبدو نموذجاً جيداً للأنف القوقازي . وبشرة البجاوي بنية تشوبها حمرة وشعره ناعم ومتماوج وهناك اختلاف كبير حول أصول البجه هل هم حاميون أم ساميون ولكن الجميع متفقون على أنهم ليسوا من الأجناس الزنجية وأنهم قدموا من الخارج ومع ذلك فهم أقدم سكان افريقيا من غير السود . ولكن بسبب قدم هجرتهم والأصول الحامية لبعض لغاتهم والأوصاف المتطابقة مع ما وصفهم به سترابو عام ٢٤م والوصف السابق فالاعتقاد السائد أنهم حاميون وكان قدماء المصريون يطلقون عليهم اسم (البقه) وهو لفظ قريب جداً من البجه . وإن نجاحة بعد الفتح العربي

وأن كثيراً من القبائل البجاويه قد استعربت واتخذت اللغة العربية /لغة القرآن/ لغة لها . ومهما كان أصلهم سامياً أو حامياً . فقد لعب البجه دوراً هاماً في التاريخ القديم . وهم أقرباء للعرب . وقد مرت عليهم عصور تاريخية مختلفة وأمم متباينة واصطدموا بشعوب كثيرة ذاب بعضها وتغير بعضها وظل البجه كما هم عليه منذ قرون . ووراءهم تاريخ مليء بالأحداث . وفي البقعة الخالية التي تسمى حالياً أقليم البجة . سكنت قبائل البجه المختلفة منذ ألاف السنين وانتشرت جماعاتهم وأفرادهم يضربون في وديان السودان الشرقي يرقون جبله ويغطون صحاريه وسهوبه . وهم على ظهور جمالهم يرعون ابلهم وبقرهم وماشيتهم وأغنامهم ولا يزرعون إلا الذرة والدخن ويقسم البجه إلى أربعة أقسام أو مجموعات بدءاً من الشمال إلى الجنوب وهي :

١ – العبابده : الذين يقطنون صحراء مصر الشرقية .

٢ – البشاره (أو البشارون) وهم أيضاً من سكان الصحراء المصرية ولكن منازلهم تمتد إلى أبعد نحو ثمانين ميلاً إلى جنوب مصر حيث الحدود بين مصر والسودان وهم يشغلون أقساماً من منطقة نهر عطبره .

٣ – الهادنداوا وتتألف هذه المجموعة من عدد من القبائل وهي أكثر الأقسام شهرة. وتضم الآمارآر – والنوراب – والشرفا – والأرتبما وتمتد بعيداً إلى الجنوب نحو توكار وخور بركه .

٤ – بني عامر وهو اتحاد كبير يعد في اثيوبيه حوالي ٦٠ ألف . وفي السودان يوجد ثلاثون ألف ويقسمون إلى عدة قبائل أهمها متسا – وماريا في منطقة كنيان في إرتيريه .

– اللغات : وتنتشر بين هذه الفئات الأربع اللغة العربية عامة ولكن لكل منها لغته الخاصة . فالعبابده والبشاره والهادندوا يتكلمون اللغة المعروفة باللغة البداوية (بداوي) وهي لغة ذات أصل حامي ويعتقد أنها لغة أهل مروى (المملكة المصرية الحبشة القديمة) وتكتب هذه اللغة

بالأحرف العربية وأغلب العوامر يتكلمون اللغة التيجريه (تيجره) الشمالية وبعضهم لغتهم الأصلية الكوشبه . وكثير من القبائل ثنائي اللغة أي يتكلم أفرادها لغتان مختلفتان .

بالرغم من اختلاف اللغات فعادات وتقاليد الفروع الأربعة القبلية تقريباً متشابه وتأثير الثقافة العربية عليهم واضح . وعلى كل حال فالعبابده في الشمال أصبحوا مصريين ولكن تظل الهضاب والمرتفعات بين النيل والبحر الأحمر حاجزاً تجعل منهم يحافظون قدر الامكان على عادات وتقاليد خاصة بكل فرع منهم .

– الدين : يعتنق البجه الدين الأسلامي . وكانوا وثنيين وقد وصل إليهم الإسلام بعد الفتح العربي لمصر وأخذ ينتشر شيئاًفشيئاً عن طريق التجار والمنقبين على الذهب من جهة ومن الرعاة من القبائل العربية التي دخلت للتفتيش على الماء والكلأ ولم يؤد الضغط الروماني والأثيوبي والنوبي على البجه في ادخالهم الدين المسيحي عدا ثلاث قبائل (بيت اسفاد) بدأوا بالديانة المسيحية القادمة من اثيوبيا إلا أنهم بعد ذلك أسلموا وتنتشر بينهم الطريقه الميرغنيه ويعتقدان الإسلام دخل قبائل البجه منذ عام (١٩٢٤م) .

– التنظيم السياسي : كان لموقع البجه الجغرافي وما تحويه أرضها من معادن ثمينة كالذهب والحديد أثره في حياتهم الطويلة . ورغم وجود بلاد البجه على البحر إلا أنهم كانوا لايركبون البحر وحتى أنهم لم يعتادوا على الصيد من أسماكه ولكن البحر مع ذلك كان واسطة الاتصال مع العالم الخارجي فعن طريقه كانت تصلهم تمور العراق وغيرها كما كانوا يصدرون البهارات وخشب الأبنوس والفهود والأسود والقرود والعاج إلى مصر الفرعونية ويعتبر ميناء سواكن أعظم الموانئ منذ فجر التاريخ حتى نهاية القرن التاسع عشر في البحر الأحمر .

وقد أثار وجود الذهب لأن تتعرض بلاد البجه إلى هجمات كانت

تصلها عن طريق الشمال مثل هجمات الفراعنة والبطالسة والرومان ثم العرب . وكانت طبيعة أرضهم القاسية تقدم لهم حماية كافية . كما كانت تشكل قواعد الانطلاق للقيام بالحملات والغزوات البعيدة على الجيران للنعب والسلب والقيام بأعمال وقائية وقد ظلوا في كر وفر حتى سقطت بلادهم في أيدي المصريين والانكليز والبجه هم الذين قضوا على مملكة اكسيوم القديمة حوالي القرن الثامن الميلادي وازالوها من الوجود وأجبروا شعبها على النزوح جنوباً إلى أعالي الهضبة . وفي حوالي ٢٧٤ ق.م تحالفوا مع المملكة العربية زنوبيا واعترفوا بسلطتها والتعاون معها لقتال الرومان . كما استطاع البجه دخول مصر التي كانت تحت الحكم الروماني ووصلوا سوهاج إلى أن هزيمة زنوبيا أثرت على البجه فاضطروا للانسحاب . وكلما كان الطلب على الذهب كثيراً كلما كانت الهجمات على البجه تصبح أقوى .

ومع وصول العرب إلى مصر تغيرت الأوضاع بالنسبة للبجه فبالرغم من المقاومة الشديدة التي أبدوها منذ أن بدأ العرب يتجهون جنوباً يتقدمهم الإسلام إلا أن صلات وثيقة واتفاقيات تمت بين الطرفين حتى أن أحد الملوك البجه /علي بابا/ رافق القائد محمد بن عبد الله المعروف بالقمي (نسبة إلى قم) بعد حرب طويلة إلى بغداد حيث استقبله الخليفة العباسي المتوكل واعترف له بالسيطرة التامة على الطريق ما بين مصر ومكة المكرمة وعقدت اتفاقية خاصة باستخراج الذهب وأصبح التفتيش عن الذهب مسموحاً به للعرب والمسلمين . وقد اتخذ الملك العمامة السوداء شعار بني العباس بدلاً من التاج المرصع بالأحجار الكريمة وينتمي الملك المذكور إلى قبيلة /بلي/ والتي يقال لها باللغة البجاوية /بلويت/ ويقال أنه في أيام الخليفة عمر بن الخطاب نادى رجل من قبيلة /بليّ/ في الشام يا لقضاعة/ . فبلغ الخليفة ذلك فكتب إلى عامله بالشام لكي يرحل ثلث /قضاعة/ فسيّرو إلى مصر . وكانت بليّ متفرقة

بأرض مصر ، أول أمرها في الإسلام ثم اتفقت هي وجهينه واستوطنوا الأراضي التي حول ميناء (عيذاب) .

حين زار ابن حوقل المنطقة قبل أكثر من ألف عام كانت مملكة البجه مقسمة إلى خمس ممالك لكل منها حدودها وسلطانها وهذه المماليك هي:

١ - مملكة قطاع : وكانت تحكم اقليم سمهر وتبدأ من نقفه حتى مصوع ودهلك .

٢ - مملكة جارين على السواحل الجنوبية .

٣ - مملكة بقلين : وهي تقع بين خور بركة وساحل البحر الأحمر المجاور لمملكة جارين .

٤ - مملكة يازين : وكانت تحكم في بقاع الجاش وجوار مملكة بقلين وبينها وبين مملكة علوه .

٥ - مملكة ناقض ، وهي تبدأ شمالاً من أول الحدود المصرية وفي غربها أسوان .

وكان لكل مملكة ملك له مظاهر خاصة في خلق الشعور العام نحو الوظائف الملكية . فقد كان لكل منهم كرسي للحكم يعرف في السودان باسم (ككر) أو كركر وهو كالعرش الذي يجلس عليه الملك ويغطي رأسه بتاج أو طاقية من الذهب تسمى (ام قرين) كما هو الحال بالنسبة لمملكة الغونج . ويصحب ذلك عدة شعارات ملكية كالسيف الأوربي المصقول . ونقاره (طبل) ليقرع في المناسبات وعند الأزمات . ولم يفقد هؤلاء الملوك ألقابهم الملكية إلا بعد فتح محمد علي باشا لشرق السودان فأزال الملك وألقابه وأبدلها بكلمة ناظر قبيله وما زال هذا اللقب مستعملاً لزعماء القبائل الكبار حتى اليوم ومن أشهر ملوك البجه بعد الإسلام بشر بن مروان بن اسحق وأمه من ربيعه . وقد بسط أمراء هذا البيت نفوذهم على هذه الممالك المترامية الأطراف وتولوا حكوماتها بتقليد من مصر . وكان يلقب أمير البجه (الحدربي) نسبة إلى قبائل

(بلى) أو حدارب العربية ولا تزال بقايا هذا العنصر الممتاز يحتفظ بعظمته وتقاليده وعادته القيمة محل احترام كل القبائل البجاوية . وينسب كل شيء عربي إليهم وكان يكتب له في الأبواب السلطانية المصرية حتى أوائل القرن التاسع الهجري بالعنوات التالي (المجلس السامي الأميري الحدربي) .

واشتهر البجه بالشجاعة ولا يقيمون وزناً للحياة حسب قول المقريزي ولهم ميل فطري للإنتقام وأخذ الثأر وكانوا يقاتلون من على ظهور الجمال ويحملون معهم الرماح الطويلة المعروفة باسم السباعية وذلك لأن طول حديدها ثلاثة أذرع وطول العود أربع . وفي العصور القديمة كان صناع الرماح من النساء . يقمن في مكان لا يختلط بهم الرجال الا المشتري منهم وتروسهن مصنوعة من جلود الحيونات وخاصة الجاموس . وكذلك التروس الدهلكيه نسبة إلى جزيرة دهلك وهي مصنوعة من جلود الحيوانات البحرية والسلاحف وقسيهم عربية غلاظ من شجر السدر . ويرمون عليها بنبل مسمومة أما السيوف فلم تظهر في بلاط البجه إلا بعد الحروب الصليبية (١١٨٢م) .

التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والتقاليد والعادات :

يعتبر البجه شعب من الرعاة أو نصف رعاة يربون الأبل بسبب طبيعة الأرض التي يعيشون فيها . وربما عرفوا الجمل قبل ألفي عام . وهذا يعطيهم سرعة التحرك في الصحراء والعيش فيها أفضل من أسلافهم الذين لم يكونوا يعرفون الجمال . وقد احتلوا كثيراً من الأراضي الصحراوية ، وربما كان الطقس أفضل مما كان عليه الآن . ولا يزال قسم كبير منهم يعيش في الخيام المصنوعة من الجلد يمكن أن يحملوها معهم خلال تنقلهم وتفتيشهم عن الكلأ . ويقول المقريزي الذي عاش بين ١٣٦٠م - ١٤٤٢ عن البجه (أن لدى البجه كثير من الجمال /الهجن/ السريعة والجمال العادية بجانب الماشية والبقر التي تؤمن لهم

الحليب واللحم ... وهم شعب لا دين له وغير أذكياء . وكـلا الجنسين يسيرون عراة ولا يوجد شيء يسترون به عوراتهم عدا بعض الأشخاص منهم ، وربما شاهدهم على هذه الحالة غيره من المؤرخين إلا أن البجه بعد أن اسلموا حسن إسلامهم . وتعصبوا لدينهم ولبسوا اللباس العربي ولبست نساؤهم الأثواب الطويلة . كما يقول المقريزي عنهم بأنهم ينتسبون إلى امهاتهم والواقع أنهم بعد الإسلام أخذوا ينتسبون للأب ولكل قبيلة رئيس ولكن سلطته لا يعرف بها كسلطة عليا ويعود ذلك إلى حياة الترحال وشكلياً لهم رئيس أعلى وكلهم يعتبرون أنفسهم أقل منه وملحقين به .

وحتى الآن يذهب الرجل من الهدندوه ليتزوج لدى عروسه في قرية أخرى وربما يظل لدى أهل زوجته من سنة إلى ثلاث ويقدم آل العروس الخيمة والسرير للعروسين ويعمل الزوج عادة لدى والد العروس مقابل المهر ومن الضروري أن يولد الولد الأول لدى أهل أمه .

وينظر البجه الرعاة للحليب نظرة مقدسة لأنه محور حياتهم واهتمامهم وتعود هذه العادة إلى قدماء الحاميين والساميين . وهم حتى الآن يضعون حليبهم في سلال مشبوكة بشكل جيد ولا يضعون الحليب بالجرار رغم أنهم يصنعون جراراً فنية جيدة . والرجل هو الذي يحلب ولا يزوق منه حتى يتذوقه إنسان غيره وهم يحتقرون القبائل التي تسمح للنساء بحلب البقر ولكن المرأة هي التي تخض الحليب وتصنع منه الزبدة والسمن وهم حسب قول محمد ضرار أنهم مشهورون بالمبالغة في الضيافة والكرم حتى أن الواحد منهم إذا لم يجد لديه ما يذبحه أخذ من جاره الذبيحة أو ربما يذبح راحلة المضيف وليعوضه عنها خير منها . وغذاء البجه كما هو الحال بالنسبة للشعوب الرعوية الحليب واللحم والذرة . وقد وصفهم المقريزي بأنهم صحاح الأجسام سريعو الجري . وربما يولد البحاوي ولا يطلق عليه اسم الا بعد بلوغه سن الرشد أو يبلغ أشده

حيث يأخذ اسمه من العمل الذي يقوم به وعندما انتشر الإسلام أخذوا يسمون أولادهم بأسماء عربية . ولا يأكل الرجل مع زوج ابنته ولا مع زوج أخته ولا يزوج الرجل ابنه إلا من ابنة أخيه وهو الذي يدفع مهرها. فاذا تزوج غيرها فالعريس هو الذي يدفع المهر .

وتعرف المرأة المتزوجة بالخزام الذي تضعه على أنفها وتقع عليها مسؤولية البيت بكامله من الأكل (الطبخ) إلى صناعة السمن وحياكة الأثواب ودبغ الجلود وصنع الحصر في حين تترفع البجاوية عن حلب الحليب وغسيل الثياب . وقد اشتهرت بالاعتناء بنفسها وتتطيب مرة كل أربعة أيام باستخدام الدخان الخارج من حرق خشب الصندل زي الرائحة الزكية وتحتجب عن كل الناس عدا أقربائها ولو كانوا من الجد الخامس أو السادس وهي محل احترام الجميع .

النوبا (نوبيا) يطلق حالياً اسم بلاد النوبة على المنطقة القديمة الواقعة في الشمال الشرقي من افريقية الشرقية وتمتد من وادي النيل تقريباً ، قريباً من الشلال الأول في مصر العليا أو شرقاً إلى البحر الحمر وجنوباً حتى الخرطوم وغرباً حتى الصحراء الليبية ويعيش في هذه المنطقة البرابرة – بيركيد – ديلنغ – ميدوبي – النيما . وهم خليط من الزنوج والعناصر القوقازية القادمة من مصر وبلاد البجه وكذلك من الهجرات القادمة من الجزيرة العربية والنوبيون أو كما يطلق عليهم حالياً البرابرة طوال القامة نحاف الاجسام مع بنية قوية وجميلة يمكن تمييزهم مباشرة عن الفلاحين المصريين من الناحية الفيزيائية فجلودهم سوداء فاحمة أكثر من غيرهم وأنوفهم أكثر تسطحا ووجوههم أكثر ضيقا ويكون الشعر عادة ملفوفاً ونادراً مايكون أجعد مثل الزنوج والذين لديهم رؤوس تشبه المصريين القدماء أصبحوا أقليه وهم شعب مغامر يسافر كثيراً ومنهم كبار التجار ولكنهم غير متعلمين إلا أن لديهم استعداداً كبيراً لحفظ اللغات بسرعة وتظهر ميزات هذا الشعب بخاصة لدى الدناقلة الذين

تأثروا بثقافة شمال كردفان وشكلوا قسماً من المحاربين الأقوياء المشهورين خلال أواسط القرن الماضي ولاشك أن طبيعة أرضهم لها أثر كبير جداً في انتشارهم فرغم أنهم شعب مزارع ولكن أكثر أراضيهم أكلتها الصحراء وكانوا يزرعون الدخن والذرة وكان لديهم التمر والتين الشوكي وقد غمرت أراضيهم حالياً بحيرة ناصر التي ظهرت بعد ظهور السد العالي ولديهم عادة تجريح الوجوه بخطوط عمودية أو أفقية في كل جهة من جهات الوجه كما لديهم عادة اختتان الفتيان والفتيات ولديهم تعدد الزوجات ولديهم نفس عادات البجه بالنسبة للعلاقة بين الزوجة والزوج من النواحي الحياتية والاقتصادية .

– اللغات النوبية : هي مجموعة من اللغات يتكلم بها حالياً حوالي ٢٠٠ ألف نسمة (احصاء ٧٥) في مصر والسودان وتسمع على طوال نهر النيل وعلى ضفتيه بين الشلال الأول والشلال الرابع (النيل النوبي) وهناك من يتكلمها في الجيب الموجود فيما يعرف بهضبة النوبة الواقعة غرب السودان حيث تعود ثقافتها إلى السودان الشرقي وتتألف من لغات الميدوبي والبيركيد والأرتباط بينهما غير وثيق بعض المدارس تقسم النيل النوبي إلى ثلاث مجموعات ، وكل واحدة تضم لغة واحدة الشمالية أو كينوزي (الكنوز) والوسطى أو الماهاس والجنوبية أو الدنقلة النوبية وهناك مجموعات لنوبه شمالية وجنوبية،وعدا بعض الاتجاهات تصنف اللغات التوبيه كلغات حامية أو سودانية (غينية) وغالباً توضع لغات النوبة حالياً في المجموعة السودانية الشرقية العائدة لمجموعة (عائله) لغات نيل شاري .

– الأديان : تدين كل شعوب النوبة حالياً بالاسلام وقبل ذلك كانت تدين بالمسيحية التي وصلت إليها عن طريق مصر التي أصبح أغلبها يدين بالمسيحية منذ حوالي القرن الخامس الميلادي عندما كان الرومان يسيطرون عليها وكانت المسيحية قد أخذت تتسرب عن طريق المسيحيين الذين كانوا يفرون بدينهم جنوباً في وجه الاضطهاد الديني

وعن طريق التجار قبل أن تصبح المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية في عهد قسطنطين . وقد استطاع المبشرون القادمون من القسطنطينية في زمن جوستنيان وزوجته تيودورا (٥٢٧ - ٥٦٥ م) من نشر المسيحية هناك حيث تنصرت مملكة علوة ٥٨٠ م ولم ينقض القرن السادس حتى أصبحت ممالیك النوبة الثلاث : النوبة والمقرة وعليوة مسيحية في حين رفض البجة الدين المسيحي حتى وصول الاسلام عليها . وفي البلاد التي تنصرت استطاع رجال الكنيسة أن يجعلوا من اللغة النوبية لغة كتابيه بالاحرف الاغريقية واستعملوها في أعمالهم الدينية كما ترجموا اجزاء من الكتاب المقدس /الانجيل/ إلى اللغة النوبية وكذلك استعملت اللغتان الاغريقية والقبطية في المراسم الدينية .

ودخلت الكتب القبطية بلاد النوبة على أيدي القسس والرهبان واتصلت البلاد بالاسكندرية مقر البطريرك الذي هو رئيس الكنيسة . وقد تنصرت الحبشة قبل النوبة .

بالرغم من النجاح الذي لاقته المسيحية في بلاد النوبة بقيت مقتصرة على الطبقة الحاكمة والسكان الحضر وحدهم ولم تتغلغل في السودان وبلاد النوبه لأن هؤلاء كانوا غرباء عن البلاد ولما سقطت مصر في قبضة المسلمين انقطعت الصلة بين مسيحي النوبة ومصر . بعد ذلك سقطت دنقلا العجوز في يد العرب نهائياً .

واعتنق ملوك المفره الدين الاسلامي تحيط بهم عناصر عربية توصلت للسلطة في البلاد عن طريق الزواج فالنوبة في ذلك الوقف كانوا يجعلون الوراثة في البنت وولد البنت وكان ذلك نهاية الدين المسيحي رسمياً في السودان وتلاشت وذابت العناصر المسيحية مع طول الزمن ولم يبق منهم أحد.

- ممالك النوبة : ظلت بلاد النوبة حتى القرن الثامن قبل الميلاد تابعة لمصر حيث ظهرت فجأة هناك مملكة قوية امتدت من أسوان شمالاً حتى النيل الازرق جنوباً وعاصمتها مدينة /نبته/ واعتلى عرشها الملك

/كشتا/ عام ٧٥٠ ق . م وقد استقلت عن مصر ثم لم تلبث هذه الدولة أن ألحقت مصر ذاتها فيها في عهد أبنه (بعانخي ٧٣٠ ق م) حيث امتدت الدولة حتى الدلتا عام ٧٢١ ق م وفي زمن خليفته شباكا أو شبكة ٧٠٠ ق م نقلت العاصمة من نبته إلى طيبه وأصبح لقبه ملك مصر وكوش ولكن دخول الآشورين إلى مصر بقيادة اسارحادون وهزيمة /ترهاقا ٦٨٨ ق م / جعلت النوبيون ينسحبون إلى بلادهم في الجنوب ولم يستطيع خلفاء ترهاقا استعادة مصر بل على العكس أعاد المصريون ضم النوبة لفترة قصيرة عام ٥٩٠ ق ,م وهنا انتقلت العاصمة إلى مروة أو مروي ومنذ وصول الفرس إلى مصر اخذت الصلات بين مصر والنوبة تضمحل شيئاً فشيئاً . وفي القرن الثالث بعد الميلاد هاجم البجه (البلميون) الشرقيون أو عرب الصحراء العربية / مروى ودمروا الثقافة المرويه في نوبيا العليا وميروه نفسها دمرت بين (٣٢٠ - ٣٥٠ م) من قبل مملكة اكسبوم بقيادة الملك عيزانا . وقد وصلت ثقافة مروى إلى مروة التي كانت تسمى /نوباتا/ وثم نقلت عاصمة النوباط إلى باشوراس (فاراس) حتى اندماجها فيما بعد في القرن السادس مع مملكه المغره في دولة واحدة هي الدنقله ، وجنوب الدنقله كانت هناك دوله عليوه أو الوديا حيث أصبحت مسيحية عام ٥٨٠ م وفي عام ٦٢٥ م احتلت الجيوش الاسلامية التي قدمت من مصر الدنقلة وأخذت تدفع الجزيه إلى مصر إلا أنها ظلت مسيحية حتى القرن الرابع عشر حيث احتاجها جيش مملوكي عام /١٣١٧/ م وهدمها أما المملكة الجنوبية فقد عرفت باسم علوه وعاصمتها سوبا وقد بغيت هذه قائمه حتى خرابها من قبل النوبخ عام ١٥٠٤ م

وأخبار الدولتين المغره وعاصمتها وتقلا العجوز وعلوه وعاصمتها سوبا قليله تكاد تنحصر في الآثار القليلة التي بقيت بعد أن عفت الرياح والأمطار عليها وفيما أورده المؤرخون الاسلاميون الذين كانوا يؤرخون

لفترة دخول العرب في السودان في الأصل ويقول المسعودي أما النوبة فقد افترقت فرقتين في شرق النيل وغربه وأناخت على شاطئيه فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر والصعيد في بلاد أسوان وغيرها واتسعت مساكن النوبه على شاطئ النيل مصعده ولحقوا(بقريب)من أعاليه وبنوا دار مملكة عظيمة سموها (سوبه) أو سوبا ويصف مؤرخ اسلامي عاصمته المغره في القرن الثالث عشر فيقول (وهنا قصر الملك ، المدينة كبيرة وتقع على النيل المبارك وفيها كثير من الكنائس والبيوت الكبيرة وشوارعها واسعة . وبيت الملك تزينه عدد من القباب التي شيدت من الطوب الاحمر وتشبه منازل الملك بيوت العراق أما سوبه فيقول عنها المؤرخ نفسه (تقع سوبا عاصمة مملكة علوه إلى شرق الجزيرة الكبيرة الممتدة بين النيلين الأخضر والأبيض . وبها مبان جميلة وأديرة كبيرة ملئية بالذهب وتزين المدينة الحدائق الغناء وحاكم علوة أثرى من حاكم المفره لأن بلاده أوسع وأكثر خصباً وأعظم ريعاً والجياد الكريمة كثيرة في سوبه والكتب بالاغريقية) .

ومازالت آثار مروى (أو مروي) تدخل الروعة والجلال على نفس المشاهد فهناك في موضع مروه القديمة بالقرب من قرية البجراوية وبين النيل وخط السكه الحديد عبر آثار معبد أمون الرائعة وهو بناء عظيم يدخل الروعة والجلال في النفس وآثاره تدل على أنه كان يوين بالكثير من النقوش والنحت الجميل وبعض عمده ومحرابه مازالت قائمة وبالقرب من المعبد بقايا القصور الملكية العظيمة وحمام السباحة الملكي الجميل تزينه التماثيل والصور وغيرها من النقوش والرسوم .

وكانت المياه تنقل للحمام التي كانت عبارة عن حوض واسع . من ساقيه اقيمت بجانبه وربما كانت السواقي الأولى في السودان فالساقية دخلت السودان لأول مرة على هذا العهد كما دخل أيضاً الجمل الذي استخدم في جر الساقيه بجانب البقر والحمام مبني على النمط الروماني .

٢ - الجنوبيون :

- الشعوب الصوماليه - الجالا - الدناكل (العفر)

تمهيد : يطلق بعضهم اصطلاح القرن الافريقي في بعض الاوقات على المنطقة التي تضم اثيوبيا والصومال وجيبوتي واريتيرية وربما شمل شمال شرق السودان ومنهم من يقتصر على اطلاقها على المنطقة الواقعة بين الهضبة الثيوبية الجنوبية والمحيط الهندي وخليج عدن وتضم قسماً من أثيوبيا وجمهورية الصومال وجيبوتي وارتيريه ، وتعود هذه التسمية إلى الرأس الرملي الطويل الذي يمتد بعيداً داخل المحيط الهندي فاصلاً إياه عن بحر العرب وخليج عدن وربما يصل طوله إلى ٣٠٠ كم واسمه الحقيق رأس (غاردفوي) وهو أبعد نقطة داخل البحر في السواحل الأفريقية ويفصل المحيط الهندي عن بحر العرب وينفصل القرن الأفريقي بمفهومه الثاني عن حدود الحبشة القديمة بالأخدود العظيم الذي يفصل الهضبة الأثيوبية وهناك تكهنات بأن القرن الأفريقي هذا سيشكل جزيرة في وقت ما في المستقبل وينفصل عن أفريقيا وذلك بسبب الظواهر الطبيعية المعبرة في منطقة جيبوتي وبخاصة في الاخدود العظيم حيث تبتعد الشقوق التي تخرج منها النيران ولا تزال عن بعضها بنسب قليلة حتى الآن ، وقد لعب موقعه الجغرافي دوراً هاماً في اتصالاته مع الخارج حيث تنفتح سواحله الطويلة على المحيط الهندي والبحر الأحمر مطلة على أهم طرق التجارة العالمية قديماً وحديثاً بخاصة بعد افتتاح قناة السويس . ومنذ القدم كانت الصومال تصدر المنتجات من السلع الاستوائية الغالية في العصور الوسطى وهي البخور واللبان وعود المر . والصمغ والعاج و الأفيال لقرونها والنمور لجلودها ثم الأفاعي الحية وجلودها . وكانت هذه السلع غالية الثمن تثير اهتمام الملوك والتجار والمغامرين وقد ساعدت الرياح الموسمية التي تهب من الجنوب إلى الشمال والعكس بالعكس على اتصال منتظم مع الشعوب البحرية الأخرى . ويحدثنا التاريخ عن التجارة

المزدهرة التي كانت بين سواحل القرن الافريقي وجنوب الجزيرة العربية وسواحل المحيط الهندي والقارة الهندية وكانت منتجات اللبان تصدر إلى مختلف أنحاء العالم وبخاصة إلى مصر لحرقها في هياكل الشمس وتمتد تلك الفترة إلى القرون من أكادين وبابليين وأشوريين منتجات الصومال .

وعلى القرن الأفريقي أطلق المصريون اسم بلاد البنت أو بلاد الآلة أو الأرض المقدسة ولاشك بسبب اللبان وهناك أقوال بأن الأصول الفرعونية الأولى كانت من الصومال وكانت الأسر المالكة تدعي ذلك لتكسب لنفسها النسب الالهي المقدس . وقد توالت الرحلات بين مصر والصومال ولكن أهمها هي التي تمت في عهد الملكة حتشبوت ١٤٩٠ ق. م لأنها تعتبر أكبر مرجع لمعرفة حياة الصوماليين ومنتجاتهم في ذلك الوقت والتي لا تختلف كثيراً عما هي عليه الآن . ولم تنقطع الصلات بين الصومال والشمال في عهد البطالة ولافي عهد الرومان وأكثر ماكان يستورد من افريقية في عهد البطالة هي الفيلة لاستخدامها في الحروب وعندما اكتشف الرومان عام (١٠٠ ق م) أسرار الرياح الموسمية التي كانت حكراً على العرب . سجل هذا الحدث في الواقع بداية النهاية للأحتكار العربي للسواحل والتجارة واغلاق الطرق البرية وقد وصف مؤلف البيربيولوس (الطواف حول البحر الأرتيري برد الصومال بأنها كانت مزدهرة بسبب الأتصالات التجارية معها (كانت التجارة مزدهرة مع أسواق بلاد البربر (الصومال) والتي يطلق عليها البلاد البعيدة وفي مكان سابق ذكرنا وصفه لمدينة عدوليس (زيلع) وتعتبر أقرب ثغر من ثغور ساحل الصومال إلى بلاد العرب ، ثم يصف بقية السواحل والموانئ وأكبرها سوق (غاردفوي) لكثرة مايحويه من البهارات وبعد ذلك يصف جافون (ويطلق على القرن الافريقي في بعض الأحيان رأس حافون من قبل العرب) ومقديشو (سرابيون) وينزل جنوباً حتى كيسمايو على خط الاستواء .

- الشعوب واللغات :

يتشكل سكان القرن الأفريقي من مجموعة الشعوب ذات الأصول الحامية التي تأثرت على مدى العصور بالهجرات السامية القديمة والحديثة وهذه المجموعات هي :

١ - المجموعة الصومالية : وهي التي تنتشر في جنوب وشرق أثيوبية وجميع جمهوريه الصومال من سواحل البحر الأحمر حتى المناطق المناطق الشمالية لكينا المعروفة باسم انفدي (منطقة الحدود الشمالية) N . F . D .

٢ - مجموعة الفالا وشعب ارومو وينتشرون في الهضبة الجنوبية وقرب العاصمة أديس أبابا.

٣ - الدناكل أو العفر (وينتشرون في ارتيريه والمناطق الشرقية الوسطى لاثيوبية وفي جمهورية جيبوتي .

٤ - الهريريون : وقد جاء ذكرهم مع الشعوب السامية في اثيوبية.

وتتكلم شعوب القرن الافريقي لغات ولهجات متعددة موحدة الأصول وتعتبر اللغة العربية /لنقوا فرانكا / بين هذه الشعوب وأهم هذه اللغات المستعملة حالياً هي :

١ - لغة (لهجة) واريا وهي اللغة الصومالية التي كتبت مؤخراً بالأحرف اللاتينية ويتعارف الصوماليون فيما بينهم بكلمة واريا والتي تعني تجاوزا كلمة صومالي .

٢ - لهجة (أبو) ويتكلم بها الهريريون والغالا وهي متشعبة كثيراً ويقال للغالا في المنطقة /صومال أبو/ .

٣ - لهجة (إيكا) وهي اللغة الدنكلية ويتكلم بها السكان من الأصل الدنكلي .

- الأديان : يدين سكان القرن الافريقي بالدين الاسلامي تقريباً عدا قسم من شعب الغالا ، والصوماليون والدناكلة كلهم مسلمون

ويعتبر الدين لدى الشعب الصومالي أحد أركان القومية الصومالية والتي هي الدين الاسلامي واللغة الصومالية والعيش في الصومال وكذلك شعب الدناكل ويفتخر الصوماليون بأنهم اسلموا جميعهم قبل أن يسلم جميع العرب في العهود الاسلامية الأولى وتنتشر بينهم الطرق الصوفية وهم يتبعون المذهب الشافعي .

– الحركات والهجرات الاستيطانية : ذكرنا في مكان سابق الأرتباط الوثيق بين الشعوب الصومالية(أو الشعب الصومالي) والمصريون الأوائل وقبائل البجه السودانية والغالا (ارومو) والدناكل وأنها جميعها تنحدر من المجموعة الحامية الشرقية التي قدمت افريقيا من آسيا عن طريق باب المندب والجزيرة العربية في أزمان بعيدة من التاريخ .

وفي القرون الأولى للميلاد وفدت الجماعات الحامية من الجالا (أو الغالا Galla) إلى القرن الافريقي ونظراً لقوتها وشدة بأسها . فقد استطاعت أن تبعد سكانها القدماء ويعتقد أنهم كانوا من البانتو وتدفعهم إلى الجنوب وتحتل القرن الافريقي ولايزال بقايا هؤلاء البانتو تقطن على ضفاف نهري شبيللي وجوباويشكلون جزءاً من الشعب الصومالي الحالي. وفي فترة التطاحن هذه ظهرت موجات حامية أخرى جديدة وهم الذين يطلق عليهم الصوماليون الأوائل ولايعرف فيما إذا كانت هذه العناصر ، قد جاءت عن طريق باب المندب أو عن طريق يرزخ السويس والمعروف أن طلائعهم وصلت المنطقة الشمالية للقرن الأفريقي . في القرون الأولى أيضاً حيث استقرت جماعاتهم في منطقة مايعرف حالياً بجيبوتي والمناطق المطلة على خليج عدن . وكانت في حركة دائمة تتبع قطعانها الكبيرة من الماشية والبقر والجمال طلباً للكلأ وأخذت تمتد شيئاً فشيئاً حتى القرن الحادي عشر ، حيث وصلوا إلى أعالي نهر شبيلي غرباً والى ساحل عدن شرقاً بما فيها المنطقة المعروفة حالياً باسم اوغادين حيث كانت تتجمع فيها القبائل الصومالية الرئيسية . ولكن جدب الأرض

بعض السنين وازدياد عددهم جعلهم يندفعون جنوباً إلى المناطق الخصبة بين النهرين المذكورين سابقاً دافعين أمامهم الغالا نحو الجنوب الغربي والبانتو نحو الجنوب . ومنذ القرن السابع عشر بدأت حركة توسع صومالية رافقت انتشار الدين الاسلامي مع وصول قبائل عربية كبيرة من جنوب الجزيرة العربية وزاد في التوسع غزو الامام أحمد (جرين) أمير عدن في شمال الصومال الحبشي حيث تحمس الصوماليون لنشر الدين الاسلامي . فاندفعوا نحو الجنوب مكتسحين الغالا أمامهم وحدثت معارك بين الطرفين وقد وقفت المعركة الحاسمة في مدينة جالكعيو / والتي معناها باللغة الصومالية هزيمة الغالا ثم أجلوهم عن وديان شيللي وجوبا ودفعوا بهم حتى نهر تانا في كينيا . ولم يتمكنوا من التقدم جنوباً بسبب مقاومة الكيكيو والماساي وغيرهم قام الجالا (أو الفالا) بحركة التفاف واسعة أو بالاحرى استدارة على شكل قوس كبير عائدين باتجاه المرتفعات الحبشية في الوقت الذي كانت جيوش الامام أحمد جرين تندفع داخل اثيوبية فاندفعوا وراء هذه القوات حتى وصلوا جنوب شرق الحبشة وبالرغم من هزيمة الامام أحمد ووفاته إلا أن الغالا ظلوا تقريباً في أماكنهم التي فتحوها حيث استقروا في منطقة عروسي وبوارانا وآنو وغيرها من الهضبة الجنوبية ثم اعتنق القسم الأكبر منهم الاسلام ولم تتوقف حركة التوسع الصومالية وكان آخر اندفاع هو ما قامت به قبائل مجرتينا الشمالية التي اتجهت جنوباً إلى نهر جوبا وعبرت النهر بين عامي ١٨٤٢ - ١٨٤٨م خلال هذه الفترة الطويلة حدث اختلاط كبير في الجنوب وبخاصة بين الغالا والصومال والبانتو وفي الشمال بين العناصر العربية المهاجرة من جنوب الجزيرة العربية التي لم تكن على شكل موجات بل كانت في تلك الفترة على شكل أفراد وجماعات إما للتجارة أو هرباً من قضايا سياسية أو مذهبية في بلادهم وعادة كان هؤلاء لايصطحبون نساءهم معهم لذلك كانوا يعملون على الزواج من بنات علية القوم من زعماء وكبار

ملاك الماشية . كما كانوا يحاولقن ربط أنسابهم بسلالة الرسول الأعظم وبالادعاء أنهم من الأشراف ليتمكنوا من الزواج . وقد استطاع كثير من هؤلاء تأسيس سلطنات عدة وبخاصة على طول الساحل والتي عرفت باسم سلطنات الطراز الإسلامي . وقد أثر الاختلاط كثيراً في خصائص الصوماليين العرقية وفي طباعهم وحضارتهم ولغتهم بدرجة متفاوتة من الشمال إلى الجنوب . وكان الصوماليون ولا يزالون يفتخرون بإنتسابهم إلى الأجداد القادمين من الجزيرة العربية إلا أنهم فخورون كثيراً بقوميتهم واستقلاليتهم .

– الشعب الصومالي تضاربت الأقوال حول المعنى الحقيقي لكلمة الصومال . ومن أين أتت والصوماليون المتعاطفون مع العرب يقولون بأن أصل كلمة الصومال ترجع إلى أحد أشراف العرب الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية والتجأ إلى ساحل الصومال . ويستندون على ذلك بالرواية العربية التي وردت في مخطوطة قديمة بعنوان (هجرة الجزيرة في فجر الإسلام وضحاه) من تأليف مؤرخ يمني يدعى محمد النجدي . ومفادها أن الاسم الحقيقي للصومال أتى من اسم (عثمان بن محمد بن حنبل بن المهدي بن أحمد بن محمد بن عقيل بن أبي طالب) وتفسر هذه الرسالة أنه سمي الصومال لأنه كان يقطن وادي الصومال الواقع شمال مدينة صنعاء ، وتمضي الرواية فتقول بأن عثمان بن محمد هاجر إلى افريقيا في القرن الثالث الهجري ليلحق بوالده الذي كان قد سبقه إلى الهجرة وأنه استقر هناك وتزوج فتاة حامية ، أنجبت منه تسع أولاد ، ومن هؤلاء ظهرت القبائل الصومالية .

ويقولون آخرون أن كلمة صومال مركبة من كلمتين /سو/ ومعناها اذهب ومال أي احلب فيكون معناها اذهب واحلب . وفي المنجد تصومل الرجل جف جلده من الجوع لذلك يمكن أن تطلق على الصومال كلمة صومال لأنه نحيف الجسم طويل القامة أي كالرجل

الجائع. وهناك كثير من الآراء لا مجال لذكرها أما القرابة بين الصومال والعرب فقد حددتها نشرة صادرة عن وزارة الاعلام الصومالية عام ١٩٦٠ (لعل البنية الصومالية رغم أنها أطول من البنية العربية ولونها أقرب إلى السواد . فإن تركيبها الفيزيائي يحمل الطابع الثابت لاحتكاك طويل بين الصوماليين والعرب . وليس من الممكن على أي حال أن يجزم ما إذا كان ينبغي اعتبارهم جزءاً من الجالا الحاميين الشرقيين الذين استعربوا بكثير من العمق والذين احتكوا بهم تاريخياً ولغوياً إلى حد كبير. وعلى أية حال ومهما كان منشؤهم أو منحدرهم الأصلي فهم اليوم يحملون الطابع العربي النبيل . وبذات الوقت فخورين جداً بكونهم صوماليين ولعل قولهم أنهم من أصل عربي سواء كان صحيحاً أو غير صحيح انما مرده إلى ارتباط الصوماليين العاطفي الوثيق بالإسلام).

كان السكان يعرفون قديماً باسم /ترباري/ وأول من أطلق عليهم هذا الاسم المؤرخون اليونان والرومان في العصور القديمة . وقد نقل المؤرخون العرب في العصور الوسطى هذه التسمية وتحولت بعد ذلك إلى كلمة بربر وأصبحت بلاد الصومال بلاد البربر أو بر البربر . ومن هنا جاءت كلمة بربره الميناء الصومالي في الشمال .

كما أطلق العرب على مناطق افريقيا الشرقية اسم بلاد الزنج : ومنها أتت كلمة زنجبار أي بر الزنج .

واول ذكر لكلمة الصومال في أنشودة حبشية تخلد انتصارات النجاشي اسحق عام ١٤١٥ - ١٤٢١ على امارة افات الواقعة في شمال الصومال ثم ترددت كثيراً في كتابه الحبشة ١٥٤٠ وهو الكتاب الذي يروي قصة الصراع بين الامام أحمد / جرين / امير عدل والأحباش .

- الصفات الفيزيائية : بالرغم من الاختلاط القديم بين الصومال والشعوب الحامية الأخرى إلا أن للصومالي صفاته الخاصة الفيزيائية التي يتصف بها وإن كانت تقل أو تظهر حسب المناطق من الشمال إلى

الجنوب . ومن الساحل إلى الداخل . والصفة البارزة لدى الصومالي وحتى الصومالية طول القامة ومتوسط الطول ١٧٠ سم مع جسم نحيف وخضر رفيع وصدر ضيق ورقبة طويلة وأطراف طويلة أيضاً لا أثر للعضلات فيما مع أصابع طويلة . ولا أثر للشعر في جسمه مع أقدام طويلة , وهو مستطيل الوجه وضيق الفك غير بارز وشفاه ممتلئة نوعاً ما ولكن غير مقلوبة ، والذقن رفيعة وكثيراً ما يكون بارز الفك أيضاً بشكل ظاهر ونجاحه في المناطق الجنوبية . ولكنها تقل في المناطق الشمالية حيث تقترب صفاتها من الصفات العربية البدوية الطويلة والمدورة النحيلة وخلو الجسم من العضلات بما فيها الأرجل .

ويتدرج لون الصومالي ... حسب تدرجه من الشمال إلى الجنوب من البني الفاتح إلى الداكن ثم الأسود الفاحم وشعر الرأس خفيف ويتدرج بين الأجعد والمفتل والمرسل والأخير قليل . وعلى العموم فالصومالي جميل الصورة وتقاطعوا الوجه وتتصف الفتاة الصومالي بنفس صفات الرجل من ناحيةلا الطول ونحافة الجسم والشعر واللون وبروز الذقن وبخاصة في المناطق الجنوبية التي تتغلب عليها الصفات الفيزيائية الزنجية البانتوية واما الشمالية فتتغلب عليها الصفات الحامية والعربية ونجاحه العيون السوداء الجميلة . ويلبس النساء والرجال حالياً الأردية الأوربية . وكانوا لا يزالون في الجنوب والشمال يلبسون الغوطه التي حملها اليهم العرب من اندونيسيا وهو نفس لباس سكان اليمن بخاصة حضرموت ، أما الفتاة الشمالية فلها كساء طويل (روب) يسير مع جسمها وتغطي رأسها بمنديل أبيض وتظل وجهها ظاهراً ، وفي الجنوب ونجاحه مقديشو فهناك كساء تقليدياً خاصاً (روب) للنساء تلفه الفتاة على جسمها وتربطه فوق كتفها الواحد والباقي يظل عارياً ولكن تضع على كتفها ورأسها منديلاً يغطي رأسها وكتفها . ويكون / الروب / من القطن وليصنع محلياً ويقسم الصوماليون على العموم إلى

قسمين رئيسين هما :

أولاً : الصوماليون الأقحام ويضمون فروع الهوية ـــ غادا – بورسي ـ داروت ـ الدير

ثانياً : السب وهم قسمين الديقل والرحوين وينظر الصوماليون عادة لهؤلاء نظرة احتقار وترفع بسبب انهم يعملون في الأعمال الوضيعة المختلفة كالكناسة ونقل المياه والأوساخ وتنظيف المجاري أو العمل كخدم . كما يتهمهم الصوماليون بأكل الجيف الميتة وهم يأكلون عادة الرأس والحوافز والأحشاء في الماشية وهي أشياء لا يأكلها الصومالي ويعتبرها بخسة و لا يسمح للسب بامتلاك الماشية والبقر والجمال ويسمح لهم فقط بامتلاك الغنم والحمير ولا يتزاوجون مع الصوماليين .

ـ الجالاً Galla يطلقون على أنفسهم / علم أوراما / وغالباً ما يعرفون أيضاً باسم / أورومو / ويعترض بعض الصوماليين على هذه التسمية التي تبعد هذا الشعب عن الصومال / صومال وريا / واورومو هو اسم لشخص عاش في القرون الوسطى (حسب الأسطورة) في مكان ما من القرن الافريقي وبقاء سلالته بين الصوماليين الحاليين ليس محل نزاع ويقول ابراهيم عبد ا لله محمد في كتابه الهزيمة الثالثة (وكان من ضمن جيش سعد الذين الأول ملك هرر عدد من الصومال الغربي والعفر الدناكل والجالاً . والجالية نسبة للغالاً ، ولا تغني عنصراً معيناً وكلمة جمالاً باللغة الصومالية تعني الأبل وبمرور الزمن أصبحت تعني (البدوي) صاحب الأبل البعيد عن الاسلام ثم أطلقت علي الذين رفضوا بالدخول بالدين الاسلامي سواء كانوا سوداً أو بيضاً . وعلى هذا الأساس يطلق الحاليون على الفرد غير المؤمن وأسود / جالاً سيدامو / أي كافر صومالي والصوماليين بدورهم يقولون عن غير المسلم / جال أو جالو / وهناك شبه كبير بين الجالاً والصوماليين من الناحية الفيزيائية الا أن الغالا (الجالاً) يتمتعون ببينة، (أقوى ويتكلمون لغة اوورومو المعروفة

باسم افان اورومو وقد ذكرناها في مجال سابق ويعتبر الجالاً من أكبر شعوب اثيوبية وربما أكبر من كل الشعوب التي تعيش في شمال افريقيا وكما ذكرناها سابقاً فعددهم يصل إلى أكثر من عشرة ملايين نسمة حسب إحصاء (٨٢)

وقد ظهر الجالاً في القرن السادس عشر خلال اجتياح الامام احمد (جرين) لأثيوبية . وتوزعوا في مختلف انحائها وبخاصة في المناطق الجنوبية ووصلوا شمالاً حتى (الوالو) والتيجري بالقرب من ارتيريا وهناك بعض المستوطنات الجالية على نهر تانا في كينيا ولم يكن هذا الانتشار الجالي أو الغزو الجالي في الواقع ـ عشوائياً بل كان غزواً منظماً وقد تم على ثلاثة مراحل : الأولى قبل هجوم الامام أحمد . والثانية قادها الأمام أحمد بنفسه. والثالثة بقيادة الجاليين أنفسهم وكانوا أعضاء وقادة بارزين في جيش الامام قبل الهجوم الجالي تم توحيد كل الفرق والقبائل وتم تشكيل اتحاد فدرالي لجماعتين من أقوى القبائل وأبرزها وهما /ولو/ و /باجو/ وبعد توحيد كل الفصائل والقبائل الجالية وتعيين الهدف استطاع الزاحفون السيطرة على عرش الأمهرة قرابة قرن كامل (١٧٥٦ – ١٨٥٢م) . ولم يستطع الأمهرة وقف تقدمهم . وعندما وصلت القبائل الجالية مثل ماشا وتولما إلى المنطقة الوسطى الغنية تركوا حياتهم الرعوية وأصبحوا مزارعين مقيمين وظل غيرهم مثل العروسي والجارجي وبسبب مناطقهم غير الملائمة يربون الماشية ويزرعون الأرض ، قسم منهم أصبح مسيحياً وأتخذوا حياة الأمهرة . وثقافتهم وقسم منهم أعتنق الإسلام عد أنهم من غير الضروري أن يكونوا في مناطق أخرى قد اقتسبوا ثقافة الأمهرة .

إن قصور الديانة المسيحية عن مقاومة هؤلاء الغزاة (الذين رغم ذلك استقروا في وقت متأخر نهائياً كأعضاء ومواطنين من الامبراطورية الأثيوبية) يُظهر أن الامتداد الجالي جاء بعد ضعف الأحباش بسبب

الحروب المتواصلة في المرحلة التي تم فيها تطويقهم من قبل مسلمي سدامو والسلطنات الكوشية الأخرى ولاشك أن للإنتشار الجالي الواسع هو الآخر نتائجه وأهمها أن هذا الانتشار الكبير قد استنفذ قوة الجالا ثانياً استيطانهم في مساحات متفرقة موزعة بين أعراق أخرى مما أدى إلى احتوائهم وامتصاصهم من قبل السكان المحليين بعد التزواج والاختلاط العرقي والثقافي والاجتماعي وهو الذي سهل للأمهرة الموحدين دينياً وعرقياً بالتحكم بهم رغم عددهم الكبير .

– الصفات الفيزيائية : تختلف ألوان القبائل الجالية عن بعضها حسب المنطقة فبعض البورانا وهم من أكير القبائل الجالية يكونون أكثر بياضاً وقريبون إلى البنى والمواللاجا والأيتو أكثر سواداً . ويوصف الجالا أن لديهم الأجسام الجميلة الملفتة للنظر من الناحية الفيزيائية وهم طوال القامة (١٨٨سم) ودليل الرأس ٧٦ مع جبهة عالية وعريضة وتقاطيع منتظمة . وقد اشتهر الجالا بأنهم يشكلون وحدات الفرسان المشهورة في الجيش الأثيوبي القديم ويلبس الجالا عادة سترة طويلة أو النوطة وكذلك الثوب العربي ويسمى بالثوب (توب) من القطن الشيت ويضعون بعض الأحيان على أكتافهم جلد الغنم أو الفهد وبعض النساء تمزج اللباس القطني مع الجلود ويحمل الواحد منهم في الحرب حربتين طويلتين وخفيفتين ورمح ثقيل مع ترس مدور صغير وهناك اعتقاد بأن الجالا الذين دخلوا كينيا واندفعوا جنوباً هم أصل قبائل الواتوسي في رواندا وبروندي .

– العفر (الدناكل) AFAR : ويعيشون في الشمال الغربي من أثيوبيا حيث المنحدرات الشرقية للهضبة الأثيوبية والتي تعرف حالياً بجمهورية جيبوتي وكان يطلق عليها سابقاً ساحل الصومال الفرنسي (عفرو عيسى) . وعيسى هم القبائل الصومالية التي تعيش في جمهورية جيبوتي وتشكل نصف سكانها تقريباً . ويعتقد أن العفر هم أول من

قطن في اثيوبيا حيث كانوا يعيشون رحلاً ورعاة ثم هبطوا من المرتفعات الجنوبية - الشرقية لأثيوبيا واتجهوا نحو الصحراء الحجرية المعروفة باسم صحراء الدناكل وقد استخدم اسم الدناكل أو العفر لتفريقهم عن الشعوب حولهم ومنذ القرون الوسطى ظل الساحل الارتيري جنوب مصوع تحت سلطة الدناكل حتى الآن . والدناكل هم أحد العناصر الأساسية للتكوين السكاني لشعب ارتيرية وقد أقاموا في العصور الوسطى عدة سلطنات من أشهرها سلطنة عدل . وبلاد الدناكل مقسمة بين ارتيرية (محافظة دنكاليا) وأثيوبيا (اقليم اوسا) وجمهورية جيبوتي والواقع أن هناك وحدة بين العناصر التي تؤلف المنطقة من الناحية البشرية والعرقية أي بين العناصر الثلاثة الصومال الغربي وأبو (جالا) وعفر وقد أتت هذه الوحدة من التاريخ وبدأت عندما استطاع الأمام أحمد بن ابراهيم (جرين) انشاء امبراطورية اسلامية من هذه العناصر ووجههم لقتال الأحباش وعندما اشتد الحصار على هرر العاصمة عام ١٦٤٧ نقلت العاصمة إلى اوسا في صحراء الدناكل .

ونظراً لأهمية الموقع الجغرافي الذي تحتله بلاد الدناكل المطلة على مضيق باب المندب لذلك كانت لهم سيطرة كبيرة على الحركة التجارية من والى أقاليم الحبشة الوسطى والشمالية والشرقية وعن طريقهم كانت منذ القرون الوسطى تنقل إلى تلك المناطق كل ما يردهم من الهند ومصر وفارس ، من سيوف ونحاس وأقمشة كما كانوا يقدمون للمناطق الداخلية العليا الملح المستخرج من البحيرات المالحة الموجودة في بلادهم مثل بحيرة العسل وغيرها وكانوا يقايضون الملح بمنتجات الحبشة من حبوب وعسل طبيعي وزبدة ، وتمر حالياً سكة حديد جيبوتي - اديس ابابا من بلادهم والمعروف عن الدناكل أنهم شديدو المراس لا يخضعون لغريب . وقد لقيت معظم البعثات التبشيرية الأجنبية التي وطئت بلادهم القتل والتشريد كما عرف عن الدناكل قوة التحمل ومشقة الأسفار

البرية والبحرية كما عرفوا بالمهارة بقيادة القوافل الصحرواية وهم كجيرانهم عرب الجنوب عملوا بالسفن والبحر وعملوا أيضاً باستخراج اللآلئ منذ عهود بعيدة وجمع أصداف البحر وصيد الحيتان من البحر الأحمر وخليج عدن .

والدنكلي كأقربائه الصوماليين نحيف القامة طويلها وسطياً ١٦٠ سم مع ملامح سامية جميلة ولونهم أسود مثل أي زنجي وشعر خشن أجعد ولكن غير ملفوف وشقه ممتلئة .

– التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي : يطبق النسب الأبوي بدقة لدى الشعوب الثلاثة المذكورة ومجموعات القرابة المتناسقة عن طريق النسب الأبوي وعن طريق الفخذ أو الجماعة تساعد على تجميع المجموعات . وينطبق ذلك على مجموعات المزارعين المستوطنين مثل الجالا الشماليين والذين يعيشون في الوسط . ومن المحتمل أن تحتوي المجموعة الكبرى على عدد من المجموعات الصغيرة المنفصلة والتي كل منها تنسب لجد واحد ولكن مختلف عن جد الجماعة الأخرى وعدد من هذه المجموعات يمكن أن يشكل مملكة . ويعمل الجميع تقريباً بتربية الثروة الحيوانية وبخاصة الأبقار والجمال وقسم من الجالا مزارعون وقسم لا يزالون رعاة وإن كانوا أقل من المزارعين وتصل الحياة الرعوية لدى الصوماليين إلى ٨٠٪ من السكان وكذلك الدناكل . وهذا ما يجعلهم ينتقلون من مكان إلى آخر وراء قطعانهم طلباً للكلأ والماء وربما إلى أكثر من ألف كيلو متر بعيداً عن منازلهم الأصلية ولذلك كانت مساكنهم خفيفة الحمل وقواعد المنزل الخشبية المحنية على شكل نصف دائرة وتغطى هذه القواعد بالجلود أو القماش القطني القوي والأعشاب أما أكواخ المزارعين فتكون عادة من الطين على هيئة مربع برأس مخروطي من الأعشاب ولدى الجالا الأكواخ ذات الجدران الحجرية غير المشذبة . وعلى العموم فقد تطور السكن في تلك المناطق بشكل جذري وكان

الايطاليون يمنعون سكان البادية أو الغابات من النزول إلى المدن وهم الذين يطلق عليهم الزنكل في الصومال وربما جاءت من كلمة جنفل Jangl أي الغاية لذلك تدفقت على أطراف المدن موجات كبيرة من السكان وأخذت تظهر حول المدن تجمعات قبلية تسكن أكواخ الصفيح ثم تغير الكوخ شيئاً فشيئاً ليصبح بناء من الطين أو الحجر ولم يكن لدى الصوماليين المدن الداخلية الكبيرة بل هي تجمعات سكانية من الأكواخ وعلى السواحل ظهرت فقط المدن المبنية من الحجر وهي عبارة عن موانئ بحرية كانت تجمع مختلف أنواع السكان .

ويكتفي الجالا عادة بزوجة واحدة عدا قبائل البورانا التي هي والعفر والصومال لديهم تعدد الزوجات حسب الشريعة الإسلامية وهناك عادة مهر للعروس يدفعه العريس وأكثر ما يكون من الأبقار أو الجمال والماشية ويرث شقيق الزوج عادة أرملة شقيقه وعدم الثقة بين النساء بعد الزواج نادراً جداً . وشرعاً يمكن ابعاد الزوجة خارج نطاق الأمومة . وتنتشر أيضاً بين الشعوب الثلاثة عادة الأختتان للفتيات والفتيان واختتان الفتيات هنا كما هو الحال لدى الصومال يختلف عن الختان المصري الذي يستأصل البزر في حين يغلق الفرج هنا كاملاً ويترك فقط مكان لخروج البول والفتاة بعمر ثلاثة إلى أربعة أيام مما يستدعي عند الزواج إجراء عملية فتح جديدة للفرج .

إن امتداد وتطور العشيرة أو الفخذ والقرابة يعود بشكل كبير إلى مقاييس الوحدات القبلية التي تضخم فلدى الجالا يتشكلون على الأقل من ثمانية قبائل رئيسية موجودة اعتباراً من أكثرها توطناً واستقراراً إلى أكثرها حياة رعوية وهي الفايدي وبورانا في الجنوب ، أما أقوى القبائل الزراعية الملحوظة فهي التي تقع تحت النفوذ الأمهري وهي التولما - الماتشا حول اديس ابابا وقرابة النسب ما هي إلا مساعد رئيسي للتجمع إما الشيء المهم أو بالأحرى الأكثر أهمية لدى الجالا . فهو الزمالة بين

الأفراد عن طريق الجمعيات التي تستند على طبقات الأعمار (طبقة الجيل الواحد) وتدخل ضمن النظم المعروف باسم نظام الغادا Gada وكل أعضاء الجالا يشكلون نوعاً من الأخوة الوثيقة وأعضاء احدى الأخويات يتحركون خلال مختلف نواحي الحياة وكل المواضيع مفتوحة لهم وطبقات الأجيال)الأعمار) تأخذ وضعاً شرعياً للمحاربين الاحداث وتنقل الشرعية فيما بعد لدى الكبار المتزوجين وكل طبقة لها رتبة أو درجة في مرحلة تمتد تقريباً ٨ أعوام وكل جيل عرضياً يزيد عدد الحكام والقضاة في حكم القبيلة ثم يتقاعد ليترك لغيره العمل والواقع أن نظام الغادا هو نظام سياسي خاص وقد أوضح المؤرخ ايكرول Ecculc في كتابه الأدب الشعبي لأرومو جالا جنوب الحبشة طبيعة هذه المنظمة المشهورة (إن لأروموجالا منظمة سياسية خاصة تدعي /غادا/ لها رئيس مسؤول يدعى /أبابو كو/ أي مالك أو أب الصولجان ويساعده مجلس استشاري معظم أعضائه كانوا مسؤولين سابقاً وزعماء وكبار السن ومجربون وينتخبون من قبل الجمعية وهناك حكام آخرون وهم الموسي Mosi مهمتهم تنفيذ القرارات وكان ابادولا (ابا الحرب) يعين في منصبه دورياً وتعتبر الموسوعة البريطانية أن ابا بوكو وابا دولا هما الهان ويبدو أن تسميتهم هذه كانت قبل الإسلام ويقسم الشعب إلى مجموعات الغادا وينتظم بشكل مزدوج فكل رجل يدخل مجموعتين يمران خلال خمس مراحل متتابعة وكل مرحلة تكون من ثمانية أعوام ورجال اتلمرحلة الرابعة سيكونون مسؤولين عن الحكم في البلاد وابابوكو ينتخب من هذه المجموعة ويقدس الشعب نظام الجادا هذه . وعلى العموم فشكل الحكم هو ديمقراطي جمهوري وكل طبقة (جيل واحد) تنتخب زعماؤها بنفسها وعدا البورانا الرحل فالجالا مزارعون لكن البقر بالنسبة اليهم يبقى مصدر ثروتهم وعند وصول العدد إلى ألف بقرة تقام احتفالات خاصة لهذه المناسبة .

إن منظمات مجالس الاعمار لها معان كثيرة رئيسية في التنظيمات المحلية لدى شعوب سيداموا أيضاً ولاشك أن تغيرات عميقة حدثت للأنظمة السياسية لدى الجالا بسبب التوسع الحالي نحو الشمال وهناك كثير من القبائل غيّرت أماكن استيطانها وغيرت اقتصادها كما حدث تغيير من الناحية السياسية بين الذين تأثروا بالنفوذ الأمهري والذين اعتنقوا الديانة الاسلامية والديانة المسيحية .

والقرابة والنسب هم الغالبان لدى المجتمعات الصومالية والدنكلية فالمجتمع في أساسه يقوم على النظام القبلي المتوارث من مئات السنين وعن هيمنة كاملة على الحياة الاجتماعية في الصومال وتمتلك الأمة الصومالية نسباً واحداً وأي منهم يستطيع أن يذكر (٣٠) جيلاً من الجد الأسطوري (سامال) لذلك يعتبر الشعب الصومالي موحد الجنس واللغة والدين ولافرق بين الذين يعيشون في الغابة أو السهوب أو الجبال وبين الزنكل وسكان المدن مع قليل من المزارعين وغذاء السكان الحليب واللحم المقدد وهم لايأكلون اللحم الا في المناسبات النادرة فالحيوانات للحليب والبيع والأغنام الصومالية لاصوف لها وجلودها مرغوبة جداً وبخاصة المعروفة باسم /الرأس الأسود/ التي تعيش في الشمال ويبادل أصحاب الأبقار الحليب وذكور الحيوانات بالأرز والشاي والسكر وبسبب الحياة الرعوية فلاينظر الصومالي إلى ماوراء قبيلته التي تحمي مواشيه ومراعيه ولايعتبر أي صلة تنشأ بين قبيلتين أو عشيرتين إلا أن تكون على أساس رابطة القرابة أو النسب حتى الصلات التي تنشأ بين القبائل تحكم المصالح الاقتصادية المشتركة أو الجوار فانهم يفسرونها بالأنساب وأفراد القبيلة عادة مترابطون داخل وخارج القبيلة وعندما يجد الصومالي نفسه بدون مورد في بلد ماغريبة يفتش في بادئ الأمر على أحد أفراد قبيلته أو يجد لنفسه أحد القربى وكثيراً ماتكون القرابة أو الرابطة بعيدة جداً ومع ذلك يقبل استضافة قريبه ويتقاسم معه لقمة العيش وعلى العموم

فالطبقية معدومة بالصومال . والتحالف وتوقيع الاتفاقيات بين مجموعات النسب الأبوي الواحد النظام السياسي التقليدي لدى الصوماليين وعلى كل حال فهذه الاتفاقيات والتحالفات تؤدي بالنتيجة إلى ظهور الوحدات السياسية الشرعية التي تضم عدة آلاف من السكان الرجال وأقربائهم وأحفادهم وهم مستعدون لقبول كافة الالتزامات التي تفرض عليهم . وقبول التنسيق بين الاطراف المتعاهدة وضمن هذه الاتفاقيات فإن هناك تعاوناً بين الأطراف في حالات طارئة مثل الوفاة القصاص حيث يتعاون الجميع على نوع الدية الواجب دفعها في حالة القتل وهكذا فإن النسب عند الرعاة لايمكن أن يطبق على كل محله أو مكان استقرار ولكن مع ذلك هناك حاجة بالنسبة اليهم في ايجاد مكان استقرار يتحملون فيه مسؤولية الدفاع والهجوم وضمن تعريف الطبقية ودرجة الوراثة ، في نظام الحكم يقف الجمهوريون الصوماليون والجالا والأمهرة والتيجري في الجهة الأخرى ويقف العفر (الدناكل) وسيداموا بين هاتين المجموعتين والقرار لدى مربي الماشية من الصومالين الشماليين هو في الواقع بيد مجموعة من كبار السن – ويشترك القرار كل الرجال الموجودين على أساس وأمرهم شورى بينهم . وقد ظهرت لدى بعض القبائل الصومالية عائلات كانت تقبض على ناصية الحكم أو مايعرف باسم نظام السلطنات . وهو نظام مركزي إلا أنه لم يكن دائم الحدوث ويقابل هذه الأنظمة لدى الجالا نظام الجادا وإن كان لايشبهه الا من نواحي قليلة جداً . أما لدى الصوماليين الجنوبيين وهم المختلطون كثيراً بالبانتو فهم يختلفون عن جماعتهم أو أقربائهم الشماليين بأنهم مستقرون رزاعيون في الأرض الواقعة بين نهري شبيللي وجوبا حيث توجد أجمل مزارع الموز والكريفون وغيرها . وربما تكون تلك المناطق من أخصب بقاع القرن الافريقي فنهر شبيللي القادم من الهضبة الحبشية مندفعاً نحو البحر بشكل عمودي لايلبث أن يستدير جنوباً قبل الشاطئ بستة عشر

كيلو متزاً ويسير باتجاه نهر جوبا وعلى طول الساحل مسافة ٣٠٠ كم حتى يتبعثر قبل لقائه بنهر جوبا بقليل . ويلتقيان في حالة الفيضانات ولدى هؤلاء المستقرين نوع من النظام المتطور أكثر من أقربائهم الشماليين والوحدة السياسية تنطبق على الوحدة الجغرافية (الأرض) وكل هذه الوحدات تكون ممثلة برمتها لدى كبار السن في القرية ويعودون بالتالي للزعيم القبلي الذي يطلق عليه في السابق (الرير) أو الرئيس وفي وخلال الاستعمار الايطالي كان يطلق عليه (كابوا قبيله). فقد أخذت كلمة كابو (رئيس) من اللغة الايطالية . والذين كانوا رأس الحكم قبل وصول الايطاليين كانوا يستوردون العبيد من السواحيليين أو من مجموعات البانتو الذين كانوا لديهم وكان هؤلاء يعملون في مزارع النبلاء وعليه القوم .

ورغم أن الصوماليين النبلاء أو الذين ولدوا أحراراً منظمون من ناحية التسلسل والوراثة في النسب اكثر من رعاة الجمل ومع ذلك فقرارهم كان دائماً ضعيفاً ومرناً وهو يختلف من ناحية الأسلوب والقوة عن أغلب ممالك البانتو المركزية القوية ولاشك أن الديمقراطية المتأصلة لدى الصوماليين تصل في أكثر الأحيان إلى الفوضى وهذا سر تفككهم مقابل الأمهرة الذين يخضعون لسلطة واحدة هي سلطة الأمبراطور .

ونادراً ماكانت السلطنات الصومالية أكثر من زعامات . ولم تشكل في أي وقت من الأوقات مؤسسات سياسية قوية ودائمة على الغالب كان هؤلاء السلاطين أقل أهمية من رجال الدين ومن أشهر السلطنات الصومالية المعروفة هي سلطنة مقديشو التي تعني باللغة الفارسية مقعد الشاة ويطلق سكان مقديشو حالياً على بلدهم (حمر) وهو الاسم الذي كان يطلقه العرب الأوائل على المدينة . ومقديشو مدينة قديمة ويقول الصوماليون أنها أقدم مدن العالم . وقد ذكرها مختلف المؤرخين والرحالة العرب . ويقول المسعودي أن أول من أنشأ المدينة

الحالية هي قبيلة الحارث العربية التي كانت تقطن البحرين . كما ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان . وزارها الرحالة العرب المسعودي حوالي ٩٠٠ م والأدريسي (١٠٩٩) وابن بطوطة (١٣٠٤م) وكانت مقديشو تحكم من قبل مجموعة من التجار وهم الذين يديرون حياتها ويستقبلون المراكب التي كانت تؤمها بكثرة وقد حاول البرتغاليون احتلالها إلا أنها استعصت عليهم .

و إذا كانت قاعدة الشعب الصومالي قد انتشرت في بادئ الأمر داخل القرن الافريقي إلى حد ما للجنوب فإن أول وأهم الزعامات القيادية الصومالية وهي التي وصلت عن طريق البحر الأحمر قادمة من الجزيرة اعربية في القرنين العاشر والثاني عشر ومنذ ذلك الوقت ابتدأ الدير والداروث والعيسى بالضغط على الجالا في الجنوب وفي منتصف القرن السادس عشر سيطر هؤلاء على معظم البلاد الصومالية الشمالية ومنطقة الأوغادين ومنذ أن أصبحو مسلمين أخذوا يقودون النضال الاسلامي ضد الامبراطورية الأثيوبية وأشهر القادة الصوماليين الذين قادو هذا النضال هو الامام أحمد بن ابراهيم المعروف بالأشول (جرين) ١٥٠٦ م - ١٥٤٣ م حيث قاد جيشاً كبيراً ضم الصوماليين والجالا والدناكل داخل أثيوبية ووصل إلى بحيرة تانا ١٥٥٩ م منطلقاً من مدينة هرر وقد استطاع الأحباش بمعونة البرتغاليين من الأنتصار على الامام أحمد في تشرين الأول ١٥٤٢ م بعد اصابته برصاصة طائشة ووفاته وادي ذلك إلى تفكك جيشه .

- سلطنات الطراز الاسلامي :

بالاضافة إلى امبراطورية الامام أحمد التي لم تدم طويلاً مرت كلها في حروب كانت هناك عدة ممالك ظهرت في بلدان الساحل فهي من جهة موانئ ومن جهة أخرى ممالك وقد عرفت باسم دول الطراز الاسلامي ويقال إنها وصفت بذلك لأنها كانت على شاطئ البحر

كالطراز له وهي البلاد التي يقال لها في مصر والشام بلاد الزيلع وهذه الدول هي :

١ – اوفات (أو مملكة جبره) نسبة إلى قبيلة جبرتي (أو جبرت) القرشية وينسب لها المؤرخ المصري المشهور الجبرتي مؤلف تاريخ (الجبرتي) وتقع اوفات بين الأقليم الأول وخط الاستواء وهي أوسع الممالك .

٢ – مملكة ذوارو .

٣ – مملكة ارابيني .

٤ – مملكة هديه وموقعها بين الأقليم الأول من الأقاليم السبعة وبين خط الاستواء .

٥ – مملكة شرحا .

٦ – مملكة بالي .

٧ – تلي بالي .

ويمثل النظام السياسي لدى العفر وجهاً آخر باتجاه الطبقية وضمن المجتمع الدنكلي تتميز طبقتان الاولى الآسيمارا أو الرجل الحمر وهم الطبقة النيله المعروفة باسم /الاسايمره/ يقابلها الطبقة الأقل جاهاً وهي الادويامره أو الرجال البيض والعلاقة بين الطبقتين علاقة الغالب والمغلوب ولايوجد اختلاف في اللون بينهما في الوقت الحاضر ويبدو أنه لم يكن غير ذلك . واذا كان هناك شيء من الخلاف فهو يعود للأرض وللغزو من قبل شعب لايختلف عن الشعب الذي كان يقطن الأرض حيث توسع نمو الشاطئ من الهضبة الأثيوبية ومثل نظام العفر موجود لدى الرعاة البجة في ارتيرية وأكبر تجمع سياسي منظم لدى العفر هو سلطة الاوسا وهي واحة موجودة في صحراء الدناكل .

■■

الباب الثاني

المجموعة الزنجية

الباب الثاني

المجموعة الزنجية

- تمهيد
- الفصل الثالث : السودان

(١)

- السودان الغربي .
- الشعوب واللغات
- التنظيم الاجتماعي !

آ) - السياسي : الأمبراطوريات الزنجية (الفولانية)

٢ - الحياة الاجتماعية _ العائلة النسب والقرابة العادات والتقاليد .

ب) التنظيم الاقتصادي وموارد الانتاج والتبادل التجاري .

- الدين .

■■

الباب الثاني

المجموعة الزنجية

- تمهيد

هي المجموعة الرئيسية في القارة السوداء ويعتبرها بعضهم أصل سكان القارة وقد قسمها علماء الأنساب إلى مجموعتين رئيسيتين هما :

أولاً : الكونفويد ويقسمون إلى ثلاثة مجموعات :

- المجموعة الأولى : وتعرف باسم المجموعة الزنجية الاصلية (الزنوج الأقماح) وتضم السلالات السودانية والغينية وتنشر في غرب افريقية شمال خط الاستواء .

- المجموعة الثانية : شعوب البانتو وهم الشعوب الزنجية التي هاجرت من جنوب غرب افريقية إلى الجنوب وراء خط الاستواء والى الجنوب تضم أغلب الشعوب التي تعيش جنوب خط الاستواء .

المجموعة الثالثة : النيليون وهم خليط من الحاميين والزنوج البانتو.

- يمكن أن نضيف اليهم الأقزام ويعرفون باسم أشباه الزنوج .

ثانياً : الكابويد وتضم هذه المجموعة شعوب افريقية القديمة وهم شعب الخويسان أو (خوي خوي) والشعب المنقرض البيرغدامس .

أولا - المجموعة الزنجية الأصلية : وتنتشر في غرب افريقية : وتقسم إلى قسمين :

١) - السلالات السودانية (الرق السوداني) وتنتشر في حزام السافانا أو مايعرف ببلاد السودان في غرب افريقية .

٢) - السلالات الفينية (العرق الڤيني)

- لمحة جغرافية : تقع منطقة غرب افريقية بين الصحراء الكبرى شمالاً وخط الاستواء جنوباً وبين المحيط الأطلسي غرباً إلى مرتفعات الحبشة ووادي النيل شرقاً وتتشكل من منطقتين رئيسيتين .

أولا : السافانا تقع بين الصحراء الكبرى وحدود الغابات المطيرة التي تلف خليج غينية وهي عبارة عن هضبة بركانية ترتفع بين (٣٠٠) م - (٤٥٠) م بطول ٤٥٠٠ كم وعرض ١١٠٠ كم وهناك بعض الارتفاعات المتناثرة تصل إلى ١١٠٠ - ١٥٠٠ م في فوتا ديجلون وتاكورا .. الخ وكلما ارتفعنا شمالاً خفت الخضرة والسهول العشبية وكلما نزلنا جنوباً زادت الخضرة وكثافتها وكثرت أمطارها وارتفعت درجة حرارتها وتضم منخفضات وأحواض أنهار السنغال وغامبيا والنيجر وبحيرة تشاد ونهر شاري وتصلح أراضي السافانا للزراعة في المناطق المطيربه وتكثر تربية الحيوان كلما اتجهنا شمالاً وتنتشر في هذه المنطقة الشعوب السودانية وكذلك شعب الفولاني الحامي وكان يطلق عليها في السابق السودان أو بلاد السودان وتضم منطقتين ثقافيتين:

١ - السودان الغربي وتعيش فيه شعوب زنجية وحامية .

٢ - السودان الشرقي وتعيش فيه شعوب زنجية وشعوب عربية ومستعربه وحامية .

ثانياً : حزام الغابات وساحل خليج غينية وتنتشر فيه الشعوب

الغينيـة ويمكـن أن نصـادف في المنطقـة أربـع مجموعـات لغويـة رئيسـية بالاضافة إلى مجموعتين أو ثـلاث تعـود جميعهـا إلى عائلـة لغـات الكونغـو النيجر وينتشر الاسلام في أغلـب منـاطق غـرب افريقيـة ويشـكل الديـن الثاني بعد الديانات المحلية وتليه المسيحية وتتمـيز الشـعوب الزنجيـة بقـوة الأجسام والأكتاف العريضة والسواعد المفتولة الطويلة وقصـر الأطـراف السفلية والأنف العريض المسطح والشفاه الغليظة وغالباً ماتكون مقلوبـة أما شعر الجسم فهو قليل أما شعر الراس فهو كثيف ومفتل ولـون الجلـد أسود لامع والطول وسطي ١٦٠ - ١٧٠ ويتميز سكان المناطق الحـارة الرطبة بوجود عدد كبير من الغدد التي تساعد على تبخر الماء من الجسم وتعتبر منطقة غرب افريقيه مهد الشعوب الزنجية ويطلق عليهـم في بعـض الأحيان سود المروج الخصبة ولاشك أن كلمـة زنجـي لايمكـن تحديدهـا ، وهي في الأصل كلمة فارسية معناها أسود وكان العـرب يطلقونهـا علـى كل السود الذين يعيشون في شرق افريقية ومنها كلمـة زنجبـار أي أرض الزنج أما على سكان غرب افريقية فكانوا يطلقون عليهم سودان وكلمة نيجر Negro معناها أسود باللغـة اللاتينيـة والاعتقـاد السـائد أن الزنـوج وجدوا في غرب افريقية منذ أكثر مـن أربعـة آلاف عـام ، وتعـود أهميـة غرب افريقيـة وبخاصـة السـودان بأنهـا كـانت ولاتـزال منطقـة احتكـاك وتمازج عرقي وحضاري وديني مع شعوب شمال افريقية العربية الاسلامية وفي منطقـة السـافانا ظهـرت أروع الممـالك والامبراطوريـات التجاريـة السودانية الزنجية ومنها دخل الاسلام إلى تلك الربوع .

■

الفصل الثالث

السودان

(١)

– السودان الغربي

- تمهيد
- الشعوب واللغات

١ – الباميرا

٢ – المالينكيه

٣ – الصنفاي – السوتوراي

٤ – مجموعة شعوب الهوسا

٥ – الغولاني (الفلب) Fulb

- اللغات :
- التنظيم الاجتماعي

١ – السياسي : الأمبراطوريات الزنجية والغولانية ـ غانا ـ مالي ـ السونراي – سوكوتو .

٢ – التنظيم المحلي : الحياة الاجتماعية – العائله – القرابة – النسب – العادات والتقاليد

- التنظيم الاقتصادي ومواد الانتاج والتبادل التجاري
- الدين :

■

(١)
- السودان الغربي -

تمهيد :

يشغل السودان الغربي القسم الأكبر من السافانا الواقعة جنوب الصحراء وترتفع بين ٣٠٠ - ٤٥٠ م وأمطارها تصل إلى ٢٥٠ - ١٣٠٠ مم وكلما اتجهنا نحو الصحراء خفت الأعشاب الطويلة وتكثر عند اقترابنا من خط الغابات وقد ساعد ذلك على وجود الزراعة والاستقرار الزراعي لشعوب المنطقة اضافة لوجود قطعان البقر الكبيرة .

- الشعوب واللغات : تنتشر في المنطقة شعوب تنتمي إلى المجموعة الزنجية الأصيلة وإلى الشعوب الحامية الشمالية ، وتضم المجموعة الزنجية الأصلية شعوب المنطقة الساحلية من الولوف والسيرير والتكرور ثم مجموعة شعوب الماند الكبيرة أما الشعوب الحامية فتتألف من مجموعة شعوب الفولاني وهناك اختلاف حول نسب الهوسا .

وينتشر الولوف والسيرير والتكرور على السواحل من غامبيا والسنغال حتى غينية ويبلغ عدد الولوف ٣٦٪ من سكان السنغال البالغ عددهم مليون ونصف وأما التكرور فعددهم حوالي ٥٠٠ ألف وهم من الناحية العرقية يشبهون السيرير وللولوف علاقات وثيقة مع الفولاني وقد اشتهر الولوف بزراعة الفول السوداني والسمسم وتعتني نساؤهم

بشعورهن كثيراً ويتزين بالحلي الغالية وقد ظهرت بينهم عدة ممالك أهمها دولة الكايور ١٥٥٦م وكانت تعتبر أكبر دول الولوف كما ظهر لدى السيرير عدة ممالك صغيرة أما التكرور فبعد اعتناقهم الدين الإسلامي مع القرن الحادي عشر أسس /نارديابي/ العائلة المالكة المعروفة باسم (ماناس) وكانت تسيطر على الشعوب الثلاثة وبعد ثلاثة قرون ابعد هؤلاء من الحكم من قبل التونديين من حلفاء الماندنفو وفي القرن الخامس عشر انفصل عنها الولولف وتقسمت مملكة التكرور كما أن الكايور كانوا قد انفصلوا عن الولوف ١٤٤٠م وحياتهم الاقتصادية موزعة بين تربية الأغنام والصيد وزراعة الأرض .

– مجموعة شعوب الماند (أو الماند نفو)) وهم مجموعة من الشعوب المتجانسة متعددة الفروع وهم من أكبر المجموعات العرقية ذات الأصالة الزنجية بين الأطلسي وأعالي نهر النيجر وقد اشتهروا باستطالة الرأس والأنف العريض والشفاه الغليظة وكثيراً ما تكون مقلوبة وقاماتهم طويلة ونحيلة بشكلٍ نموذجي مع قسمات وملامح جميلة ولحية قصيرة ولونهم أخف سواداً من الشعوب الزنجية الأخرى وهم يحتلون مكانة بارزة في السودان الغربي كالمكانة التي يحتلها الهوسا في شمال النيجر وتعود أكثر الممالك والامبراطوريات الزنجية الكبرى لشعوب الماندنفو ويعدون أكثر من أربعة ملايين نسمة وهم يقسمون إلى عدة شعوب أهمها :

١ – البامبرا : (الباغانا) وينتشر هؤلاء في جمهورية مالي والسنغال وحوض نهر السلوم وأعالي النيجر وهم حوالي مليوني شخص . وقد اشتهروا بنموذج بيوتهم الطينية العالية على شكل اسطوانة كما اشتهروا بالصناعات الدقيقة الفنية الخشبية منها والمعدنية وبخاصة الوثنيون منهم كما اشتهروا أيضاً بصناعة الأقنعة المعروفة باسم الدوغن . وتمتزج لدى البامبرا النواحي الدينية والدنيوية حيث توضع بيد رجل واحد يعرف باسم دوجو تيجي اوسيد الأرض . وقد أسس البامبارا مجموعتين

منفصلتين من الممالك الأولى استندت على شعب السيفو وتأسست عام ١٦٠٠ في المنطقة بين نهر السنغال وأعالي النيجر أما المجموعة الثانية فقد استندت على مملكة /كاراتا/ والتي تأسست عام ١٧٩٢م على مجرى نهر النيجر الأوسط وأشهر ملوك السيقو /ماماري كوليبا ١٧١٢ - ٥٠/ وقد امتدت سلطته حتى بامـاكو عاصمة مالي ومدينة (جين) التجارية المشهورة وتمبكتو المدينة الثقافية في الشمال الشرقي وإحدى قواعد انتشار الدين الإسلامي ، وقد قضى على البامبرا الشيخ أحمد ولوبو زعيم مدينة مسينا عام ١٨١٨ فانهارت دولتهم وخضعوا لمسينا.

٢ - أما /المالينكية/ المزارعون الماهرون فيحتلون قسماً من غينية وساحل العاج ومالي وسنغامبيا وعددهم مليون ونصف وهم الذين أسسوا مملكة مالي العتيدة ويقسمون إلى مجموعات مستقلة تحكم كل منها طبقة من النبلاء يتوارثون الزعامة وهم يتبعون النسب الأمومي وقد اشتهروا بفنونهم التي تمثل الواقع الإنساني ولكنهم أبعدوا تمثيل الأشخاص ولديهم صناعة راقية وبخاصة النسيج حيث تستخدم الرسوم والمنحوتات والوجوه النسائية وبقياسات مختلفة مصاغة على الحلي أو غيره بشكل متقن جداً يندر وجود مثله في افريقية .

- السوننكه (السيراكوال - سيراكوليه) : كانت الصحراء مسكناً لهم ثم تمركزوا بعد ذلك على الأطراف الجنوبية لها في المنطقة المعروفة باسم الساحل وامتزجوا بالبربر والفولاني ولونهم أخف سواداً من الولوف وكلمة (ساراكوليه) معناها (الحمر) مما يدل على أن أصلهم ليسوا بزنوجٍ وعددهم في السنغال ٦٥ ألف وفي مالي ٣٥ ألف وقد شكلوا قديماًالعمود الفقري لامبراطورية غانا القديمة . ويشك أن تزايداً كبيراً في العدد طرأ عليهم هم وغيرهم من الشعوب نظراً لتزايد السكان في القارة الأفريقية .

٣ - الصنفاي (السونراي) ويعيش هؤلاء على الأطراف الشرقية

لأواسط حوض نهر النيجر وعددهم أكثر من مليوني شخص وهم من الزنوج الأصلاء الذين اختلطوا بالطوارق والفولاني وهم معتدلوا القامة ١٧٠ سم ورأس متطاول واختلاطهم بالحاميين الشماليين أدى إلى ظهور أنفهم الجميل ولونهم النحاسي البني وينتشرون على طول أعالي النيجر على شكل بقع فمجال توسعهم هو النهر وروافده وقبل القرن الثامن عاشوا بجانب شعوب من الصيادين هم (الجو) بقرب مدينة نيامي عاصمة النيجر لكي يبتعدوا عن ضغط الهوسا وصعدوا النهر خلال القرن الثامن عشر واختلطوا بقبائل (لمتونة البربرية) وقد ظهرت كلمة سونراي لأول مرة في كتاب طريق الفتاش الذي كتب عام ١٥١٠م وهم الذين أنشأوا امبراطورية (غاو) بالإضافة إلى ما تقدم توجد في المنطقة قبائل الديولا الذين اشتهروا بتجارة الذهب والموازين الخاصة بذلك والتي أدهشت الأوربين بدقتها وفي حوض الفلتا ظهر الموسى وعددهم (١,٨٠٠) مليون وينتشرون في بوركينا فاسو .

٤ – مجموعة شعوب الهوسا : شعب الهوسا ويعدون أكثر من عشرة ملايين شخص ينتشرون بخاصة في المناطق الشمالية لنيجيريا وجنوب النيجر وهم يشكلون أكبر مجموعة عرقية في تلك المنطقة وحسب نظريات أكثر علماء الأنساب أن الهوسا لايشكلون جنساً أو عرقاً مميزاً ويشبه اصطلاح الهوسا اصطلاح البانتو الذي لا يعبر عن شعب بل على لغة وهم من الناحية الفيزيائية سود الوجوه فاحمها طوال القامة مع أطراف طويلة ورفيعة ورأس طويل الجمجمة وعدم بروز الفك وهذا ما يميزهم عن بقية الزنوج ولديهم روح التجوال والمغامرة والنكتة .وقد برع الفنانون من الهوسا في أعمال الجلد والنسيج ويتعاونون مع الفولاني في تربية الأبقار . ويشكل الفولاني الطبقة الحاكمة بالنسبة للهوسا ولم يشكل الهوسا مطلقاً قوة غازية أو امبرطورية رغم تعدادهم الكبير خلال القرون الوسطى وقد ظلت بلادهم مجزأة إلى سبعة أمارات

عرفت باسم ممالك الهوسا (هوسابكوري) في القرن الثامن عشر وحسب الرويات المتوارثة فإن جد الهوسا رجل يطلق عليه اسم (ابو يجيدو) ومن المحتمل أن يكون (ابا يزيد) القادم من لشرق وتقول الأسطورة أنه ابن ملك بغداد (خليفة بغداد) وقد أتى هذا مع بعض مواليه إلى دورا التي كانت تحكمها الملكة دورما . وهي التاسعة من الملكات وعندما وصل المذكور إلى المنطقة طلب الماء فقيل له إن الماء يحرسه ثعبان يقتل كل من يقترب منه يدعى كيساركي وقد استطاع الأمير التغلب على الثعبان وقطع رأسه وحمله للملكة التي تزوجته ومنذ ذلك الوقت اخذت كلمة ساكي تستخدم للدلالة على الرئيس والسلطان ويضرب المثل بحب الهوسا وميلهم إلى الاقتباس والاستعارة وميلهم للأرتباط بالعرب .

٥ - الفولاني (الغلب) البول : وهم من الشعوب المهمة ويصل عددهم إلى عشرة ملايين شخص ينتشرون بشكل واسع جداً بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد والكميرون وقد تعددت أسماؤهم والعرب يطلقون عليهم شعب الغلان ويطلق عليهم الطوارق اسم فولاني والهوسا يطلقون عليهم (الغلافا) والماند يطلقون عليهم فولا والولوف (بول) وهم يطلقون على أنفسهم (الغولاني).

وقد نشر الغولاني تأثيرهم تدريجياً غرب السودان والسنغال الأعلى في فترات الامبراطوريات الكبرى دون هوية سياسية باعتبارهم شعب رحال يمتهن عملية الختان ومنذ ١٨٠٤ تحددت هويتهم بتأسيسهم امبراطورية سوكوتو على يد المصلح الإسلامي عثمان وان فوديو الذي ظهر في إمارة الجوبير من ممالك الهوسا وقضى عليها . وهناك اختلاف حول أصول الجوبير . يقول أحد المؤرخين العرب في القرن الرابع (هم أثيوبيون عن طريق المصاهرة والتجانس وهم صوماليون في فخرهم وصفاتهم الفيزيائية أو هم يهود أتو من بلاد التكرور أو عرب خلاسيون وهناك نفي كامل من المؤرخ النيجري بوبو دوكوربه لأصلهم اليهودي

فعددهم لا يتناسب مع قلة اليهود . وهناك روايات تقليدية خرافية عن ارتباطهم بديانة الثعبان الأفريقية القديمة ومن المعلوم أن الميثولوجيا الإفريقية تعطي مكاناً هاماً للثعبان . وتربطه بأحدى الأصول الأولى للديانات التي اعتنقها الإنسان وكما رأينا لاتقصر مثل هذه الأساطير المتعلقة بالثعبان على الهوسا يل تمتد إلى الفولاني نظراً لتلاحمهما وكذلك السونراي ويضيف المؤرخ المذكور أن قصص الثعبان الدينية (الميثولوجيا) ترتبط بأصول الحياة والمعرفة وتقول إحدى الأساطير أن الثعبان كوار رزق أربعة عشر ولداً اتجه ثلاثة منها نحو افريقيا وأحد هؤلاء تعاهد مع البول وأعطاهم البقر ويعيد الفولاني نسبهم لعقبة بن عامر بن عيسى بن مالك الجهمي وكان رديف رسول الله وتنسب معظم العائلات من الهوسا والفولاني العريقة إلى قبائل الشام واليمن ومهما اختلفت الآراء حول أصولهم من بربرية أو سامية عربية فالفولاني شعب عريق لعب دوراً رائداً في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقية ولا يزال ، ويقسم الفولاني إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

أولاً - الرحل الذين يمتلكون البقر ويسمون فولاني البقر أو البورو من الناحية الأدبية .

ثانياً - المستقرون ويطلق عليهم فولاني /جيدا/ بلغة الهوسا ويعملون بالزراعة .

ثالثاً - نصف مستقرون ويعمل هؤلاء بآن واحد بالزراعة وتربية البقر على كل حال لا تبدو على الفولاني الملامح الزنجية فهم عنصر صاف بين الأحمر والبني خفيف السواد وهو أسمر يميل إلى البياض ويطلق عليهم في بعض الأحيان المبيضة أو البيضان وقاماتهم طويلة مع النحافة والأنف المستقيم وشعر مرسل بعكس الزنوج وأعصاب وعروق بارزة وشفاه رقيقة وتتميز المرأة الفولانية بجمال خارق في الملامح وهي حذرة خجولة بعكس المرأة لدى الهوسا التي يغلب عليها المرح ولاشك أن هناك

ارتباطاً بين الفولاني والمجموعة القوقازية والمثير في هذا العرق النبيل حسب قول المؤرخ الفرنسي ايدموند سيريه دوديفيير في كتابه تاريخ النيجر (Edmand sere de rivieres . Histaire du NIGER) هو فخره بذاتيته وشخصيته مهما كان مستواه الاجتماعي ولا يختلط البول بالأعراق الأخرى إلا نادراً وعاداته خاصة وغالباً لا يتزوج الفولاني إلا بزوجة واحدة فالحياة لديهم صافية فلديهم النساء الجميلات المرحات المغريات جداً حسب قول المؤرخ مونتيل الفرنسي .ومع ذلك فبالرغم من محاولاتهم للأحتفاظ بنقاء أصوله إلا أنهم تعرضوا لاختلاط كبير مع أجناس أخرى مما أدى إلى ظهور مجموعات جديدة متفرعة عن البول الفولاني مثل النكلور الذين لهم أهميتهم في تاريخ النيجر ومهد التوكلور فوتاتورو كما لهم أهميتهم في السنغال حيث التقى البول بالولوف وقد عرف الطرفان توسعاً مخيفاً خلال امبراطورية الحاج عمر في القرن التاسع عشر ثم الكورتي الذين جاءوا من اختلاط السنغاي والتوكلور والمسينا عند هجرتهم ويبدو لاحقاً أن التوكلور هم الذين أسلموا عندما حكموا البول ودفعوا بهؤلاء للهجرة نحو الشرق منذ القرن الحادي عشر . وقد ازدادت وتيرة هذا النزوح في القرن الخامس عشر نحو مسينا ثم نحو منحنى نهر النيجر حتى ليتباكو وفي ذلك الوقت بدأ ظهور قسمي البول الورودو والفيلاديو . أما التوربية فهم الذين أسسوا امبراطورية السوكوتوا بدءاً من بلاد النيجر الحالية وقد قدموا من دوري ، وليبتاكو، وياغو ، وتمركزوا في توررودي، وساي وكلها في النيجر وبالنسبة إليهم فالتوررودي لم تكن سوى مرحلة وصلوا بعدها إلى سوكوتوا في حين اتجه القسم المعروف باسم (بالآدامو) إلى تشاد والتوربيه بالنسبة إلى مجتمع البول يعني عائلة ذات أصل ونبل . وتتفوق لدى هؤلاء الصفات القيادية على الصفات الأخرى التي يتصف بها عادة البدو الرحل .

لقد انتشر البول (الفولاني) في مختلف أنحاء غرب أفريقيا

فالسيلانكية والموسيب دخلوا النيجر في القرن التاسع عشر أما الساراكوليه فكانوا الأوائل الذين دخلوا في جنسية البول . وتعتبر عناصر بول نهر النيجر من الشعوب المستقرة وقد تبنوا لغة السنغاي وأصبحوا في بعض النواحي يشبهون جيرانهم بعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وإذا كانت هجرة البول قديمة وبخاصة المجموعات التي اتجهت نحو سوكوتو إلا أن الذين يصادفون حالياً ظهروا غالباً في القرن التاسع عشر فهم أحدث كثيراً من هجرتهم المجددة بالانطلاق من نيجيريا نحو النيجر عن طريق الوديان في دفعات وموجات مستمرة بخاصة بعد أن تركوا حياة الترحال . وهناك الزنوج الذين استقروا وهم من الأرقاء المحررين ويطلق عليهم أيضاً فولاني وعلى العموم فالمستقرون أكثر زنجية من الرعاة . وهناك فروع للبول (الفولاني) الفارفارون (الفولبية) الذين يشكلون في الواقع عرقاً أصيلاً وهم البورورد الذين يعتقدون بأن جدهم /القو/ هو أول من دجن البقر ويعتبر الفارفارون أنفسهم جنساً أبيض فقد هاجروا إلى سوكوتو وقد ظل فرعهم البورورد على دينهم ولم يسلموا ويعتبرهم الفولبية كأصل غير صاف وبينما أصبح الفارفارون نصف رحل كان بول المنطقة الجنوبية في طريقهم للاستقرار وظل البورورد رحلاً وكلمة نصف رحل تفسر بحاجتهم الدائمة إلى الماشية فبينما يمتلك البورد ثمانية بقرات لكل منهم يمتلك نصف الرحل ثلاث أو أربع أما المقيمون الدائمون فلديهم بقرة واحدة .

كانت حركة البول (الفولاني القدماء) نحو الغرب عبارة عن تسرب دون غزو فأخر القادمين لم يكن له الحق في أي شبر من الأرض ومع ذلك كان التسرب مستمراً ومع الزمن يتكاثرون ويبدأون بالزراعة ثم يزاحمون السكان المحليين واذا هوجموا يدافعون بشدة عن مكتسباتهم .

تتمحور حياة الفولاني البسيط حول البقرة ومنتجاتها الاقتصادية من حليب وعجول فهي ثروتهم وعملتهم الوحيدة التي يستطيعون أن

يشتروا أو يبادلوا بها غذائهم أو حاجاتهم الأخرى ويعود حلب البقر للفتيات أما رعاية البقر وسقايتها فهي مسؤولية الرجل وكثيراً ما يتحملون مسؤولية الاعتناء بطروش الشعوب التي يعيشون معها ويأخذون قسماً من انتاجها بالإضافة إلى الرعاية مختصون بعملية /الختان/ دون غيرهم من القبائل في غرب افريقية . وهم مسلمون متعصبون ودعاة للإسلام وظهر من بين .. بار المصلحين والدعاة المسلمين .

– اللغات : تعود أغ.. سنات المنتشرة إن لم نقل كلها إلى عائلة اللغات الكبرى – النيجر – الكونغو – الفرع الأطلسي أما الفولاني فيتكلمون لغة تسمى /الفولفولد/ ولهذه اللغة أهميتها لأنها تشكل (لنفوافرانكا) لغة مشتركة ولا يعرف أصولها ولكن بعضهم يصنفها لغة زنجية حسب نظرية ديلافوس أو من أصول حامية حسب قول ميهوف وحسب تصنيف غرينبورغ وديسترمان ويريان وآخرون من علماء الإنسان تعتبر لغة أطلسية غربية ولها اتصال وثيق باللغات البانتوية وهي تحوي كثيراً من المفردات العربية وتشبه اللغة السواحيلية بقرابتها من اللغة العربية وسابقاً كتبت هذه اللغة بالأحرف العربية . ثم كتبت بالأحرف اللاتينية بعد وصول الأستعمار البريطاني ولا تزال .

– التنظيم الاجتماعي :

١ – السياسي

– الأمبراطوريات الزنجية والفولانية : غانا – مالي – السوتراي – سوكوتو .

لاشك أن أعظم ما يميز تاريخ أفريقيا في الفترة ما بين ٥٠٠م إلى نهاية القرن التاسع عشر هو الممالك والامبراطوريات التي ظهرت في منطقة السافانا وقد تتابعت الواحدة تلو الأخرى . والامبراطوريات الزنجية هي ؛ غانا ومالي وغاو(السنغاي) كما تميزت تلك الفترة بظهور امبراطورية التكرور والتي عادت للظهور في القرن التاسع عشر . وقد

شكل الهوسا عدداً من الممالك عرفت باسم دول المدن وأخيراً ظهرت امبراطورية البول (الفولاني) التي اصطدم فيها الاستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر) كما سنرى .

– امتد نفوذ امبراطورية غانا القديمة بين أعالي نهر السنغال والنيجر والصحراء وقد بلغت عهدها الذهبي بين القرنين التاسع الميلادي وأواخر القرن الثالث عشر ويعود ظهورها إلى القرن الرابع أو نهاية القرن الثالث . ومن عاصمتهم مدينة كومبي – صالح سيطر أباطرتها على طرق التجارة بين غرب افريقيا وشمالها وقد دخلها الإسلام بعد هجوم المرابطين عليها عام ١٠٧٦م ورغم أن هجوم المرابطين أو بالأحرى احتلالهم لها لم يدم طويلاً إلا أنه أضعفها مما سمح لظهور امبراطورية أخرى هي امبراطورية مالي التي شمل نفوذها المنطقة التي تقع فيها جمهورية مالي الحالية وجنوب موريتانيا في الشمال وغينية في الغرب والأجزاء الشمالية لساحل العاج وجزء من جمهورية بوركينافاسو وأعظم ملوكها هو منسى موسى ١٣٠٢م –١٣٣٧م الذي حج إلى مكة في زمن السلطان محمد بن قلاون وكانت الرحلة احدى الأحداث التاريخية التي يتحدث عنها الناس لكثرة مرافقي الملك والذهب الذي صرفوه والهدايا التي قدموها كما أنها ربطت لأول مرة غرب أفريقية بالمشرق العربي وشجعت غيره من الملوك للذهاب إلى الحج وعلى خطا منس موسى اتجه إلى الحج أكثر زعماء الزنوج المسلمين وقد ظهرت امبراطورية مالي في أول خريطة رسمت في أوربا عام ١٣٧٥ باعتبارها أعظم ممالك العصر وقد تميزت في مالي بانتقال مراكز القوى نحو الشرق بالسودان الغربي وقدا قضى على هذه الامبراطورية الرائعة قبائل البامبرا عام ١٦٥٤م وفي نفس الفترة كانت امبراطورية غاو أو امبراطورية السونراي تخلف امبراطورية مالي وتقضي على بقاياها بعد ضعفهات وأشهر ملوكها محمد اسكيا الذي حج إلى البيت الحرام ١٤٩٥ – ١٤٩٧ وكان متعصباً لاسلامه ولذلك عمل

على نشر الإسلام في المنطقة وكان رائداً في هذه المهمة الجليلة وقد عاد من الحج ومعه لقب خليفة المسلمين وقد تعرضت مملكة السونراي لهجوم المراكشين أيضاً عام ١٥٩١ في زمن المنصور السعدي وأضعف قوتها إلا أنها ظلت لفترة من الزمن قائمة .

لقد أدى التطور الواسع للامبراطوريات الثلاثة وممالك الهوسا وامبراطورية بورنور كانم في منطقة السافانا إلى نتائج هامة في تاريخ غرب أفريقيا وهيأت بالدرجة الأولى لظهور امبراطورية الفولاني وتوسعهم وهم الذين سجلوا في تاريخ القارة مرحلة مضيئة ولامعة وقد أسسها المصلح الإسلامي الكبير الشيخ عثمان دان فوديو Ousman dan Fodio هو وأولاده وأخيه في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر وقد أصبح خلفاء الشيخ عثمان يلقبون بأمراء المسلمين (سيركو مسلما نوسوكوتو) وقد شملت امبراطورية الفولاني أغلب مناطق غرب أفريقيا ولو دققنا في التقسيم الاستعماري لغرب أفريقية بين فرنسا وبريطانيا ١٨٩٩ - ١٩٠٤م لوجدنا أن فرنسا ضمت إليها المناطق التي ظهرت فيها الامبراطوريات الثلاث الأولى وأما انكلترا فقد استحوذت على امبراطورية الفولاني . وكان ظهور الشيخ عثمان في مملكة الجوبير ١٧٥٤ - ١٨١٧م وهي من ممالك الهوسا وتغلبه على حكامها الشرارة الأولى التي انطلقت منها الثورة الاصلاحية الإسلامية بعد أن تبنت فكرة الجهاد كعقيدة لها وقد ظلت قائمة حتى عام ١٩١٣ عندما استشهد آخر خلفائها وهو يقاتل الانكليز ولا يزال أحفاد الشيخ وقومه الفولاني أقوى قلاع الإسلام الحصينة في غرب أفريقية .

لقد أمن الموقع الجغرافي لهذه الامبراطوريات السيطرة على الطرق التجارية عبر الصحراء وداخل السافانا حيث الملح في الشمال والذهب في الجنوب وهما المادتان الرئيسيتان اللتان يصل معهما التجار والملوك إلى الغنى والثروة في كل زمان كما وصلها بحضارات البحر الأبيض المتوسط

وبخاصة الحضارة العربية الإسلامية في شمال أفريقية والأندلس وقد وجد حكام هذه الامبراطوريات في الإسلام غايتهم المنشودة وكان الإسلام ينتشر جنوباً عبر الصحراء مع التجار والرعاة والقبائل العربية وعلى أساس الإسلام بنيت قواعد تلك الامبراطوريات في الادارة والحكم كما أصبح الإسلام القاسم المشترك الذي يربط بين المجموعات العرقية المختلفة وأصبحت اللغة العربية الرسمية التي كان الحكام والرؤساء يتخاطبون بها ويستخدمونها في مراسلاتهم الخارجية وأهم من ذلك اطلعت الشعوب السودانية عن طريق اللغة العربية على مختلف الآداب والعلوم واستطاع مؤرخوها وكتابها كتابة تاريخهم وأدبهم الذي وصل بين ماضيها وحاضرها فارتفعت العلوم وتمت المدارك . وعن طريق الرحلات السنوية لأداء فريضة الحج أصبح الاتصال منظماً بين الشعوب السودانية وبلاد المشرق العربي بالاضافة إلى بلاد المغرب وأصبحت غرب أفريقية قسماً من دار الإسلام وعن هذا الطريق وصلت الأفكار الصوفية التي نقلها السودانيون إلى بلادهم لذلك انتشرت الطرق الصوفية هناك التي لعبت دوراً كبيراً في نشر الإسلام . وظهر كبار المصلحين الدينين والاجتماعيين من جهة ومقاومة الاستعمار والبعثات التبشيرية في المنطقة .

واستندت هذه الامبراطوريات على قاعدة زراعية قوية وتطورت مع الزمن بسبب اتساع الأراضي الزراعية وكثرة المياه يضاف إلى ذلك ما كانت تؤمنه الأنهار والبحيرات من غذاء غني بالبروتين (السمك) إلى سكان المناطق ويقول المؤرخ البريطاني دافيدسون : «أن حضارة غانا في أفريقية الغربية كانت تفوق حضارة الانكلوسكون في زمن وليم الفاتح في القرن الحادي عشر .

وفي الغرب كانت هناك هجرات ملحوظة هامة كهجرة شعب الصوصو وهم شعب من الماند رفضته امبراطورية الكيتا التي ظهرت في القرن الثالث عشر . وقد أدت هجرة الصوصو إلى خلق أسفين من

الشعوب التي تتكلم لغة الماند يتصل بالمحيط الأطلسي بالاضافة إلى بعض الشعوب الصغيرة الأخرى التي كانت تحاول الوصول إلى البحر لجلب الملح في البداية ثم اللقاء مع التجار الأوربيين في القرن الخامس عشر لتبادل المنافع التجارية وهناك هجرة أخرى لشعوب الماند في القرن السادس عشر قام بها شعب ألمان الذي غزا الساحل الغربي على المحيط الأطلسي وقد تقدم هؤلاء باتجاه الغرب بمحازاة ساحل ليبيريا ، وهؤلاء المان عبارة عن مجموعة عسكرية مقاتلة أخذت تهاجم القرى التي في طريقها ولكن بعضهم استقر ليستغل الأراضي التي احتلها . ولم يتوقف ألمان إلا بعد اصطدامهم بالصوصو الأقوياء وقد تأثر عدد من القبائل والشعوب (بالمان) وظهرت مجموعات أخرى من المتكلمين بلغة الماند في حين ظلت بعض القبائل محتفظة بلغتها الأصلية وقد استطاع الماند في بداية القرن السابع عشر تأسيس دولة جديدة في جونفا تماماً شمال بلاد الآكان .

كانت أغلب الدول والامبراطوريات تدين بالدين الإسلامي وبخاصة الحكام الذين كان كثير منهم قد أتى من خارج البلاد أو ينتسبون إلى أول من استوطن المنطقة . لذلك كان النظام الأداري يتبع النظم الأدارية الإسلامية العربية وكان الملك يتمتع بصلاحيات لا حدود لها وهو مرجع كل السلطات ويتحكم بشكل مركزي /أو توقراطي/ وحول الملك يوجد البلاط الذي يضم المستشارين وزعماء القبائل والموظفين والكتبة والمراسلين ويحكم الملك البلاد عن طريق حكام المناطق والولايات وكثير منهم كان ينتسب إلى العائلة المالكة وربما يكون حاكم المقاطعة من المنطقة نفسها وينتمي إلى أكبر القبائل في المقاطعة والذين يدينون للملك بالولاء ويقدمون له الطاعة عن طريق الجزية السنوية مع الاستعداد لتلبية رغبات الملك وحكومته المركزية . ومنهم من كان حكمه وراثياً في مقاطعته وكان لبعضهم جيوش خاصة بهم تعمل بالتعاون

مع الجيش المركزي عند الحاجة في اخماد الثورات أو احتلال أراضي البلاد المجاورة ونهب ممتلكاتهم وكذلك الحفاظ على مكاسبهم الاقتصادية والسياسية وعادة يصبح الأسرى عبيداً ويحلون محل اليد العاملة في العمل الزراعي وحمل البضائع ، وغالباً ما يشكل علماء الدين من المعلمين والوعاظ والدعاة أو ما يعرف بالمرابطين طبقة تشكل قسماً من بلاط الملك ولها ميزاتها الخاصة وكثيراً ما كان حكام المقاطعات يرفضون سيطرة الملك ويؤسسون دولاً خاصة بهم عندما تسنح الفرصة الملائمة للفوز .

وغالباً ما كان الحكام يشعرون بأنهم يؤدون دوراً مقدساً عندما يشعرون بأن المشاكل الحيوية من جفاف وخصب وحصاد جيد تعود إليهم وكان بلاطهم يضم كثيراً من أصحاب المهارات الفنية وبخاصة الموسيقيون والمؤرخون والصياغ وعمال الجلود وكثيراً ما يصل بعض الأسرى إلى مستوى عال في البلاطات الملكية ويتمتعون بالقوة فوق قوة الأحرار وكان الملوك يعتنون بالجيوش ومنهم من كان لديه جيوش دائمة وإن كانت قليلة العدد في وقت السلم إلا أن الملك كان يحتفظ لديه بكميات من السلاح ليوزعها على المتطوعين أثناء الحرب . وقد اهتم ملوك الامبراطوريات الثلاثة بالخيل التي كان لها دورها الكبير في قوة الجيوش فقد كان لدى امبراطور غانا حسب قول صاحب كتاب الفتاش ألف رأس من الخيل مربوطة في اسطبلاته واذا مات حصان في صبح جيئ بآخر مكانه قبل المساء ولكل حصان ثلاثة رجال للإعتناء به وتنظيفه ويتناوبون على خدمته ليلاً نهاراً .

وأكثر ما كان الملوك يعتنون به اقامة الأحتفالات لأظهار القوة والثروة . ويصف الجغرافي البكري احدى الاحتفالات في مملكة غانا عندما كانت لاتزال على دين الأديان السابقة ويقول (بدأ الحفل بقرع الطبول التي تسمى (الدبة) وهي مصنوعة من كتلة خشبية واحدة مجوفة

وعندما وصل الملك خرت الجموع المحتشدة ساجدة تهيل على رؤوسها التراب اظهاراً للأحترام وتقديم التحية ويذكر البكري عن غانا عندما كان ملوكها وثنين فيقول حينما يموت يبنون فوق قبره قبواً ضخماً من خشب الساج وينقلونه مسجى على الفراش مغطى بستائر من حرير ويضعونه داخل القبر ومعه أدوات الزينة الخاصة به والحراب والأسلحة التي يملكها وأوانيه التي كان يستعملها في مأكله ومشربه مليئة بأنواع الطعام والشراب ثم يقفلون باب القبر ويغطونه في الوقت الذي تكون فيه الجماهير من الشعب المحتشد يهيلون التراب عليه حتى يصبح التراب عالياً كالاكمة ثم يحفرون حول القبر خندقاً ولايمكن النفوذ إلى القبر الا من مكان واحد ثم تقدم القرابين والمشروبات ترحماً على ملكيهم الراحل. وكان ملوك غانا قبل الإسلام يتبعون النسب الأمومي لكن بعد الإسلام ظهر بينهم وبين بقية الدول والممالك النسب الأبوي ولا يخفى أن مراسم الدفن والدفن نفسه خاضع لتأثيرات مصرية بالإضافة إلى اعتقادهم بوجود عالم آخر ، وكان نظام الحكم في مختلف الدول نظاماً استبدادياً يمارس فيه الملك صلاحياته المطلقة بذاته فهو الذي ينظر في جميع شؤون الحكم مهما كانت صفاته وعمره ويعاون الملك عدد من المستشارين ومن تقاليد الحكم التي أتت من التقاليد الإسلامية المجالس التي كان يعقدها الملك لينظر بنفسه في المظالم وقد وصف البكري أيضاً مجلس ملك غانا حيث يجلس وحوله عشرة أفراس (فرسان) بثياب مذهبة ووراءه عشرة من الغلمان يحملون الحجف (الترس الثقيل) والسيوف المحلاة بالذهب وعن يمينه أولاد الملوك وقد ضفروا رؤوسهم بالذهب وعليهم الثياب الرفيعة ويجلس والي المدينة بين يدي الملك على الأرض وحوله الوزراء جلوساً على الأرض أيضاً وعلى باب القبه كلاب منسوبة لاتكاد تفارق موضع الملك تحرسه وفي أعناقها سواجير الذهب والفضة وفي كل ساجور عدد من الرمانات الذهبية والفضية وهم ينذرون بجلوس

الملك عن طريق الطبل (الدبا) وكان الملك يركب من قصره ومعه حاشيته ويجوبون الشوارع للتفتيش عن المظلومين ويقوم بهذا العمل مرتين في اليوم .

أما الجيش فيقول ابن الوردي (أن جيش غانا) كان يصل إلى مائتي ألف منهم الرماة أزيد من أربعين ألف) وربما هناك مبالغة في هذا العدد إلا اذا اعتبر ابن الوردي أن كل سكان الامبراطورية جنود للملك ويصف ابن الوردي خيل غانا بأنها قصيرة جداً . وقد انتصر جيش غانا على غيره بسبب كونه مسلحاً بالأسلحة الحديدية من سيوف ورماح وحراب وخناجر فضلاً عن القوس والنشاب .

وقد أقام الملوك نظاماً خاصاً ودقيقاً للجمارك يتناول بخاصة تجارة الملح والذهب وكانت الضريبة (دينارين) من ذهب على كل حمولة حمار من الملح ودينار ذهب عن دخوله البلد وديناران في خروجه وله على حمل النحاس خمس مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل . وكان الملوك يستصفون الذهب الجيد من الذهب وكان لبعض الملوك قطعة ضخمة من الذهب في قصورهم استخدموها لربط خيولهم واختلف في وزنها بين ثلاثة رطلاً وطن ويقول عنها ابن الوردي أنه في قصر غانا (تبرة واحدة من الذهب كالصخرة العظيمة وفيها ثقب كالمربط وهو مربط فرس الملك وكانت قصورهم مزينة بشكل جيد وكبيرة وواسعة ولها شمسيات من الزجاج ويقال أن كثيراً من الأشياء كانت ترد من الخارج .

كان الغانيون الوثنيون يحيون الملوك عند دخولهم بوضع التراب على رؤوسهم أما المسلمون منهم كانوا يحيونه بالتصفيق باليدين ، وكان الملك يتزيا بزي خاص لا يسمح للرعية بارتدائه ويتحلى بأنواع الحلي ويقول البكري أو ملكهم يتحلى بحلي النساء في العنق والذراعين ويحمل على رأسه طرطوراً مذهباً أما زي سائر سكان غانا فكان ملاحف القطن والحرير والديباج على كبر مراتبهم والجميع بما فيهم الملك يحلقون لحاهم

ويحلق النساء رؤوسهم وكان لمالي وغاو نفس نظام غانا بخاصة بعد إسلام الأخيرة . وقد وصف ابن بطوطة في رحلته بعض المدن في السودان ، ووصف ابنيتها المصنوعة من الملح ومسجدها المبنى بالحجارة وكانت مادة التداول ، الملح والذهب كما وصف ابن بطوطة نساء قرية تغازا التي يتعامل سكانها بالقناطر المقنطرة بالذهب بالجمال الفائق وهن أعظم من الرجال شأنا وهن لا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهم على الصلاة ويقول والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ولا أدما ولا ديناراً ولا درهماً كما يصف عداله اباطرة «غاو» ويقول ان الشعوب الزنجية نادراً ما تعاني من عسف وظلم وأنما تفزع لذلك أكثر من أي شعب آخر ولا يمكن أن يترفق السلطان بمجرم اقتراف ذنباً في حق الدولة" .

ومما يذكر أن ملوك غانا ادعوا النسب للرسول بعد تحولهم إلى الإسلام وربطوا أنفسهم بالخلافة العباسية وأقاموا في بلادهم كممثلين للخليفة العباسي ولبسوا العمائم وانتشرت بينهم التقاليد العربية ولم تقطع علاقاتهم مع مصر عن طريق الحج هم ومن أتى بعدهم من الحكام .

٢ - التنظيم المحلي : الحياة الاجتماعية - العائلة - القرابة - النسب - العادات والتقاليد .

تعكس الروايات التقليدية عادة، عظمة الدول السابقة وتحكي عن حكامها وقادتها كما يظهر ذلك في الأغاني والاساطير ولاتزال آثار تلك العظمة وتقاليدها ظاهرة على عليه القوم والزعماء في الوقت الحاضر . ومع ذلك فالرجل العادي كان ولايزال يحصر ولاءة دائماً إلى قريته أو الفخذ الذي ينتمي اليه ولاينظر إلى الأعلى الا إذا كان هناك شيئاً يمسه كزيادة في الضريبة أو حروب ومشاكل داخلية تمسه مباشرة .

والقرية لدى أكثر الشعوب هي النواة للأدارة . وتضم القرية بدورها أحياء وربما يكون سكان الحي جميعهم يعودون إلى جد واحد وربما القرية كلها والجد الأول هو أول من استوطنها واستصلح أرضها

ومن المحتمل أن لايشكل أحفاده الاغلبية . ولكل حي اجتماعاته وللقرية أيضاً وكل منها مجال خاص للنقاش وأغلبها يتعلق بالمشاكل المتعلقة بالزراعة وكبار السن هم الذين يترأسون الاجتماعات ويقرروت وينسقون القرارات .

وتتشكل القرية أيضاً أو بالاحرى تقوم على الارض المستصلحة عن طريق الحرق وربما تتسع الأرض الزراعية للسكان أي الأقرباء الذين يعيشون فيها حتى تصبح قليلة الخصب فينتقلون إلى غيرها وفي بعض الحالات وبعد ازدياد السكان فيها ينتقل قسم من السكان إلى منطقة أخرى ويؤسسوا قرية جديدة .

وبعد اعتناق السكان للإسلام أصبح النسب الأبوي هو السائد أما العائلات التي تعود إلى الرقيق فظلت تعتبر النسب الأمومي لأن المالك عادة يملك الأطفال وعادة يحدد موقع الانسان في القبيلة وقرابة الدم ، و إذا اعترف به أصبح له مالدى الآخرين من حقوق وماعليهم من واجبات. ويعتبر الزواج شيئاً مهماً وله تقاليده ،فبعد الاتفاق يقدم العريس المهر إما مالاً أو أشياء عينية ويستخدم والد العروس المهر أيضاً في زواج ابنه ويستعاد المهر إذا فشل الزواج وأكبر أسباب الفشل هو العقم ، ونظراً لتعدد الزوجات فلكل زوجة كوخها الخاص لتربية أبنائها واستقبال زوجها . وتبتعد الزوجة خلال الحمل وحتى بعد الولادة عن الزواج ويمكن للمرأة الشابة التي فقدت زوجها الزواج والعادة أن تنضم إلى زوجات الأخ . وهذا يجعل من الزواج بأكثر من زاحدة اجبارياً لإبقاء العائلة متماسكة وإبقاء الأولاد ضمن عائلة الزوج أما المرأة المسنة فتبقى عادة مع أولادها والزواج ببنات العم مسموح به وكذلك بالأقرباء وان كان مكروها . وأولاد العم لهم دورهم أيضاً في زواج ابنة العم .

وهناك تحديد واضح لدور المرأة والرجل . فالمرأة تعتني بالمنزل والأولاد وحلب الأبقار وصناعة الجرار والأطباق ونسج الصوف أو

القطن وتزيين الكوخ . أما الرجل فهو الذي يعتني بالأرض وزراعتها وبالأنتاج وتربية المواشي والصيد وبناء البيوت وتنظيف الجلود ودباغتها والصباغة .. الخ . وليس للمرأة دور ظاهر في الحياة السياسية للقرية لدى شعوب السودان الغربي عدا شعب الجو كان والذي يخصص منصبين للمرأة أولهما منصب أخت آخر ملك وهي التي تدير قصر النساء (زوجات الملك واقربائه) والمنصب الثاني اسم أم الملك وتحتله الزوجة المفضلة لدى الملك أما الأطفال فيظلون ملتصقين بأمهاتهم وتحمل المرأة طفلها على ظهرها بشكل دائم وتعتني به خوفاً من الجائحات المرضية وعند نموه بما فيه الكفاية يدرب على العمل لمساعدة والده . وتعمل الفتيات بجانب أمهاتهن ويساعدنهن في حلب الأبقار ونقل المياه وجلب الحطب ويدرب الأطفال على ابعاد الطيور والقرود عن المزروعات . وقبل الاسلام كان الأطفال يخضعن لعمليات التلقين والتأهيل ويكون ذلك بعد الختان الذي يكون في سن معينة تجعل من المختونين طبقة (طبقة الجيل الواحد أو الاعمار المتقاربة) ولها دورها وينتقل الفرد من طبقة إلى اخرى حتى يصل إلى طبقة كبار السن التي تحكم المجتمع . وعندما دخل الاسلام ادخل معه المدارس القرآنية التي يقوم على ادارتها مايعرف بالمرابطين (رجل دين) الذي يلقن الأطفال اصول الدين ويعلمهم القرآن .

– التنظيم الاقتصادي ومواد الانتاج والتبادل التجاري : تعتبر القرية أيضاً النموذج الرئيسي للاستيطان ، لدى الشعوب الزراعية في السودان الغربي وعادة تتشكل القرية من عدة عائلات تأويهم عدة مجموعات من الأكواخ يضمهم سور واحد يقطنها عادة أقرباء من نسب واحد . أما في السابق فلم يكن هناك استقرار في قرية أو منطقة خوفاً من اعتداءات الجيران وهجوم تجار العبيد لذلك كثيراً ماكانت القرى تبنى في مناطق حصينة للدفاع عنها ، وتحاط بسور من الطين أو من الأوتاد

الخشبية ولاتزال بعض الأسوار تحيط ببعض المدن وتختلف عدد سكان القرى من شعب إلى آخر ومنها مايحوي مائة شخص كما هو الحال لدى الولوف ومنها مايحوي أكثر من ألف كقرى المالينكية ... الخ والشكل المميز سابقاً للكوخ هو الدائروي والبناء من الاعشاب والأغصان . وقد تغير الوضع في الوقت الحاضر بسبب دخول الاسمنت والألمنيوم .. الخ ولاتزال أكواخ المجتمعات الرعوية خفيفة النقل وسهلة التركيب ومؤلفة من الأغصان والجلود ولاتزال الطوارق في المنطقة يعيشون في الخيام - وتدل آثار بيوت الغانيين القدماء على أنها كانت مستطيلة .

وقد تميز السودان الغربي بوجود المدن الكبيرة سواء كانت عواصم أو مراكز تجارية أو دينية أو ثقافية فكما رأينا اعتمدت أغلب الامبراطوريات الزنجية القديمة على قاعدة تجارية واسعة لذلك فأغلب المدن تقع على نقاط التقاء الطرق التجارية الاستراتيجية الكبرى على طرفي الصحراء وكأنها الموانئ على شواطئ البحر ومثال على ذلك /كانو/ وغاو/ وتمبكتو/ وجين التي تأثر بناؤها بالفنون المعمارية العربية . وعن طريق هذه المراكز كان الملوك يسيطرون على التجارة عبر الصحراء والمداخل وعدا الشعوب الزراعية هناك بعض الشعوب التي لاتزال تمتهن حرفة صيد السمك في نهر النيجر مثل (السومونو) والبوزو . أما الفولاني فيعيشون على الثروة الحيوانية ، ومن المزروعات ماهو للغذاء كالدخن والذرة .. ومنها ماهو للمبادلة التجارية والبيع مثل الفول السوداني والقطن .. الخ وأغلب الأراضي الزراعية مستصلحة عن طريق الحرق . وتخصب عن طريق روث الماشية وعند قلة الغذاء تستغل عادة فصول الجفاف إعادة تنظيم البيوت وعمليات الختان والزواج وصناعة الجرار والنسيج والحصر ودباغة الجلود .

- الدين : يغلب على سكان غرب افريقية (السودان الغربي)

الدين الاسلامي حيث يشكلون ٦٠ - ٧٠ ٪ من السكان والباقي فأكثرهم لايزال يعتنق الديانات المحلية والتي تعود إلى ديانات ساحل غينية التي سنتعرض لها في فضل قادم وهناك عدد قليل من الذين يعتنقون المسيحية . وتنتشر في السوادن الغربي الطرق الصوفية وأهمها التيجانية التي كان لها دور كبير في المرحلة التي سبقت مباشرة دخول الاستعمار الفرنسي ثم في مقارعته والدفاع عن البلاد .

ولايزال في السنغال عدد من معتنقي الديانات القديمة ويقيمون واجباتهم عادة في بيوتهم وهم يقدسون التمساح ويربونه داخل بيوتهم ويقدمون له الحليب وهناك أقسام من شعب السرير لايزالون على دياناتهم القديمة وكذلك بعض أقسام البامبرا المسلمين لايزالون يحتفظون ببعض المعتقدات القديمة أما شعب الآزنا فلا يزال على ديانته المحلية والواقع أن الاسلام لقي في فترة دخوله المنطقة مقاومة كبيرة من العادات القديمة المتوارثة التي دخلت فيه وأدى ذلك إلى أن أصبح بعيداً عن صفائه وروحانيته إلا أن المصلحين الدينيين هم الذين أعادوا للأسلام في غرب افريقية بهاءه وصفاءه ورغم مادخل على الطرق الصوفية من أمور الا أنها كانت الحاجز القوي الذي وقف في وجه البعثات التبشيرية المسيحية ومما يذكر أن أحد المؤرخين الفرنسيين أعتبر دخول الجنود الفرنسيين لمدينة /تمبكتو / المركز الرئيسي للإشعاع الاسلامي احدى الأحداث البارزة في التاريخ المسيحي وانتصاراته على الاسلام ويماثل انتصار شارل مارتل على العرب في بواتيه .

■■

(٣)
السودان الشرقي

– تمهيد

– الشعوب واللغات : البقارة – النوبة – الفور – الآزاند – الكانوري

– التنظيم الاجتماعي

١ – السياسي : الممالك والنظم السياسية – الفور – البورنو – السيسباكي – البقارة – الآزاند والاوتورد – الأدارة – الطبقات .

٢ – الحياة الاجتماعية : العائلة – النسب والقرابة – الزواج والوفاة تقاليد وعادات .

– التنظيم الاقتصادي .

– الأديان .

(٣)

السودان الشرقي

تمهيد : يضم القسم الشرقي من السودان المناطق الواقعة حول بحيرة تشاد والى الشرق وهي حالياً مقسمة بين عدة جمهوريات : السودان – زائير – تشاد – الكميرون ، نيجيريا ووسط افريقية وهي عبارة عن حزام من السافانا حيث تنتشر في طرفه الجنوبي الغابات الكثيفة بأمطارها الغزيرة أما الطرف الشمالي فيصل إلى حدود الصحراء الكبرى وتقل فيها الأشجار والأعشاب التي تنعدم في الصحراء كما تقل

فيها الأمطار . وتشكل بحيرة تشاد وروافدها . وبعض الأنهار والوديان التي ترفد أعالي النيل التي تنبع من المنطقة مستودعات هائلة للمياه وتستخدم للزراعة وسقاية قطعان الماشية الكبيرة التي تربى بقربها وبخاصة تربية الأبقار والجمال . والحصول على البروتين من السمك .

ونظراً لوجود المنطقة في مكان متوسط بين الشمال الصحراوي والجنوب الغابي أصبحت مركزاً تجارياً هاماً منذ أزمان طويلة . وعلى هذا الأساس أصبحت منطقة جاذبة لهجرات الشعوب الصحراوية والشعوب الأخرى الشمالية وأدى ذلك إلى تمازج عرقي ولغوي وثقافي بالاضافة إلى القبائل العربية التي وصلت المنطقة قادمة من جنوب السودان وشمال افريقية في زمن مبكر من القرن السادس عشر وقد امتزج هؤلاء مع الخليط العرقي السابق لذلك اخذت بعض القبائل العربية صفات الزنوج الفيزيائية ومنها ماطغى على الصفات الفيزيائية الزنجية . وقد استعربت قبائل كثيرة وتخلقت باخلاق العرب وعاداتهم واعتنقت الدين الاسلامي ، لذلك فكلمة عربي في تلك المنطقة أو قبيلة عربية لاتعني إلا أنها تتكلم العربية وتدين بالاسلام وربما دخلتها بعض الدماء العربية . وقد ساعد هذا القسم من السافانا باعتباره سهولاً مغطاة بالأعشاب والأشجار القصيرة على نمو الثورة الحيوانية . وتشكل البقرة العنصر الأساسي للحياة الاقتصادية لدى كثير من القبائل كما تربى في المنطقة الماشية بأنواعها الأغنام والماعز كما لديها زراعة نامية في المناطق المطيريه السهلية والهضبية وتزرع شعوب تلك المناطق مختلف الزراعات كالذرة البيضاء التي تشكل الغذاء الرئيسي بالاضافة إلى الحبوب والدخن والقطن والفول السوداني .

– الشعوب واللغات : من الصعب ايجاد تصنيف عام للنماذج الثقافية الموجودة بين مختلف الشعوب التي تسكن السودان الشرقي ويمكن تقسيمهم من الناحية العرقية إلى قسمين أو نموذجين الأول الذين

يعودون إلى المجموعة الزنجيـة الأصليـة العرق السـوداني ، وهـم شـعوب النوبة والتورو – الآزاند ، الغور والكانوري والقسم الثاني الذين يعودون إلى المجموعة القوقازية وهم العرب ويمثلهم هنا شعب أو قبائل البقارة .

ويتكلم هؤلاء لغات يعـود القسـم الأكـبر منهـا إلى عائلـة اللغـات الكبرى – كونغو – كردفـان والـتي تنتمـي اليهـا لغـات الآزانـد والنوبـة والتور ، ثم المجموعة اللغوية الكبرى الأخرى وهي النيلية الصحروايـةالتي تعود إليها لغات الغور والكانوري ويمكن أن ينطبـق عليهـا تعريـف اللغـة السودانية الشرقية وتنطبق هذه على كل اللغات المنتشـرة بـين اثيوبيـة – ونيجيريا وتنتشر اللغة العربية بشكل واسـع في السـودان الشـرقي حيـث تعتبر لغة مشتركة /لنفوافرانكا/ بمختلف القبائل ويتكلم العربيـة . شـعب البقارة وأغلب الفور والكانوري .

١) البقارة : وهم من مربي البقر ويقسمون إلى عدة فروع أكبرها الحمر – الحوازمة – الزريقات والبقـارة وهـم أقـرب لأن يشـكلوا شـعباً وليس قبيلة فعددهم حوالي ٥ ملايين شخص (٧٥) ورغم شـك بعضهـم بـأصولهم العربيـة إلا أن الروايـات تقـول بـأنهم مـن القبـائل العربيـة الـتي هاجرت غرباً من مصر في القرون الوسطى . وبعد وصولهم تونس اتجهـوا شرقاً بين القرنين الثامن والتاسـع عشـر حيـث اسـتوطنوا مـايعرف حاليـاً بمقاطعتي دارفور وكردفان ثم في وادي غـرب السـودان . وقـد اعطـاهم اختلاطهـم بقبـائل الفولانـي الحاميـة – والـتي تشـبههم في حيـاة التنقـل والترحال وتربية البقر كثيراً من صفـاتهم وربمـا هـي الـتي أعطتهـم مهنـة تربية الأبقار على غير عادة القبائل العربية الـتي وصلـت إلى افريقيـة الـتي هي من مربي الماشية والجمال وأقلها البقر بالاضافة إلى المسحة السـودانية الغربية (بالنسبة لجمهورية السودان) ويتكلم البقارة اللغة العربية بلهجـة خاصة دخلت فيهـا كثـير مـن الكلمـات غـير العربيـة وهـم حاليـاً سـود البشرة. وقد اشتهروا بقوة البأس والسرعة في الهجـوم وبخاصـة فرسـانهم

المشهورون والذين كانوا يشكلون العمود الفقري لجيش الخليفة السوداني (التعايشي) خلال الثورة المهدية ويتسلحون بالرماح الطويلة ذات النصل العريض الحديدي ويؤكد البقارة على صلة الرحم مع قبائل البقارة في مصر وبلاد الشام .

٢ - النوبة او التورد : وهو شعب زنجي يعيش في المنطقة الوعرة التي تعرف باسم هضاب النوبا ، وتقع في مقاطعة كردفان في جمهورية السودان الحالية . تاركين الأراضي السهلية حولها للشعوب التي اجبرتهم على الهجرة من النيل ومناطق السودان الأخرى وعددهم حالياً ٥٠٠ ألف (١٩٧٥) وهم مقسمون إلى حوالي ٥٠ مجموعة عرقية وعدد لايحصى من اللغات . ولايوجد الا القليل عن تاريخ النوبا ولكن هناك الروايات الشفوية المتوارثة التي تقول بأنهم هاجروا من الغرب إلى هذه الأراضي المطيرية الكثيفة الأشجار والغنية بالغابات . وأكبر قبائل النوبا هم الأوتورو الذين يعيشون على ثمانية هضاب في القسم الغربي من بلاد النوبا . وقد أقام النوبا المساطب الحجرية للزراعة على هذه الهضاب حيث يزرعون مختلف أنواع الزراعات المعروفة . ويذكر الرحالة المصري محمد ثابت الذي زار بلاد النوبة في كتابه جوله في ربوع افريقية ونشره عام ١٩٣٦ (أنهم يقطنون الجبال الجنوبية من كردفان وقد اضطرهم للألتجاء إليها عرب البقارة والحوازمة الذين طاردوهم جنوبا عندما وفدوا من بلاد المغرب ، وحلوا غرب النيل الأبيض . ويتحصن القوم حتى الآن في تلك المناطق الجبلية والمغاور الموجودة فيها بحيث لايستطيع غزوهم أحد).

٣) - الفور: يوجد بين كردفان وبحيرة تشاد وعلى طول الحوافي الشمالية للسودان الشرقي عدد من الشعوب الزنجية وربما كانوا أول سكان ماوراء الصحراء . وقد تأثر هؤلاء بالثقافة العربية والتجار العرب القادمين من الشمال حوالي القرن الحادي عشر باعتبارها تقع على حدود

وطرق القوافل عابرة الصحراء . وأكبر هذه الشعوب المستقرة هم شعب /الفور/ الذي سميت المقاطعة باسمه . ويتجاوز عدده مليوني شخص (١٩٧٥) والقسم الأكبر من بلادهم هضاب ترتفع بين ٦٥٠ - ٧٥٠ م مع صف من الجبال البركانية الأصل تمتد شمالاً وجنوباً . وتشكل مخزناً رائعاً للمياه بين حوضي بحيرة تشاد وحوض نهر النيل . وكان السود الذين دخلوا الأقليم من جنوبي السودان سادته . وفي يوم من الأيام ونتيجة لهجرات مختلفة قامت بها عناصر متباينة من الشمال والشرق والغرب تجمعت فيه باعتباره منطقة انتقال بين الشمال والجنوب وبين السودان النيلي والسودان الليبي عناصر مختلفة تعرضت لمؤثرات وثقافات عربية . اسلامية تميزت عن سكان الأجزاء الأخرى من بلاد السودان وقد ظهرت بين هذه العناصر مايعرف بقبائل الفور وكذلك بقية العناصر التي تقطن دارفور اليوم . والراجح حسب ماهو مذكور في تاريخ السودان أن شعب الفور بأعداده الكبيرةوفروعه المختلفة قد تكون نتيجة اختلاط مجموعة من السكان الأصليين بعنصر من لون فاتح يتكلم اللغة النوبية وفد البلاد من شمال السودان وقد تأثرت هذه بالعرب على الوجه الذي تأثر به أهل السودان الآخرون الذين سبقوا العرب وقد أسس هذا الشعب مملكة (سلطنة) قوية يعود الفضل في تأسيسها إلى فرع منهم هم فرع الكنجارة . والاحتمال القوي أن هؤلاء دخلهم عنصر عربي نتيجة لهجرات عربية متأخرة أثرت في تكوين الكنجارة الجسماني (الفيزيائي) . وأصبحوا يمتازون بتقاطيع تغلب عليها المسحة والصفات الفيزيائية العربية . كما أصبحوا أحسن إسلاماً من فروع الفور الأخرى. ويبدو أن الجماعة العربية التي أثرت في تكوين الكنجارة هذه كانت قد اكتسبت تجربة سابقة في بلاد ذات حكم مستقر من المحتمل أن يكون أقليم بحيرة تشاد قبل مجيئها دارفور . وقد اندمجوا بالكنجارة واختلطوا بهم على مر الزمن فازدادات في الكنجارة نسبة الدماء العربية . وتأثروا

أكثر من غيرهم بالثقافة الإسلامية العربية ولهذا استطاع الفور تأسيس سلطنة لهم في القرن السابع عشر . وفي الوقت الذي وصلت فيه درافور إلى أوج عظمتها كانت سلطنة الفونج تنحدر نحو نهايتها . وسيطرت دارفور على كردفان وأبعدت الفونج عنها وظلت حتى الفتح التركي - المصري لها عام ١٨٢١م .

منطقة ثقافية أخرى تقطنها شعوب زنجية (ليست بانتوية) تعيش في المنطقة الواقعة بين النيل والكونغو وتضم حدود السودان وافريقيا الوسطى وزائير . وهي أقل مطراً وكثافة بالغابات من المنطقة الإستوائية ، وفي هذه المنطقة ذات الهضاب المتماوجة العالية يوجد عدد كبير من ينابيع الأنهار والنهيرات التي تنحدر من خط توزيع المياه بين النيل والكونغو . وهي أيضاً نموذج للنباتات السودانية مع الذرة الرفيعة والدخن وهناك تعيش قبائل الويل uele وتحتل قسماً كبيراً من حوض نهر الأوبانجي الذي يشكل الفرع الرئيسي لنهر الكونغو . وهناك مجموعتان من القبائل لا يعرف عنها إلا القليل . وتضم كثيراً من القبائل (النيلية العليا حسب تصنيف ويسترمن وتتكلم اللغة السودانية . وكذلك التي تشبه النيلين من الناحية الفيزيائية من جهة وكذلك الذين يتكلمون لغة البانتو جيرانهم في الجنوب . وهم صغار الرؤوس نسبياً وقصار القامة عامة وهم زنوج حقيقيون من الناحية الفيزيائية ولكن هناك بعض الأستثناءات حيث يميل لون الجلد إلى البني أكثر مما هو أسود .

هذه القبائل من ذوي الرؤوس المستطيلة مثل (البونغو والجوز. وكذلك قبائل ندونثو والآزاند . هم في الواقع يشكلون شعوباً أكثر منهم قبائل مثل لاندو - مامفو - كاليكور مانفيبتو اباريما وأشهر هؤلاء جميعاً هو شعب الازاند الذي يمكن أن يكون نموذجاً لكل هذه الشعوب .

٤ - الأزاند : Azande ويعتبر شعب الأزاند أكثر الشعوب المذكورة قوة وبأساً وذكاء ورغم ما تتصف به غالبية هذه الشعوب هي

الأخرى بالبأس والقوة هم يختلفون عن أغلب قبائل وشعوب السودان والكونغو . ويمكن أن ينظر إليهم كشعب أو أمة أكثر من قبيلة . وهم يعيشون بين حوضي النيل والكونغو وحوض بحيرة تشاد . وتضم أراضيهم قسماً من السودان وزائير وجمهورية أفريقية الوسطى . وكان يطلق عليهم قبائل النيام نيام وعددهم حوالي ٧٥٠ ألف (١٩٧٠) وهم من الناحية العرقية مختلفين كثيراً ففي القرن الثاني عشر كان هناك شعب يطلق على نفسه اسم امبو – مو ambo - mu ويعيش على النهر المسمى نفس الاسم . تحت قيادة زعيم ينتمي إلى طبقة معروفة بأسم الأفونغارا احتلوا قسماً كبيراً من أرض جيرانهم ، وانتشروا جنوباً وشرقاً وسيطروا على عدة شعوب احتفظ بعضها بلغته الأصلية وبعضها نسيها وصهر مع غيره . وبسبب هذا الاختلاط جاء شعب الآزاند الحالي الذي تجري في عروقه كثير من الدماء الحامية . وخلال فتحهم البلاد انشغل أحفاد العائلة المالكة بالخروج على بعضهم والاقتتال ويتميز الآزاند بلونهم الفاتح وشعورهم الطويلة المجعدة وطول أطرافهم العليا وقصر السفلى . وهم يختلفون من الناحية الفيزيائية من منطقة إلى أخرى فمنهم قصار بطول ١٦٢ – ١٦٣ ومنهم طوال القامة ١٧٣ ويتكلم الآزاند اللغة السودانية . وكانوا في وقت من الأوقات من أكلة لحم البشر ويذكر محمد ثابت بأن زعيم قبيلة مانجبيتو وهم من الآزاند كلما أعوزه اللحم قصد مع رهط من أصحابه إلى الأكواخ التي تعيش فيها زوجاته الكثيرات فاذا شاهد أحد هناك يقتله ويأكل لحمه هو وأصحابه . وأهم مجموعات الآزاند : البانجاس في الغرب ثم الأيوانغارا في الشرق والأيو في الوسط . وعندما احتل البلجيك الكونغو أجبر الآزاند على الاندفاع شرقاً وغرباً حيث عبروا المنطقة بين الكونغو والنيل ودخلوا ضمن جمهورية السودان وبسبب أنهم من أكلة لحوم البشر فقد ابتلعوا قسماً كبيراً من القبائل ذات الرؤوس الصغيرة على طول روافد بحر الغزال .

٥) – الكانوري : حسب الروايات التقليدية أنهم قبيلة ذات أصل أبيض تسمى (سيفو) كما أن أحاديث المانغا المتوارثة تطلق عليهم اسم (توبا) وحالياً /لمتيا/ الغربية ، وقد تسرب هؤلاء بمجموعات صغيرة حوالي القرن التاسع والعاشر من ليبيا ، ومن المحتمل من مصر واحتلوا منطقة الكاوار (في النيجر الحالية) نحو عام ٨٥٠ م وتابعت سيرها نحو الجنوب ووصلت /كانم/ وهنا لم يعد يذكر شيئاً عن التوبا وحل محلها اسم الكانمبو الذين استوطنوا شواطئ بحيرة تشاد ومروا إلى منطقة بورنو واختلطوا مع شعب الساو القديم ومن هذا الاختلاط ظهر شعب الكانوري .

– الساو Sô : هم العرق الأسطوري العملاق الذين تحدثت عنهم روايات تقليدية عددية بأنهم صيادون وثنيون وهم دون شك من أصل محلي وقد أصبح أحفادهم مع الزمن من ذوي القامات الطبيعية ويتمثلون بفروع البادية – الكاماغاما – كوتوكو – داغارا وقد فرض التوبا على الساو صفاتهم الفيزيائية وعاداتهم ويعتبر الكانوري العرق الرئيسي في بورنو ويعتبرهم الهوسا شعباً محلياً بسبب انتسابهم للساو ويسمون بلغة الهوسا وبلاد الزيندر /بيري بيري/ ويبلغ عددهم ١,٢٥٠,٠٠٠ بما فيهم المانغار /موبير/ تويام والبوداوي ويمكن أن نجدهم بأعداد كثيرة في الحدود بين النيجر – البورنو على طول ساحل بحيرة تشاد الغربي وهم طوال القامة وتتميز وجوههم عن بقية الشعوب الأخرى والواقع أن الكانوري قد استعربوا كثيراً بسبب اختلاطهم بالقبائل العربية بالاضافة إلى اختلاطهم بالفولاني الذين يدعون النسب العربي .

– التنظيم الاجتماعي

١ – السياسي : تقسم المجتمعات السودانية الشرقية من الناحية السياسية إلى نموذجين من التنظيمات السياسية الأول وهو الذي يتبع

النظام الوراثي واقام دول وامبراطورايات مثل الكانوري والفور والاتحاد الازاندي أما الثاني فهو المنتخب كالنظام المتبع لدى البقارة والنوبة والأوكور :

وأهم الممالك التي ظهرت امبراطورية البورنو وكانم وسلطنة دارفور وهناك الاتحاد الآزاندي ولكنه لم يكن مملكة بل هو اتحاد فضفاض كما سنرى كما لم يكن لدى البقارة أو التور و(النوبة) نظام ملكي خاص.

- مملكة درافور : ظهرت مملكة دارفوراو (سلطنة الفور) حوالي ١٦٤٠م وقد سبقت شعب الفور شعوب أخرى أسست في دارفور ممالك مثل الداجو والتنجور وقد قضى الفور على هاتين الدولتين ولا تزال الفترة الأولى من تاريخ الفور والتي سبقت قيام دولة الملك سليمان صولون مجهولة غير أن الروايات التقليدية تقول بأن فرعاً من الكنجارة ارتبط بعائلة التنجور وبهم بدأ عهد سلاطين الفور ويرجح أن المملكة في عهدهما وعهد خلفائهم في القرن السادس عشر كانت مقتصرة على كتلة جبل مرة . وقد اتسعت السلطنة سريعاً فشملت أجزاء من كردفان. وامتدت لفترة قصيرة حتى موضع أم درمان الحالية وأهم حكامها السلطان سليمان صولون (سلونج) الذي تولى الحكم عام ١٦٤٠ م اتخذ بلدة (طرة) شمال جبل مرة عاصمة له وبعد توطيد الدولة مد نفوذها شرقاً وغرباً مستعيناً بالبدو (العرب) على أخضاع جيرانه السود كما مد سلطانه إلى كردفان وأهتم بنشر الدين الإسلامي كثيراً .
ومن السلاطين المشهورين بعده السلطان عبد الرحمن الرشيد بن أحمد بكر ١٧٨٧ - ١٨٠٢ الذي عاصر دخول نابليون لمصر . وكتب لنابليون يهنئه بفوزه على المماليك الذين كانوا يعتدون على قوافل دارفور ويعطلون تجارتها مع مصر كما كتب إليه نابليون يطلب منه أن يمده بألفي عبد يقوي بها جيشه وكانت سلطنة الفور مهابة وتخشاها القبائل

المجاورة وبخاصة البقارة على كثرة عددهم وتعتمد على العشور والفطرة والزكاة والضرائب على البضائع من التجار ومن نصيب السلطان من قانوني العقوبات المدني والجزائي . ومن الهدايا التي تصله من الحكام والرعايا وبسبب استقرار الدولة كانت حالة الشعب بشكل عام جيدة وكذلك الطبقة الحاكمة فالحكم كان من النوع الملكي المطلق. وكان هؤلاء يعيشون في بيوت كبيرة ويلبسون فاخر اللباس من صنع السودان ومن الخارج وكانت منازل السلطان كلها من الطوب الأحمر وغرف نومه وجلوسه مكسوة الجدران بالجوخ الثمين وأثاثها فخم محليٍ بالعاج والمعدن . وما زالت مباني السلاطين قائمة في مدينة الغاشر ونظراً لموقعها التجاري فقد اهتم السلاطين بالتجارة وكانت لهم تجارة كبيرة مع كردفان حتى بحر الغزال ووادي مصر وكان يصل منها إلى مصر عن طريق الأربعين المشهور قوافل تحمل الرقيق والعاج والريش والصمغ والنحاس والنطرون والعسل كما تعود من مصر محملة بالأنسجة القطنية والحريرية والد بلان والجوخ والملاءات الحجازية والأسلحة والحلي الذهبية .

وقد انتشر التعليم مع الدين الإسلامي حتى عم كل دارفور على خلاف كردفان التي بقيت بعض أجزائها الجنوبية على وثنيتها وتبع انتشار الإسلام تشييد الجوامع ومراكز العلم وقراءة القرآن وقد اتصلت دارفور بالأزهر الشريف فهاجر إلى مصر عدد من الطلاب وأصبح لهم رواق يعرف باسم رواق دارفور ومما يذكر أن سلاطين دارفور اهتموا كثيراً بالاتصال بالأرض المقدسة فكانوا يدفعون لها الجزية من تلقاء أنفسهم عرفت بصرة الحرمين الشرفين وكانت قافلة الحج تقوم من دارفور متجهة نحو مصر حيث تباع البضائع التي تحملها هناك . وتربط المبالغ المجموعة في صرة يحملها معه المحمل المصري الشريف إلى الحجاز وقد عاشت السلطنة أكثر من قرنين ونصف من الزمن في حكم مستمر

وعند دخول المصريين والأتراك السودان في بداية القرن التاسع عشر كان على عرش السلطنة محمد الفضل بن عبد الرحمن ١٨٠٣ - ١٨٣٩م وكان على كردفان المقدم مسلم التابع للسلطان المذكور .

- الامبراطوريات والممالك (امبراطوريات البورنو - كانم:

كان القسم الغربي للسودان الشرقي الذي يحيط بحيرة تشاد مركزاً لأمبراطورية وعدة ممالك أهمها امبراطوريـة بورنـور كـانم والممـالك الـتي ظهرت منها ثم مملكتي باجيرمي ومملكة رباح بن الزبير ومملكة وداي .

١ - امبراطورية البورنور كانم أو البورنو :

ظهرت امبراطورية البورنـور كـانم أو كـانم البورنـو أو البورنـو في المناطق الواقعة في القسم الغربي من السودان الشرقي وهـي المنـاطق الـتي انحسرت عنها مياه البحر الداخلي ذو المياه العذبة ولم يبق منه سوى بحيرة تشـاد الحاليـة . وكلمـة بورنـو نفسـها تـدل علـى ذلـك . ومعناهـا بلغـة الكانوري /الذي يشكلون العمود الفقـري لامبراطوريـة البورنـو/ البحـر الـذي اختفـى فكلمـة بـوروم معناهـا بحـر أو أرض مغطـاة بالميـاه وكلمـة (نوي) الذي اختفى ولا يعرف متى اختفى هذا البحر ولكن الوديان الـتي ساعدت على اختفاء ولا يعرف السبب الذي أدى إلى اختفاء المياه وربمـا يكون زلزلاً خرب المنطقة . واعتباراً من القـرن الثـامن أو القـرن التاسـع حتى التاسع عشر ظلت تسـيطر علـى المنطقـة حـول بحيرة تشـاد وشمـال الكمـيرون . والشـمال الشـرقي للأتحـاد النيجـري وشـرق بـلاد النيجـر وحسب ما ذكر في الموسوعة البريطانيـة أن العائلـة المعروفـة باسـم سـيف Sef (سيفو) حكمت المنطقة اعتباراً من القـرن الثـامن وظلـت حتـى عـام ١٨٤٦ م ويمكن أن تكون مدة حكمها أطول مـدة حكمت فيهـا عائلـة مالكة في التاريخ وقد ظهرت في بادئ الأمر في كانم ثم تحركت نحو بورنو (مقاطعة في نجيريا) وقد ازدهرت الامبراطورية اعتباراً مـن القـرن الحـادي عشر عندما توسـعت إلى السـودان وليبيـا وسـيطرت علـى التجـارة عـبر

الصحراء .

ومع ذلك فالغموض لا يزال يكتف بداية تأسيسها لكن من المحتمل أنها تأسست في منتصف القرن التاسع وكانت عاصمتها الأولى /نجيمي/ في /كانم/ شمال شرق تشاد وحوالي نهاية القرن الحادي عشر أسلم الماي (الملك) انميه Unme(عرف فيما بعد باسم عبد الجليل) واصبحت بورنو دولة إسلامية ، وبسبب موقعها الجغرافي أصبحت نقطة تماس تجاري بين شمال أفريقية ووادي النيل ومناطق جنوب الصحراء .

وهناك اعتقاد بأن الغموض الذي يكتنف تاريخ بورنو يعود إلى مملكة كانم التي حلت محل البورنو في النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت تفتش على كل ما يتعلق بتاريخ سابقتها فتدمره . ولكن في عام ١٨٥٤ سجل المكتشف الألماني هنري بارث لائحة تحوي ٦٩ أسماً لسلاطين تتابعوا بعد الملك الأول تبلهو Tilho ويبدو أنه قدم في عام ١٩٠٥ لائحة نهائية أخرى تضم ٦٧ سلطاناً حكموا من عام ٧٨٤ إلى عام ١٨١٠ و ١١ سلطاناً حكموا من عام ١٨١٥ - ١٩٠٠م . ولذلك ففي كانم يجب التفتيش على أصول البورنو وتقول الروايات التقليدية أن مؤسس العائلة المالك هو توبا لاويل Touba laouel وربما تكون محرفة من اسم (توبة) وهو شخصية اسمها سيفو أو سيف لكن الرواية المحلية التي يتحدث بها السكان في موينو وكانم في بلاد النيجر تذكر اسم توبا والواقع حسب قول ايدمون سيريه دور بفيير مؤلف كتاب تاريخ النيجر أن سيف هو الذي أسس فيما بعد مملكة كانم التي خلفت امبراطورية البورنو .

وتقول الاسطورة أن توبا لاويل التقى بالنبي محمد وعلى يده اعتنق الاسلام .

وخلال حكم الخليفة السادس (حسب قول الأسطورة) انقسمت امبراطورية المسلمين بين وريثين لتوبا لاويل أحدهما كان له الشمال (استانبول) والآخر واسمه (سيبو) Saybau كان له السودان وأحفاد

(سيبو) هم الذين أتو إلى كانم . وهناك أسسو امبراطورية تضم كل الأراضي غرب بحيرة تشاد والبورنو والمانغا النيجيرية . أحد هؤلاء الملوك هو دوناما ديبالامي (١٢٢١ - ١٢٥٩م) استطاع أن ينهض بالبلاد ويعطيها تألقاً مضيئاً جداً . في الوقت الذي كانت فيه البلاد تتعرض لهجمات قبائل البولالا مما أدى إلى وقوع الامبراطورية في حالة من الفوضى وحسب الموسوعة البريطانية أنه في نهاية القرن الرابع عشر اجبرت قبائل البولالا /سيف/ لترك (كانم) وانتقلت العاصمة إلى بيرني (ناغازاراغامو) في بورنو غرب بحيرة تشاد وبقيت هناك حتى بعد أن استعيدت كانم في بداية القرن السادس عشر . وفي مكان آخر أن أحد الأمراء في القرن الرابع عشر واسمه عمر هو الذي ترك كانم والتقل إلى البورنو بعد تعبه من القتال ضد البولالا . وقد ظلت العائلة المالكة موجودة في كانم بحالة بائسة . حتى ظهور علي بن دوناما . وكان يطلق عليه /ماي علي/ أو علي الغازي (الفاتح) وتقول الرواية أنه تعلم العلم في كانم . وكان فيها عندما استدعي ليحل محل والده محمد دوناما المتوفى . ولم يكد يصل إلى المملكة حتى تثبت في غارومليه بالقرب من الويدي (الوادي) الواقع على بعد ٢٠كم جنوب غرب ن - جيجي N' guigmi حيث بقي سبعة أعوام . وقد بنى بمساعدة اليد العاملة القادمة من ساو Sô قلعة لاتزال بقاياها موجودة حتى الآن . وهي عبارة عن قصر كبير بطول وعرض مائة متر من الطين المشوى في مساحة ٢٥ هكتار من الأرض . وقد ظهرت حول القصر قرية زاد عدد سكانها إلى سبعة آلاف شخص وقد سميت العاصمة الجديدة قصر غومو . وكان ظهور علي بين (١٤٧٢ - ١٥٠٥م) وهناك بعض الروايات تقول بأن علي الغازي تركها عندما استقر في بورنو.

وصلت الامبراطورية إلى ذورتها في القرن السادس عشر في زمن السلطان ادريس أو آلاموا /١٥٧١ - ١٦٠٣/ الذي هزم قبائل الساو

واندفع نحو الغرب حتى داماغرام وإلى كانوا في نيجيريا الحالية وسيطر على قبائل الطوارق في /الآير/ من بلاد النيجر وسيطر على بلاد التوبو لتأمين مواصلاته مع البحر الأبيض المتوسط . فالامبراطورية الواقعة شمال شرق تشاد . تحت سيطرة قبائل البولالا ولكن المناطق الغربية مع ن - نجيجمي ظلت مقاطعة بورنية . وفي ذلك الوقت بدأ تأثير البورنيين على مجموع بلاد النيجر الحالية وامتد حتى امبراطورية السونراي . ولكن بعد الوما بقرنين زالت دولة البورنو بسبب الثورات التي نشبت وكذلك تعرضها للغزو الفولاني ، فقد استطاع أحد قادة عثمان دان فوديو من احتلال العاصمة قصر غومو وطرد منها مولاي أحمد ١٧٩١ - ١٨٠٨ ولكن هذا استطاع استراجاعها بعد النجدات التي وصلت إليه من اتباعه والدول الأخرى التابعة للبورنو مثل ممالك السوسيباكي في النيجر بقيادة سيفو عبد الله (عبد الاي) وكذلك محمد الكانمي وهو عالم ومحارب من كانم وقد قتل (غوني مختار) قائد الفولاني وهربت جماعته بعد بقائهم في العاصمة أربعين يوماً وذلك عام ١٨٠٦ وهنا سيطر أحمد الكانمي على الدولة لكن لم يستطع إعادة قوتها القديمة ، كما دخلت بعد على الساحة السياسية شخصية أخرى - ربما تكون من مجموعة الكانمي . وهو الشريف الأمين وهو مرابط ومستشار لدوناما . واستطاع هذا نقل السلطة له ولعائلته وبذلك تأسست عائلة مالكة جديدة في البورنو وهي عائلة الكانم . ثم نقلت العاصمة إلى كوكو بعد إعادة بنائها ورغم الثورات التي قام بها أفراد العائلة المالكة القديمة (سيفو) إلا أن هذه العائلة سقطت كلياً عام ١٨٤٦ بينما واصلت عائلة الكانم سيرها الا أنها تعرضت في نهاية القرن التاسع عشر إلى الهجمات التي بدأ يشنها عليها رباح بن فضل وانتهى أمرها حوالي عام ١٨٠٠ بعد دخول الفرنسيين للمنطقة وقضائهم على مملكة رباح وغيرها من الممالك في المنطقة .

- الممالك والامارات التابعة للبورنو : تحت مظلة امبراطورية البورنو

- كانم كانت هناك ممالك ودول تابعة لها لها نفس النظام ومنها ماكان مستقلا بشكل كامل . ولايعترف الا بنفوذ محدود للبورنو عليه . وربما يدفع في بعض الأحيان نوعاً من الجزية حسب قوته وحسب ضعف حاكم أوسلطان بورنو أماكان تابعاً كلياً للبورنو ويحكمه ولاة من قبلهم . وقد إنتشرت هذه الدويلات في مايعرف حالياً بجنوب شرق النيجر وقسم من تشاد . وبعض أجزاء من شمال نيجيريا وأهم هذه الممالك هي التي ظهرت في مناطق النيجر كالمونيو والكوتو وممالك السوسيباكي . والد أمّا غرام (الزند) .

وتعتبر امارة المونيو إحدى أكبر الدويلات التي كانت تحت نفوذ البورنو ويعود تأسيسها إلى قبيلة الداغمار في منطقة كوتو ، وقد توسعت المونيو في زمن أحد ملوكها سيامي حوالي عام ١٧٠٠ م حتى وصلت الحدود الحالية بين النيجر ونيجريا . وظلت قائمة حتى عام ١٨٧٤ عندما ضمها الزندر إلى مملكتهم أمّا مملكة الكوتو فتعود للطوراق الايماكتين . وقد ظلت قائمة من عام ١٨٠٢ حتى عام ١٩٠٤ وسقطت بيد الفرنسيين .

ولاشك أن أقوى الممالك هي سلطنة الزندر التي تأسست في نهاية القرن السابع عشر على يد أحد المرابطين وأشهر ملوكها تنيمون الكبير Tenimoun le grand (١٨٥١ - ١٨٨٤ م) الذي استطاع رجاله الفنيون من صنع البارود وصهر الحديد وصب المدافع والكرات الحديدية كقنابل وكان بإمكانه زج جيش في معركة مجهز بستة آلاف بندقية محلية وأربعين مدفعاً أيضاً من صنع محلي ولاشك أنه رغم فعاليتها المحدودة الا أنها كانت متفوقة على كل ماعداها من الأسلحة في المنطقة . كما اهتم بالزراعة والتجارة حيث وصلت تجارته إلى مصر وغيرها من البلاد العربية في شمال افريقية . وقد خصص لقوافله ألف جمل . وكانت تجارة العبيد

تدر عليه أرباحاً طائلة وكان يتبع أسلوب المقايضة . كما كان يرسل الصدقات إلى مكة كعادة كثير من الحكام المسلمين في غرب افريقية وقد أصبحت الزندر محور جذب للمنطقة ولم يعد ينظر اليها كسلطنة صغيرة . شكلت هذه السلطنة النواة التي بينت عليها جمهورية النيجر الحالية وقد ظل خلفاء تنيمون يحكمون المنطقة حتى دخول الفرنسيين وحيث اصطدم آخر السلاطين (أحمدو) بهم ولكنه خسر معركة تسيرمين مما أدى إلى دخول الفرنسيين مملكة زندر ٣٠ تموز ١٨٩٩ والقضاء عليها وقد ظهرت في المنطقة ممالك أخرى منها القديم ومنها الحديث وكان لها دورها في المنطقة حتى وصول الفرنسيين الذين قوضوا مختلف الممالك الاسلامية في شرق السودان وغربه وأهمها سلطنة الباجيرمي ووادّي وسلطنة رابح بن فضل الله وقد استغلوا الخلاف والحروب بين هذه الممالك . والتي قاومت بشدة الفرنسيين سلطنة رابح بن فضل لذلك اعتبر الفرنسيون انتصارهم على (رباح أورابح) أحد أهم انتصاراتهم الاستعمارية التي أحرزوها ويعرض الفرنسيون في اللوفر صورة أحد الجنود يحمل رأس رباح على عصاه بعد مقتله في معركة كوسوري في ١٢ نيسان ١٩٠٠ بسبب اصابته برصاصة طائشة ، وقد اشتهرت الممالك المذكورة برعايتها ونشرها للدين الاسلامي الصحيح وللثقافة العربية الصحيحة . كان الحكم في هذه الممالك هرمياً وراثياً واتوقراطياً مرتبطاً بطبقة (أو فخذ) من الأرستقراطيين يعود إليهم الملك أو السلطان وحاشيته وحكام الأقاليم التي تتبعه فلدى الفور طبقة الكنجارة ولدى الآزاند طبقة الأفونغارا ولدى امبراطورية البورنو الكانوري والديان سيركي في مملكة الزندر .

بعد السلطان يأتي حكام المقاطعات (نواب الملك) ويطلق عليهم الفور المقدمين يعينهم الملك أو السلطان من أقربائه أو من طبقته وكان لكل واحد منهم سلطة واسعة بما فيها حكم الاعدام وكان عليه الحضور

إلى عاصمة السلطان مرة كل ثلاث سنوات لكي يشهد الاحتفال بتحديد الطبل السلطاني ويحمل معه عادة خراج السنوات الثلاث مع الهدايا بعد أن يبقي لنفسه قسماً من الخراج ليصرفه على اقليمه وكل قسم أو اقليم مقسم إلى مقاطعات ومن بعدها مديرات ومن بعدها القرى التي كانت تحكم من قبل العمد (الدمالج) وفي كل قرية مجلس لكبار السن يناقش المشاكل الزراعية ويقررها ويدعم قراراته بالنصيحة والتخويف وتمتد حقوق القرية إلى كل المرتبطين بها من السكان ومع ذلك تنهي كل السلطات عند السلطان الذي يستطيع أن يخلع من هم أدنى رتبة عندما يجد أن ذلك يهدد سلطنته وسلطته .

أمّا لدى البورنو فكان على قمة الحكم السلطان (المي) أو الماي ويحيط به بلاط منظم تتوزع فيه المسؤوليات بدقة متناهية ، وكلمة مي لقب مشهور في بلاد الهوسا . ويلقب به كل شخص لديه نوع من السلطة حتى أبسط إنسان فسيد البيت أو رب المنزل يدعى / مي جيدا / ولايزال هذا اللقب ضروري لصفة الرئاسة حتى الوقت الحاضر - وربما يكون محرفاً من كلمة امام - والواقع أن الكانوري الذي تعود اليهم السلطة في البورنو يطلقون على رئيسهم هو السلطان الشيخ / شيهو / الذي في نفس الوقت الحاكم الرسمي والزعيم الديني للدولة .

يشمل بلاط البورنو وبقية الممالك على عدد من المناصب تتسلسل حسب التنظيم العسكري أو الأواري فهناك أحد عشر رئيساً أو زعيماً عسكرياً تتبع كل منهم تشكيلة من الفرسان . وكانوا قادة حقيقين ولكل منهم راتبه الخاص بالإضافة إلى أقطاعياً تهم أو الاقليم الذي يتولون رئاسة ومن بين هؤلاء يوجد الكايغاما ـ الكاتسيلما ـ كاتيلا كاتشيملما الغالاديما وقد أصبح الكاتسيلما رئيس المقاطعة أما موظفو القصر فهم الشتيما / أو الشتينا / والمكينفا والماروما وتظهر هذه الألقاب حالياً في قرى المانغا والموبير في النيجر ويحمل رئيس مجموعة من القرى اسم لاون

وكان في السابق يحمل لقب رئيسن المحاربين أما الرئيس العادي البسيط فيطلق عليه بوللاما .

ويضم البلاط عادة مجموعة من الخصيان ورئيسهم بدعى الماستيراما رئيس الجباة وجامعوا الضرائب وعادة يكونون من الخصيان فيطلق عليهم اسم الشتيما بيللوما ولا يزال هذا التسلسل المعقد في الرتب موجود حتى الآن ولكن يشكل جزئي في المقاطعات النيجيرية ومنزل الأسرة ومجمع من عدة أسر هو الوحدة السياسية الأولى وهي مرتبطة بالحي ثم التجمع السكاني الصغير ثم القرية والمقاطعة . ويعين الشيخ رؤساء المنازل والأحياء والقرى والمقاطعات جميعهم .

أما اتحاد الآراندا فهو نوع من الاتحاد الكونغدرالي وهو مرتبط بطبقة الأفونغارا في المراكز والمقاطعات وفي النواحي البعيدة ويقتضي النظام السياسي على وجود رئيس أعلى للقبيلة وهناك اعتقاد وربما يكون بعيداً عن الدقة أن يكون هذا الزعيم من أحفاد / غور / هو حاكم القبيلة الذي كان يحكم البلاد قبل مائتي عام وهو الذي فتحها وضمها مع أرض الجيران اليه وتكون حدود القبائل عادة أحد الانهار ويحكمها رئيس يلقب ملك وأولاد يتوارثون الحكم بعده وأما / النو / وهم الطبقة الأخيرة من الحكام فيكونون من العامة .

أما النظام الثاني من الحكم / هو الذي يستند لدى البقارة على نظام الفصائل / ذات القربي / في حين تكون هذه الفصائل لدى التورو والنوبة غير متوافقة مع مجموعة القربي . والقبيلة لدى لدى البقارة مقسمة قسمين وكل قسم مقسم إلى خمسة أقسام أصغر وكل واحد من هذه الأقسام يضم القسم الأكبر من التجميعات ذات القربى . وتمتد حتى العائلة ولكل من هذه المجموعة رئيسها . لذلك يعتبر المجمع السكاني

(كامباوند) هو الوحدة للاقامة الانسانية وقطعان الماشية ويتغير عددها وتشكيلها حسب المواسم . وضمن كل قبيلة وعلى كل مستوى محكمه للنظر في شؤون الهجرة أو البقاء واستمرارية المعاهدات والاتفاقيات التي تعقد أو التي كانت معقودة بين الأشخاص أو بين المجموعات ز وعند اهراق الدماء بين الفصائل والأفخاذ ، فهي التي تقرر نوع الدية المفروضة وتستند القوة والنفوذ لدى البقارة الحمر على الثروة وبخاصة عدد البقر وقوة الشخصية .

بامكان أعضاء الفخذ أو المجموعة لدى الأوتورو السكن في مختلف احياء القرية و لا يقتصر سكنهم على حي خاص كالبقارة فالوحدة السياسية لديهم هي الجماعة ـ من مختلف الأعراق ـ ذات المصلحة المشتركة بغض النظر عن القرابة . والخلاف بين الجماعات مقبول ولكن بين الجماعة الواحدة غير مقبول . و لا يمكن أن يقتل أحدهم آخر من نفس الجماعة ، وهناك نظام يحدد الحدود بين القبائل بموجب اتفاقيات معقودة بين القبائل تعاد دورياً كل عام ، وعند إستمرار القتال والغارات بين الفصائل أو بين الاقطاعيات تستخدم القوة السلام وتطبيق الاتفاقيات بالقوة وتقليدياً لا يوجد لدى الأتورو رأس سياسي بل هناك رئيس ديني يعمل كوسيط لفض النزاعات .

ـ الطبقات الإجتماعية :

مما نقدم بوضوح أن الذي يمسك بالقوة السياسية في هذه المجتمعات هي طبقة معينة مميزة منها يأتي الحكام وأتباعهم وهناك تميز لدى الآزاند بين المجموعات المحاربة وغير المحاربة من العبيد من النواحي

السياسي والاقتصادية . أما الحرفيون وعمال الحديد بخاصة فيشكلون طبقة أقل لا يجوز لها الزواج الا من مجموعاتها . ولدى البقارة تمييز بين من هم من أصل عربي والذين من أصل آخر . وبعد الطبقة الحاكمة ومن يلوز بها والذين يعودون إلى قبيلة أو فرع معين كما رأينا يوجد بقية الشعب من الأحرار وبخاصة التجار والمزارعين أما الطبقة الثالثة فهي طبقة العبيد وتنعدم هذه الطبقات لدى الأوتورو والنوبة ويستعاض عنها بطبقات الأعمار المتقاربة ولها خمس درجات وفي كل درجة يمضي المرء فيها ثلاث سنين وفي كل مرة ينتقل الاحتفالات وأعضاء كل طبقة أعلى وتتميز الدورة عند انتهائها بإقامة الاحتفالات وأعضاء كل طبقة يعيشون منفصلين عن بعضهم و لا شك أن هذا النظام المتطور هو الذي يهدم الطبقة الإجتماعية كما رأينا في أماكن كثيرة والفتيات لدى الأوتورو يتبعن دورات طبقات الأعمار كما لدى الآزاند طبقات الأعمار .

٢ ـ الحياة الإجتماعية ـ العائلة النسب والقرابة ـ الزواج ـ الوفاة ـ عادات وتقاليد :

لاشك أن العائلة لدى كل هذه المجتمعات هي الوحدة الرئيسية وهي البداية التي تبنى عليها الأفخاذ ورغم أن لا قيمة للفخذ من الناحية الإقتصادية والسياسية الا أنه مهم في موضوع دفع الجزية التي يتعاون كل أفراد الفخذ على دفعها وكذلك من ناحية الزواج فبعض هذه الشعوب تسمح بالزواج من الأقارب بل على العكس فهي تفضله أما العامة لدى الآزاند والتورو فيمنعون الزواج من الأقارب ولكن نبلاءهم يقرون زواج الأقارب لحفظ الثروة والسلطة وجميعهم يقرون بتعدد الزوجات وينظر اليهم بعضهم كعملية لا متداد شخصية الرجل

ونفوذه بالتقارب المجموعات الأخرى مما يجلب له القوة والمتعة ويكثر نبلاء الآزاند بالزواج ويصل ما لدى الواحد منهم إلى ألفي زوجة لذلك كان من الصعب على الشباب إيجاد زوجات ويعاقب المراهقون بشدة اذا اقترب أحدهم من زوجات النبلاء لذلك تتزوج الفتيات وهن صغيرات السن . ويمكن أن تخطب في بعض الحالات ساعة مولدها . ويقيم الزوج دائماً مع الزوجة المميزة لديه (لدى الفور) ويكون هذا المكان عادة يقرب إحدى زوجات والد الزوجة وإذا لم يستطع البقاء مع أهل الزوجة فيمكنه تشكيل أسرة خاصة به هو وأبناؤه وزوجاته وزوجاتهم والزواج ببنات العم مرغوب لدى الفور والكانوري والبقارة الذين يفضلون زوجاتهم من نفس (الصره) أي الفخذ ويقدم المهر لدى الآزاند من الحراب أما الكانوري والفور والأتورو فيقدمون البقر من ١٠ ـ ١٥ بقرة ويلغى الزواج إذا أعيد كامل المهر ويخول الخطيب لدى الأتورو مخالطة خطيبته ولكن في بيت أهلها حتى تكسير طفلاً و لا يأخذ الزوج زوجته من أهلها إلا إذا دفع ربع المهر الثاني وإذا بلغ الأطفال سناً معينة وجب تسديد كل المهر وإذا ماتت الزوجة ولم تعقب طفلاً يطالب زوجها بنصف المهر . و لا يقارب الرجل زوجته بعد مجيء الطفل ويبقى على هذا الحال اثنا عشر اسبوعاً إذا كان المولد ذكراً أما إذا كان أنثى فيبقى فقط ثمانية أسابيع . ويعود الجميع في نسبهم إلى الأب إلا أن النسب للأم مهم لدى التورو وموضوع النسب الأبوي له أهميته في حال العمل على التعريف بهوية الرجل ومكانته الإجتماعية والوراثة والحقوق والواجبات وفيما يخص الزواج والتعاون في دفع المهر .

وعملية الختان منتشرة لدى كل هذه الشعوب ولكن لكل منهم

نظرة خاصة فبالنسبة للآزاند هي بداية دخوله دورات طبقات الاعمار وكذلك الأتورو أما المجتمعات المسلمة فليس له أهمية خاصة حيث يجري الختان عادة للأطفال وهم صغار السن وربما بعد الولادة مباشرة ويحتفل عادة بعملية الختان لدى الشعوب المسلحة وكذلك شعوب الأزان والأتورو أما بالنسبة للكانوري فلا يعرف نوع الولد خارج المنزل الا من قبل الأقرباء والأصدقاء . وهناك ارتباط بين الندوب التي تجري للوجه لدى الآزاند على عملية الاختيار لوصول اليافعين إلى مرتبة الرجال أو قتل العدو . ويخول الشخص أن يكون لديه نموذج للتخويف يوضع على ظهره وهناك نموذج آخر للندوب يمكن عمله على ساعد الرجل عند نجاحه في الصيد وإذا توفى أحد من النوبة يندبه الجميع وتبقى الجثة يوماً كاملاً قبل الدفن لا عتقادهم أن الروح ترفرف فوقها ـ وهي عادة مصرية قديمة) قبل أن تصعد إلى السماء وتدفن الجثة على جانبها أو واقفة ويعتقد الآزاند عند موت جسم الروح أن هناك روحاً تذهب لتتقمص حيواناً ما (طوطم) داخل التنظيم العشائري وروح أخرى تبقى بالقرب من البئر ، ثم تذهب لتلتحق بأرواح الأجداد التي تقطن عادة عند رأس مجرى ماء وللعرافة والسحر معان كثيرة لدى الآزاند أكثر من عبادة الأرواح فعندما يشعرون بأي نوع من النحس يصيبهم ينذرون أنفسهم وقتاً طويلاً لا كتشاف من هو الذي يراقبهم وبالتالي يجلب النحس لهم . وبالنسبة اليهم أن النحس هو الضعف الذي يسبق الموت والذي يسببه السحرة الخبثاء فالساحر مسؤول عن إكتشاف السحر عن طريق تسميم دجاجة ثم وضع أسماء المشبوهين قبل السم والبراءة تعود إلى موت الدجاجة أو عيشها . وفي الزمن القديم كانت الحياة الانسانية

هي التجربة وربما يقتل الساحر أنساناً . ومن عادات النوبة أنه إذا خرج الرجال إلى الصيد وعادة يخرجون وهم عراه تعجن النساء الذرة مع الزبدة على شكل اصابع تلف كل واحدة حول خصلة من خصل شعر رأس الصياد وتظهر كأنها ذؤابات غليظة بيضاء مدلاة إلى الجانبين بشكل غريب وذلك لافتقارهم لوجود أي شيء يحمل هذه المعجنات التي سيأكلها الصياد عند الجوع في الوقت نفسه لا تعيقه من مقاتلة الطريدة والركض ومن أحب حفلات النوبا هي المصارغة التي يقام لها احتفالات كبيرة بحضور الملك ، كما يسمح الفتيان بضربهم بالسياط حتى تدمى أجسامهم لكي يظهروا شجاعتهم أمام الفتيات .

ـ التنظيم الاقتصادي : تختلف المستقرات الاستيطانية حسب البيئة المحيطة فالأوتورو الذين يعيشون على ثمانية هضاب والآزاند الذين ينتشرون في الغابات بمجموعات صغيرة مبعثرة هنا وهناك ، ومجموعة هذه المنازل تشكل قرية تجمع كل الجماعة وعدد من هذه الجماعات يشكل القبيلة أما الأزاند فيعيشون بمجموعات عائلية تقطن في مستقرات منزلية منفصلة عن بعضها بالأحراش أو مجاري المياه الصغيرة والمستقر المنزلي لدئ الطرفين هو الوحدة الإقتصادية . وبيوت الآزاند جميلة مدورة ذات قبة تهبط حتى الأرض تقريباً لاتقاء الأمطار الموسمية الغزيرة أما النوبة والتورو فيعيشون في أكواخ من الطين مخروطية الشكل كالجرس ويتألف بيت العائلة من ثلاثة أقسام واحد لرب العائلة وآخر للزوجة والأولاد والقسم الثالث احتياطي أما الطبخ فيكون في كوخ الزوجه أما الفور والكانوري فلدى هؤلاء مستقرات أكثر تعقيداً . فهي تحوي على عدد كبير من الأكواخ والسكان تشكل فيما بينها مدينة يصل عدد

سكانها في بعض الأحوال إلى مائة ألف أو تقتصر على بلدة صغيرة تحوي على عدد قليل من العائلات وبيوتهم أيضاً من الطين المجفف وهي مدورة أيضاً .

ويشكل لدى البقارة الحمر أعضاء القرابة الصغيرة (الصره) وأحفادهم مركزاً سكنياً (مخيم) واحداً ويعتمد تنظيم الصرة على عدد البقر الموجودة لديها وعلى توزيعها بين ملاكيها من بين الأعضاء . وكل صرة لها رئيس يكون عادة أغناها ولكن ليس له دور اداري أو سياسي ويشكل أعضاء الصرة الواحدة وحدة تعاونية للأعتناء بالبقر والقيام بالأعمال الزراعية إن وجدت ويعيش أكثر البقارة في الخيام بسبب حياتهم الرعوية ويعتمد وبخاصة البقر والجمال وأحياناً الصيد البري والنهري والذي يقدم رفداً قوياً للزراعة وتزرع في المنطقة الحبوب والسمسم والذرة والفول السوداني والقطن ويعيش البقارة على رعاية البقر ومنتجاتها وهم يتحركون حسب فصول العام وحسب المطر والعشب . وقد أشتهر الآزاند بصناعة هياكل الأسرة ونسج الحصر وصناعة الجرار أما الآزارز فقد اشتهروا بأنهم حرفيون بارعون ويظهر تفوقهم بصناعة وصناعة الامواس والرماح والحراب والتروس وهنا يكمن سر تفوقهم على جيرانهم وادي إلى انتشار ثقافتهم وهم ينسجون السلال من القش والجرار ويصنعون المفاتيح وغيرها من الأدوات المعدنية ثم الحفر على العاج والخشب وأعمال الأوتبزانا وكما يعمل الكانور بصناعة المعادن وصهر الحديد وصياغة الذهب . وهذه الصناعات منظمة حرفياً على شكل نقابات ويعمل البقارة بالدباغة .

وعدا تقديم الأضاحي فالثروة الحيوانية ليست للتبادل التجاري

ونادراً ماتذبح البقرة للأكل بل تستخدم لدفع المهر ويعتبر الحديد العلمة النموذجية للتبادل بالاضافة إلى المصنوعات اليدوية التي تعادل بالحبوب ويمضا والذرة الغذاء الرئيسي والمصدر الرئيسي للمبادلة لدى البكارة والأوكورو أما القطن فهو الرئيسي لدى الازانز . وتدمر الأرض عادة بعد موت المالك إلا ائزعماء فتترك على حالها فهم وحدهم يجب أن يملكوا الأرض وليلقون الفدية الخاصة بالاسرى .

والملكية لدى الغور هي البيت والمواد المنزلية والثياب والبقر المخصص فقط للبيع وحقوق الأ رض متساوي لدى الجميع باعتبارهم مالكين وينتمون لجد واحد ، وننظم في كثر من اوقات العام لسواق تجارية في أماكن معينة وتاريخ معين .

- الأديان : يعتبر الدين الاسلامي في كل المنطقة ويدبن به البكارة والغور والكانوري وثم من النوبة وللأوتورو الأزاند اعتقاداتهم الخاصة والتطبيق العملي لها ولها معان اجتماعية . وتنتشر الوساطة الروحية والسحر لدى الأوتورد وكطريقة للعقاب وإقرار العدالة ولديهم التعويذة التي أتى بها العرب ويعتقد النوبة بوجود معبود في السماء يسمى /بعل/ يباشر عمله في الأرض بواسطة أرواح الاجداد (ارو) التي تراقب كل شيء وتنزل العقاب والثواب ولديهم اعتقاد بوجود الآخرة أي دار السعادة للجميع يحشر الناس فيها جميعاً ويتزوجون دون قيد أو شرط ولايلدون مطلقاً . ومالدنيا إلا دار تجربة ولكنهم لايعتقدون بوجود جهنم والجنة حسب أعمال الناس وكل روح يقيم له وكيل في الأرض وهو رجل الدين توجور ويتخذ السحر سلاحاً له ويقع في المرتبة بعد

الملوك . ويزعمون أن حكم القساوسة الذي ساد مطر القديمة حيناً جاء من سلالة هؤلاء النوبيين ، قبل أن يبعدوا عن حدود مصر ، وإذا مات زعيم ديني انتخب القوم خلفاً له مباشرة ، ويحق لكل رجل يجد بنفسه الكفاءة للمنصب أن يتقدم حيث تختبره الأرواح ، وبالألهام ينتخب الخلف ، وهو في حالة إغماء ثم يتكئ على كتف الملك إلى بيت الروح إثارة إلى التعاون بينهما أي بين السلطتين الدينية والسياسية ثم يظهر للناس ، وإذا رفضته الأرواح في المرة الأولى يمكنه تقديم نفسه مرة ثانية ، والروح عادة لاتحل بجسم شاب بل بجسم كهل ويسود الجميع ساعة حفلة الانتخاب ذهول شامل كأنه تنويم مغناطيسي ويعتقد الآزاند بعبادة الأرواح وحلول روح الميت في حيوان (طوطم) وبقاء روح أخرى بجانب القبر لتلتحق بأرواح الأفراد .

وتنتشر لدى المسلمين العادات المتوارثة كتقديس الطحين والماء التي تحمل معها معاني الخصب كما يلجأون إلى تقديم الضحايا للمزارات وقبور الاجداد للشكر على قدوم المطر كما هو الحال بالنسبة لكثير من الشعوب الاسلامية وتباع التعويذة عادة من قبل أشخاص يعرفون بقيمتهم الروحية كالعرافين ، وبعض الكهنة والرجل صانع المطر وتستخدم هذه التعاويذ لايجاد عقاب ملائم للشرير ، ويعتقدون بأن الجزاء تسببه قوة عظمى فوق الطبيعة وهي مرتبطة حسب اعتقادهم بالقيام بعمل مشين أو إهانة مثلا الجماع مع إحدى القريبات من الدرجة غير المسموح بها للزواج واما السحر فهو تحت تصرف أي شخص وهو يسرى إذا وجه مباشرة ضد شخص ارتكب جريمة ، وقوة السحر والسحرة يتوارثون اعمالهم ومهنتهم وكذلك العرافون والوسطاء والروحيون وأصحاب الثأر السحري .

■■

الفصل الرابع

ساحل خليج غينيه

ـ تمهيد

أولاً ـ الشعوب واللغات ـ الصوصو ـ الكيسي ـ الكبيل ـ الآكان ـ الأشانتي ـ الفانتي ـ الباوله ـ الغون ـ الكرو ـ اليوروبا ـ الأميبو والآبيبو

ثانياً ـ التنظيم الإجتماعي ـ

١ – الأنظمة السياسية ـ اسلوب الحكم ـ الجيش ـ ممالك ابومي واليوروبا

٢ – التنظيم الإجتماعي والاقتصادي

ثالثاً ـ الطبقات طبقات الاعمار والجمعيات السريه

رابعاً ـ الديانات والشعائر الدينية

١) – مفهوم القوة الحيويه الأساسية والأخره

أ) ـ مفهوم القوة الحيوية الأساسية

ب) ـ الأخره

جـ) ـ الآسين

– مراسم الدفن والشعائر الجنائزية

ـ الممنوعات والمحرمات الملكيه

أ ـ السحر

ب ـ الپو

جـ ـ البوتو

د ـ الطرد عن طريق السحر

٤ – مجمع الآلهة [البانثيون] أ ـ الآلهة الرئيسية ب ـ الآلهة الثانوية

٥ ـ الكهنة والعرافون والوسطاء

خامساً ـ الفن

سادساً ـ الحفاظ على التراث

■

الفصل الرابع
ساحل خليج غينيه

تمهيد

تعني كلمة غينية حسب ماورد في الموسوعة البريطانية بريتانيكا البلاد الساحلية وما يليها من الغابات الأستوائية في غرب افريقية (حزام الغابات الساحلية) بين جمهوريتي غينيه وغينيه الاستوائية والاعتقاد السائد أنها محرفة من كلمة اغيناو أو غناوا التي تعني باللغة البربرية الرجل الأسود ، وتضم هذه المنطقة حالياً جمهوريات غينيه وغينيه بيساو وليبريا وسيراليون وغانا وساحل العاج وتوجو وبنين (داهومي سابقاً) وجنوب الاتحاد النيجيري والكاميرون وتطل هذه الجمهوريات على خليج غينيه الواسع في المحيط الأطلسي ، ويمتد بين رأس لوبيز بجانب خط الاستواء ورأس بالماس على الدرجة ٧ ويشكل الخليج بيئة خاصة لوحدة وقد لعب ولايزال يلعب دوراً هاماً في مختلف نواحي الحياة الأنسانية والاقتصادية للبلاد التي تطل عليه ،

ويبلغ عرض الحزام الغابي المؤلف من مجمعات كثيفة للأشجار إلى الداخل من ١٥٠ ـ ٢٠٠ كم ويتجاوز المعدل الشهري للحرارة ٢٠° أمّا الأمطار فهي موزعة بشكل جيد فهناك فصل جفاف لايتجاوز الأشهر

الثلاثة والباقي فصل أمطار ويصل مجموع الأمطار السنوية في بورتو نوفو الواقعة على الساحل إلى أكثر من ١٢٠٠ مم . وتقع في وسط الحزام الغابي منطقة جافة تقريباً والاعتقاد بأن أسباب ظهور هذه المنطقة الجافة يعود إلى سوء إستغلال الأرض .

وقد أثرت الغابة الأستوائية بشكل عام على تطور ثقافة البلاد الواقعة فيها وعلى تحركات شعوبها وعلى الزراعة ، والتجارة أيضاً . ويبدو أن التطور الزراعي فيها قد تأخر عما هو عليه في منطقة السافانا لعدم وصول الحديد ومصنوعاته كما أن المواد التي يمكن زراعتها في المنطقة هي الأخرى تأخرت للوصول إلى الغابة وقد ظلت (الدرنيات) كاليام الأنتاج الرئيسي لفترة طويلة ولم تصبح الغابة ذات اقتصاد قوي إلاّ بعد وصول النباتات الأسيوية وبخاصة البلانتين (نوع من الموز) ثم شجر جوز الهند وما ينتجه من مواد زيتية ودهنية وكذلك النخيل الزيتي (البالم) الذي اصبح في وقت من الأوقات المادة الرئيسية للتصدير وكان الاعتماد الرئيسي في الغذاء على ماتنتجه الغابة من ثمار ودرنيات . أمّا تربية الحيوان فظلت قليلة بسبب ذبابة تسه ــ تسه التي تسبب مرض النوم والموت . ويبدو أن ذبابة تسه تسه والغابات الكثيفة كان لهما دور هام في عدم وصول الغزوات الداخلية لمنطقة الساحل . ولكن لم تتأخر هذه الغزوات أن وصلتها عن طريق البحر . كما قدمت الغابة ميزات تجارية للسكان بما كانت تنتجه من جوز الكولا وزيت البالم المرغوب في أوربا والمناطق المجاورة .

أولاً ــ الشعوب واللغات : ينتشر عدد كبير من الشعوب على طول الساحل وضمن الغابات ، استطاع بعضها إقامة دول منظمة جيداً بقي بعضها حتى وصول الإستعمار وهذه الشعوب على نوعين الأول الشعوب التي قدمت من منطقة السافانا وتنتمي إلى الشعوب التي تتكلم لغة الماند ثم الفولاني ، ولكن الغابة لم تمكنهم من التوغل فيها كثيراً لعدم

ملاءمتها لحياتهم اليومية وثروتهم الحيوانية التي كانوا يمتلكونها وكان دخولهم كالسهام تطول وتقصر حسب وجود ذبابة تسه تسه ومع ذلك فقد وصل قسم من الفولاني إلى الكميرون أمّا شعوب الماند فقد اكتفت بالمحاولة للسيطرة على الممرات التجارية والوصول إلى أماكن انتاج الذهب ويبدو أن أعدادهم لم تكن كبيرة أمّا القسم الثاني من الشعوب فهم السكان الأصليون وينتمون إلى العرق الغيني الذي ينتمي إلى المجموعة الزنجية الأصيلة (الزنوج الاقحاح) وبالرغم من الصفات الفيزيائية العامة لاتفترق بين العرق السوداني والغيني الا أن الغينيين أقصر قامة وأكثر ضخامة وأغلبهم مزارعون يزرعون مختلف الحبوب والدرنيات ويستخدمون زيت البالم ٠ وقد ظلت منطقة الساحل قروناً طويلة هدفا لتجار العبيد والذهب من برتغاليين وفرنسيين وانكليز وهو لنديين وامريكيين حتى الدانمركيين وصلوا هم والسويديون إلى ساحل خليج غينية وقد أطلقوا على بلاد الساحل تسميات حسب ماكانوا يأخذونه منها من مواد فالمناطق الشمالية كغانا الحالية مثلاً كان يطلق عليها ساحل الذهب لوجود الذهب فيها أمّا الساحل الأوسط فقد اطلق عليه ساحل العاج بسبب طول أنياب العاج التي حصلوا عليها عند وصولهم والتي بلغ طول بعضها ثلاثة أمتار وفي الجنوب حيث بلاد التوجو وراهومي (بنين) فقد أطلقوا عليه ساحل العبيد لكثرة ما اقتنص من هؤلاء ونقلوا إلى الأمريكيين٠

ويمكن تصنيف شعوب الغابة حسب المناطق إلى ثلاثة أقسام:

١ـ شعوب الغابة الغربية وأشهرهم الشعوب الناطقة بلسان الماند والتيم والفولاني وينتشرون في غينية وسيراليون والآكان في غانا والكيبل في ليبريا والصوصو والكيس في غينية وسيراليون

٢ـ الشعوب التي تعيش في الغابات خفيفة الأشجار وفي الفجوة مابين الحزامين الرئيسين من الغابة وأشهرهم الأشانتي والغانتي في غانا

والتوجو والفون والأيوا والباريبا واليوروبا في بنين وجنوب الاتحاد النيجيري والنوب في نيجريا

٣ـ الشعوب التي تعيش غرب الغابة كالأيدو والأيبو على نهر الكروس والآيفيك على الساحل بالإضافة إلى شعوب الدلتا •

يبلغ عدد الصوصو حوالي ٢٥٠ ألف (٧٥) وهم شعب طويل القامة بسبب أصوله السودانية ويعيش في الغابات والمناطق العشبية على الساحل الجنوبي لجمهورية غينيه وفي الشمال الغربي من سيراليون ويتكلمون لهجة تسمى صوصويالونكا وتعود إلى مجموعة لغات الماند (عائلة النيجر الكونغو) واما الكيسي فعددهم حوالي ٢٠٠ ألف (٧٠) ويعيشون في حزام الهضاب المغطاة باشجار السافانا من غينية إلى سيراليون وليبريا ويتكلمون لغة غرب الأطلسي (نيجر ــ كونغو) ثم الكيبل ويحتلون القسم الأكبر من ليبريا الوسطى حتى خليج غينية ويطلق عليهم في بعض الأحيان /غيرز/ ويتكلمون لغة الماند (النيجر ـ الكونغو) وعددهم حوالي ٤٠٠ ألف • وبالرغم من أن شعب الآكان ينتمي إلى المجموعة الأولى من ناحية السكن إلاّ أنهم يشكلون شعباً كبيراً وبنتمي اليهم شعب الأشانتي والفانتي fanti والبوْله ويعيش الآكان على طول ساحل غينيه ولهم لغتهم الخاصة التي تعود إلى فرع /كوو/ التي ننتمي إلى العائلة اللغوية الكبرى النيل ـ النيجر • ويعيش أغلب الآكان حالياً في غانا حيث استقروا هناك على دفعات بين القرنين ١١ ــ ٨ وقسم منهم يعيش في القسم الشمالي من ساحل العاج وقسم آخر يعيش في التوجو ويعدون حالياً أكثر من سبعة ملايين • أمّا الأشانتي (أو الأسانتي فيحتلون المنطقة الجنوبية من جمهورية غانا وقسم منهم في التوجو وساحل العاج ويبلغ عددهم حوالي مليون شخص ٨٠٪ منهم يعيشون في المنطقة المعروفة باسمهم في غانا وهم كل ماتبقى من دولة الأشانتي القديمة ويتكلمون لغة /كوي/ العائدة لفرع /كوو/ (عائلة النيل ـ النيجر) أمّا

القسم الثاني (الفانتي Fanti) فينتشرون على طول الساحل الجنوبي لغانا بقرب الأشانتي أبناء عمومتهم ، وتقول الروايات التقليدية المتوارثة أنهم هاجروا من تيتشمان الواقعة شمال منطقة الأشانتي باتجاه الساحل على موجتين في بداية القرن السابع عشر حتى منتصفه وقد أقاموا عدة ممالك مستقلة شكلت فيما بعد اتحاد الأفانتي وكانوا أول من تعاون مع الأنكليز عند وصولهم في القرن التاسع عشر لذلك حدثت حروب قوية بينهم وبين اقربائهم الأشانتي الذين كانوا يعملون لإخراج الأنكليز من بلادهم وقد استغل الأنكليز هذا الخلاف واحتلوا منطقة ساحل الذهب التي أصبحت فيما بعد تسمى غانا (الحديثة) في نهاية القرن التاسع عشر ، وينتشر /الباولة/ وهم القسم الثالث من شعب الآكان في ساحل العاج بين نهري كومويه وباندااما ويعتبر أسلاف الباولة من الأشانتي وقد هاجروا إلى أماكنهم الحالية تحت زعامة الملكة المشهورة / وررا ـ بوكو / حوالي عام ١٧٥٠ على اثر صراع قبلي ، كما دب الخلاف بينهم وبخاصة بين العائلات الكبيرة أدى إلى تدمير وحدتهم ويبلغ عددهم حوالي ٨٠٠ ألف (احصاء ٧٥) ، كما تنتشر قبلئل الكرو بين ليبيريا وساحل العاج وهم شعب غيني قديم عرف بحبه للأسفار والاعمال في الموانئ البحرية وهناك مثل يقول لايمكن أن تمر سفينة الا وعليها أو يعمل بها أحد من الكرو ، كما عملوا بالصيد البحري واتقنوا فنون التجارة، لذلك وبسبب انتشارهم الواسع لايمكن اعطاء احصاء لهم وربما يعدون بمآت الآلاف ويتكلمون هم أيضاً بلغة الكرو التي ينتسب اليهم ، ويعتقد أنهم دخلوا المنطقة قادمين من الشمال في القرن الخامس عشر وكانوا حوالي ٥٠ فخذا ، ومن الشعوب التي كان لها دور تاريخي رائع شعب الفون ويعرفون أيضاً باسم داهومي أو أبومي وهم يعيشون حالياً في المنطقة الجنوبية من بنين /داهومي سابقاً/ وكذلك في جنوب الاتحاد النيجيري وهم يتكلمون لهجة ايوي وتعود إلى فرع اللغات كوا (النيجر

ـ النيل) وعددهم حوالي ٨٥٠ ألف (٧٠) وقد أقام هؤلاء امبراطورية كبرى ازدهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ٠

ـ اليوروبا : وهم أكبر الشعوب الزنجية الأصيله قسم (العرق الغيني) وينتشرون في الجنوب الغربي من نيجيريا وبنين والتوجو ، ويعدون أكثر من عشرة ملايين ، ورغم أصولهم الواحدة إلاّ أنهم لم يستطيعوا خلق دولة موحدة بل ظهرت بينهم عدة دول ويتكلمون لغة /كوو/ عائلة النيجر ـ الكونغو ٠

وتضم المجموعة الثالثة عدة شعوب أهمها الأيبو والأيبيبوا وهما شعبان متشابهان وربما كانا من أصل غير معروف ويعيشان في المناطق الجنوبية ـ الشرقية من المقاطعة الشرقية العائدة للاتحاد النيجيري ويتكلمان لهجتان هما الأيغبو ولهجة ابيبو ايفيك والأيفيك هم قسم من الأيبيبو ٠ وشعب الأيبو هو الذي ثار عام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠) وأعلن انفصاله عن الاتحاد النيجيري وتأسيس دولة /بيافرا/ ولكنه هزم في الحرب الأهلية وعاد للاتحاد ، هناك شعوب أخرى كثيرة تنتشر في مختلف انحاء الساحل والغابة ٠ وبسبب التقسيم غير الواقعي الذي اقامه الإستعمار في المنطقة تداخلت الشعوب والقوميات بشكل كبير في دول المنطقة ٠ وهذا التداخل هو أحد الأسباب الرئيسية للحروب الأهلية التي وقعت ولاتزال تقع بين في دول القارة الحديثة ٠ بالإضافة إلى ماكانت تسببه الغارات التي تشن لاقتناص العبيد من ذعر وخوف للقبائل وأدت بالتالي إلى هرب اغلب القبائل وتشتتها وتداخلها ببعضها ٠ وكل دولة حاليا من دول الساحل الغيني مؤلفة من عدة شعوب وقوميات متفرقة ربما تصل إلى أكثر من ثلاثين قومية ومن أشهر القبائل في جنوب داهومي الباريبا ٠ كما توجد شعوب التيغار ، النوب ، والأيبو في نيجريا ثم الباميليكى في الكمرون ٠ الذين أقاموا حضارة رائعة في تاريخهم الطويل.

ثانياً ـ التنظيم الإجتماعي:

١) الأنظمة السياسية ـ اسلوب الحكم ـ الجيش ـ ممالك ايومي واليوروبا :

بالرغم من أن الغينيين كانوا أكثر عدداً وغنى من السودانيين إلاّ أن ممالكهم كانت أقل شأنا من الممالك السودانية التي ظهرت في حزام السافانا ويعود ذلك إلى تأثير الغابة من ناحية صعوبة المواصلات وبالتالي صعوبة السيطرة على الشعوب والقوميات العديدة • ففي نهاية القرن التاسع عشر كان هناك في وقت واحد مجتمعات مستقرة لعدة قرى في الوقت الذي كانت فيه ممالك قوية موسسة على نموذج القرون الوسطى تبسط سلطتها على شعوب تعد بمئات الآلاف من السكان وقد لعب الاتصال الخارجي دورة في ذلك الوقت بعد وصول الأمم الأوروبية التي ادخلت السلاح الناري للمنطقة للحصول على العبيد وسلحت ملوك وزعماء القبائل ليقوموا بتلك العملية البشعة • لذلك يعيد أكثر المؤرخين للحركة التجارية في نمو الممالك التي ظهرت على ساحل خليج غينية والتي أخذ الرواد والرحالة الأوائل من الأوروبيين الذين زاروا المنطقة • بالأبهة والعظمة البربرية التي كانت عليها بلاطات تلك الدول • ولكنهم صدموا ببشاعة ماكان يحدث في الاحتفالات الكثيرة من ازهاق للأرواح البشرية والتي لايمكن مقارنتها بما عليه المنطقة الآن من مستوى عال من مختلف النواحي فهي تعد حالياً من بين أكثر شعوب القارة تقدماً في التعليم والتجارة والحكم •

ففي المناطق التي كانت بعيدة عن الاتصال التجاري كليبيريا وسيراليون ظلت مجتمعاتها السياسية ضعيفة في حين كانت المناطق الواقعة على الطرق التجارية أو التي لديها انتاج تجاري كالذهب والعبيد وبالتالي زيت البالم • تتمتع بتنظيمات سياسية عالية وحتى بداية القرن الخامس عشر كان لأغلب هذه المناطق اتصال مع ممالك السافانا الشمالية حيث

كان التجار من الديولا بخاصة يرغبون بشراء العبيد والحصول على الذهب وجوز الكولا وهؤلاء الديولاهم الذين اعجب بهم البرتغاليون لإتقانهم فن تجارة الذهب ، وكانوا يستخدمون موازين صغيرة دقيقة من النحاس الموشى بالذهب والخيوط الحريرية • وقد أدت محاولات الماند للسيطرة على الطرق التجارية الشمالية إلى تقدمهم نحو البلاد الغينية إلى إقامة نوع من المؤسسات الحكومية المحلية لحماية الطرق • وكانت أهم مبادراتهم السياسية على طول الطرق التجارية جنوب مدينة (جين) التي كانت إحدى المراكز التجارية الكبرى إلى تأسيس دولة /غوغا/ في بداية القرن السابع عشر كما ظهرت دول تجارية أخرى كدولة البونو وباندا قبل ذلك (حوالي ١٤٠٠م) كما شجع نمو الحركة التجارية شعب الآكان على اقامة تنظيمات سياسية للسيطرة على الطرق التجارية أيضاً ومع عام ١٥٠٠ م أصبحت السيطرة للآكان في الشمال •

وبعد القرن الخامس عشر وهو الذي سجل وصول الأوربيين إلى السواحل توجه اغلب السكان شيئاً فشيئاً نحو البحر للاتصال بالتجار الأوربيين واخذت التجارة مع الشمال تفقد أهميتها أيضاً بمقدار تشابك المصالح مع الأوربيين ويعود ذلك إلى طبيعة البضائع المتبادلة فقد كان السكان يقدمون الذهب والعبيد وزيت البالم وحتى العاج مقابل الثياب الجاهزة وأعمال الحديد وأهم من ذلك الأسلحة النارية وبارود الأسلحة وذخيرتها ، وهي التي قلبت حياة المنطقة رأساً على عقب وادخلت المنطقة بواقع جديد ساعد على زيادة الحروب وتسلط المجموعات التي تمتلك الأسلحة على التسلط وقد فرض الزعماء والملوك الضرائب على البضائع الصادرة والمستوردة وأقاموا الاحتكارات وشنوا الحروب للحصول على العبيد ورغم أنه ساعد نوعاً ما على ظهور نوع جديد من الازدهار لظهور مصادر قوية للدخل للسلطات الحكومية التي زادت في هيمنتها على شعوبها وزادت في عدوانيتها على جيرانها • وكان الرقيق

في بادئ الأمر يؤخذ من الرجال المعاقبين اجتماعيا ومن الأشخاص الذين كان الحكام يحاولون التخلص منهم لمعارضتهم السياسية أو القبلية ولو كانوا من أقربائهم ، ولم تتأثر المنطقة اقتصاديا في تلك الفترة بسبب النقص في الرجال ، ولكن عندما بدأت تجارة العبيد تأخذ شكل الوباء تأثرت المنطقة ووصلت إلى حد الكارثة بسبب النقص في الرجال والواقع أن أسوأ ماكان في تجارة العبيد هو ارتباطها بفكرة الحرب التي تشن للوصول إلى الأسرى ولم يعد أحد بمنأى حتى المناطق الشمالية القليلة السكان تعرضت لعمليات النهب ودخلت المنطقة في دوامة الحروب وقد ظلت التجارة بيد التجار المحليين حتى الاحتلال الأوربي ولم يكن للتجار الأوربيين من دور الا الشراء وظلوا فترة طويلة يحجمون عن الدخول إلى الغابة بسبب الطقس والخوف والقوى المحلية وأخيراً وبعد الاحتلال ووقوع مناطق ساحل غينية بيد الإستعمار سيطر التجار الأوربيون على تجارة المنطقة كاملاً وفي هذه المنطقة ظهرت أقوى امبراطوريات ساحل خليج غينية مثل:

١) ـ مملكة الأشانتي.

في النهاية الجنوبية للغابة وفي منطقة مايعرف بغانا حالياً ظهر الاتحاد الكونغدرالي لشعب الأشانتي بعد التطورات التي حدثت فيه وبنجاحة في الميدان التجاري لوجود مناجم الذهب لديهم وافضل أنواع جوز الكولا ويعتقد أن دولة الأشانتي الكونغدرالية ظهرت في عام ١٦٧٠ م على يد أول حاكم لها هو ـــ اوزي كوكو ـــ الذي فرض نفسه ملكاً (هين) (اسانتي هين) أي ملك الأشانتي وعاصمته مدينة كوماسي الحالية ، ومع القرن السابع عشر أخذ الأشانتي يستثمرون مصادرهم من الذهب بسهولة بعد أن وضعت السلطات المركزية يدها على تجارته وأحتكرته لتزيد في أرباحها لتتمكن من مبادلته بالأسلحة النارية التي أصبحت عنوان السيطرة والقوة والوسيلة الفعالة للحصول على الرقيق ،

وقـد امتـد نفـوذ الأشـانتي أو بـالأحرى امبراطوريـة الأشـانتي إلى المنطقة الواقعة جنوب غانا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وامتدت حتى نهر كومي غرباً والتوجو شرقاً .

ومنـذ بدايـة القـرن الثـامن عشـر أخـذ الأشـانتي يـزودون التجـار الأوربيين (بريطانيين ـ هولنديين ـ برتغـاليين) بـالرقيق مقـابل الأسـلحة النارية ، وقد وصلت قوتهم في زمن الملك اوبوكو وار (١٧٣٠ ـ ٥٠) إلى أقصاها وخلفه ملوك أقوياء إلاّ أن قوتهم بدأت تتراجع بعد الغاء تجارة العبيد وحروبهم مع الفانتي Fnti أبناء عمومتهم ، وأدى تدخـل الانكلـيز بجانب الفانتي إلى احتلالهم لمناطق الأشانتي وجعل مملكتهم محميـة بريطانيـة في نهاية القرن التاسـع عشـر ومـع ذلـك ظـل ملـوك الأشـانتي يتوارثـون الحكم دون سلطة حتى الوقت الحاضر وقد لعب الأشانتي دوراً كبـيراً في أبعاد نكروما عن غانا .

وفي الفجوة الجافة بين حزام الغابات ، كان التحرك أكثر سـهولة . وفيها ظهرت عدة ممالك بخاصة في الداهومـي وأشـهرها مملكـة داهومـي (أو ابومي) في جنوب داهومي التي أسسها عدد من الشـعوب الداهوميـة وكان أكبرها شعب الفون الذي كـان يشـكل العمـود الفقـري لها وقـد أصبحت في القرن الثامن عشر أكـبر دولـة عسـكرية في المنطقـة ودامـت حتى الاحتلال الفرنسي لها في نهاية القـرن التاسـع عشـر . وقـد تعـاقب عليها ملوك عديدون استطاعوا أن ينهضوا بالدولة التي اتسعت حدودهـا شمال وجنوب داهومي بعد تغلبهم علـى جـيرانهم مـن الهويـدا والبوروبـا كما نجحوا في اقامة تجارة مزدهرة مع التجار الأوروبيين .

٢) ـ مملكة ايومي (داهومي) :

ويعتبر (دو – اكلـين) Do - Aklin أول ملـك لأبومـي ولكـن أشهر ملوكهم هو Ouegbad le grand ويجبادجا ١٦٥٠ ـ ١٦٨٥ ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة هـو الـذي بنـى القصـر الملكـي الكبـير في

ابومي • فبعد الانتصارات التي حققهـا علـى اعدائـه مـن الشعوب التي خضعت له مضطرة كمـا بنـى الحصـون للدفـاع عن المملكـة كما نظم البـلاط وادخـل مراسم جديـدة استمدها مـن بلاطـات الـدول المجـاورة كالتادو والأيوا والكينو كما نظم الجيش وأدخـل فيـه الخدمـة العسكرية للنساء المعروفات باسم الأمازونيات •

٣ ـ ممالك اليوروبا :

أمّـا ممـالك اليوروبـا في نيجيريـا الجنوبيـة فقـد نمت وازدهـرت في القرون الوسطى وارتبطت بطرق التجارة الشمالية • ولكنهـا في القرنـين الثامن والتاسع عشر اخذت تهتم بالطرق الجنوبية ، وكانت تمتلـك قـوى محاربة جعلت منها تسيطر على جيرانها الواحد تلو الآخر • والى الشمال كـانت مملكـة النـوب وتعـود قوتهـا إلى مركزهـا التجـاري علـى الطريـق التجاري الشمالي ، وفي الغابة الشرقية شمال دلتا النيجـر ظهـرت دولـة (بنين) المشهورة وتعود إلى اليوروبا وقد تأسست حـوالي عـام ١٣٠٠ م ووصلت زروتها بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر عندما استطاعت احتلال المنطقة الواقعة بين دلتا نهر النيجر ومدينة لاغوس الحالية وأشـهر ملوكهـا اوبـاس (ملـك) ايوار الكبير ١٤٤٠ ـ ١٤٨٠ وقـد وصلـت فتوحاته إلى نهر الكونغو جنوباً ثم ولده اوزدلو ١٤٨٠ ـ ١٥٠٤ وقد أقام ملوك بنين علاقات تجارية مع البرتغاليين الذين أرسلوا سفراءهم اليها وقد ازدهرت تجارتها بين القرنـين ١٧ ـ ١٨ وكـانت صادراتهـا العـاج والفلفل وزيت البالم والرقيق ، وقد ضعفت قوتها في القرن التاسـع عشـر ثم ضمها الأنكليز إلى محميتهم في نيجيريا ١٩٧ بعد احتـلال العاصمـة / بنين / وبالرغم من المقاومة الشديدة الـتي أظهرهـا اليوروبـا للدفـاع عـن عاصمتهم •

والى الشرق وحوالي النيجر ظهرت هناك عـدة تنظيمـات سياسـية على أشكال مختلفة • كما تطورت مدن تجارية شكلت دول مدن في دلتا

النيجر الذي يحوي أكبر مستنقعات مشجرة في العالم وقد أهتمت هذه المدن أيضاً بالتجارة الخارجية ولم تقتصر ممالك اليوروبا على جنوب نيجيريا فقد ظهرت دول شتى في داهومي وبخاصة في الجنوب وأشهرها كينو التي اشتهرت بنظامها الأداري ومراسم التتويج وكانت عاصمتها مدينة كينو المسوره ، وفي شمال داهومي ظهرت دولة الباريبا المشهورة في نيكيكى ثم ممالك باركو وكواندية وكلها تعود للباريبا .

اعتمدت هذه الدول جميعها تقريباً على التجارة في نمو مواردها وبخاصة على تجارة العبيد وفي القرن التاسع عشر أصبح زيت البالم تدريجياً أهم صادرات ساحل خليج غينيه لأهميته الصناعية ونجاحة بعد الغاء تجارة العبيد في بداية القرن ومع ذلك ظلت تجارة العبيد لها اهميتها في التجارة العالمية خلال ذلك القرن فمع زيادة الطلب على زيت البالم زاد الطلب على العبيد أيضاً لاستغلالهم في نقل حمولات الزيت إلى الموانيء ، وكان لكل تاجر عدد من العبيد لهذه الغاية .

وقد أتت تجارة زيت البالم بتغيرات اقتصادية وسياسية ساعدت على دخول الإستعمار . والواقع أن التجار المحليين الذين كانوا يصدرون تلك المادة كانوا بحاجة إلى رءوس الأموال أكثر من تجار العبيد ويعود ذلك لمشكلة النقل والحفظ وانتظار السفن في الموانئ لذلك أخذ التجار المصدرون لزيت البالم يرتبطون شيئاً فشيئاً بالوكالات التجارية التي كانت تمدهم بالقروض على شكل بضائع أو أموال ولايخفى أن الزعماء السياسيين كانوا هم التجار الحقيقيين لهذه المادة ولذلك أرتبطوا شيئاً فشيئاً مع التجار الآخرين بالمصالح الأجنبية التي فتحت الطريق للحكومات والجيوش الأجنبية بالاحتلال والسيطرة .

ـ نظام الحكم : تتشابه أنظمة الحكم والنظرة للملوك في مختلف دول ساحل خليج غينيه بشكل عام ، وهناك اعتقاد بأنها مستمدة من الأنظمة التي كانت قائمة في الدول السودانية في مناطق السافانا رغم نفي

كثير من المؤرخين وبخاصة الفرنسيون ، وذلك لابعاد كل تأثير عربي واسلامي على المنطقة على أساس أن الدول السودانية قد استمدت أنظمتها من أنظمة الحكم القائمة في شمال افريقية في تلك الفترة ،

والملوك لدى الغينيين يعتبرون عماد النظام السياسي بسبب علاقتهم بالجد الأكبر لذلك يعتقد هؤلاء أنهم يتمتعون بالقوة الفعالة التي تؤهلهم للوصول إلى سدة الحكم بشكل طبيعي ، والجد الأول ربما يكون أول من استصلح الأرض أو أول من وصل إلى الأرض الجديدة أمّا أن يقيم تحالفاً مع السكان (أو بالأحرى الزعماء) اصحاب الأرض أو يفرض عليهم نفسه بالقوة العسكرية وربما عن طريق اظهار نوع من الأعمال تعتبر معجزة ، وعلى هذا الاساس ظهر الاعتقاد بأن أغلب العائلات الحاكمة لا تمت لمناطق وجودها بصلة سابقة ، وفي أغلب الحالات تصبح شخصية الملك اسطورية وربما مقدسة أو نصف مقدسة من خلال تأسيسات دينية باعتبار وجود صلة بينه وبين الإله ، لذلك يجب أن تكون كل أعماله مقدسة لازيع فيها ، ولايمكن مخالفتها خوفاً من أن تجلب على الرعية الكوارث إذا تم اهمالها ، وينتخب الملك عادة من الطبقة الحاكمة (العائلة المالكة حسب الخط الأبوي) ،

رغم التشابه العام في البنية السياسية إلاّ أن هناك اختلافاً حول التسميات والصلاحيات ومظاهر القوة ، وبالأحرى مراكز القوة في الدولة ، وتعود هذه الاختلافات إلى ماكان يحدث عند خلافة كل ملك من حروب ومؤامرات وكذلك ماكان يحدث بين الزعماء الوراثيين والملك وبخاصة مايتعلق بالقدسية ، فقدسية الملك تجعله بعيداً عن الاختلاط مع شعبه وحتى أن كثيراً منهم لايظهر أمام الشعب وإن ظهر يغطي رأسه كما هو الحال لدى الأويو حيث يغطي الملك رأسه بحجاب من خرز ، وابتعاد الملك يترك مجالاً كبيراً لزيادة صلاحيات المسؤولين من حاشية الملك وحكام المقاطعات رغم أن الملك في اغلب التنظيمات

السياسية الغينية يعتبر نهاية السلطان فهو أعلى سلطة ادارية وقضائية وعسكرية ودينية ويمكن اعتبار ملوك ابومي (داهومي بنين) أكثر الملوك قوة وتسلطاً اوتقراطية واهتماماً بقضايا شعوبهم في ممالك الساحل الغيني.

فبالرغم من الحروب التي شنوها على جيرانهم وماسببت من مصائب كبيرة لهم وللجيران إلاّ أنهم نهضوا ببلادهم وبخاصة الملك جيزو Ghezo ١٨١٨ - ١٨٥٨ م الذي كان اقتصاديا رائعاً حيث نقل كثيراً من الأشجار المفيده من السافانا وزرعها في السهول الداهومية وشجع زراعة النخيل وجوز الهند التي كانت زراعتهما مقصرة على الطبقة الغنية ، وبعد المجاعة الكبرى ١٨٤٨ جعل من زراعة الماهانيوك زراعة اجبارية ثم جلب الذرة والتبغ والطماطم والموز والفول السوداني ، وقد أقام كثير من الملوك علاقات دبلوماسية مع الخارج ، أمّا مملكة /اويو/ وهي أفضل وصف لممالك اليوروبا والتي كانت أقوى قوة في القرن الثامن عشر وتسيطر على المنطقة بين حدود بنين وغانا الحالية ، فقد استخدم ملوكها العبيد والخصيان في حكم البلاد وكانت صلاحياتهم تتناول القضاء والدين والإدارة ، وهذا العمل يجعل من الصعب المصاهرة بين الحاكم والمسؤولين من كبار حاشيته ، ولم تكن صلاحيات ملوك الأشانتي واسعة بسبب قوة زعماء المقاطعات الذين يشكلون الاتحاد الكونغدرالي للأشانتي ،

وكان على الملك الجديد للأويو أن يأكل قلب آخر ملك لتنتقل إلى شخصه روح جده أمّا ملوك الأشانتي فكانوا يستمدون قوتهم من الكرسي الذهبي (المقدس) والذي يعتقدون بأنه نزل من السماء ليجعل الأشانتي قوة عظمى وكان يمثل روح الأشانتي ورمز وحدتهم كما هو الحال بالنسبة للتاج في بريطانيا وبسبب قدسيته لايوضع الكرسي على الأرض بل يحمله أحد المسؤولين الكبار في رقبته يسمى حامل الكرسي ويسير نحو الملك ولايلمسه الملك أو يجلس عليه إلاّ في بداية حكمه خلال

الاحتفالات بتنصيبه حيث يلمسه ثلاث مرات أو جلسات صغيرة ولكن دون أن يوضع على الأرض ولايصبح ملكاً إلاّ إذا قام بهذه المراسم • وكان لكل حاكم من حكام مقاطعات الأشانتي كرسيه الخاص • ولا شك أن مثل هذه العادة قد اقتبست من مملكة الفونج الذين كانوا يعتبرون كرسي العرش (الكركر) رمزاً للسلطة . وكان لدى ملوك الباريبا الطبول المقدسة والتي تثقب عند موت الملك وإعادة اصلاحها تكون أول مهمة من مهام الملك الجديد وهي التي تعطيه القوة والسلطة وهناك حارس لهذه الطبول وهو كبير الطبالين ويسمى التوفارو • وعدا الطبول كان لدى ملوك /نيكى/ في الداهومي أبواق نحاسية طويلة عددها سبعة مبدئياً وهذه الأبواق تشكل الجوقة الملكية • وتختلف أعداد الطبول لدى الباريبا حسب قوة الملك وقوة دولته وكذلك الأبواق إلاّ أن الأبواق ليس لها قوة سحرية كما هو الحال لدى الطبول •

أمّا ملوك داهومي (أبومي) فكان لديهم الكلمة أو الرمز الذي يتفوه به الملك الجديد عند استلامه الحكم وهي الكلمة التي لاتتجاوز السطر الواحد تحدد السياسة التي سيتبعها الملك • ومثال على ذلك الكلمة التي ألقاها الملك جيزو المشهور عند استلامه الحكم ((إن الغيه لايستطيع صنع النار في الهشيم)) والغيه عصفور صغير ومعناها أن أعداء الملك كالعصافير وهم أضعف من أن يكونوا ضده) •

وكانت الاحتفالات الرسمية التي كانت تقام في مناسبات كثيرة مناسبة للملوك وحاشيتهم لاقامة المآدب الكبيرة للأكل والشرب وقتل الأسرى ومناسبة لمعرفة مدى اطاعة الحكام للسلطة بحضورهم الاحتفالات . وكذلك بالهدايا التي كانوا يحملوها معهم مع الضرائب الواجب دفعها ، وكان الملوك يقدمون الهدايا التي تلقوها إلى اصدقائهم والشعب • وموت الملك عادة يحاط بنوع من المظاهر التكريمية الكبيرة من جهة ، واظهار الأسى على الملك السابق والأرتباط به فكما ذكرنا

سابقاً يضحي بهذه المناسبة عدد كبير من المسؤولين ونجاحة نساء وزوجات الملك بأنفسهم تضامناً مع الملك كما يحمل الملك معه عدداً كبيراً من الأمتعة والأدوات والأطعمة لتساعده على العيش في الدار الآخره . أمّا لدى الباريبا فتغلق زوجات المتوفي ، كما هي العادة لدى المجتمعات الاسلامية على أنفسهن مدة ثلاثة أشهر . مدة بقاء المأتم حيث تجري يوميا اجتماعات مأتمية يتم التغني بها بمناقب الفقيد وفي نهاية المأتم يضحى ببقرة من قبل إبن الفقيد البكر وتحلق زوجات الملك المتوفي شعورهن وبذلك ينتهي المأتم ويسمح للزوجات الزواج مرة ثانية أمّا لدى الأبومي فينقلن ليصبحن زوجات الملك الجديد وعلى الأغلب يجبرن على التضحية بأنفسهن بجانب أزواجهن المتوفين .

ولايخفى أن تعدد الزوجات إحدى عادات الملوك ومنهم من يكتفي بثلاثة أو اربعة أمّا ملوك الأبومي فكان لديهم زوجات عديدة يختزن من بين السبايا الجميلات خلال مرحلة تجارة العبيد ، لذلك وصف ملوك أبومي بجمال الوجه واللياقة الجسمانية ويدفن الملك عادة قرب أسلافه مع كل مالديه من رموز وأسلحة وغيرها

ويؤخذ وريث العرش لدى الباريبا من عدة منتخبين يمثلون العائلات الكبرى . ولكن يجب أن يكون المنتخب أمّا ابناً للملك أو حفيد لملك سابق ، ويكون قد حلق راسه في عيد الغاني أكبر أعياد الباريبا . ويرث لدى ابومي إبن الملك الأكبر والده أمّا مستشارو الملك فعادة لايأخذون إلاّ من طبقة الأحرار ويمكن اتخاذ التسلسل الوظيفي لدى الأبومي كنموذج لما كانت عليه الممالك في ذلك الوقت وأهميته أنه اقتبس من كافة البلاطات الملكية الأخرى مراسمه وتقاليده واشخاصه وقد وضع هذا النظام الملك ويجبادجا (١٦٥٠ - ١٦٨٠) حيث المكان الأول لرئيس العشيرة الملكية . ويعرف باسم /الميغان Migan / ويكون عادة زوج ابنة الملك الأولى والتي تسمى ميغانس ، ويجلس هذا عادة

على يمين الملك مباشرة أمّا /الميهو/ فهو زوج الابنـة الثانيـة ويجلـس علـى يسـار الملـك ، وللمهيـو سـلطة علـى الاحـرار والأمـيرات ومكلـف بمحاكمتهم ولكن ليس له الحق باهراق الدماء وهـذا حـق الملـك ، وهـو الذي يردد بصوت عال خطاب الملك الذي يلقيه هـذا بصـوت خـافت ، وهو المسؤول عن تموين القصر بالحطب وخياطـة ألبسـة الملـك وهـو مـن الذين ينتخبون الملك ثم /الأدجاهو/ وهو الوزير الثاني على اليمـين وقيـم القصر ورئيس الشرطة ، ويضع على كتفه نـوع مـن الجلـد الأبيـض مـع شارة من ذهب وقطع مـن فوطـة حمـراء تمثـل السـندان ، ثـم /التوكبـون Tokpon / الوزير الثاني لليسـار ويهتـم بالزراعـة والأرض وبالحاجـات الملكية العائلية هينونون Hennou non يعـني وزيـراً للزراعـة كمـا يهتـم بالمزارع الملكية التي يخدم فيهـا الأسـرى والمجرمـين ، ثـم الفـاوو Gaou قائد الجناح الأيمن في الجيش ومكانه بالقرب من الميغان الذي يعـد القـائد العام للجيش في حين يعد الملك القـائد الأعلـى /الكابوسـو/ قـائد الجنـاح الأيسـر للجيـش ومكانـه بجانب الميهـو والسـوغان قـائد الفرسـان ثـم اكبولوغان وزير الأديان ، وبينازون Binazon الخازن وعندمـا امتـدت مملكة ابومي للساحل احدث منصب جديد هو /اليوفوغـان yevogan / ويهتم بشؤون البيض ويمكن تسميته وزيراً للخارجية ومن أهم احتفالات ملوك أبومي هو الحمام السنوي لجسم الملك وتسمى (هويـه – هـورلي – ليه) وتبدأ مع بدايـة السـنة الداهوميـة أي في أيلـول حيـث يكـون جـني الغلال من الدرنيات الحلوة قد تم ، ويضحى بهذه المناسـبة بطفـل صغـير وهو حي في حفرة ويضعون معه كل ماتبقى من الحمـام الملكـي – الجـرار – جفون الملك وشعره بعد الحلاقة التي تسبق الحمـام الـتي تجـري بقـرب النهر القريب ، وبعد الحمام يضع الملك التنورة المستوردة من اوربـا مـع الرداء الذي يحاك له خصيصا لهذه المراسم وبعد هـذه المراسـم يقـال بـأن الملك بادل الموت (ايديوكـن) ويضـاف إلى المستشـارين لـدى الأشـانتي

الملكة الأم التي تعتبر الشخصية الثانية في البلاط بالإضافة إلى حامل الكرسي الذهبي (المقدس) الذي عليه أن يحميه من الأخطار مثل السرقة أو الكسر ، فبقاءه مرتبط بحياة الشعب وقوته وابعاد المصائب ويعتبر هذا المستشار الأول للملك وفي الوقت ذاته كاهنه وأهم رجل ديني فيها وله لباس خاص ٠

-الجيش : لقد اشتهرت دول ساحل خليج غينية بجيوشها القوية المسلحة بالأسلحة النارية وكان الفرسان يشكلون فرقاً خاصة وبخاصة لدى الباريبا أمّا أقوى الجيوش فكانت لدى مملكة أبومي (داهومي) وقد وصل عدد جيش جيزو الملك أكثر من ستة عشر ألف جندي منهم النظاميون ومنهم المتطوعون عند الحاجة ٠ وكان الشعب يقدم للجنود الأكل طواعية وقد استخدمت الجيوش دائماً للحصول على الرقيق لمبادلتهم بالأسلحة وكانت الأسلحة النارية سبب تفوق الداهوميين على جيرانهم ٠ كما ادخل الداهوميين في جيوشهم النساء في زمن اغادجا ١٧٠٨ - ١٧٣٢ وهن اللواتي حققن له النصر على معارضيه ٠ وقد أطلق عليهم الأوروبيون اسم الأمازونات والمعروفات في الداهومي باسم زوجات الملك أو /امهاتنا/ ، وفي الأصل كانت الأمازونات يؤخذن من المجرمات أو الزوجات الزانيات ومن المحكوم عليهن بالاعدام وكان وجودهن في الجيش لفترة موقتة بأنتظار اعدامهن إلاّ أن الأمور تطورت وتحت حكم جيزو نظمت الوحدات النسائية عن طريق التطوع وجرى تربيتهن تربية عسكرية ودربن على استعمال السلاح والقتال ٠ وقد منعن من الزواج بالرغم من أن الملك كان يحق له أن يتخذ منهن زوجات له ، وقد شاهدهم الرحالة البريطاني ريتشارد بورتون ١٨٦٢ وكن بحملة عسكرية حيث عد مع الجيش ٢٥٠٠ من الجنود النساء وكلهن كن مسلحات ٠ ويقول جورج غيرستر في كتابه الصحراء الكبرى أن الجنود الفرنسيين شاهدوا قبل نصف قرن في ساحل العبيد (داهومي)

ألفي امرأة من المحاربات المدعوات الأمازونات من ذوات الثدي الواحد، وكن يؤلفن الحرس الخاص للملك المشهور بيهازين الذي توفي عام ١٧٣٢ ، وبالاضافة إلى القتال كانت الأمازونات يشكلن الحرس الخاص للملوك ، وكن يصاحبن نساء القصر عند خروجهن لقضاء بعض الأعمال وبخاصة جلب الماء والحطب لحمايتهن • وكن يتقدمن النساء مع جرس بنذر المارين بالأبتعاد عن الطريق وكان سلاحهن البنادق القصيرة المعروفة بالموسكيتو (الفرنسية) كما كانت توكل اليهن اصعب المهمات •

٢) – التنظيم الإجتماعي والاقتصادي : كانت الحياة المعيشية اليومية لدى اغلب سكان خليج غينية منضبطة ضمن النطاق العائلي أو القروي ولايسمح بالافلات من هذا النظام ، عدا بعض السكان في المناطق الجبلية كانت شروط الحياة لدى الفلاح قريبة من حياة القن (جمع اقنان) الأوربي في النظام الاقطاعي القديم •

ويعتبر المنزل السكني في أغلب المجتمعات القبلية الدورة الرئيسية للانتاج ، ويتألف هذا المنزل من الرجل وزوجته أو الرجل وأبنه الأكبر ، وهناك علاقة بين الأطراف الثلاثة بأمور متعارف عليها أو تقاليد متعارف عليها محددة مهمة كل واحد منهم في حدود العائلة فتسويق الغلال في الساحل الغيني هو يشكل مطلق من واجبات الزوج والزوجة أيضاً وهناك اعتبارات مالية تحدد دور كل منهم في هذا المجال ، فمثلا لدى قبائل /البمت/ الذين يعيشون على نهر كروس يحق للزوج أن يبيع الياماس الذي ساعدت زوجته بالاعتناء به وتنميته ، فبشكل تقليدي يحق للزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها إذا شعرت أن زوجها يبذر الأموال العائدة للطرفين وبخاصة إذا قدم منها هدية للزوجة الجديدة التي يعتزم التزوج بها ، ويعمل الرجل في الحقل لدى النوب واليوروبا • والمرأة هي التي تبيع الانتاج الرئيسي وتحتفظ بثمنه لشراء الحاجات الضرورية أو

تبقي الغلال مخزونة للاستهلاك المنزلي ، أمّا بقية الغلات (أي الانتاج) فعلى الزوجة أن تدفع ثمن ماتأخذه من غلات الزوج ، وعليها العمل دون مقابل ، وتفصل أغلب المجتمعات ثروة الرجل عن ثروة المرأة.

وتعيش الأسرة عادة في منزل واحد وربما يكون كبيراً متعدد الغرف حسب تعدد الزوجات فالغرفة الأولى للرجل أمّا الغرفة الثانية بجانب غرفة الزوج فهي للزوجة الثانيةو ..وهكذا . والأكواخ السابقة التي كانت تأوي السكان قبل دخول الإستعمار جرى تغييرها بالأسمنت وكانت تبنى من الطين والقش للسقف وأكواخ الجنوبيين عامة مستطيلة أمّا أكواخ الشماليين فكانت مدورة . وتتجمع عادة عدة منازل تحاط بسور للحفاظ على الماشية مجمع (كامباوند) وعدة منازل تشكل قرية عادة . عدا منازل قبائل السومبا والكابريه المتناثرة هنا وهناك والقرية عادة مؤلفة من أحياء وكل حي يعيش فيه سكان من ذوي النسب الواحد . ويختلف عدد سكان القرية بين ١٠٠ - ١٥٠ رجل لدى الكيس في حين يصل عدد السكان في قرى الصوصو والكرو إلى أكثر من ألف ويعود ذلك إلى كثافة الغابات والأراضي الزراعية وعادة تشكل عدة قرى وحدة مستقلة بعدد ٣ - ٦ الاف رجل ولكل حي رئيسه يترأس اجتماعاته . كما تتشكل القبائل كل واحدة من عدة أفخاذ . وينحدر كل فخذ من جد أو من سلف واحد والقبيلة تنحدر من سلف واحد مشترك . ويمكن أن يكون رئيس الفخذ امرأة كما هو الحال لدى شعوب الآكان نظراً لاتباعهم النسب الأمومي وبخاصة الأشانتي حيث الأم ترأس العائلة . ومع ذلك فالنسب الأبوي له قيمته في التنظيم الإجتماعي فمن خلال الأب يعتبر الشخص عضواً في المجموعة الدينية المسماة /نترو/ وهي نوع من العبادة لدى مجموعة الآكان ، ويعتقد الأشانتي أن الرجل يأخذ عادة دمه من أمه وكذلك جسمه ولكن يأخذ من أبيه شخصيته وشعوره .

وشعوب ساحل خليج غينية على العموم شعوباً زراعية تقوم بزراعة الأرض باستصلاحها عن طريق الحرق كغيرهم من شعوب الغابات وتقوم الزراعة على الدخن والذرة والدرنيات والأيغنام الياما والبطاطا الحلوة وفي بعض المناطق يزرع الرز والقطن وتنبت في المنطقة أشجار النخيل الزيتي والرافيا التي يعمل من لحائها الألبسة الجميلة بالإضافة إلى جوز الهند والقهوة مؤخراً وتظل جوزة الكولا والقهوة أكثر المواد نفعاً للتصدير • وكان السكان يؤمنون البروتين من الصيد البري وصيد الأسماك في الأنهار والأحواض البحرية وكما يربون الماشية والطيور الداجنة وفي المناطق الشمالية الغربية يوجد البقر ولكن بأعداد قليلة لاتماثل مالدى المناطق السودانية وأكثر مايستعمل البقر لتقديمه ضحية في الاحتفالات الجنائزية • وتبقى المجرفة الأداة الزراعية الوحيدة منذ عهد بعيد وهي ذات استعمالات متعددة كما يوجد منها كثير من الأنواع ولكل منها اسمها الخاص واختصاصها • وتعتبر مقدسة عند نهاية موسم جمع المحاصيل تجمع المحاصيل العائدة للقرية أو الفخذ وتخزن في مخازن خاصة منها القريب ومنها البعيد وأغلب الأوقات يتم جمع محصولات القرية في مكان واحد منها للاستخدام الخاص ومنها للبيع أو المبادلة ومنها يكون البذار أيضاً •

وقد اشتهرت منطقة غرب افريقية وبخاصة ساحل خليج غينية بالأسواق التجارية يسمى بعضها حسب القوميات وبعضها يسمى باسم الفخذ أو المكان وعادة تقام كل ستة أيام ويمكن أن تكون أربعة وهي الأماكن الوحيدة التي يمكن للمزارعين فيها من شراء البضائع المطلوبة ونحاحة المستوردة • وأغلب التعامل في مثل هذه السواق يكون عبر المقايضة • إلاّ أن الأسواق الكبرى الواقعة على طرق التجارة الرئيسية كانت تعرف (الكوريس) العملة الصدقية بالإضافة إلى العملة النمساوية

(الثالر ماري تريزا) وكان الذهب والعبيد الصادرات الرئيسية للخارج من ثم زيت البالم .

وعادة يحضر الحرفيون وبخاصة الحدادون وصناع الجرار والسلال من النساء انتاجهم لليوم الموعود والتي يبادلونها بما يجلبه النخاسون من بضائع ، ولم يكن التجار الأوروبيون يتجاوزن حدود الساحل في بادئ الأمر إلاّ أنهم وبضائعهم اخذت فيما بعد تدخل أعماق الغابة ، وكانت الأسلحة النارية المادة الرئيسية التي يحملها التجار وهي التي قلبت حياة المنطقة رأساً على عقب وهي التي ساعدت على نقل ملايين العبيد إلى القارات الأخرى وحتى عام ١٨٩٨ لم يكن في البلاد أية بندقية حسب قول المؤرخ الألماني الكونت زيتشة بخاصة مناطق سيميرية ولوغبا الداخلية أمّا في دجوجو فكان ربع السكان يحملون البنادق وقد ظلت الأسلحة النارية لمدة قرنين مادة الاستيراد الرئيسية وكان وصولها عن طريق موانئ ليكيا والويضة ، أمّا جوزه الكولا فكان سوقها رائجاً في سلاغا وفي المناطق المكتظة بالسكان كبلاد الكابرية ، ولايزال السكان يمضغون جوزة الكولا لتعطيهم النشاط المستمر كما هو الحال بالنسبة للقات في بلاد اليمن وجنوب شرق الحبشة وفي الحبشة ذاتها ، وكانت المناطق الجنوبية لداهومي تتسم بتجارة نشطة للعبيد ، وإذا كان ملك أبومي يجمع العبيد عن طريق الحرب إلاّ أنه كان في كابربة يشتري الأطفال بخاصة أيام القحط والجفاف أمّا في بقية الأوقات فالعبيد المباعين كانوا من ذوي السوابق ،

- الطبقات : تلعب الطبقية دورها في ساحل خليج غينية وتتشكل على العموم من احرار وعبيد والأحرار مقسمون إلى نبلاء (الطبقة الحاكمة وحاشية الملك ورؤساء العائلات الكبرى) وبقية أفراد الشعب وهناك في كثير من الدول وحتى التي هي أكثر قوة وثراء تركيز واضح بين العامة والارستقراط وهذه النزعة موجودة لدى الأشانتي والداهومي،

وفي بنين القديمة واليوروبا نوع من الطبقية بين الحرفيين أصحاب المهن ، وقد بذل نشاط ومجهود مدروس لحماية نشوء الأرستقراطية الملكية وكان العبيد يشكلون أحد العناصر الطبقية في اشانتي وداهومي واليوروبا ومنطقة كالاباز في نيجيريا حيث كان الأرقاء يعملون في انتاج الغلات التجارية . وفي القرن التاسع عشر ظهرت في سيراليون وليبريا طبقة جديدة من الأرقاء الذين فضلوا العودة إلى افريقية ويشكلون حالياً الطبقة الحاكمة في الدولتين المذكورتين . كما هو الحال في داهومي وبنين حيث شكل القادمون من البرازيل الطبقة الحاكمة الجديدة بعد إلغاء تجارة الرقيق .

١ - طبقات الاعمار والجمعيات السرية : إن العمر له أهميته في أغلب المجتمعات القبلية وذلك لتشكيل المجموعات وهي التي سبق وأن دعوناها طبقات الأعمار المتقاربة (الجيل الواحد) وهم الذين يسيرون في الحياة سوية مع بعضهم . وإذا كانت الطبقات بخاصة طبقة الاعمار لها دور سياسي في افريقية الشرقية إلاّ أن لها في الغرب دوراً اجتماعياً في حالتين اولاعندما يكون هناك تنافس بين مجموعات الأقرباء ، وهذا يتطلب وجود طبقة أو طبقات الاعمار /الجيل الواحد/ التي هي نوع أو وجه للتعويض وربط الأشخاص الذين ليس لدبهم قرابات أو أنساب فيما بينهم ،مما يبعد المشاحنات العائلية وثانياً عندما يكون هناك تنافس قوي بين المجتمعات المختلفة فذوي القربى أميل للخصام وولاؤهم لقرابتهم في حين أن طبقات أو مجالس الاعمار تنمي في العضو الولاء للصديق أو الرفيق من أعضاء المجلس أكثر من ولائه لعشيرته . ولاتقتصر طبقات الاعمار على الذكور بل تتعدى إلى الفتيات وهنا تلعب دوراً هاماً في حياتهم الزوجية حيث تفض الخلافات الزوجية التي تقع بينهم . وتربط هذه الطبقات اعضاءها بصداقة وتعاون بخاصة عندما يطلب منهم القيام بأعمال تتعلق بالصالح العام كما يقدمون عادة للمجالس الاعلى

مقترحات حول أمور القرية كما يعاونون بعضهم في مختلف حالات المرض والفقر ٠٠٠ الخ ٠

بجانب طبقات الاعمار توجد الجمعيات السرية وهي تشبه طبقات الاعمار في أهدافها وأبعاد القرابة إلاّ أن هذه الجمعيات تتعدى حدود القرية أو العائلة ٠ لأنها تهتم بأمور سياسية وهذا مايجعلها عرضة للانحراف أو ضغطاً على المواطنين وكثير من زعماء الجمعيات السرية لهم تأثير كبير على القرى ٠ وقد شكلت هذه الجمعيات تهديداً كبيراً للسلطات الاستعمارية وكثير منها حمل لواء المقاومة ٠ وأقوى الجمعيات هي المعروفة باسم /البورو/ للرجال و/الساند/ للنساء وهي متشرة لدى شعوب سيراليون وليبريا (الكيبل والغولا والمونو) وكذلك في المنطقة شرق دلتا النيجر ٠ وتربط البورو وتشد اللحمة بين الزعامات المستغلة٠ وقد عارضت /بورو/ الماند في سيراليون عام ١٨٩٨ التوسع الاستعماري البريطاني في سيراليون ٠ كما توجد جمعيات مشابهة بين اليوكو والمبمب Mbembe المنتشرون على نهر الكروس لها تأثيرها الكبير ٠ وأهم تطورها م حدث في هذه الجمعيات ماحدث في كالابار في القرن التاسع عشر حيث اصبحت جمعية ايكبة Ekpe الأداة الرئيسية لسيطرة اقلبه تجاربه - بغياب وجود حكومة قوية ، وقمعت كافة احتجاجات الأرقاء بالقوة ، وكان لدى الأيبو جمعية يقتصر دخولها على الرجال الأغنياء فقط لمنع التعدي عليهم ٠ وعادة يكون لدى الجمعية أو بالاحرى الذي يتحكم فيها مجلس منتخب منها يرأسه احدهم وهو الذي يتسلم القناع الخاص بالجمعية وهو رمزها ويلبسه عادة في الاجتماعات ، وعندما يتحدث الرئيس عليه أن يتكلم بصوت أجش مصطنع عال الطبقة لبث الخوف والرعب لدى الحضور وبخاصة من الشباب الذين لم يمروا على مرحلة التلقين ومثل هذا الرئيس يمثل في الواقع قوة سياسية لها تأثيرها بالإضافة إلى أنه طبيب القرية أو الوحدة وهو فوق الجميع وله

سلطة قوية على جماعته وهو الذي يوجه عمل البورو وعليه أيضاً أن يحضهم على تقوية السلوك الإجتماعي ومن خلال مجموعته عليه أن يفرض العادات والتقاليد على الشباب من خلال دورات التلقين التي تسير مع تشكيل مجالس الاعمار المتقاربة (الجيل الواحد) وأخيراً تحض /البورو/ على تقوية الوحدة الإجتماعية والسياسية للوحدة أو القبيلة .

ونظراً لما اشتهرت به المنطقة من أعمال حرفية فقد اصبح لكل مهنة أو حرفة جمعية نوعاً من النقابات ، يرأسها شخص معين يكون إمّا أكبرهم سناً أو أكثرهم مهارة في الصناعة وأقوى المهن كانت تتشكل من الحدادين وكان هؤلاء بالإضافة إلى علاقاتهم المهنية هناك علاقة طبقية بينهم فطبقة الحدادين كانت متماسكة مع بعضها ويتزاوجون فيما بينهم وحتى لو ترك أحدهم المهنة بخاصة عند قبائل الصوصو ويعتقد أن أصل هذه الطبقة من سلالات الرقيق القدامى وبعض الأماكن تعتقد بأنهم يتمتعون بقوة خارقة لذلك كانوا يخافونهم كثيراً . وكان رؤساء المهن يتبعون الملوك مباشرة وكثيراً ما استقدم الملوك من هنا وهناك المهرة من الحرفيين كما فعل ملك أبومي غبادجا عندما استدعي من منطقة كوللي – اللادا عائلة هو نتونجي ليصنعوا له الجواهر من النحاس والفضة وكذلك الآنية المعروفة بالآسين (المذبح) .

- الديانات والشعائر الدينية : بالرغم من اعتناق الطبقة النخبة من ساحل خليج غينيه للديانتين الأسلام والمسيحية وبخاصة الاسلام لايزال أكثر الشعوب الغينية تعتنق دياناتها المحلية التقليدية وتعمل على الحفاظ عليها . وأكثر ماينتشر الاسلام لدى العناصر العائدة للشعوب السودانية ويتوزع الاسلام بنسب متفاوتة بين دول ساحل خليج غينية من جمهورية غينية التي يغلب عليها الاسلام إلى جنوب نيجيريا حيث تدين أغلب شعوب اليوروبا بالاسلام وفي بنين (داهومي) حسب ماذكره بول مارتي عام ١٩٢٦ في كتابه دراسات حول الأسلام في

داهومي أن المدارس القرآنية كانت في نهاية الحرب العالمية الأولى منتشرة وعددها في شمال داهومي (بنين) ٩٥ مدرسة تضم ٩٧٥ طالب وفي مناطق داهومي السفلى ١٥٤ مدرسة تضم ١٩٠٠ طالب وقد وصل الاسلام إلى المنطقة من الشمال والجنوب الشرقي وتنشر الطرق الصوفيه القادرية وبخاصة التيجانية في مختلف مناطق ساحل خليج غينية ، ومما يذكر أن قسماً من الأرقاء العائدين من الأمريكيتين وبخاصة الذين قدموا من البرازيل جلبوا معهم الدين الإسلامي الذي كانوا يعتنقونه هم وآباؤهم قبل استرقافهم ، ويشترك قادة كل من غانا وبنين بالإضافة إلى رئيس سيراليون وغينية في مؤتمر العالم الإسلامي حالياً ، ولايزال انتشار المسيحية محدوداً في مختلف المناطق رغم وجود البعثات التيشيرية والجهود الذي بذلته القوى الاستعمارية لنشره ،

أمّا الديانات التقليدية (المحلية) فهي مزيج من عبادات تتعلق بأرواح الأسلاف ، ووجود الكائن الاعلى في القبة الزرقاء ، والقوى غير المنظورة وماوراء الطبيعة ، ولايمكن في الواقع الالمام بمختلف الديانات في المنطقة لكثرة عددها واختلاف نظراتها ومفاهيمها الا أن هناك بعض الأفكار العامة الرئيسية يشترك فيها تقريباً أغلب الديانات والشعائر الدينية ، وأكثر مايظهر التنظيم الديني وتأثيره لدى شعوب داهومي والتوجوبخاصة :

١) – القوة الحيوية الاساسية والأخرة:

١ً) – مفهوم القوة الحيوية الاساسية ، يمكن أن نجد مفهوم القوة الحيوية الاساسية تقريباً لدى كل المجموعات العرقية ، فسيه Se يمثل العنصر الروحاني أمّا الإنسان فيمثل العنصر المرئي ، وكل مصيبة تصل إلى سيه se لابد أن تصل تلقائياً للشخص المسبب ، ويجعل كينوم في كتابه /بلاد الفون/ من سيه الروح الحامية ويعتقد الفون بوجود روح (ليندون) مجردة وخالدة فبعد انفصالها عن الجسد ستكون في بلاد الموتى

(لو - كوتون - سيه) مع الأقرباء والأصدقاء الذين توفوا قيلاً ومع حاجاتها وثيابها الخاصة ، وفي مملكة الموتى تتابع الروح حياتها الأرضية ، تبرد وتجوع وتعطش والحياة اليومية تكون بعكس ماهي عليه في الأرض، فالسير يكون للخلف والتكلم من الأنف والجلوس على طاولة مقلوبة والليل يسمى نهار الموتى ففي الليل يبدأ الصراع بين الموتى غير المرئيين والأحياء ، لذكل لايحبون تنظيف البيت ليلاً ويمتنع رمي الماء في الساحة دون أن يصرخ الرامي /آغو/ خوفاً من ايذاء الأموات ومن الواجب عدم أكل كل مافي الصحن كاملاً ليبقى شيئاً يأكله الأموات لذلك يجب أن لاتغسل الصحون أو تفرغ قبل ظهور النهار ، وعندما تترك الروح غلافها الانساني تتمتع بقدرة كبيرة وتصبح ذات أهمية ، فهي تعرف كل شيئ وترى كل شيء وتمتد إلى كل شيء .

٢) - الآخرة : وهناك اعتقاد يكاد أن يكون عاماً ومتفقاً عليه بأن الحياة الأرضية ، ماهي الا ممر فقط وإن هناك شيئاً يسمى الآخرة حيث العيش الأبدي حسب المميزات التي اكتسبها الإنسان خلال حياته ، وهذا مايجعل الزوجات الملكيات يضحين بأنفسهن للاحتفاظ بمقامهن لملكات بعد الموت والاعتقاد تناسخ الأرواح مع الحيوان أيضاً لدى عدد من الشعوب كما هو الحال بالنسبة للتقمص .

٣) - الآسين assin وهي عبارة عن آنية خفيفة من المعادن على شكل مذبح توضع على اوتاد رفيعة تغرس في الأرض التي تجري عليها مراسم الموت ، وقد اتت كلمة آسين من عمل يعني الخدمة (عمل الواجب) ويحفظ الآسين في بيت الأجداد خلال المراسم التي تقام لأظهار الحزن والالم ، وتوضع الجثمان عادة في الآسين ويقدم لها الشراب ، وهناك آسين خاص بالملوك وأمهاتهم وتوضع هذه الآنية بعد استخدامها فوق الأعمدة المغروزة أمام ساحة القصر في مكان بارز لتقديم القرابين فيها وعلى واجهة البيوت التي تخصص لأرواح الأجداد يوضع مايسمى

(الهوتاغانتين) وهي عبارة عن صفائح موشحة بالرموز الملكية وتلعب دور الراية الخاصة بكل ملك •

ثانياً - مراسم الدفن والشعائر الجنائزية:

تلعب العادات والشعائر الجنائزية دوراً كبيراً في تاريخ شعوب ساحل خليج غينية ، ويصف المستكشف بارنيدر في كتابه الدين في افريقية الغربية هذه العادات والشعائر في داهومي (هناك مغزى من التضحيات الجنائزية مع اعتقاد لايتزحزح الا وهو العمل على اتمام الحياة ومواصلتها بعد الموت • والنتيجة الطبيعية لذلك هو تأمين موكب محترم لكل شخص مهم يلاقي الموت وفي مهد حضارتنا يوجد نفس الاعتقاد في مصر وبين النهرين مع مرافقها من تضحيات بشرية ، وهذا يعني اهتمام المصريين والسومريين بالوحشية إذا نظرنا بمناظر الديانات الحالية • ومع ذلك يقول باريندر (أنه نقل عن بعض المسافرين الأوربيين الذين زاروا مناطق الساحل انه من غير المؤكد أن يكون ضرب الأعناق وازهاقها كان شيئاً عادياً ، ويصف أحد شهود العيان وكان يعمل حاملاً لكرسي الملك غليلة الداهومي (دامت المراسم فترة طويلة ، وقد انقلبت إلى نوع من اللهو حيث كان يرمى بالأسرى من فوق منصة بعلو مترين فإذا سقط الأسير ووجهه للأرض يقطع رأسه ، وإذا كان العكس يرسل إلى المزارع الملكية للعمل أو يباع لتجار الرقيق) •

وفي بورتو- نونو يوجد موظف خاص يقدم الجلد الذي يدفن به / أو يلف به الملك وهناك موظف آخر يعلن عن موت الملك من على سطح القصر قائلاً / تحطم البيت / وبعدها يرمي نفسه ويصف باريندر إحدى مراسم مذهب خاص بأجداد ملوك بورتو- نونو (هناك أوعية (فرهريات) برقاب عالية من الفخار ومنها المصنوع من النحاس والفضة مملوءة بمياه من البحيرة • ومنها وعاء خاص بالملك المتوفي ، وتحمل هذه إلى الكوخ الملكي المخصص للجثث والذي يعتبر جزءاً من سور (ملك النهار) .

وتحمل الآنية فتيات عرايا حتى أوسطهن ، ويرتدين ثياباً أنيقـة مـن الوسط إلى الأسفل وأمامهن خـدم يكنسـون الطـرق وأمـام هـؤلاء رجـل يحمل سوطاً يضرب به الأرض ويصرخ (قفـوا في أمـاكنكم هـاهو الملـك سـادوا القـادم ، وبهـذه الصرخـة يتمددالجميـع علـى الأرض ويغطـون رءوسهم بأكتافهم حتى يمر الموكب) .

وفي داسا تكـون المراسـم الجنائزيـة الملكيـة خاصـة جداً وشـهدها باريندر أيضاً حيث يقول ((يضرب على طبل صغـير مصنـوع مـن جلـد إنسان ، ويمر هذا الطبل في الليل بشـكل لايـراه أحـد • فـلا أحـد يريـد مشاهدته حتى القدامى من الضاربين عليه ويقبل من الجدد مشاهدته مـرة واحدة فقط حيث يؤخذ بعدها إلى الجبال ويخبأ فيها ويؤتى به عند مـوت ملك آخر وقبل دفن الجثة تعلق على حامل وتوضع تحتها النار لتجـف • وتفتح بعض الفتحات في أسفل القدم لإخراج الدم بسرعة وعندما يصبح الجثمان متوتراً يؤخذ ليدفن ، ولاتعمل عملية التحنيـط هـذه إلاّ للملـوك)) وهناك عادات مثلها لدى بعض القبائل النيجريـة في الشـمال الشـرقي • ولايحق لأحد عند وفاة الملك أن يضرب أية ضربة من معول أو فأس في البلدة ولايسمح بطحن الطحين ،وعـادة كـل جثث الأحـرار مـن أفـراد العائلة المالكة تحمل إلى الجبال ليراها ملك الجبال • الذي يفتـش ويسـأل عن سبب الوفاة لأن الأمـير مـن المفـروض أن لايمـوت• ثـم تـنزل الجثة وتوضع في كوخ يبنى لهذه الغاية ، ويترك فارغاً وله باب يفضي إلى المقابر الملكية في منطقة محددة من الغابة ويسمح بمجالين اثنين فقط ، بحمل الجثة مباشرة إلى القبر بخط مستقيم ، ويدفن مع جثة الأمـير لباسـه وقبـل دفنـه يلبس كساءً من القش •

– الممنوعات والمحرمات الملكيـة • وتفرضهـا الألهـة وهـي مرتبطـة بمفهـوم كـون الملـك إبـن الشـمس لذلـك يجـب عـدم رؤيتـه بعـد غيـاب الشمس • وهكذا فملك الجبل (أدبا لوكيه) عليه الالتحاق بقصره قبـل

غياب الشمس لأن الذي يحكم في الليل هو ملك الليل المعروف باسم (الزوتوف) . ومنذ القدم اعتبر اللقاء بين ملك الليل وملك النهار محرماً ، وملك الليل يحكم الآلهة والتجمعات السرية ولايحكم الأرض وهذا المنصب مكلف به شخص آخر هو (دافيه - هولو) . وهذا لايمكنه اللقاء مع الملك إلا مرة واحدة عند نهاية مراسم التتويج حيث ينطلق الأثنان سوية إلى البحر بصحبة بعض الشخصيات الرسمية على بعد ١٠ - ١٢ كم يقول دافيه - هولو للملك (انتهى كل شيء أنا أبايعك - أنت الملك) ثم يذهب إلى بيته دون النظر للوراء ، فلم يعد بامكانه رؤية الملك مطلقاً ، وممنوع عليه الدخول إلى المدينة والخروج من بيته خلال النهار بعكس الملك .

وهناك محرمات تخص البحار ومجاري المياه ومن المحتمل أن يكون ذلك بسبب الاعتقاد بضرورة اجتياز نهر الموت بعد الموت ، فملك بورتو - نوفو لايحق له رؤية البحر بالرغم من وجود عاصمته على البحر في حين تتطلب التقاليد الخاصة بملوك ابومي نزوله في بحيرة الموت - KOU TO - MOU وغذاء الملوك هو الآخر يخضع لممنوعات شديدة وحسب قول بارنيدر يأكل الملك في (ابومي) لوحده ويخدمه شخص واحد من أتباعه ، ويدير هذا رأسه عندما يأكل الملك وجبته ، وعندما ينتهي الملك من الأكل يسعل لينبه الخادم بأنتهاء الأكل ويقوم بطبخ الطعام زوجة الملك الأولى أو غيرها على أساس أن تكون أصغر منها ، وعندما يأكل ملك أبومي (تصرخ إحدى الملكات (ذهب النهار) وهنا تركع كل الملكات والخدم ويغلقون عيونهم وإذا اضطر الملك للشرب أمان الجمهور ، فالخصيان (الطواشي) يحجبونه بقطعة قماش بعيداً عن أنظار العامة . وقد تمتعت المدن والقصور الملكية بهالة من التقديس ويشير باريندر إلى أن السبب يكمن في أن القصر والمدن مقدسان لأن ابواب القصور تتلقى في /كيتودداسا/ في بعض الأحيان ضحايا إنسانية . وعلى

كل حال ، فخلال المراسم الكبرى في ابومي يتشكل مستنقع من الدماء يغذى بدماء ستة ضحايا بشرية لحماية عتبة القصر ، وكل شخص يدخل عليه القفز فوق العتبة المملوءة بالدماء الأنسانية .

وهناك أيضاً ممنوعات تتعلق بالحيوانات (الطواطم التي تحمي الفروع والعقائد الدينية لذلك يمنع أكل هذه الحيوانات ، وصيدها أو قتلها . وهناك بعض الشعائر تخص كل حيوان على حدة . فمثلاً عند موت القطة التي تستخدم كوسيط إلى /ازيتو/ توضع جثتها على طريق عام ويجب على كل من يمر عليها أن يغطيها ببعض القش وهو يقول (سأكفنك سمعاً وطاعة إذن أتركيني اعيش)

- السحر أو ادزيتو - والبو :

- السحر AZE : فكرة السحر والسحرة موجودة لدى كل المجموعات العرقية تقريباً وهناك زمرتان من السحرة (ادزيتو) يقومون بالسحر الطيبون الذين يحمون الناس ضد الأعداء غير المرئيين وثانياً السيئون الذين يقتلون خفية ويستطيعون إستخدام وتسخير حيوان لشرب دم الضحايا وهم نائمون .

- البو : هو على العموم شيء مايستخدم للازعاج بالاقتراب منه أو على العكس للدفاع ضد الأعداء ومشاريعهم الضارة وحسب قول كينوم (إنه قطعة معدنية أو خشبية أو شريط أو سلسة وأشياء أخرى ، مختلفة موشاة . ريش عصفور ، أسنان زواحف ... الخ ولكي تقوم هذه الأشياء بعملها السحري يجب تلاوة تعويذة غامضة عليها / بوغبة/ . ومن بين هذه الأعداد السحرية من البو يوجد الأفيون أيضاً (هوتشي) الموجه إلى زرع النسيان والسكوت على احد الخائفين الخدرين ثم الشاكاتو ، الذي يسمم عن بعد ثم (زيندو - بو) الذي يخفي الناس عن العيون ثم الغبر GBO الذي يحتفظ بالسموم والمواد المخدرة الأخرى ..الخ .

- البوتو BOTO : الذي يحرك ضد الأمراض والحوادث بالتفتيش عند طلوع الفجر عن قطعة /نو-ديدا/وهي ثمرة كولا مغموسة بدم حمامه وعناصر أخرى ٠

- الطرد عن طريق السحر : وهدفها تنظيف المنطقة من كل شعور سيء وتجري على الشكل التالي ، يطلب الممثل العلماني للملك واسمه اكيلوغان لدى رهبان كل اقسام الديانات ٠ الأذن الملكي في بادئ الأمر لأجراء عملية الطرد ثم يضع الرهبان بين الأيدي للدراسة (أوراق الآلهة) المعروفة باسم /هونما/ وهي أعشاب منظفة وعلى عدة أنواع تمزج مع بعضها وتوضع في آنية طويلة ويصب عليها الماء ٠ وتحمل العلب الالهية المقدسة والمغلفة بالمخمل (القطيفة) الملون ومجهزة بأنواع من ريش الببغاء الأحمر على اكتاف ورءوس الرهبان عبر المدينة ويكلف أحد المريدين باناء الماء والأوراق ٠ ويكلف آخر بالمكانس والفراشي ، فإذا شاهدوا خلال الطريق شيئاً ما اعتبروه مزعجاً كالأوساخ التي تتراكم على زوايا الطرق فسرعان ماتبلل الفراشي والمكانس من ماء الأناء وينظف المكان بسرعة كبيرة في الوقت الذي يصرخ فيه بعض الأتقياء (ايديه - ايديه) ، ويرتمون على الأرض خوفاً من اصابتهم بمكروه ما ٠ وتعاد هذه المراسم لمدة ثلاثة عشر يوماً ، وفي اليوم الرابع عشر يجري الطواف الكبير حيث يؤتى ببعض الرموز الدينية المصنوعة من الطين والقش أوالخشب بعد تنظيفها (وتمثل هذه الأشياء الشعور الذي كانوا أسرى له) ويأتي بهذه الأخشاب من الاحراش المجاورة ثم تعرض بالسوق ، وتحمل عبر المدينة لنقلها في البحر وتنتهي المراسم بحفلة صاخبة تذبح فيها الأبقار التي اهداها لهم الملك ٠

- مُجمع الآلهة (البانثيون) : PANTHEON

هذا المجمع غني جداً بالآلهة وتسمى اوريكشا لدى اليوروبا والفودون لدى الفون ، وترون لدى الأيفبة في التوجو : وعددها كبير

يصل بين ٥ - ٦ آلاف إله تختلف في اختصاصاتها واهميتها اختلافا كبيراً فمثلاً الفودون هو رابطة قوية توحد الفودون مع الأشخاص ، وتكمل بعضها ، ولايمكن المرورمن واحد إلى آخر فعن طريق الصلاة والتضحية يقدم أو يعطي الأشخاص الدعم والقوة للفودون والعبادة موجهة بآن واحد إلى حلقتين مترابطتين مع بعضهما . ويحدد قسم من قوى الطبيعة والأسلاف المقدسين ليستخدم كوسيط بين المرئي من الأشخاص وغير المرئيين من الآلهة وغيرهم . وهناك ثلاث مجموعات وهي آلهة السماء (ايزاما هو) إله الأرض (انيماهودا) وهم رسل الأولى وأخيراً الألهة الخاصون ، ويمكن تصنيفهم على الشكل التالي آلهة رئيسة وآلهة ثانوية عشائرية ومحليه ومساعدون .

١ - الآلهة الرئيسة وهي الماهو والليسا ، وهما الزوج الخلاق ومن ناحية المبدأ(ماهو)هو مؤنث ويتوافق مع القمر وليسا ويتوافق مع الشمس وهو مذكر ، ولدى اليوروبا يعتبر الماهو الدليل القاطع وتتوافق كذلك مع ليسا الأيتشالامون والليسا والماهو هما اللذان خلقا الأرض .

وهناك رواية تقليدية تعيد إلى والدة تيفبيسو (١٧٣٣ - ١٧٧٤) وهو أحد ملوك أبومي (الفون) إدخال ديانة أو عبادة الماهو والليسا من تادو جنوب داهومي . وهناك أقسام (فروع) من هذه العبادة يمكن أن ترى في داهومي خلال نفس المرحلة والليسا كانت معروفة جداً على الساحل في مملكة اللادا .

- هافيوسو اورافيسو : وتترجم عادة بالرعد ويتطابق تماماً مع مجموعة من الظواهر المناخية التي يتعرض لها الإنسان ويقابل هذا الإله الإله شانغو لدى اليوروبا ويمثل هافيوسو عادة بالكبش ، ويحمل مريدوه عادة بلطات ذات رأسين حادين

لايدفن ضحايا الرعد في القبور بل يعرضون على حصيرة بالهواء الطلق قرب معبد هافيوسو ويدخن عليهم عن طريق شعلة ضعيفة في

الليل والصباح حيث يقوم السحرة الذين ينذرون عادة بالعواصف ، وبغية الأشتراك بما يعرف صيد الساحر بإقامة تمثال للأكل ، وضعت في فمه بقايا إنسانية .

وهناك الإله ساكياتا الذي يؤمن العلاقة بين الأرض والأنسان وهو الذي ينشر الجدري لذلك كان رمز عبادة قوية لدى شعب الماهي في سافولو . وعلى العموم تنشر هذه العبادة في البلاد التي ينتشر فيها مرض الجدري (سابقاً والذي كان يفتك بآلاف الضحايا ، وهناك غيره مثل (دان) وهو الثعبان أو قوس قزح ويمثل العربة بين السماء وارض العواصف والصواعق التي يرسلها الإله /مدهيثيو/ وهو يعتبر أيضاً رمزاً للخصب والحياة والحركة الأبدية ، كما تعتبر عبادة دانغبيه (الثعبان) مشهورة بخاصة يعرفها كل المارين في مدينة (الويضة) الساحلية ولها معبد مفتوح دائماً ، ومعتنى به ، وحتى زمن قريب كانت تهرق على شرفه دماء البقر والماعز والدجاج ، كما يوجد الإله هو البحر وهو العقل الذي يتحكم بحركة الموج ، ويعتقد أنه في سالف الأزمان كان الهونون باعتباره إله الموج وحبرها الأكبر يظل جالساً على ثور أبيض ، ويتقدم نحو البحر ويغوص فيه دون أن يبتل ويبقى هناك سبعة أيام وخلال ذلك تقام على الشاطئ أفراح / التام – تام / ويعود الهونون من البحر على ثور أسود وفي الوقت الحاضر يذهب الهونون إلى البحر ويبل قدميه فقط ، ويعود إلى بيته محاطاً بالسحرة الذين يوزعون أقراص الحلوى على الناس .

٢ – الآلهة الثانويون : وعددهم كبير جداً وعادة يبجلون في المراكز ذات الصفة الجماعية فهناك إله الحدادين (وغون) والهوهو وهو الذي يجعل التوائم مقدسة ويمثل ذلك بمجموعة من الكؤوس الملتصقة مع بعضها اثنان اثنان توضع أمام بيت التوائم وينظم عادة احتفال سنوي بالتواءم التي تبقى على قيد الحياة ويفتخر أغلب شعوب المنطقة بالتواءم

وهناك ليغبا الذي يمثل بمرتفع صغير على هيئة الإنسان يقام أمام المنازل ومداخل القرى وقد أطلق عليه المبشرون الشيطان لظهور الأعضاء التناسلية في التمثال ويعتقدون أنه يمنع كل الأمور السيئة عن البيت أو القرية لذلك فهو أهم هذه الآلهة باعتباره حامي البلاد أمّا هوهيلا فهو ليغبا ولكنه مكلف بحراسة القاطنين في البيوت من حيوان وانسان .

– الكهنة والعرافون والوسطاء : يلعب الكهنة والعرافون الذين يطلق عليهم بعض الأحيان مشعوزون دوراً هاماً في حياة المنطقة ويدعى البوكونون المختص بالتنبؤات الجوية وهو الوسيط مع الفا FA أو ايفا (وهو روح بشرية لشخص عاش فيها مضى مشهور بحكمته وبطريقته للكشف والتنبؤ . وهو الذي يقود أعمال الإنسان منذ الولادة ولكل إنسان (الفا) خاص به ولدى اليوروبا باBالاو (أب الأسرار) أو بالاندا (الأب الأكبر وهو رجل رئيسي في الوساطة مع الفا) وعادة لاينفصل البوكون عن كيسه الصغير الذي يحوي الآغوماغان (أنواع من السبحات تحوي بذور ثمار تسمى اغوناغا ومن قطع صغيرة من القرع ويحوي الكيس أيضاً الفو Vo الذي يجمع فيه سبحة قواقع وحبوب وبقايا خضار وحيوانات .

– الفن : تعتبر منطقة ساحل غينية بخاصة المناطق الجنوبية الشرقية مركزاً حقيقياً للفنون الجميلة وقد امتزجت الفنون مع بعضها كما استمدت كثيراً من الخصائص الفنية التي ظهرت لدى الشعوب السودانية، فهناك علاقة وثيقة بين فن اليوروبا القاطنين في داهومي وأبناء عمومتهم في نيجيريا ، كما أن صناعة الجلود التي اشتهر بها الباريبا ماهي الا اقتباس من فنون الهوسا الشماليين كما اشتهر الباريبا بالفن المعروف (الأرتيزانا) ، ويذكر المؤرخ لومبارد في كتابه نظرة على التكنولوجيا والأرتيزانا لدى الباريبا عن النقش على القرع ويعرف باسم كاريورا ، ثم الحفر على الخشب داندا كورو وبخاصة على النعال الخشبية

والقباقيب التي يطلق عليها (باراسا مينو) بلغة الباريبا ، ومنها ماهو منقوش وموشى على أعلى النعل مع الرسم أمّا الأقسام البارزة فهي ملونة على العموم باللون الأزرق الفاتح يضاف إلى ذلك صناعة الطاولات الصغيرة المعروفة باسم كيتارا بارتفاع ٢٠ - ٢٥ سم وعرض ٤٠ سم ويكون الحفر على الزوايا الأربعة والأقدام .

وقد فوجئ الأوروبيون عند مشاهدتهم الفن في مملكة أبومي حسب قول ميرسيه ولومبارد في كتابهما (دليل متحف ابومي) فهناك عدة أنواع من الحفر ، ولكل منها هدفه فالحفر على الخشب موجه حصراً إلى الرموز الدينية والسحرية والنقاشون انيلكا باتو ليسوا بشكل من الأشكال محترفون بل هواة فنانون يصنعون تماثيل صغيرة للحماية ويطلق عليها (بوكشيو) وتوضع عادة في البيوت والساحات وأما تصفيحها بالحديد والنحاس أو الفضة فهو كما يبدو فن خاص بأبومي .

- أعمال الحديد الفنية : هي قديمة جداً وحسب قول البحاثة البريطاني ديفيز من جامعة غانا ، أن المنطقة كانت مركز حضارة (النوك) المشهورة التي اشتهرت بصناعة الحديد والبرونز ، وتدل الآثار المكتشفة هناك وبخاصة من الأدوار التاريخية القديمة على وجود حضارة راقية عاشت هناك ويعود إليها أكثر هذه الاحجار المشذبة والفؤوس الحجرية وكتل الكوارتز والسندیان الحجري والمطرقة الحجرية التي استخدمت في تطرية وتطويع الحديد ، وهناك الأحجار ذات الصوت الرنان (الموسيقي) حال طرقها على بعضها . وقد وجد مركزان هامان من العصر الحجري الحديث يقع الأول على نهر اليبوري حيث وجدت الآنية (الأحواض) الواسعة من الحجارة لصهر الحديد بالإضافة إلى كرات من الحجارة وسدادات لفوهات الجرار ، وقد نقش على الحديد الرسوم بالكوارتز الدقيق والحاد جداً أمّا المركز الثاني فقد وجد عند عنق جومدونا ، وقد وصف الرحالة الفرنسي انزورو شيتالو الذي ارتاد شمال

المنطقة عام ١٩٢٦ (تجد في كل مكان آثار للسكان الأوائل فعدا مركز صهر الحديد نجد طواحين قديمة وأعمدة من الكوارتز وسكاكين وأساور من الحديد وجرار من /اليشب/ والكورنالين والعقيق الأحمر ، وهناك فأس من الديوريث المشذب وحد لسهمين من السيليس ، وربما تكون هذه مستوردة لعدم وجود مثل هذه الحجارة في تلك المنطقة والواقع أن وجود هذه الحجارة حسب قول مؤرخ كتاب تاريخ / داهومي / روبرت كورنوفين / هو دعم قوي لفكرة الهجرة من الشمال إلى الجنوب حيث أتى المهاجرون ومعهم فن التعدين وصهر الحديد ، وحتى الآن لاتوجد (حسب رأيه) أية اشارة تسمح بتأريخ هذا العمل الهام والرئيسي في تاريخ غرب افريقية وهو تاريخ ظهور الحديد ، ويمكن أن يشار إلى أفكار عريضة ، ويدعم المؤرخ / موني / القول بأن كل اللهجات البربرية تطلق على الحديد كلمة مقتبسة من كلمة بزل BZL الفينيقية ، ومن المحتمل أن القرطاجيين الذين استقروا على الساحل الأفريقي الشمالي نحو ١١٠٠ ق م هم أصل هذه المصنوعات الحديدية ، وبين هذا التاريخ ووصول العرب للسودان في القرن الثامن تعلم السود تقنية الحديد في افريقية الغربية ، وقد وجد في مناطق داهومي بقايا أفران عالية بعرض ٢ م وارتفاع ٥،٢ م وهناك اصطلاحات لاتزال مستخدمة في صناعة الحديد فكلمة ماكا يعني فرن عال ماتي MATI معدن الحديد ماتي تيمبا (صانع الحديد) إذن من هم الذين جلبوا الحديد إلى المنطقة ؟ وقد اتفق الجميع على انه قديم جداً وحتى الآن لاتوجد آثار تدل على من جلبه .

أصبح الفنانون الداهوميون على مر الزمن من ذوي الخبرة بصناعة التماثيل الحديدية وكذلك الحفر وتشكيل الصفائح المثبتة بالمسامير أو بالشمع في الأخاديد المحفورة والنقوش وأفضل مثال على ذلك تمثال يعرف باسم (غو) وقد صنع على هذه الطريقة الفنية يضاف إلى ذلك التزيين على الأفاريز العلوية والسفلية في القصور الملكية في

أبومي وهي مصنوعة من الطين الملون ، وهناك نقوش غيرهـا تعـد بالمآت تشكل مصدراً لمعرفة أهـداف الماضي حيث كتب ملوك أبومي تاريخ حكمهم لذلك تعتبر وثائق تاريخية ذات قيمة كبيرة •

أمّا التماثيل المعروفة باسم تماثيل ابومي فهي تمثل بشكل رمزي الملوك على شكل حيوانات • فالفهد يمثل العائلة المالكة ويمثل الملك اكابا الكلب كبيتغا ، والأسد يمثل الملك غليلة • القسم الأكبر من هذه التماثيل موشى بنقوش من النحاس ، وتأتي بعد ذلك العروش الملكية / زينكبو / والتي هي من رموز السلطة الملكية وشكلها قريب من عروش الأشانتي وهي مغطاة بشكل جزئي بصفائح من المعادن (نحاس ، فضة) أمّا عرش (اغونغو) ، فهو مغطى بشكل كامل بصفائح من الفضة ، وتظهر هذه العروش وكذلك المظلات الملكية – عند موت أصحابها – في المراسم التي تقام لعبادة الأرواح وتقديم الاحترام لهم •

ومن جملة الأعمال الفنية العصي المعروفة باسم / الريكاد / وهي عصي قصار تمثل الملك ، وهي دون شك أيدي الفؤوس والجارف وهي تذكر باستخداماتها خلال اجتياز الغابات ، فمرة تستعمل كهراوة لفتح الطريق وإبعاد الأعشاب الطويلة ، ومرة تستخدم ككرسي يجلس عليها والنقوش المحفورة في نهايتها تسجل رموزاً للملوك الأقوياء •

إن إرسال مثل هذه العصي يعادل انتقال الملك ويجب أن يقدم لها الأحترام ، وكل معاني الشرف التي تقدم عادة للملك • وتحمل العصاة مغطاة بغطاء ، وتكشف من قبل الرسول في المكان الذي يجب أن يقرأ فيه الأمر الملكي ويقف المرسل إليه الأمر أمامها للاستماع للأمر الملكي •

وللفن في داهومي ميزتان كونه نموذج لحضارة رائعة وثانياً يؤكد ويثبت المعلومات والمعطيات التاريخية التي جمعت من أفواه الناس ، ومن

كتابات تجار العبيد ومن رؤساء الوكالات التجارية الذين عاشوا هناك خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر عن الحياة الداهومية وحضارتها .

– الحفاظ على التراث ، إن أهم ماكان يميز شعوب المنطقة وبخاصة شعب الفون هو محبتهم للحفاظ على التراث ، لذلك كانوا يعطون أهمية كبيرة للروايات التقليدية المتوارثة وقد استخدمت عدة أساليب للحفاظ على هذا التراث وأهمها :

– الحفاظ على أهمية الاتصال بالأسلاف وذلك عن طريق الاعتقاد بتقمص الأرواح

– الأحاديث المتوارثة في مملكة / ابومي /

– الانتاج الشعري المعروف باسم هيو هو نيوهو

– فرقة منشدي الملك .

من خلال ماتقدم يظهر واضحاً أن الديانة الرئيسية والاعتقاد الرئيسي هو عبادة واحترام ارواح الاسلاف لذلك هناك أشياء اساسية يجب نقلها عبر الأجيال ، وتتعلق بالأسس والأصول التي بنيت عليها العشيرة والتي يلعب فيها رئيسها الدور الأكبر ، وكذلك الأحداث التي رافقت ذلك مع ماوضع من محرمات وممنوعات جنسية (فيزيائية) ، ومخاوف اجتماعية والتي تفسر ماحدث من اختلاف في التقاليد والروايات بين المجموعات المختلفة ، وذلك لتحضير روح السلف في اليوم والوقت المناسبين ، لقد وجه ملوك داهومي (ابومي) وغيرهم عنايتهم بالحفاظ على الروايات والأحاديث المتوارثة . ويقال أن التاريخ يحكم داهومي لهذا السبب جمع الملك اغادجا ١٧١٨ – ١٧٥٩ في بلاطة كل كبار السن في كل عشيرة تمتلك تقاليد عائلية متوارثة لكي يؤلف قصيدة شعرية تجمع كل هذه التقاليد ، وتكون سهلة الحفظ ليحفظها كافة الناس ، وكان يقول (في داهومي يجب أن يعرف كل

رجل أصله ، وبعد ١٥٠ عام جمع حفيده الملك غليلة ١٨٥٨- ١٨٨٩ هو الآخر حراس التقاليد من كبار السن وحفظه الروايات المتوارثة التي أظهرت أن هناك اختلافات كثيرة عما كان في السابق ، فبعض العشائر والأفخاذ أخذت تقلل من أهمية دور العائلة المالكة في تاريخها ، وقد استخدم الملك مغنياً محترفاً (اهانجيتوا) لوضع شجرة العائلة المالكة دون أي خطأ أو نسيان منذ ابتداء حكمها ، وأي إهمال أو خطأ لأحد الأسلاف ستكلف المغني حياته بوضعه على الخازوق ، وبذلك ظهرت أشعار (هيهو-و- هو ينهو) ووضعت تقاليد خاصة لروايتها والحد من انتشارها ، والهيهو التي تعني تاريخ لاتحكى ولاتقص أشعارها الا بعد سقوط الليل أمّا الهوينوهو ، فتقرأ في النهار ، ولكن لاتقرأ الا أمام عدد محدود ، وهي أشعار دينية وتاريخية وبما أن تاريخ العشيرة يصعد حتى يصل إلى المؤسس الأول ، لذلك كان من الضروري إدخال الأمور السحرية وغالباً ماتدخل في الموضوع عناصر دينية تتعلق بقراءة المستقبل .

كما شكل الملوك فرقة خاصة تسمى فرقة منشدي الملك ، وربما كانت تشكل من المحاربين الموجودين في البلاط والذين يجدون في الحملات العسكرية غذاء روحيا لآمالهم ولشهرتهم . وكان هدفها أيضاً تمجيد الأصول الملكية وإنشاء الروايات التقليدية للحفاظ عليها ، ومع الزمن أصبح مكانها محفوظاً ويتوارث الأبناء الآباء في هذه الفرقة ولكن مع مرور الزمن دخلت في الأناشيد المبالغات والأساطير وقد أصبحت حقيقية مسلماً بها ، كما أصبحت وسيلة لأضفاء صفات الشرف والبطولة على شعب قام بأعمال خارقة . ولاشك أن هناك ميلاً كبيراً بين الأفارقة للأساطير والقصص الدينية - الآلهية (الميثولوجيا) والتي هي قسم من تاريخهم . وكان لدى ملوك كيتو محفوظات شفوية منظمة بشكل جيد وقد خصص لها حفاظ يقومون بتلقيتها وتحفيظها للأطفال ،

وتخص عادة لوائح انساب الملوك ، وكانت الأخطاء المرتكبة خلال إلقاء الأغاني تصحح مباشرة ، لقد تلى بابا أليغون (الراوي) عن ظهر قلب يوم دخول ملك كيتو عاصمته أمام الجميع اللائحة الكاملة للملوك الذين أتوا قبله ، وكل خطأ أو نسيان يعتبر غلطة لاتغتفر ولايغفرها الراوي لنفسه وربما ينتحر ، وكانت للراوي منزلة عالية لدى الملوك والرعية ٠

■■

الباب الثالث

مجموعة شعوب البانتو جنوب خط الاستواء والأقزام

الباب الثالث

مجموعة شعوب البانتو جنوب خط الاستواء والأقزام

- تمهيد

الفصل الخامس

غرب وسط افريقية

(١)

البانتو الغربيون الكونغو

- الشعوب واللغات :
- الدول والامبراطوريات القديمة الكونغولية
- مملكة الكونغو القديمة
- مملكة الباكوبا
- امبراطورية البالوبا : مملكة لوبا الأولى – مملكة لوبا الثانية
- امبراطورية البالوند
- مملكة الكازيمبية

- مملكة المسيري
- التنظيم الأقتصادي
- الفنون الكونغولية – الأزاتزانا – الفن التشكيلي
- الأديان
- الحياة الإجتماعية – العائلة – النسب والقرابة والزواج – العادات والتقاليد

٢

اشباه الزنوج ((الأقزام في غابة ايتوري حوض الكونغو))

اماكن الأنتشار ، تاريخهم – اقسامهم – النظام الإجتماعي والاقتصادي والثقافي والعادات والتقاليد

■

الباب الثالث
مجموعة شعوب البانتو
جنوب خط الاستواء

- تمهيد

قبل حوالي قرن من الزمن لم يكن يعرف شيئاً عن كل مايتعلق بأصول الشعوب السوداء التي تقطن القسم الأكبر من جنوب خط الاستواء وعلى طرفيه وحتى رأس الرجاء الصالح ، والتي يطلق عليها حالياً البانتو ، وتضم الوحدات السياسية كينيا وتزانيا وموزامبيق وزامبيا وملاوي وزيمبا بوى واتحاد جنوب افريقية وبتسوانا وليسوتو وسوازيلاند وناميبيا وزائير وكونغو برازافيل وقسم من الغابون والكميرون . ومن الواضح أن كلمة /بانتو/ لاتتعلق مطلقاً بصفات فيزيائية معينة خاصة تتصف بها بشكل عام تلك الشعوب بل هي في الواقع كما ذكرنا سابقاً تعريف أو اصطلاح أول من استخدمه لتعريف هذه الشعوب المؤرخ الألماني بليك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لكي يحددا القرابة لأكثر من ٣٦٠ لغة ولهجة يتكلم بها أكثر من مائة مليون شخص أصبحت تسمى شعوب البانتو تشكل القسم الأكبر من شعوب الوحدات السياسية المذكورة أعلاه . وتعتبر هذه اللغات واللهجات قسماً من عائلة لغات النيجر - الكونغو . ورغم الاختلاف الكبير في

الحياة الإجتماعية والثقافية بين هذه الشعوب إلاّ أن العلماء بعد دراسات معمقة ومستفيضة للغات البانتوية استطاعوا أن يحددوا خطاً وهمياً يفصل اللغات البانتوية عن اللغات السودانية وبالتالي يحدد مواطن البانتو بشكل تقريباً بعيداً عن الدقة المطلوبة ،

ويبدأ هذا الخط من ساحل الأطلسي في المنطقة التي تفصل جنوب نيجيريا والكميرون حيث يمر النهر المعروف باسم نهر الملك (ريودل ري) باللغة البرتغالية ، ثم يتجه نحو الشرق عبر بلاد الكونغو ماراً جنوب نهر فيلية إلى رأس بحيرة البرت ويعبر بحيرة كيوجا في أوغندة ماراً جنوب نتوء ايلفون متتبعاً المناطق الخلفية لبحيرة فكتوريا حتى زاويتها الجنوبية الشرقية ثم يمر بتموجات والتواءات كثيرة متجهاً إلى الشمال حتى مدينة (ميناء) ممباسا على ساحل كينيا الشرقي ، وهناك نتوء ضيق يتجه شمالاً – غربياً إلى جبال كينيا ويعبر نهر تانا متجهاً نحو مصب نهر جوبا جنوب جمهورية الصومال على خط الاستواء ، وجنوب هذا الخط الوهمي تشتد الصلات اللغوية – البانتوية بقوة مبتعدة عن تأثير اللغات السودانية شمال الخط المذكور كلما نزلنا جنوباً ، وهذا ماجعل البحاثة يجزمون بأن هناك نواة أولية أصلية لدى البانتو ولكنها أقل بعداً في الزمن من أكثر اللغات السودانية ،

وقد أخذ علماء الآثار في الوقت الحاضر يؤكدون على العناصر اللغوية الجامعة للبانتو ، ومنذ عام ١٩٥٤ قام الدكتور ح هيرنيو البريطاني – المدير العام السابق لجامعة اليزابيت بعده حفريات في مواقع عديدة في جمهورية رواندا الحالية حول بحيرة كيفو حيث ظهرت مجموعات أثرية ذات فائدة كبيرة – جرار فخارية مصنوعات معدنية تشبه الجرار المكتشفة في كينيا من قبل الأثري البريطاني LSB , LEAKERG (ليكرى) وقد اكتشف مثلها في حفريات تمت في وسط تنزانيا وزائير (مقاطعة كاساي) وفي كينشاسا نفسها ، وقد

لوحظ أن كل الآثار المكتشفة المتشابهة قد اكتشفت في بلاد ومناطق يسيطر عليها البانتو ، وهنا يؤكد هيرينو بموجب هذه الملاحظات أنها دون شك تعبر عن مراحل هجرات البانتو الأوائل اسلاف البانتو الحاليين ، والتقدم السريع الذي احرزه البانتو القدماء ، ويؤكد أيضاً على أنهم كانوا في وقت واحد يعرفون الزراعة والصناعة ، وهذا مايؤمن لهم نمواً بشرياً (ديموغرافيا) واقتصادياً دون أن يكون لهم علاقة مع الصيادين والذين يلتقطون الغذاء الطبيعي وكانوا مكيلي العدد ويعيشون سابقاً في تلك المنطقة ، ومن المحتمل أن يكون هؤلاء من نموذج / تويد / TUIDE الأقزام ، ومن البوشمن (رجال الغابات) KOPAIDE , BUSH - BOS وحتى الآن لم يستطع الأثريون شرح الأسباب التي استطاع فيها (وكيف) فرض البانتو لغتهم على الشعوب من العهد الحجري الحديث الذين التقو بهم ، كما لاتزال هناك تساؤلات حول هجرة البانتو ومن أين ومتى تمت وماهو تاريخها ، وحتى عهد قريب كان يظن أن مروي الواقعة شمالاً بالقرب من مدينة الخرطوم هي المكان الوحيد في افريقية الذي عرف صب الحديد ، وكانت مروى عاصمة دولة كوش القديمة ، وهناك شواهد كثيرة وآثار وآلات لصهر المعادن تدعم هذه المقولة وتقول بأن هناك – اعتباراً من القرن الرابع قبل الميلاد ، ومن المحتمل اعتباراً من القرن الخامس قبل الميلاد صناعة حقيقية للحديد ، ولكن عالم الآثار البريطاني ب فاغB. FAGG . اكتشف في نيجيريا في أحد مناجم القصدير على هضبة يوتاشي الواقعة في الجنوب ، حضارة من العصر الحجري الحديث متقدمة تدعى ثقافة النوك NOK كانت تعرف الحديد وقد تم معرفة تاريخها بواسطة الكربون حيث تعود إلى القرن الرابع عشر من الألف الأول قبل الميلاد ، ومن المحتمل أن يكون إستخدام الحديد وصهره الذي اقتبس من قبل السود في نوك قد سبق ماهو موجود في مروي والتي يظهر عليها التأثير السوري (تاريخ الكونغو روبيرت كورنوفين) .

وعلى كل حال فحضارة النوك تجاوزت جنوباً إلى وادي بنوية الأوسط الذي يشكل أكبر روافد نهر النيجر ، ويمكن أن نتخيل بعض الحقائق المتشابهة بخاصة عن ازدياد السكان في هذه المنطقة من نيجيريا في القرون الأخيرة لما قبل الميلاد ، ويعود ذلك إلى وصول الصحراويين من العصر الحجري الحديث (نيولوتيك) بشكل كثيف وقد هجروا أرضهم بسبب الجفاف بين أعوام ١٥٠٠ ، ٥٠٠ ق م ، وهنا بدأت النواة البدائية للبانتو الأوائل تشرع بهجرتها نحو الجنوب بموجات بطيئة ومتباعدة ، لكن الغابات الكثيفة التي اصطدموا بها بعد ٢٠٠ كم إلى الجنوب من وادي نهر بنوية ، أجبرتهم على الانحراف شرقاً عبر السافانا الواقعة في بلاد الكميرون الحالية وجمهورية افريقية الوسطى ، ومن المحتمل أنه عند وصولهم إلى ارتفاع سانغا SANGHA والى قطعة الأرض شمال وجنوب نهر الأوبانجي ، استخدم هؤلاء البانتو الأوائل طريق النهر الصالح للملاحة لاجتياز حاجز الغابة الكثيف دون تعب ، وبعد ركوبهم نهري الأوبانجي (يصب في الكونغو) والكونغو نفسه مسافة ٧٠٠ كم وصلوا دون تعب ومع التيار إلى المنطقة الواقعة شمال كينشاسا (عاصمة زائير) وفيها أسسوا نواة البانتو (الغربيون) وتقع هذه المنطقة حالياً في مقاطعة كينشاسا وشمال جمهورية انغولا وجمهورية والكونغو(برازافيل) ،

أمّا الموجات البانتوية الأخرى التي خافت من ركوب النهر ، فقد واصلت مسيرتها نحو الشرق في محاذاة الحدود الشمالية للغابة الكبرى الكونغولية حتى وصلت أضيق ممر من السافانا شمال - جنوب والواقع بين بحيرة البرت والحدود الشرقية لغابة إيتوري TAURI متجهة نزولاً إلى الجنوب بمحاذاة جبال (غرابين) الغربية للوصول إلى المناطق المفتوحة المعروفة باسم مانسيما MANCEMA الواقعة إلى الغرب من القسم الشمالي لبحيرة تنفانيكا الطويلة ، ومن ثم واصلت طريقها الطبيعي الملائم للهجرة ، وهو المشكل من نهر لولابا (بين مانسيما حتى بحيرة /

كيسالية / ، وقد شكلت هذه المجموعات ماأصبح يطلق العلماء عليه البانتو (الشرقيون) ومن هناك انتشر البانتو في مختلف الأرجاء ، وهناك ممر يقع إلى الشمال من بحيرة البرت ويتجه نحو رواندا دبورونـدي بالإضافة إلى امكانية عبور بحيرة تنفانيكا لقلة عرضها بالنسبة لطولها وذلك للوصول إلى نفس المنطقة وتملك الأرض فالأرض للامبراطور وحده وهو الذي يوزعها بين أفراد العائلة المالكة وبين بطانته من العائلات الكبيرة والحكتم العسكريين وجميعهم من الأمهرة أو التيجري الذين يشكلون الطبقة العليا , وتضمن الأرض الحصول على المراتب العليا .

والمزارعون الأمهرة والتيجري الذين يعيشون في المناطق العالية هم أقوياء وهادئون كفلاحين وهم مستعدون للإذعان للنظام الاقطاعي العشائري الذي يمثله زعماء الاقطاع وهم دائماً حذرون منهم والشك بهم لكنهم كانوا بعيدون عن الثورة ولم يكونوا من الصناعيين وليسوا من المهرة في صناعة النسيج والأعمال الجلدية والحديدية وهي عادة معهن وراثية ولكنها محتقرة بالنسبة إليهم وينظر إلى الذين يقومون بها نظرة محتقرة وهناك بعض الأرتزانا ولكنها منخفضة المستوى . وهناك بعض المجموعات الشعبية التي تقوم بعمل هذه الأعماتل مثل (الدروس) النساجون أو اليهود الفلاشا الذين تركوا اثيوبيه مؤخراً وكانوا يقومون بأعمال الحديد والفخار وهناك الجوارغ الذين برغم نسبهم الكوشي إلا أنهم يتكلمون اللغات السامية ويعيشون في مناطق زراعة اليانسون كما يشكلون اليد العاملة في أديس أبابا .

تلعب المجموعات التي تتنحدر من جد واحد دوراً مهماً في التنظيم الاجتماعي لشعوب المنطقة وهم عادة ينتسبون للأب أي يتبعون النتسب الأيوبي المنحدر من جد واحد ذكر ويظهر ذلك في الوراثة والملكية الخاصة . وفي الدولة وتشكيل المجموعة ونقطة الضعف لدى الأمهرة

المسيحيين هو نظرتهم للعلاقة مع الأب نفس النظرة للعلاقة مع الأم أي يعترفون بالنسبين الأبوي والأموي . وهذا النظام المهلهل من القرابة المزوجة هو الذي يحدد دور الجماعة ضمن مجموعة القربى وكل علاقة بينهما وكذلك العلاقة مع الأبرشية التابعة لها وحول الكنيسة يتمحور شكل الجماعة المحلية وتعتبر الوحدة الأولية الادارية المحلية وتتحلق حول الكنيسة أعداد من المراكز السكنية (المحلات الصغيرة) والمستوطنات وبشكل واضح تشكل قربة . وتعطي هذه القرابة المزدوجة الحق من ناحية المبدأ على الأقل أو حقوقاً لأعضائها غير قابلة للتحول أو الوراثة ، في استخدام الأرض الزراعية التابعة للأبرشية العائدة للكنيسة ولا تسمح هذه القرابة أو بالأحرى الانتساب للمجموعات التي تنتمي إليها للزواج فيما بينها إلا إذا كان الزوجان لا يمتّان بصلة قرابة تصل إلى سبعة أجيال والقبيلة عادة غير موجودة في اثيوبية .

- التنظيم الاقتصادي : لا يوجد لدى الأمهرة ولا حتى الذين تأثروا بثقافتهم وحياتهم القرى بمعناها المعروف والقاعدة الصغرى أو نواة الوحدة الاستيطانية في الحياة الريفية هي العائلة وامتدادها وتشكل عادة من الزوج والزوجة وفروعها من الأقرباء ، والأنساب حسب التسلل ويعيش هؤلاء في أكواخ مدورة من الطين والقصب أو الأعشاب يتحلقون حول الكنيسة .

وتعتبر هذه مركز الأبرشية التي تضم عادة ٢٠-٣٠ بيتاً ينحدر سكانها من جد واحد يرتبطون بالأبرشية ولهم حقوق زراعية في أرض أحد الأبرشية . هؤلاء المزارعون الذين يحصلون على الأرض من الاقطاعي تنظم علاقات منظمة ببراعة ، والأرض عادة تكون مملوكة من قبل الكنيسة أو كبار رجال الاقطاع الذين يرسلون الوكلاء ليمثلوهم في المقاطعات والاقطاعيات وجمع المحاصيل وتقسيمها . وربما يكلفون بالشحره وعادة الذي لا يقدم محصولاً يعمل دون أجر ويمكن الحصول

على الأرض إما عن طريق الوراثة أو الزواج ، والمتزوجون الجدد غالباً ما يبقون في بيت الأب أو الزوج .

وهناك ثلاثة أنواع من الزواج لدى الأمهرة والتيجري الأول الزواج الكنسي ويسمى كاريان والزواج المدين (سيميانا) والموقت هو (الداموز) والنوعان الأولان من الزيجات ينتظمان من قبل الأهل والطلاق ممنوع في الزواج الكنسي .

إلى هذه المرحلة من الرواية (يمكن أن تكون قد وقعت صدفة) . جاء العلماء الأثرية ليؤكدوا على الناحية اللغوية . فالعالم اللغوي ج . نانكين نشر مقالاً عام ١٩٦٣ في الجريدة اليومية التاريخية الأفريقية عن المكتشفات الفخارية التي ظهرت في كتنفا (شابا حالياً) وكذلك العالم ج ـ هيرنو الذي أبدى ملاحظات حول المكتشفات التي حدثت أعوام ١٩٥٧ ـ ٥٨ ـ ٥٩ . وكانت عبارة عن مقبرتين واسعتين من العصر المعدني الأولى في سانفا على ضفاف بحيرة كيساليه في الكونغو والأخرى في كاتوتو على نهر لوالابا الأعلى بالقرب من بوكاما "كتنفا" وقد حدد الكربون (١٤) تاريخ المقبرة الأولى في القرن الثامن أو التاسع للميلاد . وقد فتح هذا التاريخ أمام الأثريين ، تصورات لا يمكن التفكير مطلقاً قبل عقد أو عقدين من الزمن حول التاريخ القديم وما قبل التاريخ للبانتو . فقد و جد بين هذه الآثار عدة هياكل عظمية والتي يبدو أنها قريبة من شعب البالوبا الحالي ، كما وجدت أنواع من الجرار تختلف عن الجرار الحالية . بالإضافة إلى أشياء مصنوعة من النحاس والحديد . ووجود هذه (الحلي) وبخاصة أنها مصنوعة على شكل صليب القديس اندريه " كراو زيت " مما يجعلها ذات أهمية كبيرة لأنها دون شك كانت معدة للتصدير . وهذا يدعم القول بأن هذه المنطقة من إفريقية الوسطى ، والتي كان الاعتقاد بأنها منعزلة ولا علاقة لها بأحد كانت لها علاقات تجارية مع

الخارج ، في الوقت الذي كانت فيه أوربا على درجة متدنية من الحضارة.

لقد تعددت الروايات حول أصل تسمية البانتو ولكن أكثرها احتمالاً هي أن الأقوام التي كانت تعيش هناك كانت تتخذ من الدرنيات رموزاً تمثل الكائن الإنساني ومعناه (تو) والجمع منها بانتو. وقد عممت هذه التسمية خلال فترة طويلة من الزمن .

واستناداً بشكل مبدئي للتوزيع الجغرافي مع الأخذ بعين الاعتبار للامتداد غير المحدود للنواحي الثقافية ، والاجتماعية ، والأصول العرفية. والحوادث التاريخية هناك اختلاف كبير بين المجموعات القبلية للشعوب التي تتكلم اللغات البانتويه ويمكن أن نميز ثلاث مجموعات رئيسية وكل منها تقسم إلى عدة أقسام أصغر منها أما الرئيسية فهي :

١ ـ البانتو الغربيون ، وينتشرون من المحيط الأطلسي شمال نهر كونين إلى شمال غرب زامبيا والأخدود العظيم . وتمتد مناطق البانتو شمالاً غربياً نحو الفابون ، وجنوب الكاميرون ثم سكان زائير والكونفو ــ برازافيل .

٢ ـ البانتو الشرقيون : وينتشرون بين أوغندا في الشمال وجنوب كينيا وتنزانيا وقسم من زامبيا ، وملاوي وشمال موزمبيق . وقد امتزج عدد من هذه الشعوب بالعناصر والسلالات الحامية والسامية التي قدمت من الشمال .

٣ ـ البانتو الجنوبيون : وينتشرون جنوب نهر الزامبيزي . وهي منطقة واسعة تضم زيمبابوي .

رغم كل ما تقدم لا تزال هناك تساؤلات عن أسباب الهجرة التي قامت بها شعوب البانتو قبل ألفي عام . هل هو الانفجار السكاني بسبب دخول الآلات الحديدية في الزراعة كالمنجل والمطرقة والفأس والبلطة أم كان تفوق بعض القبائل عسكرياً على أخرى . وقد أجاب

كثير من الباحثين على أن هجرة البانتو كانت بطيئة نسبياً ولم تكـن علـى شكل الموجة أو موجات متلاحقة لقبائل كبيرة ، لذلك يمكن القول بأنهـا جاءت بسبب ازدياد السكان نتيجة لتطور الزراعة . وهنـاك أمـر مؤكـد حسب الشواهد المتاحة . هو أن إدخال صناعة الحديد في وسط وجنـوب إفريقية ، قد اقترن مع هجرة جماعات إفريقية حطوا بهذه المنـاطق ، ومـن المرجح أن يكونوا من قبائل البانتو .

أمّا عالم اللغات جوزيف جرينبورغ فيرفض كون منطقة النوك هـي مكان انطلاق البانتو وحتى يرفض وجود ثقافة للنوك أو مجتمع ومن رأيـه أن منطقة انطلاق البانتو كان من السافانا الواقعة جنوب الكونغو .

■■

الفصل الخامس

غرب وسط إفريقية

(١)

البانتو الغربيون

تمهيد :

ينتشر العرق الكنغولي (البانتو الغربيون) . في منطقة واسعة تعتبر قلب إفريقية، وتشكل منطقة ثقافيــة واحـدة تقريباً . وكلمـة أو تعريـف كونغو هنا لا يقصد بها بلاد ، بل منطقة جغرافية وثقافيـة تشـمل القسـم الأكـبر مـن زائـير (الحاليـة) وكونغـو برازافيـل ، والفـابون ـ غينيـه الاستوائية ، جنـوب الكامـيرون وجمهوريـة إفريقيـة الوسـطى ـ انغـولا ، وأجزاء من جنوب السودان ، وزامبيا وملادي ، وزيمبابوي وموزمبيـق. أي تضـم بـالتحديد إفريقيـة الاستوائية ، ويحدهـا مـن الشـمال شـرق السودان . وفي الجنوب هضاب جنوب إفريقية وتمتد غرباً مـن مرتفعـات الكامـيرون وسـاحل المحيـط الأطلسـي إلى مرتفعـات إفريقيـة الشـرقية في تنزانيا وكينيا .

– وتقسم هذه المنطقة الواسعة مـن الناحيـة الجغرافيـة والنباتيـة إلى منطقتين متساويتين الأولى الغابة الاستوائية . وحوافي السافانا في الشمال. والمنطقة الثانية فهي امتداد السـافانا جنوبـا ، وتغطـي الغابـات ٤٨٪ مـن المساحة الكلية لهذه المنطقة .

- وتشبه خريطة الكونغو لمرحلة ما قبل التاريخ بشكل كبير خريطة الموارد المنجمية الحالية . وتتألف من جهة من مكان واسع جداً أبيض ينطبق تماماً على منطقة الغابات الاستوائية الكبرى ، ومن جهة أخرى ، فالمنطقة المميزة تتوافق مع المنطقة المعدنية أو حول (منطقة العاصمة) كينشاسا .

إن مختلف الأشياء المصنوعة المكتشفة تؤكد على أن الإنسان قد قطن فيها منذ بداية عصر ما قبل التاريخ حيث لم تكتشف حتى الآن مستحاثات تعود إلى ما قبل ذلك التاريخ .

ومنذ أكثر من مليون عام ، عاشت المخلوقات شبه الإنسانية "الأوسترو - لوبيسيدس " ، وهم أبناء عم الزنجانتروب " الرجل الزنجي القديم " وقد وجدت أدواتهم المصنوعة في تنفنيكا (أو تانفانيكا) عام ١٩٥٩ وكذلك في كاساي وكتنفا وفي حفرة بحيرة ادوارد ومن المحتمل أنه قبل ٤٠٠ ألف عام كان انسان بيبشيكا نتور بيدس يصنع الأدوات اليدوية والبلطات ، ولكن هذه الصناعة غير ممثلة في الكونفو بشكل جيد, ومع النياندرثال . أقرباء الانسان الحالي ، ظهرت بداية ثقافة غابية خاصة ممثلة جيداً في مختلف أنحاء غرب الكونفو وتدعى هذه الثقافة باسم السانفوين . وتتميز بمصنوعات وأدوات مصنوعة حسب التقنية الأشوليه وكلها موجهة للعمل في الغابات . وقد ابتدأت هذه الثقافة في محيط المنخفض الكونغولي الواسع في مرحلة جافة أي قبل عشرة آلاف عام . كما وجدت أدوات كثيرة في مختلف المناطق . ويبدو أن مثل هذه الأدوات المستعملة في استثمار الغابات كانت لها شهرة كبيرة لدى الأقوام ، التي تقطن خارج الكونفو أيضاً في افريقية الوسطى ، حيث تم استثمار الغابات قبل العصر المعدني ، ويبدو أن هذه الثقافة الغابية التي ظهرت في منطقة وسط افريقيه امتدت من خليج غينيه حتى انغولا ، ويمكن أن نصادف مثل هذه الثقافة على ضفاف الأنهار ، وفي بقايا

مناجم الماس في كاساي ، وفي منطقة كلويزي وغيرها من مناطق كتنفـا .
ولم يكن الإطار الكونغولي قد سكن من قبل الإنسـان حتى نهاية العصـر الفامبلي عندمـا شـكل البدائيـون (هوموسـابيين) HOMOSAPIENS شـكل الإنسانية الحالي والـتي كـانت قـد ظهـرت في افريقيـه وقـد صنـع هـؤلاء البدائيون الأدوات من الخشب وقد دعيت صناعتهم بالسانفوين الوسطى
وقد عرف تاريخ الجوكاسين في كاساي عن طريق الكربون (١٤) وهو عشرة آلاف عام ، وكانوا يصنعـون الخنـاجر الحـادة والطويلـة والرفيعـة والمزخرفة ، أمّا اللومبيون الذيـن خلفوهـم نحـو عـام سـبعة آلاف ق.م ، فكانوا يتمتعون بحيوية كبيرة ورمـاحهم قصـيرة ، تشـبه أجمـل الرمـاح في أوربا . وكانوا مشهورين في جنوب الكونفو . كما كانوا ينتشرون حتـى بحيرة فكتوريا في الجنوب الشرقي حتى الشمال الغربي من كتنفا .
وفي نفس الوقت كان شرق الكونفو تسـوده السـافانا المكشـوفة . وهي ملائمة جداً للهجرات الكبـيرة ، والأدوات الحجريـة الـتي وجـدت كانت تشـبه صناعـة السـتيلبابين والموغوسـيين الذيـن سـيطروا طويـلاً في شرق وجنوب القارة الأفريقية .
أمّـا الأيشـانفو الـذي يقطنـون شمـال بحيرة ادوارد ، فكـانوا مـن الصيـادين الذيـن تركـوا وراءهـم صناعـة متطـورة كمـا كـانت لديهـم الطاحونه (الرحى) للطحن وأدوات أخرى للسحق ثم الحلي من الأحجار المصقولـة الـتي تشبه السـيراميك ، وقـد هـرب الصيـادون الأيشـانفو في الوقت الذي حدثت فيه التغييرات الجيولوجيه الكبرى التي انفصلت فيهـا بحيرة ادوارد عن بحـيرة الـبرت . وقـد أخـذ المنـاخ يتحـول خـلال آلاف السنين التي تلت ، وفي أعوام ألفين احتل عدد جديد من سكان الأحراش والغابات . وهاجمو الإطار الخارجي لمنخفض الكونغولي وكانت صناعتهم تدعى (بسانفوين النهائي) أو تشـيتولين وهـو اسـم مقاطعـة في كاسـاي حيث ظهروا هناك بشكل جيد . وقد اشتهرت أسلحتهم بجودتها . كمـا

أقام التشيتوليون ثقافة "الستيب" القفار . إلى الشرق من لوالابا وكانت مختلفة عن غيرها ، وقد تمثلت بالكيباريين والولتونيين .

من الصعب وضع تاريخ لوصول النيولوتيك الذين يعرفون الزراعة إلى الكونغو ومن المؤكد أنهم وصلوا من الصحراء بعد الجفاف الذي أصبح نهائياً بين ٢٥٠٠ ـ ٥٠٠ ق.م ، وعلى كل حال فمجموعات النيولوتيك أوقفت من قبل حاجز الغابات الكثيفة ولم يتركزوا بأعداد إلا في منطقة (ويليه) وفي الكونغو الأسفل .

أمّا البانتو فحتى ولو أننا استطعنا تتبع الخطوط العريضة لهجرة البانتو الأوائل . ولكن ما تلاه أصبح معقداً جداً ، ولكي نفسر في الكونغو وجود حوالي مائتي لهجة ولغة وخمسين عرقا رئيسياً . يجب أن ندخل بالحسبان الهجرات التي كانت تتلاقى مع بعضها. وهذه مشكلة صعبة الحل ، ولكن هناك شيء واحد يبدو واضحاً , هو العلاقة المؤثرة للشروط النباتية والحيوانية على التطور التاريخي ، فلا يمكن للمجتمعات التي تجاوزت المرحلة العشائرية أن تعيش في الغابات الكثيفة المغطاة ، ولكن هذه المجتمعات تستطيع العيش عند وجود أماكن مكشوفة أو قليلة الأشجار بعد اصلاح الأرض بجد وتعب وصبر . وإنماء معطياتها الفنية ، والتي اكتشفها وأعجب بها المكتشفون في القرن التاسع عشر . مع فلسفة أكدت الدراسات الحديثة قيمتها ، ولكنها ظلت بعيدة عن مجرى التاريخ .

وعلى العكس فمناطق السافانا ، ويبدو أنها كانت ملائمة ـ ولا تزال ـ كلياً إلى التقدم ، والتنقل مسافات وبإمكانها تشكيل امبراطوريات واتحادات شعوب .إن المنطقة التاريخية الممتازة ، وهي الواقعة في جنوب الغابات الكبرى التي تمتد على الضفة الجنوبية لمجرى نهر الكاساي وروافده كالسانكورو ، وعلى ضفاف هذين النهرين وفي نهايتيهما تشكلت نواتين لشعوب البانتو : الأولى الغربية في شمال أنغولا والكونغو

الأسفل والثانية الشرقية في شمال كاتنفا حيث الموارد المعدنية الهائلة من النحاس والحديد وقد شاهد الرحالة البريطاني ليغينفستون عام ١٨٦٨ قافلة منطلقة من كتنفا نحو مدينة كلوه محملة بعشرة آلاف قطعة نحاس ، وهنا في المنطقتين ظهرت أقدم الممالك اعتباراً من القرن الرابع عشر على الأقل ممالك . الكونغو ، باكوبا ، مملكة بالويا الأولى ثم اتحاد "كونفدرال" لواندا الكبير .

إن منطقة السافانا الضيقة التي توجد شمال الحد الشمالي للغابة الكبرى لم تدخل التاريخ إلا بشكل متقطع وبالصدفة ، ولكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اصبحت مسكونة من الشعوب التي تتكلم اللغة السودانية "ليسو من البانتو" . وقد وصلوا دون شك في القرن الثامن عشر . وهم الذين شكلوا سلطنات الأزاندي التي مر ذكرها وكانوا يبيعون الرقيق للتجار الأوروبيين والعرب في الخرطوم بعد عام ١٨٦٥ .

ـ الشعوب واللغات :

من الناحية اللغوية تعود الشعوب واللغات هناك إلى فرع بنويه ـ كونفو ، وهو فرع من عائلة اللغات الكبرى نيجر ـ كونفو " تردفان ـ النيجر" . وضمن فرع البنويه ـ كونفو فاللغات التي يتكلم بها غالباً كل شعوب المنطقة هي لغات بانتويه . أما اللغات غير البانتويه فلا يمكن أن نجدها إلا في حوافي السافانا الشمالية للمنطقة . وبسبب أن مختلف لغات البانتو مرتبطة مع بعضها الواحدة مع الأخرى . فمن المحتمل أن شعوب منطقة الكونفو يعودون إلى قاعدة ثقافية عامة . تم التحدث تاريخياً عنها حديثاً وتعود إلى ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ عام . وهذا الوضع يجعل إمكانية وجود عدة ثقافات متشابهة في المنطقة حتى بالرغم من الاختلافات المتأتية من ظروف مختلفة بيئية واقتصادية . ومن ظروف تاريخية لم تكتشف حتى الآن .

وتعيش على حوافي السافانا الشمالية للكونفو تجمعات سكانية كثيفة في مرتفعات الكميرون وهم من الناحية اللغوية أبناء عم اسلاف البانتو . وهذه المنطقة هي واحدة من المناطق التي تم استيطانها منذ مدة طويلة وقد تميزت باستيطان محلي لشعوب تعد أكثر من مليون شخص وأشهرها الويدكوم / (بما فيهم اليتاوالمانكو) ثم الناو كوم، أغيم (فوم) بالي وباموم وإعداد من الباميليك . وبعيداً نحو الشرق على طول حدود السافانا هناك حوالي مليوني شخص . ويعتبرون من ضمن أكثر الشعوب شهره هم التوت ، والأزاند والمانفيبتو وهناك في منطقة الغابات حوالي سبعة إلى عشرة ملايين من الذين يتكلمون لغة البانتو بما فيهم الكويري الدوالا ، والباسا ، في جنوب الكميرون ، أما اعداد الغانج FANG فيضمون البالو في الكميرون والغابون وغينية الاستوائية ، إن أكبر عدد من المجموعات في حوض الكونفو الأوسط يعرفون جميعهم باسم /مونفو/ MONGO ويشمل ذلك النكوندو . إن المجموعات المختلفة على طول أواسط نهر الكونفو مثل النفومب والذين في بعض الأحيان يطلق عليهم شعبياً نفالا " أو بنفالا" وفي شرق زائير يوجد البيرا والريفا .

وجنوب الغابة مباشرة ـ في منطقة الانتقال من السافانا إلى الغابة ـــ فالكثافة السكانية نسبياً قوية وهناك من ١٠-١٥ مليون نسمة . وتضم من الغرب إلى الشرق عدة مجموعات من الكونفو مثل اليومب ، التيك ياكا ـ سوكو ـ بنده ـ كوبا ــ ليله ــ سونغ لولوا واللوبا ، وأخيراً في السافانا الجنوبية نفسها يوجد خمسة ملايين شخص ، ويشمل ذلك من الغرب إلى الشرق الكيمبندو (مبوندو) الكوكوبه (أو باجوك) ندمبو، اللوزي ، التونفا ، البمبا والياو . وتشكل هذه المجموعة قسماً من مجموعة البانتو الجنوبيين الذين ذابوا تدريجياً داخل القبائل الوسطى العائدة للبانتو الغربيين وقد ظلت قبائل اللوزي تتكلم لغة أسيادها من القبائل البانتويه الجنوبية وكذلك الكوكوبه في أنقولا وزائير فلديهم أيضاً بعض التأثيرات

الجنوبية . وشمال هذه القبائل (الشعوب) المختلفة نجد كتلة قوية من شعوب لوبا ـ لواندا وقد انتشروا بخاصة من الناحية اللغوية بين تنزانيا وملادي في الشرق وإلى كاساي لي الغرب ، وتعود هذه الشعوب إلى البمبا ـ بيسا ـ اوشي ـ شيلا ـ لولوا ـ سونغ ولوباهيم ' ، والى الشمال من نهر سانكورد وقسم من الكاساي هناك قبائل متوسطة تدعى سونقو ـ مينو . وهي همزة وصل بين مجموعة لوبا بمبا وقبائل المونفو الذين يقطنون شمال خط العرض ٤ من خطوط العرض الجنوبية ، والى الشرق من نهر لوانغ تسيطر قبائل ونفوا ـ ليله ـ بوشنفو ، وهي مجتمعات عرفت بمهارتها في الحفر على الخشب ، وكما نوهنا عن غموض الحدود الجنوبية للبانتو الغربيين ، فتشكيل امبراطورية لواند وغارات الياكا واعتداءات الكوكويه " الكيوكو" أدى إلى تدمير النظام القبلي ، وقد احتل ((التيك ـ انزيث ـ أنفيسا)) وآخرون كثيرون منطقة واسعة على الضفة اليمنى لنهر الكونفو ، شمال حفرة ستانلي ((منخفض ضخم واسع في وسط الكونفو)) ثم امتدوا بعيداً نحو الشمال إلى الفابون والى أبعد من ذلك إلى المناطق العليا لنهر ((آعويه)) أحد روافد الكونفو) وهي حالياً مسكونة من قبل البانفويه ، وقد ترك هؤلاء بصماتهم على أغلب قبائل شمال اغويه .AGOWI بسبب حالى الترحال التي كانوا يعيشونها ، والغزوات المتتابعة والاحتلالات الموقتة التي قاموا بها . ومن بين هؤلاء وصل الكميرون عروق صافية من البانتو وبذلك نصل إلى الحد الشمالي للبانتو الذي يتصل بمنطقة التأثير السوداني والذي يشعرون به أنفسهم

مما تقدم يمكن تمييز ثلاث مجموعات من البانتو (الغربيون) في الكونفو هي :

ـ المجموعة الغربية : وتتألف من الشعوب التي تقطن على نهر الكونفو الأسفل وأسفل الكاساي

ـ المجموعة الجنوبية : وتضم قبائل الكاساي العليا وسانكورو ، وكتنفا .

ـ مجموعة المونفو الشمالية وتقطن حوض الكونفو نفسه . أما مجموعة الأقزام ـ التي سيأتي ذكرها ـ فتعيش في غابة /ايتوري/

أما ما يتعلق بالخواص الفيزيائية فمن الواضح أن مثل هذه المساحات الشاسعة والتضاريس الحادة ، لا يمكن أن تساعد على توحيد الخواص أو الصفات الفيزيائية العامة لشعوب الكونفو (البانتو الغربيون) يضاف إلى ذلك ما وصل إليهم من تأثيرات خارجية ، ولا يمكن إلغاء تأثير البيئة بل هي في الواقع تساعد على اختلاف الخواص الفيزيائية ، ومع ذلك ، فبالإمكان إيجاد مواصفات عامة مع بعض التحفظ وهي وجود الرأس الطويل، والأنف العريض ، وغالباً ما يكون مسطحاً ، مع بروز للفك واضح وشفاه غليظة مع الأطراف السفلى النحيلة وهي صفات زنجية كما رأينا . ولكن هناك بعض القبائل مثل التيتيلا ذات رأس مدور ، وغالباً ما يوصف في كل مكان أنهم بعيدون عن الصفات الفيزيائية الخاصة بالزنوج الأقحاح . ولكنهم يعترفون بأنهم أكثر غلظة في الشفاه وأكثر عرضاً للأنوف ، وأكثر شعراً في الوجه ، وغالباً ما تكون ألوانهم أفتح ، ولكن حتى الذين يعيشون في قرية واحدة ويعودون إلى نفس الأصل والعرق ، لذلك لا يوجد تصنيف لهذين النموذجين له قيمته يربطهم ببعضهم ، كما لا يمكن تعميم المقاسات الجسمانية ، وكل ما يذكر لديه هامش للحيطة يزيد أو ينقص عدة درجات في الدقة ، فالفيوت FIOTT . الذين يعيشون في منطقة الكونفو الأسفل . والتي أصبحت في وقت من الأوقات المركز الثاني للملكة الكونفو القديمة ، يوصفون باستطالة الرؤوس مع معدل وسطي لطول القامة يصل إلى حدود ١٦٥ سم ، أما الكونغوليون الموجودون جنوب النهر أي منطقة الشلالات أو ما يعرف باسم حفرة ستانلي فتصل القامة حوالي ١٦٠

سم، أما النفالا الذين يعيشــون في منطقـة وسـط النهـر فهـم أكـثر طـولاً وأكثر استطالة في الرؤوس ، وكذلك السوكو الذين يعيشون على ملتقى الكونغو برافده / اريمي/ فهم أكثر قصراً والمعدل الوسطي للطـول ١٥٩ ـ ١٦٠ سم ، ويعودون هم وغيرهم من القبائل هناك إلى الكونغو نفسـه، أما لوبا العـائدون لنهـر الكاسـاي والسـانكورد . فلديهـم قامـات بطـول ١٦٤ ـ ١٦٦ سم مع رقبة طويلة ورأس قصير وجمجمة متوسطة .

– الممالك والامبراطوريات القديمة الكونغولية :

– مملكة الكونغو Congo : اشتهرت مملكـة الكونفـو القديمـة بأنهـا أول مملكة أقامت اتصالاً مع البرتغاليين ، وربما كانت الوحيدة قبل القـرن التاسع عشر ، لذلك عرفت أكثر من غيرها وكتب عنها كثيرون ، رحالة وتجار ومبشرون (برتغاليون وايطـاليون وهولنديـون) اسـتطاع بموجبهـا علماء ومؤرخون من جامعة / لوفـانيوم / في كينشاسـا مـن توثيـق تـاريخ هذه المملكة بدقة .

ويبدأ تاريخ اتصال مملكة الكونغو بالبرتغـاليين مـع وصـول المـلاح البرتغـالي (ديفـو كـاو) إلى المنطقـة فبـالرغم مـن اكتشـافه مصـب نهـر الكونفو عام (١٤٨٣) ، إلا أنه فقط في عام ١٤٨٥ ، وخـلال رحلتـه الثانية ، حدث تماس بينه وبين السكان المحليـين في /كـابيندا/ وهـي تعتـبر تابعة لأنغولا حالياً وتقع علـى الشـاطيء الجنوبـي لمصـب نهـر الكونفـو . وهذا الملاح هو الذي علم بوجود حاكم كبير يجلس في مبـانزا ــ كونفـو (سان سلفادور فيما بعد) ، وتقع على بعد عشرة أيام سيراً علـى الأقـدام إلى الشرق . وقد طلب هذا من البرتغاليين إرسال سفراء لمملكتـه ، و استجاب ديفـو–كـاو لرغبـة الملـك الكونقـولي ، وعـاد للبرتغـال لطلـب السفراء ، وبرفقته أربعة نبلاء من الكونفو من منطقة كمبيندا ، وقد عـاد للمرة الثالثة عام ١٤٨٧ وذهب للقاء الملك الكنقولي في عاصمته ، وقـد استقبل بحفاوة من الملك نزينجا–كووو NZING AKOUWOU. وقـد أرسـل

هذا سفيراً للبرتغال كلف بطلب إرسال الفنانين والمبشرين .

وحب الروايات التقليدية ، يبدو أن الملك نزينجار كوو الذي توفي عام ١٥٠٦ كان الخامس أو الثامن من الملوك الذين تربعوا على السلطة في الكونفو من أحفاد البطل الخرافي المسمى نيمي لوكيني ((اونتينووينه)) الذي لا يعرف بالدقة متى عاش ومتى توفي . وهناك اتفاق حول تاريخ المعامرة التي قام بها هذا الملك الحداد في النصف الثاني من القرن الرابع عشر والتي أدت إلى تأسيس مملكة الكونفو ، ويقال أنه نزل في بادىء الأمر في شمال النهر بالقرب من مايومبي ، ثم اجتاز النهر مع بعض من أصحابه بالقرب من ايشانجيلا ، وبذلك نفذ إلى داخل البلاد والتي كان يعيش فيها مزارعون من الأمبوندو . وقد استقر نيمى لوكيني (اونيميا لوليني) على هضة تدعى كونفو KONGO. وقد تحالف مع زعيم الشعب المحلي (زعيم الأرض) ماني فوندا MONI VAUNDA الذي يعود إلى النساكو NSAKOU ، وتزوج بإحدى ابنتيه .

إن توسع ما أصبح يسمى منذ الآن فصاعدا الكونفو KONGO اعتباراً من تله سان سلفادور ، يبدو أنه تم بشكل عدواني ولكنه نسبياً سلبي فبفضل نشاط سياسي لتحالفات بين مجموعات من الأنسباء الذين يعودون بنسبهم إلى ذرية الأم والذين جاؤوا عن طريق الزواج بين الفاتحين الشباب وبنات العائلات الرئيسية المحلية . وكذلك بفضل التفوق في السلاح الحديدي الذي كانوا يملكونه على سلاح الحجارة المستخدم من قبل الأمبوند . فتح الكونفوليون ستة مقاطعات كبرى ، وهي التي كانت بيدهم عند وجود البرتغاليين ، وأصبحت عاصمتهم مدينة / مبانزا - كونفو / (سان سلفادور) وتدعى مبيمبا وهي جميعها في جمهورية انفولا الحالية . وكانت حدود الكونفو القديمة تتشكل من نهر الكونفو في الشمال . والمحيط الأطلسي للغرب ، ونهر لوجي في الجنوب . أما الحدود الشرقية فتصل إلى أحواض أنهار انكيس وكوانفو ومساحة هذه

المقاطعات لا تغطي إلا جزءاً متواضعاً لما هي عليه (زائير) الحالية ، وفي أنفولا ٦٪ وبالمقابل فهناك عدة مقاطعات خارج حدود الدولة تعترف بنفوذ ملك الكونفو عليها وكانوا يدفعون لملوكها الضرائب بشكل منتظم

وكما يبدو عند وصول الأوربيين ، فالإدارة في المملكة كانت مركزية جداً فحكام المقاطعات كانوا يعينون من قبل الملك الذي كان يتلقى منهم الضرائب سنوياً باحتفالات ومراسم مثيرة تجري في العاصمة. وتتشكل الضرائب عادة من نسيج ناعم لأوراق البالم والعاج والعبيد الأرقاء كما كان الملك نفسه يفرض سلطته على استثمار الصدف (النزيمبو) الموجود في جزيرة لواندا وكان يعتبر العملة الرسمية وتختلف هذه عن الأصداف المعروفة باسم كوريس (COURES) التي كانت تأتي من المحيط الهندي وتستخدم كعملة للتبادل التجاري وكانت النزيمبو تجمع من قبل النساء تحت إشراف موظفي الدولة ، ثم ترسل إلى العاصمة بعد جمعها ضمن صناديق يتسع الواحد منها إلى ٣٠ كغ وتنقل على رؤوس الرجال مسافة ٣٥٠ كم تقريباً بخط مستقيم وكان البحر يقدم أيضاً الملح وهو الآخر كان تحت الحصر الملكي ويأتي بخاصة من ممالح كابيندا على مصب نهر الكونفو . وكانت المنطقة أيضاً تنتج كثيراً من الحبوب وبخاصة الدخن والموز والنخيل الزيتي حيث يستخدم زيته في الغذاء اليومي بالإضافة إلى منتجات الصيد وتربية الحيوانات الداجنة كالبقر والماعز والغنم والدجاج والخنزير .

عادت السفارة التي أرسلها ملك الكونفو ((مانيكونفو)) تزينما عام ١٤٨٧ من البرتغال عام ١٤٩١ تصحبها حملة ضخمة من المبشرين من مختلف الجمعيات الدينية والمذاهب مع عدد من الجنود والبنائين والنجارين على ظهر ثلاث سفن برتغالية (كرافيل) مع ممثلين للبيوتات التجارية البرتغالية لتأسيس مراكز تجارية بين الكونفو والبرتغال ، وقد

عمد الملك في ٣ مايس ١٤٩١ وأُعطي له اسم جوواو Goao علـى اسـم ملك البرتغال . كما عمدت امرأته وأحـد أبنائـه وسميـت امرأتـه اليـانورا وابنه (ولي العهد) الفونسو الذي عين حاكمـاً لمقاطفـه نسـوندي . وقـد ظل هذا مسيحياً مقتنعاً بمسيحيته إلا أن الوالد سرعان ما عـاد إلى وثنيتـه لذلك عندما توفي واستلم الفونسـو الحكـم طـرد أخـاه الوثـني في معركـة تقول الأساطير أن العذراء ظهرت خلالهـا عـدة مـرات وكـذاك القديـس جاك ، ولا يزال الكنغوليون يحتفلون بعيـد سـان جـاك في ٢٥ تموز كـل عام .

حكم الفونسو الأول "١٥٤٣ - ١٥٠٦" البلاد في وقت بدأ فيه النشاط البرتغالي يزداد في الكونغو وكـان المـلك المذكـور طموحـاً . وقـد أراد عن طريق اعتناقه الديانة المسيحية ان يصبح في نفس مسـتوى الملـك البرتقالي . كما اراد ان يقيم علاقات خاصة مع الفاتيكان إلا أن الأمور لم تكن تسير بالسهولة التي يريدها . لأن هم البرتغاليين الأول هـو الحصـول على مكاسب تجارية وارباح خيالية أما مـن الناحيـة الدينيـة فكـان اغلـب المبشـرين الذيـن وصلـوا إلى الكونغـو والذيـن مـن المفـروض ان ينشـروا الديانة المسيحية لدى الشعب إلا انهم لم يكونوا علـى مسـتوى المسـؤولية بل كان مستواهم متدنياً حسب ماذكره مؤلف تاريخ الكونغـو . وبمـا أن اغلب الوافدين لم يستطيعوا تحمل حرارة الطقـس وأخـذوا في الهجـرة مما جعل النقص واضحا بالرجال بالأضافة إلى أن البرتغاليين لم يكـن عددهـم يتناسب مـع مسـاحة امـبراطوريتهم الـتي امتـدت بـين البـرازيل والشـرق الاقصـى وكـان البرتغـاليون إلى ذلـك الوقـت لايتجـاوزن بـالعدد مليونـاً واحداً فقط لذلك وجد البرتغاليون في سـكان جزيـرة سـاوتومية مسـتنداً لتحقيـق سـيادتهم التجاريـة . وكـان هـؤلاء مـن اليهـود الأسـبان الذيـن طردوا من اسبانيا والبرتغال مع خروج العرب . واجبروا على التنصر من قبل البرتغـاليين واصبـح يطلـق عليهـم المسـيحيون الجـدد . وقـد اختلـط

هؤلاء بالسكان الاصليين وظهر من التجار طبقة خلاسيه سيئة لاهم لها الا جمع المال . لذلك اصبحوا بعد فترة من كبار تجار الرقيق وكان هناك في بادئ الامر تعاون بين ملوك الكونغو والتجار البرتغاليين . فقد كان الملك يقدم لهم كل مالديه من اسرى ومن سجناء ومرتكبي الجرائم كأرقاء وعبيد مقابل استيراد المواد الضرورية لبلاده ولكن بعد ظهور زراعة قصب السكر في المستعمرات البرتغالية والاسبانية التي تحتاج على عدد كبير من العاملين فيها . ومنذ عام ١٥١٤ بدأت هجمة شرسة مخيفة للحصول على الرفيق ، وبدأت الغزوات تتوالى وتزداد عمقاً ولم يتورع هؤلاء التجار القبض على بعض افراد العائلة المالكة وبيعهم كأرقاء. وكانت جزيرة ساوتوميه نقطه انطلاق شرسه نحو القارة الافريقية " الكونغو" وكان هناك تناسق تام مع الموظفين البرتغاليين . ولم يتورع المبشرون بالاشتراك في هذه العملية مما جعل الملك الفونسو الأول المسكين يقدم الشكاوى إلى كل من ملك البرتغال والفاتيكان دون جدوى وكانت الامور تتدهور شيئاً فشيئاً . لذلك بادر الملك بمنع تجارة الرقيق بنفسه مما أثار عليه حفيظه التجار المبشرين وحاولوا قتله في عيد الفصح إلا أنه نجا من ذلك ، ولكنه بعد فترة توفي عام ١٥٤٣ بعمر يناهز الأربعين امضاها في نضال جبار لخدمة شعبه ومملكته . خلف الغونس الاول عدد من الملوك . لم يستطيعوا إقامة توازن بين مصالح شعبهم . ومصالح البرتغاليين بالاضافة إلى الثورات التي كانت تظهر في المقاطعات ، ثم الصراع حول النفوذ بين البرتغاليين والهولنديين . وعندما رفض الملك انطونيو الذي استلم الحكم عام ١٦٦٢ كل حقوق البرتغاليين التي وافق عليها والده غارسيا الثاني حدثت معركة امبويلا في ٢٥ تشرين اول بينه وبين البرتغاليين . وقد قتل الملك المذكور في المعركة وحمل رأسه إلى لواندا في انقولا حيث بدأ النشاط البرتغالي يتركز فيما . وقد سجلت معركة امبويلا نهاية مملكة الكونغو فلم تعد هناك مملكة

موحده بل انقسمت البلاد إلى عدة مقاطعات مستقلة واصبح فيها ثلاث ممالك حلت محل الكونغو القديمة . وهي بولا اوليمبا " وتقع في زائير" ثم سان سلفادور وتحكم من قبل عائلة مالكه جديدة تسمى " الشيمبانزو" على ضفاف نهر الأمبريز كما اسس احد الشيمولانزا وهم العائلة المالكة السابقة عائلة جديدة . وقد وصلت الحرب الاهلية ذروتها عام ١٦٧٨ . وقد هدمت مدينة سان سلفادور واحرقت مع ابنية البعثات التبشيرية ونقلت الرموز الملكية إلىبولا .

إلا أن أكثر الأمور إثارة في بداية القرن الثامن عشر هي ظهور مايعرف بالقديسه انطوين الكونغولية ، والتي اسست ديناً خليطاً بين الديانة الوطنية والديانة المسيحية ، وقد عمدت هذه باسم الدونا بياتريس واسمها الحقيقي شيمبا - فينيتا وكان عمرها عام ١٧٠٤ اثنين وعشرين عاماً . وهو عام كانت فيه الكونغو بحالة من الفوضى والاضطرابات لامثيل لها . وكان الملك بيرو الرابع قدتوج ملكاً على سان سلفادور عام ١٦٦٩رسميا ولكنه رفض الاقامة في هذه المدينة المخربة . وهنا ظهرت " الدونا بياتريس " وادخلت في اذهان الكونغوليين ان مدينة سان سلفادور هي التي ولد فيها المسيح ومدينة نسوندي ، هي التي تم فيها تعميده . وكان على الملك بيدرو أن يعود للعاصمة كما كان عليه عند عودته أن يعيد الهيبة والعظمة للكونغو . وتثبيت في الأذهان . أن ارض الكونغو هي الارض المقدسة الحقيقية . وأن الكونغوليين الذين اعتنقوا الديانة الجديدة " انتخبوا من قبل الله " وهم الذين سيستفيدون من كل الغنى والمقدرة التي لايزال البيض يحفظون بها لديهم دون حق وخلال عامين اعتنق "كل سكان المملكة الديانة الجديدة " من تقرير للأسقف " ب لورنزودالوكا" . وفي الوقت الذي التجأ فيه الملك بيدرو الرابع إلى مكان يبعد ثلاثين كيلو متراً عن سان سلفادور ، ثم ايقاف الشابه " دونا بياتريس القديسة " في بداية عام ١٧٠٦ في احدى الاحراش ، وهي

ترضع ابنها وكانت تعتقد انه ولد من تدخل القديس ايسبري . وقد ادينت الفتاة واحرقت في ٢تموز ١٧٠٦ على طريقه حرق جان دارك مع اسم المسيح على فمها .

وبعد ثلاثة اعوام عاد الملك بدرو الرابع إلى عاصمته ، ولكن العصر الذهبي الذي بنته الدونا بياتريس لم يعد مطلقا، وخلال القرن الثامن عشر لم يعد بإمكان أي ملك ان يفرض سلطته واختفى شيئاً فشيئاً روح المملكة الموحدة . وفي نفس الوقت ازدادت عمليات نقل الارقاء من لوانغو إلى كابيند . وميليمبا . كثافة وقوة .

وفي عام ١٨١٦ ، صعد المكتشف البريطاني توكي " TUE KEY " النهر حتى وصل الشلالات ، ولكنه توفي هو وثلاثة عشر من اصل ٢٣ من رفاقه ، وقد اشار إلى وجود عدد غير محدود من الامارات الصغيرة المستقلة . ولكل منها حاكم تحول مع الزمن إلى رجل ديني مقدس .

– مملكة الباكوبا " BAKOUBA " أو البوشنفو " BUSHAMGO " تشكل دولة الباكوبا حاله ظاهرة استثنائية مهمة للمؤرخين الذين يهتمون بتاريخ ووضع افريقة السوداء ، قبل وصول الإستعمار ليس فقط في الكونغو ولكن في كل افريقية الوسطى . فهؤلاء الباكوبا ، هم الذين زودوا المؤرخين من روايات واحاديث واساطير محفوظة في الإذهان . ويعود ذلك إلى وجود موظف رسمي خاص في القصر الملكي يطلق عليه " المواريدي " ومهمته محددة بحفظ ابراز الدولة والاساطير والروايات التقليدية المختلفة في ذاكرته فهو سجل خاص بالدولة يورث مهمته لمن يشار ويكلف عادة ولي العهد بهذه المهمة .

يطلق الباكوبا على انفسهم اسم بوشنفو يعني شعب السكين المقذوفة أو" كوبا" يعني البرق . وكان البالوبا جيرانهم يطلقون عليهم هذا الاسم لأنهم كانوا يخشوا سكاكينهم المشهورة باسم شونفوا اوسكين

القذف وقد عرف البوشنفو بـأنهم أكثر شعوب الكونغو تطوراً ومحبة للتطور . وتضم مجموعة الباكوبا حوالي ١٨ مجموعة من العروق الصغيرة يعيشون حاليا في زائير بين نهري الكاساي والسانكورو ويتكلمون لغة بنوية – كونغو من عائلة اللغات الكبيرة نيجر الكونغو ويعدون حالياً حوالي ١٠٠ الف شخص في بداية عام ١٩٧٥ ، ويزرعون الذرة والمانيوك والدخن والفول السوداني والفوصولياء ولديهم شجر الرافيا " النخيل الزيتي " وزيت البالم ، ويمكن ان تستخدم الذرة كمادة للمقايضة في كتنفا ةلايزالون يعملون بالصيد النهري والبري . وهم مقسمون إلى عدة مجموعات من الاقرباء ترتبط ببعضها عن طريق النسب الامومي .
ويعتبر البوشنفو القبيلة الرئيسية وهم الذين شكلوا عام ١٦٠٠ مملكة الباكوبا التي كانت تحتل منطقة متواضعة بين نهرسانكورو في الشمال وكاساي في الغرب ونهر لولوا في الجنوب على حدود المنخفض الكونغولي وحدود الغابة الكثيفة . ويعتبر الملك شامبا بولونفو – نفو أشهر ملك لهذه المملكة وهو المؤسس الحقيقي لها . وربما يكون الثالث والتسعين من حكامها –حسب قول مؤرخ السلالات الهنغاري توردلي الذي زار المملكة عام ١٩٠٧ على اساس ان سلالته الملكية حكمت منذ القرن الخامس الميلادي والمتعارف عليه ان حكمه كان في العقود الاولى للقرن السابع عشر . وقد ترك هذا المثقف ذكريات مجيدة لدى الباكوبا .
فهو الذي ـ حسب الروايات التقليدية – جلب اليهم الذره لزراعتها وكذلك التبغ وهما مادتان بعيدتان عن المنتجات الأفريقية المحلية ، وقد وصلت إليهم عن طريق المراكب التي أتى بها النخاسون تجار الرقيق وقد لقيت الذرة نجاحاً كبيراً لدى الباكوبا . وأصبحت الغذاء الرئيسي وادى ذلك إلى تغييرات ديموغرافية سريعة كما علم الملك شامبا شعبه كيفية اخراج الخيوط من نبات الرافيا لتنسج ثيابا معتبرة وقد تعلمها من البابيندا . وادخل بين شعبه حب الفن والتزيين لذلك اصبح مستواه

مرتفعاً لدى الباكوبا وهو الذي اعطاهم " الفن " المركز المرموق في المتاحف العالمية كما يعود اليه الفضل في تحت التماثيل الملكية الطبيعية . وهي محفوظة في المتحف البريطاني . والتي تمثل اقدم الاشياء لفن افريقية الوسطى . وقد نحتت له ولخلفائه وهناك تماثيل لخلفائه في متحف كيرفورين بالقرب من بروكسل وتحت حكمه تعلم الباكوبا فن النقش على الخشب . والواقع أنه اذا كانت اقنعة الباكوبا . وطبو لهم - وعلب الحناء والكوءوس تشبه مالدى البلاد الأخرى من انتاج فني إلا أن التماثيل الملكية لها مواصفات خاصة فريدة في الكونغو . ولايمكن مقارنتها مع مثيلاتها في مختلف انحاء القارة السوداء إلا مع التماثيل البرونزية التي ظهرت في " ايفه" في نيجريا بسبب اسلوبها الطبيعي والواقعي إلى حد جعله مدرسة خاصة بحد ذاته .

ولكن هذا الملك الكبير لم يهتم بالتطور المعدني مطلقا . وقد ظل هذا العمل مشهوراً في الاساطير . وكان منعه من استخدام المعادن ليمنع أيضاً استخدام سكين القذف لأسباب إنسانية . وقد وجد أن هذا السلاح يسبب خسائر كبيرة لذلك امر باستبداله بسلاح القوس والنشاب والحراب . وقد طبقت اوامره بشده حتى الزمن الذي وصل فيه توردداي إلى المملكة عام ١٩٠٧ .

ولكن هذا التبديل في نوعية السلاح لايعني ان الملك المذكور ليست لديه افكار عنيفة وقاسية بل على العكس نظم جيشاً قويا. وفرض الخدمة العسكرية مس جهة ومن جهة اخرى انشأ تقاليد ومراسم دينية مقدسة اكثر تعقيدا مما سبقها ليتبعها شعبه .

وقد خلف الملك شامبا عدة ملوك لم يكونوا بمستواه رغم أن بعضهم استطاع توسيع المملكة التي كانت تتراجع شيئاً فشيئاً وكان آخر هذه السلسلة الملكية - التقى به توررداي - الملك كوان ييشنقو ـ كينيا

الذي دافع عن استقلال الكونغو عام ١٩٠٤ ضد البلجيك ولكنه هزم وقضي عليه وانتهت مملكه الباكوبا على يد البلجيك .

كان تنظيم المملكة مصدر اعجاب من توردداي الذي كتب عنهما مطولاً وكان حظ هذه المملكة وجود هذا العالم النشيط الذي أعطى العالم كل المعلومات عن المنطقة وقد اقام البوشنفو مجتمعاً منظماً (حكومياً) علدياً يستند على تسلسل وظيفي للحكم . وكان على رأس السلطة الملك (نيمي NYMI) وكان مقدساً ومحاطاً بهالة من التقاليد الدينية المعقدة . وبسبب قدسيته لا يمكن أن يمس الأرض بقدميه ولا يأكل بحضور النساء وإذا سعل فعل المحيطين حوله نفس العمل وبشكل أعلى مجاراة لمليكهم ، وعليه أن لا يهرق الدماء لذلك ليس له الحق بقيادة الجيش خلال الحروب .

تعتبر السلطة المطلقة الزمنية التي يتمتع بها الملك محددة أيضاً يساعده بمجلس من ستة من أعلى الموظفين رتبه بينهم أمين الخزانة الذي يجبي الضرائب . ثم قاضي الجرائم التي تستخدم فيها الأسلحة الجارحة وأربعة حكام الذين يحكمون مقاطعات الدولة الأربعة ثم القاضي الأعلى ثم التشيكالا ـ الأيبا نتشولا والنبانفا ولكل منهم وظيفته المحددة. وعلى رأس هذه المجموعة يوجد الرئيس والوزير الأول ثم وزير الحرب . ويضم مجلس الوزراء أمرأتان من بنات الملوك السابقين. وبما أنهم يتبعون إلى النسب الأموي فأم الملك هي الشخصية الثانية في المملكة بعد ابنها واحدى المرأتين التي تكون أكثر أهمية من الأخرى تلف في وقت السلم قوساً على رقبتها . وتقدم هذا القوس أثناء الحرب إلى وزير الحرب والقرار الأخير في الحرب والسلم يعود إليها .

بعد هذه الطبقة من الموظفين يوجد عدد كبير من هم أدنى رتبه من الموظفين وذوي الرتب المتسلسله ، وعدد لا يحصى من الرسميين . كما يضم الممثلين المنتخبين عن التجار والحرفيين والنقابات والقبائل الصغرى

مثل الأقزام حتى آباء التواءم . كما نوهنا سابقاً فالمؤرخ الرسمي للبلاد يكون من أهم الشخصيات ويمكن أن يكون ولياً للعهد أو أحد أولاد الملك . وتكون له الرئاسة على بقية الأمراء . وفي حال انعقاد مجلس الوزراء ، ويجلس الملك على كرسيه دون لمس الأرض ويحيط به ستة وزراء زكور مع وزيرتين اثنتين من النساء وتليه أمه وتجلس على كرسي عال . ولدى بعض هؤلاء الرسميين صفات قضائية . ومن الناحية النظرية هناك اثنا عشر قاضياً وعادة يعين الملك نفسه وزراءه ومستشارية . ولكن من الناحية العملية لا يعرف الملك عن هذا الأمر شيئاً . والواقع أن هذه المجموعة التي حول الملك هي التي تعين أو تسمى الممثلين عنها وتتدخل في كل المشاكل العامة اليومية . وكثيراً ما تعترض على الملك وتفرض عليه رغباتها .

وتعتبر الناحية الدينية بالنسبة للملك هي الشكل الرئيس المرتبطة به من خلال أسلافه السابقين ليصل إلى المؤسس / البومبا الأول . الذي هو ما يطلقون عليه (CHEMB شيمب كونجي .) آله الأرض . وكل ملك يجسد روح البومبو وهو لذلك يجعل الشمس تسطع وينزل المطر . وهو الذي يبرد الأرض بعد الحرارة والمسؤول عن الخصب . ومختلف شؤون الحياة لذلك فأي توجيه سيء أو توبيخ أو مهاجمه للملك فهي مهاجمة لكل العشيرة ز وكل ضعف فيه هو خطر على المجتمع . ووضعه يماثل وضع ملوك الشيلوك .

أما سلسلة النسب الملكية فتعود إلى مائة وعشرين ملكاً سبقوه وقسماً من مراسم التتويج هي قيام الملك المنتخب لبلاده اسماء من سبقه من أسلافه من الملوك .

ـ امبراطورية البالوبا BALOUBA : كانت امبراطورية البالوبا . عبارة عن اتحاد كونفدرالي لشعوب تتكلم نفس اللغة ولها نفس التاريخ . وتحدد الروايات التقليدية عامة منطقه امتداد هذا الاتحاد الكونفدرالي في المنطقة

الواقعة بين لوماني العليا ولوالابا العليا . على مستوى بحيرات كيسالبه و / أو بيمبا / كمكان أصيل لأسلافهم ويبدو أن ذلك قد تأكد من الاكتشافات الأثرية التي ذكرناها سابقاً في تاريخ ما قبل التاريخ . وأول ممالك البالوبا هي :

- مملكة لوبا الأولى (وكونفو لو) وقد ظهرت مع بداية القرن السادس عشر بوصول شعب السونفية إلى تلك المنطقة من كتنفا الوسطى قادماً من ماينما الواقعة إلى الشمال الغربي من (البرت فيل) يقودهم بطل نصف وثني يسمى كونفولو ويعتبر مؤسس مملكة لوبا الأولى . ويقدس كثير من البالوبا حتى الآن هذا الملك باعتباره آله له شكل ثعبان أحمر . وهو الذي ينزل المطر ويظهر على شكل قوس قزح . وتحوي اسطورته على كثير من معالي الفخر والاعتزاز وأنه لم يتردد عن قطع انف أو اذن أو ثدي الأشخاص المعارضين والثائرين عليه . وقد بنى أبراجاً عاليه وعن طريقها كان بأمل بالوصول إلى السماء وقد قتل كونفولو عام (١٥٨٥) من قبل ابن إحدى شقيقاته . وأحد الصيادين المسمى كوندا.

- مملكة لوبا الثانية : ويعتبر ايللونفا امبيلي . مؤسس دولة لوبا الثانية ويبدو أنه كان فاتحاً (غازياً) كبيراً زاد في رقعة دولته بشكل ملحوظ . والتي أخذت تمتد من الغرب حتى البوشيما (سانكورو العليا)، وإلى الشمال حتى مانيما وإلى الشرق حتى لوفوا LOUVOUA . وقد تزوج شقيق الملك المعروف باسم ايللونفا شيبيندا في السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر الملكه المشهورة / لوندا لويجي /. أما شقيقه الثالث كيسولو فقد قتل في نفس الوقت مع كونفولو . وحسب الروايات التقليدية فموت كيسولو من قبل هو السبب في كل الصراعات الدموية في تاريخ البالوبا . وقد تولى على المملكة عدة ملوك . لا تذكر الروايات التقليدية سوى أسمائهم وسبب موتهم وكلها تدور حول

الصراع على السلطة وقد ترك الملك كوموبما أكثر من غيره ذكريات حية ونشيطة فقد حكم في نهاية القرن الثامن عشر ووسع من حدود مملكته حتى وصل الضفة اليمنى لبحيرة تنقانيكا وبذلك اصبحت مملكة لوبا ، تغطي في ذلك الوقت الأقسام الجنوبية والوسطى من مقاطعة كتنتفا (شابا) حالياً وكانت تدعى في الخرائط الأفريقية التي كان يحملها المكتشفون في القرن التاسع عشر / اوروورا / ويبدو أن الملك كويمبو نفومبيه كان اداريا رائعاً . فقد نظم قوة دفاعية على الحدود ، وربط القبائل بأقطاعيات محددة . وكانت كل الشعوب التي تقع داخل حكمه تدفع الضرائب للحكام المعينين من قبله ، وكان لدى بلاط الملك عدد كبير من الموظفين يتوارثون المنصب ، ينتمون إلى عائلات نبيلة مثل السنقا اولواند وكانت مكلفة لتحقيق الوئام مع البلاط .

لم يكن خلفاء كويمبو على مستواه وقد أدى ذلك إلى عودة الخلافات بين الأخوة ثم الاقتتال من أجل السلطة ولكن بقسوة وشدة لم تشهدها البلاد من قبل وقد أثر ذلك على تماسك الشعب ووحدته السياسة وانقسمت إلى فئات تتصارع فيما بينها حتى وصول البلجيكيين عام ١٨٩٢ وكان كاسونفو نيمبو لا يزال في حرب من أخوته وقد استطاع أحدهم الهرب وأسس مملكته الخاصة به .

وفي نهاية القرن التاسع عشر لم تعد امبراطورية البالوبا سوى ذكريات بعيدة فقد تجزأت إلى أمارات إقطاعية صغيرة ، ولم يعد بإمكانها مقاومة هجرات التوكويه القادمين من الجنوب وقد اضطرت هذه الأمارات لدفع جزية سنوية إلى البويكيه القادمين من الشرق والذين يعودون بأصولهم إلى دولة المسيرى المشهورة وأخيراً الباتيتيلا الذين اقتطعوا جزءاً من المملكة وأجبروا كاسونفو ينمبو على الهرب إلى مناطق لوماني حيث ظل هناك خمسة أعوام . خلال ذلك استطاع الباتيتيلا هزيمة كابونفو , وأصبحوا أسياد التكويه ، وبذلك لم يعد لدى كاسونفو نيمبو

سوى قسم صغير من مملكة البالوبا . وأما القبائل التي ظلت خاضعة له فقد أخذ البلجيكيون يتصرفون بها وبإذن منه .

لم يكن الدور السياسي لمملكة لوبا ذا أهمية كبيرة بالنسبة لغيرها ، ولكن انتشار لغة لوبا . وتقاليدها كانت رائعة ، فقد أخذت قبائل كثيرة تعيش جنوب كتنفا وشمال زامبيا ، تقول بأن أصولها تعود إلى لوبا مثل البمبا ولامبا ، واللالا في الكونفو ، والأونفا ، ولامبا ، وكوانديه في زامبيا، وهي الأكثر أهمية . إن لغة الكيلوبا هي إحدى أربع لغات يتحدث الناس بها في زائير "كونغو" وهي تستخدم في التعليم الابتدائي في مقاطعات كتنفا وكاساي . وفي الكاساي توجد نواة هامة من البالوبا جنوب لولوا بورغ حيث وصلتهما العناصر الأولية في نهاية القرن التاسع عشر هاربة إلى الغرب من بلاد لوبا ، خوفاً من تجار الرقيق ، ولكن كتلتهم الرئيسية أتت للاشتراك ف بناء خط السكة الحديدية ، التي كانت بلجيكا تعمل على بنائه .

ـ امبراطورية البالوندا\ BALOUNDA : شكل البالوندا كجيرانهم وأقربائهم البالوبا نوعاً من اتحاد شعوب وليس دولة منسجمة مع بعضها متناسقة . وكلمة لواندا تعني (الصداقة) وقد أعطيت هذه التسمية في القرن السادس عشر إلى عدة رؤساء من البونفو BOUNGOU الذين كانوا يتمركزون في الجنوب الغربي من مقاطعة كتنفا (شابا حالياً) . أي إلى الغرب من نواة مملكة (اتحاد) لوبا في منطقة بوشيماي العليا . ويحمل زعماء البونفو عادة كرمز لسلطتهم سواراً من الحديد مجدولاً بعصب البقر والأيائل الأفريقية ، يطلق عليه /لوكانو/ وبعد أن اعتنقوا فكرة الصداقة . انتخبوا رئيساً عليهم يدعى يالامواكو ((اومواتا مواكو)) وقد خلف هذا ولداً سماه كونديه كان والداً لثلاثة أطفال (ذكران وفتاة) وهؤلاء يعتبرون واقعياً المؤسسين الحقيقيين لمختلف أقسام /لواندا/ وخوفاً من أن يحرم الأخوان من العرش لصالح أختهم / لويجي / انطلق كل منهم

باتجاه . فشانفولي اتجه غرباً ، مجتازاً نهر الكاســاي . وهنـاك أسس دولـة /امانقولا/ (أو بنقالا) على نهر كوانجـو في أنغـولا الحاليـة والـتي كـانت تحت السيطرة البرتغالية ، وقد التقى شانفولي بالحاكم البرتغـالي في أنغـولا واسمه ((دون مانوبل بيريرا فورجازا والحاكم نفسه هو الـذي استقبل في لواندا كاسانج ابن اخت وخليفه شانفولي . وهذا اللقـاء هـو الـذي أدى إلى إمكانية وضـع تـأريخ لهـذه الأحـداث بشـكل نوعـاً مـا تقريـبي . لأن الحاكم المذكور كـان حاكمـاً عـام ١٦٠٦ ـ ١٦١٠ م كمـا أن الـدون مانويل بريرا كوتينو حكـم مـن عـام ١٦٣٠ ـ ١٦٣٥ م، أمـا الشـقيق الثاني شـينيام ، فقـد اتجـه جنوبـاً حتـى خـط تقسـيم الميـاه بـين الكونغـو والزامبيزي ، وتمركز على نهر لونيا في أنغولا حيث أخذت عائلته تشكل التشاكويا في أنغولا وجنوب غرب مقاطعة كتنفـا وغالبـاً مـا يطلـق علـى لونيا تشـاكويه TEHAKUE لوانـدا الشـمالية ، وكـانت لونـدا ضعيفـة مـن الناحية العددية ، والوراثة لديهم تتبـع النسـب الأمومـي . في حـين كـان الجنوبيون يتبعون النسب الأبوي . مما يؤكد على وجود نواة وطنية محليـة سبقت وصول شينيام .

أما الأخت الـتي أصبحـت تسـمىٰ الملكـة لويجـي فقـد لعبـت دوراً رئيسياً في تشكيل دول لواندا الجنوبية الكبرى ووالدها كونديه هو الـذي اختارها كملكـة وأعطاهـا رمـوزه (أسـاوره) مـن اللوكـانو ، وأخـذت تلقب باسم ((سوانا مولواندا)) ، يعني أم شعب لونــدا . وقـد تزوجـت هذه أحد الصيـادين الغربـاء واسمـه /ايلونفـا شـيبيندا/ حسـب الروايـات المتداولة وهو ((شقيق أو ابن أخ)) مؤسس مملكة لوبا الثانية ايلو نفامبيلي ـ وقد حكم ايلونفا شيبيندا خلال خمس وعشرين عامـاً . واستطاع فيهـا توسيع رقعة اتحاد لواندا نحو الشمال ـ الغربي فاتحاً بلاد الباتيكيه على نهر لولوا .

خلف مواتا لوزنفيه ناويجيه والده وكان من زوجه ثانية غير لويجـي

تسمى كامو نقالواجا أهدتها لويجي لزوجها لتكون زوجته الثانية ، ومواتا لوزنفيه ناويجيه هذا هو الـذي وضـع القواعـد الأساسية للنظام الإداري والعسكري للدولة . وقد تزوج فيما بعد من خالته زوجة أبيه الملكة لويجي . وأعطى لأمه لقب لوكونكيتشا) (الملكة الأم) وقد تـوفي خلال إحدى الحملات العسكرية ضد الكونيوكـا . وهنـا قدمت الملكة لويجي اساور الملك القتيل إلى أحد أبنائه ويدعى /نافو ناويجي/ وقد أصبح اسمه مواتا يامفو ـ والواقع أن كلمة مواتا تعني الملك أو السلطان ــ ولم يصبح اسم مواتا يامفو . رمزاً للعائلة المالكة في لواندا على سبيل الصدفة ، ولكنه في الحقيقة المؤسس الحقيقي لامبراطورية /لوندا/ . وكان من سلالة أولئك القادة الكبار الذين ظهروا إثر التزاوج والاختلاط بين العائلات المالكة في لوبا ولوندا ، وهكذا فتاريخ الدولتين بدأ يتقارب بشكل قوي .

استطاع الملك الجديد ، توسيع امبراطورية نحو الغرب حتى كاساي وإلى الجنوب حتى المجرى الأعلى لنهر الزامبيزي وروافده أما في الشرق فقد استطاع السيطرة على المستنقعات المالحة الواقعة للغرب من لوفيرا في كتنفا الجنوبية . ويعود الفضل في هذا الاتجاه إلى أصدقاءه موتا يامنو وهو موشيدي الذي استطاع وضع كل القبائل في المنطقة الأخيرة تحت حكم لوندا وقد وضع عليها كحكام أفراد وعشائر من أصل لوندا وكانت المستنقعات ذات أهمية اقتصادية هامة لوجود الملح .

كما أظهر الملك موتا آهليه وقدرة عسكرية محترمة بالإضافة إلى كونه إدارياً فذاً وكان بنفسه يسمي حكام المقاطعات الذين كانوا يجمعون له الضرائب . وهذا لم يمنع بأنهم كانوا يحتفظون بنوع من الاستقلال الذاتي في أمورهم وكان لكل منهم لقب حسب المنطقة التي يتولى حكمها مثل « مواتا . موينه ـ كازيمبه » واللقب الأخير اختص به حاكم مقاطعة لوا بولا كما أصبح عنوان دولة ، كما سنرى .

ويبدو أن التعليمات والمراسيم الملكية تعطي للحاكم السلطة

المطلقة تشبه ما كان لدى دولة الكونغو ، والياكوبا ، وبالتأكيد فكانت هناك علاقات غير مباشرة بين لوندا والكوبا منذ القرن السابع عشر والنخاسون البرتغاليون في أنغولا . وقد نقلت بسرعة بعض الأفكار السياسية إلى كل حزام السافانا في الجنوب الكونغولي . كما نقلت في نفس الوقت بعض الزراعات المعروفة بالأمريكية مثل الذرة ـ البطاطا الحلوة ـ التبغ . وكما هو الحال لدى مختلف الممالك الزنجية الأفريقية ، فشخصية الملك مقدسة وتحيط بها هالة دينية محترمة ، لذلك وجب أن يخلفه أحد أبنائه ، وعادة ينتخب الملك الجديد مجلس مصغر (النسب هنا للأب كما هو الحال لدى اللوبا) من أربعة مسؤولين كبار كما يعين المجلس ، أم للملك ويطلق عليها (لوكون كيتشا) LAUKOM KECHA وتكون عادة أخت زوجته (وليست أمه) أو إحدى قريباته .

ومن الملاحظ أنه لم تكن للواندا عاصمة محددة . بل كانت تتغير حسب تغيير الملك. وكان يطلق عليها عادة اسم المعسكر MOUSUMBA .

- مملكة الكازيمبيه :

أما العمل الهام الذي حدث في هذه الفترة فهو إنشاء وتطوير مستوطنه لوندا دو لوابولا إلى الشرق وتقع جنوب بحيرة مويرو والتي أصبحت دولة قائمة بذاتها تدعى الكازيمبيه .

ففي بداية القرن الثامن عشر ، فرض أحد جنرالات لوندا ويدعى كانيمبو نفسه على المنطقة بسهولة لوجود عدد من زعماء لوندا أو من أصول لوندا كانوا قد استقروا في المقاطعة منذ زمن . وحسب بعض الأقوال ان كانيمبو كان يمتلك البنادق الحربية ، لذلك كان يكفي لوجود أي مشاكل في منطقة ليضمها إليه ويضع سكانها تحت حمايته . وكان يجلب هذه البنادق من شاطىء أنغولا حيث كان مواتا يامونو . يرسل أعداداً من الأرقاء بواسطة مملكة امينغالا التي تأسست من قبل شينفولي أحد أخوة الملكة لويجي وتقع للغرب من كوانفو في أنغولا . ومن

الممكن منذ ذلك الوقت أن يستطيع مواتا ياموفو أن يتحدث عن البيض الذين يمكن رؤيتهم بعيداً إلى الشرق من مملكته .

وحوالي عام ١٧٤٠ سمي ابن كانيمبو ويدعى نفاندا فيلوندا نفسه حاكماً . (كازيمبيه) على البلاد التي فتحها والده . ويعود للبرتغاليين الفضل في وصول المعلومات عن مملكة كازيمبيه في نهاية القرن الثامن عشر بخاصه المعروف باسم مانويل جيتانو بيريرا الذي كان أول برتغالي أو بالأحرى أبيض يصل هناك عام ١٧٩٦ ، وهو أحد أبناء التجار الموجودين ، في غوا على الساحل الهندي وقد استقر هذا على بعد خمسة أيام شمال رأس تيت في موزامبيق ، وكان يشتري العاج من قبيلة ياو YAO التي كانت مستقرة في جنوب بحيرة ملاوي ولم يكن هؤلاء سوى وسطاء بين البيسا المتمركزون ، إلى الشرق من بحيرة بانغويلو في زامبيا . والبرتغاليين ، وكان البيسا في خدمة كازيمبيه الثاني ويدعى لوكويا ، وقد أعلن هذا عن رغبته بإقامة علاقات مع البيض الذين وصلوا الساحل الشرقي .

وبالرغم من استقلال الكازيمبيه فيعتبر كأبن لمواتا يامفو ويدفع له الضريبة . وكانت العلاقات مستمرة ودائمة بين الهضبة العليا لكاساي ، ووادي لوالوبا . وكان الكازيمبيه يرسل الأرقاء الذين يباعون من قبل مواتا يامفو إلى النخاسين البرتغاليين ، وكان هؤلاء يجمعون الأرقاء قبل ترحيلهم إلى أمريكا في موانيء بنقويلا أو لواندا . وكان عدد من هؤلاء التعساء يأتون من كتنفا الشرقية ، وكان عليهم السير مسافة ألف كيلو متر على الأقدام وعلى مسالك صعبة لا ترحم . للوصول إلى الموانئ .

وبالإضافة إلى العبيد كان الكازيمبيه يمون مواتا يامفو . بالملح الذي يستخرج من مستنقعات لوفيرا وتصل بعض البضائع القادمة من الساحل الشرقي مع الحمالين السود الذي كانوا في خدمة التجار العرب المتمركزين على الساحل الكيني وفي تنفانيكا . وأشهر المنتجات وأغلاها

ثمناً هي الأنسجة القادمة من الهند ثم القواقع « الكوريس » القادمة من جزر مالديف . والباند القادم من جزر الملوك , وهو نوع من الأحجار الكريمة (جوهره) كانت تستخدم كرمز للسلطة لدى الزعماء المحليين في تنفانيكا وتسمى كيلونفو.

وكان الكازيمبيه يتلقى من الغرب الأشياء الفاخرة من أصول برتغالية كالمرايا وفناجين القهوة والشاي - الصحون - اللؤلؤ والفيلوفي VELOUE وهو نسيج من الصوف ، والى الشرق يرسل الكازيمبيه العاج والعبيد ، وبراميل النحاس من كتنفا . وبالمقابل كان يتلقى النسيج القطني والحرير القادم من الهند .

تولى حكم هذه المقاطعة عدة حكام كازيمبيه التي أخذت معنى ملكي أو عائلة مالكة . وكان الكازيمبيه الرابع / كيلكا لا يزال على السلطة عام ١٨٣١ عندما وصلت بعثة برتغالية بقيادة القائدين مونتيرو ، وغاميتو مرسلة من قبل حاكم موزمبيق لدراسة إمكانية إقامة اتصال تجاري منتظم بين تيت على الزامبيزي ، وكانت نقطة انطلاق للبرتغاليين للوصول إلى مستعمرتهم الأخرى في أنغولا - وكازيمبيه ، وبالرغم من نجاح اللقاء الأول بين الطرفين إلا أن الكازيمبيه صرح بأنه يستطيع أن يتلقى نفس المنتجات من قبل العرب المتمركزين على الشاطىء الشمالي لرأس ديلفادو في تنفانيكا .

كان جواب الكازيمبيه في الواقع نتيجة للأحداث التي وقعت على بعد عدة آلاف الكيلو مترات من شرق كتنفا الجنوبيه عام ١٨٠٦ ، ففي ذلك العام قرر السلطان سعيد بن سلطان أمام عمان (سلطان) الاستقرار في زنجبار . واتخاذها عاصمة لدولته البحرية الممتدة من سواحل المحيط الهندي الأفريقية إلى سواحله العربية . وكان البوسعيد ومن سبقهم من أئمة الميعاربه استطاعوا إخراج البرتغاليين من سواحل الجزيرة العربية، وكذلك من السواحل الأفريقية في كينيا ، وتنزانيا الحالية . ولم يعد

للبرتغاليين على المدن التجارية ذات الأهمية الكبيرة في التجارة مع داخل القارة ، بعد أن ظلوا ما يقرب من قرن من الزمن يسيطرون عليها ، وأصبحت حدودهم في السواحل الشرقية ابتداء من سفاله وإلى الجنوب. وقد استطاع السيد سعيد تنمية الزراعة في زنجبار وأدخل زراعة القرنفل بخاصة . كما أصبحت زنجبار سوقاً تجارية ضخمة لمختلف أنواع التبادل التجاري مع الخارج للمنتجات والتجارة الأفرقية بخاصة تجارة العاج والعبيد ، وكانت هذه البضائع تصل من المنطقة الساحلية لبحيرة كتنفا ، وعندما ازداد الطلب على الأرقاء ازداد تجار الرقيق دخولاً إلى أعماق القارة والتعاون مع زعماء القبائل ، ولا شك أن مساعدة هؤلاء هي الأساس في تجارة الرقيق ، لقاء ما كانوا يأخذونه من جزية وا يتلقونه من بنادق .

وقد تطورت هناك أربع طرق للقوافل التجارية على يد العرب أولها الطريق الشمالي . ويبدأ من ممباسا « حالياً في كينيا » الواقعة على شاطىء المحيط الهندي إلى بحيرة فكتوريا ، ولم يكن يهتم بالكونغو في حين كان الطريق الأوسط باغا مويو ـ تابورا . أو جيجي وكذلك الطريق الجنوبي كلوا ـ شمال بحيرة نياسا (ملاوي حالياً) ، لينـدي جنوب بحيرة نياسا وكانت جميعها تنتهي في / كتنفا / ذات الكثافة السكانية .

كان وصول أوائل التجار عام ١٨٢٥ إلى أواسط الكونغو بعد مغامرات جريئة وخطرة . وقد تركوا للقبائل المحلية بالتكفل بنقل البضائع التي تتألف من العاج والرقيق إلى الساحل ، وقد تميزت احدى هذه القبائل وكانت من أكبرها عدداً وعده وتقيم منطقة بحيرة تنفانيكا وهي قبيلة نياموزي . وقد أصبح عدد كبير من أفرادها تجاراً كباراً وملكوا ثروات هائلة كما كان لديهم عدد كبير من الأرقاء لخدمتهم . ومن هذا الازدهار الذي حققته النياموزي ظهرت مملكة جديدة في الكونغو وهي مملكة المسيري .

أما امبراطورية البالوندا فقد واصلت طريقها خلال هذه الفترة وهي مقسمة إلى مملكتين الأول مملكة المواتا ياموفو وخلفائه خلال الاحتلال البلجيكي . وفي عام ١٩٥٢ تولى المواتا يامفو الثالث والعشرين من ملوك لوندا وهو نظرياً يحكم مجموع شعب لوندا والتشوكويه (أو الكوكويه) في الكونغو وزامبيا وأنغولا ، وقد انشق هؤلاء وأسسوا لهم كياناً خاصاً عام ١٩٥٠ والمواتايامنو الأخير هو والد زوجه مويس تشومبي الذي أصبح رئيساً لوزراء الكونغو في مرحلة ما بعد الاحتلال . أما الكازمبيه المملكة الثانية فقد أخذت تنحدر شيئاً فشيئاً، وقد أقام ليفنفستون levingstan طويلاً في تشرين ثاني ١٨٦٧ ومايس ١٨٦٨ في مركز إقامة الكازيمبيه الواقع على الشاطىء الشرقي لبحيرة مافويه الصغيرة والمشهورة بأسماكها . وكذلك جنوب شرق بحيرة مويرو (زامبيا) . وحسب قول ليفنفستون كان الكازيمبيه العاشر ويسمى موانفا مطيعاً دائماً لمواتا يامفو ويرسل العبيد ، ولكنه لم يكن سوى زعيم صغير لا أهمية له وفي ذلك الوقت بدأ التجار العرب يجتازون بحيرة مويرو عن طريق بويتو للوصول إلى بونكيسيا Bounkeya عاصمة المسيري .

– مملكة المسيري M. SERE أو مملكة النياموزيزي : تاريخ مثير حققه رئيس قوافل من النياموزيزي فقد استطاع هذا الرجل بناء مملكة في كتنفا الجنوبية ـ الشرقية بعيداً ألف كيلو متر عن موطنه الأصلي . ومن ناحية أخرى كان تاريخاً عنيفاً ودموياً ، ساعد على تفريغ هذه المنطقة من شعبها. وكانت في الوقت ذاته ملحمة لا تنسى لا تزال ترددها الروايات التقليدية الشفوية للباسنفا . Bassamga والبايكيه Bayke . زملاء وأتباع ورفاق سلاح للمسيري .

ولد المسيري عام ١٨٣٠ ، واسمه عند الولادة نفيلينقوا في مكان بالقرب من / مسينه / الواقعة إلى الشمال الغربي لمدينة تابوره التي

أسسها التجار العرب في تنقانيكا الوسطى ، ووالده مازويري كالاسا من فرع الوازومبوا من الشعب (القبيله) المعروف باسم وانياموزي Wamyamwozi . والتي اكتسبت مكاناً مرموقاً لدى التجار العرب قد أصبح رئيس قافلة يعمل لحسابه الخاص . وعندما علم من أفراد قبيلته العائدين من كتنفا ، عن وجود النحاس فيها انطلق مباشرة إلى هناك ، واتفق مع الزعماء المحليين ، وتبادل الدم معهم . وكان هؤلاء يدفعون الضرائب إلى كازيمبيه لوندا . وفي إحدى المرات أحضر الأب كالاسا ابنه نفبلينفوا « مسيري المستقبل » إلى تلك البلاد . حيث عاد إلى بلاده، ومعه العاج والنحاس والعبيد . ثم ترك هناك عدداً من الأصدقاء الذين كانوا يلقبون من قبل السكان المحليين باسم بايكيه Bayeke . وهذا يعني صياد الأفيال . ولا زال هذا الاسم يطلق حتى اليوم على أفراد الوازومبو ثم إن المسيري الابن طلب من والده السماح له بالبقاء في كتنفا ، وبقي هناك منذ عام ١٨٥٨ م .

في ذلك الوقت أقام « الكازيمبيه موناتا » مقاطعة إلى الشرق من بحيرة مويرو في زامبيا . وكان قد فرض الجزية علي زعماء كتنفا الجنوبية الشرقية الحالية حتى لوبودي إلى الغرب متحكماً أيضاً بالممر على لوا بولا . ولكي يمر المسيري في بلاد رئيس كتنفا على الضفة اليمنى لأعالي نهر لوفيرا مفتشاً عن أصدقاء والده البايكيه . كان عليه أن يطلب الأزن من الكازيمبيه .

وقد اعلم المسيري عند وصوله الكازيمبيه عن الدواء المستخدم في بلاده الأصلية نياموزي ضد الجدري ولم يكن هذا العلاج معروفاً في تلك المنطقة . وكان عبارة عن عملية فتح ثغرة خفيفة في جلد الجمجمة يتبعه تلقيح دم فاسد يؤخذ من بثورات أحد المرضى بالجدري . ويخلط مع شيء من الزيت . يعني أنها كانت وسيلة وقاية قريبة جداً من اللقاح الذي استخدمه الطبيب الانكليزي جينير Gener عام ١٧٩٨ .

ارتبط (موشيدي) أو مسيري ـ كما يذكر ابنه في مذكراته وكذلك مترجم حياته موكاندا بانتو ـ بصداقة مع رئيس كتنفا الذي أهداه فتاة للزواج مع عمودين من نحاس (Cuire a oreilles) حسب ما هو مذكور في كتاب تاريخ الكونغو لروبرت كورفنين ، طول الواحد منهم متر وعرضه سبعة سنتيمترات . ويحمل كل طرف منه قضيب عرضاني بطول ٢٠ سم يستخدمه الحمالون لتثبيته على خشبة .

استطاع المسيري خلال ستة أعوام أن يفرض نفسه على كافة القادة المحليين وساعدهم على الضرب على أيدي المخالفين والثائرين وذلك بفضل ما كان يملكه من بنادق حربية كان يحملها محاربوه من البايكيه الذين لحقوا به مع كل قافلة ليستفيدوا من الثروة التي كانت تتمتع بها كتنفا . وخلال حملاته التأديبية استطاع الحصول على العبيد وكان يبيعهم في الساحل مقابل بنادق جديدة ، بالإضافة إلى سعيه للحصول على نساء لتزويجهن من رجاله المحاربين، لذلك حصل على ثروة كبيرة وقوة أكثر من أي حاكم آخر من حكام الكازيمبيه . وعندما أحس بالفرق بين قوته العسكرية وقوة الزعماء المحليين أخذ يفكر بإنشاء دولة . ليوظف من خلالها كل الموارد الطبيعية وبخاصة المواد الاقتصادية الكبرى الثلاث العاج ، النحاس ، العبيد وهي عماد تجارة المنطقة . ومنذ ذلك الوقت بدأ عمله الجاد لتحقيق أهدافه التي تحققت بشكل رائع .

وقد أوقف حركة النزول أو النزوح إلى الجنوب التي كان يقوم بها البالوبا عند بحيرة كيالا ولوفوا وأخيراً أحرز انتصاراً على جيش الكازيمبيه القادم لمهاجمته واعتباراً من عام ١٨٦٧ ، لم يعد الكازيمبيه يسيطر مطلقاً على الطريق الذي يصله (بمواتا يامفو) حاكم البالوندا ، ولم يعد يتلقى الضرائب من القبائل التي كانت متمركزة إلى الغرب من بحيرة مويرو .

وفي عام ١٨٦٩ علم المسيري بموت والده ولكنه رفض أن يحل محله ، وأعلن عن نفسه ملكاً (موامي) Mwami على غاراغانزا، ونظم

مراسم خاصة للتتويج أطلق عليها اسم كيبانفو Kibngo .

كانت هذه المملكة التي لم تحدد حدودها ومدى اتساعها الأقصى بحاجة إلى عاصمة . وقد اختار المسيري (بونكيا) الواقفة ضمن سهل نهر لونكي وهورافد أيسر لنهر لوفيرا . وقد أخذت هذه المدينة تزدهر بسرعة ، وتطورت بشكل كبير وتوجه إليها كل التجار من النياموزي والسواحليين والعرب الذين انضموا إلى السكان المحليين من الباسنڤا ، وجيرانهم لامبا ولوندا بمباولوبا .

حوالي عام ١٨٨٠ ، أصبح المسيري سيد مملكة واسعة اعتباراً من لوفو Louvou ، في الشمال إلى هضبة الكونغو الزامبيزي (الحدود الجنوبية للكونغو) في الجنوب ، واعتباراً من لوابولا شرقاً إلى لوالابا غرباً ، وقد اكتفى بوضع أحد المخلصين له من المويكي Mouycke بجانب الزعيم وكلفه بجمع الضرائب له وجمع المجندين .

لقد قام اقتصاد هذه الدولة على التجارة ـ وهذه صفة أكثر الدول التي ظهرت في الكونغو وحتى في غيرها ـ فالمسيري نفسه تاجر . وقد استطاع إقامة الحصر على استغلال مناجم النحاس الذي كانت تستخرجه الباسانڤا ، وقد كلف فريقاً من الخبراء في الصهر من البايكيه لإنتاج وإقامة صناعة خيوط النحاس عوضاً عن الأعمدة التي كانت حتى الآن النموذج المعمول به ، وقد أخذت هذه الخيوط بعد فترة طريقها للتصدير بخاصة إلى أنغولا لوجود التجار البرتغاليين فيها .

يأتي بعد ذلك العاج وهو أهم الموارد الرئيسية ، فقد كانت البلاد غنية جداً بقطعان الفيلة ، وقد منع كافة الصيادين من الصيد لحسابهم وعليهم جمع ما يحصلون عليه من عاج كاملاً ووضعه في مكان إقامة المويكي (الحاكم) .

أما الرقيق فكان يشكل المادة الثالثة للتصدير . وكانوا يرسلونه إلى الساحل العربي . بطريق يمر عبر بحيرة تنفانيكا على مستوى

اودجيجي لأن الطريق عبر بحيرة ملاوي كان ممنوعــاً مـن قبـل الكازيمبيـه الذي كان يمنع اجتياز نهر لوابولا ، واعتبـاراً مـن حـوالي عـام ١٨٧٠ ، أخذت قوافل المسيري تستخدم الطريق الغربي الـذي يصـل إلى / بيهـه / Bihe في أنغولا ، ويتبع هذا الطريق المسلك الذي بنيت عليه سكة الحديـد المتجهة نحو بانقويلا .

وهكذا أصبحت بونكيـا المركـز الحقيقـي لنـواة تجاربـه رئيسـية في افريقية الوسطى وعقده للمواصلات النظامية عبر القارة الأفريقيـة . وقـد سجل عام ١٨٨٦ وصول دولة المسيري التي ظهـرت منـذ عـام ١٨٧٠ إلى أقصاها ونهايتها أيضاً . وقد اتبع هذا الفاتح الأسود في حكمه اسلوباً فيزيولوجياً يشبه ما اتبعه الفاتحون البيض والصفر ، فبالنسبة إليه النجـاح هو الأساس ولم يكن ينظر إلى الكراهية الصامتة التي كان الجميع يكنونهـا للطبقة المسيطرة مـن الايكيـه والـتي كـانت في نظرهـم طبقـة غريبـة عـن البلاد. ثم بـدأت ثـورات الباسـينفا المحليـين في منطقـة منـاجم النحـاس في شباط عام ١٨٩١ تتسع مباشرة وبسرعة وبدأت دولة المسيري المزدهرة تخبـو . وفي ٢٠ أيلـول ١٨٩١ قتـل أحـد الضبـاط البلجيـك ويدعــى / بودسون / المسيري في ظروف غامضة . وسرعان ما عاد لدولـة المسـيري اسمها القديم كتنغا . وتحولت بلده (العاصمة) بونيكا التي وصــل تعـداد سكانها إلى عشرة آلاف قرية صغيرة .

- التنظيم الاقتصادي :

إذا استثنينا مملكة الكونغو ، فالروايات التقليدية هي عملياً المرجـع الوحيـد للتوثيـق التـاريخي لممـالك الكونغـو القديمـة . وهـي الـتي زودت المؤرخين بلوائح عن الأنســاب للعـائلات المالكـة ، ولكنهـا لم تقـدم شـيئاً كثيراً عن حياة الشعوب . وكـانت نوعيـة نظـام الحيـاة هدفـاً لدراسـات عميقة حققها الموظفـون الأوربيـون مـن سياسـيين وإداريـين بالإضافـة إلى المبشرين ويمكن أن يستخلص منها بعــض الأفكـار العامـة تصـف المجتمـع

الكونغولي قبل الاستعمار في مجموعة العام مع بعض التحفظ .

إن أهم ما يوصف به المجتمع الكونغولي في حوض الكونغو بشكل عام أن شعوبه كانت شعوباً زراعية ـ عدا بعض الأقليات العرقية مثل التيفيد Tivides ، والأقزام Pygmie الذين ظلوا على وضعهم القديم صيادين وجامعي غذاء من الغابة وكانوا يعيشون بانسجام تام وتفاهم مع الفلاحين جيرانهم .

هذه الشعوب الزراعية لم تكن مربية للماشية كجيرانهما في افريقية الشرقية حتى حدود سلسلة البحيرات أو افريقية الجنوبية وحتى السافانا الجافة في جنوب كتنفا . فالثروة الحيوانية غير معروفة وبخاصة تربية الحيوانات الضخمة كالجمال والأبقار . ولكن الصيد البري والنهري كان يرفد الغذاء اليومي بشكل قوي .

لذلك يمكن أن نميز حضارتين زراعيتين : حضارة (ثقافة) الغابة وثقافة السافانا ، وإن أكبر عمل زراعي في الغابة يعتمد بشكل طبيعي جداً على إزالة النباتات والأشجار . ولم يكن الفلاحون الأوربيون ي القرون الوسطى الذين زرعوا الأرض التي نزعت منها أشجارها . مضطرين لإعادة الكرة كل عام ، والقضاء على الأشجار الضخمة للحصول على أراضٍ جديدة مستصلحة كما هو الحال في الكونغو . فالأرض المستصلحة نزرع فيها النباتات الحلوة (بطاطا ـ مانيوك تاروت ايفنام) الموز ـ الذرة ـ الدخن . وقد لا تعطي الأرض أكثر من ثلاث سنين متواصلة . إنتاجاً جيداً ويجب تركها بعد ذلك . سنتان أو ثلاث سنوات لمدة تتجاوز في بعض الأحيان الثمانية أعوام . والزراعة الرعوية ، إجباريه لتقوية التربة . لهذا تضطر القرية أن يكون لديها أراض واسعة غير مزروعة لإراحتها ، وعلى العموم تكون الأرض مملوكة من قبل مجموع القبيلة (مشاع) ولا تمت ملكيتها لأحد .

مع ذلك فأراضي السافانا هي الأخرى ليست غنية أكثر من

الأرتضي الغابية بشكل كبير . وهي تفرض أنواعاً أخـرى مـن الزراعـات المشابهة ، فالدورات الزراعية مطلوبة أيضاً مـع تـرك الأرض مـدة طويلـة لراحتها بالإضافة إلى عوامل النحات القوية ، ولإخصاب الأرض (التربـة) يستخدم نفس العظام الذي استخدم في إزالة الأشجار وهو النـار . وهـذا شيء مهم في مختلف أرجاء القارة الافريقيـة بخاصـة في السـافانا . وتـزرع الحبوب « الذرة والأرز ومختلـف أنـواع الحبـوب والخضـار ـ الحمـص ـ اللوبيـا والبزاليـا » وكلهـا يمكـن زراعتهـا أفضـل مـن زراعـة الدرنيـات الحلـوة. وبخاصـة أنـه يمكـن أن تحفـظ وتخـزن وتبقـى مـدة طويلـة في المستودعات ويمكن نقلها بسهولة . وهذا النـوع مـن الحيـاة يكـون نـواة لقيام المجتمـع الطبقـي والزعامـات . وهـذا يتعـارض مـع حيـاة المزارعـين المعزولين في الغابات الذين يحتاجون إلى البنية الديموقراطية التعاونية .

استخدمت بعض المجتمعات في السافنا تقنية زراعية متطورة كانت مصدر اعجاب اللذين شاهدوها بخاصـة الاعتنـاء الكبـير بالبيئـة الطبيعيـة مثل زراعة المنحدرات دورياً ويظهر ذلك لدى الباشي جيران بحيرة كيفـو بالأضافة إلى عمل المصادات الهوائيـة الـتي تحمـي عـدة زراعـات في نفـس المنطقة كما هو لدى البـاكونفو . بالأضافـة إلى كـثرة أنـواع المزروعـات وبخاصة التي يقوم بزراعتها الآزانديه شـرق الكونغـو كـالذرة والمـانيوك ، والتي لكل منها نموذج ومذاق خاص.

ويوجد في لغة الآزانديه أكثر من اربعين كلمة لتعيين وتحديـد هـذه المذاقات . تبين بشكل واضح عمق وأهمية الزراعة بالنسبة لهـذا الشـعب بالاضافة إلى كثرة التعاريف والأوصاف المستخدمة والتي يتميز بها لسـان مربي الماشية في شرق افريقيه.

• الفن الحرفي «الأرتبزانا Arartisanat : كان الفن الحـرفي متطـوراً بشكل جيد في المجتمعات الكونغولية قبل العهد الاستعماري . وقـد رأينـا قوة نسيج الرافيا الذي كان مصدر إعجاب كل من رآه مـن الأوربيـين .

وكانت هذه المنسوجات النباتية مشهورة في منطقة الكاساي بالأضافة إلى صناعة الجرار التي اختصت بها النساء ، وصناعة السلاح فالأدوات الحديدية الموجودة في كل مكان ولدى /الكوبا/ أنواع مختلفة من الحرف الاختصاصية كالسجاد . والخياطة والحدادة . وصناعة الزوارق ، خيوط الألبسة الجلدية ...الخ.

• الفن التشكيلي : رأينا سابقاً كيف برهن هذا الشعب عن مستوى فني عال معترف به بخاصة النقش على الخشب . ورغم أنه ليس وحيداً في هذا المجال كالفن الكونغولي ، إلا أن الفن الكونغولي يأخذ مركز الصدارة في كل المتاحف والمعارض التي تتعرض للفن الأفريقي (الزنجي) . وقد ميز اولبريش البلجيكي خمس مناطق فنية هي :

١ - الكونغو الاسفل مع المايوب والكونغو القديم .

٢ - منطقة كوانجوا - كوملو مع الياكا والمبالا - الباندبه التوكويه - الكاساي مع الكوبا الكينية - ندنجيربه - البينا - لولوا . اللوندا .

٣ - وسط لوبا في كتنفا الوسطى حيث ترتبط فيها التيتيلا Tetela - السونجيه .

٤ ـ الشمال الشرقي لوسط منفيبتو.

٥ - الشمال الغربي لوسط باندا في منطقة الأويانجي (افريقيه الوسطى).

لايظهر الحس الفني لدى الشعب الكونغولي فقط في الأقنعه والتماثيل ، ولكن في أدق تفاصيل الحياة اليومية ، تزيين الطبول - علب الدخان - الكاسات - الأمشاط - القبعات ثم الوشم المرسوم على الأذرع والأجسام التي تظهر عند الرقص ، تزيين الجدران والبيوت والموسيقى المستخدمة بجانب ذلك هي نتيجة لأنواع من الأدوات الموسيقية العديدة الموجودة.

• الدين : يعبر فن النقش والرقص عن الشعور الديني الذي يشد بعمق الشعب الكونغولي مثل بقية الشعوب الأفريقية وتحليل ودراسة هذا الشعور قد تم بشكل جيد عام ١٩٤٥ من قبل ر.ب تمبل Templs في كتابه فلسفة البانتو اصبح تقليداً للأدب الأفريقي ومن الضروري العودة إليها لفهم التطور الديناميكي غير المستكن للعالم وهو فهم متطور لدى البالوبا الذين كانوا موضع دراسة تمبل المذكور. إن تعريف (الانسان هو القوة) هو مفتاح هذه الفلسفة التي تفتش قبل كل شيء على تنمية هذه القوة الحيوية وتقديم المساعدة في وقت واحد للقوة الحيوية لدى الأسلاف والاحفاد على حد سواء . وذلك لأن الشخص (الانسان) ما هو إلا حلقة من حلقات سلسلة القوى الحيوية وهي /حلقة حية/ إن كانت نشطة أو سلبية مرتبطة من الاعلى بسلسلة خط الأسلاف ومن الاسفل بخط الأحفاد.

هناك وجوه مشتركة في التقاليد الدينية الكونغولية فكلها تعترف بوجود الخالق وكل منهم يعرفه على الشكل الذي يراه وهناك ارواح ملحقة بالطبيعة وهي هامة في الدين لدى الشعوب الشمالية من المنطقة مثل أهمية الاسلاف . ولكن في ديانات جنوب السافانا فليست هناك أهمية للأرواح وحتى الاله وعبادة الاسلاف هي الاساس وتستند على قاعدة بقاء الانسان مرتبط بناسه حتى بعد الموت. فإذا توفي احد كبار السن في مجموعة القربى (النسب الواحد) تظل روحه مهتمة بالناس الذين تركهم وبخاصة يهتم بكبار السن الاحياء منهم والاموات وهذا يفسر ما ذكرناه لدى اللوبا من أن الأنسان حلقة ضمن سلسلة القوى الحيوية . فالميت يواصل أن يكون عضواً في المجتمع والديانة تهتم بإبقاء العلاقات بين الاحياء والأموات. وهناك في الكونغو من يعتقد بوجود اناس يملكون طاقة أو قوة قوية لها تأثيرها حتى على الولادات وعلى حصول الناس على الثروات أو إضعافهم وكذلك على الموت.

إن أحد الأشياء الرئيسية التي تتعلق بنظام الديانات التقليدية هو الحصول على الثروة والصحة . وسبب سوء الحظ والفقر والضعف يعود للأعتقاد بوجود نشاط للأسلاف . والأرواح غير الانسانية والسحرة . إن بعضاً من المعالجة الطبية عن طريق السحر يقوم بها أناس مختصون . ويلعب في هذا المجال العرافون (المتنبئون) الذين يحددون الأسباب التي تؤدي إلى سوء الطالع ومن قام بها وكذلك ما يجب عمله ضد هذه الأسباب ويمكن هنا سؤال الاسلاف المساعده بالاضافة إلى الأرواح والاطباء والسحرة وربما يطلب إليهم غير ابعاد الاسباب بل قتل المسبب.

• الحياة الاجتماعية – العائلة – النسب والقرابة – الزواج – العادات والتقاليد.

مما تقدم نرى أن عبادة الأسلاف تشكل عنصراً رئيسياً بالدين . وهذا يؤدي بالضرورة وبشكل غير مباشر لظهور وحدة النسب والأحفاد والأولاد المميزون . فلكل كائن (انسان) ابوان واربعة اجداد وثمانية اجداد الأجداد وبما أنهم في هذه الحالة يصعب معرفتهم ، إذا لم نقف عند نظام يحدد الأبناء والاحفاد من ناحية النسب ابوياً كان أو أمومياً. ولايحدث تغيير في اسم الأب (السلف) لخط النسب (أي الفخذ) ضمن أربعة إلى ستة أجيال وذلك لكي لانجد امامنا عدداً كبيراً من الأفخاذ كثيرة العدد. ومع ذلك لم يمنع الارتباط بخط نسب (فخذ) محدد لمليون ونصف المليون من /المونفو/ الذين يعيشون في المنخفض المركزي بين مجرى الكونغو ومجرى نهري الكاساي والسانكورو من أن يقولوا بأنهم أحفاد رجل واحد هو المونفو. وهو نفس ادعاء العرب في انتسابهم لسلف واحد قحطان أو عدنان.

وتتجاوز قوة الفخذ في المجتمعات الكونفولية افراده وهو يمثل شركة أو مجلس له وجوده وشخصيته بغض النظر عن اشخاصه الحاليين وله سيطرته . وابويته على الأفراد وله الحق في بيع أحد الأفراد إذا كانت

الضرورة تقتضي ذلك وحتى قتله ولايحق لأحد أن يتدخل في هذا الحكم.
ويدار الفخذ عادة من قبل كبار السن وهم اللذين يتكلمون باسمه ويمثلونه نظراً لكبر سنه وحكمتهم واتصالهم بالاسلاف.

وإذا نظرنا في هذا المجال إلى النواحي الاجتماعية كالزواج مثلاً الذي لايقتصر على علاقة بسيطة بين رجل وامرأة ، ولكن هناك تقاليد يجب احترامها في هذا المجال. فعندما تترك المرأة فخذها أو عشيرتها للزواج . فهذا يعني أن هناك نقصاً قد حدث في الفخذ والواجب التعويض عنه أمّا عن طريق الحصول على امرأة من الفخذ الآخر لتحل محل المرأة الذاهبة أي يجب أن يكون هناك تبادل بين الفخذين . وبما أن هذا شيء صعب ربما لعدم وجود امرأة أو رفض امرأة لمثل هذا الحل لذلك يعوض في هذا المجال عن ذلك بتقديم ترضيات لتقديم الهدايا من الحيوانات أو اشياء أخرى والانتقاد الموجه لهذه الطريقة عدم وجود العاطفة والتبادل يتجاوز شعور الزوجين . وبالنسبة إليهم هو المهر ودفعه لايعني أن المرأة كالشاة تباع وتشترى . بل هو تأمين لأن الطلاق بعيداً من أن يكون نادراً ويمكن أن تطلبه المرأة . وهناك بعض الحقوق فمن واجب المرأة إطعام زوجها وتربية اطفاله. وعادة يعود الأطفال في النسب الأبوي للأب أمّا في النسب الأمومي فيعودون إلى فخذ (نسب) الأم ولكن للأب في هذه الحالة بعض الحقوق فمثلاً لدى السوكو يطلب الأب من ابنه البقاء معه على أن يقاسمه الطرائد التي يصطادها وله جزء من المهر الذي يحصل عليه الوالد لدى تزويجه لاحدى بناته من مجموعة أخرى من النسب الأمومي.

إذا توفي الزوج وزوجته لاتزال بسن يسمح لها بالزواج فعليهما أن تتزوج أحد الأقرباء القريبين من زوجها وإذا ارادت أن تترك أهل زوجها فعليها أن تدفع جزءاً من مهرها الذي قدمه لها زوجها عند الزواج وفي هذه الحالة ينظر إلى المدة التي قضتها مع زوجها والأولاد الذين انجبتهم ،

وأطفال الرجل ليسوا اطفاله فقط فهم يعودون إلى كل الفخذ وكل منهم يدعوه بابنه. بالمقابل فالطفل لدى النسب الأمومي يعتبر كل النساء في فخذ والدته امهاته.

إن التعريف الغربي للعائلة التي تشكل وحدة /الأب والأم والابن/ غير معروف لدى المجتمعات الكونغولية ففي مجتمعات النسب الأمومي وبسبب أن الأطفال يعودون إلى نسب الأم لذلك يأخذ النسب الأمومي أهميته وكذلك الأم وتكون العلاقة بين الأم واهلها قوية لأنها في الواقع لاتشكل لدى أهل زوجها إلا جيباً مؤقتاً لدى مجتمع زوجها وتتمتع باستقلاليتها الكاملة تجاه زوجها والطلاق في هذه المجتمعات وارد جداً وهنا فالزواج والعائلة تكون لدى النسب الأبوي أكثر تماسكاً ورسوخاً . فالزوجة تنجب الأطفال الذين ينضمون إلى فخذ زوجها أمّا اهلها فعلاقتها بهم تكون ضعيفة.

وتعدد الزوجات في كل هذه المجتمعات معمول به وبكثرة وبشكل عام فكل كبار السن وحتى متوسطي الاعمار لديهم أكثر من زوجة وذلك بسبب الميل للاحتفاظ بالثروة وتنميتها . ونسبياً يجد الرجل الكهل الذي يمتد بعمره نظراً لموت أخوته أو أقربائه مكلفاًبإعالة عدة أرامل يصبحن زوجاته آلياً بعد وفاة ازواجهن. ويصل عدد هؤلاء احياناً إلى ٣٥ زوجة. وتتزوج المرأة عامة بعد بلوغ سن الرشد مباشرة وعادة يكون عدد الرجال الصالحين للزواج أقل من عدد النساء الصالحات للزواج . وهناك تفضيل لدى مجتمع النسب الأبوي بين الزوجات. فالزوجة الأولى تكون مفضلة وتتمتع ببعض السلطة على الزوجات الأخريات. وفي النسب الأمومي تكون الزوجة مستقلة ولايمكن فرض الطبقة الزوجية عليها ، ولايشكل بيت الزوجية في مجتمع تعدد الزوجات وحده بل إن عدة بيوت زوجية تتشارك بالتساوي أي أن الزوجات جميعهن يعشن في كنف واحد هو بيت الزوج وهو الأب.

ليست علاقة النسب فقط هي القاعدة في التنظيم الاجتماعي لشعوب منطقة الكونغو ، ولكن القرابة والنسب غالباً ما تفسر أنواعاً أخرى من العلاقات . وكما رأينا اعلاه ، فالتنظيم السياسي لدى شعوب الغابة هو نظام قرابة فضفاض واسع . وغالباً ما يطرح التنظيم السياسي المتسلسل نفسه لدى شعوب السافانا وذلك عن طريق وجود سيد اعلى يمكن أن يكون الأخ الأكبر أو الخال أو الأب ، بغض النظر عن العمر ، وفكرة العبودية مطروحة في نظام النسب فبأمكان احد من الناس للحصول على المال أو شيء ما أن يخضع لعبودية شخص آخر وهي في الواقع اقرب للتبني وهذه الفكرة موجودة لدى شعوب الكونغو. وعادة تنظر اغلب النظم إلى حقوقها على افراد النسب مثل الزوجات والأولاد والشباب .. الخ بأنهم مادة أو سلعة للتبادل ويصل هؤلاء في المجتمعات الصغيرة إلى صفة الممتلكات.

وأما العبيد فعدا أنهم هم وأولادهم وأحفادهم يكونون في السلم الطبقي أقل من غيرهم وبخاصة في المراسم والاحتفالات وليس لهم الحق في انتخاب خلف للزعيم ويمكن أن يعملوا لصالح المجموعة ولكن أكثر الاحيان لايعملون إلا لدى الحكام والملوك.

وللعمر أهميته في أغلب مناطق ما وراء الصحراء وبخاصة في خلق الشخصية وفي منطقة الكونغو لايشكل العمر جزءاً من عملية تعاونية كما هو الحال في درجات الاعمار المتقاربة في افريقيا الشرقية واللوبا وحدهم وجيرانهم يعظمون مجموعات الاعمار في كل قرية ولكن بشكل مختلف وتتشكل هذه المجموعات من المحاربين الشباب ثم من متوسطي الاعمار والدرجة الثالثة كبار السن وغالباً في كل مكان توجد مراسم تنظيمية لنقل الشباب من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرجولة والبداية عادة تكون في اجراء الختان . هذه العملية ذات الأهمية الكبرى في مختلف ارجاء القارة وهناك أنواع أخرى من عمليات النقل أو بالاحرى

الترفيع من درجة إلى أخرى . ففي الغابة توجد بعض الطقوس يجب أن يمر عليها الفتى وهي نسبياً بسيطة. ويأخذ الختان في جنوب السافانا للفتيان وقتاً أطول أمّا في القسم الشرقي بين الكونغو فعمليات التلقين تصاحب عملية الختان.

• التنظيم الاقتصادي : تعتبر القرية في الغابة وحدة متكاملة بحد ذاتها . ولا تضم عادة إلا بين ٢٠ - ٣٠ بيت وتنظيم البيوت على خط واحد يصلها طريق واحد مثل هذا النموذج موجودلدى حوافي السافانا المرتبطة بالغابة وعادة تتناثر البيوت في مناطق السافانا بعيدة عن بعضها بالاضافة إلى وجود تجمعات صغيرة ربما تتكاثر على مدى الأيام وتصبح محلة أو قرية أو تجمع قرى.

أمّا من الناحية الخارجية فقد استطاعت شعوب الكوبا والوندا والمسيري قبل دخول الأوربيون لأن تربط بين المحيط الاطلسي والمحيط الهندي. ومن المؤسف أن كل تجارتها تقريباً كانت تعتمد على تجارة العبيد.

اشباه الزنوج «الأقزام» في غابة ايتوري

راجع فهرست الصور

• مناطق الانتشار – التاريخ – اقسام الأقزام – النظام الاجتماعي والاقتصادي – العادات والتقاليد .

• يعتبر الأقزام من الشعوب التي تقطن في منطقة الكونغو الواسعة ولكن تصنيفهم العرقي يجعلهم قريبين من شعوب البوشمن والهوتنتوت الذين يعيشون في افريقيا الجنوبية فهم حسب علماء الإنسان ليسوا بزنوج ويمكن أن يطلق عليهم بأشباه الزنوج. وتمتد الأراضي التي ينتشر فيها حوالي (أو أكثر) من مائتي ألف من الأقزام ، بين الغابون على المحيط

الاطلسي ومرتفعات افريقيا الشرقية ولكن أهم تجمعاتهم وهـي الرئيسـية في غابة ايتوري المشهورة بالكونغو.

وقد عرف الأقزام منذ القدم . وقد وجدت آثار رجل قصـير جـداً في المقابر المصرية ، كما أشار إليهم الكثـير مـن المؤرخـين كهومـيروس في الياذته كما ذكر عنهم كثير مـن الرحالـة الذيـن زاروا افريقيـا الوسـطى. يعتقد بعضهم أنهم كانوا يعيشون على نهر النيل الأبيض كما أنهم كـانوا يقطنون الكونغو قبل وصول هجرات البـانتو في الألـف الأول للميـلاد . وقد ظل الأقزام فترات طويلة هدفاً لهجوم الشعوب والقبائل الأخرى التي كانوا يعيشون بجانبها لاستخدامهم كخـدام لهـم وللمواشـي وللمحـاربين وبخاصـة الواتوسـي مـن شـعوب روانـد وبورونـدي كمـا كـانوا يعملـون لاقتناص نسائهم للزواج منهن لعدم وجود المهر . وربما كـانوا في المـاضي أكثر نفوذاً واتساعاً في الأرض لأن كثيراً من عادات الشـعوب الافريقيـة تعود للأقزام ويعيـش الأقـزام حاليـاً باتصـال وثيـق مـع جـيرانهم السـود فالأقزام يقدمون اللحوم التي يحصلون عليها من الصيـد ويبادلوهـا بـالموز وزيت الفول السوداني والأشـياء الأخـرى ، فـلا توجـد لدىالأقـزام أي صناعـة أويشـتهرون بـأي فـن سـوى الصيـد الـذي اتقنـوه بخاصـة صيـد الحيوانات الكبرى كالفيل وغيرها ويستخدمون في ذلك الاسـهم السـامة ويحصلون على السم من بعض النباتـات المعروفـة لديهـم. كمـا نجـد كـل جماعة من الأقزام يحميها زعيم أسود وينتقل عـبء الحمايـة مـن بعـده إلى ولده.

ويمكن تقسيم الأقزام إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

١ – الأقزام الشرقيون أو البامبوتي –با Bambouti - Ba : أي رجال الغابة ويقسمون إلى قبائل الآكا – الأيجي Eje – البازوا وهـم أكـبر المجموعات ويقطنون غابة ايتوري المشهورة.

٢ – اقـزام المنطقـة الوسـطى : وهـم جماعـة البـاكوا Bacwa .

وينتشرون في منطقة الأنهار التي ترفد نهر الكونغو من اليسار ثم جماعة البابينغا Babenga وينتشر هؤلاء في منطقة الأوبانجي والسانغا.

٣ - الأقزام الغربيون : ويقطنون في الغابون وهم جماعة آكوا Akwa والبابونجو . والبيكوي وهناك قسم آخر ينتشرون في الكاميرون وهم الباكا والباجيلي.

وأبرز صفات الأقزام قصر قاماتهم ولايتجاوز طول الواحد منهم ١٥٠سم . ووزن الواحد لايتجاوز ٣٢كغ والنساء عادة أقصر من الرجال وأنحف. وأما لون جلدهم فهو أسود فاتح أو أسمر مخضب بالحمرة , وعند ولادتهم تكون جلودهم بيضاء ثم تسود فيما بعد . والذين يعيشون حول بحيرة /كيفو/ أكثر سواداً وأطول قامة وأثقل وزناً من الذين يعيشون في البلاد المنخفضة. وشعورهم على العموم قصيرة وكثيفة وجعدة أو مفتلة وشعر اللحية كثيف كما أن بقية اجسامهم مغطاة بالشعر على عكس السود . ورؤوسهم مدورة وأنوفهم مسطحة وربما يكون بسبب الرطوبة وترسم الشفة العليا فوق خطها الأوسط انحناءه محدبة نموذجية . وتناسب أجسامهم خاص بهم حسب بيئتهم فالرأس ضخم والفكان بارزان مع العيون الضيقة المغولية ، والأرجل على العموم قصيرة وأصابع الأقدام طويلة لتساعدهم على تسلق الأشجار وسواعدهم طويلة ومفاصلهم مرنة . ويملكون قدرة قوية وتحملاً شديداً ، لذلك باستطاعتهم الركض سريعاً ولفترة طويلة، وبعدها بامكانهم الأكل بكميات كبيرة مباشرة وبخاصة اللحم وهم أكثر مقاومة من شعوب البانتو(جيرانهم) للطقس الاستوائي ولأمراضه وبخاصة الملاريا وقصرهم يساعدهم على خفة الحركة والركض سريعاً في الغابات الكثيفة وقصرهم لايضعف من قوتهم لأنهم يأكلون كثيراً من المواد التي تحوي البروتين /اللحم والحشرات/ ولا يصابون بنقص الهرمونات ، ولديهم أعلى معدل من البلازما في دمائهم ، والغدد الشحمية عند الأقزام ذات أفرازات لها

رائحة خاصة كما أن تنفسهم أبطأ من غيرهم كما يوجد اختلاف في التركيب الدموي عن غيرهم وأعضاؤهم التناسلية ليست صغيرة حسب اجسامهم بل إنها ذات قياس عادي.

ويقطن الأقزام في عمق الغابات ومراكز سكنهم عبارة عن حلقات من الأكواخ المبنية على شكل دائرة فوق جذور الأشجار الغابية الضخمة ، وبناء الأكواخ من اختصاص النساء ويتألف الكوخ من مجموعة من الأغصان على شكل قوس تغطى جوانبه بالأوراق والنباتات العريضة والباب هو الفتحة الوحيدة في الكوخ . وذكر الرحالة ستانلي أن أكواخهم تشبه البيضة المقسومة طولانياً . وتحوي القرية (الوحدة السكنية) حوالي خمسين كوخاً وتكون محاطة بسور له باب واحد . وتبنى عادة بشكل مؤقت حيث تتغير القرية حسب أماكن الصيد ، ولكن لاتتعدى مطلقاً المنطقة المخصصة لأفراد القرية للصيد ضمنها ويستخدم الأقزام في بعض الأحيان المغاور كملجأ لهم ، وهناك اختصاص في العمل بين الرجال والنساء فالرجال للصيد والنساء لالتقاط الغذاء من الغابة والمشكل من الدرينات وبعض سوق النباتات الطرية ثم الحلزون والسراطين ودود الأخشاب والقنفذ والافاعي وعسل النحل وغيرها من منتجات الغابة . وللصيد طقوس تبدأ دائماً بالرقص حيث تبقى النساء يرقصن حتى يذهب الرجال إلى الصيد في اليوم الثاني. ويستخدم الرجال للصيد عدا السهام الحراب الطويلة حيث يهجمون على الفيل بالحراب ويركزون الهجوم على القوائم الخلفية لقطع أوتارها ، وما أن يقع الفيل في الأرض حتى يقطعوا خرطومه لتنزف دماؤه ، والحيوان الوحيد الداجن لديهم هو الكلب.

وعملية الختان موجودة لدى الأقزام وكذلك تعدد الزوجات والزواج غير اجباري من فخذ آخر أو مجموعة أخرى إلا انهم يمتنعون عن الزواج من العائلة الواحدة ولايوجد مهر للزواج بل يتم عن طريق

المبادلة (المقايضة) فالخطيب يعطي أخته لأخ الخطيبة أو إحدى قريباتـه إلى جماعة خطيبته وإذا كانت إحدى الفتيات التي وقع عليها اختيـار التبـادل عقيمة فلزوجها الحق بطلب أخرى ويسير الرجال والنساء عادة عراة إلا من جدائل من ورق الشجر لإخفاء العورات من الأمام ومن الخلف.

لايوجد تنظيم سياسي أو قبلي وحتى اجتماعي بين الأقـزام ، فجماعة الرجال الذين يتجاورون ويمارسون الصيد سـوية يكونـون عـادة اقرباء لذلك يعترفون بسـلطة اكـبرهم سـناً ، أمّـا الوحـدة الرئيسـية الـتي لاتتغير فهي العائلة التي تضم الزوج والزوجة والأولاد الصغار فقط.

يبدو من الصعب التعرف جيداً على ديانة الأقزام بسبب كـثرة مـا دخل عليها من أمور أو تأثيرات من جيرانهم البانتو ، وعلى هذا الأسـاس فهناك نوع من عبادة الأرواح (الاسلاف) المنتشـرة لـدى البـانتو . ومـع ذلك يؤكد الدارسون لديانات الأقزام وجود عبادة الاله الواحـد. فهنـاك أهمية كبرى بالنسبة إليهم وجود قوة هائلة يعتقـدون بوجودهـا في القبـة الزرقاء (السماء) ينظرون إليها في بعض الأحيان بأنهـا قـوة خالقـة للخلـق «و تظهر في بعض الأحيان علـى هيئـة رجـل لـه لحيـة طويلـة» وهوسـيد العواصف والرعد والبرق وقوس القـزح ويطلـق عليـه في بعـض الأحيـان الأب أو الجد الكبير ويقدم البامبوتي في غابة ايتوري له الذبائح مثل قلب الحيوان المذبوح أو قطعة من قرص العسـل والفاكهـة. وهنـاك تضـرع أو دعاء لدى مجموعة «أيفيه» يوجه إلى الكائن المعروف لديهم باسم «توره» وهو الذي يعمل كل شيء ، ويخص كل شـيء .. لذلـك يتضرعـون إليـه قبل الصيد ويقولون «توره اعطنا الطعام» وتوره هـو الـذي يـأخذ الموتـى لنفسه. وهو الذي يقتل أو يقضي على الأشرار بواسطة الرعد كما توجد لدى الأقزام عبادة خاصة للقمر.

أمّا تقليد السحر والسحرة فـلا يمكـن تميزهـا عمـا لـدى جـيرانهم البانتو ، كأشعال النـيران لطـرد العاصفـة ، ورمـي الأوراق فيهـا لتبعـث

دخان كثيفاً .. وكذلك تثبيت القطعة الخشبية التي شحذ بها الوعل قرونه في القوس المستخدم للصيد لإعطائه القوة . وكذلك وضع بعض الاغصان الصغيرة التي لمستها الصواعق فوق الأكواخ لابعاد الصاعقة عنها .

أمّا طريقة الدفن ، فهي تشبه طرق جيرانهم البانتو ، فذلك بتقديم الطعام للموتى والطقوس التي تمارس لطلب العون من الاجداد قبل بدء عملية الصيد ، ويبدو أنهم كانوا قديماً يتركون المنطقة التي يدفن فيها الميت في كوخه ، وربما تكون حياة الأقزام آخر مظهر من مظاهر حياة الانسان البدائية التي كانت سائدة في الأزمان الغابرة .

الفصل السادس

وسط شرق افريقيا

• تمهيد

(١)

البانتو والشرقيون

أولاً : شعب البحيرات

١- الشعوب واللغات : الغاندا - الأنكول - النيرو - الرواند - البوروندي - الواتوسي - الهوتو - التورو.

٢ - الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

ثانياً : البانتو الشماليون الشرقيون .

الكيمبا- الكيكويو - الشاغا chaga

• التنظيم الاجتماعي

١_ السياسي المحلي : طبقات الاعمار والمجالس.

٢- الحياة الاجتماعية - العائلة - النسب - القرابة والزواج - العادات والتقاليد - الديانة والاعتقادات.

ثالثاً : البانتو الجنوبيون الشرقيون

(٢)

المجموعة النيليه

أولاً - الحاميون النييليون :

• الشعوب واللغات : الماساي - الباري - التاندي - لوكوكو

• التنظيم الاجتماعي

١ – السياسي

٢ – الحياة الاجتماعية – العائلة – القرابة – النسب والزواج – العادات والتقاليد

• التنظيم الاقتصادي

• الديانات

• ثانياً النيليون :

الشعوب واللغات : الشيلوك – الدنكا Dnka – النوير

(٣)

الممالك البانتويه في وسط شرق افريقيا

مملكة – بونيرو – كيتارا – مملكة بوغندا – كاراجوه

• التنظيم السياسي والثوابت المشتركة.

الفصل السادس

وسط شرق افريقيا

راجع فهرست الخرائط

تمهيد :

تضم منطقة شرق افريقيا بمفهومها الواسع كل المنطقة الواقعة بين مصر وجنوب افريقيا على طول ساحل المحيط الهندي والبحر الأحمر وتضم عدداً من المناطق (اقسام) ففي الشمال والشرق توجد مناطق السودان الكثيفة الأشجار ومناطق الصومال نصف الجافة وتفصل بينهما المرتفعات الأثيوبية وهي التي تعرضنا إليها في الفصل الثاني. وفي الوسط توجد المناطق الخصبة العائدة للبحيرات الكبرى فكتوريا - البرت تنفانيكا

ملاوي ادوار سوبوتو (البرت)... الخ والمرتفعات حول جبل كينيا وكليمانجارو وما تبقى فهوسافانا مع منخفض الأخدود العظيم الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب وهي المنطقة موضوع هذا الفصل أمّا المنطقة الثالثة فهي الواقعة جنوب شرق افريقيا أو وسط وجنوب افريقيا وهي موضوع الفصل القادم.

وتنتشر في وسط شرق افريقيا شعوب تعود إلى :

- مجموعة المتكلمين بلغة البانتو (أو لغات البانتو).
- مجموعة الشعوب النيليه والنيليه الحامية.

ونظراً لتشعب المنطقة وكثرة شعوبها وتداخلها من الناحية العرقية فقد شهدت المنطقة تداخلاً كبيراً بين المجموعتين المذكورتين أعلاه لذلك وفي محاولة لتسهيل الموضوع يمكن تقسيمها إلى منطقتين الأولى الساحلية والثانية الداخلية والمنطقة الداخلية وهي قسمان (القسم أو المنطقة الشمالية والقسم الثاني وهو منطقة البحيرات والواقع أن تاريخ المنطقة الساحلية ارتبط بتاريخ الشعوب التي استقرت فيها وقدمت إليها من الخارج بخاصة من جنوب الجزيرة العربية وبعض سواحل المحيط الهندي كما ارتبط بتاريخ الشعوب التي تتكلم اللغة السواحلية في تنزانيا قبائل الشاغا والنياموزي وسوكوما وغيرهم وهناك أيضاً بقايا الأعراق الأثنية الأخرى وهم الصيادون الأوكيك والدوروبو والهادزا وقسم من الأقزام. وتضم المنطقة الشمالية الشرقية الداخلية الشعوب التي تتكلم اللغة السودانية وهم الرعاة في وادي النيل مثل الشلوك - الدنكا واللووالنوير .. الخ من الشعوب النيليه ولكن في السهول الوسطى من المنطقة يوجد الماساي والناندي وهم اللذين يطلق عليهم الحاميون النيليون كما يوجد هناك قسم من المتكلمين باللغات الكوشبه من الصوماليين والغالا إلى الجنوب من هذه المنطقة ارتبط تاريخها بالشعوب التي قطنت حول البحيرات من المتكلمين باللغات النيليه والمتكلمين

باللغات البانتويه حيث ظهرت هناك مراكز قوية لممالك البـانتو الغـاند - النيورو رواندا بورونـدي .. الخ . وفي المرتفعات الكينيـة ارتبـط تاريخهـا بتاريخ قبائل الكيكيو واللوبا.

اغلب المناطق كثيفة السكان وملائمة للحياة الانسانية بـالرغم مـن وجودها قرب خط الاستواء الذي يمـر في منتصفهاتقريبـاً وذلـك بسبب الارتفاعات كما تنمو فيها مختلف المحاصيل التقليدية بالاضافـة إلى القطـن والقهوة وتنمو حول بحيرة فكتوريا أنـواع الدرنيـات الموجـودة في غـرب افريقيا وبالاضافة إلى الزراعـة تشـتهر بثروتهـا الحيوانيـة كـالبقر وبخاصـة الماعز والاغنام والحمير ويغلب على السـكان العمـل بالزراعـة واكـثرهم ينتمي إلى مجموعة المتكلمـين بلغـات البـانتو أمّـا المجتمعـات الرعويـة فهـي النيليه والحامية النيلية.

وقد ساعد مثل هذا الطقس الملائم والأرض الخصبة على اسـتيطان قديم للأنسان وحسب قول العلماء إن أول سكان البـلاد يعـود تـاريخهم إلى ثلاثة ملايين عاماً وهناك دلالات وشواهد كثيرة على تطـورات هامـة للرجل شبه الانسان الحالي والأدوات التي صنعها والحيوانات التي دجنهـا والزراعات التي اقامها خـلال العهـود القديمـة وظهـرت ثقافـات متعـددة أهمها ثقافة الحديد وثقافة النسيج (الويلتون).

وأهم الشواهد على تطورات المجتمعات والأفراد في تلك الحقبـات السحيقه الرسوم والصور الموجودة في كهوف جنوب افريقيا وهي تشبه من ناحية المبدأ الرسوم الموجودة في الصحراء الكـبرى رغـم عـدم وجـود أية صلات فيما بينهما.

وقد جلبت ثقافـة الحديـد معهـا ثـورة في إنتـاج الطعـام وسـاعدت الزراعـة ورعايـة الماشـية بشـكل واسـع علـى اسـتيطان أوسـع وأبعـد للمجتمعات الموجـودة ، وزاد في الوقـت ذاتـه تعقيـد الحيـاة الاجتماعيـة والتنظيم السياسي وتاريخ ما قبل العهد الاستعماري يهتم بـالتطور الـذي

حدث للمزارعين من الدور الحديدي ودخولهم في الاجتماعات الأفريقيه الحالية .

هذا التحرك الواسع في انتشار ثقافة الحديد ما هو في الواقع إلا قسم من تحرك ثقافة الحديد اعتباراً من نقطة أصلها من غرب افريقيه حيث تم احتراق المناطق المشجرة الواقعة جنوب منطقة الغابات المطيرية الكثيفة الواقعة في وسط افريقيه والصورة القديمة للغزاة من البدو المتكلمين بلغات البانتو وهم يتقدمون داخل افريقيا الجنوبية (وراء خط الاستواء) بأسلحتهم المصنوعة من الحديد طاردين اماهم السكان القدماء ، لاتوحي بأن عدد هؤلاء كان قليلاً ويمثلون هجرة بسيطة بل كان هجرة كبيرة استطاعت أن تمحي السكان المحليين القدماء ، ومع النصف الثاني للألف الأول للميلاد أخذت ثقافة الحديد تضم التعدين بالنحاس والذهب ففي زيمبابوي لوحدها يوجد أكثر من ١١٠٠ منجم للذهب قبل التاريخ و١٥٠ منجم للنحاس.

في بداية القرون الأولى للمسيحية كان الساحل الشرقي الأفريقي معروفاً للتجار من الرومان والأغريق إلا أن هذا التماس توقف بعد ظهور الإسلام ووصوله إلى الساحل الشرقي الذي اصبح يسمى ساحل التجارة وأصبح قسماً من تجارة المحيط الهندي الكبرى . وفي القرن الثامن وصل التجار العرب القادمين من المستوطنات الواقعة في الشمال الشرقي وأخذوا يترددون على الموانئ . وكان الذهب والنحاس المادتين الرئيسيتين للتصدير. وفي القرن العاشر كانت تجارة الذهب في سفاله (موزامبيق) معروفة جيداً فيما يعرف حالياً بالشرق الاوسط ، وفي القرن الرابع عشر سيطرت على هذه التجارة مدينة كلوة (حالياً كيسيواني) وكان هناك في القرنين الحادي عشر والخامس عشر ٣٧ مدينة جديدة اسست وتوزعت على طول الساحل حيث كانت الطرق التجارية عبر الغابات تصل بين الساحل ومنطقة انتاج الذهب في بينها لونفا /واتيانفا/

في زيمبابوي ومع مناطق انتاج النحاس في كتنفا . ومن المحتمل أيضاً مع بحيرة ملاوي حيث تسرح القطعان الكبيرة من الفيلة للحصول على عاجها ومن المعروف أن هذه المدن لم تتوحد من الناحية السياسية تحت سلطة واحدة ولكن كان يسودها ثقافة مشتركة افريقيه - عربية وبالتحديد سواحلية ادهشت البرتغاليين عند وصولهم إليها في القرن الخامس عشر. ولقد اعتمد العرب على الوسطاء الأفريقيين الذين كانوا يحملون للتجار موادهم التجارية من الداخل إلى الساحل وعلى ظهور الرجال ، وكانت هناك معاملة جيدة تجارية وكانت الطرق تتبع الطرق والشبكات الاقليمية القديمة ثم افتتح التجار العرب لأنفسهم طرقات جديدة تصل إلى الداخل.

وقد ساعدت الرياح الموسمية أو ما يعرف بالرياح التجارية بسبب انتظامها وهبوبها من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب على اتصال القارة بخارجها ولاتزال مثل هذه الرحلات موجودة حتى الوقت الحاضر وقد اقام العرب بالاضافة إلى المدن الساحلية المدن التجارية الداخلية التي استقرت بداخلها البيوتات والجاليات العربية التجارية كمدينة تابورا الواقعة في تنزانيا حالياً ، وهم الذين اشادوا مدينة كيسينفاني (ستانلي فيل) وكانت تعرف باسم (كوسينفو) بالاضافة إلى مدينتيجدي وكيبيلوا القريبتين من ميناء ممياسا للداخل وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ثم مدينة اونغوا بالقرب من مصب نهر تانا في كينيا التي تأسست في القرن الثالث عشر.

كما ربط الأخدود العظيم هذه المنطقة بالصومال واثيوبيا والبحر الأحمر شمالاً وبنهر الزامبيزي وما وراءه جنوباً ، وعن طريق وادي النيل ارتبطت بالسوادن ومصر فانحدرت إليها من الشمال شعوب حامية ونيليه وصعدت إليها من الجنوب شعوب بانتوبه إثر الحروب المعروفة باسم ميفكان والتي اشعلتها قبائل الزولو بقيادة الملك المشهور شاكا

لذلك تشكل المنطقة حقلاً مميزاً - اختلطت فيه العروق واللغات - للدراسات الاجتماعية ، ومنذ زمن طويل استقرت فيها شعوب قوية على مستوى جيد من التنظيم بالنسبة إلى غيرها من المناطق وظهرت فيها ممالك أكثرها شهرة ممالك اليوغندا والبونيرو وكاراغوه ، ورونـدا وبوروندي.

لقد تلقت اغلب هذه المجتمعات مقادير متفاوتة من هجرات حامية وبالأضافة إلى الأختلاط العرقي جاءت العناصر الحامية بفكرة الملكية المقدسة بالاضافة إلى ثقافة الحديد مما يشير إلى وجود اتصال مع الحضارات السابقة مثل مروه / في السودان كما سبب تقدم النيليين نحو الجنوب ظهور مشاكل اجتماعية فقد قبلت شعوب المنطقة من البانتو الزراعين لعب الدور الثاني في حين تشكلت طبقة ارستقراطية حاكمة مزدوجة من الهيما ذوي الأصول الأثيوبية (أو الهوما أو الواتوسي أو التوتس) ومن الفاتحيين النيليين البيندا والهيندا رعاة البقر.

«البانتو الشرقيون»

أولاً : شعوب البحيرات :

تعتبر منطقة البحيرات إحدى مناطق الجذب في القارة الأفريقية في العصور القديمة والحديثة نظراً لاعتدال مناخها وكثرة أمطارها ومياهها وكلمة (سويسرا افريقيه) كلمة متواضعة بالنسبة لما حباها الله من جمال الطبيعة الآخاذة وبخاصة ظواهرها الطبيعية من بحيرات ضخمة كبحيرة فكتوريا وشلالات النيل المرتفعة كشلالات موريشسون فولز العالية وجبالها المرتفعة المكللة بالثلوج كجبال روينزوري (جبال القمر) ، وقد اطلق عليها احمد بن ابراهيم المبشر العربي الاسلامي الذي كان أول من دخل اوغندا من العرب في الأربعينيات من القرن التاسع عشر «وديان الجنة» لذلك كانت مجالاً لظهور شعوب قوية اقامت ممالك منظمة.

الشعوب واللغات : وتنتشر بعيداً إلى الغرب بين البحيرات

الكبرى الشعوب التي كانت لها علاقة مع المماللك التي ظهرت في المنطقة من الناحية اللغوية والتاريخية وهذه الشعوب هي :

١ - الفاندا : ويعودون إلى البانتو الشرقيون وعددهم مليون شخص وكانوا يشكلون العمود الفقري لمملكة البوغندا الشهيرة التي ظلت قائمة إلى بعد الحرب العالمية الثانية ويقطنون غرب وشمال بحيرة فكتوريا . ومن الناحية الفيزيائية يمكن أن يوصف الفاندا بأنهم مختلفون فيما بينهم بخاصة لون الجلد ونموذج الأنف وسماكة الشفاه وهذه الصفات يمكن أن نشاهدها عندما تتعرض للصفات الفيزيائية للشعوب التي تحمل دماء الزنوج والحاميين إن كان على مستوى العائلة أو الفخذ وعلى العموم فهم أقوياء البنية وبطول متوسطي ١٦٤ سم وكانت بحيرة فكتوريا مجالهم الواسع وكانوا يسافرون عبرها بزوراق طول الواحد منهم أكثر من خمسة عشرين متراً.

٢ - الأنكول : ويطلق عليهم بانياكول (أونياكول) وهم يعودون أيضاً للشعوب البانتو الشرقية وينتشرون في المنطقة الواقعة بين بحيرة ادوارد وبحيرة جورج وحدود تنزانيا جنوب غرب اوغندا ويبلغ عددهم أكثر من مليون شخص . وكان لهم أيضاً دولتهم الخاصة.

٣- النيرو : ينتشرون في المنطقة الشرقية من بحيرة البرت في اوغندا بين نيل فكتوريا ونهر كافو ، ويبلغ عددهم أكثر من مليون ونصف شخص ولونهم افتح من غيرهم ويطلق عليهم في بعض الاحيان باشويزي وهم يعتقدون بأن الباشويزي هم العائلة المالكة التي سبقت حكم (البيتو) اساس العائلات المالكة في اوغندا.

٤ - الروانـدا : وعددهم ٠٠٠ر٠٠٠ر٧ نسمة وهم قسمان الهوتو ٩٠٪ والتونسي ١٠٪.

٥ - البوروندي : وعددهم ٠٠٠ر٠٠٥ر٥ نسمة والهوتو ٨٥٪ و١٠٪ التوتسي و١٪ تواس.

٦- الهوتو مجموعة عرقية بانتوبه تنتشر في كل من رواندا وبوروندي ويشكل الهوتو الأغلبية ٨٥٪ ولكنهم يعتبرون انفسهم تابعين لشعب التوتسي والهوتو على العموم قصير القامة ممتلئ الجسم وقوي ونامي العضلات . وبسبب اختلاطهم بالحاميين اصبح كثير منهم فاتح اللون مع نحافة في البنية ، وعندما وصل الهوتو قادمين من المناطق الاستوائية في الحزام الشمالي وجدوا امامهم شعب التواس (أو التوا وهم شعب قزم من الصيادين وقد اجبروا على الفرار قبل وصول الهوتو ، وينتظم الهوتو في جماعات زراعية وتنظيمات اجتماعية تستند على قاعدة الفخذ وكان لديهم بعض الملوك «باهينزا» ولكن لم تكن لديهم السلطة وعندما وصل التوتسي أبعدوا هؤلاء وحلوا مكانهم.

٧ - التوتسي : أو الباهوتسي أو الواتوسي وهم مجموعة عرقية نيليه ووجودهم في ممالك رواندا وبوروندي هو الذي جعلنا نضعهم ضمن الشعوب البانتويه . وهم مشهورون بقاماتهم الطويلة التي تصل دائماً أكثر من مترين. وهم نسبياً بلون فاتح ، وقد اخترق التوتسي المنطقة بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر قادمين من الشماليين يتلمسون بلاداً جديدة يستوطنون بها وبسبب محاربيهم الأشداء استطاعوا السيطرة على القبائل الموجودة من الهوتو عن طريق تسرب هادئ وسلمي واسع. وقد اقام التوتسي علاقات عشائرية من الهوتو المزارعين وهم يملكون البقر ويبدو أنهم كانوا ارقى من الهوتو ولديهم معارف حضارية وكانوا يقدسون ملوكهم وهناك اعتقاد بأنهم هم الذين أدخلوا فكرة الملكية المقدسة في حين أن بعضهم يعتقد بأنها أتت من الجنوب في تاريخ قديم وبالتحديد من مملكة زيمبابوي والممالك الأخرى الجنوبية كدولة مونوموتابا. وقد ظل التوتسي في توسع وسيطرة على الهوتو رغم وصول الاستعمار الأوربي (الألماني) في نهاية القرن التاسع عشر.

٨ - التورو : وهم من الشعوب البانتوبه وينتشرون في

جنوب غرب اوغندا في الهضبة الواقعة شمال نهر كاتونفا بين جبال القمر ومقاطعة ماهيندا في مملكة البوغندا وهم ثقافياً ولغوياً يشكلون قسماً من النيرو وقد انفصلوا عنهم في بداية القرن التاسع عشر تحت حكم أحد أمراء النيرو ويعدون حوالي ٢٠٠ ألف .

• الحياة الاجتماعية والاقتصادية :

يعمل أكثر شعوب منطقة البحيرات بالزراعة حيث يزرعون القطن والقهوة والدخن والحبوب الدرنيات والجلبان ويربون الماشية من غنم وماعز وقليل من الأبقار لدى الفاندا أمّا الأنكول وشعوب التوتسي وطبقة الهيما فتحتقر الزراعة ولاتعمل إلا في تربية الأبقار التي يعتبرونها مجال فخرهم ونبالتهم.

والعائلة هي الوحدة الرئيسية وينتسبون للأب ولديهم تعدد الزوجات والختان للفتيان والفتيات ويمنع الفاندا الزواج من الأقارب وعادة ما يكون المهر عدداً من الأبقار ويقسم الفاندا إلى ٥٠ فخذاً ولكل منهم رموزه وطواطمه الأصلية والثانوية التي هي الحيوانات التي لايؤكل لحمها ويقسم النيرو إلى حوالي ١٥٠ فخذاً أو عشيره، واغلب هذه الشعوب تقسم إلى مجموعتين رئيسيتين (عرقية) الرعاة الهيما نحفاء البنية والأيرو بلونهم الفاتح ونسبتهم في الشعب ٩٠٪ وهم مزارعون ويمنع الزواج بين أفراد هاتين المجموعتين ويعيش الهيما بمستقرات يتزواح عدد الواحده ٤٠ – ٥٠ كوخ ، وكوخ رجل من علية القوم في اوغندا هو اعلى مستوى من الكوخ الأفريقي وتكون هذه الأكواخ رحبةً ومخروطية ومبنية بنظام جميل ومبني من الخوص والخيزران المجدول ويرتفع الكوخ في بعض الأحيان إلى عشرة أمتار وهي جافة ومريحة صيفاً وشتاء.

تعود جميع اللغات المنتشرة إلى قسم لغات البانتو العائدة إلى عائلة اللغات الكبرى النيجر – الكونغو وهناك لغة مشتركة معروفة باسن كيروندي في بوروندي وكينيا ثم لغة رواندا في رواندا واللغتان لهما

علاقات مع - لغات البانتو - وتتزاوج دياناتهم بين عبادة الاسلاف والظواهر الطبيعية وهناكمجمع للملوك الآلهة (الملوك المقدسون) وتنتشر في هذه الشعوب الديانات المسيحية والاسلامية.

ويبلغ عدد سكان اوغندا احصاء ١٩٩٠) ٥ر١٥ مليون نسمة منهم ٣١٪ كاثوليك ٢٠٪ بروتستانت ١٠٪ مسلمين ٢٧٪ ديانات محلية وأما في رواندا وبوروندي وعدد سكان الأولى ٧ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة والثانية ٥ر٥٠٠ر٠٠٠ فالنسبة تقريباً واحدة ٤٥٪ ديانات محلية والباقي ٣٥٪مسيحيون ٢٠٪مسلمون.

وقد اشتهرت هذه الشعوب بكثرة ادواتها الموسيقية واشهرها الطبول ذات الأنغام السحرية والطبل لدى ممالك البحيرات أحد رموز السلطة . وسنتعرض للحياة السياسية لهذه الشعوب عند البحث حول الدول التي نشأت حول البحيرات لأن هذه الشعوب هي وحدها التي أقامت دولاً منظمة وقوية.

ثانياً : البانتو الشماليون الشرقيون : وينتشر هؤلاء في كينيا وحول جبل كليمانجارو . وتضم هذه المجموعة عدداً كبيراً من الشعوب والقبائل وسنختار ثلاثة من أكبر القبائل وهي التي يمكنها أن تعطي فكرة واضحة عما كانت عليه المجتمعات الأفريقية في تلك المنطقة وهي :

• الكيمبا أو الكامبا أو الواكيمبا : وهي من أكبر القبائل في شرق افريقيا وهي يسيطرون على قسم من المنحدرات العائدة للمرتفعات الشرقية بين المجرى الأعلى لنهر تانا والخط الحديدي الواصل حالياً إلى اوغندا في داخل اوغندا ويبلغ عددهم مليون شخص ، وهم يجاورون قبائل الكيكيو من الغرب والشمال الغربي . ومن الجنوب قبائل الماساي الحامية - النيليه وهم اعداؤهم الحقيقيون ويتمتع الكامبا ببنيته القوية وطول وسطي ١٦٠سم وينقسمون إلى عدة عشائر طوطمية ويبدوأنهم يسمون باسماء اجدادهم قبل الطوطم ولكنهم يفضلون اسم

الطوطم وغالباً ما يعتقدون بأنهم يمتلكون خصائص الطوطم وبخاصة إذا كان حيواناً فهناك اعضاء لفرقة الأسد أو فرقه الضبع .. الخ.

• الكيكيو يعيشون في وسط كينيا حول جبل كينيا المرتفع ويشكلون ٢٠٪ من سكان كينيا وقد وصلوا إلى المنطقة المعروفة باسم فورت هيل قبل عدة قرون ، وتقول روايتهم التقليدية التي تحدد اصولهم بأنهم جاءوا من منطقة بعيدة في الشرق وانهم احفاد جنس من الصيادين وانهم تدرجوا من مهنة الصيد وانتقلوا إلى الزراعة . ورغم استغلالهم للأرض إلا أن مناطقهم اشتهرت بخصوبتها وهي المعروفة باسم المرتفعات البيضاء التي بسببها قامت ثورة الماو ماو بعد وضع الحكومة البريطانية يدها على تلك الأرض واقامت فيها مستوطنات بيضاء ، وهناك اعتقاد بأنهم والكامبا من اصل واحد ويعيش هؤلاء يقربهم في الجنوب الشرقي لذلك كانت بين الطرفين علاقة وثيقة وعادات وتقاليد واحدة وبخاصة من الناحية اللغوية ولكن الكيكيو يختلفون قليلاً من الناحية الفيزيائية فهم اطول من الكيمبا . وقد استطاع الكيكيو استصلاح اراض زراعية كثيرة عن طريق الحرق وكان امتدادهم جنوباً حتى سهل آذي في كينيا وغرباً إلى السهول السوداء في منطقة ابيردار وشمالاً حتى جبل كينيا المعمم بالثلج الدائم والمحاط بالاحراش والغابات ذات الشجر العالي وكان تقدمهم قوياً وراسخاً رغم وجود قوى محلية بدائية كانت تسكن المنطقة . ويبدو أن توسعهم نحو المناطق الجنوبية الشرقية لم يلاق النجاح المطلوب بسبب مقاومة أقربائهم الكيمبا لذلك أصبحت الأرض التي تعرت من أشجارها الممتدة من الشمال إلى الجنوب شرق فورت – هبل منطقة محايدة بين الطرفين ، ومع ذلك ظل الصراع طويلاً بين الطرفين وعندما حاول الكيكيو الامتداد شمالاً وراء نهر نيري اصطدموا بقبائل الجالا في شمال كينيا كما توقفت العائلات التي هاجرت إلى الغرب واحتلت تدريجياً اطراف (ابيردار) توقفت هي الأخرى بسبب رداءة الطقس

وبرودته ووجود الأرض الجرداء القاحلة وفي الجنوب استطاعوا احراز تقدم ملموس في بداية القرن التاسع عشر حتى نهر شانيا إلى أرض كيمامبو ، وقد تتابع توسعهم جنوباً طيلة ما تبقى من القرن المذكور عدا بعض السنين التي لم يستطيعوا فيها إيجاد أرض تستوعبهم أو شكل حافزاً للتنقل والأستيطان . وهنا أيضاً شكل الماساي حاجزاً أمام توسع الكيكيو ، كما أن السهول الجافة لم تكن لتجذبهم كشعب مبتدئ زراعياً وفي تلك السهول كانت السيطرة للمحاربين الماساي ولم يكن بالامكان قهرهم . وهنا أيضاً اضطر الكيكيو للاحتماء وراء حزام من الغابات على طول الحدود الجنوبية من غارات الماساي حيث وقف الكيكيو بالمرصاد للمغيرين بأفخاخهم وسهامهم المسمومة وهناك ادلة تشير إلى انهم وصلوا إلى أبعد حدود توسعهم في القرن التاسع عشر ، ولكنهم ابتلوا بعدة جائحات من الجدري والتي وصلت ذروتها علم ١٨٩٠ وقد انهكت قواهم لذلك خف الضغط لفترة من الزمن على التوسع.

• الشاغا : وهو النموذج الثالث للبانتو الشماليين الشرقيين وله اهميته وينتشر هؤلاء في المناطق حول جبل كليمانجارو ولم يشكل هؤلاء كما هو الحال بالنسبة للكيمبا والكيكيو شعباً موحداً في القرن التاسع عشر ولكنهم في القرن العشرين أخذوا يلعبون دوراً هاماً في تطور جمهورية تنزانيا الحديثة ويبلغ عددهم أكثر من ٥٠٠ ألف ويتشكل الشاغا من عدة عناصر أتت من مختلف القبائل المجاورة بخاصة الواتينا الذين يعيشون في وسط تنزانيا والكيمبا. ومن المحتمل أنهم وصلوا إلى اطراف جبل كليمانجارو العالي والمعمم بالثلج الدائم واستقروا هناك في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر وربما اضطروا للارتفاع حول الجبل المذكور بسبب تقدم الماساي للدفاع عن انفسهم وكان الشاغا يتألفون في زمن مبكر من حوالي (٤٠٠) فخذ ينتشرون ضمن اقطاعيات عشائرية كثيرة .

• التنظيم الاجتماعي :

١) السياسي المحلي وطبقات الاعمار والمجالس

تتراوح الأنظمة السياسية القبلية في شرق افريقيا قبل وصول الاستعمار الأوربي بين أقصى ما يمكن من الأوتوقراطية الفردية والتي تمثلت بالممالك واقصى ما يمكن من الديمقراطية التي تصل في بعض الاحيان وغالباً – إلى الفوضى ويفتخر جوموكينياتا دائماً بأن قبيلته الكيكويو كانت تتمتع دائماً بنظام ديمقراطي. وعلى كل حال فالشعوب الثلاثة لم تكن لديها في كل الاوقات حكومات مركزية أو سلطة واحدة كما هو الحال في شعوب البحيرات بل كانت السلطة ضمن نظام ديمقراطي فضفاض يعتمد على مجموعة من الأفخاذ ومجموعات الاعمار المتقاربة (الجيل الواحد) وعلى قمة السلطة مجلس كبار السن.

وتتجمع العائلات ضمن الأفخاذ التي هي الوحدة الأولى للأدارة والسلطة . ولكل فخذ مجلس منتخب من قبل ممثلي العائلات . وتجمع الأفخاذ يؤدي إلى وجود مجلس أعلى من كبار السن ويمر كبار السكان ضمن مجموعات الأعمار التي تعتمد على التسلسل أيضاً /أي دورات/ لكلٍ منها نظامها ومدتها وآخرها يمكن أن يكون العضو وصل إلى ٥٠ عاماً من العمر . ويؤهل الموجود إلى هذه المرحلة الفرد للجلوس ضمن اجتماع المجلس الاعلى ويطلق عليه مجلس كبار السن ، لذلك لا توجد لدى هذه القبائل زعامات أو رؤساء حتى اعضاء المجلس والفئات لايعتبرون من ذوي السلطة فهم انفسهم يبتعدون عن ذلك وهم فقط معبرون عن رأي الشعب ولايتوارث مناصبهم ابناؤهم . والعضو المنتج يقدم قسماً من دخله لفئته التي ينتمي إليها وليس له أية ميزة سوى الجلوس وحضور اجتماعات المجالس وابداء الرأي بالنسبة له شخصياً وبالنسبة لفئته أيضاً ويتوقف نفوذه في الواقع حسب شخصيته وقوته يمكن لبعض ذوي النفوذ والشخصية القوية مد نفوذه إلى مختلف المناطق

ويمكن أن يصبح زعيماً للبلاد ،ويتمتع المجلس عادة بسلطات قضائية وصفات دينية. والمجلس الاعلى هو الذي يقرر الحرب والعلاقات الخارجية ويتولى أحد اعضائه القيادة خلال الحرب. والمجالس الصغرى تهتم كثيراً بحل الخلافات التي تقع عادة في المجتمعات الزراعية ، الزراعة استصلاح الأرض التعاون ، حقوق الأفراد وعادة يعمل في الأرض المستصلحة الذي استصلحها هو وأولاده وعند موته يعين حارس للأرض يحل محل الأب وهو الذي يدير المزرعة . «والمشاكل تتواجد في الأراضي المستصلحة» وازدياد العائلات من الناحية العددية هو الذي يؤدي إلى انفصال اقسام من الفخذ لصالح تأسيس فخذ جديد يعيش على أرض جديدة وهناك فئات الاعمار المتقاربة ويمكن أن تكون هذه العادة قد انتقلت إليهم من الماساي وتبدأ فئات الاعمار مع عملية الختان التي تجرى لعدد كبير من الفتيان والفتيات بجيل واحد ووقت واحد حتى لو كانوا جغرافياً منفصلين عن بعضهم فهم ينظرون لبعضهم نظرة الأخ لأخيه وهم يحسون بأنهم يمتلكون شيئاً خاصاً من العلاقات والمسؤوليات . ومستوى الرجل أو طبقته تعود إلى علاقته مع الأجيال القادمة حيث يصل إلى المرحلة الأولى عندما يصبح ابا طفل وهنا بأمكانه الدخول في جمعية تدعى مورانجا، ويصبح عضواً فيها ، وعندما يلقن أول ولديه يستطيع الألتحاق بجمعية كيما - كيا - اتاماكي وعادة يتحكم كبار السن في الأكواخ والمنازل ، ومع مرور الزمن يستطيع كبير السن الوصول إلى طبقة تدعى ماتور انكور وإلى هذه الحالة بإمكانه القيام بتقديم الأضاحي للآله باسم المجتمع الذي يمثله أو الجمعية التي يمثلها وله لباس خاص يرتديه.

أمّا عملية الختان التي تجري للفتيان والفتيات في بدء دخولهم الحياة الاجتماعة لها دورها في المجتمعات المذكورة فهي التي تحدد بداية عمليات التلقين المتتابعة. وعندما الغت بريطانيا عملية ختان الفتيات في كينيا

هاجمها جومو كينياتا في كتابه تحت سفح جبل كينيا واعتبر هذا العمل تهديم للأنظمة القبلية ولم يكن يتصور دخول فتاة في المجتمع دون ختان ، وأحد أكثر الاعتقادات غموضاً في الشعائر والطقوس الدينية الخاصة بعملية الختان وتتمثل في عملية الولادة الثانية ويخضع لها الشبان في عمر عشرة اعوام حيث يمر الفتى أو الفتاة بتمثليليه يوهم فيها بأنه قتل وعاد للمرة الثانية لينسى كل ما كان لديه من افكار ويبدأ الحياة من جديد حيث يعطي له اسم جديد وحتى تمثيل الولادة الجديدة لايوجد فرد يمكنه أن يختن أو يرث أرضاً أو يأكل قسماً من الضحية التي تقدم خلال الشعائر الدينية في البلاد.

تعمل هذه الشعوب بالزراعة وتقوم باستصلاح الأرض عن طريق الحرق ويزرعون كل انواع الحبوب والدرنيات والبطاطا والموز والسيسل والقهوة والقطن والحمضيات والتفاح أمّا تربية الأبقار فتعتبر نوعاً من تجسيد للثروة وإظهاراً للمكانة الاجتماعية لذلك لايوجد لدى الشخص الواحد سوى عدة ابقار والماعز هو الوحيد الذي يؤخذ كوحدة لديهم لتقدير الثروة فمن أجل الزوجة يدفع الرجل كمهر عدداً من الماعز يصل بين ١ – ١٣ عنزة وهناك من يدفع المهر بالأبقار . وتتحمل النساء غالباً العمل الزراعي بواسطة منكاش خشبي يتم الحفر فيه ولا يستخدم الأدوات الحديدية لدى الكيمبا لاعتقادهم بأنها تمنع المطر كما انهم يربون البقر والاغنام والماعز ويقوم الفتيان برعاية الأبقار مع كبار السن وهم الذين يحلبون الحليب دون النساء مثل الكيكيو ولا يفصد الكيمبا بقرهم إلا في المناسبات حيث يؤخذ الدم أمّا للشرب أو لمزجه بالحليب أو بالطحين ، ويستخدم الشاغا نظاماً رائعاً للسقاية على الطريقة الافريقية ولا توجد لديهم المجمعات الزراعية لكبرى وكل منهم يسكن في أرضه ويزرعها بالموز ويحيط بالمزرعة – سور من شجر الدراكينيا.

٢– الحياة الاجتماعية – العائلة – القرابة والنسب والزواج

والعادات والتقاليد :

- الرابطة العائلية قوية والعائلة هي الوحدة الرئيسية والتي تتألف من الزوج والزوجة والاولاد ورأس العائلة أو الفخذ وهو القاضي الذي يحكم بين أفرادها وأوامره لاترد وتنتسب الشعوب الثلاثة إلى الأب (النسب الأبوي) والعائلة الصغيرة هي الاساس ولكن الغالب هو اتساع العائلة التي نعود إلى نسب واحد وجد واحد واحياناً خلال سياج واحد مغلق يضم كبير السن مع زوجة أو زوجاته وأولاده المتزوجين مع زوجاتهم واحياناً اخوته الشباب (رب العائلة) وهناك أيضاً شكل آخر عندما يعيش الأخوة وأبناء العم مع زوجاتهم وأبنائهم أو عندما يجمع احد المتنفذين أقرباءه ، وزوجاتهم وكثيراً ما يحدث حتى ولو كانت العائلة صغيرة أن ننضم إليها أعداد كثيرة من بقايا رجال ذوي الأعمار المختلفة والآرامل والمطلقات وأولادهم وشبان وأبناء العم وذلك لمواجهة متطلبات عملية ، وعلى كل حال فالذي لا يتغير هو الوحدة المؤلفة من الأم وأولادها وهي النواة الصغرى التي تتألف فيها العائلة النشيطة وعادة كل زوجة لها بيتها الخاص ومطبخها حيث تطبخ لأولادها ، وفي بعض الحالات لديها مستودعها الغذائي الخاص . والأبناء الكبار عادة لديهم بيوتهم الخاصة منفصلة عن مسكن الوالد وللرجل حتى ولو كانت لديه امرأة واحدة بيته الخاص أو غرفته الخاصة يعيش فيها أو يبيت فيها لوحده .

وعادة تعدد الزوجات معمول به وهو الطريقة المثلى الاجتماعية بالنسبة لكل شعوب افريقيا الشرقية ويعلل جوموكينياتا تعدد الزوجات بأن ذلك يعود إلى ترك الزوجات الشابات عند الولادة فترة طويلة للاستراحة وتربية الطفل والمرأة بالاضافة إلى انجاب الأولاد هي ضرورة اجتماعية لزيادة اليد العاملة .

كان الرجال سابقاً يسيرون عراة ولكنهم حالياً يلبسون الألبسة

الأوربية رجالاً ونساء وهناك -لدى الكيمبا - عادة نحت عدد من اسنان المقدمة في الفك الاعلى وجعلها على شكل محدب. وهذا يؤدي إلى تحرك القاطعين في الفك الأسفل وكنتيجة لذلك ومع مرور الزمن تمتد الاسنان لتكسر ما فوق اللثة وهنا يوضع مكان السن المكسور سناً صناعياً من عظم الماعز أو الحيوانات الأخرى ويزرع في جزر السن.

ويعتبر السهم والقوس والخناجر هي الاسلحة المفضلة لدى هذه الشعوب ولا يستخدمون مطلقاً الحراب والتروس . لايدفن الميت لدى بعض القطاعات ولكن يترك خارجاً في الغابة لتأكله الضباع . وبعد الموت لايجرأ أي انسان في القرية على القيام بالعملية الجنسية حتى يتم تنظيف القرية وتطهيرها ويقود كبار السن طقوس التطهير بذبح عنزة ويرش محتويات معدتها فوق مجموعة من النادبين على الميت وكذلك على الحائط والسرير الذي كان يرقد عليه الميت وقبل أن تتم عملية التطهير على ارملة الفقيد أن تنام مع شقيق زوجها الميت أو الذي يخلفه في الوراثة وتصبح زوجته وإذا كان هناك عدة زوجات للميت فالكبيرة هي التي تشرف على مراسم الدفن. والدفن في القبور مقتصر على الاغنياء وكبار السن وتكون حفرة القبر خارج باب الكوخ ويقوم بحفر القبر ابناء المتوفي ، وتدفن الجثة وهي مطوية على نفسها وعلى جانب الجسم والرأس نحو الغرب والركبة نحو الاعلى ويستريح الرأس على راحة اليد اليمنى إذا كان رجلاً وعلى اليد اليسرى إذا كانت امرأة ويترك الكوخ أمّا لدى الشاغا فيطوى جثمان الميت ويربط الرأس بالقدمين مع بعضهما وتصبح الجثة كالبرميل وتدهن بالدهن والمغرة الحمراء وتلف بجلد الثور الذي ذبح وقدم كضحية ، وتوضع الجثة باتجاه كييو الواقعة في جبال كليمانجارو ويدفن الرجل لدى الزوجة الأولى ، وبعد حوالي ثمانية عشر شهراً من الوفاة تؤخذ عظامه بعد نبش القبر وتوضع في حفرة داخل ساق شجرة الموز أمّا الجمجمة فتؤخذ إلى حفرة الأرواح أو توضع في بعض

لظروف لمدة عام في إحدى الجرار الترابية ولايدفن الزعماء بجلد الحيوان ولكن في قسم من تجويف شجرة ضخمة مغلقة من نهايتها ، ومن المحتمل أن يبقى دفنه سراً لمدة عامين وسابقاً لايدفن الأطفال ولا الشباب غير المتزوجين وكذلك الرضع بل تترك جثثهم في الغابة لتأكلها الضباع. ويكون الوريث عادة أكبر اولاد الزوجة الأولى وتتمتع أم الزعيم أو رئيس الفخذ باحترام كبير لدى الشاغا واذا توفت الام لدى الكيكيو فإن اية امرأة تأخذ مكانها . وفي المستقبل تعتبر هذه المرأة والدة الطفل كما يقدم احد المسنين نفسه مكان والده.

• الديانة والاعتقادات :

بالرغم من انتشار الديانتين الاسلامية والمسيحية في شرق افريقيا إلا أن أكثر من نصف السكان لايزالون يدينون بالديانات الافريقية ويجمع الجميع على الاعتقاد بوجود اله خالق فلدى الكيمبا اسمه مولونفو والكيكويو مولونقو أو نفيه وهو اسم من أصل ماساي ولدى الشاغا هو روا . وهي القوة العليا في السماء ولكن ليس لهذه القوة السلطة ولاعمل لها لذلك لايعبد ويقولون لاداعي لتقديم الضحايا له ولكن جرت العادة أن تقدم كل عائلة لأرواح الموتى من الاجداد الطعام عن طريق المجموعة عالية المستوى والتي يترأسها احد كبار السن . ويقول الكيكيو عن مولوفغو (نفيه) أنه يعيش في مختلف المناطق بخاصة حول جبل كينيا وهناك اشجار مقدسة لدى الكيكيو تعرف باسم موغومو (اشجار عطرية) ويعتني بها كبار السن ويعتقدون بأن النفيه يسمع ويجيب الدعاء ، ولكن شروط الحياة هي التي ابعدت الأرواح. لذلك فالرجال الاطباء (الدينيون مدعوون لنقل رغبات الناس إليهم بالاضافة إلى ذلك توجد انواع من العبادة تسمى ديانة الثعبان والرجال الاطباء يلعبون دوراً هاماً في المجتمع ويبدو في بعض الاحيان أن خدمات هؤلاء ضرورية جداً من اجل التطهير

الفوري بعد تطبيق مراسم /تاهو/ ويكون التطهير بسبب لمس بعض الاجسام الميتة وحفر القبور.

ويعتقد الشاغا بأن القوة الخالقة هي (روا) وتستخدم أحياناً للدلالة على الشمس ويعتقدون انها هي التي حررت الانسان الأول من الوعاء الذي كان محجوزاً فيه ، ودياناتهم في الواقع تعتمد بشكل رئيسي على عبادة ارواح الاسلاف ولا تتلقى الضحايا وتقدم الضحايا لروح السلف الأول الذي هو أول من استوطن الأرض الموجودون فيها وتقسم الأرواح إلى قسمين أرواح اليد اليمنى وأرواح اليد اليسرى التي هي أقل قوة وتعود إلى جد الأم أمّا الأولى فتعود إلى جد الأب والمصائب تعني غضب الجد الأول لذل يجب التضحية له.

ثالثاً – البانتو الجنوبيون الشرقيون :

تقطن هذه القبائل في جنوب وشرق تنزانيا الحالية بين بحيرة تنفانيكا والساحل ومن حدود كينيا حتى نهر روفوما في الجنوب وبحيرة – ملاوي في الغرب وتقسم هذه المجموعة إلى قسمين :

١ – مجموعة البانتو الساحلية في تنزانيا وموازمبيق وتضم قبائل الواسمبا (الوازيمبا) والوانكا في الشمال والشعب السواحيلي على طول السواحل وقبائل كوند بين نهري روفيجي ونهر روفوما.

٢ – المجموعة الداخلية والوسطى وتظم في الشمال الواسكوما حول بحيرة فكتوريا نم الواها على شواطئ ملاوي والنياموبزي في الوسط وإلى الغرب – الوانياكوسيا واخيراً النفوني في تنزانيا. وفي الوسط السانفو والواغوغو ثم اليادوالثيانجا حتى نهر الزامبيزي.

وتعود المجموعة الأخيرة للمهاجرين الأوائل من البانتو وتحركاتهم العكسية المرتدة من الجنوب إلى الشمال التي سببت كثيراً من الفوضى

بعد اضطرار قسم كبير من قبائل (شعب النقوني) الجنوبي للتوجه شمالاً بسبب الحروب الاهلية (حروب الزولو) أو ما يعرف /الميفكان/ وغزوات هذه القبائل لاقتناص العبيد خلال مسيرتها الشمالية.

ترتبط هذه المجموعات تقريباً مع المجموعة الشمالية الشرقية من الناحية الثقافية والاعتقادات ومجالس الاعمار ارتباطاً وثيقاً مع بعض الاختلافات الصغيرة ولها نفس الترتيبات السياسية ونفس العادات. ولاشك أن القبائل الساحلية ارتبطت من الناحية الثقافية بالعرب ارتباطاً وثيقاً بخاصة الوانيكا والوازيمبا وقد ادى هذا الاختلاط لظهور الشعب السواحلي كما ان قسماً من هذه القبائل قد اعتنقت الاسلام بخاصة النياموزيزي الذين تعاونوا مع العرب خلال انتشار هؤلاء نحو الداخل وكانوا يشكلون همزة الوصل بين الداخل وبحيرة تنفانيكا ومركزهم الرئيس مدينة تابورا التي اسسها العرب في القرن التاسع عشر والجميع ينتسبون للأب عدا النياموزيزي أو الشعب السواحلي حيث النسب الأموي له دوره واغلب هذه الشعوب تعمل بالزراعة عدا النياموزيزي الذين كانوا يعملون بالتجارة وبالنقل فعلى اكتاف هؤلاء وظهورهم كانت البضائع الواردة والمصدرة تدخل وتخرج من افريقيا الداخلية وتصل إلى السواحل وقد اسس هؤلاء النياموزيزي في اعماق الكونغو (كتفا) دولة المسيري التي اشتهرت بتصدير النحاس والرقيق ولدى الجميع تعدد الزوجات والختان وعدا الزوجات توجد الرقيقات وهناك نوع من الطبقية بخاصة لدى النياموزيزي فهناك الطبقة الارستقراطية ثم الارقاء . ومهر الزواج عادة يكون أمّا بتقديم خدمات لوالد الزوجة أو المقايضة بين الأخوة والأخوات وأول واجبات العريس لدى الياو تنظيف بستان والد الزوجة وإذا كان الزوج لديه عدة زوجات فيقضي ايامه

ينتقل من قرية إلى قرية حيث تعيش زوجاته فعادة لاتترك المرأة بيت والدها ، بالنسبة للنسب الأمومي ويرث الأخ الأصغر الأخ الأكبر المتوفي بما فيهم زوجاته وأولاده كما يرث الواحد منهم خاله إذا لم يكن لهذا الخال أخ اصغر منه يعيش عند الوفاة ويشتهر النيانجا بأنهم مهرة في صناعة الحديد.

الشعب السواحيلي : ويعتبر الشعب السواحيلي أهم شعوب القسم الشرقي للبانتو الشرقيين فلغته حالياً تعتبر اللغة المشتركة - لبنغوافرانكا - لقسم كبير من شعوب شرق افريقيا وهناك ثلاث دول تعتبر اللغة السواحلية التي تنتشر فيها المفردات العربية بمقدار النصف أو أكثر لغة رسمية لها عدا بعض التأثيرات الفارسية والصومالية والبرتغالية ولغة الجالا . والشعب خليط جاء من تزاوج العرب والشيرازيين بالقبائل المحلية بخاصة الوازيمبا التي تشكل النواة الرئيسية للشعب السواحيلي بفرعيه الشمالي ذي الأصل العربي مع الوازيمبا والجنوبي الذي هو مزيج من الشيرازيين والوازيمبا وهم الذين اقاموا دولة الزنج. ويمكن أن نعد الخواص الفيزيائية للسواحيلي هو أنه عربي أو على الاقل يتكلم اللغة العربية جيداً مع لغته السواحيلية ويستطيع قراءة القرآن، وفي ثقافته يعود إلى الثقافة العربية ويستطيع بنجاح أن يقول الشخص بأنه سواحيلي إذا كان خفيف السواد بملامح زنجية خفيفة مثل تسطح الأنف والشعر الأجعد . فربما كانت والدته إحدى النساء الرقيقات ومن أي عربي أو مجهول وقد لعب السواحيليون دوراً بارزاً ولايزالون في الحياة السياسية والاجتماعية في السواحل الشرقية الافريقية.

(٢)
المجموعة النيليه

راجع فهرست الخرائط

تقسم المجموعة النيليه إلى قسمين رئيسين هما : الحاميون النيليون والنيليون

أولاً : الحاميون النيليون :

ينتشر هؤلاء في شرق ووسط شرق القارة ويحتلون قسماً كبيراً من كينيا وقسماً من اوغندا وعلى حدودها الشمالية مع السودان وهناك بعض المناطق المنعزلة في شمال تنزانيا . وقد جاءت هذه المجموعة من اختلاط طويل وتزواج متبادل بين النيليين السكان الاصليين والحاميين القادمين من الخارج كما دخلت عليهم دماء زنجية وبانتوبه وكانت

الفتيات الحاميات ولازلن مرغوبات في شرق ووسط القارة لجمالهن وبشرتهن الكاشفة . ورغم أن هن اخف سواداً من غيرهن إلا أن مسحة زنجية بسيطة تظهر على وجوههن واختلافهن مع الزنوج من ناحية الأنف الدقيق.

ويتكلم الحاميون النيليون على العموم لغات تعود إلى عائلة اللغات الكبرى نيل - كونغو ويغلب على نمط حياتهم صفة الترحال التي تفرضها عليهم تربيتهم للثروة الحيوانية بخاصة البقر وقليل منهم المزارعون.

• الشعوب : هناك كثير من الشعوب الحامية النيلية واهمها الماساي - الناندي وتضم مجموعة الناندي عدداً اصغر من القبائل اهمها الكيبسيجي ثم مجموعة التيبو وهي الاخرى تضم عدداً من الشعوب واهمها تبسوكومات - كاراموجونغ - توركانا والتويوسا. وقد اشتهر الحاميون - النيليون بطول القامة ونحافة الجسم وتقاطيع الوجه الجميلة نساءاً ورجالاً.

الماساي : ويمثل هؤلاء النموذج الحامي - النيلي المثالي من القامة الطويلة التي تصل في اكثر الأوقات إلى مترين رجالاً ونساء ونحافة الجسم وتقاطيع الوجه وبخاصة الأنف الدقيق وهم يعتنون كثيراً بتصفيف شعورهم وبخاصة الرجال بشكل ملفت للنظر مستخدمين روث البقر وبعض المواد الأخرى لتثبيت الشعر ويميل لونهم إلى البني النحاسي. وهم من اشهر قبائل شرق افريقيا وتخافهم القبائل كثيراً رغم قلة عددهم فهم حالياً يصلون إلى ٣٥٠ ألف موزعون بين الدول الثلاث كينيا وأوغندا وتنزانيا. ويشاهد الماساي وراء قطعانهم الكبيرة حاملين حرابهم الطويلة الرفيعة في سهول كينيا وشمال تنزانيا بوجوههم واجسامهم الملطخة بالألوان المختلفة وريش النعام الذي يزين رءوسهم غلامة المحاربين المشهورين. كما يستلفتون الأنظار رجالاً ونساء بكثرة عقود الخرز

والاسلاك الملفوفة حول اعناقهم بالاضافة إلى الأقراط الكبيرة والثقيلة مما يجعل شحمة الأذن تستطيل حتى تصل إلى الكتف كعنوان للجمال. وتحمل النساء دائماً اطفالهن على ظهورهن ويسرن حليقات الرؤوس دون غطاء على غير عادة كثير من القبائل وكلا الطرفين يلبسان المآذر الملفوفة على اجسامهم وتصل حتى الركبة فقط.

ظل الرعاة الماساي ولايزالون يتجولون خلال مئات السنين من منطقة إلى أخرى وراء قطعانهم وكان اسم الماساي مترادفاً مع كلمة متوحش. والتجار الذين كانوا يندفعون داخل البلاد يخافون الماساي اكثر من غيرهم من القبائل لذلك كانوا يدفعون لهم الأتاوات من دون بقية القبائل. وفي بداية القرن التاسع عشر كانوا لايزالون يضغطون باتجاه الشرق وكان غاراتهم تصل في بعض الأوقات حتى ساحل المحيط الهندي بالقرب من ممباسا أو يتوجهون شمالاً باتجاه نهر تانا في كينيا. وفي هذه المنطقة دخلوا في صراع طويل مع قبائل الجالا الحامية القادمة من الشمال وقد توقف تقدم الماساي شمالاً في الوقت الذي توقف أيضاً تقدم الجالا أمّا اندفاع الماساي جنوباً فقد توقف هو الآخر حوالي عام ١٨٣٠ بعد اصطدامهم بقبائل الواهيهه في تنزانيا لذلك تراجعوا قليلاً إلى الخلف للوصول إلى الطرق العالية الجافة حيث مروا عبر بلاد الواغوغو واستقروا في مقرهم الرئيس الحالي على الهضاب الشمالية. ومن ذلك الملجأ الآمن أخذوا بالغارات عبر المناطق التي اقاموها فاصلاً بينهم وبين الوهيهة كما تركوا بصامتهم الواضحة على قبائل الواغوغو الذين أخذوا يقلدون الماساي بكل شيء.

عندما اتجه الماساي شمالاً في منتصف القرن التاسع عشر واجهتهم المصاعب من قبل قبائل التوركانا التي استطاعت دفعهم إلى الوراء وإخراجهم من البلاد التي تقع غرب بحيرة فكتوريا واضطروهم للألتجاه إلى الجنوب . وفي الغرب اخذت قبائل الناندي التي تعيش اليوم على

السفوح المطلة على بحيرة فكتوريا هي الأخرى تقلد الماساي وتتبع طقوسهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم وبالإضافة إلى اكتسابهم لشجاعة الماساي . وفي الغارات والغزوات الحربية لم تكن النكسات لتفقد الماساي زخمهم الحربي الذي جعلهم يسيطرون على البلاد ويرهبون القبائل البانتويه الأخرى التي تقطن هناك. وقد أثر عددهم القليل نسبياً في عدم امكانهم من السيطرة على كل المنطقة وكان نظامهم الاجتماعي وحياتهم العسكرية السبارطية كافيتين لامدادهم بالمقاتلين الأشداء ، كما سنرى وكانت أكثر غارتهم موجهة لاقتناص البقر من الجيران وأخذ النساء للزواج. إلا أن قسماً منهم بعد الخسائر التي تعرضوا لها اضطروا لترك حياة الترحال والسير وراء قطعان البقر واتجهوا نحو الزراعة وهم الباراغوبا ومع الزمن وجد هؤلاء انفسهم مرتبطين مع /الواتافيتا/ الذين يقطنون جنوب شرق حوافي جبل كليمانجارو وكان ذلك نقلة نوعية لهذه القبائل التي لم تكن تعتقد إلا بالبقر وقسمته «فقد خلقت للاستعمال الخاص» حسب قولهم .

هناك مجموعة قبلية اخرى اتجهت نحو الشمال وهي التي اصطدمت بقبائل الكيكيو من اجل المراعي الممتازة في ليكيبا. والواقع أن الماساي كانوا في حركة دائمة باتجاه المراعي حسب مواسم الجفاف والامطار وكان لابد لهم من الاصدام بالقبائل التي تعيش في تلك المناطق بخاصة القبائل الزراعية.

في نهاية القرن التاسع عشر ومع موت الليبون مباتيان (الزعيم مباتيان) انقسم الماساي إلى قسمين بسبب الخلافة على وراثة المنصب بين ابناء الليبون السابق وهما لينانا وسانديو ، ورغم أن الأول اعترف بأحقية أخيه في خلافة والده إلا أنه رفض الاعتراف بولادته وبذلك بدأت الحروب الأهلية وبعد نزاع مرير جمع سانديو اتباعه واتجه جنوباً واحتل الأراضي التي تقع حالياً في تنزانيا وبقي لينانا مع اتباعه في كينيا. ورغم

الحروب الأهلية فإن روح الماساي لم تفتر ولم يتوقفوا عن غاراتهم المتواصلة على الجيران وظلوا يسيرون في الطرقات بقوافل ضخمة ضمن الأراضي الغربية مفتشين عن العاج وكانوا يتعمدون السير بقوافل كبيرة لئلا يضعف ادعاؤهم بأن الأراضي بين جبل كينيا وجبل كليمانجارو تخصهم.

ومن الشعوب الحامية التي لها نفس ثقافة الماساي . التاندي الذين يقطنون القسم الغربي من مرتفعات كينيا ويتكلمون اللغة السودانية الشرقية والتي تعود إلى مجموعة شاري – نيل وعددهم حوالي (٥٠٠ ألف).

• الباري : وهو من شعوب جنوب السودان ويعيشون حالياً بالقرب من مدينة جوبا ويبلغ عددهم ٢٥٠ ألف وتعود لغتهم إلى الفرع الشرقي من مجموعة عائلة اللغات /ساري – نيل/ وهم طوال القامة مع نحافة الجسم رغم أن كل القبائل التي حولهم من قصار القامة واهم القبائل المرتبطة بهم وبثقافتهم الكاكاوا (٥٠ ألف) الموانـدي ٣٦ الف الكوكو ٢٦ الف نيانفارا ١٨ الف ..الخ.

• اللوكوكو : ويعيشون في جنوب السودان بالقرب من توريت ويتكلمون اللغة السوادنية – الشرقية من عائلة شاري – نيل وهم أيضاً طوال القامة والوانهم سوداء غامقة.

• التنظيم الأجتماعي

١ – السياسي :

لاتوجد لدى هذه الشعوب فكرة الدولة أو التنظيم الاداري بل إنها شعوب رحاله ولكن لدى هذه الشعوب منصب عال هو الرجل الطيب أو جالب المطر ويطلق عليه لدى الماساي / الباني أو الليبون ويطلق عليه النانديي أوركويت ولدى الباري ولوكوكو نفس المنصب ويسمى جالب المطر وهو عادة لدى الحاميين – النيلين رأس القبيلة

والسيد الأعلى والقوة الاولى وهو أيضاً العراف والمتنبئ عن المستقبل ومفسر الاحلام ويكون حازماً بضرب الفال وتقديم نتائجه ويتجنب الظهور بمظهر المريض وتعلق هذه الشعوب أهمية كبرى على آراء هذا الرجل من انزال المطر والنجاح في الغزوات . ولكن رغم كل هذه القوة فإنه لايعتبر رجلاً مقدساً كما هو الحال لدى الشيلوك إلا أنه محترم جداً إذ استطاع تحقيق رغبات شعبه من انزال المطر أو النصر وإلا فيقتل وقد اعدم النادي أحد هؤء الأركويت ويسمى كيمينول عام ١٨٩٠ بسبب أنه لم يمنع الجوع والأمراض عنهم وكذلك لم يمنع مقتل ٥٠٠ محارب في احدى الغارات لذلك اعتبروه المسؤول عن كل هذه الكوارث ومع ذلك ليس لهذا الرجل نفوذ سياسي كبير .

بالمقابل لدى هذه الشعوب نظام متطور للاعمار المتقاربة (نظام الجيل الواحد) فكل الفتيان الذين يختنون في نفس العام طبقة واحدة تسمى مثلاً (تار) واخرى تسمى اسما آخر . ويعزل هؤلاء بعد الختان في الأكواخ المحددة لهم مدة التلقين وهناك سبع أسماء تدخل ضمن هذا النظام وعندما تمضي أربعة أعوام وهي فترة التلقين التي يقضونها مع بعضهم يرفع هؤلاء إلى طبقة المحاربين حيث يتوقعون الاشتراك في الغارات التي تشنها القبيلة على جيرانها . وخلال هذه الفترة ينقلون إلى أكواخ أخرى كبيوت جماعية خاصة بالمحاربين العزاب وهنا بإمكان الفتيات العازبات زيارة هؤلاء المحاربين الشباب وتبقى بعضهن لفترة بضعة أيام مع صديقها تعيش معه في الكوخ وتكون الزيارات لفترات متقطعة ولايمكن للمرأة المتزوجة زيارة مثل هذه الأكواخ وينظر لها نظرة ازدراء . وعادة يوجد ناد أو مجمع يرتاده الشبان المحاربون ليتعرفوا على من هم أكبر منهم سناً ويشربون الكحول معهم وعلىالعموم فالفتيان والفتيات يعيشون لوحدهم في أكواخ التجمع أو مع امرأة كبيرة السن وعلى هذا الأساس يقسم المجتمع بين فتيان ومحاربين ومسنين ، وكل خمسة عشر عاماً

تقام المراسم لنقل المسؤولية من احدى الطبقات للطبقة التي تليها أو التي تخلفها ولايتوافق تاريخ هذه المراسم في بعض الأحيان مع اكمال احدى الطبقات لمدة تدريبها ومع ذلك يدخلون عملياً في الحياة وتبدأ حياتهم العسكرية الفعلية بعد تخرجهم مباشرة ويشتركون بالغارات ومنذ دخول هؤلاء الفتيان المحاربين ميدان القتال يبدأ المحاربون القدامى بالانسحاب شيئاً فشيئاً من النشاط العام .

وهكذ توجد مرحلة دائمية تكون فيها مسؤولية البلاد واقعة على عاتق طبقتين من المحاربين وإن كل فرقة من الجيل الواحد age sets تختلف لذلك كلياً من الناحية البيولوجيه للعمر عن الطبقة الأخرى فبالرغم من أن الختان يجعل من الفتى يدخل المجتمع باعتباره وصل سن الرشد إلا هناك مرحلة تتبع الختان تدوم من عشرة إلىأحد عشرة عاماً يتوقف فيها التلقين وتنتهي باجتماع هؤلاء المحاربين الفتيان مع المحاربين القدامى ضمن مراسم خاصة تحت زعامة الرجل الطبيب / جالب المطر/ ويضحى بثور يخنق خنقاً ويكون بلون أبيض ومخصي ويقدم الثور للأكل والذين يأكلون منه فقط أكثر الطبقات عمراً أو الذين ينسحبون من الحياة العامة وإن الذين سيخلفونهم فيقطعون من جلد الثوار قطعه صغيرة مدوره توضع على الأصبع وهنا يقف الرجل الطبيب وأمامه الثور ممدداً مع الفواكه ومشروب خاص ويقف بجانبه فقط رجال الطبقة الذاهبه بينما يظل أفراد الطبقة القادمة من المحاربين الشباب جالسين وبالاشارة من الرجل الطيب يخلع قدماء المحاربين جلودهم الحربية ويقدمونها لمن سيخلفهم وبذلك تظهر طبقة جديدة محاربة تقع عليها مسؤولية حماية البلاد من كل النواحي وحتى من النواحي الإدارية .

ويعيش المحاربون لدى الماساي كلياً على الحليب واللحم والدم ويمنع عليهم التدخين والمسكرات ويعيشون في قراهم الخاصة مع امهاتهم واخواتهم أو مع الفتيات اللواتي تعرفوا عليهم خلال مرحلة التلقين .

وهن غير متوزجات ولاتوجد بين هذه القبائل طبقات الاعمار بين الفتيات كبعض القبائل ولكن الفتيات يعرضن بامتيازاتهن كما يلقن واجباتهن خلال عملية الختان التي تجري لهن أو خلال فترة عزلهن من بعد الختان ولايقف تنظيم طبقات الاعمار المتقاربة عند حدود تنظيم المجتمع فقط بل إنها تعتبر أداة لتنفيذ الأعمال الحربية . وأغلب غارات الماساي ليس لها هدف سوى فرض احترامهم في أوسع رفعه وقد أثرت عادات الماساي على كثير من القبائل البانتوبه في شرق افريقية .

بجانب الرجل الطبيب صانع المطر يوجد رؤساء يطلق عليهم أسماء كثيرة مثل أب الأرض ويطلق هذا التعريف على الرجل أو أحد أحفاده من الحكام الذين كانوا أول من زرع الأرض واستصلح أراض جديدة ومن أجل ذلك يقوم ببعض الاعمال الخيالية السحرية مثل زراعة البذار أو الصيد . وبدون قوة هؤلاء وأعمالهم يعتقدون بأنه لا يمكن النجاح في الزراعة ولا في الصيد أو استجلاب المطر .

٢ – الحياة الاجتماعية ـ العائلة ، النسب والقرابة ، الزواج ، الوفاة ، العادات والتقاليد :

تعتبر العائلة هو الوحدة الرئيسية في التسلسل الاجتماعي وهي مؤلفة كما هو الحال بالنسبة لبقية القبائل من الزوج والزوجة والأولاد ومن اعائلة لتشكل الأخاذ ولدى النناندي (١٧) فخذ أما الباري فيقسمون إلى ١٥٠ فخذ ، ولا يزال أغلب هؤلاء رحاله ولكن كثيراً منهم أخذ في الاستقرار والعمل الزراعي لصنف مستقرين ويميلون إلى الاستقرار شيئاً فشيئاً . وهم ينتسبون إلى الأب ولديهم عادة تعدد الزوجات عدا النناندي فيكتفون بالزواج من واحده ولايتزوجون من نفس الفخذ وتكثر الزوجات لدى كبار السن لدى الماساي وتبادل الزوجات بين الشبان من الجيل الواحد موجود لدى الماساي ويكون مهر الزواج عادة من الماشية .

وعلى العموم فالنيليون والحاميون النيليون لايلبسون سوى القليل من الثياب ولكن الفتيات والمتزوجات فلباسهن أفضل من الرجال ويتكون من تنوره قصيره من الجلد أو من القماش في الوقت الحاضر وغالباً مايوضع شيء ماللزينة على الراس مزين بالخرز وتخلع أغلب القبائل وربما كلها احدى القواطع السفلى من الفم . ولدى بعض أقسام الكيبسجي والسوك تعرض جثة الميت للضباع كعملية دفن لكلا الجنسين وكلاهما يحرق جثث الموتى من الكهول بدهن البقر ويحرق الناندي كبار السن جداً وصغار السن جداً عند الموت وهناك مراسم تقام لعملية الحرق حسب تقاليد الناندي فيعد الموت تحمل الجثة بعيداً عن الكوخ عدة مئات من الأمتار وإلى الشمال وتوضع على الأرض ويطوى الرجل على الطرف الأيمن والمرأة على الطرف الأيسر . ثم ينادي للضياع بأن تقدموا وهكذا، وعند تفقد الجثة بعد بضعة أيام فإذا لم تكن ممزقة من قبل الضياع يوضع بجانبها قطعة لحم ماعز لتشويق الضباع للقدوم فإذا ظلت على حالها لمدة أكثر فمعناه ان الميت قضى نحبه من السحر لذلك يجب التفتيش على المسبب أو المسؤول حيث يسأل الرجل الطيب عن الذنب أو المسؤول عن السحر وتحرق الجثة

٥ التنظيم الاقتصادي :

من الصعوبة بمكان تقدير أهمية البقر بالنسبة لهؤلاء بخاصة الماساي فرعايتها شغلهم الشاغل وملكيتهما تقدم لهم مكانة الاجتماعية الرفيعة ، لذلك كان العشب هو الآخر له أهميته الخاصة وتصل حتى الاحترام الديني لتغذية قطعانهم التي يحبونها ولديهم مع البقر تقاليد ومراسم خاصة وكثيراً مايتغزلون بها ولكل بقرة اسم يطلقونه عليها ويقولون إن كل بقرة تشبه إنسانا . وإذا كان الرجل يملك بقرة فعليه النظر إلى أبعد من وجودها كحيوان أمامه وعليه أن ينظر ماتقدمه هذه البقرة له من الغذاء، والمواد التي يستطيع معها العيش والزواج وأن يكون لديه أطفال ويحصل

على الأرض الغنى والثروة ، وعندما تقل المياه وينحبس المطر تنشر المـرأة العشـب علـى الأرض تقـدم الصـلاة للأله وتدعـو لـه . وعندمـا يعـود المحاربون من غاراتهم تقام لهم الحفلات التكريمية لقتلهم أعداءهم ويكـون التكريم مرتبطاً بالبقرة حيث تأخذ احـدى الفتيـات جـرة حليـب صغيرة وفي فوهتها العشب الكثيف ثم ترش مابداخلها مـن حليـب علـى رؤوس المحاربين الشجعان لذلك يقدس لماساي العشب ويقولون إن الإلـه أعطانـا البقرة والعشب وعلينا أن لانبعثر ونحطم أشـياء أعطاهـا لنـا الالـه . وأي صفة تعطى لدى السوك لأي شيء يدل على النفع والخير أو القـوة يفهـم منها أنه أصبح بقرة . ويعطى لجلـد الثور كلمـة أو تعريـف يختلـف عمـا يعطي لجلود بقية الحيوانات . وعندما يشرب أحدهم حليب البقـرة يقـوم بالدعاء ويختلف هذا الدعاء عن الادعية التي تقال بها عند شـربه لحليـب بقية الحيوانـات . وجـرة الحليـب تختلـف باسمها عـن أسمـاء بقيـة الجـرار الاخرى والحليب أيضاً مقدس لدى الداندي . رغم أنهم مزارعـون أكـثر منهم رعاة وهناك عادات خاصـة بـالحليب فمـن الضـروري عـدم خلـط الحليب باللحم في المعدة فبعد أكل اللحم لايشربون الحليب إلا بعـد يـوم كامل حيث يشرب الحليب بعد الماء والملح . ويعيش شـعب البـاري مـن الزراعة على طول وادي النيل حيث يزرعون الدخن والذرة الرفيعة كمـا يربون الأبقار ويعيـش هـؤلاء في قـرى صغـيرة مبعثرة هنـا وهنـاك وهـم يقسمون إلى طبقتين الاحرار والأفنان ثـم طبقـة الحرفيـين الذيـن يعملـون بضناعة المعادن والصيادودن المحترفون ومن شابههم كما يعمل اللوكوكو بالزراعة وتربية الأبقار ويمتازون بقراهم الكبـيرة المحصنـة وغالبـاً مـاتحوي مآت من الأكواخ وتقسم إلى أحياء سكنية .

أمّا الماساي فيعيشون في أكواخهم المعروفة باسم /اينك اجي / وهو نموذج خاص يشبه نفـق مسـطح مـع سـطح مـدور مـن القـش والطـين ، ويقسم إلى أقسام عائلية . ولكـل عائلـة شـقة داخليـة ولكـل منهـا بابهـا

الخاص . وتحاط البيوت بسياج يحفظ البقر داخلها ليلاً . ويعيش السوك والناندي المزارعون بمستقرات منزلية تحوي على حدائق وبساتين بداخلها والبيت والمزرعة بقرب بعضهما وتقام بجانب الكوخ المستودعات لحفظ المنتجات والمحاصيل الزراعية .

• الأديان : يعتقد الحاميون – النيليون بوجود الآله المرتبط بالقبة الزرقاء (السماء ويعرف هذا الاله الماساي باسم نيتروكوب وهو بداية كل شيء وخالق هذا العالم الحالي ، ولكنه كغيره من الاله لايلتفت إلى عالمه وفي الواقع إن كلمة ، (اينغ راية) هي تعريف يستخدم عامضاً وغير شخصي ولكنه ينطبق بخاصة على المطر . والسماء والبراكين ويبدو أنه ينطبق على القوة التي يصلى لها الماساي وهناك معلومات عن اعتقاد الداندي ، فالاله الاعظم هو /اسيس/ المتحد مع الشمس ويقيم في السماء وهو خالق الرجل والحيوان ويعترف به بأنه الواهب المحسن لكل مايطلبه المصلون المتوسلون له وهناك آله متحدة مع الرعد وهو الذي ينطبق على اسم /ايلات/ لدى السوك الاله الاعلى سيد الحياة والمطر .

وحسب المواصفات المعطاة له /أي ايلات/ فهو نفسه الاله الاعلى وسيد الحياة والموت بينما يعتبر الناندي بان القوة الحقيقية هي عبادة أرواح الاسلاف الذين هم الوسطاء بين الرجل والاسيس ، وهم الينبوع الرئيس للحفاظ على النظام الاساسي وهم الذين يحق لهم تقديم القرابين كلما دعت الحاجة .

أمّا الصلاة الحالية فلايعرف عنها الكثير وعلى كل حال . فأغلب المعلومات الدقيقة المعزوه للناندي تدل على أن هناك صلاة موحده وهناك أوعية خاصة تتعلق بحماية الأبناء والأبقار من كل مكروه والدعوة والتوسل للاله لحمايتهم والدعاء للاسلاف لحمايتهم وتنتمي دائماً بكلمة احمنا يارب . وعندما يذهب المحاربون لاحدى الغارات فالأمهات يجلسن

منذ الصباح الباكر ووجوههن للشمس يدعون لها «اسيس أعطنا الصحة والحماية»

واستجلاب المطر له تقاليده الموروثة والمدروسة والأدوات الرئيسية لهذه التقاليد هي سكب الماء والزيت . وبعض الاحجار العطرية والعادة تكون من الكوارتز ونلطخ هذه الأشياء بمحتويات معدة ماعز يضحى بها ثم تتبعها مراسم على الشكل التالي .

يضع رجل المطر بعض الأعشاب الخضراء وبعض الأحجار البيضاء في صحن ثم تغسل الحجارة بالماء وتوضح فوق حجر كبير صخري . وتطحن حجارة المطر مع زيت السمسم ثم يضحن بماعز سوداء بالقرب من الحجر الكبير وعادة تكون من الكوارتز ثم تلطخ الحجارة بمحتويات معدة الضحية . وعن هذه الطريقة يعتقدون بأن المطر قادم بسرعة . وبعد كل هذه الأعمال يأكل رجل المطر هو ومساعدوه وكبار السن الضحية فوق الحجر وبعدها يأتي المطر بسرعة .//

ثانياً – النيليون : وتضم هذه المجموعة عدداً كبيراً من الشعوب ولكن أهمها – الشيلوك – الدنكا – النوير ويعيشون في جنوب السودان . وتحدد بلادهم جغرافياً بوادي النيل أو شوطئه المباشرة حيث تصل إلى أكثر من ثلاثمائة كم جنوب الخرطوم حتى الشمال اوغندا . وتصل حتى بحيرة كيوجيا التي يشكلها نهر النيل . عند خروجه من بحيرة فكتوريا ، واحدى مجموعاتهم وهي اللو يصل موطنهما حتى الساحل الشمالي – الشرقي لبحيرة فكتوريا . وبالرغم أن منازل هذه المجموعة تصل إلى اوغندا إلا أن مركزهم الرئيسي هو جنوب السودان حيث تشكل اقوى الوحدات العرقية من بين القبائل المنتشرة على وادي النيل من السود . والواقع أن اسمهم يعود للمكان الذي يعيشون فيه وهو وادي النيل وقبائلهم ولغاتهم الموحدة تميزهم عن جيرانهم مع تشابه من الناحية الفيزيائية ولثقافية. ويتكلم النيليون اللغة السوادنية – النيلية وهي مرتبطة

ارتباطاً وثيقاً باللغات الحامية - النيلية بخاصة من ناحية المفردات. ورغم الاختلاط الذي حدث بينهم وبين الحاميين منذ زمن طويل إلا أن الزمر الدموية بين هاتين المجموعتين تختلف عن بعضهما بالاضافة إلى الاختلاف من الناحية الفيزيائية ، فالشماليون النيليون اطول ٧٨ر١ سم وأكثر نحولاً بينما الجنوبيون أقصر وكلاهما يتصفان باللون الأسود الغامق. وهناك بعض الاختلافات في كثير من النواحي. وتختلف قبائل (اللو) النيلية الجنوبية بسبب اختلاطها مع الحاميين النيليين وجيرانهم البانتو . وعلى العموم فهم فقراء من الناحية الثقافية عدا قبائل /الجولا/ الذين يتميزون بصناعة المعادن.

وبالرغم من النيلين يتكلمون اللغة السوادنية مثلهم مثل بقية القبائل في المنطقة إلا أنه وضمن هذه العائلة اللغوية الكبيرة هناك كثير من التغيرات تفرض نفسها حتى في وادي النيل نفسه . لذلك يجب أن تؤخذ هذه بعين الاعتبار ضمن معرفتنا القليلة بصفاتهم الفيزيائية. وهناك تصانيف كثيرة تتعلق بالناحية اللغوية واهما تصنيف ويسترمن وهو يحدد كلمة النيلي بالقاطنين فقط حوض النيل أمّا علماء الانسان فيستخدمون هذا التعريف للدلالى على عرق له ثقافته وخواصه الفيزيائية المحددة أي أنه مرتبط بالثقافة والعادات أكثر منها باللغات ومع ذلم فيظل تصنيف ويسترمن افضل من الناحية اللغوية حيث يقسمهم إلى ثلاث مجموعات :

١ - المجموعة العليا النيلية وتحوي قبائل : الميتو - ابوكايا - اباكا - لوبا - تيرا - لندو المورو .

٢ - المجموعة الوسطى النيلية وتحوي علىقبائل الشيلوك ، انواك ، بير ، جور بيلاندا وكثيرو من شعوب شرق اوغندا مثل الأشولي ، لانفو - اتورو والجالو .

٣ - المجموعة السفلى النيلية وتحوي على قبائل - الدنكا والنوير .

إن افضل من يمثل النيلين الحقيقين من الناحية الفيزيائية هم قبائل

الشيلوك والدنكا . فهم طوال القامة ١٧٧ - ١٧٨ وسطياً مع جمجمة مستطيلة وهم سود الجلود. ومن المحتمل أن تكون العناصر الحامية قوية لدى الشيلوك أكثر من غيرهم وليس من المستبعد أن نرى بينهم أو نصادف رجلاً واضح المعالم والقسمات , وجبهة بارزةوشفاه رقيقة مع انف ذي قصبة عالية وفتحة أنف مقعرة . ويمكن القول أيضاً بأن الشلوك قد تزونجوا ولكنهم ليسوا زنوجاً ومن الناحية الثقافية هم نيليون أكثر منهم زنوج. وهم أيضاً رعاة ويشتركون مع الدنكا بهذه الصفة وهم بشكل عام يستطيعون انتاج ما فيه الكفاية من الحبوب لمعاشهم براحة تامة من اللحم والبيرة من موسم إلى آخر.

ويسير الرجال على العموم عراة ومن الطبيعي أن تكون الحضارة قد اثرت عليهم في الوقت الحاضر » ويخفون فقط الاعضاء التناسليةفقط وتلبس النساء قطعة من الجلد أمامية وقطعة أخرى خلفية وقد شاهدهم على هذه الحالة الرحالة المصري محمد ثابت مؤلف كتاب رحلة في ربوع افريقيا المنشور عام ١٩٣٦ وعادة ينزعون القاطع السفلي من الاسنان لتسهيل أكل اللحم كما تشطب الوجوه لعمل الندوب التي تعتبر علامة فارقة بين القبائل وهم على عكس جيرانهم في الطرف الكونغولي للنيل نادراً ما كانوا يضحون بالأرواح البشرية . ولم تكن لديهم عادة أكل اللحوم البشرية . ومن الناحية الفيزيائية فمنظرهم يدل على اعتزازهم الكبير بأصولهم ولديهم حب في ارتداء الألبسة الأوربية. ولدى الدنكا تقاليد مثيرة فيما يخص دورات التلقين حيث يقدم الأب ابنه مع ثور وبذلك يرتبط الولد نفسه بهذا الحيوان ويحاول أن يكون قوياً مثله . ويصف العلماء هذه العادة بالمشابهة من الناحية الفيزيولوجية حيث يمضي اوقاته يلعب معه . ويرتبط الاثنان باسم واحد وموت الحيوان يعتبر كارثة . وعادة لاتذبح البقرة للأكل إلا في حالات المراسم والأفراح . وتشمل هذه العادة جميع الشعوب الرعوية وحتى البدو في بادية الشام.

لايذبحون احدى المواشي إلا لسبب وجيه جداً وربما فقط لاكرام الضيف لأن الحيوان يقدم الحليب والصوف والحليب في اغلب المناطق الافريقية الرعوية هو عماد الحياة . وكثير من القبائل تمنع المرأة وهي حائض أن تقترب من البقرة لأنها حسب اعتقادهم تنقل لها الأمراض.

وتعتبر الحربة النموذج لسلاح النيليين . ولدى الدنكا في بحر الغزال القوس والنشابة ويمكن أن تكون قد انتقلت إليهم من جيرانهم ويعتبر الدنكا الذين يعيشون في منطقة السدود / منخفضات النيل/ وبعض النوير صيادون ماهرون في اقتناص فرس النهر بالسهام.

وتختلف التنظيمات الاجتماعية والثقافية لدى النيلين من قبيلة إلى أخرى . فالدنكا الذين يضمون مجموعة من القبائل لها نفس الأصل تحتل طرفي النيل ، وتمتد إلى بحر الغزال ، وكل قبيلة مستقلة بذاتها ولها زعيمها . كما لديهم اعداد من الأفخاذ (العشائر) ولكل منها طموحها وهم يتبعون النسب الأبوي

١ - الشيلوك : وعددهم يتراوح بين ١٥٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف ، وهم يشكلون شعباً موحداً والملك هو أعلى سلطة دينية وزمنية. وأحد الاعمال الرئيسية لدى ملك الشلوك ورأس شعب الدنكا هو جلب المطر ويطلق عليهم الملوك المقدسون. ويعتقد أن فكرة الملوك المقدسون اتتهم من مصر عن طريق وادي النيل ايام الفراعنة ونقلوهاا إلى الشعوب الواقعة في اوغندا وتقول الروايات التقليدية أن الملوك يعودون بنسبهم إلى البطل الشعبي نيكانج «نياكونفو» الذي انطلق مع اتباعه منفصلاً عن مجموعته القبلية إلى مناطق غير مأهوله شرق بحر الغزال واصبح يضم المناطق كما يحلو له واصبح قوياً بما فيه الكفاية لتأسيس دولة وعائلة مالكه ، وكانت عاصمته مدينة فاشوده جنوب السودان ويعتبره الشيلوك بطلهم الحقيقي من المحتمل أنه عاش في القرن السابع عشر وحسب اعتقادهم بأنه لم يمت. ولكنه غاب وتلاشى برياح ضخمة حيث وهب

قدسية كاملة بعد اختفائه وروحه تحل في كل ملك. وهذه الحلولية هي أصل قدسية الملوك وهي مقصورة عليهم . وقد سببت هذه القدسية والاحترام لخلفاء نيكانغ مشاكل لهؤلاء الملوك حتى أنه لايسمح للملك بالذهاب للحرب خوفاً عليه لذلك يجب أن تستقر روحه في جسم شاب وبصحة جيدة كما أن الملك يجب أن يكون بصحة جيدة لذلك إذا بدأ الضعف يظهر عليه فمن الضروري خنقه حتى الموت لتحل روحه القوية قبل أن تضعف بمن يخلفه ، وحتى إذا بدأ عليه أنه لم يعد يستطيع تلبية رغبات زوجاته العديدات وهذا يعني أن الروح المقدسة لم تعد تسكن فيه أي في جسمه وهي لم تعد تعطيه القوة والقدرة . وهذا ينعكس بالتالي على البقر الذي يخشى أن يضعف ويمكن أن يتناقص عدده ويتناقص الانتاج وسيضعف الناس ، وقبل النقاش في التفكير بمن سيحل محله يجب إفراغ روح نيكانغ من الملك السابق وإخراجها من مكانها ، لذلك لايمكن مقارنة حلوليه روح نيكانغ مع الوجود النظري للروح المقدسة في الطفل منذ الولادة ولا حتى مع البركة التي تعطى لبعض الرجال الدينيين في الاسلام. وحسب الفلكلور لدى الشلوك توجد فترة لايعود الملك ينام فيها ليلاً بل نهاراً ، وذلك عندما يقرر احد الأشخاص من العائلة المالكة التخلص من الملك أمّا عن طريق الخنق أو القتل المباشر لتحل روحه أو تخرج نياكانغ منه ، ولذلك يبقى هؤلاء الملوك المساكين مستيقظين خلال الليل بطوله خوفاً علي انفسهم من الخنق لأنه لايسمح لقتل الملك أو خنقه إلا ليلاً ومنفرداً أو مع زوجته فقط. ويجبر الحراس الموجودون حول أكواخ زوجات الملك بأن لايقدموا المساعدة للملك أو الذي يهاجمه إذا طُلبت منهم لأن المعركة يجب أن تكون متكافئة بين الطرفين وعلى كل حال لم تعد هذه الطريقة متبعة . ويقرر موت الملك عادة عدة اشخاص مختارين . من عدة عائلات تدعى أورورو من سلالة الملك الثالث للشيلوك . ومن المحتمل أنه في فترة من الفترات كان الملك يشنق. ولكن

من المؤكد وقبل عدة أجيال سابقة كان الملك يوضع في كوخ منفرد معلقاً على الحائط ويترك ليموت وحده ومهما تكن الطريقة التي يقضى بها على اللملك . فهناك برامج تدوم عدة شهور بعد الموت ويحمل تمثال ليناكانغ إلى فاشودة من ضريحه في اكوراوا على الحدود الشمالية لبلاد الشيلوك . ويحمل معهم الرسل ، الكراسي المربعة الأرجل والتي يقال انها تخفى لينا كانغ . والشيء الهام والرئيسي خلال تنصيب الملك الجديد وهو وضع التمثال على الكرسي الذي سيجلس عليه الملك الجديد الذي يبعد التمثال ويجلس على الكرسي بعد وقوع التمثال على الأرض . وليس لهذه العملية ، في الحقيقة سوى هدف واحد هو انتقال روح نيانكانغ إلى جسد الملك الجديد . ويشترك في حفلات التتويج مختلف القبائل بعد سير طويل للوصول إلى مكان الاحتفال ويجب أن لا يتخلف أحد من الزعماء .

وتشكل العائلات التي تنتخب الملك الطبقة الارستقراطية العليا وتضم أقساماً هي ميت – ريت Met - Ret وأولاده . نيوريست Nio - Rit وأحفاده في آريت N - aret أحفاد أحفاده كواني آريت Kwaniaret وهؤلاء فقط يمكن أن يرثوا العرش . أمّا العائلات المتفرعة من الملوك الأقدمين فنسمى أورورو ولم نفوذ عظيم وهناك طبقة قوية تدعى Kuyurs وهم أطباء السحر حيث تتمثل فيهم قوة العسس والأطباء . وأم نيكوانغ تسمى «كي . با» وتتمثل في التمساح ولذلك قدسوه وفي كل قرية هيكل لنيكوانغ ويكون على شكل كوخ باسق حوله كوخان عاليان تزين أعلاهما حراب عليها بيض نعام على أساس أن نيكوانغ كان قد وفد من الصحراء ممتطياً نعامة وإذا مات الملك تتزوج الزوجات الشابات من بعض أقربائه اما الطاعنات في السن فيصبحن حراساً للمعابد .

وبنات الزعماء هن بنات نيكوانغ . وعند زواجهن تقدم الضحايا لزوجه نيكوانغ الكامنة في بطن التمساح حيث يذبح عنز على حافة النهر

وتفد التماسيح لشرب الدم أمّا اللحم فيرسل لحارسات المعابد . وهم إذا رأوا دوامة هوائية سجدوا لها لظنهم أن الله (فوك) يسير مختبئاً بها وتكثر هذه العواصف عادة في شهور الجفاف خصوصاً بعد اشتعال النار الذي يكثر عندئذ في العشب والغابات .

وملوك الشيلوك مسؤولون عادة عن مراسم الاستسقاء للمطر في فاشوده . وعندما يقرر الاله الموجود في القبة الزرقاء ارسال المطر يحضر الملوك الذين يمثلونه . ويقدمون له المراسم الخاصة في مقاطعاتهم . وإذا تخلف المطر أقاموا رقصه لمدة ثلاثة أيام أو أربع حول معبد نيكوانج عند الغروب ، وهذه هي الرقصة الوحيدة التي يلبسون بها الأردية والعادة أن ينتظر الزعيم (كوجور) بعد الجفاف متحيناً فرصة يرجح زوال المطر فيها، ثم تقرع الطبول للرقص ويصلون وهم وقوف ووجوههم إلى السماء في غير حراك ساعات طويلة وكلهم إيمان بأن المطر سيهطل سراعاً . وفي داخل المعابد يوجد مذبح للضحايا من الخشب وفوقه يوجد بعض الطعام والمريسه يقدمها كل من أراد التقرب من الوسيط نيكوانغ .
يحب الشيلوك العيش في قرى كبيرة تصل إلى حدود المدينة التي تحوي بين ٢٥ - ٣٠ ألف ولديهم نظام عائلي موروث وثيق وقانون موحد مما يجعلهم أكثر الشعوب النيلية تنظيماً ، ويعيشون في أكواخ من الطين والقش مخروطية الشكل . ولايسير المحارب من الشيلوك إلا ومعه سلاحه المؤلف من حربة طويلة وحربتين صغيرتين وشعور الرجال عادو تكون طويلة ومرسله في حين يقص النساء قسماً من شعورهن ويزين الرجال رؤسهم بروث البقر الملون وهناك اختصاصيون من الحلاقين الذين يتوارثون هذه المهنة وهم محترمون من قبل الشعب . وعادة يتم الزواج بين الفتيان والفتيات عن طريق التعارف بينها خلال الحفلات التي تقام لهذه الغابة ، ولاتتزوج الفتاة قبل الخامسة عشر وبفضل رقص الفتيات خلال الحفلات التي يقدم فيها المريسة (مشروب مسكر) تتعرف الفتيات

على كثير من الفتيان وتعاشرهن ، ولكن عندما تريد أن تتزوج عليها أن تخير أمام كبار السن من عرفها من قبل من الفتيان الذين يضطرون لدفع نوع من الترضية للزوج تساعده على الزواج ، وعندما يصل الفتى إلى مرحلة الشباب تقام مراسم خاصة حيث ينتقل هو وصديقته إلى النهر المقدس ويأتيه الطبيب المختص بأداة حادة يشج بها جبهة الفتى الذي عليه تحمل هذه العملية القاسية تشجعه صديقته وعندما يجتاز هذه المرحلة يصبح في عداد الرجال الذين يحق لهم الاشتراك بأخذ قرار ما . ويتزين الشيلوك بالخرز الملون ويلبسون العقود صفوفاً فوق بعضهما بعضاً تصل إلى الصدر . ويحمل كل من قتل حيواناً مفترساً إشارة خاصة على يده تدل على ذلك ولديهم تعدد الزوجات وعدد الزوجات حسب إمكانية الرجل عل دفع المهر الذي يكون عادة من البقر أو الحراب وسنارات الصيد ، وعند ميلاد الفتى تقدم الهدايا من الحيوانات التي تجمع له وبطول الزمن يزداد عددها وتعطى له عندما يبلغ مرحلة الشباب . وإذا توفي أحدهم دفن داخل كوخه ويغلق الكوخ سنة كاملة ثم يهدم . وعند دفن الميت تقام الاحتفالات والمراسم الخاصة الراقصة . تعدد فيها مناقب الفقيد ، ويقدم فيها الطعام والمريسة ، ويعتبر (فوك) الاله وهو القادر المسيطر ووسيطه نيكوانغ جدهم الكبير لذلك فدياناتهم خليط من الوثنية وعبادة الأرواح.

والشلوك شعب قوي استطاعوا في عام ١٥٠٤ غزو مدينة سنار في شمال السودان . ولكن البقارة . غزوهم عام ١٨٦١ ، وفي عام ١٨٧٤ ثاروا أيضاً على الحكومة المصرية في السودان وفي عام ١٨٩٠ ثاروا مرة أخرى خلال حكم المهدية للسودان ،ولكن الدراويش استطاعوا التغلب عليهم وإخضاعهم .

يتكلم الشلوك لغة شاري – نيل العائدة للغات النيلية الصحراوية واقتصادهم مبني على الثروة الحيوانية والصيد البري والنهري ولديهم

بعض الزراعات فهم يزرعون الذرة والتبغ . وعدا كون الحليب للشرب هو مادة تبادل مع النوبيين الذين كانوا يقدمون لهم الفول السوداني . وكل عائله تملك كوخين أو ثلاثة يحوطها سور ومن الجانب يقع الاسطبل . وعادة تكون بيوتهم نظيفة وتحوي ثلاث أجنحة واحد للزوجة الأولى والثاني للطبخ والثالث للخدم والأولاد واجب مشروباتهم المريسة وهي نوع من المسكر يستخرج من الذرة . وزوارقهم هي عبارة عن ساق محفور أو أعواد مرتبطة مع بعضها على شكل مجوف يحمله الرجل حيث شاء .

٢ – الدنكا Dinka: وهو شعب يتكلم اللغة النيلية وهو وثيق الصلة بالنوير ، ويعيش في السافانا حول المجرى الأوسط لنهر النيل جنوب السودان الحالية ويبلغ عدد الدنكا اكثر من مليون نسمة ، ينقسمون إلى قبائل عديدة مستقلة الواحدة عن الأخرى وتعد الواحدة بين (١٠٠ – ٣٠,٠٠٠) وتتجمع هذه كلها في مجموعة لغوية اقليمية واحدة ذات قاعدة ثقافية وثيقة تمتد حتى إلى الجيران ، ويعرف من أقسامهم الأجار – البور – الربك – المالول .

كان يطلق على الدنكا (زولوا) أعالي النيل بسبب قوتهم وبأسهم وقد تفرقوا إثر حروب أهلية دبت بينهم وقد استغلها تجار الرقيق وأخذوا يثيرون القبائل على بعضها لاقتناص العبيد وكان يساق منهم في العام حوالي عشرين ألفاً من الرجال والنساء والأطفال ، كما أدت هذه المنازعات الداخلية إلى تفرقهم والسكن بقرى صغيرة متفرقة لا يزيد عدد الواحدة على أفراد العائلة . وتمتد بلادهم من شمال بحيرة /نو/ إلى جنوب السدود ، حول شامبي إلى شرق النيل الأبيض ومن كودوك والرنك ، وتاريخهم غامض . ولكن المعروف أنهم استطاعوا الإغارة على عرب السودان في الفترة التي سبقت دخول الأتراك . وتقدموا شمالاً على الضفة الشرقية للنيل الأبيض ، ـ كما فعل الشيلوك ـ على الضفة اليسرى لأن

مناطق السدود ، قد ضاقت بهم لضيق مساحة اليابسة . ويظهر أن هذا هو السبب الذي حدا بكل القبائل من امثالهم في اعالي النيل إلى محاولة احتلال المناطق الشمالية في اواخر القرن الثامن عشر. ويعتقد أنه لولا التفوق في الاسلحة النارية لاكتسحوا جميع السودان. ومن المؤكد أن الدنكا عبروا نهر السوباط وغزوا بلاد الفنج سنة ١٧٧٥ وتقدموا بزعامة« أكواي تشاكاب» أكثر من ٥٠٠ كم شمالاً إلى جزيرة / أبا /التي هب منها المهديون واكتسحوا شمال البلاد/ ولكنهم ردوا على اعقابهم إلى جنوب الرنك.

والدنكا رعاة رحل ويعتمد اقتصادهم وحياتهم على قطعان الماشية (البقر والجاموس وهم يقودون قطعانهم إلى شواطئ النيل في الفصول الجافة من كانون أول حتى نيسان ثم يعودون إلى مقراتهم الثابتة في السافانا خلال فصل الامطار حيث يقومون ببعض الزراعات كالحبوب والذرة والدخن.

كل قبيلة هي الآخرى مقسمة داخلياً إلى أجزاء متشابهة من الناحية السياسة وتشكل جزءاً مستقلاً تمام الاستقلال وقد جاءت هذه التجزئة أيضاً بسبب اتساع اراضيهم واللهجات المختلفة التي يتكلم بها افراد القبيلة الواحدة ولكن الجميع يوحدون صفوفهم أمام العدو.

وتقتضي دياناتهم واعتقاداتهم بوجود الرهبان (أي نظام اكليروس) فهناك الرؤساء الأسياد واسياد الصيد .. الخ ويعتبر هؤلاء القادة الروحيون للقبيلة والأفخاذ المتفرعة منها ، ويعمل هؤلاء على دعم مراكزهم بالأساطير التي يؤلفونها ، وهناك آله وهو /نهيال/ يعتقدون به بالأضافة إلى عدد من أرواح الاسلاف التي يدور عليها قسم من الحياة اليومية لكل شخص. ويمكن أن يكون القتل مناسبة للتضحية واسترضاء الروح المقدسة وأهم هؤلاء هو جالب المطر كما رأينا لدى الشيلوك ولكنه لايقتل ملوك الشيلوك المقدسين بل هو الذي يقرر ترك مكانه إذا

وجد نفسه قاصراً عن تقديم النصائح أو ترأس الشعب. وهو الذي يقبل أن يوضع في موقف خطر حضر له سابقاً، ومن المحتمل أن يبقى ٢٤ ساعة يحضر نفسه للموت مقدماً النصائح لرجال القبائل الذين يعجون حوله ، وعندما يشعرون أو هو يشعر أنه لم يعد لديه ما يقوله يطلب من شعبه أن يغطيه وسرعان ما يخنق مباشرة.

وهم كالشلوك ترتبط حياتهم بالبقر ويراقبونها صباح مساء ويغنون لها اغاني البقر المقدسة وينامون على فرش من روث الحيون واكواخهم شبيهة باكواخ الشيلوك ، ولكنها قذرة ويسيرون عرايا عدا المتزوجات حيث يضعن جلدين من الماعز أحدهما للأمام والثاني للخلف يقدمها لهن العريس قبل الزواج . ويتزين الجميع نساء ورجالاً بالخرز والودع وكبر عقود الرجال دلالة على جاههم وثروتهم . ويكثر شبابهم من لبس الخرز فوق رؤوسهم بعد ازالة الشعر حتى الناصية حيث يكور ويصفف في أشكال مختلفة ويدهنون الشعر بمخلوط من بول البقر وروثه ومسحوق الثرى الأحمر كما يدهنون كل الجسم بهذا المخلوط القذر ذي الرائحة الكريهة وسلاحهم الحراب القصيرة والصوالج والتروس من الجلود.

تحجز الحامل عادة وحدها في الكوخ قبل ميلاد الطفل ويحاط الكوخ بحبل يدل على العزلة وكل من يتخطى هذا الحبل يصبح مسؤولاً عما يصيب الأم وطفلها من مرض وأذى وتقاس ثروة الرجل بعدد قطعانه وعدد بناته اللواتي بلغن سن الرشد (أي يكون في الخامسة عشر من العمر.) فمهر الفتاة يكون بين ٣٠ - ٤٠ بقرة حسب جمالها . ولما كانت المرأة عرضة للبيع فهي لاترث ، وهم يخالفون الشلوك في الزواج . إذ بعد أن يدفع الزوج جزءاً من المهر يخول له الاختلاط بالفتاة . ولا يدفع الباقي إلا بعد ميلاد أول طفل ، وللرجل أن يطلق زوجته العقيم ، فإذا ثبت صدق قوله رد له والدها ما دفع من مهر ، وللفتاة الخيار في أن

تتزوج من غيره فإن طلقها هذا للسبب عينه ، وتزوجها ثالث فلا مهر لها . فإن حملت وولدت في هذه المرة كان الأطفال لها لا للأب ولها الحق ببيعهم.

وغذاؤهم الرئيسي هو لبن البقر الذي يمزج مع نوع من الفول يسمونه (كوردالا) ثم الذرة التي تؤكل مع لحوم الغزلان والسمك ولتسهيل بلع ذلك الطعام اللزج تنزع الاسنان الآربعة السفلى منذ الصغر بواسطة احدى الحراب التي يصيدون بها السمك ، ومن احب الأطعمة لديهم شرب دم الماشية حيث يربطون الثور ويفجرون وريداً منه بضربة من احدى الحراب فيسيل الدم إلى اناء . ثم يضمد الجرح بالروث والثرى ويرفع الواحد منهم الأناء إلى فمه مرتشفاً الدم بلذة غريبة ثم يناول جاره ، وكثيراً ما ترى على جباههم ندوباً خلفها التجريح السابق في اشكال مختلفة تحدد القبائل التي يعودون إليها.

والدنكا على دراية ببعض الحرف حيث يجيدون ضفر السلاسل والحصر وصنع الطبول وعمل الخزف والصيدلة والجراحة وطب الاسنان والتدليك وطب الحيوان (البيطرة) وهم فخورون بأنفسهم ومستقلون ومحاربون اشداء ولديهم مراسم خاصة لانتقال الانسان إلى مرحلة الرجولة عن طريق المنظمات المعروفة (طبقات الاعمار المتقاربة) الموجودة في مختلف القبائل . وتخص الرجال دون النساء.

٣ – النوير Nuer : من الشعوب التي تتكلم اللغات النيلية ويعيشون في مناطق المستنقعات والسافانا على طرفي نهر النيل جنوب السودان. وتعود لغتهم إلى اللغات السودانية – الشرقية العائدة لعائلة اللغات الكبرى /نهر شاري – نيل/ وهم أيضاً مربون للبقر ويعيشون على منتجاتها ولديهم بعض الزراعات الموجودة لدى الدنكا والنوير – الدخن والذرة يزرعونها في الأراضي التي يغمرها نهر النيل شتاءاً وينحسر عنها صيفاً كما يحصلون على البروتين من سمك النيل

والمستنقعات وعند الفيضان يعودون إلى أكواخهم الثابتة التي بنوها في المناطق العالية ويبلغ عددهم حوالي ٣٥٠- ٤٠٠ ألف .

ويشكل النوير من الناحية السياسية مجموعة من القبائل ، ترتبط بعضها بنوع ضئيل من الوحدة حيث تشكل القبيلة القاعدة الرئيسية ، والمنازعات التي كثيراً ما تحدث وتجري فيها الدماء تسوى عن طريق دفع الديه من البقر. والوسيط هو الراهب (الرجل الديني) الذي يحمل جلد الفهد ، ويمكن اعتبار الوحدة بينهم ضعيفة نسبياً . فكل قبيلة تنتسب إلى نفس الجد . ومن نفس الجنس تعيش في منطقة خاصة بها وتتملكها باسم القبيلة التي تعتمد النسب الأبوي ولكل فخذ أرضه الخاصة ، وربما اجتمع فخذان في مكان ، وهناك عدد كبير من القبائل المجاورة ، وبخاصة من الدنكا يعيشون بينهم ولهم نفس حقوق السكان الأصليين وقد اندمجوا كلياً في مجتمعاتهم.

وكغيرها من القبائل النيلية يقسم كل فخذ إلى ستة طبقات من الاعمار المتقاربة (الجيل الواحد) ويخضع الفتى في طبقته للتلقين ضمن مراسم مختلفة بما فيها عمل ندب عميق في الجبهة يمتد من الأذن إلى الأذن الأخرى عبر الجبهة ويصل عدد الندوب إلى ستة . وكل الفتيات الملقنات خلال مرحلة واحده تدوم ستة أعوام يعودون إلى نفس الطبقة . وهناك فرجة تقدر بأربع سنين لايوجد فيها تلقين وفي نهاية المرحلة تولد طبقة جديدة ولدى النوير أيضاً تعدد الزوجات والمهر يكون من البقر أيضاً ويقدم لاقرباء العروس من ناحية الأب والام ويعاون العريس أقرباءه في المهر ومن الضروري لدى النوير أن يكون لأي شخص وريث لذلك إذا توفي احدهم دون أن يتزوج يقوم أحد أقربائه بالزواج من احدى النساء لحساب المتوفي والولد الذي يولد هو الوريث للرجل المتوفي وعلاقات القربى بين أفراد النسب الواحد قوية وتعطى لها أهمية خاصة ويتعاون الجميع فيما بينهم في السراء والضراء والنوير متدينون جداً ويصلون

ويضحون لقوة موجودة في السماء وهي موجودة في كل مكان مثل الهواء وتظهر على أشكال مختلفة وهم يشبهون الدنكا بأجسامهم ومختلف النواحي الفيزيائية ولو انهم أضعف بنيه وأميل إلى البياض وهم يسيرون أيضاً عراة ويضعون عقداً من الخرز حول الخصر وأكواخهم أقل تنسيقاً من جيرانهم ويلطخون أجسامهم بالدماء ويتركون شعورهم منفوشة في مقدمة الراس ويقصونه من الخلف والنساء يكورونه في أشكال مختلفة .
ومن عاداتهم تجريح ظهورهم وصدورهم ، وتتلاقى عند نهاية العمود الفقري . وهم مشتتون في جماعات صغيرة بخاصة حول بحر الزراف ونهر السوباط وعلى بحر الجبل وبحر الغزال وراء بحيرة /نو/ يدخنون كثيراً من التبغ الذي ينتج عندهم ، وطعامهم يوضع في أطباق من الخشب ويتناولونه بواسطة الأصداف ولايستخدمون اليد كالدنكا والشلوك واجب الغذاء لديهم لحوم الحيوانات البرية والنهر كالتمساح وفرس النهر ثم الذرة واللبن كما يحبون أيضاً دم البقرة ، ولكن بعد غليهما ويفضلَ الذكور عن الإناث خلال الطعام ، ويصطف كل جبل متقارب في الاعمار ويوزع عليهم الطعام وبعض (المريسة) الشراب الكحولي المنتشر في كثير من انحاء شرق افريقية ولهم طرق كثيرة في صيد الحيوانات وبخاصة الأفيال .

ويتبع النوير نفس الطريقة المتبعة لدى الشلوك في نقل الغلام من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة فعند بلوغ الغلام الخامسة عشر يحلق رأسه وينام على ظهره ويضع رأسه في حفرة ويتقدم رجل مسن يجرح جبهه الفتى ستة جروح متوازية تبدأ من الأذن إلى الأذن ويغسل الجرح بالماء البارد . ثم يعزل في كوخ خارج القرية حتى يشفى ثم يهيم في البراري وحده أياما كي يقوى ويألف الشدة وإذا مانجح في صيد زرافة بحربته دون مساعده يعد رجلاً ويعود إلى القرية ويصبح مساهماً في بقر القبيلة ويقدم له حربتان ثم يزوج ويقام له كوخ خاص . ويندمج الفتى

مع أقرانه (من جيله) ويخرج الجميع إلى الصيد ويتعاونون وعليهم الأخلاص لبعضهم والدفاع عن بعضهم ضد الاعداء وعلى إقامة الأكواخ . والمساهمة في مهر الزواج .

يدفن النوير موتاهم بعد رش المقبره بمزيج من اللبن والمريسة ويوضع بجانب الجثة غليون التدخين ليتسلى الفقيد حتى يصل إلى عالم الأرواح . وتطلي جثة الزعيم بالزبد وتوضح على قطعة من خشب وتدفن سراً خوفاً من أن يجدها الاعداء وينتقمون منه وأما السحرة أو الأطباء السحر فيدفنون في مقبرة عالية على شكل هرم علوه ثلاثة أمتار وعلى قمة توضع حربه تعلوها بيضة نعامة وبعض الريش . وهم يعتقدون بوجود الجن على شكل أفاعي في مستنقعات بحر الجبل والعادة أن يحمل الواحد منهم حربتان الأولى للحرب والثانية للصيد .

لاشك أن كثيراً من هذه العادات قد ترك من قبل كثير أفراد القبائل بعد وصول التعليم ولكن لاتزال العادات القديمة ونجاحه مايتعلق بالنواحي الاجتماعية تلعب دورها كما أن كثيراً من القبائل لاتزال تعيش في نفس الحالة التي كانت تعيشها منذ مدة طويلة وبخاصة التي يعتمد اقتصادها على البقر وتربيته ورعايته .

- الممالك البانتوية في وسط شرق افريقية :

أدت الهجرات الحامية (الكوشيه) والنيليه إلى ظهور عده دول في المنطقة الداخلية في الفترة التي سبقت دخول الاستعمار الغربي وبخاصة في القرن التاسع عشر اقامتها عناصر حامية ونيليه وبانتويه تعتبر من أقوى الممالك والتنظيمات السياسية التي ظهرت في شرق افريقية .

ومنذ القرن السادس عشر اندفعت قبائل الفالا الحامية التي هاجمت اثيوبية من الغرب إلا أنها في مرحلة من المراحل استدارت متجهة نحو الجنوب دافعة أمامها قبائل الوانيكا الساحلية وعبرت نهر تانا في كينيا

الحالية واحتلت الأراضي ماوراء النهر ولكنه توقفت قبل منتصف القـرن الثامن عشر تحت ضربات المحاربين الماساي المتجهين شمالاً في الوقت الذي كانت فيه القبائل الصومالية مندفعة نحو جنـوب الصومـال الحاليـة لذلـك وقع الفالا داخل كماشة صومالية من الشمال والماساي مـن الجنوب مما اضطرهـم للـتراجع إلى منـاطقهم في الشـمال كمـا أدى أيضـاً إلى توقـف اندفاع الماساي شمالاً كما أن اندفاعهم – كما رأينا – نحو الجنوب توقـف هو الآخـر حـوالي عـام ١٨٣٠ أمـام مقاومـة الواهيهـه في وسـط البـلاد وبذلك استقر الماساي في أماكنهم الحاليـة . في الوقـت الـذي كـانت فيـه قبائل الباهيما الـتي يقـول أكـثر المؤرخـين أنهـا قدمـت مـن مكـان مـا في السودان بين النيل والبحر الأحمر واندفعت نحو أوغنـدا مـن الشـمال مـن خلال غرب اثيوبية حاملة معها ثقافة الحديد . وهناك روايات تقـول بـأن بعضا منهم على الأقل يمكن أن يكونوا قد دخلوا جنـوب غـرب أوغنـدا من الكونغو ومروا بين بحيرة كيفو وبحيرات البرت وأدوار وهنـاك أقـوال بأن الباهيما يشكلون الموجة الثانية التي حملت معها ثقافة الحديد إلى شرق افريقية ، وقد بنوا مدنـاً علـى مسـتوى جيـد في /انكـول/ الواقعـة غـرب أوغندا وقد ظهرت عدة مواقع اثرية تدل على أنها كانت مأهولة ويعتقـد بأن هذه المنطقة المكتشفة كانت عاصمة الباهيمـا وأنهـا تعـود إلى الحكـام المعروفين باسم الموشوازي . وهناك أسطورة أخـرى تتكـرر دائمـاً خـلال البحث في تاريخ شرق افريقية هـي شـعب الباشـوازي الذيـن هـم أسـاس العائلات الحاكمة في مناطق البحيرات ولايعرف حتى الآن مـن هـم ومـن أين أتوا ؟ وهناك اعتقاد بأن مجموعة جديدة من المهاجرين دخلت أوغندا قبل أربعمائة أو خمسمائة عام . ومن المحتمل أنهـا عـاصرت آخـر مراحـل غزو الباهيما وهؤلاء هم /اللو/ الذين يعودون بأصولهم لمنطقة بحر الغزال في جنوب السودان هم الذين قضوا علـى الباشـوزاي هـذه المجموعـة مـن القبائل اضطرت للهجرة بسبب تزايد السكان للتفتيش عن اراض جديدة

للزراعة والاحتلال والاستيطان كـأنهم لم يكونـوا في وفـاق مـع جـيرانهم الآزاند وكانت حركتهم الأولى متجهة شمالاً . ومروا بين الدنكـا والنوبـر لذلك اتجهوا شرقاً ثم جنوباً للدخـول إلى أوغنـده علـى موجـات متتابعـة كعملية تسرب مجموعة بعد مجموعة وتأخذ اتجاهات مختلفة ، احدى هـذه المجموعات وهي /اللور/ Alur عبرت النيل شمال بحيرة البرت ثم استقرت في المنطقة التي خلفها ومن المحتمل أن يكون القسم الرئيسي قد اسـتقر في المنطقة المعروفة باسم /اشولي/ في حين واصلت بقية المجموعات سيرها نحو الجنوب وعبرت نيل فكتوريا ، وقسم منهم أخـذ يـراوح في سـيره عـائداً نحو الشرق داخل المنطقة حول بحيرة كيوجا ، وبالصدفة دفعت المجموعة الأخـيرة باتجاه الجنـوب مـن قبـل غـزاة جـدد حتـى وصلـت عرضيـاً إلى مواطنها الحالي على الساحل الشرقي لبحـيرة فكتـورا فيمـا يعـرف حاليـاً بمنطقة /نيانزا/ الواقعة على شاطئ فكتوريا الخاص بكيتيا .

وخلال مسيرة (اللو Luo) اختلط هؤلاء مع بقايا الهيما المهاجرين . ومن المحتمل أنهم اقتبسـوا منهـم فكـرة الملكيـة المقدسـة . وكـانوا شـعباً عدوانياً ومحاربين مرموقين استطاعوا التغلب على الباهيمـا المسـالمين جـدا والذين كانوا يحتلون البلاد جنوب النيل . وبعد اجتياز النهر تقدم اللو في المنطقة المعروفة حالياً /ببونيرو/ حيث دفعوا الباهيمـا إلى الجنـوب أمـامهم واحتلوا البلاد وأقـاموا عائلـه مالكـه عرفـت باسـم البـابيتو Babito الـتي حكمـت مملكـة بونـيرو - كيتـارا ولاتـزال بقايـا هـذه العائلـة النشـيطة موجودة في البلاد حتى الآن كما أقامت احدى فروع هذه المملكة مملكـة أخرى في بوغندا ثم انتشرت العائلات المالكة الشمالية الغربيـة في تنزانيـا وقد سبقت نموذج الشويزي القديم وقد أتت مـن المنطقـة الواقعـة حـول البحيرات خلال القرون الوسـطى وتعـرف ممالكهـا باسـم ممـالك النتيمـي حيث أصبحت تسيطر على المنطقة بين سوكوما والنيامويزي ومن المحتمل

انهم كانوا زعماء دينيين أكثر منهم سياسيين فهم لم يحكموا على شكل دولة قبل القرن التاسع عشر أي بسلطة مركزية والتي كانت تميز دول منطقة البحيرات . ومع حوالي القرن السادس عشر كان هناك امتداد لمثل هذا النموذج من الاقطاعيات وأشباه الدويلات الجنوبية داخل غرب تنزانيا . نمو سياسي آخر ظهر في منطقة البحيرات وكانت مملكة رواندا أكبر هذه الممالك . وقد حمت مؤخرتها منذ البداية بالحاق بحيرة كيفو بها وبعد ذلك وبعد حروب مدمرة استطاعت أن تبتلع مملكة جيساكا في الشرق كما استطاعت هزيمة البورندي في الجنوب ، ولكن تحت حكم الملك (موامي) كيجيري الرابع الذي نظم قوتها العسكرية امتدت سيطرتها نحو الشمال بالغارات التي كان يقوم بها . ولم يكن يماثل رواندا سوى مملكه بوغندا ، وتعرف العائلة المالكه باسم نيجينيا وهي من الهيما .

وإلى الأبعد للجنوب أقام شعوب التوتسي (أو الهيما) أو الواتوس مملكتهم المعروفة الآن باسم جمهورية بوروندي والواتوسي شعب من الرعاة من المحتمل أن لهم علاقة مع الغالا في جنوب اثيوبية . وقد فرضوا سيطرتهم على الفلاحين الهوتو (من البانتو) الذين يعيشون في تلك المنطقة وفي الفترة مابين ١٦٧٥ م ٠ ١٧٠٥ م نشر /نتارروشاتسي / وهو من الهيما نفوذه على وسط منطقة نكوما وغيرها من المناطق المجاورة كما قام ملك آخر ، الموامي (ملك) هونتار الثاني ١٧٢٥ – ١٨٥٢ بفتوحات واحتل قسما من المنطقة الواقعة حالياً جنوب رواند وغرب تنزانيا وقد مرت المملكة بفترات حرجة من الحروب الداخلية لوراثة الملك حتى احتلال الالمان لها عام ١٨٩٠ وبقيت مملكة البوروندي قائمة حتى الحرب العالمية الثانية حيث سقطت وأعلنت الجمهورية بعد حروب أهليه

عرقية مؤسفة بين الطبقة الحاكمة الواتوسي والاغلبية الشعبية من الهوتو . كما سقطت العائلة المالكة في رواند وأعلنت الجمهورية بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٦١ .

١ - مملكة بونيرو - كيتارا : وقد ازدهرت مملكة بونيرو - كينارا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر غرب بحيرة فكتوريا . وقد أسسها غزاة مهاجرون قدموا من الشمال ومعهم قطعانهم الكبيرة وكانت ألوانهم أخف سواداً من السكان المحليين النيرو (من البانتو) سكان البحيرات وقد عرفت العائلة الملكة باسم البابيتو /كما راينا/ وقد دفع البابيتو حدود دولتهم الجديدة بعيداً إلى الشرق وإلى الجنوب والغرب ،وهي مصدر فخر شعب بانيرو حتى الآن وبخاصة في كينيا حيث وصلوا إلى بلاد الكيكيو كما امتدت بعيداً داخل الكنغو . وكان الباكاما (ملك) بونيرو - كيتارا له السلطة المطلقة ووضعه كحاكم دنيوي تدعمه قدسيه اشتراكه في الطقوس ، الدينية الشعبية لذلك أطلق عليهم الرهبان المقدسون ومنذ عام ١٨٠٠ بدأ يفقدون قوتهمبسبب الحروب التي كانوا يشنونها للأمساك بهذه الامبراطورية الواسعة وفي الوقت ذاته فبسبب سلسلة من السلبيات التي قام بها ملوك (الباكاما) بونيرو دمر السلاح أو القوة العسكرية التي أقامت المملكة عن طريق تدمير الطبقة العسكرية . وبما أن المملكة كانت مركزية بشكل قوي فقد أخذت المراكز الامامية التي أقيمت لحماية المملكة تعمل لرفع عبودية الحكام المركزيين عنها وذلك بالالتجاء لمساعدة مملكة بوغندا التي بدأت تتوسع على حساب بونيرو - كيتار منذ عام ١٧٨٠ واستمر ذلك أكثر من نصف قرن وبذلك بدأن كيتارا تعاني شيئاً فشيئا من انحطاط كبير منذ بداية القرن

التاسع عشر كما ذكرنا وبخاصة عندما انفصل أكبر أولاد الباكاما (ملك) كيبامبي الثالث عن والده واستقل لنفسه وخلق دولة حديثة هي /تورو/ في شرق جبال القمر /رويتزوري/ لقد ظلت امبراطورية كينار ثابته حتى عام ١٨٧٠ عندما استعاد الملك الدموي الباكاما كاباريجا نشاطه من جديد . وقد أدى هذا إلى نزاعات دموية مع جارته مملكه بوغندا . وفي هذا الوقت دخلت قوى جديدة إلى أوغندا وهم الأنكليز حيث انضم إليهم البوغانديون ضد كيتارا وقد استنفذ كاباريجا قوته في النضال ضد البريطانين كما انضمت اقطاعيات الباهيما إلى مملكة يوغندا في نضالهما ضد كارباريجا دون أن تعترف بسلطة الكاباكا (ملك) بوغندا عليهم وقد ابتدأت القوتان بتبادل الهدايا بين الباهيما والكاباكا ، وكان آخر ملوك كينارا هو كاباريجا المذكور الذي أقاله الإنكليز عام ١٨٩٤ لصالح بوغندا وهو ابن الملك كاما زاري الملك السادس عشر لبونيرو ـ كيتارا من سلاسلة الغزاة الغالا ، وقد اصطدم هذا بالمكتشف البريطاني بيكر الذي كان يعمل لحساب خديوي مصر اسماعيل لتأسيس مديرية خط الاستواء . وكان كارباريجا يشك كثيراً بأهداف بيكر وكان شكه بمحله فقد أعلن بيكر يوم ١٤ مايس ١٨٧٢ ضم مملكة بونيرو إلى أملاك الخديو . ويقول عنه الآن مورهيد في كتابه النيل الأبيض «لقد كان كاباريجا برغم حداثته وحداثة عهده بالحكم أكثر بكثير من مجرد رجل خليع سكير . فلقد اضطر أن يقاتل من أجل عرشه عندموت أبيه – قبل عامين – وأبدى بوادر تلك الصفات التي جعلت منه فيما بعد قائداً واسع الحيلة لحرب العصابات في افريقية الوسطى ، وكان في تلك المرحلة قليل الخبرة شديد الحاجة للمشوره الطيبة . ولكن المرء لايمكن أن يلومه لأبائه ورفضه اقتحام بيكر لمملكته . وكان حسناً من بيكر أن يزعم أنه جاء باسم الصداقة – ولكن مامن رجل قوي في ذلك العالم الوحشي اعتاد أن يذهب إلى أي مكان باسم الصداقة المجردة وإنما كان يهدم البلاد التي

يغزوها ويحول أهلها إلى أتباع ، وهذا ماقبل بيكر ليعمله بالتأكيد . لذلك وقع الصدام بين بيكر وكاباريجا في ٨ حزيران ١٨٧٢ وكان كل محاربي كاباريجا يقفون في صفه ويقاتلون من أجله وكثير منهم كان مسلحا بالبنادق الحربية ورغم نجاح كاباريجا الأولى في قتاله ضد بيكر إلا أن هذا استخدم الصواريخ المعروفة باسم هيل فخاف جنود باريجا وتراجعوا منسحبين للغابات بعد أن أحرق بيكر أكواخهم وانتقلوا إلى حرب العاصابات مما جعل بيكر وبعد الخسارة التي تكبدها إل التراجع إلى فويرا يوم ٢٤ حزيران وقد عرفت هذه المعركة بمعركة ماسيندي وتعاون بيكر أيضاً مع أعداء كاباريجا وقد اضطر كاباريجا للفرار ولكنه اصطدم بالانكليز الذين استطاعوا إلقاء القبض عليه وأبعدوه عن الحكم .

٢ - مملكة بوغندا : لقد ذكرنا سابقاً أن أحد فروع العائلة المالكة في بونيرو - كينار وهي عائله البيتو استطاع إقامة دولة لنفسه وهي مملكة بوغندا والتي تعد أولى الدول البانتويه في تلك المنطقة ، وتقع أراضيها مباشرة شمال بحيرة فكتوريا , لبعض الوقت كانت أضعف من دولة بونيرو - وكيتارا ولكن فيما بعد أخذت النسبة بين الدولتين تتغير لصالح بوغندا وكان ظهور البوغندا في القرن السادس عشر وقد استفادت في القرن السابع عشر من التوسع الذي أحرزته مملكة بونيرو لتقوم هي الأخرى بالتوسع في القرن السابع عشر حيث وصلت في القرن التاسع عشر إلى ذروتها . ثم أصبحت الحرب الوسيلة الرئيسية للطاقة العسكرية للفاندا . وكانت الطبقة الحاكمة والطبقة الارستقراطية حولها تمتلك العبيد والبقر وعاج الفيل ، عن طريق الهجوم عل الشعوب المجاورة وقد أطلق على ملوكها لقب /الكاباكا/ ويجمع كل القوة والثروة وهو الذي يوزعها على تابعيه من الحكام الذين أقل منه نفوذاً والذين يقدمون له الخدمات وهو يمتلك الأرض ويستخدمها لصالح قبيلته وعندما يقدم مقاطعة لأحد الزعماء فهي لم تقدم له على شكل هدية بل كان لإعطائه

الحق لجمع الضرائب والرسوم من السكان في تلك المقاطعة كضمانة لخدمته كزعيم مقاطعه وعادة هناك صراع عنيف ينشب دائماً عند وراثة العرش بعد وفاة الملك ولكن عندما يكون في المنصب كاباكا قوي يكون الوضع مختلفاً ولايمكن لأحد الاقتراب منه . فقررات الملك وليس التقاليد هي القانون وعادة يمضي أهم الزعماء أوقاتهم جالسين تحت أقدامه يظهرون إمارات الاعجاب عند كل عمل يقوم به ، وتضمن العلاقة الوثيقة مع الزعماء الأقل شأناً اعتراف الشعب بالسلطة المطلقة لحاكمهم. وفي وقت متأخر من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أصبح مركزاً الكاباكا مرموقاً ويتطلب صراعاً عنيفاً في خلافه العرش أكثر مما تقدم وخلال القرن التاسع عشر بدأت التأثيرات الخارجية من اسلامية ومسيحية تصل إلى بوغندا بخاصة أيام الملك موتيسا الأول (١٨٥٦ – ٨٤ م) وبعد موته تفرقت الدولة إلى جماعات سياسية دينية وفي عام ١٨٩٠ أصبحت بوغندا جزءاً من دائرة النفوذ البريطاني ، وفي عام ١٩٠٠ قبلت بوغندا وضع نفسها تحت الحماية البريطانية ، وعند استقلال أو غندا حدثت مشاكل بينها وبين ملوك البوغندا عام ١٩٦٠ ألغيت فيها الملكية وانضمت إلى جمهورية أوغندا وطرد الكاباكا خارج البلاد.

ويعتبر موتيسا الأول أهم ملوك البوغندا واسمه الكامل موتيسا دالوغامب موكاباكا وحكم من كانون أول ١٨٣٨ إلى تشرين أول ١٨٨٤ وكان حاكماً أوتوقراطياً ولكنه كان تقدمياً وقد وجد في فترة حرجه من تاريخ أوغندا ، عندما بدأ الأتصال الوثيق والمكثف مع العرب والأوربيين .

ويوصف موتيسا بأنه في وقت واحد شفوق وطاغية ولكنه كان يتمتع بمرونة سياسية عالمية ، وعدا فترة عدم الاستقرار التي سادت خلال السنين الستة الأولى التي حكم فيها إلا أنه استطاع فيما بعد أن يوطد

الحكم بشكل قوي عن طريق حكومة مركزية يعتمد عليها ، وتعتمد هي على زعماء الأفخاذ الذين لم يكن لهم حول ولاقوة لأن القوة كانت جميعها مركزة في شخص الملك الذي أثبت مقدرة تنظيمه قوية وقد نظم الادارة ونظم البنية العسكرية وخلق أسطولاً من المراكب في بحيرة فكتوريا . وقد ازدهرت البلاد تحت حكمه وقامت بغارات على جيرانها من الدول وبالاضافة إلى محاولته مد سيطرته ونفوذه ، كان يعمل للمراقبة والسيطرة على تجارة العبيد وعلى تجارة العاج لجعلها تخضع للضرائب المفروضة من قبله . وكان العرب يقومون هم والهنود بهذه التجارة تحت مراقبته المباشرة ويبدو أنه تأثر بالدين الاسلامي . وصام رمضان من عام ١٨٦٧ و ١٨٧٧ ولبس اللباس العربي وأخذ باتباع طرق الحياة العربية ولكنه تخلى عن كل ذلك فجأة عندما بدأ النفوذ الأوربي بالدخول . ويصفه الآن مورهيد في كتابه النيل الأبيض «في سنة ١٨٦٠ كان موتيسا الشاب قريب العهد باعتلاء العرش حيث كان يعقد تشريفاته اليومية . وهو جالس على دكة معشوشبة كسيت بغطاء أحمر . وقد أحاط به نبلاؤه ووصفاؤه وزوجاته اللاتي كن يبلغن حوالي المائتين ، وكان في ذلك الوقت شاباً رشيقاً متناسق القوام في اوائل العقد الثالث من عمره ذا أسنان بيضاء وعينين زائفتين ولكنهما خلابتان وشعر مقصوص ومنسق على شكل عرف الديك ، وكان وشاحه معقوداً على أحد كتفيه بعناية . وقد أحاط ذراعيه وساقيه بأساور عريضة من الخرز الملون وعند قدميه كانت توضع شعارات الملك وهي حربة - درع وكلب أبيض وكان إذا تمشى للرياضة تتبعه الحاشية بأسرها يفتعل خطوة عجيبة إذ يصلب ساقيه متخطراً وكأنه يقلد الليث في خيلائه .. ولم يكن يلتفت حوله إذا أراد الجلوس شأن الملكة فكتوريا بل كان ثمة مقعد انساني يتبعه تلقائياً ويكون أحد الوصفاء الذي يركع معتمداً على يديه وركبتيه ويجلس الملك على ظهره هناك أوصاف كثيرة وصف بها وكلها

تدل على قساوته وشراسته وإعدامه لأخوته بعد استلامه الحكم ، والواقع أن مثل هذه القسوة لم تكن مقصورة عليه بل كانت من مستلزمات الزعامات الأفريقية والملك أو الزعيم دائماً يحاول إحاطة نفسه بجو من الفظاعة والرهبة الخرافية ومع ذلك كان موتيسا ذكياً جداً حسب قول كثير من الذي احتكوا به كما أنه كان حاذقاً من الناحية السياسية ومرناً ولم يكن مجرد ملك على قبيلته تحيط به طبوله ونساؤه العاريات ومحاربوه السود وإنما كان له «في ذلك العالم الهمجي مظهر الملوك إلى جانب إلمام غريزي بالأمور السياسية وقد استطاع أن يوجد نوعاً من التوازن بين النفوذ العربي المتمثل بسلطان زنجبار وكانت علاقته جيدة معه والنفوذ الأوربي القادم وبخاصة النفوذ الانكليزي والتقلب بين المبشرين المسيحين والتجار المسلمين وكان ذلك بعكس ابنه موانفا الذي حكم بعده وكان حكمه قصيراً نسبياً ١٨٨٤ - ١٩١٠ م ، وقد ابتدأ حكمه بمذبحة ضد المسيحين في غاندا أثر الحروب الاهلية . فقد خاف من ازدياد تهديد المسيحين للبلاد مثل والده موتيسا لذلك قتل بعد استلامه الحكم (عمره ١٨ عام) ١٨٨٥ ثلاث شبان من الفاندا اعتنقوا الديانة المسيحية وفي عام ١٨٨٦ دفن أكثر من ثلاثين مسيحياً وهم أحياء . ومع ذلك استطاعت البعثات التبشيرية الكاثوليكيه والبروتستانتيه من نشر المسيحية بعد أن أبعدت التأثير الاسلامي الذي ساعدها في بادئ الأمر ثم اختلف الطرفان الكاثوليك والبروتستانت في بداية عام ١٨٩٠ . وحدثت حروب أهلية بين الطرفين وقد اضطر موانفا للتوسط بين الطرفين ، وفي عام ١٨٩٣ م - ١٨٩٤ م أجبر موانفا على توقيع اتفاقية وضعت فيه بوغندا تحت الحماية البريطانية وجعل بلده مملكه دستورية ، ولكنه بعد ذلك قام بثورة عنيفة ضد التدخل الانكليزي إلا أنه لم يدعم من قبل شعبه مما جعله يهرب وتوفي في المنفى .

٣ - مملكه كاراجوه : مملكه ثالثة هي كاراجوه ظهرت على

الشاطئ الغربي للبحيرة وكانت عبارة عن سهول يرتفع معظمها ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ م عن سطح البحر وفي جوها طلاقه وصفاء ملحوظان . وقبل قرن ونصف كانت قطعان الماشية ترعى السهول الكثيفة الاعشاب وتهبط سفوح التلال بانحدارها المخيف نحو البحيرة وكانت في يوم من الايام ولايزال أغليها منطقة تجمع للحيوانات البرية حيث كانت آلاف الفيلة والزرافات والجاموس والغزلان والكركدن وغيرها تسرح فيها ولايزال المرء يشاهد الجواميس البرية (اليافلو) في كل مكان وكذلك أفراس النهر تخرج من الأنهار والبحيرات ليلاً لترعى الكلا وكثيراً ماتعترض قطعان الفيلة السيارات العابرة بالإضافة إلى مختلف أنواع الحيوانات المفترسة .

وفي مكان ما من هذه المملكة يدعى /بويرانيا نجه/ أقام أول ملك لهذه المملكة وهو رومانيكا بلاطة المريض ، وكان رجلاً ضخماً وودوداً واشتهر بكرم الضيافة وكان أضعف ملوك المنطقة لذلك كان يعتبر نفسه تابعاً للملك بوغاند (الكاباكا) وكان يحتفظ بزوجات عديدات وصفهن /سبيك/ بالبدانة (إلى درجة العجز من أن يقفن منتصبات القامة فكن يحبون على أرض أكواخهن ككلاب البحر وكن يتغذين على معين لا ينضب من الحليب . يمتصصنه من القرب بواسطة أعواد من البوص ، فإذا أبت الفتيات الصغيرات شرب اللبن ضربن بالسياط ورومانيكا هو الذي استقبل المستكشفين البريطانيين سبيك وجرانت ١٨٧٧ .

٤ - التنظيم السياسي والثوابت المشتركة : وبالرغم من الدرجة العالية التي وصل بها التنظيم السياسي في بوغندا واختلافه شكلاً عن كينارا إلا أن أموراً كثيرة تربط هذه الدول مع بعضها . لقد كانت تتقدم بدرجة تدعو للأعجاب . وبدون أي سابقة تسترشد بها أو معونة من الخارج استطاعت في أواسط القرن التاسع عشر أن تحقق ثقافة محلية . أكثر تقدماً في أي جزء آخر جنوب الصحراء الكبرى . ويقول الآن

مورهبد أن تقدمهم كان غير منتظم . فكانوا يصيبون في ناحية ويخفقون في ناحية أخرى . لذلك خلفوا وراءهم ثغرات هائلة . وظلت أكثر العادات همجية باقية . وسط هذا الرقي الثقافي العجيب الذي كان من أمثلته البيوت التي لم تكن تشبه في شيء بيوت تنفاتيكا الكئيبة الشبيهة بالتوابيت ، وإنما كانت رحبة جميلة مخروطية الشكل من أعواد الخوص والخيزران المحبوكة النسيج ، ترتفع أحيانا إلى خمسين قدما وكانت جافة ومريحه في موسم المطر ، ورطبة في موسم الحر . كما كانت أبدع للغاية من أي بناء أقيم في أوغندا في القرن العشرين ، وكانت لديهم الأدوات الموسيقية طبولهم وقيثاراتهم وأبواقهم عجيبة هي الآخرى كما كانوا يسافرون على البحيرة في زوارق يبلغ طولها في بعض الأحيان سبعين قدماً وكانت السلال التي يصنعونها دقيقة النسج والحبك بحيث لايتسرب الماء خلالها ، وقد توصلوا إلى فن صنع قماش طري ومتين من لحاء الشجر . فما كان لأنسان أن يمثل أمام ملكه دون كساء بل إن هذا يعتبر جرماً في بوغندا . فكان الشخص يغيب قدميه في نعلين ويغطي جسمه تماماً بوشاح سابغ جميل . وتتوج رأسه أحياناً قلنسوه من جلد الغزال احيكت أجزاؤه ببراعة أية حائكة باريسية (على حد قول بعضهم)

ولم يكن الرجال منهم أو النساء يشوهون أجسامهم بالندب أو الوشم كغيرهم من قبائل افريقية الوسطى . وكانوا إذا جلسوا للأكل غسلوا أيديهم أمّا باعتصار منشفة أو بسكب الماء عليها من ابريق ولاشك أنهم نقلوها عن العرب الذين احتكوا بهم كثيراً - والصورة الوحيدة الموجودة لموتيسا تظهره باللباس العربي والطربوش الأحمر والشرابة السوداء - ويتولى عبيد البيت تقديم الطعام الذي كان حضارياً بدرجة واضحة . نوع من العصير مع الموز البري الغليظ والسمك واللحم والدجاج والبطاطا الحلوة ، والذرة وقصب السكر البري .

وكانت حبات البن (القهوة) تمضغ كمهضم . كما كانوا يستخلصون الجعه من الموز . ويمارسون التدخين رجالاً ونساءً.

كانت سلطة الملك مطلقة ولاسيما في بوغندا أغنى الممالك الثلاثة وأكثرها تقدماً وكان الملك يستعين بمستشارين يؤلفون شبه مجلس للوزراء يضطلع فيه كل منهم بواجب خاص . فكان منهم الوزير «أي رئيس الوزراء » وأمين الخزانة . والقائد العام للجيش وأمير أسطول قوارب الحرب في البحيرة ، وكبير منفذي الأحكام وآخرون ذوو ألقاب أكثر فخامة ككبير محضري الجعه وأمين الطبول (التي كانت تعتبر احدى معالم السلطة الملكية) ... الخ وكان هؤلاء الرجال يؤلفون مع الزعماء الأقليمين طبقة من النبلاء ويضطرون إلى ملازمة مجلس الملك باستمرار ويحافظون على أداب السلوك وللملك قدسية شبه إلهية ويعتبر الرمز الذي تتجسد فيه روح عنصرهم .

ومع كل هذه الأبهة والرقي . لم يكن للقوم أسلوب كتابه أو العدد . ولاوسائل لقياس الزمن بالاسابيع أو الشهور أو الاعوام . ولابسط أنواع الأدوات الآلية . كالمحراث ووسائل رفع المياه ولاديانة ترقي إلى أكثر من الخرافة والسحر البدائيين . وكانوا يسرفون في شهواتهم وعواطفهم كالأطفال المدللين والمنحرفين : كما كانوا قساه لدرجة لايصدقها العقل . ومن وقت لآخر كانوا يلوحون وكانما استولى عليهم هوس وحشي جنوني وهم يسرفون رجالاً ونساء بشرب الكحول حتى يغيبوا عن وعيهم .

كانت الفوارق كبيرة بين الدول . وربما كان بسبب الحالة الجغرافية للبلاد إذ كانت /بونيرو/ في الشمال أشد جفافاً ووعوره من الأراضي المحيطة بشواطئ بحيرة فكتوريا . وكان المطر ينقطع أحياناً شهوراً عده ويقطع المسافر أميالاً في أرض ذات أعشاب جافة خشنة . لاتختلف عن أواسط تنفانيكا ويشتهر أهل هذه المنطقة بالصلابة والجلد .

وهم أقل تنوراً من سكان ضفاف البحيرة ولكنهم أكثر عدوانية وضراوة في الحرب .

وتربط الدول الثلاثة أمور كثيرة جاءت عبر الأجيال ربما تعود إلى أربعة أو خمسة أجيال سابقة فهناك عدة مدافن للأكاباكا (بوغندا) وللأباكاما (بونيرو) لاتزال موجودة ومحفوظة وتتألف من عدة أكواخ من الطين للمراسم والطقوس الدينية بسقوف من القش . تحمي بقايا (رفات) الحكام السابقين – فبالنسبة للأباكاما . هناك حفرة محفورة بعمق حوالي ثلاثين قدماً . وعادة تترك بقايا الأموات في غرفة تصل إلى الحفرة وتغطى بالجلود وفي بعض الأحيان بشفرات الرماح التي تترك ظاهرة فوق الجلد ويعتبر الرمح علم الموكابا ويظل مرفوعاً فوق راسه فوق سطح الكوخ ولايدفن البوغندا موتاهم بل يتركونهم ملفوفيبن بالجلود على أرض الكوخ (المدفن) وكانت هذه الأكواخ بسيطة البناء وحقيرة ويبدو أنهم لايعيدون ترميمها حتى تصبح خربة جداً . أهم هذه المدافن مدفن موتيسا الأول وابنه مونقا وابنه ويتألف أثاث الكوخ من الاسلحة والطبل والعصا الخشبية الطويلة والتروس الحربية...

■

الفصل السابع
جنوب شرق وجنوب افريقيا

- تمهيد

(١)

البانتو الجنوبيون

- الشعوب والمجموعات واللغات - الصفات الفيزيائية .
- العادات والتقاليد.
- التنظيم السياسي والاجتماعي.
- الاديان.

(٢)

الخويسان -الخوي -خوي -خوين - الخوسا

١ - البوشمان :

٢ - الهوتنتوت :

٤ - الخوسا :

امـاكن الانتشـار - الأصـول -التنظظيـم الاجتمـاعي - الاقتصادي - العادات والتقاليد والاديان واللغات .

(٣)

المـمـالك القديمـة والتطورات السياسية ومراحلها

أولاً : افريقيا الجنوبية قبل عام ١٨٠٠م .

- لمحة تاريخية .

- الممالك والأمبراطوريات الكبرى ووصول الاستعمار.

١ - امبرطورية زيمبابوي - موين ماتابا - مونوموتايا .

٢ - وصول البرتغاليون وأثره المدمرة .

٣ - الوازيمبا .

٤ - امبراطورية مارافي

٥ - امبرطورية روزوي .

ثانياً افريقيا الجنوبية بعد عام ١٨٠٠م.

١ - مجموعة شعوب النفوني .

٢ - امبراطورية الزولو

٣ - ظهور جنوب افريقيا البيضاء.

الفصل السابع

شعوب جنوب شرق وجنوب افريقيا

البانتو الجنوبيون وشعوب الخويسات (خوي - خوي)

تشكل المنطقة الجنوبية الشرقية والجنوبية من القارة الأفريقية شبه قارة ضخمة تحدها شمالاً الغابات الكونغولية وحوض الكونغو نفسه ومنطقة البحيرات ويلفها المحيط الاطلسي والهندي اللذان يتلاقيان في رأس الرجاء الصالح من مختلف الجهات وتحتوي على سهول واسعة وغابات كثيفة ومساحات زراعية كبيرةبالاضافة إلى جبال عالية كجبال دار كنسبورغ وصحارى جافة كصحراء (كلهاري) ويجري فيها نهران ضخمان احدهما زامبيزي وطوله (٣٤٥٠كم) والثاني الأورانج (٢١٠٠كم) وتتمتع بمناخ معتدل بخاصة في الجنوب يشبه مناخ البحر الأبيض المتوسط .

وقد اشتهرت المنطقة بمعادنها الثمينة كالذهب والماس والنحاس . وتنبت فيها مختلف انواع المزروعات كالحبوب والقطن والتبغ ..... الخ لذلك لم يكن غريباً أنها كانت مسكونة بالأقوام المختلفة منذ القدم . كما أصبحت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هدفاً لاستيطان الشعوب البيضاء والملونة التي قدمت إليها من خارج القارة بخاصة من أوربا واسيا.

وتضم هذه المنطقة الواسعة حالياً أكثر من ثمانين مليون من البشر ينتمون حسب التصنيف العرقي الموضوعي للشعوب التي تتكلم لغة البانتو أو ما يعرفون باسم البانتو الجنوبيون وهو اسم كما أوضحنا سابقاً غير دقيق جداً وتضم أيضاً أقساماً من البانتو / الشرقيين والغربيين/ . عدا المجموعات البشرية الأخرى ذات الأصول الأفريقية القديمة المعروفة باسم كابويد.أو شعوب الخويسان (الهتنتوث و البوشمن) وقبائل الخوسا Xhasa القديمة وهناك أكثر من خمسة ملايين من البيض والملونين ويطلق

على الأوائل حالياً الأفريكانز وهم خليط من الهولنديين القدامى (البوير) والانكليز وبعض الشعوب الأوربية الأخرى وأغلب الملونين قدموا من اسيا وبخاصة من شبه جزيرة الهند. كما تحوي عدداً قليلاً من الأقزام في الغابات الشمالية ، وربما كانوا هم والخويسان السكان الأصليين لتلك المنطقة الواسعة من جنوب افريقيا.

وتحوي المنطقة حالياً على وحدات سياسيةعديدة ! وهي اتحاد جنوب افريقيا الذي يسيطر عليه السود حالياً وجمهوريات زامبيا وملاوي وزيمبابوي وموزامبيق (النصف الجنوبي وممالك بتسوانا وسوازيلاند وليسوتو ، ناميبيا).

(١) البانتو الجنوبيون :

ةتعتبر مجموعة البانتو الجنوبيون أكبر المجموعات السكانية عدداً . ويقسمون إلى أربعة أقسام رئيسية وهي :

١ - المجموعة الجنوبية الغربية وتضم : قبائل الشونا ، ويعيشون حالياً في زيمبابوي وقسم من موزامبيق قرب نهر سابي ويقسمون لغوياً إلى زيزورو ، مانيكا ، كارنجا ، كالانجا .

٢ - المجموعة الجنوبية الشرقية وينتشرون في المنطقة الساحلية جنوب وشرق جبال داركنسبرغ بخاصة وتمتد مناطقهم حول نهر سابي في الشمال وإلى داخل مقاطعة الكاب العائدة لاتحاد جنوب افريقيا ويقسمون إلى قسمين كبيرين (فرعين) شعب النفوني ، وشعب التسونفا. وينتشر النقوني في رأس النفوني في سيسكاي وترانسكاي ويطلق عليهم شعب الفينفو وهم من بقايا الشعوب التي وصلت إلى المنطقة خلال الحروب القبلية التي أثارها الزولو في الناتال والتي عرفت باسم الميفغان والقسم الثاني من النقوني وهم نقوني الناتال أو /زولو النتال/ في بلاد الزولو . والنديبله في زيمبابوي والسوازي في سوازيلاندا أمّا التسونفا

وهم الأقل عدداً ويقسمون إلى / تسو - رونفـا/ وتسـاوا / في موازمبيق وشمال شرق النرنسفال .

٣ - المجموعة الجنوبية الوسطى وتنتشر في القسم الأكبر من الهضبة العليا شمال نهر الأورانج في الغرب وشمال جبال داركنسبرغ وهي فرعين رئيسين السوزو وينتشرون في بتسوانا وغرب الترنسغال. ووسط شمال الترنسغال أما الفاندا فهم مجموعة متناسقة جداً ويحتلون مقاطعة سونيانسبرغ في شمال ـ شرق الترنسغال .

٤ - المجموعة الجنوبية «الغربية» وتضم قبائل الهيريرو ، والأمبو في المقاطعات الوسطى لناميبيا وفي الشمال وتقسم إلى عدة فروع تتميز عن بعضها .

- النواحي الفيزيائية :

وتختلف هذه المجموعات في الواقع عن بعضها من الناحية الفيزيائية. وهناك نماذج عديدة متميزة اختلفت حسب مادخل في عروقها من الدماء الحامية التي اكتسبوها على مر الزمن بالأضافة إلى اختلاطهم بشعوب الخويسان والخوسا ولكن اهم الصفات التي توحدهم وتربطهم بالعروق الزنجية الأصلية هو الشعر القصير أو المفتل وهم على العموم كنموذج انساني تكوينه جيدة مع بنية قوية ومشية رشيقه ومرحة ويظهر ذلك بشكل واضح على النساء اللواتي تعودن حمل الأثقال على رؤسهن وأطول المجموعات هم الشرقيون ووسطي الطول هو (١٦٥سم) وتختلف ألوانهم التي تتراوح بين الأسود الفاتح (الشوكولاته) مع لون المفرة الصفراء حوله .

مع قصر في الشعر والكثافة وغالباً يظهر وكأنه أجعد وله خصل حلزونية الشكل والرؤوس عادة مستطيلة والعيون كثيرة وسوداء غالباً ، أمّا الفتحات الأنفية فهي ضيقة وصغيرة والوجه متوسط البروز مع جبين متقدم مع عظام الوجنة والشفاه سميكة وسمينة ولكن غير مقلوبة . ولا

تكون اللحية عادة نامية بل قليلة الشعر ولاتنبت إلا في العشرينات من العمر والصلع نادر ولكن القبائل تقص شعر الراس غالباً على شكل دائري .

ورغم سيطرة الهيئة الزنجية على جميع المجموعات إلا أنها تختلف في بعض الأحيان حسب المؤثرات الخارجية ويظهر ذلك بشكل واضح في المجموعة الشرقية وبخاصة لدى أقسام الزولو والتسونفا طوال القامة مع النحف والشفاه الرقيقة والأنف البارز وتظهر الآثار الحامية في الوجه الطويل ومعدل الطول الوسطي ويشكل هذا النموذج بين الزولو ٥٪ منهم كما تظهر الآثار الحامية على شعوب الهيريرو في طول الوجه الضيق والأنف المستقيم ونسبياً تكون الشفة رقيقة . وهناك عدد من الأفراد يتصفون بالطول والبنية النحيلة وبروز عظام الأكتاف وأيضاً لدى المجموعات ذات اللون الفاتح بين التسوانا . وكثيراً مايصادف المرء قصر زوايا الوجه التي لدى البوشمن ولدى الأشخاص العاديين النحلاء وضعفاء البنية ولاشك أن مثل هذه الاختلافات في الصفات الفيزيائية هي التي تبعد البانتيون عن أصاله الدم الزنجي .

– العادت والتقاليد : أمّا العادات والتقاليد التي يتصف بها كثير من الشعوب الافريقية كعادة الختان ومراسم الوصول إلى مرحلة الرجولة وبخاصة لدى القبائل الوسطى في قسم الخوسا من المجموعة الشرقية وكذلك لدى القبائل الغربية فقد كان العمل بها سابقاً – ولكن يبدو أنه لم يعد يعمل بها منذ قرن ونصف من الزمن وأكثر حتى أن قبائل الشونا لم تعد تعمل بها مطلقاً . ومثل ذلك عملية ختان الفتيات فلاتوجد إلا لدى القبائل الوسطى .

ولاتزال عملية تشذيب الأسنان واقتلاع بعضها موجودة لدى القبائل الغربية ولدى فصيلة (فرع) التسونفا من المجموعة الشرقية وكذلك لدى القبائل الأبعد شمالاً وغرباً من الشونا أمّا عملية تشطيب

الوجه فهي منتشرة بخاصة لدى القبائل الشرقية والشمالية وتنتشر لدى الزولو عادة قطع أحدى السلاميات (الأصابع) والتي تدل على معاني الشرف كم يعمل بها لدى قبائل الخوسا الذين علموها للخويسان (البوشمن والهونتون) . ومن المحتمل أن تكون مثل هذه العادات مرتبطة بمراسم الوصول إلى مرحلة الرجولة في حين يعمل بها لدى بعضهم لأسباب تزينية.

– التنظيم السياسي والاجتماعي : يتجمع البانتو الجنوبيون ضمن عدد كبير من القبائل . والذي يحدد تكوين القبيلة كمجتمع هو اعضاء أي شكل للتنظيم الاجتماعي والسياسي ضمن الحكومة ، وكذلك السيطرة وزعامة الزعيم وتلعب هذه دوراً هاماً وهي محور الحياة القبلية حيث يصبح لكل قبيلة اسمها الخاص ، وبعد ذلك تستقل شيئاً فشيئاً في أرضها التي تعيش عليها ويعيش أغلب السوتو Sotho في باسوتولاندولكن هناك أقسام منهم تعيش في المقاطعات المجاورة . وهم أقسام وبقايا عدد من القبائل وبخاصة فروع الكونيا ويعود هؤلاء حالياً إلى تجمع تسوانا .

لقد تشكلت أمة الباسوتوذات الأهمية السياسية والوحدوية قبل أكثر من قرن ونصف وذلك عن طريق تجمع قبائل كبيرة بزعامة رئيسها الأعلى موشيش. وينظر لهذا الموضوع – عاده – كشيء مميز. كما وصل البيدي (فرع من كاثاتلا) إلى مرحلة سياسية هامة تحت حكم زعيمين كبيرين هما سيكواتي وسيكوكوني في منتصف سنين القرن التسع عشر. وهاتان المجموعتان القبليتان سوية مع عدد من القبائل التي تعتبر أصغر منها وكانتا ستهيمنان على المنطقة يجب أن ينظر إليها كقسم مميز من فرع سوتو .

أمّا سكان الناتال وسوزولاند فكانا ينقسمان أصلاً إلى كثر من مائة قبيلة صغيرة كل واحده لها اسم خاص بها ولكنهم الآن يعرفون جميعاً باسم الزولو وهو اسم لاحدى القبائل ، أعطت اسمها لغيرها خلاله

زعامة شاكا/ المشهور وذلك في السنين الأخيرة للقرن التاسع عشر الذي استطاع أن يمتص ويبتلع الجماعات الصغيرة الأخرى وشكل شعباً أو مايعرف حالياً بأمه الزولو التي لعبت دوراً سياسياً هاماً - كما سنرى في جنوب افريقية وهناك قبائل اخرى من هذا القسم ذات أهمية تاريخية لاتزال موجودة في الناتال وبلاد الزولو وهم النيتو ونشوان ، وباكا ، ويمفو .

وفي بداية القرن التسع عشر ظهرت أمة الزولو بقيادة شاكا كقوة جامحة لايقف شيء أمامها وخلال نصف قرن وأكثر كان تاريخ جنوب أفريقيا عبارة عن سلسلة متلاحقة ومتعددة من الحروب والهجرات والأبادات الجماعية . فقد تشتت بفعل المغيكان (حرب تشاكا) شعوب وظهرت شعوب موحدة مثل الكولول وهناك مثلان لهما أهميتهما الكبرى .

المثل الأول هم النديبله والمثل الثاني النفوني وكانت القبيلتان أو الشعبان يقاتلان مع شاكا إلا أنهما تعرضا لبطشه فاتجها للشمال . وكان أول المهاجرين زوانجيندابا الزعيم الثاني لقبائل أو شعب الزويد . ففي حوالي عم ١٨٢١ ترأس هذا قسماً من اللاجئين المتجهين نحو الشمال الشرقي داخل حوض ديلاغوا وهناك وجد قبائل السوشانفاس (أخوة الزويد من ناحية التصنيف) وهم يتقاتلون مع النيكسابا nxaba وهو زعيم صغير وكلاهما كان هاربا من بطش شاكا . وقد استطاع هذا إيقاف الحرب بينها وترأس الأقسام الثلاثة وانطلق الجميع وعلى رأسهم النفووني وانطلقوا في بلاد التسونفا يقتلون وينهبون بزعامة الرئيس الجديد زوانجيندابا zwangendaba متجهين شمالاً وفي عام ١٨٣٥ عبروا الضفة الشمالية لنهر الوامبيزي . وبعد بضع سنين من ترك الزعيم المذكور بلاد الناتال تبعه زعيم آخر من اتباع شاكا وهو مزيليكازي واتجهو نحو مايعرف حلياً باسم زيمبابوي ويعرفون الآن باسم النديبله أو

ماقابله وبعد ذلك ترك ماسيكو نفوني مزيليكازي وابتعد عنه بقسم من جيشه . وحوالي عام ١٨٤٥ توفي زوانجيندابا كما توفي الوصي على العرش نتابيني لذلك ترك المنطقة ماتبقى من المجموعة وانطلقوا نحو الشمال إلى الجهة الشرقية لبحيرة تنفانيكا . وهم حالياً مستوطنون في مقاطعة كاهاما وقد اتجه أحد أتباع زوانجيبيندا ويدعى زولورغا ما مع قسم من أتباعه نحو بلاد السونفا حيث التقى بماسيكو نفوني ، وهناك انتشروا ، قسم منهم بقي في مقاطعة سونقا والقسم لآخر انطلق جنوباً باتجاه الشمال اي النهاية الجنوبية لبحيرة ملاوي حيث استوطنوا مقاطعة ديرزا في ملادي ولاتزال بقاياهم حتى الآن .

أمّا مبيزني ، فقد اتجه مع جماعته جنوباً ، ووصل إلى مقاطعة قلعه جمبس أمّا البقية فقد اتجهوا نحو الجنوب الشرقي إلى شمال ملاوي .

تختلف هذه القبائل في تعدادها فقسم منها يعد بالمئات ويصل بعضها إلى الآلاف ومئات الآلاف فشعوب وسط زامبيا التونفا tonga ٢٥٠ ألف ٢٦٠ ألف) ويميز هؤلاء بتربية الأبقار ثم شعب الشونا الذي يحتل القسم الغربي الجنوبي من زيمبابوي وعددهم مليون شخص السوتو ٩٠٠ ألف وليسوتو مليون شخص النفوني ٤١٠ ألف الزولو مليونين خوسا والياندو ٢,٤٠٠ مليون وفي القرن التاسع عشر النديبليه ٤٠٠ ألف . وقد زاد عدد هذه القبائل حالياً بسبب تحسن الحياة الصحية .

ويعيش أفراد المجموعات الشرقية والشمالية الغربية في مستوطنات صغيرة مبعثرة هنا وهناك وبينها بعض المسافات . وكل واحدة من هذه المستوطنات «الكرال» تتألف من عائلة في بيت واحد أو عدة عوائل في عدة بيوت وتصل إلى حدود القرية .

في حين تميل القبائل في لمنطقة الوسطى للتجمع على شكل قرى أو مدن . وتضم عدداً مختلفاً من التجمعات العائلية وفي باسوتو لاند يكون العدد في هذه القرى صغيراً ، وتضم بين خمسة إلى خمسين منزلاً . وفي

بوتوسواناكل قبيلة تعيش في تجمعات غير منتظمة من ناحية عدد السكان وعدد البيوت . ومجموع هـذه التجمعـات العنقودية ربما تشكل مدينـة كبيرة ، وغالباً ماتكون ذات أهمية ومساحة كبيرة .

وكل تجمع منزلي يعتبر وحده محلية ضمن القرية الكبـيرة أو المدينـة وأغلب القبائل تنظم هذه المجمعات على نمط واحد تقريباً فالمسـكن يحاط عادة بأوتاد طويلة على شكل بيضوي أو بشكل نعل فرس ويوضـع فيـه الماشية طوال الليل إلى جانب الأكواخ التي تكون غالبـاً دائرويـه الشـكل وسطح مخروطي وأحياناً على شكل خلية نحل لدى بعض القبائل مثل أمبو من المجموعة الوسطى الشمالية ، والتسونغا ، وتبـني هـذه الأكـواخ علـى أبعاد منظمة .

وأمام كل كوخ ساحة خاصـة بـه مـن أجـل الطبـخ وعـادة تكـون هناك شجرة يوضع تحتها الموقد ، ولدى البيت (مذراة) وبعـض الاحجـار أو بعض الأشياء الخاصة تستخدم كمذبح متوارث وتوضع المذارة (العصا ذات الرأس المتشعب) عادة في مدخل الكـوخ الرئيسـي أو علـى المدخـل الرئيسي للكرال نفسه وعادة تخصص مساحة مـن الأرض لتكـون مجلسـاً عاماً يخصص للرجال ، حيث يتحلق سكان الكرال علـى شـكل بيضـوي أو حدوة الفرس للحديث .

وتنتسب المجموعات الشرقية والشمالية والوسطى البـانتو الجنوبيـة إلى الأب ولكن القبائل الغربية من البانتو الجنوبيين والآمبو فينتسبون للأم ، ولدى الهيريرو نظام مزدوج وكل شخص يخـص الوحدتـين أو النسـبين من جهة الأب والأم .

ولدى القبائل الشرقية يحمل الأشخاص الذين ينتسبون إلى فخذ أو عشيرة اسم مشترك هو /ايزبونفو/ isboango وهي كلمة مـن المحتمـل أنهـا ترجمة لأسم /ديني/ أو اسـم سـلف ويسـتخدم هـذا كأسـم للمجموعـة . وكل أعضاء في أي ايزبونفو ينحدرون من جد واحد (سلف واحـد) عـن

طريق النسب الأبوي وعادة تكون كلمة ايزبونفو هي اسم للجد الأكبر (السلف) والمجموعة التي تلي الأيزبونفو ، هي تشيزي وينحدرون من تشيزي واحد كنسب أبوي ويأخذون جميعهم اسم تشيزي . وأي شخص من هذه المجموعة غالباً مايطلق عليه اسم تشيزي وأما اسم ايزبونفو فيستخدمه أفراد المجموعات ليكون رمزاً لمكانتهم العالية . ومن التهذيب واللباقة عند التحدث مع شخص أن يدعى باسم الأيزبونفو وليس باسمه الخاص . وفي بعض الحالات غير مسموح تحت اعتبارات معينة التوجه باسم غير اسم ايزبونفو ويفرض الاسم المشترك ايزبونفو واجبات وامور على الذي يحمل هذ الاسم . وفي المقام الأول هو الزواج . والزواج مسموح به فقط مع /ايزبونفو/ آخر وليس من الأيزبونفو الذي يحمل اسمه طالب الزواج . ولايمكن شرب الحليب إلا من شخص يحمل نفس اسم الأيزبونفو . وتنشأ في هذه الحالة أخوة دموية بين الأثنين ، ويعمل بهذه الواجبات قبائل الزولو ، ومبوندو وهناك طقوس أخرى خاصة لدى القبائل في هذه المجموعة تفرض على كل ايزبونفو .

يمكن أن يزول أو يتفرق الفخذ الذي يعتبر ايزبونفو وتظهر منه أفخاذ جديدة تأخذ اسم السلف وتعتبره ايزبونفو وهناك أيضاً تتدخل مشكلة عدم الزوج بين الأقسام المنتمية إلى نفس الأيزبونفو .

وتقسم القبائل الوسطى أيضاً إلى مجموعات أو أعضاء منها له اسم عام سيبيكو ويستخدم كأسم للأسرة في المراسم واسم نفخيم عند النداء والسيبكو ليس اسماً لسلف مشترك ولكن (وهذا ينطبق عل القبائل الشمالية) هو اسم حيوان أو بعض المعادن وبخاصة الحديد ، أو بعض الظواهر الطبيعية مثل المطر . ويبدو أيضاً أن هناك – سابقاً – عدد من المحرمات . والممارسات كالغناء والرقص مرتبطة بصنف الحيوان أو الشيء المسمى /سيبيكو/ للمجموعة .

أمّا من الناحية الاقتصادية ، فالبانتو الجنوبيون هم بشكل رئيس

رعاة ويربون البقر والماشية والتي تؤمن لهم مايشربونه من الحلب كما تؤمن لهم مواداً كثيرة مثل الجلود التي يستخدمونها للصناعة ولاتذبح الأبقار إلا نادراً من أجل الطعام ويكون ذبحها في المناسبات . وهم يحصلون على اللحم عادة من الصيد بالاضافة إلى ذلك فهم مزارعون وتعمل كل القبائل بها عدا قبائل الهيروروو . ويزرعون الذرة والدخن كما يزرعون كثيراً من أنواع الخضار كالكوسا والفاصولياء ، واليقطين ، والرجال عادة هم الذين يقومون بحلب الأبقار ولكن الاعتناء بالحقول يكون على عاتق النساء . ولكن نساء قبائل الهيريرو الرعاة يمكنهن حلب الأبقار كما هوالحال لدى الهوتنتون بعكس كل النساء في افريقيا الشرقية من النيليين – الحاميين عامة .

– الأديان : تشكل عبادة الأجداد لدى البانتو قاعدة الحياة الدينية، فهي ديانة العائلة في كل مكان تخضع للنسب الأبوي . فالرجل يعبد أجداده الذين ينتسب إليهم . فهؤلاء لايمكن إلا للأقرباء أن يتضرعوا إليهم .

وعلى رأس هؤلاء هو رب العائلة الذي يوجه مراسم العبادة مهما كان أصله . ولكن أغلب طقوس هذه العبادة في الواقع موجه إلى تقوية العلاقات الاجتماعية لدى العائلة والحفاظ عليها . وجعل أعضاء العائلة دائماً يتبعون الرئيس فهذا وحده لديه القوة والامكانية للأتصال بالموتى وطلب شفاعتهم . وعندما تحدث مشاجرة بين أخيين فعلى الأخ الأصغر أن يقدم التضحية ليتصالح مع أخيه الأكبر منه خوفاً من أن لايشفع له عند اتصاله بأرواح الأجداد ويعتبر السلف الأكبر الزعيم (رئيس القبيلة) هو منبع القوة التي تحرك كل القبلية . لذلك فالزعيم وعائلته هم الذين يتشفعن لديه باسم كل القبيلة لذلك فالأديان البنتويه تعطي أهمية كبيرة وتقدس الزعامة .

وعند وفاة رجل ما فجثمانه يمر بكثير من التقاليد والطقوس الدينية

قبل أخراجه للدفن (حمل العائد إلى البيت) كروح من أرواح الأجداد وهو سيعود بعد فترة الطقوس والحداد التي تدوم بين ٣ - ٩ أشهر . كما هو الحال لدى الزولو (أي حمله للبيت وتقام لهذه الغاية مراسم وتستهدف تقديم أول تضحية من اجل الرجل الميت (كروح لجد) ويسبق ذلك الاعلان عن حضور أو وجود روح الميت ممثله أمّا بثعبان أو سحلية ... الخ تقبع في الشمس قريباً من القبر أو تزور بقر /الكرال/ أو الكوخ أو تظهر في أحلام الاقرباء . ولكي لايعطي لهذه الظواهر أي تفسير خاطئ أو اشتباه بذلك من الضروري وجود الساحر الذي يستطيع تحديد الأمور ودعوة روح الميت للعودة للبيت .

يوماً بعد يوم تاخذ روح السلف مكانها في حياة الشعب . ولايمكن لأحد أن يشرب البيرة إلا ويخصص للروح شيئاً منها . وكذلك في الولائم حيث يغطى مكان الروح السلف وتعطى له حصته . وهناك بعض المناسبات في حياة العائلة أو القبيلة عندما يتم الاعتقاد بأن الأرواح تتجمع مع بعضها لذلك تكون مناسبة لتقديم الضحايا لاستعطافها واكرامها .

وهناك علاقة بين عبادة الأرواح والنار المقدسة ، وهي الموجودة لدى القبائل الغربية ، فلدى الهريرو تمتلك كل مجموعة من العائلات كرال (حظيرة) عامة وفي الجهة الشرقية من الكرال يكون عادة كوخ الزوجة الأولى)الرئيسة) لزعيم الكرال أو العائلة وأمام هذا الكوخ يوجد مباشرة الموقد /أوكور/ حيث تشتعل النار المقدسة من أجل أرواح الأجداد ، وتحرس هذه النار من قبل زوجة الرئيس ليلاً ونهاراً أو من قبل بناتها . وتدخل النار في الليل إلى الكوخ . وفي الصباح تحمل ثانية إل الموقد . ومن أجل النار المقدسة يضحى بأحد الثيران ويقدم لحمه في حفلة خاصة ، وأما الرؤوس فتوضع حول المائدة بعد تنظيفها ليجلس عليها رجال الكرال ، ويكون ذلك بقرب شجرة صغيرة تدعى أومومبو

روبنونفا. وهذه الشجرة (نوع من التين البري) وغصن يابس من شجرة أوموفابو الحرشية (نوع من الورود) حيث يمكن استخدامها إذا لم تكون هناك شجرة التين تنمو . وشجرة التين هي نموذج لعيادة الأرواح . ففي الشمال من بلاد الهيرورو توجد شجرة تين كبيرة ، ويعتقد أنها تجمع كافة الأرواح لديها لذلك يحافظ عليها كمكان مقدس .

ويعتقد البانتو الجنوبيون بوجود إله عام بجانب – عادة – أسلافهم . ولايمكن أن يكون انسانا مطلقاً ، وتختلف المفاهيم عن هذه القوة العامة من شخص لآخر ولكن أغلب القبائل – دون شك – تعتقد بأنها قوة جبارة . تظهر في الظواهر لطبيعة كإكه . ويعتقد أنه يعطى لها اختصاصات انسانية ، وتظهر هذه القوة أو تعبر عن نفسها بشكل ظاهر في الطبيعة ، بخاصة في الطقس المطير – والرعد والبرق وكلها تعتبر مظاهر لهذه القوة الجبارة . وهناك تغيرات مثيرة لدى التسونفا عن هذه القوة ويعتقدون بأن تيلو Tilo (السماء) هو رئيس كل هذه المظاهر التي لاتعد ولاتحصى في مختلف النواحي الطقس – الحقول – الوجود الانساني. وفي بعض الأحيان يطلق على تيلو اسم (هو سي) أي السيد وهي هنا تبدو كأنها قوة إنسانية نادرة وهي جزئياً منظره للمطر . وجزئياً قوة هائلة تعمل على نطاق عام .

وقد تبلور هذا التصور والادراك لدى الزولو بوجود الاله الخلاق(الخالق) أو /اونكولونكولو/ الكبير /الواحد الكبير/ أو إله الطقس ثم الأينكوسي (زعيم) وهو الذي يشبه في كثير من الأمور (تيلو) لدى التسونفا وحسب الأسطورة المتوارثة لدى الزولو أن الجنس البشري أتى على سرير من قصب (نالنجا) . وهنا يأتي أونكولونكولو ويقول بأنه حامي الأمم من ناليجا . ولهذا فهو خالق الرجال . وهو الذي صنع القمر والنجوم وخلقها .. الخ وحسب مايقول الزولو «إن كل الأشياء قد صنعت من قبل أول رجل هو أونكولونكولو/ وهو في الوقت ذاته الجد

الأكبر والأكبر للشعب ولكن بيته لايمثل في الأرض اليـوم إنـه سـيد كـل الشعوب نعم عدا أن أونكولونكولو لديـه قـوة وأكـبر مـن قـوة الأجـداد للرجال الأحياء . ولكنه مع ذلك لايشبه مـالدى اليهـود أو المسـيحين أو المسلمين من فكرة عن الخالق إنه الكبير (الرائـع) الرجـل الأول . ولكنـه لايعبد ولايوجد لديه ممثلون في الأرض ومـن جهـة أخـرى فلـدى الزولـو (انكوسي) /ايزولو » وهو في السماء لذلك فهو الـذي يرسـل العواصـف ويسبب الظواهر الطبيعية وبعض الأشخاص محبوبون من انكوسي ايزولـو بإمكانهم مراقبة السماء على أساس أن يعيدوا للحيـاة طقوسـها وحياتهـا الصافية والسماء تبعد عنهم كل اساءة وهناك اعتقاد مماثل يظهر بالنسـبة لموديمـو لـدى القبـائل الوسـطى وأمبـو في كالونفـا أو الدجـامبي كارونفـا هيربرو بالنسبة للقبائل الغربية .

– شعوب الكابويد الخويسان والخوسا capoid khoisan . xhosa

الكابويد Capoid الخويسان : يعتبر شعب أو شعوب الخويسان أكثر شعوب القـارة السـوداء اثـارة بسـبب الغمـوض الكثيـف الـذي يكتنـف اصولهم وعروقهم والمكان الـذي قدمـوا منـه . فهـم بملامحهـم وعـاداتهم وتقاليدهم ليسوا بالزنوج ولا الحاميين أو الساميين ولا تنتمي لغاتهم لأيـة مجموعة لغوية في القارة فهم نسيج وحدهم أكثر حتى من الأقـزام . وقـد اختلف المؤرخون كثيراً حولهـم منهـم مـن يعتـبرهم السـكان الأصليـون للقارة . وبعضهم يعيد أصولهـم إل أصـول وجـذور أوربيـة انتقلـوا علـى مراحـل ودفعـات إلى المنـاطق الصحراويـة العـامرة في ذلـك الوقـت ثـم انحدروا جنوبـاً بعـد الجفـاف وبعضهـم يقـول بـأنهم أصحـاب الرسـوم الموجودة في جبال الهوجار (الجزائر حاليـاً) كمـا أنهـم أصحـاب الرسـوم الموجودة في جنوب أفريقية . وعلى كل حال فهم شعب غريـب ينتمـون من ناحية التصنيـف الحديـث لشـعوب افريقيـة إلى فـرع الكـابويد الـذي يتصف بقصر القامة والاطـراف الدقيقـة والاقـدام الصغـيرة ولـون أسـود

فاتح يميل إلى الصفرة وعيون صغيرة مدوره مغولية وتسطح حول يؤرة العين وعجز ضخم لدى النساء وحلمه ثدي مرتفعة لدى الرجال والنساء مع انقباض في الدائرة حول الحلمة بالنسبة للنساء بالإضافة إلى اختلافات خاصة مع الشعوب الآخرى تتعلق بالزمرة الدموية هيموغلوبين الدم ، ويقسم الخويسان إلى قسمين رئيسيين هما :

١ – البوشمن Bushemen

٢ – الهوتنتوت Hottentats و الخوي - خوين Khoi - Koine

ورغم أصولهم الواحدة على حسب أكثر آراء علماء الانسان إلا أنهم يختلفون كثيراً من نواحي أخرى ستظهر معنا في السياق وأبرزها أن البوشمن صيادون لايعرفون الزراعة أمّا الهوتنتوت فهم رعاه ومن مربي الثروة الحيونية .

١ – البوشمن : وقد أطلق عليهم هذا الاسم حديثاً وتعني /رجال الاحراش/ باللغة الانكليزية . ويعتبرون أقدم الجماعات البشرية التي ظهرت في افريقية الجنوبية هذا إذا لم نعتبرهم السكان الأصليين للقارة وهناك مظاهر كثيرة تدل على عراقتهم في الحضارة وعلائم عرقية تعود إلى الشعوب القوية القديمة التي كانت تحتل القسم الأكبر من شمال افريقية وشرقها والمناطق الاستوائية الشرقية والوسطى . ويقال أن الصيادون البوشمن قدموا من الشمال وأخذوا مكان أحد الشعوب التي أقدم منهم كشعب /البوسكوب/ واحتلوا جنوب نهر الزامبيري . ويؤيد هذه النظرية المكتشفات البوشمانية المبعثرة في تنزانيا واثيوبية وحتى أوغندا وجنوب السودان ، وتتمثل بالرسوم الموجودة على الصخور في الكهوف العميقة قرب أمكنة سكناهم الحالية وقد تأكد أنها من رسم البوشمن ، وقد رسمت بواسطة فحم الخشب أو التراب الأحمر _لمغرة) أو دهن الحيوان الممزوج بالماء وتمثل هذه الرسوم بعض مشاهد لصيد ومشاهد الرقص التي ترمي إلى سحر الطريدة . حيث نرى بعض

الراقصين ، يقلدون حركاتها كما نرى بعض الرسوم القديمة التي تمثل القتال بين البوشمن والسود . وقد أكدت بعض الرسوم القديمة وجود أنواع كثيرة من الحيوانات مثل الحمار الوحشي والجاموس والفيل والوعل . ولكل منها منطقة خاصة وموسم خاص لصيده . كماوجدت على طول الشواطئ التي مروا بها أدوات مصنوعة من كرات حجرية مدورة ومنها مثقوب من منتصفه مع أدوات الحفر الخاصة بالمناجم وكذلك الهياكل العظمية التي تعطي عملياً أماكن استيطانها السابقة التي تضم كل جنوب افريقية .

في القرن السابع عشر طرد الهوتنتوت أقرباءهم البوشمن من أراضيهم في الوقت الذي كان فيه البيض يبعدونهم عن أراضيهم من جهة أخرى لذلك لم يعد لهم مكان سوى صحراء كالاهاري التي تحوي على كثير من السهول والمستنقعات والبحيرات المائية العديدة الواقعة في الجنوب الغربي من افريقية الجنوبية ومن انغولا . ويقطن أكثرية البوشمن حالياً المنطقة جنوب انغولا والأقسام الشمالية والوسطى لصحراء كالاهاري . والنصف الشمالي جنوب غرب افريقية (ناميبيا حالياً حين يقدر عددهم بحوالي ٥٠ ألف . والمصادز المتأخرة تعطي عددهم بحوالي ٧٥٠٠ نسمة فقط وإنهم في سبيل الأنقراض أو بالاحرى الذوبان . ويبدو أن أغلبهم - أيضاً - ضاع في التقسيمات السياسية المختلفة بالاضافة إلى عدم تأقلمهم مع الحياة الحديثة كما هو الحال بالنسبة للهوتنتوت . وعلى كل حال لا توجد أية علاقة بين البوشمين والأقزام .

وهم كما ذكرنا قصار القامة كالهوتنتوت /١٥٢/ وسطياً ولكن ليسوا أقزاماً مع بنية نحيلة ، وأطراف رفيعة وأياد وأقدام صغيرة ولونهم أصفر أو أصفر بني محروق وتتفضن وجوههم بسرعة . وشعورهم كثيفة وجعديه أو مفتلة على شكل الحلزون ، وجبهة عريضة وكذلك الوجوه العريضة المربعة وهناك بروز في الفكين مع فم صغير وأنف مسطح

وأفطس منتفخ في المقدمة مع ذقن حاده مروسة ، والعيون صغيرة وضيقة والجنون منتشرة وغير متكاملة . مع غياب شحمة الآذن المربعة بعض الشيء وهناك تقوس شديد في أسفل العمود الفقري يجعل من الردفين نائئين بخاصة لدى النساء حيث يتراكم الدهن والشحم الكثيف عليهما .

كان الناس يسمون البوشمن /شعب الواق الواق / ، ويقال أن فرعون جلب إلى مصر عدداً منهم ليرقصوا أمامه ويقدمون له المسرح . وقد ذكر المسعودي بأن أهل السواحل (السوحيليه) قد عرفوا سكان الواق الواق . الذين يشبهون القردة أو لئك الذين عاشوا مع الحيوانات قبل أن يخلق الانسان من الطين ، ولهؤلاء الحق بهذا الاعتقاد بأنهم غير آدميين . فهم أبعد الناس عن بني الانسان بقصرهم وشعرهم المنفوش وآذان لاشحمة لها . ووجوه مثلثية عديمة اللحية ووجوه كوحوه الثعالب مع العيون الغائرة تحت الحواجب الناتئة ، أمّا أطرافهم الدقيقة وأقدامهم الصغيرة فتجعلهم يبدون وكأنهم لايستطيعون المشي أو الرقص أو حتى بإمكانها حمل أجسامهم المنتفخة البطن . عدا الثدي الهادل والعجز الضخم . والبوشمن الشماليون أطول من الجنوبيين وجلدهم أكثر سواداً ورأس أخفض وهذا يعود لاختلاطهم بالبانتو .

وتقسم لغات البوشمن إلى ثلاثة فروع رئيسية شمالية – جنوبية ووسطى ، وكل لغة تجتذب عدداً من القبائل والأفراد يتكلمون بها وكل قبيلة تتكلم اللغة الخاصة بها ولها اسمها الخاص :

وتنتشر مجموعة البوشمن الجنوبية في مقاطعة الكاب وسواحلها الضيقة وهم في انقراض أمّا المجموعة الشمالية فتنشر في شمال شرق منطقة جنوب غرب أفريقية (ناميبيا) في المنطقة المعروفة باسم /هيكوم ، واوين دكونغ / أمّا المجموعة الوسطى فتعيش في صحراء كالاهاري . ويقول عنهم الرحالة المصري محمد ثابت في كتابه جوله في ربوع افريقية الذي زار المنطقة ١٩٣٤ م – ١٩٣٥ م «ولغتهم فقيرة اللفظ لاتعدو

كلماتها ٦٣ كلمة وهي خاصة بأصوات التهتهه للتعبير ومخارج الأنف فدراستها توضح لغة الانسان الأول وكيف تطور كلامه واصبح كلاماً مفهوماً . وأنت تسمع أصواتهم في مخارج متقطعة وكأنها عواءالقردة .... واللغة خالية من صنيع الجمع ، ومعرفتهم بالحساب لاتتعدى الثلاثة ولكنهم عوضوا بعض هذا النقص في اللغة والحساب ، بالحفر والرسم . وفي هذين الميدانين فاقوا إنسان العصور القديمة . ولايزال العالم حائراً مدهوشاً لما خلفه أو لتك المتخلفون من الفن الجميل في الحفر والتصوير في كل أرجاء افريقية الجنوبية . وقد ارجعها بعض العلماء إلى ماوراء ٨٠٠٠ عام مضى»

أمّا تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية فهي بسيطة جداً فهم يعيشون في تجمعات صغيرة يمكن أن توصف بأنها مجموعة من الصيادين تحوي كل مجموعة (وحده) على خمسين إلى مائة شخص يقودهم أمهرهم . وهناك أسباب كثيرة حدت من ازدياد عددهم في منطقة وازدياد عددهم في منطقة أخرى أهمها قلة وكثرة الطرائد للصيد لأنها المورد الرئيسي للغذاء الوفير أو القليل . بالإضافة إلى كمية المياه المتوفرة . وعند الضرورة تنقسم الوحدة السابقة /بسرعة إلى أقسام عدة في ملاحقة الطرائد أمّا في الشمال فإلى جانب الزعيم المنتخب للصيد يوجد زعيم آخر كخليفة له (ولي عهد) يوجد المجموعة كلها . وهناك حدود لكل قبيلة تنتشر فيها للصيد وجمع الغذاء من الغابة والشرب من مياهها وأغلب الاصطدامات التي تقع بين القبائل تعود إلى تجاوز بعض القبائل على حدود أخرى . والواقع أن هناك تجاوزاً لكلمة قبيلة .

والمعنى الحرفي هو مجموعة من الصيادين وهي التي تحدد حياتهم الاجتماعية ولهذه المجموعة استقلالها ووحدتها . وضمن المجموعة توجد النواة (الخلية) الأولى الثابتة وهي العائلة المؤلفة من الأب والأبن والزوجة أو عدة زوجات . ويرأس المجموعة أمهر الصيادين وربما أكبرهم سناً ،

ولدى بعض القبائل المستوطنة في منطقة شمال غرب وسط افريقية رئيس يخلفه من بعده أولاده أو أحفاده ولديه سلطة قضائية قوية وهو الذي ينظم حملات الصيد ويقوم بالحرب ويفرض نوعاً من السلطة ويقود الشعائر الدينية .

لايتعاطى البوشمن سوى مهنة الصيد فقط وهم ينتقدون الهوتنتوت لتربيتهم الماشية ويصفونهم بالخمول والكسل وعلى العموم ليس لديهم من متاع الحياة شي . قط . وقد حصلوا على الشيران بطريقة الاحتكاك ويسكنون في عشش صغيرة ولباسهم عبارة عن سترة من جلد خفيف يتخذونه أيضاً غطاء لهم في الليل ويسبب مهنة الصيد فهم يحبون حياة الترحال الدائمة ولهم قدرة عجيبة على الحصول على المياه من النباتات ويمتصونه حتى من النبات الأجوف ومن جذوع الشجر ومن بعض فصائل /القرع/ التي تنمو في الصحراء وأكواخهم من القش وتكون عل شكل دائروي والنساء هن المكلفات بالبناء ويقام الكوخ عادة بقرب أحد الينابيع أو أحد الآبار وتبني العائلة عدة أكواخ وتحيطها كلها بأسوار من القش ولم يستأنسوا من الحيوانات سوى الكلب وهو الوحيد الذي يعيش بينهم . وقد اتقنوا مهنة الصيد واستخدم أفضل الوسائل للحصول على الطرائد ومن الرسوم الصخرية المكتشفة ، رسم يمثل صياداً مسلحاً بقوس وعليه جلد نعامة بحيث يمكنه من الاقتراب من الحيوانات . وأقواسهم قصيرة وأوتارها من أمعاء الحيوانات . ويضعون على رأس السهم رأساً حديدياً يضعها لهم جيرانهم ويضعونها في طرف عود محفور من القصب . بحيث يمكن انتزاعها بسهولة . وفي حال عدم وجود الرؤوس الحديدية فيستخدمون رؤوساً من العظام أو الحجارة وسهامهم تكون مسمومة كما يستخدم بعضهم العصي والرمح القصير (الحربة) كوسيلة للصيد ولايستخدمون الأفخاخ مطلقاً .

ومنذ الصغر يلقن الطفل طريقة الصيد قبل بلوغه سن الرشد

ويعلم على تحمل بعض الجروح في ظهره وذراعه ليكتسب الفتى القوة والرشاقة والجلد بعد تحمله العملية ويعتقدون بأن فتح بعض الجروح بين العينين يقوي البصر والنساء هن عادة جامعات الغذاء وهو العمل الرئيسي لديهم ويستخدمن لهذه الغاية آله على شكل عصاً طويلة رأسها حلقة من الحجر ذات طرف مدبب صلب وأحياناً يوضع فيه قرن حيوان وتجمع النساء أوراق النباتات أيضاً والجذور والأفاعي والنمل ودود الخشب والجراد والديدان الأرضيه لأخذ البروتين أمّا الأدوات الفخارية الخزفية فغير معروفة لديهم وهم يمتصون الماء بواسطة قصبة توضع في فوهتها بعض الاعشاب لتصفية المياه التي تؤخذ من المستنقعات وبعد عملية الامتصاص يحفظ الماء في بيض النعام أو في قربه من الجلد ، ويتقاسم الأكل جميع الحاضرين وللرجل الحق بجلد أي حيوان يقتله ومن جلود الصيد يصنعون لباسهم وتكون ملابس الرجال من قطعة ذات شكل مثلثي يضعها الرجل بين رجليه ويربطها على خصره ، ومع جلد أخر يغطي فيه الكتفين أمّا المرأة فتغطي نفسها بقطعة أخرى من الخلف أكبر من الأمامية وتكون القطعتان عادة من الجلد ويلبس الرجال الحلي وهي عبارة عن حلقات مصقولة من قشر بيض النعام مترابطة بدقة على شكل تاج أو اكليل كما يوجد لديهم الخرز والحلقات النحاسية التي يحصلون عليها من جيرانهم وكذلك ظهور السلاحف والأصداف وقرون الوعول والتي تحوي على مراهم لها قيمة سحرية. وهم يعتبرون الحلي نوع من الطلسم والوقاية السحرية قبل كل شيء.

وتدهن بعض القبائل نفسها بالألوان السوداء والحمراء وبخاصة الوجه كما يقومون بعملية الوشم للزينة. وبين قبائل نارو يسجل الرجل كل الاوقات التي امضاها في الصيد كوشم على جسمه . ويدخنون نوعاً من الطباق يسمى داغا ويشربون نوعاً من الخمرة المستخرجة من العسل البري وبعض جذور النباتات.

والاحتفالات بوصول الفتاة سن البلوغ عامة لدى البوشمن أمّا احتفالات الشباب فيبدوا أنها محدودة في القبائل الشمالية وعادة الختان غير معروفة عدا قبائل الهيشوار الذين تعلموها من جيرانهم البانتو. ولبلوغ الاطفال سن البلوغ علامات قبلية خاصة توضع على جبين الشاب عن طريق طبيب خاص حيث يعزل الشاب عن الناس لمدة شهر أو شهرين يقضيهما في الغابات يعيش حياة قاسية هائماً على وجهه . وهناك يلقن أيضاً عادات ومعتقدات القبيلة كما أن لدى الفتاة هي الأخرى مرحلة عزل في كوخها مع اعطائها بعض انواع الطعام وهو أيضاً من مراسم تكريس بلوغ الفتاة. وهناك بعض الرقص الديني لدى بعض القبائل الشمالية والغربية يعرف باسم رقص الوعول حيث يضع كل شاب على رأسه قرون الوعول. ويحركها بشدة مما يجعله يظهر كأنه وعل يتحرك مع أصوات تشبه صوت الحيوان وبعد العزل ليصبح الشاب والفتاة مؤهلين للزواج.

والزواج بواحدة هو العادة المتبعة لدى البوشمن ولكن تعدد الزوجات مسموح به . وربما يكتفي الواحد منهم بواحدة من أجل تخفيف عبء اطعامها. والزواج من الأقارب ممنوع ومحرم لذلك على الشاب أن يفتش عن زوجة له لدى الجيران وتعيش المرأة مع زوجها ويقدم العريس هدية للعروس وهي عبارة عن نوع من الجلود ذات الصفة المقدسة . وعلى العريس أن يقدم الصيد لأهل العروس من أجل وليمة العرس . ويبقى العريس عاده عدة شهور أو أكثر لدى أهل زوجته على أساس أن والدة العروس بإمكانها الاعتناء بالطفل عند حضوره ولدى /التارون/ يقضي الرجل السنة الأولي من زواجه لدى أهل عروسته. وهم يتبعون النسب الأبوي وإذا توفى الوالد فالزوج الثاني يحتضن الأطفال وأخوة المتوفي يقدمون الدعم لأطفاله والعادة بقاء الأطفال مع أمهم إذا لم تتروج .

تجري الولادة عادة في الغابة . وتحتضن الأم ولدها عادة ثلاث إلى

أربع سنوات ، وإذا جاءها ولد ثان قبل فطام الطفل الأول - فعادة - يقتل هذا الطفل ، لذلك لاتوجد لدى البوشمن عائلة كبيرة.

وهذا سبب تناقص عددهم وسيرهم السريع نمو الأنقراض. وتأمين الغذاء الصعب يجبرهم على القيام دائماً بعملية التوازن والأولاد الثلاثة نادرة.

يدفن الميت بقرب كوخه مطوياً على جنبه وركبته مرفوعة للاعلى . ويدفن معه كل ما يملك وتوضع عليه الحجارة لإبعاد الحيوانات المفترسة. وبعد الدفن تترك المجموعة المكان وتنتقل إلى مكان آخر والأطباء موجودون لدى البوشمن منهم الرجال منهم النساء وأعمالهم تتخذ طابع الأهمية فهم المسؤولون عن انزال المطر. وهم الذين ينظمون حفلات الشباب وتلقينهم كما أنهم اطباء المجموعة ولهم عمل آخر هو اخراج المرض من نفوس المرضى . ولا يلبس الأطباء لباساً خاصاً بهم أو يعيشون حياة خاصة تختلف عن بقية المجموعة ومعتقدات البوشمن بسيطة فهم يحترمون القمر المضيء ويصلون له وكذلك يصلون لبعض الاجرام السماوية الأخرى. ولديهم مجموعة من الخرافات والأساطير خاصة بكل قبيلة . فمن مواهبهم عدا الرقص وحركات الوجه الغرام بالأقاصيص والحكايات الخرافية المتصلة بالحيوانات ومصادر الطعام وقوى الطبيعة .

لا شك أن محبة الرقص مشتركة بين كل القبائل فهي بقدر ما هي مرتبطة بالمرح مرتبطة بالقضايا الدينية وتأخذ بعض الحفلات طابع الحفلات التنكرية وهم على العموم لديهم قدرة هائلة على التخفي والظهور بمظهر الحيوانات أو غيرها بالاضافة إلى تقليد أصوات الأشخاص والحيوانات وبالاضافة إلى الجلد كلباس يلبسون أيضاً جلود النعام وقد اكتشفت في منطقة هيرستل في مقاطعة الكاب رسوماً تظهرهم يلبسون أيضاً جلود النعام. ويمثلون قطيعاً منها وربما لأجل صيدها ، والجميع يغنون بأصوات ليس من السهل على غيرهم تميزها . ولديهم

عدة أنواع من الأدوات الموسيقية . ولكن أكثرها يعتمد على الأقواس والأوتار.

إن أعظم ما اتصف به قدماء البوشمن هو الرسم الذي سجلوا فيه على الجدران في الكهوف والصخور والحياة الطبيعية ، والصيد ، والشعائر الدينية والرقص بالألوان المختلفة مما يدل على حياة ثقافية قديمة لدى هؤلاء . أو بالأحرى يظهر ويدل على حضارة عريقة قديمة ، مما يجعل من هذا الشعب ليس له مثيل بين الشعوب ، ولكن هذا الفن الحضاري حسب ما تقول المصادر بدأ يختفي خاصة بين القبائل الشمالية. ولم يعد هناك صور ولا تصوير. وعلى كل حال فكل الرسوم الموجودة على الصخور في افريقيا الجنوبية هي من رسوم البوشمن.

٢ - الهوتنتوت : هناك صفات كثيرة مشتركة بين الهوتنتوس (أو الهوتنتوت) والبوشمن مما يدل على قرابة وثيقة بين الشعبين من ناحية الأصل واللغة أمّا من النواحي الأخرى فهناك اختلاف كبير فمن الناحية الفيزيائية فالهتنتوت أطول قامة من البوشمن وانحف وجوهاً مع بروز أكثر في الفكين. وكان الهونتوت يطلقون على انفسهم اسم /خوي - خوين/ أي الرجال من الرجال. وهم أكثر شعراً في اللحى . وأجسامهم أنحف من الأوربين وظهورهم مقوسة قليلاً. واقدامهم صغيرة وعيون متباعدة ، وخدودهم غائرة ، وذقونهم مدببه ، ولونهم زيتوني يميل إلى الأصفرار ورغم شعرهم الصوفي الأجعد وشفاهم الغليظة وانوفهم الفطساء إلا أن الوانهم اقرب ما يكون للون الأوربي .

هناك أقوال كثيرة حول القرابة بين البوشمن والهوتنتوت فهم من يقول بان الهوتنتوت ما هم إلى نتيجة لاختلاط طويل بين البوشمن والغزاة الحاميين الأوائل. ومنهم اقتبسوا لغتهم وثقافتهم وعاداتهم وهذا ما يميزهم عن البوشمن. وبشكل عام يظهر مثل هذا العرق في الشمال. وهم احدث عهداً من البوشمن . ويقول بعضهم بأن الهتنتوت وصلوا إلى

افريقيا الجنوبية قبل مجيء الهولنديين بألف عام. وانهم كانوا يقطنون حول البحيرات الكبرى .

والاعتقاد والمؤكد من مصادر كثيرة أن الهوتنتوت وصلوا من منطقة البحيرات إلى افريقيا الجنوبية بعد البوشمن ، حيث عبروا المجاري العليا لنهر الزامبيزي. ووصلوا إلى الشاطئ الغربي ، وهناك اتجهوا نحو الجنوب عندما بدأت طلائع الأوربيين تزور الكاب. ويشمل الانتشار السابق للهوتنتوت عملياً كل المنطقة الغربية لجنوب افريقيا من نهر كونين Kunene في شمال شبه جزيرة الكاب في الجنوب ويمتد حتى أراضي نهر /كي/ وهم حالياً مبعثرون في كل مكان ولايشكلون تجمعاً كبيراً إلا في جنوب افريقيا شمال نهر الأورنج.

عدا بعض القبائل فالجميع يتكلمون لغة واحدة من المجموعات اللغوية الأربعة المرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً . وهذه اللغات هي اغنى من لغة البوشمن ولكنهم ورثوا عنهم كثيراً من التهتهة ، كما امتزجت لغتهم مع اللغات الحامية ، لذلك يمكن تصنيفهم حسب اللغة إلى مجموعات رئيسية وهي الغامان (اونامـا) كزيري (ايـورا (اوكورانـا) كوناكـا (اوتينوحوي) وهيه نوم (اوهيكوم) وتتشكل المجموعة الثانية (الجريكا) والباستاردوز في روهوبون وهم الهوتنتوت القدامى الذين اختفت معالمهم اليوم إذ اندمج أحفادهم بالأوربين والهنود وغيرهم من الشرقيين من سكان جنوب افريقية الجدد وقد أصبحوا يشكلون نوعاً من القبائل الملونة .

ويبلغ عدد المتكلمين بلغة الخوي (الهوتنتوت في ناميبيا ١١٢,٨٣٣ نسمة وفي شمال غرب من مقاطعة الكاب يبلغ عددهم عشرة آلاف نسمة والواقع أن شعب الهوتنتوت يعتبر حالياً شعباً من الماضي ولم يبق منه سوى بعض العادات القديمة والاعتقادات . وهم

الذين استقلبوا الهنولدين عند أول نزول لهم في مستعمرة الكاب عام (١٦٥٢) م .

إن المجموعة التي تعيش في جنوب غرب افريقية تعود إلى مجموعة الناما‌ن ويبلغ عددهم حالياً أربعة وعشرين ألفا وهم معرضون حالياً للذوبان مع غيرهم من الشعوب وهذا الأمر هو الذي يحدد عددهم في المستقبل بين زيادة أو نقصان ومجموعته الناما‌ن تتألف من عدة مجموعات أو قبائل وكل قبيلة أو مجموعة لها اسمها الخاص ورئيسها ولكنه جميعها تحتفظ بالأسم الكبير /الناما‌ن/ وينحدرون من سلف واحد . ولكل قبيلة منطقتها الخاصة وتكون حول ينبوع أو حفرة مياه وعند الضرورة يتحولون إلى ينبوع آخر لسقاية مواشيهم وهذا هو الاختلاف الكبير بينهم وبين البوشمن الصيادين وكان التنظيم الاجتماعي الذي اختفى حالياً تقريباً أكثر تنظيماً من البوشمن بيد أنه أقل تعقيداً من التنظيمات الاجتماعية لشعوب افريقية الشرقية .

وتتألف القبيلة عادة من عدة أفخاذ ولكل فخذ أو فرع زعيم خاص بهم يتوارث أبناؤه الزعامة وهو مستقل في منطقته ولكنه يتبع اسمياً الحاكم الأكبر ويشاوره في كل عمل ويوجه الادارة والعمل أكبر الرجال سناً ولاتشكل القبيلة وحدة مركزية إلا في بعض المناسبات حيث تجتمع القبيلة كلها . ويعيش الهتنتوت في قرى تتشكل من كوخ مركزي تلتف الأكوخ الأخرى حوله . والاجتماع الرئيسي لدى الناما‌ن يكون بمناسبة الاحتفال بالعيد السنوي للأمطار وخلال الاحتفالات يضحون بعدد من الأغنام السمينة في سبيل الخصب وطلباً لزيادة المطر . وفي بعض القبائل تركض الفتيات البالغات عاريات تماماً عندما يبدأ المطر ويغسلن شعورهن وأحسامهن ليلدن أطفالاً أكثر في المستقبل بعكس البوشمن الذين لا يحبون الأولاد بسبب النقص في الغذاء ويلبس الرجال والنساء جلود الأغنام ويلامس صوفها الجلد في الشتاء وفي الصيف تقلب الجلود ويصبح

الصوف إلى الخارج وهذا مايفعله البدو في بادية الشام والهتنتوت حالياً يلبسون في غالبيتهم - اللباس الأوربي .

لكل عائلة كوخها الخاص يبقى فيه الأولاد حتى يتزوجوا وفي بعض الأحيان يتزوجون في نفس الكوخ ونظام القرابة مصنف بشكل عام والتعريف يطبق على كل الأجداد وعلى أحد كبار الأبناء ، ويميز الجنس عن طريق القواعد اللغوية يدعى بنفس التصريف الذي يدعي به الأخ أو الأخت والزواج أيضاً يأتي بابن العم ، وهنا يميز عن غيره وهناك تعريف خاص باسم أخ الام أو عوضاً عن الخال وأخت الأب عوضاً عن العمة . وعندما ينادي على شخص ما يجب أن يذكرا اسمه وعمره .

ويؤمن الهتنتوت بتعدد الزوجات والزواج من الأباعد وتعيش الزوجة مع عائلة زوجها . وتحمل كل عشيرة (وفخذ) اسم الجد الأول لها . ويوجه العلاقات الاجتماعية نظام صارم مبني على طبقات الاعمار (الجيل الواحد) الموجودة لدى مختلف القبائل والشعوب في افريقية الشرقية بشكل عام وينحصر عمل هؤلاء ، على الاشراف على شؤون المجتمع كل حسب طبقته (أي عمره) كما ينحصر عمل المرأة على الاشراف على بيتها وتحضير الحليب الذي تحلبه ، وبذلك يختلفون عن البانتو الذي لايسمحون للمرأة بجلب الماشية . وبما أن الهتنتوت رعاه فالحليب هو الطعام الرئيسي لهم ويضعونه في أنية من الخشب . وفي الصحون ويشربونه مع بعض الجذور وربما تكون لتحليته أو تطهيره وينظم الزواج عادة أقرباء العريسين ، وعلى جماعة العروس عدم القبول بسرعة بالعرض وطلب الزواج وذلك لإعطاء بعض الأهمية للعروس . ولكن بعد ضغط من أهل العريس يقبلون . وخلال تلك الفترة لايمكن مقابلة الفتاة من قبل خطيبها إلا عن طريق الوسيط . ويحتفل بالزواج بقيام أهل العريس بتنظيم مأدبة للجميع . وربما يقوم بها أهل العروس في بعض الأحيان . وفي ليلة العرس يقدم كل من العريس والعروس بقرة

لوالـدة الآخـر عربونـاً واعترافـاً بمـا قدمتـه الوالـده مـن تغذيـة للعـروس والعريـس عندمـا كـانوا أطفـالاً ، وعلـى العمـوم يكـون العـرس مناسـبة اجتماعية لتقديم العـروس وإدخالها في مجموعـة زوجهـا . وعـادة يكـون ذلك خلال حفلة تكرس فيها الأهداف المطلوبة من الزواج . كما تكـون رمزاً لتقديم الفتاة داخل مجتمع المتزوجات . وعلى الرجل أن يعتني كثيراً بوالد زوجته . ويظهـر دائمـاً الخجـل مـن الزوجـة ولا ينظـر إليهـا وهـي تلبس.

والمرأة عادة سيدة البيت وعلى الجميع إطاعتها وهي التي تقوم بجلب المواشي وعندما يريد الزوج بعـض الحليـب يـأخذ موافقتهـا وعلـى العموم فالهتنتوت يحترمون نساءهم كثيراً ولديهـن حريـة كبـيرة وتـتزوج المرأة بشقيق زوجها عند وفـاة الـزوج . وخوفهـم هـذا جعلهـم يبعـدون نساءهم عن الاختلاط بالهولندين عندما نزلوا في الكاب ومراسم الحمـل معقدة أيضاً . فمثلاً يجب أن لاتحضر الحامل ذبح أي حيوان خوفاً مـن ان يسبب الحيوان المذبوح المصاعب لأولادها . وتطـول حضانـة الأم للولـد وهم على عكس البوشمان لايقتلون الأطفال . ويسمى الأولاد بأسم والد أمهم والبنات باسم أبيهم . لذلك فكل الأولاد من نفس الجنـس لديهـم نفس الأسم والعمر هو المميز وبعـض الأوصـاف الأخـرى لذلـك عندمـا ينادى على أحدهم كما ذكرنا يجب ذكر العمر أو الوصف.

وعـادة يـترك الهوتنتـوت كبـار السـن ليموتـوا لوحدهـم إلا أن احترامهم يظل قائماً في العائلة الواحدة . لذلك فـالأخ الأكـبر لـه احـترام خـاص وكلمتـه مسـموعة وهـي الأولى في العائلـة وفي النقـاش ، وهنـاك قدسية كبيرة بين الأخ والأخت وعندما يكبر الواحد منهم يتجنـب أختـه ولايتكلم \معهـا مباشـرة ، ويمكـن إذا كـان الاثنـان في الكـوخ لوحدهـم ومضطرين للكلام أن يتكلـم الواحـدة منهـم مـع الآخـر ويكـون الكـلام مهذباً محترماً أو يقول ارغب في أن أكلـم أحـداً يقـول لأخـتي أريـد كـذا

وكذا . والرجل العالي المستوى يتمسك دائماً بالقسم بأخته الكبرى «وهي عادة بدوية عربية أيضاً » ويمكن أن تعاقب الأخت الكبرى أخاها إذا أخل بقواعد /الأتيكيت/ والمحادثة مع أخته وتعامل العمة (أو أخت الأب) باحترام كبير ولكن هناك حرية كاملة مع والدة شقيق الأم فالولد بإمكانه أن يعمل أي شيء دون أن يوبخ مادام في بيت خاله ويمكن أن يستحوز على أي شيء ، من اموال وقطيع خاله .

هناك مراسم روتينية موروثة في كل مرحلة من مراحل الحياة الولادة - البلوغ - الزواج - الزواج الثاني الوفاة . ويعود كل شخص لدى الهتنوت إلى طبقة ما وعلى أفراد هذه الطبقة واجبات محدده وهو يعرف مكانته ، والأسلوب الصحيح للتصرف سوية نحو رفاقه وطبقته أو الذين هم أدنى منه أو أعلى وإن شخصاً في حال التحول من طبقة إلى أخرى في المجتمع يقول سأصبح نوو Now وربما بسبب بعض الشيء من الخطر على نفسه وعلى الآخرين الذين يدخلون بتماس معه ، وهكذا فإن اليافع عندما يصل إلى سن البلوغ لم يعد طفلاً بل يصبح مباشرة عضواً كاملاً في القبيلة ولكن هناك مرحلة لايتخطى فيها طبقته أو طبقة ما أو أحد ما بل هو يتحرك من تماسك وأمن وضعه السابق . وهنا يتعرض لخطر كبير لعدم وجود الحماية له ... ووفقاً لذلك يمر خلال بعض المراسم المعقدة ، تستهدف تلقين الولد واجباته ، وتهيئة للدخول في مجموعة الأشخاص الذين هم في نفس حالته التي هو فيها الآن .

ومنذ الولادة ثم البلوغ والزواج يُهيأ الطفل للمرور بالطقوس التي تؤدي للاعتراف به كرجل وعضو في المجتمع . وبإمكانه العيش طبقاً للحياة الجديدة التي يحلم بها . ومن الضروري أن تقام مثل هذه المراسم لأنها تحدد مرحلة من مراحل الحياة . هي التي تحمي الشخص أو المجتمع الذي يتقبل الشخص ذكراً أم أنثى ضمن مجموعته الجديدة التي تخصه أو بالأحرى على مستواه . وتجري هذه المراسم بتحضير حفلة سرية

لايحضرها سوى الأشخاص القادرين أو المؤهلين ويسمح لهم بالأشتراك في مجموعات أخرى . وهناك دورة تحضير لوليمة من نوع معين وهذه الحفلة السرية ضرورية فالرجل (نوو) أي الذي يعتبر أهلاً للدخول في مجموعته يجب أن يتساوى معهم بحقنه ((روحية)) تدخل فيه عن طريق فتح جرح في أحد أجزاء جسمه. ويتغير مكانها حسب الصفة المؤهل إليها أو الدرجة . ويوضع في الجرح بعض الدهون الوسخة من جسم أحد الرجال المقدسين . وتسرى هذه التقاليد على الرجل عند زواجه للمرة الثانية وكذلك في مراسم بلوغ المراهقين والدخول ضمن اطار الصيادين ومراسم الدفن حيث ينظر لمن مر في هذه المرحلة بأنه أصبح /نوو/ ... الخ . أمّا الدرجة الثانية في المجموعة نفسها فهي المرحلة التي تلغي كل ماكانت تمثله الحياة القديمة فيعد فترة يمكن أن تكون طويلة أو قصيرة من الأنعزال ، يجب أن يولد الفرد مرة ثانية (من جديد) إنه تنظيف خاص لجسم /النوو/ عن طريق شخص مقدس ؛ حيث يرتدي نوعاً جديداً من اللباس ، وفي بيت مطهر يوضع فيه ، يدعى إلى وليمة تكفير «و اكل التكفير» ويدعى لهذه الوليمة /الناو/ فقط . ومنهم من سيصبحون /نوو/ ويشاركون بالطعام وأخيراً يعاد تقديم الشخص إل كل أفرد العائلة ، ويعود إل القيام بواجباته العائلية اليومية .

لاشك أن الطقوس الدينية التي ترافق عمليات التحول تختلف في التفاصيل بين مجموعة إلى أخرى ولكن لها وجه مشترك يتعلق بموضوع المياه واحترامها والاقتصاد بها ويعود ذلك إلى قلة المياه وحاجتهم إليها في ارواء قطعانهم فالمياة لدى الهتنتوت شيء له قوة وفعالية ومطهر للنفس .

أمّا مراسم ادخال البنات في حياة العائلة فتتم إفرادياً وتبدأ بعزل الفتاة فترة من الزمن في كوخ مظلم يبنى بجانب كوخ والديها ، وتبقى هناك هادئة مغطاة ببطانيه من جلد الأغنام ولا تتكلم إلا همساً ومع ذلك يمكنها استقبال بعض صديقاتها اللواتي يطحن لها أوراق ذات الرائحة

الذكية ويجعلنها على شكل بودرة ويغطين بها لفتاة كليا وعليها البقاء في الكوخ ولاتمس الماء البارد وعلى العموم فهم يخافون كثيراً من الماء البارد ، وعليها أن تحمي نفسها من أشياء كثيرة أخرى ، وعندما تصبح الفتاة مستعدة للخروج تأتيها امرأة متقدمة بالسن من اللواتي نجحن في زواجهن وأنجبن عدة أطفال ووصلت أو تجاوزت مرحلة الولادة . وتكلف هذه المرأة عادة بالعناية بالفتاة وتعليمها مدة فترة الانعزال وهي التي تعتني بجسم الفتاة ، وتقوم بدهنه بالدهون الممزوج بروث البقر لتنظيفها . وبعد هذا الغسيل تأخذ الفتاة مكانها وتلبس لباساً جديداً . وتخرج من الكوخ بمعونة المرأة المشرفة . وتحضر الواجبات أمام النساء اللواتي ينتظرن خروجها . وعلى المرأة المشرفة أن تعتني بالفتاة وتمسك بيدها خلال كل عمل تقوم به وتصبح حرة لعمل الأكل مرة أخرى . ثم يقدم لها كل النساء . ويجمعن الحطب ويقلعن الجذور ويقطعن بعض الحبوب سوية . كما تعلمها حلب البقر وهي متكئة عل ذراعها والحليب الذي تحصل عليه يكون مقدساً ولايشربه سوة المرأة المشرفة والنساء (الفتيات) من سنها . وفي المساء عندما يأتي الوقت لغسلها . تذهب الفتاة مع المرأة المشرفة وهي تسير أمامها مباشرة وتسير من الخلف امرأة عجوز أيضاً مع فتاة عزباء غير متزوجة . وعند الوصول إلى الماء تأخذ المرأتان غصناً بين الماء ويرش فوق الفتاة فيم يكون ساقاها داخل الطين الطري ، وفي النهاية تضرب المرأتان الماء بالاغصان معها ثم تملا المرأة المشرفة الدلو الخاص بالفتاة ثم تحمله هذه وتعود مع المرأتين إلى البيت وتقديم الفتاة إلى المياه الباردة هو نهاية هذه الطقوس الدينية التي تهتم بتقديم الفتاة إلى الحياة اليومية .

وفي بعض الأماكن تجبر الفتاة على الركض تحت المطر . خلال العواصف وهي عارية وذلك لتغسل نفسها وعليها أن تشهد الناس على هذا العمل

عند حدوث الوفاة يلف الجسم بالجلود وتدفن الجثة وهي في حالة الجلوس والوجه للشرق ويترك الكوخ الذي حدثت فيه الوفاة كما أن العشيرة أو الفخذ يغير مكان إقامته ومنهم من يضع الميت في كوخ بعيد . ويمضي أقرباء الميت بقرب الجثمان خارج الكوخ ويبقى الجسم مسجى حتى اليوم الثاني بعد لظهر ، ثم يغلق الكوخ بالأغصان والحجارة والطين وكل واحد من الأقرباء يأتي بحجرة . ثم يغسل الرجال أيديهم أمام كوخ الميت . ويذبحون عادة أحد الحيوانات من قبل أقرباء الميت وتجلب مختلف العائلات معها قدوراً صغيرة يضعون فيها الدم واللحم والأحشاء لوحدها ثم يسخن الدم حتى يغلي . ويمزج مع بعض الأعشاب ويحرك حتى يظهر البخار وينتشر ، ويجتمع حول هذا القدر أقرباء الميت ويضعون على رؤسهم الجلود ، ويأخذون بشم رائحة الدم الغالي . بعد ذلك يأخذ رجل كهل من غير أقرباء الميت كأساً أسود . ويعمل اشارة على معدة كل واحد من الاقرباء الذين لوحدهم ياكلون اللحم فقط أمّا الأحشاء فيأكلها بقية الناس والرجل الكهل لوحده يشرب من الدم ومن في عمره كذلك .

يفرض على الأرمل والأرملة الامتناع لفترة من الزمن عن الأقتراب من الماشية . ومن لمس أوعية الحليب . وعن أكل اللحوم النيئة وعن شرب الما ءالبارد وحتى لمس الماشية خوفاً من توسيخها . وتفرض هذه الواجبات لفترة قصيرة وتنتهي بعدها عملية الحداد . وتختم بعملية تطهير تتبعها وليمة فاخرة يستطيع بعدها الأرمل أو الأرملة العودة للحياة الطبيعية .

لقد عرف الهتنتوت إلها سماويا واحداً هو تسوي غواب Tsui goab وهوالذي يرسل العواصف الأمطار الغزيرة . وينتسب السلف لأول للهتنتوت إلى شخص عظيم تتحدث عنه الأساطير الدينية ويدعى هيتسي ايبيه Heitsi Eibibe والذي تعرفه قبائل البوشمن أيضاً – وتعتبره الروح

التي تسيطر على المروج وتحمي الصيادين . وكانوا باسمه يقدمون الضحايا بقرب أكوام من الحجارة لتنشر هنا وهناك وترمز إلى قبره أي أنه مدفون في كل مكان ، ورغم الشبه الكبير بين البوشمن والهتنتوت فلامجال للألتباس بينهما .

يعتبر الهتنتوت من الرعاة ويسيرون وراء مواشيهم طلباً للكلأ والماء وهي حياتهم اليومية ،وهم لايقتلون الحيوان إلا في حالا ت تقديم الاضحية ، والماشية محور حياتهم لذلك يوجهون همهم إلى قوة سماوية لحماية ثرواتهم وحياتهم أي قطعان الماشية ، إنهم ينظرون لهذا الاله أنه موجود في كل مكان ، ويأخذ القمر مكاناً مقدساً أيضاً مثل البوشمن .

يعيش الهتنتوت في أكواخ مدورة أو نصف مدورة أكثر إتقاناً من أكواخ (عشش) البوشمن ويحيط بالبيوت وزريبة الحيوان سور له بابان واحد من الشمال والثاني من الجنوب وتتحلق أكواخ السكان حول كوخ الزعيم وتصنع الأكواخ بشكل يسهل معها فكها ونقلها . ويتقدم هؤلاء عن اليوشمن في صناعة النحاس ويعتنون بها أكثر من صناعة الحديد ولديهم غرام بالرقص والأساطير وهم أقل شجاعة من البوشمن ومع ذلك فالهتنتوت لايعرفون من الفنون الجميلة التي لدى البوشمن شيئاً . فلا تصوير ولاحفر وأسلحتهم الحراب والسهام ذات الأطراف المعدنية والدروع والتروس من الجلد وبعضهم يستخدم الثيران في القتال حيث تدرب على المسير أمام المقاتلين للاحتماء خلفها . كما تتخلل دياناتهم الرئيسية عبادة الأسلاف وبعضهم قد ارتضى وأصبح يعتقد بآله الخير . ومملكة السماء الحمراء وإله الشر ومقره السماء المظلمة السوداء وعند دخول الهولنديين لم يظلوا على نقاهم العرقي رغم كثرة عددهم .

٣ - الخوسا : ويعرفون سابقً بقبائل الكفار . وكان العرب يطلقون كلمة كافر على كل القبائل السوداء التي احتكوا بها بقرب السواحل ، ولكن الذي عممها على تلك القبائل التي تعيش على

الساحل الجنوبي الشرقي من افريقيا هم البرتغاليون ثم اقتصرت التسمية على قبائل الخوسا في القرن التسع عشر في مقاطعتي ترانسكاي وسيسكاي . وبالرغم من أنها حاليا غير مستخدمة ، إلا أن لكمة كافير أو كافروريا Kaffroria أصبحت في القرن التاسع عشر تعادل أوتعني الخوسا . وهم مجموعات من القبائل ذت رابطه قوية فيما بينهم ويعيشون في منطقة ترانسكاي في مقاطعة الكاب ، ضمن اتحاد حنوب افريقية . وهم بأصولهم يعودون إلى مجموعة شعوب النفوني التي تعتبر احدى الأقسام الكبيرة من الشعوب التي تتكلم لغات الباستو ، وأهم هذه القبائل هي جيكاليكا «وهي أكبر القبائل . نجيكا - ند لامبا - دوشان . كاي . نيتد ، و Ggunkhwebe وتعود هذه بأصولها إلى الهتنتوت . ويبلغ عدد الخوسا في جنوب افريقية أكثر من ثلاثة ملايين نسمة . وشعب الخوسا هو بشكل رئيسي مزارع ولكنه يربي عدداً قليلاً من الأبقار . ينتظمون ضمن عشائر ذات نظام أبوي . وترتبط كل عشيرة منهم بزعامة ما هذا الزعيم يفرض سلطته بالتعاون مع مجلس من المستشارين ينتخبون من رؤساء القبائل أو العاشائر الأصغر (الأفخاذ) ومنذ عام ١٩٦٠ بدأت نسبة عالية من هذه القبائل التي تعيش في ترانسكاي بالتوجه نحو جوها نسبرغ وغيرها من مناطق العمل في جنوب افريقية هم وعائلاتهم وهذه القبائل هي التي قاومت المستعمرين الأوائل «الهولنديين» ويعود أكثر الملونين في جنوب افريقية لاختلاط طويل بين الخوسا والبيض والخويسان عن طريق الدعارة بخاصة (ينتسب نلسون مانديلا إلى الخوسا) .

- الممالك القديمة والتطورات السياسية ومراحلها :

يمكن تقسيم تاريخ افريقية الجنوبية وجنوب افريقية السياسي إلى مرحلتين رئيسيتين :

١ - المرحلة التي سبقت عام ١٨٠٠ م

٢ - المرحلة التي ابتدأت مع عام ١٨٠٠ وقبل ذلك بقليل حتى نهاية القرن التاسع عشر .

وقد تميزت المرحلة الأولى بظهور عدة قوى قوية في الداخل وقد أقامت هذه القوى اتصالاً تجارياً وثيقاً مع الساحل الشرقي للقارة (أو مايعرف باسم ازانيا) أو ساحل التجارة الشرقي وخلال هذه الفترة وصل البرتغاليون في اطماعهم التجارية والعسكرية ومحاولاتهم للسيطرة على تجارة الساحل والتوغل داخل القارة وبخاصة الساحل لشرقي . وما تلا ذلك من وصول الهولنديين على أعقاب البرتغاليين وتأسيسهم لمستعمرات الكاب وهجرتهم المشهورة نحو الداخل وظهور شعب البوير وحروبهم مع السكان المحليين من البوشمن والهتنتوت والخوسا .

أمّا المرحلة الثانية فقد تميزت أولا بدخول الانكليز جنوب افريقية وحروبهم مع الهولنديين (البوير) من جهة والسكن المحليين من جهة أخرى . وخلال هذه الفترة ظهر مايعرف بالمفيكان Mfecan أو امبراطورية لزولو التي غيرت طبيعة المنطقة من الناحية الديمغرافية . وفي هذه الفترة أيضاً تمت السيطرة الأنكليزية وظهر للوجود مايعرف باتحاد جنوب افريقية .

أولاً : المرحلة قبل عام ١٨٠٠ م

يبدو أن منطقة جنوب وجنوب شرق افريقية حسب قول أكثر العلماء أنهاكانت مسكونة منذ عدة ملايين من السنين على أساس وجود دلائل كثيرة تشير إلى أن تطورا انسانياً وإبداعاً ثقافياً نما في تلك المناطق . وأهم هذه الشواهد الصور الموجودة في كهوف جنوب افريقية والتي تعود إلى البوشمن القدماء حسب تأكيد كثير من المصادر وقد تزامنت هذه الصور مع تطور ثقافة الحديد في تلك المنطقة الواسعة والتي يشير وصولها جدلاً حول ما إذا كانت محلية أو قدمت من الخارج ومن هم الذين حملوها معهم لما في ذلك من أهمية بسبب أنها أدت إلى تطور في الزراعة وانتاج الطعام وتدجين الحيوان وصناعة الفخار وقد تم اكتشاف

كثير من آثار العصر الحديدي عبر نهر ليمبو بو وزامبيا ... الخ

هناك تأكيد إلى أن تحرك وانتشار ثقافة الحديد في هذه المنطقة ماهو في الواقع إلا قسم من تحرك ثقافة الحديد والتي بدأت - كما رأينا سابقاً من نقطة تقع في غرب افريقية حيث تم اختراق لمنطقة المشجرة الواقعة جنوب منطقة الغابات المطيرية الكثيفة الواقعة في وسط افريقية وكذلك تجنب ذبابة تسه تسه والانطلاق جنوباً نحو الأراضي المكشوفة اليابسة في النصف الغربي لشبه قارة جنوب افريقية . وهناك تذوقوا الحياة الرعوية ومحبة التنقل واتخذوها وسيلة لحياتهم وقد امتص الأوائل من المهاجرين ومن تبعهم أوائل شعوب العصر الحجري بواسطة طرق مختلفة حيث تركت بقايا منها على شكل مجموعات صغيرة في الحوافي الجنوبية والشرقية لشبه القارة ونتيجة لذلك فالشعوب التي تتكلم لغة البانتو في افريقية الجنوبية لايمكن أن تشكل من الناحية السلالية العرقية الأصلية . وحدة متناسقة لهذا وجدت فيها نماذج من عناصر متعددة . ويبدو أن العناصر البانتويه القديمة المهاجرة لم تكن قليلة العدد عل أساس مايشاهد من أعدادها الكبيرة وتغلبها عل الشعوب القديمة .

ومنذ العصور الأولى استخدم مزارعوا عصر الحديد المعادن واستقروا بجانب خاماتها كما هو الحال بالنسبة للملح ، وقاموا مباشرة بأعمال تجارية ولكن لمسافات قصيرة .وقد استخدموا المجرفة في الزراعة كما اهتموا بالصناعة الفخارية التي كانت تنتقل من يد إلى يد .

ومع النصف الثاني للألف الأول للميلاد ، أخذت صناعة الحديد تضم التعدين بالنحاس . والذهب . ففي زيمبابوي لوحدها يوجد آثار أكثر من ١١٠٠٠ منجم للنحاس ، وفي الترنسغال يوجد عدة آلاف من مناجم الحديد والنحاس والقصدير وربما تكون متزامنة مع بناء الأبنية الحجرية العائدة لثقافة وينكومست وبويسبورت العائدة لجنوب وسط الترنسغال وفي فالابوروا في جنوب الترتسغال حيث كان يعمل بالحديد

اعتباراً من القرن الثامن . وقد أصبحت المنطقة واحدة من أغنى مصادر النحاس . ومن الواضح أنه في القرن العاشر لم يعد الذهب والنحاس مصدري تجارة داخلية فقط بل أخذ طريقهما إلىالساحل الشرقي لافريقية الذي كان معروفاً من التجار الرومان واليونان بعد تعرفهم على أسرار الرياح الموسيمة . وقد توقف هذا التماس بعد ظهرو الاسلام إلى الساحل الشرقي لأفريقية ، وأصبح هذا الاساس قسما من تجارة المحيط الهندي الكبرى وفي القرن الثامن ، وصل التجار العرب القادمين من المستوطنات العربية في الشمال الشرقي وأخذوا يترددون عل الموانئ . وكان الذهب والنحاس المادتين الرئيسيتين للتصدير وكانت الطرق التجارية عبر الغابات تصل بين الساحل ومنطقة إنتاج الذهب في زيمبابوي ومع مناطق النحاس في كاتنفا ، ومن المحتمل مع بحيرة ملاوي حيث توجد القطعان الكبيرة من الفيلة وأنيابها العاجية وكانت هناك معاملات تجارية جيدة ، وحيث الطرق تتبع الشبكات الأقليمية القديمة بالإضافة إلى ذلك فقد افتتح العرب طرقات جديدة جيدة ، وصلت إلى أعماق القارة وإلى نهر الزامبيزي

خلال هذه الفترة الطويلة كانت هناك قوى داخلية تظهر الواحدة تلو الآخرى وربما كانت الواحدة منها تحل محل الأخرى وكانت هذه القوى على مايبدو على شيء من التنظيم تطور مع الزمن ومع الاحتكاك بشعوب أخرى . من النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية مع تقنية زراعية عالية وأعمال صناعية راقية وأهم مافيها وحدتها واستمراريتها التي ربطت بين الدور الحديدي القديم والدور الحديدي المتأخر . وهذا يدلنا على أنها نمت محلياً وصقلت بعد امتزاجها بأفكار خارجية سياسية واجتماعية وفنية مشتركة ومنتشرة بشكل واسع . وقد زاد في براعتها المدة الطويلة التي زادت فيه الاتصالات التجارية بحيث أثرت تأثيراً كبيراً في ميزان القوى الدخلي.

لقد عرف الدور الحديدي المتأخر وشبكته التجارية بشكل جيد من مواقع ثلاثة في افريقية الجنوبية . هذه الموانع هي التي تجسد كل خصائص الدور الحديد بمجموعة : وأولها موقع زيمبابوي الواقع حالياً في جمهورية زيمبابوي (روديسيا الجنوبية) التي اقتبست اسمها من هذا لواقع . أمّا الواقع الثاني فكان – نفومب ايليد – بالقرب من التقاء نهر كافو ، بنهر الزامبيزي والموقع الثالث هو مابونفوبوي وهو تماماً جنوب نهر ليمبوبو شمال الترنسغال ، ومع أن هذه المواقع شهدت ثقافة عريضة متشابهة ومرتبطة بالنشاط التجاري مع الساحل الذي كان يوحد بينها ولو كنت بعيدة أى أن تاريخها مختلف ، وأغلب المواقع الشمالية منها فقد تم تاريخها بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر وإذا اعتبرنا هذا التاريخ عصرها الذهبي ، فمن المحتمل أن تكون متزامنة تاريخياً مع زيمبابوي ومانفوبوي وبسبب موقعها الستراتيجي المهيمن على وسط الزامبيزي إى أنها كانت مغلقة على مناجم المعادن ورواسب الملح لذلك كان العاج المادة الوحيدة على الأغلب للتصدير لوجود الفيلة الكثيرة في المنطقة ، وقد ازدهرت ربما مع منتصف الألف الثاني للميلاد وأصبحت مركزاً تجارياً مزدهراً والآثار الموجودة في تلك المواقع توحي بذلك . وكما هو الحال في زيمبابوي ومابونفوبوي كانت التجارة بيد نخبة من الحكام الأقوياء والذين كانوا يدفنون مع الذهب والنحاس المنقوش وكان بإمكانهم استيراد الخرز والثياب الجميلة من الخارج وكانت منحوتاتهم الرائعة ملفتة للنظر إضافة إلى قبورهم الضخمة والتي يبدو أنها كانت تخص طبقة معينة من الناس وتشبه زراعتهم واقتصادهم ماهو موجود حالياً لدى سكان تونفا .

– الممالك والامبراطوريات الكبرى ووصول الاستعمار الغربي :

– امبراطورية زيمبابوي ، موين ماتابا – مونوموتابا :

إن أول ذكر لزيمبابوي اومببر (ربما أوفير الاسطورية التي كان الفينيقيون يجلبون منها النحاس) كان في القرن الرابع عشر . وقد ظهر

ذلك في الروايات التقليدية المتوارثة وأصبحت أكثر وضوحاً في القرن الخامس عشر وتقول هذه الروايات أن احدى العائلات في مبير تأسست بزعامة حاكم نصف اسطوري في القرن الرابع عشر . ثم خلفه أحد أحفاده وهو /نياتسيمبا/ الذي حكم في أواخر القرن الخامس عشر ، ويعود إليه وإلى ابنه الذي خلفه فيما بعد تأسيس هذه الامبراطورية ، ونياتسيمبا هواول من لقب بكلمة موين ماتابا ، وفي زمنه تم نقل مركز الامبراطورية ، من زيمبابوي شمالاً إلى جبل فور على نهر الزامبيزي وهو الذي شن الغارات العسكرية العنيفة على جيرانه لخلق هذه الامبراطورية الكبرى والتي هيمنت في عصره الذهبي على المنطقة الواقعة بين نهر ليمبوبو والزامبيزي ومن صحراء كالاهاري إلى محيط الهندي كما استطاعت مد سيطرتها مرات عديدة فوق منحدرات مابونفوبوي في وسط وادي ليمبوبو والتي كانت إحدى المواقع الهامة كما ذكرنا . وقد ارتبطت امبراطورية موين موتابا ، وتزامنت مع موقع أصبح يعرف بزمبابوي (اوزيمبابوي الكبرى) في جنوب غرب زيمبابوي الحالية وقد اتخذت هذه الامبراطورية تسميات عدة كموين موتابا وهو وإن كان اسم امبراطور أو حاكم زيمبابوي إلا أن معناه الأرض الخراب أي ملك الأرض الخراب كما يعلن عليها مونوموتابا وتعني سيد المناجم وربما تكون قد سميت بسبب الحفر التي سببها حفر المناجم أو مملكة أو امبراطورية زيمبابوي وهو المتعارف عليه . وزيمبابوي هو موقع تبلغ مساحته ٢٤ هكتار من الخرائب حالياً . وهي من العصر الحديدي المتاخر في جنوب افريقية ، وقد ظلت فترة طويلة مثار روايات وأقاصيص مثيرة، وقد أصبح واضحاً أن الذي أقام مجمع زيمبابوي المعقد شعوب من أصول افريقية في العصر الوسيط . وكانت مركزا دينياً حتى القرن التاسع عشر، لعبادات كثيرة منها عبادة المواري Mwari ومركز لرجال الدين الذين يجلبون المطر . والمواري هو الآله الأكبر لشعب الشونا – التي يمثل

الأكثرية في جمهورية زيمبابوي الحالية – في القرن الخامس عشر وكانت في ذلك الوقت قلب الأمبراطورية ؛ ويرتبط ضعفها وقوتها بمدى قوة وضعف الموقع . ويعود التغيير الذي حدث خلال حكم نياتسيمبا إلى انتقال محور القوة من جنوب غرب زيمبابوي إلى جبل فور على نهر الزامبيزي ، وربما يفسر بسبب ضعف وفقر الأرض للزراعة ونضوبها من الموارد المعدنية في منطقة زيمبابوي نفسها . إن انتشار عناصرها البشرية ونمو طاقاتها . ومابذل من مجهود لاقامة هذه الأبنية واستيراد الأنسجة والأهمية التي شهدتها في القرن الخامس عشر ، يعود إلى نهر الزامبيزي كطريق نهري يصلها بالساحل الشرقي التجاري .

وكانت امبراطورية واسعة صعبة المأخذ ومنظمة يدل على ذلك خطوط مواصلاتها ، وتقنيتها التي اتصفت بها المجتمعات الصناعية ماقبل العهد الحديدي .وقد تم نقل الأمبراطورية ربما في النصف الأول في القرن السادس عشر وقد أصبحت الأمبراطورية في المكان الجديد أقوى مما كانت عليه في نهاية القرن الخامس عشر .

في القرن السادس هاجم البرتغاليون امبراطورية موين ماتابا عن طريق الساحل الشرقي (في بداية عام ١٥٣٠ م) بعد فترة من التعاون التجاري . رغم كرههم له ، وقد حصل البرتغاليون أيضاً في بادئ الأمر على امتيازات لاستثمار المناجم واستطاعوا أيضاً ادخال المسيحية في القرن السادس عشر ، حاول موين ماتابا مقاومة البرتغاليين عام ١٦٢٩ ، إلا أنهم خلعوه عن عرشه وأجبروا خليفته أن يدخل معهم في تجارة مكثفة وإعادة تثبيت اتفاقية استثمار المناجم ومنذ القرن السابع عشر بدأت الامبراطورة بالتراجع وأصبحت محمية برتغالية ، وفي القرن التاسع عشر أصبحت إقطاعية بسيطة يعتمد اقتصادها على مايستخرج من المناجم . والواقع أنه في القرن السابع عشر تعرضت لهجمات مملكة

رويزي الواقعة في جنوب شرق زيمبابوي وأما الخرائب المعروفة باسم زيمبابوي فكانت عاصمة الدولة .

- وصول البرتغاليين وآثاره المدمره : كان وصول البرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر إلى المنطقة عصر جديد من الاضطرابات لم ينته إلا بعد أن اقتسمت المنطقة القوى الاستعمارية من بريطانية وهولندية وبرتغالية وفرنسية . وكان العرب على سواحل المحيط الهندي أول من اصطدم بهم البرتغاليون علىالساحل الشرقي . ومن المعروف أنه عندما بدأ البرتغاليون حركتهم الاستكشافية التي كانت تستهدف الوصول إلى الهند وصادراتها الفنية من التوابل وغيرها والألتفاف حول الجناح الأيمن للعالم الاسلامي ، وضربه من الخلف بالتعاون مع المملكة الاسطورية المسيحية التي كانوا يعتقدون بوجودها في الهند أو اثيوبية والتي يرأسها الراهب يوحنا (جون) . وقد أستطاعوا اتخاذ طريقهم إلى الساحل الشرقي في القرن الخامس عشر ووصلوا قباله المستوطنات العربية في افريقية عام ١٤٩٥ في طريقهم إلى الهند بقيادة فاسكودغاما وفي عام ١٥٠٧ بنيت القلاع البرتغالية على ساحل موزامبيق والتي أصبحت المحطة الكبرى في طريق الهند .

كانت النتيجة المباشرة للفتوحات البرتغالية الهبوط الثقافي والاقتصادي لكل المواقع الساحلية بسبب سوء ادارة البرتغاليين وشراستهم . ولكن بعد فترة من الزمن وجد هؤلاء انهم عاجزون عن مراقبة كل المنطقة الواسعة التي افتتحوها باعدادهم الصغيرة ومدافعهم البحرية التي لم تكن المنطقة تعرفها ، وقد واجهوا مباشرة خلال القرن السادس عشر مقاومة نشطة من المجتمعات السواحيلية التي تغطي المنطقة، كما أن الفائدة التي كانوا يتوقعونها من تجارة الذهب في سفالة أخذت تضعف تدريجياً . وفي محاولاتهم للسيطرة على التجارة والوصول إلى المناجم الفنية بدأوا بالقيام بعمليات ريادة وانتشار وتوسع داخل وادي

الزامبيزي ، ومنـذ عـام ١٥٣٠ أقـاموا حكومـات في قلعـتي سـينا وتيتـه ترأسها برتغاليون انتخبوا من بين المقيمين هناك . وقد فاوض هؤلاء بعض القوى المحلية الداخلية عن طريق /مويـن ماتابـا/ كمـا اسـتطاع عـدد مـن البرتغاليين ومعهم عدد من سكان مدينة غوا الهندية الواقعـة تحت الحكـم البرتغالي على الساحل الهندي الحصول على منح أراضيـه بشـكل قـانوني بالأتفاق مـع بعـض الرؤوسـاء المحليـين . وعدا هـؤلاء عـم نظـام الأرض المملوكه أي وضع اليد على الأراضي عـل طـول نهـر الزامبيزي عرفـت باسم نظام الـبرازو . وبـين القرنـين السـابع عشـر والتاسـع عشـر أصبـح هـؤلاء الـبرازو قـوة كبـيرة . وكـان بإمكـانهم الوقـوف في وجـه التـاج البرتغالي في محاولاته لاعادة تنظيم الأملاك الخاصة لئلا يكون هناك صـدام بين مصالح التاج والسياسية المحلية الأفريقية .

لقد استقر البرتغاليون في القسم الجنوبي من الممتلكـات العربيـة . واكتنفوا في الشمال بالاعتماد على محالفـة حكـام مـاليندي الـذي كـانوا يتلقـون مـن البرتغـاليين الدعـم العسـكري ويمكـن القـول بـأن اسـتقرار البرتغاليين إلى الجنوب يعود إلى المناخ في الجنوب وهو أكثر اعتدالاً لبعده عن خط الاستواء كما أن هذ القسم أقرب إلى منـاجم الذهـب الداخليـة وعندما توافد البرتغاليون على المنطقة وشكلوا نواة مستعمرة موزامبيـق ، توقفت الهجرة العربية نحو المنطقة الجنوبية كم ترك من فيها مـن المسـلمين وانتقلوا في الشـمال ، وأصبحـت الحـدود بـين العـرب والبرتغـاليين مدينـة سفاله وبخاصة بعد انتصار العمانيين علـى البرتغـاليين في المنـاطق الشـمالية شمال راس ديلكادو في القرن الثامن عشر وحصروهم في موزامبيق .

على أنه منذ عام ١٥٠٩ . وحتى تدخـل عـرب عمـان في أواخـر القرن السابع عشر اضطرت معظم الأمارات الاسلامية مـن ممباسـا حتـى رأس جاردفوي لدفع الجزية للبرتغاليين عدا مدينة مقديشو الـتي قـاومتهم ولم تعترف بسيادتهم ورغم محاولات الاتـراك العديـدة – وغـير الجديـة –

بطردهم وقد ارتاح البرتغاليون لهذا النظام لأنه هدفهم هو الاستغلال المالي والاقتصادي واحتكار تجارة المنطقة . ولكنهم جلبوا على انفسهم كره السكان الأصليين .

وفي بداية حكمهم في شرق افريقيا وجنوبها الشرقي ، عول البرتغاليون على مجيء القبائل الأفريقية حاملة الذهب معها إلى الساحل . وسرعان ماتبينوا أن النظام العربي الذي انتقل من الانتظار على الساحل للمقايضة التجارية إلى الدخول في اعماق القارة وتنظيم القوافل بالتعاون مع بعض القبائل بخاصة النياموزيزي - كما رأينا - لجلب العاج وريش النعام والنحاس والذهب واخيراً العبيد - أكثر ملائمة لعادات البلاد . وظل الوضع على حاله حتى مجيء الملك البرتغالي سباستيان عام ١٥٦٨ الذي صمم على اتباع سياسة توسعية في شرق افريقيا أكثر طموحاً من العرب ، وتهدف هذه السياسة إلى ضم حوض الزامبيزي إلى الأمبراطورية البرتغالية . وإنشاء حاميات ثابتة في الداخل ووضع إدارة برتغالية على القبائل الموجودة حول مناجم الذهب وكان المبشرون قد سبقوا هذه المشروعات التوسعية بالتسلل إلى داخل افريقية لنشر المسيحية في مملكة مونوموتابا . وعندما لقي احد اليسوعيين مصرعة على يد أحد السكان المحليين ، اتخذ البرتغاليون ذلك ذريعة للهجوم على موين موتابا وفرض الشروط على الملك موين موتابا والتي تحقق للبرتغاليين أهدافهم . ومنها إخراج المستشارين العرب والمسلمين من المملكة وحرية التبشير في ممارسة اعمالهم ثم التنازل عن مناجم الذهب والقصدير وغيرها من المعادن (عام ١٥٧٢) . على أن البرتغاليين لم ينجحوا في استخلاص أية فائدة من هذه الأتفاقية . فقد حرص السكان المحليون على أن لايدلوا الغزاة على مناجم الذهب أو طريقة استغلالها ، ومن جهة أخرى تدخل البرتغاليون في المنازعات المحلية وجلبوا على انفسهم مشكلات معقدة وسرعان ما اضطر القائد البرتغالي /بارتو/ للعودة

لموازمبيق لقمع ثورة شبت فيها. ولم يترك سوى حاميتين صغيرتين في سينا وتيتيه وتبعد الأولى حوالي مائتي كيلومتر من مصب الزامبيزي والثانية أبعد قليلاً للداخل وقد عاشت هذه الحاميات تحت تهديد القبائل الأفريقية. وظلت تعتمد على تموينها من الساحل . لذلك اضطر البرتغاليون لتغيير سياستهم ، وعقدوا معاهدة جديدة عام ١٦١٥ . تعهدوا فيها بتقديم الهدايا السنوية للملك (موين ماتابا) حتى يأمنوا جانبه. ومع ذلك هاجرت بعض الأسر البرتغالية إلى هناك ولكنها لم تترك أثراً يذكر. ومع نهاية القرن السادس عشر بدأ نفوذ البرتغاليين يتزايد في كلا المنطقتين (نهر الزامبيزي ، والمنطقة حوله) وأخذوا يستغلون تجارة الذهب جنوب النهر لقائدتهم كما وضعوا يدهم على تجارة العاج شمال النهر.

هذا التشتت ، وما تلاه من استقرار كان أول اشكال القوة والأزدهار في شمال الزامبيزي حيث كان العاج المادة الأولى للتصدير . ولكن هذه التجارة تعرضت لتغيير مفاجئ وواضح في منطقة ملاوي في نهاية القرن وجاء هذا التغيير المفاجئ إثر وصول وظهور قبائل الزمبا (الوزيمبا) إلى المنطقة.

وكان الوازيمبا عبارة عن قبائل أو أشباه القبائل التي تمتهن مهنة السلب والقتل وتخريب البلاد وأكل لحوم البشر .

لذلك سميت الوازيمبا وهو صفة للعمل الذي تقوم به وكان ذلك بعد منتصف القرن السادس عشر ، وكان هجومهم كهجرة جماعية قدمت على الاغلب من انغولا ، ومن المحتمل من الكونغو ، وكانوا جميعاً تقريباً من الرجال عدا بعض النساء ليكونوا طعاماً باعتبارهم من أكلة لحوم البشر . ولم تكن اهدافهم واضحة كما لم يكن لديهم ميل للاستيطان ، بل كانوا يسيرون على شكل غارة عنيفة تخرب كل ما يقع أمامها ووجهتهم نهر الزامبيزي وعندما وصلوا النهر انقسموا إلى قسمين

الأول تقدم نحو البحر وعندما وصلته سارت بمحاذته حتى مدينة كلوه (العربية) عام ١٥٨٧ . فاحرقوها ودخلوا ممباسا في الوقت الذي كانت فيه المعارك بين سكانها والأسطول التركي بقيادة علي بك من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى الذين قدموا لمساعدة حاكم ماليندي ماليندي حليفهم . وقد تعاونوا مع البرتغاليين في ممباسا ولكنهم هزموا أمام ماليندي . أما القسم الثاني فقد اتجه جنوباً ووصل عام ١٥٨٠ إلى الزامبيزي وهاجم المركزين البرتغاليين سينا وتيته (١٥٩٢ - ١٥٩٣) وانطلقوا لمهاجمة المستوطنات البرتغالية على طول الساحل. وكان زعيمهم المعروف باسم مانجانجا يقيم بجنوب نهر شير ولا يعرف السبب الرئيس لهذه الهجرة المدمرة والاعتقاد السائد هو نضوب ما لديهم من موارد اقتصادية في بداية القرن السابع عشر في امبراطوريه مارا في(ملاوي) حالياً وبين شعوب وادي شير.

٣ - امبراطورية مارافي Maravi : كانت مارفي تشكل قوة كبرى في القرن السابع عشر. وقد انتظمت بشكل واسع عن طريق الاتحاد الفيدرالي أو الكونفدرالي) . وكانت لديهم السلطة والقوة للسيطرة على جيرانهم الضعفاء في الشرق كما كانت تهيمن على التجارة المتوجهة من موازمبيق . وفي نهاية ذلك القرن ساعد نهوض تجار (الياو) في شرق بحيرة ملاوي (نياسا سابقا) على دخولها في مرحلة الضعف والتجزئة التي كانت تزداد وتضعف حسب ظهور الدويلات المستقلة عنها.

وبالرغم من أن امبراطورية مارافي ازدهرت بتعاونها مع البرتغاليين، إلا أن مملكة موين ماتابا دخلت في صراع طويل مع البرتغاليين أنهك قوتها . مما اضطرها مرة ثانية للتعاون مع البرتغاليين وأبعد الملك الذي قاومهم وحل محله أحد الملوك الذي أصبح لعبه بأيديهم وأجبروه على إعطائهم مكانة خاصة من الناحية التجارية بالاضافة إلى الامتيازات المنجمية . وبالرغم من اظهاره الخضوع للقوة وتقديم الأحترام إلا أنه

كان في بعض الاحيان يستغل وجود البرتغاليين لصالحه ، هو ومن أتى بعده من الملوك بخاصة عندما بدأ الخلاف يظهر بين المستوطنين البرتغاليين المعروفين باسم «البرازو» والذين أصبحوا افريقين أكثر منهم برتغاليين ، والتاج البرتغالي . وعلى كل حال فتجارةالذهب كانت الميزان لإدارة ساحل موزامبيق .

في الوقت نفسه بدأ البرتغاليون يتعرضون للتهديدات الخارجية التي أدت إلى ضعفهم في جنوب شرق افريقية ففي بداية القرن السابع عشر وجد هؤلاء أنفسهم في منافسة قوية مع المراكب الهولندية والبريطانية في المياه الاستعمارية الخاصة بهم شمال راس ديلكادو . وكان للعرب الفضل الكبير في طردهم من شمال الرأس المذكور ، وفي عام ١٦٣١ بدأت أولى سلاسل الثورات المتعاقبة , وفي العقد الأول من القرن الثامن عشر انسحب البرتغاليون من كل الساحل شمال نهر روفوما على المحيط الهندي.

وحتى قبل هذا التاريخ كان النفوذ البرتغالي ينحسر في بلاد ماشونا (شونا) ، وذلك عندما طلب (موين ماتابا) (ملك) زيمبابوي دعم شابخامير (حاكم)امبراطورية روزوي القوية في حالة يأس بين أعوام ١٦٩٢ - ١٦٩٤ وقد أسست هذه الامبراطورية في القرن السابع عشر في المركز القديم لامبراطورية موين ماتابا جنوب شرق زيمبابوي وقد لبى دومبو (الشابخامير (حاكم) الطلب بسرعة وانطلق نمو الزامبيزي وأجبر البرتغالين على التراجع . ولكن تدخل قوات روزوي كان كارثة على مملكة /موين ماتابا / التي استدعته بعداً من عزلت وأخذت تتقلص شيئاً فشيئا أمام ازدياد قوة روزوي وأصبحت الموين ماتابا مملكة صغيرة في الزاوية التسمالية الشرقية لزمبابوي

٣ - امبراطورية روزوي Rozwi : وهي امبراطورية كارانجا السابقة في افريقية الجنوبية . ومن المحتمل أنها تأسست في القرن السابع عشر من

قبل الملك /الشابخامير / دومبو ١٦٤٨ - ١٦٥٠ ، حيث سيطر على أغلب المناطق الخصبة ، والمناطق الفنية بالمناجم في زيمبابوي الحالية حيث هزم لبرتغاليين . وأخرجهم من الأراضي المعروفة باسم /فيرباس/ في وادي الزامبيزي عام ١٦٩٠ . واسس دولة كونفدرالية قوية وسط افريقية ، ولم تعرف مدى العلاقة بين دومبو ووين موتابا . والعائلة المالكة توغويه في يوتوا . وقد انتشر نفوذ الروزوي في أغلب زيمبابوي الحالية ومن المحتمل أن نفوذهم وصل إلى تواتسوانا والترنسفال . وقد ظلت حتى وقت مبكر من القرن التاسع عشر . ومع أن المنطقة التي وجد فيها الفخار الملون . والأبنية الحجرية هي في جنوب غرب زيمبابوي فمن المحتمل أن تكون أرثاً من آثار الروزوي .

وكان ملوكهم (الشابخامير) يتمتعون بقدسية دينية تدعمها سلطة عسكرية في الوقت الذي كان اقتصادهم يعتمد على الزراعة والثروة الحيوانية . وكانت علاقاتهم التجارية جيدة مع جيرانهم ، وكذلك مع العرب والهنود البرتغاليين على ساحل التجارة الشرقي . وفي القرن التاسع عشر أخذت الامبراطورية تتقلص تدريجياً بسبب ضعفها الداخلي وحروبها مع الزولو في مرحلة الحرب المعروفة باسم مفيكان .

- ثانياً افريقية الجنوبية بعد عام ١٨٠٠ :

بطريقة ماتأسس في نهاية القرن الثامن عشر جيب استيطاني أوربي آخر في جنوب افريقية وقد تطور هذا الجيب الذي بدأ كمحطة فحم واستراحة لتموين المراكب التجارية الهولندية بخاصة إلى مستوطنة نمتْ وتطورت بشكل سريع وأصبحت دولة مهددة وخطرة على السكان المحليين في جنوب افريقيه بخاصة عندما الانكليز في اللعبة . وقد رافق ذلك استغلال كبير للأرض وطرد السكان المحليين بالرغم من المقاومة الشديدة التي أظهروها . وكان اكتشاف الذهب والماس الحافزين الكبيرين لاعداد كبيرة هولاندية وبريطانية وأوربية أخرى للهجرة إلى

جنوب افريقيا ولم نصل نهاية القرن التاسع عشر إلا وكان الجيب الذي أسسه عام ١٦٥٢ الهولندي جان فان ريبيك يسيطر على منطقة جنوب افريقية وتم تأسيس مايعرف باتحاد جنوب افريقيا الذي اتخذ اسلوب التفرقة العنصرية أساساً لنظامه وقد استطاع الهولنديون والانكليز (الأفريكنز) خلال قرنين من لزمن التغلب على مقاومة السود من قبائل الخوسا والهنتوت والبوشما والنفوني وأصبح هؤلاء يشكلون الأفريكنز يشكلون الطبقة الأقلية الحاكمة في مجموعة كبيرة من السكان السود الذين أصبحو رغم أنهم اصحاب الأرض يشكلون الطبقة الدنيا التي تعمل لخدمة البيض رغم أغلبيتهم الكبرى .

٢ - مجموعة شعوب النغوني Nguni : لقد تعرفنا في بداية الحديث إلى شعوب البانتو الجنوبين ثم إلى قبائل الخوسا والخوسيان (البوشمن والهتنتوت) وإلى الممالك والامبراطوريات التي تشكلت قبل القرن التاسع عشر إلا أنه بعد منتصف القرن الثامن عشر لعبت مجموعة شعوب النفوني دوراً كبيراً في حياة شعوب المنطقة وبخاصة قبائل الزولو

وتعود مجموعة شعوب النيغوني إلى البانتو الجنوبيين وعددهم حوالي عشرة ملايين نسمة وهم أكبر الأعراق البشرية في جنوب افريقية. ويعتقد أنهم انتشروا فيها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بخاصة في بلاد الناتال وبعض اقسام مستعمرة الكاب والترنسفال وقد تميزت منهم ثلاث مجموعات رئيسية هي :

- النقوني الجنوبيون . ويحتلون تقريباً كل البلاد الأصلية للنفوني ويضمون قبائل الزولو - السوازاي - والخوسا .

- النديبله: وهم المهاجرون إلى بلاد ماتايبله لاند جنوب زيمبابوي الحالية.

- النقووني الشماليون Ngoni : وينتشرون في شمال ملاوي - زاميبيا - جنوب تنزانيا - مقاطعة غاندا في موزمبيق . والنقووني قسم من النقوني

وقد هاجر القسمان الأخيران خارج بلاد الناتال في وقت مبكر من القرن التسع عشر للخلاص من سيطرة الزولو . ويشترك النفوني (كمجموعة) بأشياء مشتركة من مختلف النواحي . فمن الناحية الاقتصادية يعتمد اقتصادهم في وقت واحد علىالزراعة وتربية المواشي وهم يزرعون الذرة ومختلف انواع الحبوب والفاصولياء واللوبية والبطاط الحلوة والفول السوداني والموز وأنواع أخرى مختلفة عديدة . ويربون البقر للاستفادة من حليبها كمستودع عذائي له قيمته لديهم بالإضافة إلى البقر يشكل النقد الذي يدفع كمهر للعروس وهي عادة مقدسة سابقاً . والرجل له الحق وحده بالاقتراب من البقر وهو الذي يقوم بحلبها .

وتعدد الزوجات معمول به لدى النفوني وكذلك الختان ولكن الزواج من الأقارب ممنوع وبخاصة مع بنات العم من الدرجة الأولى . وكذلك من الطبقة نفسها (من أشباه الأب أو الأم) والنظام الأبوي هو المتبع حيث يتبع الأباءوالأبناء نسب الجد ويرث الأبن الأب . والزوجة تتبع طبقة زوجها والزوجتان الأوليتان (لدى النديبله والزولو ثلاث زوجات على الأقل) يقطن كوخاً خاصاً مستقلاً عن بقية الزوجات ويمتلكن الأرض ويربين الماشية ويرث الإبن الأول والده عند موته. وتعيش الأرملة معه ولكن لايمكنها الزواج من اصغر اخوة زوجها وكل الأطفال الذين يولدون فيما بعد يعتبرون من نسل زوجها .

٢ – امبراطورية الزولو : تقع بلاد الزولو التاريخية في الشمال شرقي من مقاطعة الناتال الحالية في جنوب افريقية وهي محددة بموزمبيق وسويزلاند وشمال داركنسبرغ إلى الشرق وأنهار الباتولو والتوغيلا إلى الجنوب ويبلغ عدد شعب الزولو حالياً حوالي الستة ملايين (احصاء ٨٢) وهم حالياً مزارعون ينتجون الحبوب والقطن ويربون القطعان الكبيرة من البقر في مناطق السافانا وغالبا ماكانوا يزيدون عدد قطعانهم عن طريق الغارات على قطعان جيرانهم ولديهم حالياً نزعة انفصالية عن

جنوب افريقيه والزولو كما رأينا قسم من مجموعة شعب النفوني ويعتبر أصغرها قبل انضمام جيرانهم في الناتال من النفوني إليهم تحت زعامة شاكا في القرن التاسع عشر الذي أسس امبراطورية الزولو . فكل فخذ أو عشيرة أخذ يؤسس لنفسه قاعدة اجتماعية منظمة تتألف من عدد من الأسر المنزلية الأبوبة . ولكل مجموعة أو اسرة الحق بحقلها وأرضها وقطيعها تحت السلطة المباشرة للسيد (الرجل) والسلطة الأبوية لدى الزولو قوية لذلك يقال عن الزولو بأنهم طيعون وانضباطيون ولديهم تعدد الزوجات . وزوجات الرجل يتسلسلن في القيمة بزعامة الزوجة الكبرى وعادة تكون أم الرجل الأكبر والأخ مجبر بزوجات أخيه بشكل طبيعي فزوجة المتوفي تصبح زوجة الأخ مباشرة . بالإضافة إلى مايعرف بزواج الشبح اي البديل «حيث تتزوج رجل باسم المتوفي والأولاد يعودون للمتوفي »

ويعود نسب القبيلة إلى نسب زعيم القبيلة ويكون هذا قائداً في الحرب ، وقاضياً في السلم ويطلق عليه اندوتا ويكون عادة من أحد أقرباء الزعيم الأعلى لمجموعة القبائل حيث يكلف من قبله بأعمال القبيلة وعندما تشكلت أمة الزولو تزوج كثير من الزعماء بنساء العائلة الملكية.

وبالرغم من أن الحكم لدى الزولو غالباً مايكون أوتوقراطياً وحتى استبدادياً كما هو الحال عند حكم شاكا يحيط الملك أو الزعيم نفسه بمستشارين وزعماء أدنى منه رتبه ومهمتهم نصح الملك في النواحي الادارية ، والقضائية ويمكن لزعماء البلاط أن يتهموا الملك بالتقصير أو باي شيء ، وعلى الملك أن يتبع القوانين المفروضة إلا أن هذا العمل هو نظري في الواقع لإن مثل هذا التساهل من قبل ملوك الزولو لم يحدث مطلقاً . وعادةً يشجع الفتيان والشباب على الانخراط في الخدمة العسكرية (الجيش) العالية التنظيم . وذلك عن طريق المجموعات التي مر ذكرها المسماة مجموعات الأعمار المتقاربة (الجيل الواحد) وكل عمر من

الأعمار يشكل وحدة معينة ضمن جيش الزولو حيث يتمركز هؤلاء بعيداً عن بيوتهم في براكات كبيرة تحت المراقبة المباشرة للملك ويوزعون على شكل كتائب وأفواج / ايمبي/ UMPI والمتطوع من هؤلاء لايمكنه الزواج إلا بإذن الملك وعادةً لايعطي الملك الأذن لواحد بل لمجموعة ولفترة محدودة . ويقدم المهر كهدية من الأبقار المعتبرة كغنائم حرب من التي تم الاستيلاء عليها من الجيران .

والزولو كما راينا سابقاً يدينون بالديانات المحلية وأهمها عبادة الأسلاف ويعتقدون أيضاً بوجود خالق هو الاله وهو يراقب كل شيء عدا أنه ساحر أو هو المسؤول عن السحر في مملكته وهو جالب المطر ويقوم الملك عادةً بالطقوس الدينية باسم كافة الأمة في المناسبات العامة (عند المباشرة بالزراعات الموسمية - الحرب - المطر - الفيضانات - المجاعة) مركزاً على أهم الأسلاف وهم الذين من السلالة الملكية . وحالياً يدين قسم كبير من الزولو بالمسيحية ولكن على طريقتهم وتقاليدهم الخاصة ولكل كنيسة تقاليدها وستقلاليتها تحت زعامة الأنبياء (الأدعياء) وكان لهؤلاء تأثير كبير على مجرى الحياة العامة . وقد خفت كل هذه الأمور حالياً في بلاد الزولو وضعفت أهمية الزولو ، وتزعزع نظامهم العسكري بسبب انشغال الشباب بالتفتيش عن العمل في مختلف أنحاء جنوب افريقيا الجنوبية وبعد الغاء التفرقة العنصرية واستلام السود مقاليد الحكم في افريقيه الجنوبية ، أخذت تظهر على الزولو نزعات انفصالية منذ بداية التسعينات .

ظهرت امبراطورية الزولو في القرن التاسع عشر بين الناتال والترنسغال ، وكانت جزءاً من الاتحاد الكونفدرالي القديم المسمى ميتوا (أو ميثيثوا) المشكل من عدة مجموعات من الشعوب كلها من النفوني. ثم أخذ اسم الزولو بالظهور وهو اسم الفخذ الذي ظهر فيه شاكا أشهر ملوك الزولو ١٨١٦ - ٢٨ أي الأسد الأكبر وقد استطاع هذا توحيد

مجموعات النفوني بالقوة واشتهر بقساوة القلب وتحجره وهو من مواليـد عـام ۱۷۸۷ ووالـده زعيـم قبيلـتي الزولـو والنـاتدي وهـو الوحيـد بـين الأمراء الذين يعودون لأبوين من نفس الفخذ وهو بحد ذاتـه يعتـبر خرقـاً لتقاليد وعادات الزولو التي توصم مثل هذا العمل بالعـار لذلـك انفصـل أباه عن أمه وعمره ستة أعوام وكان الشعب يحتقر والدتـه ويعتـبر شـاكا ثمرة اتصال وحشي مرفوض وقد أمضى شاكا حيـاة قاسية بسـبب خطـأ أبويه ومع ذلـك وعندمـا أصبـح عمـره ٢٣ عامـاص أسـتدعي مـن قبـل الزعيم الأعلى لاتحاد ميتوا المذكور ليكون رئيساً لمجموعة عسكرية ولمـدة ستة أعوام من الخدمة العسكرية النشيطة استلفت الأنظار لـه وبعـد وفـاة والده عين من قبل رئيس الاتحـاد كخلـف لوالـده في قيـادة فـرع الزولـو الذي لم يكـن عددهـم حسـب بعـض المصـادر أكـثر مـن خمسـمائة رجـل ويحتلون منطقة صغيرة تقع على نهر أمولوزي وكانوا يعتبرون أصغر فخذ مـن بـين ۸۰۰ فخـذ مـن النفونـي ولكـن مـع وصـول شـاكا لم يعـودوا الشعب الصغير الكسلان فقد بدأو مسيرتهم التوسعية بشكل سريع وقـد حكم شاكا شعبه بيد من حديد منذ البداية عن طريـق الخـلاص مـن كـل معارضيه عـن طريـق القتـل كمـا اسـتطاع اعـادة تنظيـم الجيـش واعـادة تسليحه وكان مسلحا في بادئ الأمر بالتروس مـن جلـد البقـر مـع رمـح طويـل خفيـف وكـانت المعارك الـتي تحـدث يغلـب عليهـا طـابع المسـالمة والدعوى للاتفاق وانهاء الخلاف دون تقديم الضحايا . ولكن شـاكا غـير هذا الاسلوب الضعيـف – علـى حـد قولـه -- فأعـاد التسـليح والتنظيـم وأصبح رجاله مسـلحين بـالرمح ذي النصـل الطويـل ومقبـض عريـض . كان القتال يجري عن طريق المربعات وقد قسم الايمبي (فـوج) إلى أربعـة أقسام أقواها هو / سيست / وهو عبارة عن المغاوير الذين يهجمون على العدو بشدة ويشـتبكون معـه لرميـه عـل الأرض وهنـاك قسـمان يطلـق عليهما القرنان ومهمتهما الاحاطة بالعدو وضربه من الخلـف أمّـا القسـم

الرابع فهو الاحتياط الذي كان يعرف باسم (الأسود) وكان هؤلاء ينتظرون تطورات المعركة في مكان قريب وهم مستعدون للدخول فيها عند الحاجة ويشرف على المعركة ويقودها / الاندوناس/ أو الضباط الذين يستخدمون الاشارات اليدوية لقيادة الكتائب ويمكن أن تسير الكتيبة (الأيمبي) بشكل متماسك ومتواصل ٦٠ كم في اليوم وهم يعيشون على التموين من الحبوب والبقر المقدم لهم مجاناً من القرى (الكارال) التي يمرون فيها ويصحبون معهم كثيراً من الفتيان لحمل الطعام وأدوات النوم للمحاربين.

استطاع شاكا تحطيم أفخاذ واقسام القبائل وتدمير البنى الاجتماعية وصهرها كلها في بوتقة الزولو وكل من كان يعترض طريقه يقتل أو يوضع على الخوازيق ويترك حتى يموت لوحده وخلال سنتين لم يعد أمامه أحد كما انضم إليه كثير من رؤساء الأفخاذ طمعاً بالغنائم والأسلاب التي كانت توزع بعد الغارات المتتابعة . ومنذ عام ١٨٢٣ وحتى الوقت الحاضر اصبحت الناتال بلاد الخرائب والقرى المحروقة وحيث هرب الناجون من هذه المجازر بعيداً في كل اتجاه ، ورغم ان مجاله كان محصوراً في المنطقة الساحلية إلا أن بلاداً كثيرة بخاصة الهضاب الداخلية الواسعة اقفرت من السكان الذين هربوا خوفاً من وصول (المفيكان) إليهم كما هرب من أمامه قبائل كثيرة كانت قد شاركت في غزوانه واسلابه. والتي بدأت هي الأخرى بالتفتيش لنفسها عن مكان آمن تلجأ إليه واتبعت نفس اسلوب شاكا في بالبطش باعدائها أو كل من يقف في طريقها . وأصبحت كل قبيلة تهاجم الأخرى خوفاً من أن تهاجم . وبذلك تخلخلت كل البنية الاجتماعية في منطقة واسعة وتركت هذه الحروب خلفها حوالي مليوني قتيل كما تركتها مفتوحة أمام الاستعمار الأوربي لذلك فالمفيكان والتي معناها الخراب أو التخريب وهو تعريف واسع فضفاض ويعني التدمير الاجتماعي وزرع الفوضى في

كل مكان حسده شاكا ولكن عملت به كل القبائل فإما أن يغار عليها أو تغير على جيرانها وبالتالي أدى إلى ظهور هجرة عكسية من النغوني إلى الشمال إلى الأماكن التي قدموا منها بقرب البحيرات وزيمبابوي. وقد مرت هجرة البوير الكبرى المعروفة باسم هجرة العربات BOER GREET TREK في نفس منطقته مستغلة الفرصة . وكان نجاحها كبيراً لأنها لم تجد في المنطقة من يقف في طريقها.

إن أول اوربي وصل إلى ميناء الناتال _حالياً ميناء دربن) وصل عام ١٨٢٤ . وبعد فترة وصل حوالي اثنا عشر مستوطناً لصالح شركة الهند الهوندية حيث اقاموا مركزاً في مكان مشرف على الحوض البحري وحالاً اتصلوا بشاكا الذي كان في عاصمته بولوابو البعيدة مائة ميل إلى الشمال. وقد افتتن شاكا بطريقة حياتهم وصناعتهم ولكنه كان يعتبر بأن حضارته هي أكثر علواً . وقد سمح لهم بالبقاء وبذلك كان اثنان منهم من اقدم المستوطنين واصبحا خبراء في لغة الزولو واغلب المعلومات القديمة عن الزولو وردت في كتابات هؤلاء وهم هنري فرنسيس فين ,ناثانيال اسحاق.

مع وفاة والدته اصبح شاكا مشوش الفكر بشكل ظاهر وخلال محاولاته للوصول إلى السلطة قتل حوالي سبعة آلاف من الزولو وفي خلال عام من الزمن لم يعد هناك من يزرع أو يحلب البقر وهما قاعدتا الاقتصاد في المنطقة وقد قتلت اكثر النساء الحوامل مع ازواجهن وابيدت قطعان كبيرة من البقر

وفي عام ١٨٢٧ ارسل شاكا كتائبه إلى الجنوب للاغارة على تلك المناطق . والتي وصلت هذه بغاراتها إلى حدود مستعمرة الكاب وعندما عادوا لم يتركهم يرتاحون بل وجههم للشمال , وقد صعب على معاونيه تنفيذ اوامره ومنهم اثنان من اخوة زوجته دينفان وماليناغا وهنا اتفق الاثنان مع احد /الأندونا/ الضباط واسمه مبويا واستطاعوا قتل شاكا في

٢٢ ايلول ١٩٢٨ وبذلك انتهت اسطورة شاكا بعد هذا الاغتيال المأساوي . ولكن اسطورة الزولو لم تنته.

لم يكن لشاكا كالعادة عدداً من الزوجات (حريم) فلديه امرأة واحدة وكان يقتل كل امرأة يجدها حامل وعن طريق الاعدامات اليومية أدخل الرعب في قلوب رجاله ولم يعد أحد يستطيع مخالفته بالرأي «من يقاومه فهو الخاسر كالفأر إذا قاوم الفيل» ومع ذلك كان شاكا ذكياً على المستوى التكتيكي ولديه عبقرية عسكرية ولكنه كان يفتقر للسياسة الحكيمة واهم اعماله خلق الجيش الذي ظل خلفاؤه يستخدمونه أكثر من خمسين عاماً في نضالهم ضد الهولنديين والأنكليز .

خلف شاكا شقيق زوجته دينفان وفي زمنه اخترق البوير امبراطورية الزولو . ولكن هذا استطاع هزيمة البوير بقيادة روتيف في شباط ١٨٣٨ ولكنه هزم في العام نفسه - كانون اول - امام قائد البوير برتيوربوس . فاضطر دينفان للهرب إلى سوازيلاند حيث قتل هناك وخلفه شقيقه مباند عام (١٨٤٠ - ٧٢) وتحت حكمه اقتطع البوير اجزاء من امبراطورية الزولو . وكانوا منذ عام ١٨٣٨ يتقدمون داخل الناتال ثم لحق بهم الأنكليز عام ١٨٤٣. ومنذ ذلك الوقت بدأت الحرب بين الطرفين الأنكليز والبوير من جهة والزولو من جهة اخرى . وقد رفض خليفته سيتشويو ١٨٧٢ - ٧٩ القاء سلاحه وتسريح جيشه ووضع نفسه تحت سيطرة الأنكليز الذين كانوا يواصلون التقدم في الناتال فتصدى لهم سيتشوابو وجرت معركة ايزاندهلونا في ٢٢ كانون ثاني ١٨٧٩ هزم فيها الأنكليز وكان عددهم حوالي ١٧٠٠ من القوات الأمبراطورية أمام هجوم (٢٠) ألف من الزولو الذين احاطوا بالانكليز دون أن يلاحظهم أحد ورغم خسارة الزولو لأكثر من ثلاثة آلاف قتيل إلى أربعة بفعل الأسلحة النارية إلا أنهم واصلوا التقدم فقد ظلت قواتهم الرئيسية سالمة واتجهوا نحو القاعدة البريطانية بالقرب من

(روركز دريفت) حيث انذروا من قبل الناجين من المعركة الأولى وهنا تمركز المدافعون بشكل جيد وتحصنوا وكان عددهم ١٢٠ رجلاً إلا انهم استطاعوا التصدي للزولو بأقل ما يمكن من الخسائر حتى وصول النجدات. وكان الزولو يحاولون تدمير المستعمرة البريطانية في الناتال. وقد حدثت سلسلة من المعارك كان آخرها المعركة التي وقعت في كمبولا في أذار (نفس العام) حيث فقد الزولو اكثر من ألفي قتيل وكان لهذه المعركة نتيجتها الحاسمة ففي تموز استطاع الأنكليز دخول عاصمة الزولو (اولوندي) ودمروا ما تبقى من جيش الزولو الشجاع . (وانتهت اسطورة الزولو). والفضل للأسلحة النارية .

ظهور افريقيا الجنوبية البيضاء :

وما حل عام ١٨٥٠ حتى كانت جنوب افريقيا منقسمة إلى معسكرين الأول المستعمرات البريطانية بزعامة سيسيل رودوس الكاب والناتال ، ثم جمهوريات البوير المستقلة الترنسغال واورانج الحرة . ولكن بعد حرب البوير عام ١٨٩٩ والتي استمرت حتى عام ١٩٠٢ تحولت جمهوريات البوير إلى مستعمرتين بريطانيتين ثم تحولت المقاطعات الأربع إلى اتحاد عرف باسم اتحاد جنوب افريقيا عام ١٩١٠ ولا يزال.

الباب الرابع

المجموعة المغولية الماليزية

الفصل الثامن

جزيرة مدغشقر

١ - لمحة جغرافية

٢ - الشعوب واللغات - الأصول - الهجرات الطريق المتبع - الصفات الفيزيائية اللغات.

٣ - المجموعات الملفاشيه ونماذج الشعوب.

٤ - التاريخ السياسي والممالك ١٥٠٠م حتى الوقت الحاضر

أولاً : عهد الاسلاف .

ثانياً : مملكة الميرينا (الأيميرنيا) .

٥ - التنظيم الأجتماعي :

١ - المجتمع : الزراعة - تربية الحيوان - الألبسة - الصناعات .

٢ - الحياة الاجتماعية - العائلة - النسب والقرابة

والوراثة – والفخذ الطبقات + العادات والتقاليد.

٦ – التنظيم الاقتصادي .

٧ – الديانات والاعتقادات.

٨ – المظاهر الثقافية .

٩ – الحكمه الملفاشية .

١٠ – نظام الحكم .

١١ – القانون .

١٢ – النظام الحربي .

الفصل الثامن

المجموعة المغولية (شعب الملفاش) في جزيرة مدغشقر

- لمحة جغرافية : تعتبر جزيرة مدغشقر خامس جزر العالم مساحة (٥٨٧,٤١) كم^2 وتقع في اقصى الجنوب الشرقي لقارة افريقيا في المحيط الهندي وكان يطلق عليها نهاية العالم . بسبب انعزالها ولاتوجد حتى الآن إشارات تدل على أنها كانت معروفة قبل وصول الأندونيسين إليها قبل الف عام من الميلاد وهناك تناقضات كثيرة حولها وقد اعتقد بعض المؤرخين العرب بانها جزيرة الواق واق التي جاء ذكرها في قصة الف ليلة وليلة حيث الاثمار فيها على هيئة رأس الانسان فإذا سقطت الثمرة عن الشجرة ظلت تصرخ واق واق ويقول جورج فاضلو حوراني في كتابه البحرية العربية في المحيط الهندي بأن العرب كانوا يطلقون عليها قنبله /أو قنبلو/ وهي منتهى طوافهم ومعلومات البيربيلوس وبطليموس غامضة عنها ولاتؤكد معرفتهم بالجزيرة ومما لاشك فيه أن البحارة العرب الذين كانوا اسياد المحيط الهندي الغربي كانوا يعرفون الجزيرة ولم يذكروا عنها شيئاً وربما كان الذين عرفوها كانوا من التجار عادة هؤلاء إخفاء اتجاهاتهم . وأما الذي اطلق عليها مدغشقر فهو ماركو بولو وكان يقصد في الواقع مكاناً آخر وربما الجزيرة العربية فهو لم يقترب من الجزيرة ولا يعرف أين تقع وقد انتقل الاسم إليها وأول من وصلها من الغرب البرتغاليون (١٥٠٠م) واطلقوا عليها جزيرة القديس لورين أمّا الفرنسيون الذين اتوا بعدهم فأطلقوا عليها جزيرة الدوفين تيمناً بولي عهد فرانسا الدوفين الذي كان في ذلك الوقت لويس الرابع عشر قبل استلامه الحكم.

ويفصل الجزيرة عن القارة مضيق موزامبيق الذي يبلغ عرضه بين ٢٠٠كم إلى ٩٦٠كم ويقع ارخبيل جزر القمر في مدخله الشمالي ويبلغ

طول الجزيرة ١٥٠٠ كم بعرض ٦٠٠ كم ويلفها المحيط الهندي من جميع الجهات.

وتتألف الجزيرة من هضبة داخلية عاليه /كريستاليه/ ١٢٠٠ - ١٥٠٠م ومناخها متوسطي (البحر المتوسط) مع حرارة معتدله وتصل في بعض الأحيان للصفر وسطياً ١٨ درجة وتهطل فيها الأمطار (١٢٠٠مم) ، أمّا الساحل الشرقي فمعرض عادة لرياح الأليزه مع فصل حار وأعاصير حلزونية ضربت الجزيرة (٩٤مرة) خلال ٤٠ عاماً. ثم التلال الرملية والمستنقعات وهي معرضة للأمطار الكثيفة (٣٠٠٠مم) وترتفع درجة الحرارة بين ١٧,٢ - ٣,٤ درجة وفي الشمال والشمال الغربي الأراضي الرسوبية مع طقس جاف وتطول هناك الفصول الجافة كلما اتجهنا جنوباً . وتهطل الأمطار من كانون أول - نيسان ويتفق هطولها مع الرياح الموسمية (الموسون) ويطلقون عليها (ماهاجانا وتهطل الامطار (٢٠٠٠مم).

وفي الجنوب توجد هضبة كلكيريه مع طبقة ارضيه صلصالة قاسية جداً والامطار ٣٥٠ مم.

والجزيرة على العموم خفيفة الشجر والغابات إلا في بعض المناطق الشرقية وبعض المرتفعات حيث تنمو نباتات السافانا واشجار البامبو والنبات ذو الخشب القاسي بالاضافة إلى المستنقعات . وتكاد الهضبة أن تكون معراة من الأشجار مع التلال الحمراء الجانبية أمّا المراعي فلا تغطى بالخضرة إلا بعد المطر وتحتل المستنقعات العالية قاع الهضبة أمّا نباتات السافانا المتفرقة فتغطي الساحل الغربي مع اشجار النخيل الزيتي المبعثرة هنا وهناك وتشبه كثيراً مناطق السودان والهضاب الجنوبية في افريقيا الجنوبية.

وتعيش في هذا العالم النباتي حيوانات مختلفة انقرض بعضها مثل السلاحف العملاقة وافراس النهر الضخمة وكثير من الطيور العملاقة

والتي لايزال بعضها يعيش في الجزيرة حيث تشاهد بيوضها الكبيرة مغطاة بالاعشاب . ويبدو أن سوء استخدام الانسان للأرض ادى إلى بوار قسم كبير منها نتيجة لعمليات الحرق لاستصلاح الأرض وادى أيضاً إلى انقراض كثير من الحيوانات وقد حدث ذلك دون شك خلال فترات الوصول الأولى للمهاجرين الأوائل للجزيرة منذ قرون طويلة . وقد استخدمت اخشاب الغابات ولاتزال لبناء البيوت والتدفئة كما استخدمت قشور بعض انواع الأشجار لصناعة الثياب.

– الشعوب واللغات : يطلق على شعوب الجزيرة حالياً اسم شعب /الملغاش/ أي المزيج وهو في الواقع مزيج من عناصر كثيرة اندونيسية وافريقية وعربية . ويعتقد أن الجزيرة ظلت فترة ما قبل التاريخ غير مأهولة وغير معروفة فحتى الآن لاتوجد دلالات أو آثار تدل على وجود حياة انسانية في فترة ما قبل التاريخ في حين ظهرت مثل هذه الآثار في مختلف المناطق الواقعة بقرب الجزيرة إن كان في افريقيا أو اندونيسيا. وكل ما اكتشف في الجزيرة آثار لبقايا حيوانات منقرضة وتشير الدلائل إلى أن أول السكان وصلوا إليها على عدة مراحل منذ حوالي ألفي عام قبل الميلاد. ومنذ ذلك الوقت دخل تاريخ الجزيرة في عدة مراحل اهمها مرحلتان:

– الأولى : وهي التي سجلت دخول العناصر الأندونيسية (المغولية) والافريقية إلى القارة الذي ابتدأ قبل الألف الأول للميلاد حتى نهاية القرون الوسطى .

– الثانية : القرون الوسطى وبعدها حيث وصلت العناصر العربية الاسلامية والمستعربة.

هناك اختلاف حول تتابع الهجرات القديمة ومراميها والأقوام التي قدمت قبل الأخرى إلى ما هنالك من فرضيات لاتستند في الواقع على اسس قويه ويمكن العودة إلى الفرضية التي جاء بها المؤرخ الفرنسي

فيراندا حول تتابع الهجرات التي لاشك أنها لم تكن على شكل هجرة واسعة بل كانت على موجات وهي حسب الترتيب التالي :

١ - مرحلة بربيانو من أصل غير معروف .

٢ - مرحلة البانتو أي المهاجرين الأفارقة السود.

٣ - المرحلة الأندونيسية ويمكن القول بأنها الأولى حيث وصل المارينا الأندونيسيون وهم من اصول هندية - اندونيسية قدموا عن طريق سومطرة في القرن الثاني للميلاد أو القرن الرابع حيث انتشروا في الجزيرة وفرضوا سلطتهم عليها .

٤ - عرب القرن السابع والتاسع.

٥ - عناصر قادمة من سومطرة في القرن العاشر.

٦ - عناصر فارسية .

٧ - اخر الهجرات العربية.

هناك اختلاف آخر حول الطريق الذي اتبعته العناصر الأولى الأندونيسية ، ومكان الانطلاق ، هل هو من اندونيسيا أم من الهند الصينية باعتبارها المهد الأول للشعوب الأندونيسية بالرغم من اعترافنا بأنها عناصر اندونيسية مؤكدة. وحول هذا الموضوع هناك فرضيات كثيرة طرحها العلماء ولكل منها ايجابيات وسلبيات ولكل متاعبها ومخاطرها وصعوبة تخيلها. ومع ذلك فالاعتقاد السائد ابعاد الطريق المباشر عن اندونيسيا حتى مدغشقر. لصعوبته وطوله وعدم توفر الامكانيات في ذلك الوقت لمثل هذه الرحلات الطويلة ، ورغم وجود التيار الاستوائي الجنوبي الكبير الذي ينطلق من جاوا ويعبر المحيط ويصدم بسواحل مدغشقر الشرقية حاملاً معه الحجارة التي يقذفها بركان /كركاتو/ الواقع بين سومطرا وجاوا بالأضافة إلى رياح الأليزة التي تهب بشكل دائم تقريباً من الجنوب الشرقي وهي ملائمة ومساعدة لملاحة المراكب الشراعية المتطورة. وهناك اتفاق على أن المهاجرين الأوائل قد

استخدموا طريقاً أسهل ولكنه أطول وأكثر ملاءمة من غيره ولايحتاج لاجتياز مسافات مائية شاسعة بل يوفر امكانية الالتجاء إلى سواحل الجزر المختلفة التي يمر منها مثل جزر نيوكابار - سيلان جنوب الهند سوقطرى ثم الساحل الأفريقي الشرقي ومنه إلى مدغشقر عبر جزر القمر وهذه المناطق البحرية كانت معروفة لدى العرب والهنود على حد السواء كما كانت الرياح الموسمية معروفة منذ اقدم العصور ، ويمكن للزوارق الأندونيسية البسيطة ذات الموازن والشراع المربع الابحار على متنها بسهولة ولاتزال مثل هذه الزوارق اداة الملاحة الماليزية - البولنزية ويمكن أن نطلق هلى هؤلاء المهاجرين الأوائل ، وهم يتشكلون من عناصر اندونيسية وافريقية.

وقد لحق بهم مهاجرون جدد يتشكلون من عناصر عربية ومستعربة مسلمة . وتاريخ وصولهما يتوافق مع العصور الوسطى في القارة الأوربية . وكانت البحريات العربية والأندونيسية والهندية في أوج قوتها مهيمنة على المحيط الهندي الواسع.وظلت هذه الهيمنة حتى وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي والاستقرار النهائي للطريق البحري بين البرتغال والهند عن طريق الرجاء الصالح - دون المرور بالبلاد العربية.

ومثلما حمل المهاجرون الأوائل ثقافة المجتمعات الأندونيسية وتقنيتها الزراعية التي كانت منشرة في مواطنهم الأصلية . جاء الجدد ورغم خلفيتهم التجارية كانوا مسلحين بالثقافة العربية الاسلامية التي كانت في أوجها واهم ما جاؤوا به فكرة الدولة والتعليم والدين الاسلامي واللغة العربية والطب والعرافة وعلم الفلك.

مجموعات أخرى ردفت الشعب الملفاشي وهم الناجون من الفرق. وتتحدث المصادر البرتغالية باسهاب عن مختلف الناجين من اوربيين واسيويين وافارقة وقد امتزج هؤلاء الناجون بالسكان خلال جيل أو جيلين وعلى هذا يمكن أن نميز ثلاث مجموعات من الشعوب من الناحية

الفيزيائية ضمن الشعب الملفاشي الحالي وهم :

أولاً - نموذج اسمر كاشف /اسيوي السمات/ شعر مستقيم أو مجعد ملفوف ملامح ناعمة وجمجمة متوسطة فك معتدل البروز شفاه سميكة قوية نسبياً ، قامة متوسطة أو قصيرة ويشبه هذا النموذج الهيئة الاندونيسية وهناك شبه كبير بين عناصر الهوفا والجاويين وكأنهم أخوة ، ونجد هذا الشبه مع نقاء مختلف في طبقة الاندريانا النبيلة ولدى الهوفا الطبقة الشعبية لدى شعب الميرينا الذي يضم الطبقتين ويشكلون ٤٤٪ من الشعب ويمكن أن نصادفهم ولكن بنسبة أقل لدى السيهاناكا والتسليميهيتي والتانا والتبسيلو والانتانوسي ٤٪ ويطلق على هذا اللون اسم صدر الغزال.

ثانياً – نموذج افريقي شعر اجعد فك قوي شفاه سميكة جمجمة مستطيلة ويقترب هؤلاء من مختلف النواحي بالأفارقة السود أكثر من الماليزيين. ويمكن أن نميز بينهم مجموعتين : الأولى قامة قصيرة الأنتيساكا ومجموعة ثانية ذات قامة طويلة وهم البارا والنسبة لدى البارا من هذا النموذج تتجاوز ٥٤٪ ويشكل السود لدى المارينا ٣٠٪ ولدى التبسيلو ٥١٪.

ثالثاً : نموذج مختلط في مجموعة ويبدو أنه أكثر الاجناس توافراً . جلد اسمر غامق شعر مفتل ، بين متوسط الرأس ومستطيل على العموم شفاه سميكة أنف قصير . وفتحات الأنف صغيرة وأقل عرضاً من فتحات انف السود وقد تأثر السكان المحليون في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي من الجزيرة بالعرب والهنود واصبح لديهم الشعر المتماوج وعدم بروز الفك والشفاه المتوسطة والوجه المتطاول والأنف الأقني أو المستقيم وهذا النموذج الخليط هو الغالب في المجموعات كما يشكل أقليات هامة لدى الشعوب من النماذج الأولى والثانية.

إن اختلاف الأصول هو القاعدة ليس فقط في مجموع الجزيرة

ولكن داخل كل شعب ولا توجد وحده حتى لدى العروق الأصلية نفسها فالملفاش اصبحوا بعيدين عن الأسيويين ولاهم أفارقة ولكنهم مزيج من الأثنين .

٢ - اللغة : لاتتوافق الناحية اللغوية مع الناحية الأصولية العرقية فمع اختلاف الأصول يفترض أن لاتكون هناك وحدة لغوية . فالعناصر الأفريقية ذات الأغلبية في تشكيلة الشعب الملفاشي تتجاوب مع الخواص الاسيوية في لغتها وهذه تعود إلى القسم الأندونيسي من بين اللغات المالية - الماليزية ويمتد هذا القسم اللغوي حتى جزر الصوند والفيليبين إلى ماليزيا .... الخ.

وتتشابه لغات الشريحة الأندونيسية فيما بينها بشكل كبير كاللغات الاتينية حيث تتشابه في المفردات والنغمة والقرابة فيما بينها واضحة . وهي التي اثارت استغراب الأوربيين منذ القرن السابع عشر وهناك (٢٥٠) لهجة اندونيسية ذات اصول ماليزية أو جاوية عدا بعض اللغات القادمة من سومطرا والفيليبين وبورنيو وننتشر المفردات السواحيلية العربية بكثرة ضمن هذه اللغات بخاصة لدى السكالافا الذين يعتبرون انفسهم من اصول عربية وكذلك بتماسهم مع التجار العرب والسواحيلية القادمين من الساحل الأفريقي وجزر القمر أمّا في الجنوب فلدى البتسيلو كثيرمن الكلمات الخاصة.

وقد كتبت لغة المارينا في بادئ الأمر بالأحرف العربية ثم اصبحت تكتب بالاحرف اللاتينية وكانت اللغة العربية تستخدم لدى الملوك للمراسلات الخارجية لذلك كان هناك عدد من العرب في بطانة الملوك.

ولاتقتصر التأثيرات الخارجية فقط على ما ذكرنا فهناك تأثيرات في مختلف النواحي الثقافية والتقنية والدين والمجتمع.

- المجموعات الملفاشية ونماذج الشعوب : منذ حوالي أكثر من ألفي عام بدأت الجزيرة القفراء تتلقى السكان من مختلف الجهات

وحسب آخر إحصاء أصبح عددهم ٥٠٠ر١٣ نسمة) يقسمون إلى (٢٠) مجموعة عرقية وأهمها وأكبرها عدداً هم المارينا / أو الايميرينا/ (شعب المرتفعات) ويبلغ عددهم (٤) مليون نسمة وهم اقوى وأرفع القبائل ويعيشون على الهضبة الوسطى وهم الذين اشادوا امبرطورية المارينا التي ضمت اغلب اجزاء الجزيرة ويقسمون إلى طبقتين الأولى الأندريانا أو الرجال الاحرار والملوك منهم وهم الطبقة الحاكمة ثم الهوفا وهم من بقايا العبيد ويشكلون الطبقة الشعبية ويعود الطرفان للأصول الماليزيه. وفي الشرق يوجد شعب (بتسيميساراكا) الشعب الذي لايتجزأ (أي المتماسك) وعدده ٢,١٤,٠٠٠ نسمة وهو من اصول مختلطة أغلبهم من الخلاسين الذين أتوا من تزواج القراصنة بالسكان المحليين ويعرفون باسم - الزنا - المالاتا أي أولاد الزنا المختلطون (ملوتا) وقد استطاع أحد أبناء القراصنة الأنكليز وأمه أميرة محلية اسمها /راهينا/ من السيطرة على الشعوب التي حوله وأصبح ملكاً واطلق على هذا الشعب المختلط اسم بتسيميساراكا Betsimisaraka وسيطر على كل الساحل ولكن مملكته انهارت بعد وفاته بقي الشعب الذي خلفه هذا الشعب هو الذي كان يقوم بالغزوات البحرية على الشعوب البحرية المجاورة في الجزر بخاصة جزر القمر التي لاقت منهم الامرين خلال سنين طوبلة وقد تجمع في بعض الحملات حوالي ٥٠٠ مركب تحمل ثمانية عشر ألف محارب ولم يقتصر المحاربون على بتسيميساراكا فقط بل كان يقاتل معهم من السكالافا وقد وصلت غزواتهم الشاطئ الأفرقي ولم ينقذ الجزر الصغيرة منهم إلا قضاء راداما الأول ملك الميرينا عليهم واحتل الساحل الشرقي ١٨٢٣ م ووضع حداً لظاهرة (الزنا المالاتا) .

أمّا المجموعة الثالثة الكبرى فهي البيتسيلو (الشعب الذي لايقهر٥ر١ مليون أي وهو يعيش على الهضبة الوسطى واما بقية المجموعات فهي تسيميهيتي أي الشعب الذي لايحلق رأسه (٦٠٠ ألف)

السكلافا شعب الوادي الطويل ٥٠٠ ألف الأنتادرودي شعب الاحراش الشوكيه (٥٠٠ الف) النتالا شعب الغابات ٣٠٠ الف الأنتيمور وشعب الجروف الشعب المثقف والأصول العربية ومنه يظهر العرافون والفلكيون (٣٥٠ الف) البارا لايعرف اصل الاسم ٢٥٠ الف وهناك مجموعات متشابهة وهم الأنتانوسي شعب الجزيرة (١٦٥ الف) الأنينعاسي شعب الرمال ٨٨الف السيهاناكا شعب البحرة وزراع الأرز ١٤٣ الف الأنتاكارنا شعب الصخور (٦٥ الف البيزانوزانو ذوي الشعر المجدل ٥٣,٣٢٧ .... الخ.

– التاريخ السياسي والممالك – ١٥٠٠ م – حتى الوقت الحاضر

لاشك أن عام ١٥٠٠ م يسجل بداية تاريخ الجزيرة السياسي حتى الوقت الحاضر ويمكن تقسيم هذه المرحلة الطويلة إلى عصرين أو عهدين رئيسين هما :

الأول : عصر الأسلاف ويمتد بين ١٥٠٠م – ١٨١٠م . وفي هذا العهد ظهرت بداية تشكيل الشعب الملفاشي وظهور ممالك الأسلاف التي عمت مختلفة أنحاء الجزيرة . وفي الوقت ذاته سجل هذا العهد أو الزمن وصول العناصر الأوربية من برتغالية وهولندية وبريطانية وفرنسية وما جرته على البلاد بتدخلها وأدى بالتالي إلى وقوع الجزيرة تحت السيطرة الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر.

ثانياً : العصر الحديث ويبدأ مع عام ١٨١٠ م حتى الوقت الحاضر وقد مرت البلاد خلالها بثلاث فترات هي :

– الفترة الأولى ١٨١٠ – ١٨٩٥م حيث استطاع ملوك المارينا تأسيس مملكة مدغشقر وتوحيد البلاد وتحت حكمهم.

– الفترة الثانية : ١٨٩٥ – ١٩٥٨م فيها وقعت البلاد تحت الاستعمار الفرنسي أي مرحلة الاستعمار.

– الفترة الثالثة : عهد الاستقلال الذي اعلن بتاريخ ١٩٥٨ وفيها

اعلنت الجمهورية الحالية .

أولاً - عصر الأسلاف ١٥٠٠ - ١٨١٠ م : وشهدت هذه الفترة ظهور عقلية جديدة عملت على تنظيم القبائل ونقلها من مرحلة القبيلة إلى مرحلة الدولة المنظمة - نوعاً ما - بتوارث حكامها الحكم. وقد وصلت هذه العقلية خلال القرون الوسطى مع العناصر الاسلامية - العربية والمستعربة التي تعرفت في مناطقها الاصلية على فكرة الدولة التي تحكم من قبل مجموعة منتخبة تنتمي أمّا إلى مجموع الشعب أو إلى قبيلة أو قسم قوي من الشعب يفرض نفسه على ألآخرين كما حملت معها فكرة الاحترام الديني للملوك الذي يؤمن لهم السيطرة على شعوبهم. وقد ساعد ذلك وصول الاسلحة الحديثة أي البنادق الحربية التي استغلها الملوك والحكام لفرض سيطرتهم بحصرها عليهم فقط وعلى جيوشهم وكانوا يحصلون عليها بمبادلتها بالعبيد والأسرى في الوقت الذي كانت كل الأمم الأوربية المستعمرة تفتش عن اليد العاملة للعمل في المستعمرات ومع مرور الزمن اخذت هذه الأنظمة تترسخ وتتسع شيئاً فشيئاً حتى شملت الجزيرة تقريباً ولكن ليس كلها فقد رفضت بعض القبائل القوية ذات الزعامات النافذة قبول فكرة الدولة والتجمع مع غيرها ولم تكن الممالك التي ظهرت هي الأخرى موحدة بل كانت مجزأة مع بنية هشة. وضمن الدول نفسها كانت العشائر والقبائل تخضع اسمياً للسيطرة الملكية وهو شيء لم يحدث إلا خلال المرحلة الثانية في مملكة المارينا بوجود ملك قوي وعبقري لذلك يمكن القول أن الممالك التي ظهرت بين ١٥٠٠ - ١٨١٠ ظلت خاضعة لأنظمتها العشائرية الهشة ولم تظهر في الواقع دولة حقيقية إلا في بعض الممالك ذات المساحات القليلة ومع ذلك ودون شك أنها كانت مرحلة هامة على الأقل في المسير نحو الوحدة الشاملة .

خلال هذه الفترة ابتدأت الأمم الأوربية تطرق باب الجزيرة

الواقعة على طريق الهند وأخذت الجزيرة ترى مراكب الهولنديين والأنكليز والفرنسين للحصول على الغذاء في بادئ الأمر وهم في طريقهم إلى الهند ورغم محاولات الفرنسيين والأنكليز الأولى إلا أنهم وجدوا صعوبة في التمركز فيها بخاصة الفرنسيون الذين فشلوا في كل حملاتهم واضطروا للانسحاب عام ١٦٧٣ وتوجهت الانظار نحو استعمار جزيرة الرينيون . وحتى عام ١٧٢٠ لم يقترب من الجزيرة سوى القراصنة الفرنسيين والأنكليز والأمريكان وسميت هذه الفترة بعهد القرصنة ، وفي عهد نابليون طرد الفرنسيون من الجزيرة ولم يعد لديهم من الممتلكات سوى جزيرة سانتا ماريا التي فتحت عام ١٧٢٠ .

وبالرغم من خروج الفرنسيين من الجزيرة وابتعاد الانكليز إلا أن الاتصالات بقيت لحاجة الطرفين للعبيد لزيادة عدد سكان جزر الماسكارين القريبة من مدغشقر ثم البقر والأرز وكانت البنادق الحربية الثمن المقابل مما اشاع البلبة بين القبائل والدول التي ظهرت فكانت الواحدة منها تهاجم الأخرى للحصول على الرقيق.

وفي الداخل استطاعت امبراطورية الميرينا أن تنمو وتتطور وأصبحت عاصمتها ناتاناريف (مدينة الالف شخص) ، في زمن الملك أندربانجاكا . وبعد قتال طويل تم توحيد الميرينا وإعادة تشكيلها من قبل الملك اندريانا مبوتيميرنا ١٧٧٠ - ١٨١٠ الذي أخذ يبادل الأنكليز بالبنادق مقابل العبيد وغيرهم ، وعن طريق هذه الاسلحة استطاع احتلال ثلثي الجزيرة ولم يبقٍ سوى عدد من الشعوب الجنوبية ، وقسم من شعوب الغرب محتفظاً باستقلاله وقد نودي بالملك رادامـا الأول ١٨١٠ - ١٨٢٨ملكاً على جزيرة مدغشقر الموحدة وبذلك دخلت مدغشقر في عصرها الحديث عام ١٨١٠ حتى الوقت الحاضر .

ثانياً - مملكة الميرينا : يمكن القول بأن تاريخ هذه اللملكة يبدأ مع ظهور الملك رادامـا الأول . الذي استهل حكمه بالسماح للمبشرين

البروتستانت والكاثوليك بفتح المدارس وابتدأ التحول . ولكن موت رادامًا سجل زمناً للتوقف فقد اغلقت زوجته رانافولانا الأولى التي استلمت الحكم بعد موته كل المدارس واخذت تضطهد المسيحين وتطرد الأوربيين رغم محاولات الأنكليز والفرنسيين في إجبارها على الاقلاع عن ذلك وقصفوا مراراً السواحل الشرقية وهنا اغلقت الملكة البلاد ضد الأجانب. في الوقت ذاته استطاع أحد الفرنسيين /جان لابورد/ بدعم من الملكة بأقامة بعض الصناعات بخاصة صهر الحديد وصناعته . وقد حكمت رانافولاتا البلاد بالشدة والقتل وقضت على آلاف من الناس واضطهدت المسيحين ووصفها بعضهم بأنها نيرون أو كاليفولا . وهي ابنة عم الملك ورغم أنها كانت أمية لاتقرأ ولاتكتب فقد كانت ذكية ولديها بعض المعارف وقد استندت على الجيش في حكمها وكانت قوية الشخصية ورغم ما كانت تحاط به من تملق دائم بسبب القناعة بقدسيتها إلا أنها كانت حازمة ولم تسمح بشكل من الاشكال بالمساس بما روثته عن أجدادها وقد تميز حكمها بأمور ثلاث هي :

١ – استلام السلطة من قبل عدد من الأفراد والأوتوقراط .

٢ – اوقفت وقطعت كل تأثير اوربي عن البلاد.

٣ – التنظيمات التي رافقت فترة الانعزال عن العالم الخارجي.

٤ – النضال ضد المسيحية لقناعتها بأن وراءها سيكون الاستعمار الفرنسي وهذا ما حصل .

وبما أن للملكة الحق باتخاذ عشيق لها من أي طبقة كانت فقد استغلت هذه اللعبة كواسطة للحكم عن طريق التنقل من عشيق إلى آخر الذين كانوا يقضون على بعضهم بعضاً . ومن جملة من قضى عليه كثير من افراد العائلة المالكة (الأندريان) التي كانت هي منهم ووصل القتل إلى والديها وأختها وابن أخيها في الوقت ذاته قربت عناصر الهوفا وهم الطبقة الثانية لدى المارينا ومنذ ذلك الوقت بدأ (الأندريانا) يفقدون

السيطرة على الحكم وقد تشكلت طبقة من المدراء مؤلفة من القادة العسكريين من الهوفا والأندريانا ولكن السيطرة اصبحت للهوفا . وهكذا وصلت السلطة مجموعة مغلقة على نفسها وسرعان ما حصلت على الثروة.

في الوقت ذاته كانت الحملات الحربية تتوالى للحصول على العبيد والبقر فالعبيد يقومون بحراثة الأرض وزراعة الأرز وحماية القطعان من البقر والعمل في كثير من الأعمال المهنية وبناء المنازل. وقد تركزت التجارة الخارجية في المجموعة الحاكمة المتسلطة باعتبار أن السلطة الأدارية والعسكرية بيدهم وكان لديهم عدد كبير من المساعدين للقيام بالعمل وفرض السخرة على الرجال الاحرار وبذلك انهارت الاقطاعيات الكبيرة لتحل محلها الطبقية التي أخذت تستغل الشعب استغلالاً بشعاً . وقد استطاع هؤلاء إبعاد كل نفوذ أجنبي انكليزي أو فرنسي رغم محاولات الطرفين بالتدخل الحربي إلا أنهما فشلا بسبب اختلافهما مع بعضهما . كما رفضت الملكة أو بالأحرى مساعدوها فتح الموانئ الملفاشية أمام الأنكليز والفرنسيين إلا من خلال بعض الموانئ ومع ذلك استطاعت المملكة جذب عدد من الأوربيين المنتجين للتعامل معها . والواقع أن المتطلبات الضرورية للشعب كانت قليلة . فقد كان الشعب يعيش على نفسه باقتصاد مغلق ولم يكن يهتم بالاستيراد سوى الطبقة الحاكمة وأول هذه الوارادات السلاح ثم بعض المنتجات الأوربية التي تعود عليها الارستقراطيون مثل الثياب والسكر والكحول ... الخ .

وقد استطاع هؤلاء بالتعاون مع بعض من الفرنسيين والأنكليز من ادخال بعض الصناعات مثل السكر والروم وزراعة كثير من الزراعات وأهم الصناعات التي أقامها أحد الفرنسيين (جان لوبارد) من اقامة مصنع للبنادق استغل فيه مساقط المياه والخشب لاقامة صناعة حديدية ووضع تحت تصرفه حوالي عشرين ألفاً من جنود السخرة للبناء لقد أقام مدينة

صناعية حديثة مع فرن عال وآلات وبيوت للعمال . وحيث انتج المعمل البنادق والبارود . والذخيرة والقنابل اليديوية والهاونات والسيوف والخناجر والحراب ، ثم الزجاج والقيشاني والفخار والآجر المحروق والأسهم والفحم النباتي والصابون والبوتاس والصمغ والحرير ومانعات الصواعق ... الخ

كما أقيم مركز زراعي مع زراعة قصب السكر ومشروب الروم وحقل للتجارب الزراعية وكما بنى المذكور قصراً للملكة من الخشب يرتكز على عمود من الخشب ارتفاعه ٣٩ م أتى به من الغابة خمسة آلاف رجل وجر المياه بالاقنية والقناطر وأوصلها إلى رأس التل وتم استخدم البقر للنقل وصنع أول عربة وانتج البقر دون سنام ثم أتى بغنم المورينوس المعروف بصوفه الطويل .

رغم ازدياد عدد المسيحين في عام ١٨٣٠ إلى مائتين وهم من البروتستانت إلا أن الملكة ومجموعتها ظلوا أمناء لمعتقداتهم الخاصة في عبادة الاسلاف مظهرين العداء للمعتقدات الأوربية التي لاتتوافق مع عقليتهم وبخاصة وجود الاله الواحد والأخوة الانسانية لأنها تمثل تهديدا للملكه وتلغي العبودية وفي عام ١٨٣٢ رفضت السماح بالتعميد وبدأت تشن الحملات على المسيحين وقتلت المبشرين وأحرقت بعضهم أحياء .

في الوقت ذاته أخذت تشن الحملات العسكرية ضد ماتبقى من الدول المنظمة سائرة على خطا زوجها وبخاصة على السكالافا ذوي الأصول العربية وقد اضطر هؤلاء لترك الجزيرة والالتجاء إلى الجزر الصغيرة واستنجدوا بسلطان زنجبار . لذلك لم يجد السكالافا سوى فرنسا لمساعدتهم ووضعوا أنفسهم تحت حمايتها وكان البداية الحقيقية للحتلال الفرنسي .

ظلت الملكة ومساعدوها في عناد ضد المسيحيين والاجانب حتى

أنها طردت كل الذين عملوا معها بعد اكتشافها لمؤامرة اشتركوا فيها ضدها وجعلت من الأسر المسيحية عبيداً . ولم ينقذ البلاد سوى مرضها وأصبحت قلقة وأخذت تمضي أيامها بالسفر مع مجموعة كبيرة من الناس وفي ١٨ آب ١٨٦٠ عينت ولدها راكوتو خليفة لها بدعم من رئيس الوزراء الذي أصبح دكتاتور البلاد وكذلك بدعم من قائد الجيش وقد صعد راكوتو للعرش دون صعوبة وأخذ اسم راداما الثاني وبدأ عهده بفتح الموانئ للتجارة الأوربية رغم معارضة رئيس الوزراء إلا أن هذا استطاع ازاحة راداما الثاني وقتله وألغى كل الاتفاقيات التي قام بها راداما الثاني مع الفرنسيين . التي خلفت راداما زوجته رازوهيرينا في الحكم والتي استطاعت إبعاد راهارو رئيس الوزراء بالتعاون مع أخيه الذي تزوجها ووضع كل السلطة بيده حيث تزوج من الملكات الثلاث اللواتي استلمن الحكم بالتتابع . وقد اعتنق هذا البروتستانتية وتبعه كثير من كبار المرينا . وأخيراً نشر القانون (مرسوم) المنظم للبلاد ويحتوي على (٣٠٥) فقرة غير فيه التقاليد الملفاشيه القديمة وأدخل الأفكار المسيحية . والحديثة وقلب الامور راساً على عقب ولكن الأمور المالية ظلت تعيسه ولم يعد بالامكان دفع رواتب الموظفين والمحيطين حوله الذين أخذوا بالعيش على مايمكن أن يحصلوا عليه من أموال من الشعب عن طريق السخرة .

في عام ١٨٩٠ أقرت انكلترا حماية فرانسا على الجزيرة مما أدى إلى اعطاء الفرنسيين حرية العمل وبدأوا بإنزال جنودهم - رغم المصاعب - على السواحل وأخيراً وصلوا إلى العاصمة تاتاناريف (١٨٩٥) واحتلوها رغم فقدهم لآلاف الجنود بسبب الملاريا . وفرضوا على المملكة توقيع الحماية الفرنسية . وقد نشبت ثورة لاهبة في مملكة المارينا . وهنا الحقت فرنسا الجزيرة بها بموجب قانون صدر في ١٦ آب ١٨٩٦ وألغت تجارة الرقيق . وأقامت مقيماً عاماً هو الجنرال غاليني -

الذي أصبح فيما بعد قائد حامية باريس خلال الحرب العالمية الأولى - وابتدأ هذا حكمه بنفي الملكه وبذلك خضعت الجزيرة للسلطة الفرنسية بعد محاولات فرنسية شتى دامت قروناً ثم فرضت فرنسا على الجزيرة قوانينها وادارتها . ورغم فشل كثير من المحاولات لإخراج الفرنسيين من الجزيرة الذين ظلوا يحكمون الجزيرة حتى الحرب العالمية الثانية ، حيث اضطرت فرنسا لإقامة انتخابات حرة عام ١٩٥٦ ظهرت بعدها حكومة ملفاشية برئاسة /تسيرانانا/ وهي التي أعلنت قيام جمهورية الملفاش ١٩٥٨ . وفي عام ١٩٦٠ . دخلت مدغشقر الامم المتحدة ثم منظمة الوحدة الافريقية وحصلت على استقلالها الكامل .

- الحياة الاجتماعية :

- الزراعة : ترتبط أغلب شعوب الملاغاش بالزراعة وتربية الحيوان ولكن بشكل مختلف . فتربية الحيوان هي المسيطرة في الغرب (السكالافا) والزراعة في الشمال والشرق وعلى الهضاب والزراعة الرئيسية هي الرز الذي يمكن أن يزرع في المستنقعات في نهاية فصل الأمطار أو على الفيضانات المتدفقة في الشرق حيث أقيمت السدود لهذه الغاية وأمّا في حقول الرز التقليدية ذات موارد المياه الثابته . في الوسط . وقد اعتمدت الشعوب القديمة طريقة /التافي/ الحرق لاستصلاح الأراضي وأخصابها أمّا الزراعات الاخرى فهي الحبوب والدخن والذرة والدرنيات المختلفة والفواكه (حمضيات وغيرها ثم أنواع الخضار بالاضافة إلى الزراعات الصناعية : قصب السكر - القطن - التبغ .. الخ .

- تربية الحيوان : كانت قطعان الأبقار ذات الحدبة موضع رعاية وعناية ليلاً ونهاراً ولاتستخدم البقرة إلا لفلاحة الأرض وبخاصة الرز ونادراً مايشرب حليبها ولاتؤكل اللحوم عادة إلا في الاعياد والاحتفالات الدينية ولايوجد من يبيع اللحم إلى السوق سوى المارينا .

ويقاس الغنى عادة حسب امتلاك مزارع الأرز وبما يملكه من

أبقار. وسرقة الأبقار في الجنوب رياضة محببة في الجنوب وتلقى التقدير.

وقد عرفت الجزيرة الخرفان ذات الآلية على الهضبة وفي الجنوب وكذلك الماعز في الغرب والخنزير الآسيوي الأسود في الهضبة وهو ممنوع لدى القبائل الساحلية ذات الثقافة العربية الاسلامية . بالإضافة إلى أنواع الطيور والقطط والكلاب وكانت الاشجار في الغابة تفرغ لتأوي النحل البري .

- أمّا المطبخ فكان بدائياً ويطبخ بالطناجر ونادراً مايشوي اللحم في الغاب ويؤكل مسلوقاً . وكان بإمكانهم استخلاص مشروب كحولي ضعيف من قصب السكر (روم) يستخدم في المراسم الدينية .

ويتألف ثياب الرجل من فوطة (سالاكا) على الطريقة الأندنوسية وقطعة قماش على شكل برنس تلقى على الأكتاف في السواحل . وتلبس النساء الثياب من الصدر حتى الركبة . وفي المناطق المعتدلة من الهضبة يضاف إليها قطعة قماش تلقى على الكتف وكل المواد المستخدمة في هذه الألبسة هي نباتية المنشأ الياف الموز - شجر الرافيا - وألياف النخيل وجوز الهند وهناك بعض المنسوجات القطنية والحريرية التي اختص بها علية القوم والموتى .

أمّا الأحذية فكانت معدومة وفي بعض الأحيان يلبس الأغنياء صندل من الجلد ولاتوجد القبعات إلا على الساحل وهي مصنوعة من الخيزران .

ويعتني الرجل والمرأة بتصفيف الشعر ويكون الوشم في الجنوب ويتزين الطرفان بمختلف أنواع الحلي المصنوعة (معدنية زجاجية) أو أسنان التماسح ويضعون الخواتم والأساور من الخشب ومن المعادن وفي المراسم توضع العقود من الزهور والنباتات المزهرة أمّا الذهب فهو امتياز خاص للطبقة الفنية .

عرف السكان بعض الصناعات الضرورية منها الحديدية لصنع

مختلف الأدوات الزراعية وأدوت البناء من رفوش وفؤوس ... الخ . أمّا النساء فكن يصنعن الجرار والصحون من الطين الجاف دون الشوي وكانت صناعة النجارة نامية واختص بها أفراد العائلات الفنية ومنهم الطبقة الحاكمة كما كانت لديهم معرفة باستخراج البارود وجمع الشمع وصناعة الجلود للتصدير وبالتعاون مع العرب كانوا يصنعون المراكب التي تصل حمولتها إلى /١٥ طن/ كما كانت لديهم معرفة بصناعة السلال، والحصر ... الخ وكانوا يدخنون التبغ ونوع من القنب .

- النظام الاجتماعي : - العائلة - النسب والقرابة - الوراثة والفخذ : الطبقات - العادات والتقاليد .

تتشكل العائلة الكبرى (روزاكارازانا) من الأحفاد الأحياء العائدين لسلف واحد ويعودون إلى زعامة واحدة تضم عائلات أصغر تنتسب إلى نفس السلف التاريخي . والعائلة الكبيرة أو الفخذ يتغيران من ناحية الكبر وكثيراً ماتتفتت العائلة بتشكيل أفرادها لنفسهم مجموعات أخرى وكذلك الفخذ ويمكن العكس يتجمع العائلات الكبرى والافخاذ لتصبح قبيلة سواء كانوا أفخاذاً قد تناسلوا وازداد عددهم لأسباب سياسية أو اقتصادية بموجب اتفاقيات .

ويعترف أعضاء نفس المجموعة برموزها وتقاليدها وشعائرها الدينية ويحافظون عليها وعلى لائحة النسب (شجرة النسب) والاعياد الجماعية وأحياناً الاشارات الموضوعة على آذان البقر . ويشتركون بالاعياد وبالاعمال التعاونية الزراعية كبناء قرية - حرب أو تشيع جثمان) كما يشتركون بمقبرة واحده تضم أعضاء العائلة (الرازا) أ الفخذ (فوكو) أو تروكي ويكون الزعيم عادة الأخ الأكبر في الجيل الأقدم للعائلة الأولى وإذا توزع الفخذ بين عدة قرى هناك زعيم لكل قرية وزعيم عام لكل الفخذ وبذلك يشكل الفخذ وحدة سياسية وإدارة واقتصادية ويحاط زعيمه بمجلس يجمع رؤساء العائلات لاتخاذ القرارات الحاسمة (تحقيق

النظام – العدالة – فلاحة الأرض – الاعياد العامة ....الخ وبعض الأفخاذ تجتمع على مائدة واحدة بطعام مشترك .

لكل فخذ حدوده الأقليمية وأعضاؤه يملكون مزارع الرز التي يستصلحون أرضها أمّا الأحراش والغابات فهي أملاك مشتركة عامة لايمكن تجاوزها وكل تجاوز يؤدي إلى الصراع . وكان الفخذ هو القوة السياسية الكبرى في الازمان القديمة .

وعبادة الأسلاف هي الرابطة الرئيسية لأية مجموعة والهم الأول هو تأمين استمرارها وذلك عن طريق وجود الأطفال الذكور المكلفون بإعلان الصلاة والشروع بالتضحية . وقد ظهرت عادات ذميمة عن هذه الضرورة . كتقديم النساء العاقرات كقرابين للأحجار المقدسة – الحرية الجنسية لدى الفتيات – تعدد الزوجات . وعادة لايتضايقون من كثرة الاطفال فالطفل دائماً مصدر للسعادة .

تكون القيادة للأبن البكر – كما رأينا – وعلى الجميع احترامه ، وهناك تسلسل تقليدي متبع في الوراثة من بكر إلى بكر بين الأفراد وبين العائلات والأفخاذ . ومعاني القرابة في مجموعة ماتقليدية ، يعني أنها لا تستهدف تحديد القرابة تماماً بل تحديد الأقدمية أي من له لحق لحمل هذا اللقب فالأب (الراي) أو أبا محرفة من كلمة أب العربية) يحدد الأشخاص من الأجيال السابقة الذين يجب تقديم الاحترام لهم . وكذلك يحدد الأشخاص الذين يحمونهم كالأخ والأخت ويترجم عادة بكلمة (دوكي) البكر أو (رالدري) الأصغر سناً من البكر أي الثاني .

وتستند القرابة على النسب الأبوي ، فالمرأة المتزوجة تعود عند موتها إلى قبر أهلها في حين يعترف بقرابة الأمومة أيضاً وللخال الحق بحماية أولاد أخته .

وللأب مكانة خاصة في العائلة وفي المنزل يكون مجلسه الخاص في شرق البيت أو شماله وهو أول من يأكل . وله الحق بتصحيح أخطاء

أولاده . وفي الحالات الخطرة يمكن إبعاد الولد عن العائلة ورميه خارجها وله الحق في الحكم خلال المشاجرات . ويمتلك رئيس الفخذ وعلى شكل أو مستوى أعلى حقوقاً مشابهة ويحتل في القرية بيتاً كبيراً يستخدم في بعض الأحيان للمراسم وربما تكون لديه مزرعة يقوم الجميع بالاعتناء بها.

– الطبقات : تنتشر الطبقية لدى مختلف الشعوب فهناك أولا طبقة النبلاء (الأندريانا لدى المارينا) وهوفا لدى البتسيلو والبارا ولكن أغلب الاحيان يستخدمون اسم الفخذ فقط ، فمثلاً لدى الأنتيمورو : (انتيوني – انتيماهازو – انتيسامو) أي الأفخاذ الملكية واناكارا وانتالاوتري (الأفخاذ الثانوية) ويمكن أن نميز لدى السكالافا «الفولو مينا ، وفولانوتسي» الطبقات الملكية و/انا كاندارينا/ أحفاد الزعماء السابقين وأولاد الملوك غير الشرعيين) وعدد طبقات النبلاء لدى المارينا سبعة موزعون إلى ثلاث درجات منظمة بدقة من قبل الملوك لتجنب التنافس على العرش وليس للطبقات غير النبيلة عادة اسم فخذ أو عشيرة ويشار إليهم بألقاب معينة أمّا الأرقاء (أنديفو) فهم أسرى حرب ومن أسلاف العبيد السابقين ويطلق عليهم الأشخاص المفقودون /وليس لهم مكان في المجتمع ويعيش الأرقاء عادة داخل العائلة التي تمتلكهم وكانوا يلاقون العناية والرعاية ولايمكن بيعهم في السوق أو تصديرهم (على الطريقة العربية التي تعتني بالعبيد) ولاشك أن أغلب العادات التي رأيناها ماهي إلا عادات وتقاليد عربية وبخاصة في موضوع تسلل المجتمع .

لاتستطيع الطبقات التزاوج فيما بينها إلا في بعض الحالات المحددة وللنبلاء لدى الأنتيمور الحق بتقديم الضحايا من البقر ويمكن أن يتزوجوا من الشعب ولايزوجون بناتهم لأبناء الشعب وللنبلاء طواطمهم الخاصة.

هذه الميزات الاجتماعية ليس لها في الواقع أيه مظاهر أخرى . والنبلاء مثلهم مثل الاحرار والعبيد يزرعون الأرض بنفسهم ويحرسون

أبقارهم وللجميع بيوت متشابهة . ونمط من الحياة متشابهة فالمساواة في الشروط والظروف المادية كامله والتأثير لايظهر إلا في حالة ظهور البكر واختياره في الطبقة والملوك فقط وعائلاتهم المباشرة لهم وضع خاص .

والمساواة المادية وتماسك وتعاون العائلة وأخوة العشيرة والفخذ والشعور بالجماعة والابتعاد عن الأنانية الشخصية والفردية كلها أمور تجعل من التقاليد الملفاشية اشتراكية تعاونية عمليه حقاً .

– تقاليد الأخوة :

بجانب هذه المجموعات ذات القاعدة العائلية يوجد نمودجان من الأخوة بين الأفراد :

– النموذج الأول : وهو فردي وهو أخوة الدم (فاتيدرا ، فافانج) وتعقد بين شخصين ما لايجاد ارتباط عائلي منتظم فيما بينهم وتجري هذه العادة بين المسافرين والتجار وحتى بين الملوك الذين كثيراً ماكنا نشاهدهم يلجأون إلى بلاد تأخوا مع ملكها .

– النموذج الثاني : وهو تعاوني جماعي وتعرف بقرابة السرور والفرح (زيفا . فانومبا – سوما) وتعقد بين فخذبن متجاورين ويمكن أن تعقد بين شعبين منفصلين وبعيدين عن بعضهما ، وتنص الاتفاقية على التعاون بين أفراد الشعب ونبذ الخصام بينهما ، وقبول الأحكام دون رد فعل هذه المؤسسات التي تعتمد على القرابة تصبح عادة عامل سلام وتحرك ممكن بين أفراد الشعوب مما يقربها لبعضهما رغم انفصالهما عن بعضهما .

– عادات وتقاليد : الطفل – الشاب – الختان – الزواج – التقسيم الاجتماعي .

تظهر ولادة الطفل دائماً كمظهر للسعادو والفرح . وتحاط الحامل بعدد كبير من التمائم وتلجأ بعض الشعوب لقتل الطفل في حالات معينة كفأل سيء ، وخاصة بالنسبة للتوائم ولايصبح الطفل إنساناً إلا بعد قص

شعره للمرة الأولى ويترك عادة عارياً محمولاً على ظهر أمه . ويكون الحصول على الأطفال طبعاً عن طريق الزواج ويمكن أن يكون لدى امرأة أطفالاً طبيعيون . ولكن الرجل لدى أكثر الشعوب . يمكن أن يعترف بطفل واحد وعادة التبني من أفراد العائلات الفقيرة موجود ولاحدود لعدد الأطفال ويمكن ابعاد الشباب لأسباب كثيرة ويمكن للوالد أن يبعد أحد أبنائه ويمكن للعائلة أو الفخذ إبعاداً أحد الأفراد لأسباب قضائية أو دينية والمبعدون في كثير من الأحيان يصبحون قطاع طرق لأنهم بالأبعاد يفقدون كل حقوقهم وأما الرجل الكبير الذي يعجز عن العمل يقدم عمله لورثته وعند موته يصبح سلفاً (جداً) ،/لاسان كوا اندريا ماتيترا / لقد ذهب ليصبح إلهاً .

يتم الختان لدى الاولاد بمراسم معينة وذلك عندما يراد ادخالهم في الحياة العامة في عمر (١٢) عام حسب الشعوب وعملية الختان تكون جماعية وتتم عادة كل سبع سنوات وتكون مصحوبة بالاحتفالات وتجري العملية نفسها في بيت الزعيم ولاشك أن عملية الختان جاءت إليهم من التجار المسلمين .

وللجنسين «ماعدا بعض الاستثناءات المحلية نفس الحرية حتى الزواج والعزوبية حالة غير عادية لدى بعض الشعوب . وتسبق الزواج عادة مرحلة خطوبة كما يسبق الزواج نقاش يتعلق بالمراسم الدينية بين العائلات عن طريق ممثلين لهذه العائلات ويمكن أن يكون المهر مرتفعاً جداً . ويتم الزواج من خارج العائلة من ناحية المبدأ ويمكن أن يطال المنع درجات من القرابة نصل إلى عدة أجيال ويعتبر الزواج من الأقارب زنا ولايمكن مسح هذه الخطيئة إلا بتقديم الضحايا /فافي – الا ــ فادي/ وفي الوقت ذاته لايمكن الزواج من خارج الشعب أو القبيلة أمّا الملوك فيمكن أن يتغاضوا عن كل هذه القواعد وتعدد الزوجات هو المسموح به والزوجة الأولى «فادي – به » لها بعض الامتيازات والاحترام ويحق للملوك

المارينا من الناحية الدينية أن يكون لديهم (١٢) امرأة كزوجات شرعيات وعدد كبير من العشيقات ومن المناسب لدى بعض الشعوب تقديم امرأة للضيف أو لأخ الدم وهناك زواج موقت لدى بعض الشعوب والطلاق الشرعي لايمكن أن يتم إلا من قبل الزوج أمّا الانفصال بين الطرفين وارد جداً . وتعتبر المرأة معارة من قبل والديها لزوجها فإذا لم تستطع العيش يمكن أن تعود مباشرة إلى بيتها وواجب المرأة اطاعة زوجها والوفاء له ويختلف وضع المرأة حسب الشعوب وكثيراً ماتستشار بأمور كثيرة وهي ربة المنزل ويعطى لها نوع من الحرية، وتأثيرها يكون مسيطراً أحياناً لدى الايميرينا ولكن لاعلى حساب احترامها لزوجها .

وتقسيم العمل محدد فالرجال يعملون بالزراعة ويربون الماشية ويبنون البيوت ويقومون بالصيد البري والبحري أمّا المرأة فهي التي تدق الحبوب أو الرز وتقوم ببعض الزراعات الثانوية قرب المنزل وهي التي تضع السلال في مجاري الانهار لاصطياد السمك . أمّا الشباب فيحرسون الأبقار ويطردون عنها الحيوانات الصغيرة وتساعد الفتيات في ادارة المنزل ويقوم الكبار بتعليم الأطفال واعطائهم المعلومات عن تقاليد الفخذ أو القبيلة والعقاب والتانيب نادر والأطفال الذين يتعلمون بسرعة يأخذون طريقهم بسرعة أيضاً .

لايوجد عادة اسم للعائلة والاسم الشخصي يتغير حسب وجود الشخص ويأخذ الأب في بعض الأحيان اسم الأبن الأول ولايدعى بأبى فلان .

– النظام الاقتصادي : تبنى البيوت الملفاشية قائمة الزوايا وسقوفها حادة الميول وتصل في بعض الأحيان إلى قاعدة البيت . وتبنى في الشرق من الأعشاب على شكل أكواخ وقواعدها على أوتاد مغروزة بالأرض أمّا في الغرب فتبنى على الأرض وعلى الهضبة كانت بيوت

الأغنياء تبنى من الخشب أمّا بيوت الفقراء فتكون من البامبو . ويكون البيت عادة قطعة واحدة (حجرة) مع موقد من ثلاث فوهات وتعيش الحيوانات مع السكان لدى الايميرنيا والزعماء ينامون على دكة عالية وتحدد الاخشاب المتداخلة في السقف قيمة الشخصيات التي تعيش فيها وليس لديهم أثاث سوى الحصر وزمن الاسلاف هو زمن الاقتصاد اليومي فكل العائلة أو مجموعة عائلات تنتج كل ماهو ضروري لاستمرار الحياة اليومية - البيوت - الامتعة الثياب مختلف الأدوات والاختصاصيون من حدادين وصانعي الجرار والخزف والنساجين ماهم إلا مزارعون كالآخرين يعملون لاكتساب موارد اضافية ولم تكن هناك في الأصل عملة ولكن هناك نوع بسيط من التبادل في المنتجات وقد تطور التبادل التجاري لتظهر الأسواق النظامية . ويتألف الأنتاج الذي يحمل للقرى المجاورة من - الأدوات - ملح - سكر - قطن - شرانق دود الحرير - لحم - بطاطا - ارز - الألبسة - الحصر - الجواهر - الخشب للحرق بعض البضائع - البقر الملح وهو عبارة عن تجارة داخلية على مدى واسع ويتم تبادل المنتجات بين الشعوب بالاضافة إلى المواد المستوردة . وفي القرن الثامن عشر ادخل بعض تجار الرقيق السلاح واللآلئ والجواهر إلى داخل البلاد حتى وصلوا الهضبة الوسطى وكانوا يبادلون السلاح بالرقيق . ومنذ القرن الثامن عشر كان الميرينا يبيعون /للمبونيا/ الأدوات الحديدية والألبسة الحريرية ويأخذون منهم البقر ونبات /الرافيا/ أمّا الأنتالاووت فكانوا يصعدون مع مجاري الأنهار حتى الهضبة وإلى الساحل الشرقي حاملين معهم المنتجات المستوردة من الخارج السلاح ولاقمشة اللآلئ والجواهر وكانت لهم علاقات قوية مع التجار العرب باعتبارهم من أصول عربية .

أمّا العملة فكانت تنتشر حسب قوة البلد المصدر ففي بادئ الأمر كانت العملات العربية هي الدراجة ثم انتشرت القروش الأسبانية التي

وصلت إلى داخل البلاد وكانوا بقطعونها في بعض الأحيان قطعاً صغيرة للحصول على العملة الصغيرة ولكن وزنها كان يقاس بدقة متناهية .

– لم تكن العربات والطرقات معروفة فكان النقل عل السواحل يتم بالزوارق أمّا الأحمال للداخل فكانت توضع على أكتاف الرجال وتنتقل الشخصيات الكبيرة عادة على كراسي خاصة محمولة من قبل العبيد (فيلانجانا) وكان السفر بين ميناء تاماتاف والعاصمة تاماتاناريف يحتاج إلى اسبوعين أو ثلاثة وقد أصبح هذا الطريق عام ١٨١٠ أكثر الطرقات أهمية وكانت تعقد الاتفاقيات بين القبائل والشعوب لحماية الطريق من اللصوص .

– الاعتقادات والأديان : تنتشر الديانات السماوية من مسيحية واسلامية في مدغشقر ولكن الديانات المحلية الوطنية لاتزال هي السائدة لدى أكثر من نصف السكان .

تعتقد الديانات المحلية بوجود قوة مقدسة هي /الهاسينا/ وهي كلمة مائعه ومجردة ومن المحتمل أنها جاءت من الكلمة العربية /الحسنة / أو البركة فالشيء الذي يعتقدون بقدسيته ، هو مبارك وهو الذي يعطي القوة للحياة وتكمن /الهاسينا/ في عدة كائنات أولا الاله الخالق «اندريانا فاهاري» أوزانا هاري الذي يبتهل إليه في الأول . وفي بعض المناطق يعتقدون بوجود الآلهة الثانوبون ذكوراً وأناثاً وهم الذين يترددون على المياه والشجر والأحجار التي تعطي الحياة ، وتمتلك القوة التي تجعل من الأحياء يرقصون . وهناك الجن والعفاريت ومختلف الحيوانات بعض الثعابين بعض التماسيح وكلها تكمل الميثولوجيا الملفاشية . والشخصية الرئيسية في الديانات الملفاشية والتي تطلق كل هذه الأفكار المخدرة هي الروح أو الأزدواج الانساني في الفرد . وتنفصل هذه الروح عن الجسم مؤقتاً في الحلم ونهائياً في الموت . ومنذ ذلك الوقت تصبح الروح المقدسة (ماسينا) مع قوة متغيرة كثيراً حسب المركز الاجتماعي وقد

ساعد انفصال الروح عنـد المـوت على ظهـور مراسـم وطقـوس لاحقـة (أعياد الموتى – العودة) وكلها تستهدف تقديم السرور لأرواح لاسلاف «رازانا» ويجب تجنب غضبهم وجعلهم يقدمون بركاتهم للأحياء ويعيـش الموتى في قبر العائلة أو الفخذ الذي يمكن أن يكون كهفاً أو غابة مقدسـة وغالباً مايوضع الجثمان في حفـرة مغطـاة بالحجـارة أو في البيـت وهـؤلاء الموتى يراقبون أحفادهم من القبور .

ويتقرب رئيس العائلة أو الفخذ مـن الاسـلاف بتوفـير الطعـام لهـم حيث يقدم لهم بقرة أو دجاجة أو كحول والأماكن المقدسة في المنزل هي الزاوية الشمالية الشرقية ويكون الباب باتجاه الشرق . ويوضع وتـد مـن حديـد أو كـأس مـن الحجـارة في منتصـف القريـة . والملفاشـيون الذيـن يموتوت في الخارج مـن الضـروري أن يعـودوا إلى قـبر الاسـلاف وبعـض العظام تكفن لاقامة حجـر علـى القـبر وإلا يحرمـون مـن القرابـة العائليـة وتواصـل المجموعـة الاجتماعيـة عملهـا في القـبر والأنفصـال عـن التمـائم الاجتماعية (فاداي) يؤدي إلى عقوبات من الاسلاف (الكآبة – المرض – الموت) ويمكن القول بأن الدين هـو بروحـه وجوهـره اجتمـاعي ويسـتند على الاسلاف وتلعب الطبيعة ولها المقام الثـاني دوراً أكيـداً وهـذا الديـن الذي لايستند علـى عقيـدة أو اكلـيروس ويرتبـط بـالأرض مشـدوداً إلى مجتمع قوي البنية لم تستطع كـل المحـاولات الـتي قـامت بهـا الأرسـاليات المسيحية من اختراقه .

أمّا الدين الاسلامي فينتشر لدى الأنتالاوت الذين يقطنـون موانـئ الشمال الغربي كما ينشر لدى الأنتيمـورو الذيـن انعزلـوا منـذ قـرون في منطقهم وقل عددهم وقد دخلت الدين كثير من المعادلات السحرية . ويقال أن الأنتيمورو وهو شعب من أصول عربية هو الذي أدخـل عـادة استخدام التعاويز والتنبؤ بالمستقبل لدى شعوب الملفاش وربما قسم منهـم وهـم الأمبيـازي . وكـانوا يبيعـون علومهـم لمـن يريـد شـراؤها ويعتـبر

هؤلاء علماء وحكماء القوم وسرقوته « والعرافه هي النبع العميق الذي يستهدف خير البلاد والحكام والشعب » ولم يكن يتم أي عمل دون استشارتهم ويستندون في علمهم هذا على عنصرين رئيسين هما .

أولاً: الأقدار فينتاتا : وهي الأشهر القمرية العربية واستخدامها بالتوافق مع الافلاك السماوية ومع مختلف النقاط في المنزل . ويطبق هذا التقسيم على الأيام والساعات . وهناك قدر ملائم وقدر غير ملائم لكل عمل يمكن القيام به . وبعض هذه الأمور تكون ضرورية لدعم المشروع المراد عمله

ثانياً : الضرب بالرمل أو الحبوب «سيكيداي» والانسجام والتوافق بين الوجوه والأمكنة هو اشارة للمستقبل ومايجب عمله مهما يكون الهدف - المرض - مشاريع الحب - الحملات الحربية بناء البيوت ... الخ ، وهناك طرق ثانوية ومن المحتمل أنها كانت أسبق من العرافة وهي العصافير - الاحلام - بعض الاعداد ٣ - ٦ - ٧- ١٢ لها فضائل ايجابية أمّا الأخرى فهي سلبية .

وتتشكل وصفات الأمبيازي من الفاداي أو الأوداي أمّا الفاداي أي التحريم فتنص علىالامتناع لمدة قصيرة أو طويلة عن أكل شيء ما وربما يدوم ذلك مدى الحياة وتتضاعف المحرمات الضرورية مع زيادة المحرمات الاجتماعية والتي حددها الاسلاف مما يجعل الحياة الملفاشية معقدة بأمور لاتحصى ، أمّا الأوادي (الطلاسم) فتتألف دائماً من مواد نباتية أو بودرة نباتية ومن اللآلئ الزجاجية واسنان بعض الحيوانات ... الخ

وكان لدى الامبيازي معرفة بالأدوية (فانا فوداي) وهو مزيج من النباتات يستخدم ضد الملاريا وبعضهم كان يعرف الحجامة والعصد والكي ومعالجة الكسور . وكان المصابون بالجدري والجزام يعزلون أمّا

الأمراض الزهرية كالسفلس الذي أتى به الأوربيون منذ القرن السابع عشر فكانت تعالج بمياه الاعشاب .

المظاهر الثقافية : لم تكن وحدات الزمن والمسافات دقيقية لدى الملفاش أمّا قياس الطول فهي محددة بالجسم «قدم – شبر – ذراع » أمّا حس التوجه بالنسبة للجهات الأربع الأصلية فهو على العكس يتم بدقة مدهشة أمّا الساعات فكانت تقاس حسب وضع الشمس بالنسبة للبيت أمّا الأيام والاسابيع فهي ذات أسماء عربية وهي التي تستخدم لدى المارينا . ولكن أغلب الشعب كان يعتمد التقويم السنسكريني الملائم للفصول . وهناك دورات من السنين كل سبعة أعوام تشكل دائرة وكل واحدة تحمل اسم أحد أيام الأسبوع أم التواريخ المهمة فتتغير حسب المناسبات الملكية أمّا اللغة فرغم اختلاف اللهجات فإنها تحتفظ بوحدة كبيرة فهي لغة غنائية متناسقة بدوية مملوءة بالتعرجات وكما ذكنا فاللغة كانت تكتب بالاحرف العربية مع بعض الاختلافات التي تساير النفحه الموسيقية للغة وهي محددة لدى بعض الأفخاذ في الجنوب الشرقي . لذلك فالأدب ظل في بقية المناطق شفوياً خالصاً وهو غني بشكل جيد . ومملوء بالتخيلات التي تتجاوز حدود اللانهائي بلاضافة إلى التشابيه والاستعارات والمجانسة التي تأخذ بشكل عام مكان العقل والبرهان . والمفاشي شاعر بطبيعته ولكنه فلاح قوي مجرب .

وأنواع الأدب لديهم كثيرة والأمثال تستخدم في كل الظروف . المحاضرات والحكايت (الكاباري) لها قواعد محددة ولكن الارتجال يلعب دوراً مهماً . الأساطير الالهية الملوك – الابطال حكايات عن الحيوانات القصص المضحكة الحكايات المستندة على الانساب يحتفظ بها أناس مختصون (اللوفات تسوفينا) أي وراثة الآذان . الأغاني والأيقاع الغنائي أحياناً بنغمة محزنة أو نعمة حربية . الألعاب التي تمتحن العقل يضاف إليها

لدى الايمرينا (السهين – توبي) وهي أشعار تعبر عن حوار بين الفتيان والفتيات ولها قرابة ماليزيه دون شك .

وتعتبر المراسم الليالي المقمره المناسبات الرئيسية للمهرجانات الأدبية حيث يمتزج الرقص بالغناء بشكل عام ويترافق بالضرب على الأرض بالأقدم والضرب بالايدي (التصفيق بحركة سريعة وقصيرة متناسقة مع ضربات الطبول وتعنى الاغاني دائماً بمصاحبه الادوات الموسيقية الوترية وهي الفاليما والجيجولافا . وكانت تقام لديهم سباقات الثيران والأبقار والقتال بين الثيران والديوك والحرباوات . الجنادب الصراصير . وكان الكالافا يعرفون الملاكمة . أمّا ألعاب المثقفين فهي الكاترا والفانوروما أنا الستانالا فكانوا يعرفون لعب الشطرنج .

أمّا فن صنع التماثيل والأنصاب فتقتصر بخاصة على التزينات الهندسية (على الطريقة الاسلامية) على الأقمشه والحصر – الشرائط ملاعق وصحون الخشب .

– الحكمة الملفاشية : دهش الأوربيون (حسب قول ديشامب في كتابه تاريخ مدغشقر) الذين كانوا يرتادون البلاد من التناقضات التي كانت توفرها النفسية الملفاشية . ولاشك أن ذلك يعود لاختلاف أصول وثقافة السكان فمن آسيا أخذوا الحيلة والسرية والحرص ، ومن افريقية أخذوا المطواعية أو الغريزية الود والأنس ويمكن أن تظهر هنا وهناك تصرفات اخرى لدى مختلف شعوب الجزيرة والاختلاط والاقتباس المتبادل والتأثيرات الممختلفة التي تعبر عن عقلية واحدة في مجموعها هي التي قدمت للشعب الملفاشي العناصر الاساسية للروح الملفاشية المشتركة.

كان يسود الجزيرة نوع من السعادة بسبب اتساعها وقلة سكانها وهذه العقلية البسيطة تستطيع الوصول للسعادة بسرعة وتعبر كلمة (مامي ني اينا) أي الحياة حلوة أمّا كلمة تسيهبيلا مبانا – لي – أولونا

فتعني أن الناس هم حصيرة واحدة كبيرة والتماسك الاجتماعي له القيمة الثانية وهي تماماً غير منفصلة عن الأولى والمجتمع والعالم يشكلان وحدة واحدة والاحساس بالعائلة أو بالاحرى ضمير العائلة والفخذ والقبيلة وهو ما عمل (نامبونيا ملك المارينا) الذي وحد بلاده على نشرها بين الشعب بكامله أي الاحساس بالامة . ويتألف المجتمع من الاحياء والأموات وهؤلاء يصبحون مقدسين للذلك من الضروري متابعة قواعد التقاليد والعادات وتسلسل الاعمار والموانع هي قسم من النظام العام وكل ماهو ضد النظام والتنظيم ، سيدان ويعاقب بعقوبات خفية . ومن هنا فالخوف من التعرض للتأنيب (تسيني . هاكيو) لاقل عمل مغامر أو على الأقل مبدع . لذلك من الضروري إبعاد الخطيئة الممكنة عن طريق الكلام وعن طريق ترديد بعض الجمل واللكلمات المحددة والمعروفة ونتيجة لذلك فالحذر والتؤده والتمسك بالتقاليد وبعض الاتكال على القدر ضروري ويجب أن يصاحبه التلاحم احترام الآخرين «بخاصة أكبر الأولاد والأشخاص المجربين » والتجلي بالمرونة «تصل إلى أبعد الحدود وتبعد الخوف وحب الأرض والأسلاف هو ينبوع القوة الوطنية المحلية .

وهكذا فالنظرة الملفاشية للحياة تعتمد على التوازن فالحامل الثلاثي الأرجل الذي يوازن الحله (توكو) هو أيضاً رمز الطبيعة ورمز الدين والمجتمع الذي يضع الانسان في مكانه الحقيقي ويقدم لها الأمن والقوة إن مجتمعا وأخلاقاً متوارثة من الاسلاف مبنية على عالم ثابت صحيح ودائم تلك هي قواعد الحكمة لقدماء الملفاش .

- نظام الحكم : لقد رأينا سابقاً قيمة الفخذ (العشيرة) باعتباره الوحدة الرئيسية في الادارة ومن مجموع الافخاذ تشكلت الممالك وعلى رأس الجميع يكون فخذ الملك المقسم إلى عدة أقسام حسب القرابة وهناك أفخاذ المحاربين مع الملك أو أفخاذ قدماء الزعماء ثم أفخاذ الرجال الاحرار وقد شهد تاريخ مدغشقر نضالاً بين الافخاذ والممالك عندما

حاولت الافخاذ أن تحافظ على قوتها بوجود الملك والملكة ومنها مارفض انضمامه لمملكة على راسها ملك وفضل اتحاداً كونفدرالياً وقد استطاعت بعض الممالك إذابة الافخاذ ضمن المملكة كممالك المارينا والسكالافا وفي هذه الممالك يكون الملك رأس السلطة الادارية /الفانجا نكا / وينتخب عادة من أفراد العائلة الذين يقترحون اسمه ويخضع إلى موافقة اسمية من الأفخاذ الشعبية وبإمكان هؤلاء حجب الثقة عن الملك (الأنتيمورو) وبعد التتويج والمراسم المتبعة في كل مملكة . فملك السكالافا يحمل معه عند التتويج بقايا رفات الملك السابق تقدم الضحايا وتقدم الهدايا للملك /والهاسينا/ البركة ممثلة بهدية كبيرة وفي الوقت ذاته يرسل الملك أحد الشخصيات للامصار للتعرف على رغبات الشعب ويمثل الرضا بالرقص العام ومنذ ذلك الوقت ليصبح الملك مقدسا /ماسينا/ أي الاله المرئي اندريا مانتيرا هيماماسو / ويوصف الملك الجديد الملك السابق بأنه الشمس التي تنام في الغرب وتعود لتحيا في الشرق/ ويجري تحديد القدرة الدينية الروحانية للملك الجديد عن طريق الحمام السنوي للملك ويعتبر حمام الملك لدى الميرينا بداية العام الجديد /فاندروانا/ ولدى السكالافا حمام تغسل فيها بقايا الملوك السابقين /دادي / وتعتبر هذه العبارة لدى السكالافا الجوهر الرئيسي في وحدة المملكة ومثل هذه الطقوس تجري لدى الميرينا فالصفات المقدسة لأثني عشر ملكاً واثني عشر جيلاً بالاضافة إلى وجود التمائم الملكية /سامبي/ وهي تتألف من قطع بسيطة من الخشب ذات رموز شخصية تحمي حسب اعتقادهم المملكة وأشهر هذه الرموز (كيليما لازا – راماهافالي – مانجاكاتسيرو) حيث يخصص لها الحراس وتقدم لها كل معاني الشرف وتسير هذه الرموز (الشارات) أمام الجيش في كل المراسم الكبرى .

يمنع قتل الملك خوفاً من أن يصاب الجميع بمآسي كبيرة ويمنع المرور أمامه دون اعتذار خوفا من الموت ولدى السكالافا يضع المعتذر

قدم الملك على رقبته وعندما يموت الملك يضحى بخدمه ليرافقوه ولوحده الحق بحمل المظلة الحمراء وقبعة من نفس اللون . ويشبه الملك لدى الميرينا بالشمس لذلك لايرتبط بأي نوع من الاحزان وعند وفاته يقال بأن الشمس طارت لأنه لايموت بل يدير ظهره ويحلق كل الشعب رءوسهم عند موت الملك ولايقوم أحد بعمل ولايغتسل أحد خلال ثلاثة أيام وكذلك نفس العادة لدى السكالافا ولدى الأنتيمورو ويبقى موت الملك سراً ويدفن ليلاً ولايعلن عن موت الملك حتى يتم اختيار الخلف .

يعيش الملك عادة في قصر (لابا) تحيط به الاسوار ويعيش معه بلاطه المؤلف من النساء والوزراء والمستشارين والموظفين ويكون لديه المراسلون والحراس والعبيد وخروجه للعامة يكون محاطاً بالمراسم الخاصة والغناء وللملك نظرياً قوة مطلقة وله الحق في العيش والموت ولايمكن لأحد من بطانته اتخاذ أمر دون استشارته وله الحق بفرض الضرائب على الانتاج ومختلف المناسبات - الولادة - تشييع جثمان بناء البيوت التبني وبيع الأثاث بالاضافة إلى ضرائب نظامية لاستخدامها لصيانة البلاد وشراء المستوردات الخارجية وله الحق بفرض السخرة وإعلان الحرب .

أمّا في الاقاليم فالملك يفرض سلطته عن طريق المبعوثين والموظفين الموقتين ويدعون لدى الميرينا (فادين - تاني) ويكون هؤلاء من كبار النبلاء ولهم وظائف قضائية ولكن دائماً بحضور أحد أفراد العائلة المالكة الذين يشكلون نوعاً من الاقطاعية (فوديفونا ميناكيلي) وهم يتقاسمون حقوقهم مع الذين يقومون بالعمل أي أن لكل من هؤلاء مجالاً خاصاً وقد أدى هذا التقسيم للعمل بين الاقطاعيات إلى حدوث الانقسام أو القلائل وقد حاول ملوك الميرنيا جهدهم للحد من سلطة هؤلاء الاقطاعيين .

- القانون : يتشكل القانون في حدود التنظيم التقليدي للفخذ من مجموعة من تقاليد الأسلاف (الفونيان - درازانا) وهي تحدد بأن واحد الاعراف المدنية والحق الجنائي وهي مؤلفة من عدة محرمات عقوباتها

فرضت من قبل الاسلاف كالموت المفاجئ والمرض – المصاعب . ولابعاد هذه الهموم وتهدئه أرواح الأسلاف الغاضبه . يجب أن تكون هناك ضحية . ويسأل رئيس الفخذ أو القبيلة الذي هو في نفس الوقت القاضي فيما إذا قدم هو نفسه العدد الكافي من الأبقار للتضحية بها . فغضب الأرواح في الواقع يخش من أن يطال المجموعة بكاملها .

وهكذا تمر من عالم العقوبات الجنائية إلى نظام الدية الجنائية ويسرى ذلك على الخلافات المدنية التي ترتقي إلى حدود النظام الاجتماعي . وهنا فالديه في الواقع محاولة لاصلاح النظام وهي في الوقت ذاته تعويضاً للقسم المتضرر .

فعندما فرضت الدولة نفسها على الأفخاذ (العشائر) وتشكلت وحده أكثر امتداداً مع تنظيماتها الجديدة أصبح من الضروري إيجاد نظم وقواعد جديدة للحماية بخاصة شخص الملك بالاضافة إلى ايجاد علاقة ثابتة ومستديمه بين أعضاء المجموعات الأخرى لذلك ظهرت قوانين جديدة بجانب القوانين المعروفة باسم النونيان ... درازانا . القديمة أطلق عليها /لالاناماسينديهي / التي كانت تنتشر عن طريق خطابات الملك (الكاباري) وقد نظمت هذه القوانين حدود الآذية التي تمس السلطة الملكية والواجبات التي تفرضها وظهرت ايضاحات لمعنى الجريمة والسرقة وحتى بعض القوانين المدنية وخلال حكم ملوك أقوياء أخذ القانون يمتد ويطفي شيئاً فشيئاً على التقاليد والعادات وفي نفس الوقت ظهرت تنظيمات جديدة قضائية ففي الآيمرينا (الميرينا) يحافظ الغوكون – أولونا على الأحكام التي لها أسباب عادية في حين يحكم الموظفون المبعوثون (المندوبون) أو الذين يدعون للحكم في الحالات ذات الدرجة الثانية أمّا الملوك فكانوا يحكون بالاعمال الخطرة والملك الوحيد الذي يحكم بالموت.

ظل هذا القانون الجزائي مبيناً علـى فكـرة الخطأ الديـني والسـحر والأذية الموجهة لنظام الأشياء المحددة من قبل الاله والأسلاف . والبرهان على الجريمة هـو التجربـة / الأوردالي / والـتي كـان يقـال لهـا في القـرون الوسطى أحكام الآلهة . وهـي الـتي يمكنهـا أن تحـدد المذنـب مـن الـبريء كالامساك بحجارة مشتعلة اجتيـاز نهـر مملـوء بالتماسـيح ... الخ وأشـهر هـذه الـبراهين الحسـية هـو اعطـاء المتهـم نوعـان مـن المشـروب السـام (التانجين) فالذي يصبه الخط بالتقيؤ يعلن عـن براءتـه والذيـن لا يتقيـؤون يحاكمون ويعاقبون . وتتباين الأحكام بقسوتها وضعفها . والنظام الجنائي (الأندريانا مبو نيسميرينا) يعدد اثنا عشر جريمة تقود للموت تسعة منهـا تخص الثورة ضد الحاكم (السلطة) والعاشرة (المتلاعبون بالاقدار والجريمة الحادية عشر الموت والثانية عشر السـرقات الهامـة والبـاقي مـن القوانـين تخضع للتعويضات والدية . والمدان يقذف بالحجارة حتى المـوت أو يلقـي من مكان عال وتصادر ممتلكاته وتصبح عائلته من العبيـد وهنـاك مكافـأة للمتشكك والذي يعرف العمل ولايخبر عنه يعاقب . وهناك قوانين خاصة بكل قبيلة والقوانين المذكورة أعلاه تخص بمجموعها دولة الميرينا.

– النظام الحربي : أدت حالة الأنقسام الموجودة فيها الجزيـرة الـتي كانت تتشكل من مختلف نواحيها الاجتماعيـة إلى وضـع دقيـق مـن عـدم الأمن عامه وبخاصة الانقسامات والحروب بين الفروع القبسة (الأفخـاذ) ومع اتفاقيات وصلات القرابة أخذ النظام السياسي يتجه نحو الكنفدرالية ولكنه لم يكن دائماً ومستمراً والحرب لم تكن نادرة بين رؤسـاء الأقطـاع وبين الملوك أنفسهم . وفي وقت ما أصبحت الغزوات نوعاً مـن الرياضـة يمارسـها الرجـال في الفصـول الجافـة وحتـى في الفصـول المطيريـه عندمـا لاتكون الحاجة للعمل في الزراعة . ومعارك المواجهة عـادة كـانت نـادرة ولايهـرق الـدم فيهـا إلا قليـلاً وعـادة يعمـد المهـاجون إلى المفاجـأة الـتي يستطيعون فيها قتل المدافعين الذين لايستطيعون الهرب ويقاد ما تبقى من

النساء والأطفال والأبقار كغنائم . لذلك كانت القرى تبنى على المناطق المرتفعة وعلى الجروف القاسية وتحاط بالنباتات الشوكية والأوتاد ويترك ممر صغير صعب المرور ويسهل الدفاع عنه ويكون مخفياً ومتعرجاً وكثيراً ماكانت الخنادق تحفر حول القرى ويمكن ان يصل إلى سبعة أمتار من العرض وعمق تسعة . ويضاف إليه عدة أسوار من الأوتاد العالية وبعض الأحيان يبنى سور من الطين أو الحجر . والباب يعمل من حجارة ثقيلة على شكل دائرة يمكن دفعها لاغلاق المدخل وعلى المركز يوجد مركز للمراقبة ويتألف السلاح من حربة طويلة (ليفو) للقتال وجهاً لوجه ثم رمح يمكن رميه عن بعد حتى ٣٠ م ثم السكاكين والتروس الخشبية وتكون مدوره أو بيضوية ومغطاة بالجلد وقد استخدم المقلاع في الجنوب . وعادة يمطر المهاجرون بالحجارة من قبل المدافعين وأما البنادق ذات الفتيل والبندقة ذات الحجرة فقد ظهرتا علىالشاطئ في القرن السادس عشر . ولكنها لم تصل للداخل إلا ببطء ، ولم تكن لدى /الارالامبو / سوى بندقية واحدة أخاف بها قبائل الوازيمبا . والبندقية بحد ذاتها ثقيلة في القرن الثامن عشر وبطيئة وأحياناً خطرة وتقول إحدى روايات باتسيليو «إنه عندما أعطيت الاشارة هجم المتهمون على أعدائهم الذين لم يكونوا مسلحين إلا بالبنادق وذبحوهم بالسكاكين » ويجهز المحاربون بالتمائم والأحجبه التي تحميهم من السحر وتعطيهم النصر .

أدى تطور تجارة الرقيق إلى وصول البنادق الحديثة ووصل معها الأختصاصيون باصلاحها . وكانت الحروب تغذي الرقيق وتساعد مع البنادق على اتساع رقعه الممالك والهيمنة الملكية وقد أصاب التغيير أيضاً الملوك أنفسهم في بعض الممالك ولم تعد أهداف الحرب فقط الغزو واقتناص العبيد ولكن دخلت فكرةالتوسع السياسي . والعدو الذي يقع باليد يحتفظ به كتابع . وهكذا بدأت الممالك تاخذ شكل امبراطوريات واسعة وخفت الحروب المحلية . وبدا الطرييق الإيجابي للوحده ينفخ .

الفصل الخامس

(١)

دويلات العرب في شرق وسط القارة

١ – الأمتداد العربي نحو الداخل وظهور تيبو – تيب

٢ – تيبو تيب وامبراطوريته التجارية

٣ – الوضع في زنجبار بعد وفاة السيد سعيد ، والهيمنة البريطانية

٤ – الطرق التجارية والمونئ الداخلية

(٢)

العرب والدول الأجنبية في شرق الكونغو

١ – الأنكليز واستغلال تجارة الرقيق

٢ – استكشاف نهر الكونغو من قبل ستانلي في القرن التاسع عشر والأكتشافات الأخرى

٣ – ظهور دولة الكونغو الحرة والاستعمار البلجيكي

٤ – المراكز العربية في شرق حوض الكونغو

٥ – الصدام بين العرب والبلجيك في الكونغو (زائير حالياً)

أ) – الأسباب والمعارك الأولى

٢) - المعارك بين ١٨٩١ - ١٨٩٤ والقضاء عل العرب

٦ - ثورات العرب والمستعربين ضد البلجيك

١) _ ثورة الباتيتلا (المستعربون) في لولوا بورغ

٢) - ثــورة المســتقربون (مــن حملــة النيــل ١٨٩٧ - ١٨٩٩

٧ - نظرة عامة على أوضاع العرب في شرق افريقية .

الفصل الخامس

دويلات العرب في شرق وسط القارة (الكونغو)

(١)

١) – الأمتداد نحو الداخل وظهور تيبو – تيب

كان التجار العرب قبل عام ١٨٢٥ قد وصلوا إلى تخوم مملكة شعب الأونياموزي ولكنهم لم يتعدوها. ويبدو أن أول اثنين غير الافارقة، اخترقا اعماق القارة إلى ابعد من الأنياموزي. هما الأخوان سيام وموسى موزوري. وهما من الخوجا من سورات في الهند. وقد مول رحلتيهما السيد سعيد بن سلطان سلطان زنجبار عام ١٨٢٠ وقد لقيت هذه الحملة نجاحاً كبيراً لكثرة العاج الذي جمعته. وقد توفي سيام خلال العودة وعاد موسى من رحلته الطويلة لوحده . وبعد ذلك قام هذا بعده برحلات. وقاد عدة قوافل من زنجبار وقد اصبح اشهر الرواد التجار في المنطقة جنوب بحيرة فكتوريا.

لقي هذا المكتشف ترحيباً كبيراً من قبل السلطان سعيد الذي كان قد استقر ونقل مركزه من مسقط إلى زنجبار عام ١٨٤٠. وقد جذب بازدهار التجارة في المنطقة ، وخصوبة زنجبار زطقسها الملائم وكانت التجارة في شرق افريقيا تعتمد بخاصةعلى تجارة العاج والعبيد وصمغ الكوبال ومنتجات شجر البالم وبالرغم من هذا المجهود إلا أن المردود كان لايتناسب مع ما كانت تعطيه هذه التجارة خلال التفوق العربي قبل وصول البرتغاليون ، ومع ذلك فقد كان السيد سعيد بعقليته التجارية يشعر بأن هناك فرصة كبيرة لاستغلال كل طاقته لتنمية التجارة في شرق افريقيا فازدهارها ينعكس دون شك على دخل الموانئ التي كانت داخله في نظامه الجمركي المعروف والذي يجعل ٥٪ من دخل الموانئ تعود إليه

ولذلك شجع التجار من كل حدب وصوب ومنهم الهنود والبانيان لاستثمار اموالهم والانتقال أيضاً من مسقط إلى زنجبار لذلك كثر عددهم بسرعة فيها والمدن الساحلية وحتى داخل البلاد واصبحوا ضمن مستشاريه واستلموا كثيراً من الوظائف لوظائف بخاصة المتعلقة بالأمور المالية والجمارك واخذوا يجمعون له الأموال الطائلة. كما وصل عدد من الهنود المسلمين الذين استقروا بشكل نهائي في حين كان الهندوسيون لايستقرون كثيراً في زنجبار ومع ذلك لم يكن السلطان سعيد ليقنع بما توفره له تجارة زنجبار المحدودة من أموال ولادخل الموانيء باعتباره تاجراً أو بالأحرى أكبر التجار. لذلك فكر بزيادة دخله التجاري عن طريق ارسال القوافل التجارية إلى داخل القارة عوضاً عن انتظارها في زنجبار أو الساحل المقابل بخاصة بعد هدوء الأحوال الداخلية لذلك بدأت في ظل السيد سعيد المستقر القوافل تخترق اعماق القارة ففي بداية الفصول المعتدلة كل عام كانت الحملات تأخذ طريقها . وبالرغم من الصعوبات التي كانت تكتنفها من الطقس الحار والرطوبة والأمراض الاستوائية التي كانت قاسية على الحمالين. بالاضافة إلى القبائل التي اخذت مخاوفها تزداد بسبب مرور القوافل المتكررة في أراضيها. وأثار طمعها للحصول على شيء مما تحمله من غذاء ولباس. وتدريجياً اصبحت البلاد القريبة من الساحل ملآى بالخرز والثياب. والتي كان التجار من عرب وغيرهم يحملونها معهم لمبادلتها بالعبيد والعاج والمنتجات الأخرى. وفي اعوام ١٨٤١ فشلت اول محاولات العرب في استغلال شواطئ تنفانيكا وانتهت بعض الحملات بالكوارث البشعة ومع ذلك لم تحد هذه الكوارث من عزيمة تجار آخرين من الدخول والوصول إلى ابعد شيئاً فشيئاً. وفي عام ١٤٨٠ وصل أول عربي إلى بوغاندا على بحيرة فكتوريا وهو احمد بن ابراهيم الذي كان لديه الشجاعة لتوبيخ الكاباكا (الملك) سونا وذلك بسبب معاملته القاسية لرعيته. وقد اعجب الكاباكا بجرأة احمد الذي

يبدو أنه كان من الداعين للأسلام قبل أن يكون تاجراً ومنذ ذلك الوقت ازداد اهتمام الكاباكا سونا بالاسلام حسب قول السير جون غراي في كتابه «احمدبن ابراهيم اول عربي وصل بوغندا» ولكن ذلك لم يدم طويلاً بعد ذهاب احمد . بعد احمد وصلت قوافل كثيرة إلى بوغندا ولكن في منتصف عام ١٨٥٠ أغلق /سونا/ حدود بلاده ومنع التجار من الدخول عندما علم أن التجار يثيرون عليه رعيته لقسوته. وقد ظل هذا الوضع بضع سنين إلا أن اتصالات جرت بين التجار والكاباكا ادت إلى اعادة فتح الطريق التجاري عام ١٨٦٠ بشكل منتظم.

ومنذ بداية عام ١٨٥٠ كان التقدم داخل القارة أكثر اثارة . فقد وصلت إحدى القوافل عام ١٨٥٢ إلى بنغويلا على الشاطئ الغربي للقارة بقيادة ثلاثة من العرب حاملة معها العبيد والتاج . وكانت القافلة قد خرجت من باغامويو علىالشاطئ الشرقي للقارة قبل عام ، ولكنها اضاعت كل بضائعها قبل أن تصل إلى قلب القارة ، وقد قرر قادتها مواصلة طريقهم غرباً عبر بحيرة تنفانيكا بأمل أن تتبادل بالعاج والعبيد ببضائع اخرى سمع انها مقبولة في الغرب. وقد لقيت متاعب وصعاب شتى ولم يبق من رجالها سوى ثلاثة على قيد الحياة ولاتوجد معلومات أكثر عن هؤلاء المغامرين الشجعان. وهناك رحلة أخرى قام بها عربي آخر هو سعيد بن حبيب العفيفي الذي كان أول من خرج من زنجبار بتجارة إلى قلب القارة عام ١٨٤٤. وبعد ذلك قام بثلاث رحلات أخرى على الأقل عبر القارة حتى وصل مملكة (لواندا Loanda) حوالي عام ١٨٥٥. وقد التقى هذا بالمكتشف المعروف دافيد ليفنفستون في ايلول ١٨٥٥ وكان هذا عائداً من لواندا. وكان على حافة الهلاك لولا مساعدة سعيد بن حبيب. وقد شجع ليفنفستون سعيد بأن يقوم بأول رحلة تصل إلى الشاطئ الغربي ، وقد حصل الاثنان على العاج لدى سيكيليتو رغم لنيانتي الواقعة على شاطئ نهر الزامبيزي ، وكان يأمل

مبادلتها ببضائع تجارية وبتشجيع من ليفنفستون واصل سعيد طريقه إلى الشاطئ الغربي.ولكنه حصل على العاج من سيكيليتو أكبر مركز في لنيانتي على شاطئ نهر الزامبيزي بمبادلتهما مع البضائع التي كان يحملها لذلك ثم عاد إلى الساحل الشرقي عن طريق بحيرة نياسا (ملاوي حالياً) ووصل زنجبار عام ١٨٦٠. وهناك اخبر القنصل البريطاني رجبي Rigby عما شاهده وعن قلة الحوادث التي مرت عليه رغم مروره في بلادفي بلاد لايعرف لغاتها ولكن رجاله من الحمالين سرعان ماتعلموا مختلف اللهجات التي لاتعد ولاتحصى.

كان العاج أكثر المواد التجارية اهمية لدى التجار في كل رحالاتهم نحو الداخل. ولم تكن تجارة العبيد حتى ذلك الوقت لتهمهم كثيراً إلا أن النقص في الحمالين وبخاصة عند العودة اثار اهتمامهم بالرقيق وكان استخدامهم لغايتين رئيسيتين. أولاً حمل العاج إلى الساحل وثانياً عند الحاجة يمكن بيع الرقيق أو بالاحرى الحمالين انفسهم. ومع ذلك فعلىطول الطريق نحو تابورا وليس كما هو الحال في منطقة بحيرة نياسا كان الرقيق يشكل أهمية ثانوية بعد أن أدت المعاملة الخشنة لهم خلال الطريق لموت بعضهم أوكثيراً منهم، ويبدو أن الحمولة القليلة مهما طال الطريق فإنها توصل العاج سليماً إلى مكان ارساله . وفي نفس الوقت كان الرقيق رخيصاً في الداخل لذلك مهما كان العدد الواصل إلى الساحل قليلاً فإنه يجلب فائدة كبيرة ومن الملاحظ أن السكان في الداخل كانوا من أكلة لحوم البشر لذلك فلحم الانسان كان أرخص من لحم البقر والماعز واسهل متناول.

وقد تشجع زعماء القبائل على تزويد العرب بالعاج وخاصة عندما أخذوا يساعدونهم في تثبيت حكمهم وجمع العبيد بتحريض قرية على قربه بسبب الاسلحة النارية التي كانت لديهم مما جعلهم حلفاء لايعوضون للزعماء وقد وصل رومانيكا حاكم كاراغوبه في اوغندا

للحكم بسبب المساعدة التي قدمها له الخوجا موسى موزوري الذي تدخل في الصراع بين المتنافسين حوالي عام ١٨٥٤ حتى انهم ساعدوا رومانيكا ضد كاباكا بوغندا سونا مقابل اعطائهم كمية كبيرة من العاج. وبالرغم من انه كان باستطاعتهم لعب دور هام في الحياة السياسية للقبائل التي كانوا يتاجرون معها لم يفكر هؤلاء بالقيام بمثل هذا الدور. وقد اقام هؤلاء التجار عدة مستوطنات في تابورا وأوجيجي على بحيرة تنفانيكا حتى انهم استقروا فيها بشكل دائم ولم يعودوا إلى الساحل وكان في تابورا حوالي ٢٥ أسرة عربية وسواحيلية ومعهم رقيقهم ومستخدميهم مما يجعل العائلة تصل المئات كما اقاموا مراكز في كتنفا عند مناجم النحاس ضمن دولة المسيري التي جرى ذكرها في فصل الكونغو وفي يورو، بأفريقيا الوسطى.

وفي تابورا مارس بعض كبار التجار بعض النفوذ على الزعماء المحليين بخاصة في القضايا الأدارية مادام هؤلاء الزعماء يتعاملون معهم بصداقة ويعيشوا معهم بسلام وكان الخطر يهددهم عندما يختلفون مع هؤلاء الزعماء. كما حدث بالنسبة لزعيم المانياموزي منياوا سيرو الذي خلف والده في الحكم على تابورا عام ١٨٥٩ وكانت قبائل المانياموزي توفر للتجار كما رأينا الحمالين وقد اشتهروا بهذا العمل في كل ارجاء شرق افريقيا. وقد وصل منياوا سيرو للحكم بمساعدة العرب ولكنه أخذ يحاول فرض الضرائب الثقيلة على تجارة العرب وهنا هدده العرب بإبعاده عن الحكم ووضع اخيه مكانه. وبالرغم من الوسائل التشجيعية للتعامل معه بالاضافة إلى لباقة موسى موزوري إلا أن ميناوا كان لديه الجرأة لرفض التهديد وخلال خمس اعوام كان في صراع مع العرب واستطاع في بعض الاحيان السيطرة على الطريق التجاري وأن يكبد التجار خسارات فادحة. ولكن ميناوا كان ملكاً دون مملكة واستطاع العرب طرده من تابورا ولم يعد سوى رجل مطارد ثم اسر عام ١٨٦٥

وقتل وكان العرب سعداء بوجود أخيه غير الشقيق للحكم ماكاسيوا . Makasiwa

وكلما ازدادت المصاعب أمام القوافل العربية خلال دخولها في القارة كان عددها يزداد وأصبحت بشكل عادي تتكون من ٥٠٠ - ٦٠٠ رجل وتصل أحياناً إلى الف رجل يقودهم حوالي ٥٠ شخصاً من العرب والسواحلين أمّا غالبية القافلة فتتكون عادة من الأفارقة . ومع ازدياد الطلب على الطعام لاطعام هذه الاعداد من أفراد القافلة مما توفره المنطقة تزداد القبائل شراسة للدفاع عن نفسها . ولكن لم يكن كل زعماء القبائل يقفون ضد القوافل بل إن كثيراً منهم كانوا يتعاونون معها . ففي وسط تنفانيكا ظهرت مملكة أوزمبارا التي امتد نفوذها أحياناً إلى مسافة ١٤٠ ميلاً خلف ساحل نهر بنجاني وبلغت ذروتها في عهد كمويرى المعاصر للسيد سعيد ثم اتفق كمويري مع السيد سعيد في الاشراف على بعض موانئ تنفانيكا وقد قدر الرحاله كريف (الماني) عدد سكان المملكة بنصف مليون شخص . ويعترف كريف بأن أوزمبارا كانت تستخدم الأطباء العرب ورغم أن العرب لم يتدخلوا في شؤون القبائل إلا أن بعض هذه القبائل حسب قول /رويش / قبلت أن يترأسها أحد العرب المستوطنين بافريقيا مثل قبيلة شيمبا في /اروازامبارا / واجوجو/ في تنفانيكا الوسطى ونيامويزي في غرب تنكانيكا وقد حاول كريف أن يبعد نفوذا العرب عن كمويري ويدعى كريف بأنه لقي نجاحاً في هذا الأمر لأن كمويري رأى أن من مصلحته موازنة النفوذ العربي باستخدام مستشارين ورجال دين ينتمون إلى دولة أخرى غير دولة زنجبار التي قد تهددوا استقلاله يوما ما وعلى حد تعبيره «لقد كنت شوكه في جنبب العرب ويقول آنفام في كتابه تاريخ شرق افريقية لقد كان تصرف العرب في بوغندا شريفاً وعاقلاً عدا بعض الخلافات التي ظهرت خلال حكم سونا بسبب أن قوة ملوك (اكاباكا) بوغندا كانت

تستطيع ممارسة مراقبة قوية على التجار الذين كانوا بعيدين كثيراً عن قواعدهم . ومع ذلك فكريف نفسه أقر بقوة النفوذ العربي الأدبي اكثر منه بالقوة وهو الذي أشاع المثل المعروف «إذا وقع صغير في زنجبار رقص الناس على البحيرات wohen one pipes in zanyibes they dance on the lakas وكذلك ماذكره ليفنغسون بشأن نساما ايتاهو في تنفانيكا الذي كان مستعداً لمساعدة العرب لأنه يثق بإمكانيته واستطاعته التعامل معهم .

شخصية أخرى ظهرت خلال تلك الفترة وهو الزعيم الإفريقي /ميرامبو/ . ولايعرف الكثير عن حياة ميرامبو الأولى والتي يمكن أن تكون قد بدأت عام ١٨٦٠ . ولم يلمح المكتشف سبيك عنه مطلقاً عام ١٨٦١ عند مروره في بلاده حسب قول /انغام / ولكن في عام ١٨٧٩ أخذ اسم ميرامبو يتردد وبخاصة عن قساوته من قبل التجار العرب الذين كانوا يعملون بين تابورا والساحل ، وبخوف عميق منه ولم يقتصر ذلك على العرب بل على الأفارقة الذين كانوا يعيشون في الغرب . ورغم أن أصل ميرامبو كان غامضاً ويبدو أنه كان رئيساً صغيراً لأحدى القبائل الصغيرة إلا أنه انطلق فجأة وبسرعة وأخذ يسيطر على غيره من الزعماء في تلك المنطقة بقوة السلاح وسرعان ماستطاع بناء امبراطورية بقوته الذاتية إلى الغرب والشمال الغربي من تابورا . ومن المعروف أن أهم طريق للقوافل كان ينطلق من تابورا إلى أوجيجي وإلى ثروات ماتيما Manyemea وراء بحيرة تنفانيكا باتجاه باتجاه الجنوب الغربي حيث يتصل بطريق رئيسي آخر للقوافل نحو مملك كاراغوا وبوغندا . وببديهيته الخاصة طالب ميرامبو بأن تدفع له كل قافلة ضريبة لقاء مرورها بأرضه . بالإضافة إلى حصته من الفائدة التي تحصل عليها القافلة . ولم يقم بهذا العمل إلا بعد أن أصبح يتحكم بحوالي سبعة الآف محارب عدا خمسمائة محارب محترف كانوا مستعدين للأغارة دائماً على جيرانهم والذي يحدث لمثل هؤلاء الزعماء الطموحين أن يجمع جيشاً بطريقة ما وبما أن امكانياته

لتغذيتهم تكون ضعيفـة لذلـك كـان يطلقهـم للاعتـداء علـى جـيرانهم .
وكان على العرب أن يدفعوا له ضريبة لقـاء مـرور قوافلهـم أى أنهـم لا ينظرون للموضوع بهـذا المنظار فدفـع أي مبلـغ للـترانزيت هـو لاشـك يخفف من أرباحه كما أن /ميناوا سيريه/ جرب نفس التجربـة ، وبـالرغم من النكسات التي حلت به إلا أنه استطاع بعد ذلك أن ينتصر لذلك قرر العرب المقاومة واعتباراً من ١٨٧٠ - ١٨٧٥ نشب صـراع كبـير أدى إلى توقف التجارة غربي تابورا . ولم يكن لدى العرب العـدد الكـافي مـن الجنود الذي يمكنهم من النجاح ضـد مـيرابو بالإضافـة إلى أن عـدداً مـن جنود ميرامبو كانت لديهم أسلحة نارية والتي كان العـرب يتفوقـون بهـا على الأفارقة ورغم أن ميرابو اسـتطاع أن يصـل إلى هدفـه حيـث توقـف مرور القوافل في منطقته وأصبحت ثروة العـرب في مهـب الريـح إلا أنـه اضطر لمسالمة العرب ذلك لحاجته لمساعدتهم وعـادت القوافـل تمـر ومـع ذلك كان التوتر يخيم على الطرفين .

اغتنم ميرامبوا السلام مـع العـرب وأخـذ يهـاجم جيرانـه والقبـائل الآخرى حتى البعيدة . وكان حب القتل يجري في دمـه فقـد ولـد مقـاتلاً وكان بطول مترين وبنية قوية نشيطة وكـان دائمـاً مـع طليعـة جيشـه في الأمام .

وبعد انتهاء القتال كان يراقب تقسيم الغنائم وكـان اتجاهـه دائمـاً نحـو الجنـوب أو الشـمال ولكنـه لم يصـل مطلقـاً إلى واسـوكوما ، وإلى أوجيجي ، ولكنه نجح في إقامة علاقات مـع الكاباكـا موتيسـا في يوغنـدا عام ١٨٧٦ بعد ان قامت احدى مفارزه المسـلحة بـالهجوم علـى قوافـل موتنيسا .

استغرب الأوربيون الذين وصلوا إلى بلاده من معاملته الجيـدة لهـم بالرغم من قسوته على مواطنيه وضد جيرانـه ، فقـد امتدحـه المكتشـفون مثل ستانلي والكابتن هور وغـيرهم مـن اللذيـن زارو بـلاده . كمـا سمـح

للبعثات التبشيرية بالعمل ضمن بلاده ولكنه كان متقلب الرأي فبعد فترة قتل أحد المبشرين عام ١٨٨٠ داخل المملكة .

كانت امبراطورية ميرامبوا شخصية بحته . وهذه الصفة كانت تتميز بها كل الممالك في الشمال فقد كان ميرامبوا يضم القرى الواحد ه تلو الآخرى والتي تمتنع عن اللحاق به يدمرها وبينما يدافع عن القرى التي تضع نفسها تحت تصرفه . وكان يأخذ شبابها الأقوياء ويضمهم إلى جيشه وبخاصة من النياموزيزي ولكن عند وفاته انفرط عقد هذه الامبراطورية وتشتت فلم يكن لديها أية مقومات للبقاء ولم يترك ميرامبو سوى ذكرى مغامر قاسي ناجح أكثر منه حاكم ، وكان ميرامبو آخر قوة ظهرت للنياموزيزي .

بالإضافة إلى بعض زعاماء القبائل الذين حاولوا استغلال مرور القوافل بفرض الدية عليها أخذ العرب بعد فترة يحسون بمقاومة المبشرين الذين دخلوا إلى القارة بمساعدتهم حسب قول الآن مورهيد في كتابه النيل الأبيض ولم يحس العرب بخطئتهم إلا بعد فوات الآوان » ، وقد أتى المبشرون في آثر المكتشفين الذيم كانوا هم والمبشرين ينظرون إلى قوة العرب كعائق لهم ضد المطامع الاستعمارية التي كانوا هم أول من بشر بها ودعوا الدول الأوربية لاستغلال القارة الافريقية ومما يجدر ذكره إن القناصل الانكليز في زنجبار كانوا ينصحون السلاطين بعدم تقديم المعونة للمبشرين . وكانوا يؤيدون توطيد سلطة زنجبار في الداخل لإنهم كانوا بحاجة لهذه السلطة كي يؤسسوا من ورائها نفوذهم ولكن مع مرور الوقت أخذوا يشجعون اقامة الدويلات الافريقية لتقف في وجه نمو النفوذ العربي وربما لحفظ التوازن بين القوى المختلفة داخل افريقيا وأهم المكتشفين في ذلك الوقت هو ليفنفستون الرحالة الأسكتلندي الذي كرس حياته في رحلاته في شرق افريقية لخدمة أوربا عامة وبريطانيا خاصة وإن كان قد حاول تبرير هذه المصالح بأهداف انسانية فأدلى بدلوه

في مكافحة تجارة الرقيق وألقى على العرب تبعية ضآلة السكان شرقي افريقيا معتقداً بأن تصدير الرقيق إلى العالم الخارجي قد استنزف موارد البلاد البشرية ومن هنا أصبح تجار العرب يدركون خطر نشاط ليفنفستون على مصالحهم وقويت روح العداء التي تميز بها شعور ليفنفستون نحو العرب والسواحلية في شرق افريقيا ومع ذلك لم يستطع أن ينكر فضل العرب عليه في أعماله الاستكشافية ففي رحلته الثالثة عام ١٨٦٩ أوشك على الهلاك عندما وقع في يد احدى القبائل الافريقية لولا نجدة تيبو تيب التاجر العربي المعروف الذي أنقذه وقد وصلت الاشاعات أنه قتل فأرسلت أحدى الصحف البريطانية ستانلي للتفتيش عنه ولقيه عند بحيرة أوجيجي وعلى العكس فقد اشتهر رحالة آخر هو ريتشارد بريتون بإشاداته بأعمال العرب في المنطقة واهتم بوصف المراكز العربية التي أقامها التجار داخل القارة وبروح الحضارة التي يتمتعون بها وإدخالهم الزراعات المختلفة (إن هؤلاء التجار كما هو شأنهم في كل مكان يبدون نحو الأجنبي كرماً حاراً وحسن ضيافة بما لم أشهده في أي مكان آخر) وكان مجال انتقاد بسبب هذا التصرف حتى جرانت سبيك الذي رافقه في رحلته الأولى لشرقي افريقية ١٨٥٨ م قال أنه يتركنا ليذهب للتحدث مع اصدقائه العرب . أمّا (انفام) « فيقول لدى العرب أيضاً زعماء ذوي أهلية فعدا أن بعضهم كان قاسي القلب ويركض وراء الثروة كان لديهم رجال عظام مهذبون وقد وجد كثير من المكتشفين أنهم مضطرون لطلب مساعدتهم ومن بين هؤلاء كان العربي حامد بن محمد المعروف بشكل أفضل باسم تيبو تيب .

٢ – تيبو تيب وامبراطوريته التجارية : Tipo - Tib

هو حامد بن محمد المريجي المعروف باسم تيبو تيب ومعناها باللغة السواحلية الشخص الذي يحرك جفونه عند الحديث وهو من سلاله مختلطة عربية افريقية وقد ولد في تابورا عام ١٨٣٧ وتوفي في ١٤

حزيران ١٩٠٥ في زنجبار . وهو أشهر التجار العرب في نهاية القرن التاسع عشر في وسط وشرقي افريقية ووالده محمد بن جمعة بن رجب الذي كان على صلة وثيقة بالعائلة الافريقية الحاكمة في تابورا . وقد عاش محمد أكثر حياته في تابورا وتزوج من كاروند ابنة / فوندي كبير / زعيم الانيمانيمبه unyanyembe وهو الأسم الأصلي لمدينة تابورا وعند وفاتها تزوج محمد أختها نياسو ، وعن طريق هذه المصاهرة أصبح محمد تاجراً كبيراً كما ورث تجارة أبيه جمعة بن رجب أمّا حامد أو تيبو تيب فهو ابنه من زوجته الأولى ابنة حبيب بن بشير الذي كن ينتمي إلى عائلة تجارية كبيرة مختلطة الأصل . ومع هذا النسب السعيد ابتدأ تيبو تيب طريقه بالتجارة بعمر تسعة عشر عاماً حيث استلفت الأنظار ليس عن طريق ثراء أبيه ولكن عن طريق شجاعته في اخراج الزعيم الافريقي ميناواسيريه من تابورا وكذلك إبعاد الرجل المخيف ناساما في إيناهوا عام ١٨٦٧ حيث جرح حامد في احدى المعارك .

كانت أولى رحلاته التجارية التي يمكن أن تعتبر رحلة استكشافية للداخل في نهاية عام ١٨٥٠ م أو بداية عام ١٨٦٠ مصطحباً معه عدة رجال . ولكن في نهاية عام ١٨٦٠ ترأس حملة تجارية تحوي على أربعة آلاف رجل إلى أعماق الكونغو حيث اتصل بمملكة الميسيري في كتنفا وتعاون الطرفان مع بعضهما كما راينا سابقاً وخلال هذه الرحلة فكر بإقامة دولة له في شرق وسط القارة تاركاً كاتنفا للمسيري وضمن منطقة متزايدة الاتساع هيمن على مختلف الزعماء ورؤساء القبائل ومن يخالفه كان يبعده من مركزه ويضع مكانه غيره وكان اهتمامه الكبير منصباً على تجارة العاج لذلك أقام حصراً على صيد الفيل وأخذ يفتح الطرقات ويطور الزراعة حول المستوطنه الرئيسية له وهي كاسونغو في أعالي نهر الكونغو وقد استقر فيها حتى عام ١٨٧٥ كما استقر فيها من بعده ابنه سيفو . وفي عام ١٨٧٦ - ١٨٧٧ اصطحب المكتشف الانكليزي

ستانلي في قسم من الطريق نزولاً مع نهر الكونغو ولكنه لم يرضى باكمال الطريق معه . وبعد ذلك أرسل عدة حملات إلى مصب نهر أرويمي بعيداً ١٨٠ كم حتى ستانلي فيل آثارت هذه النجاحات اهتمام كل من السلطان برغش في زنجبار وكذلك البلجيكين وقد عرض عليه السلطان برغش التعاون ضد تهديد شركة ليوبولد الثاني ملك بلجيكا الذي كان يعمل للأستعمار الكونغو . وفي نفس الوقت عرض عليه هذا التعاون عن طريق ستانلي المكتشف البريطاني . ولكنه رفض هذا العرض وعاد إلى شلالات ستانلي عام ١٨٨٣ لكي ينشر نفوذه أكثر مايمكن علي حوض الكونغو ممثلاً للسلطان يرغش . وقد ظل حتى عام ١٨٨٦ عندما عاد إلى زنجبار مع كمية أكبر من العاج .

في ٢٢ أيلول ١٨٦٧ التقى تيبو تيب بالدكتور ديفيد ليفنفستون في قرية بعيدة عن بحيرة ميرو بثلاث مراحل . وكان هذا اللقاء أول لقاء له من عدة لقاءات تمت مع المكتشفين الأوربين وكان ودوداً لهم وقدم لهم مساعدات قوية وحيوية .

كانت المرحلة الثانية من حياته هي أهمها فبعد عدة رحلات إلىالساحل طاف الشواطئ الجنوبية لبحيرة تانفانيكا في بداية عام ١٨٧٠ ثم دخل إلى Utetra أوتيترا بين نهري لوماهي ولولابا حيث انشغل فيها ببناء امبراطوريته العتيدة التي تعتمد على تجارة العاج كما راينا وقد تحرك بعد ذلك قليلاً داخل مانيمبا وحيث التقى بالملازم البريطاني كيمرون الذي كان قد أرسل من قبل الجمعية الجغرافية الملكية للتفتيش عن ليفنفستون في منطقة نفوذ تيبو تيب عام ١٨٧٤ وقدم لهم مساعدة قيمة وكان ذلك قبل لقائه بستانلي ١٨٧٦ - ١٨٧٧ وفي عام ١٨٧٩ وصلت إليه الرسل من زنجبار للعودة لأنهاء بعض المشاكل المتعلقة بالتمويل التجاري قبل سنين ولكن امبراطورية تيبو تيب كانت بحاجة إلى سنة أخرى من أجل استقرار الأعمال فيها قبل أن يعود بقافلة العاج .

وخلال غيابه في مانيميا نشب الصراع بين العرب وميرامبو زعيم النياموېزي . وكان هناك شك في استطاعة تيبو ان يمر بهذه القافلة الكبيرة بين بحيرة تنفانيكتا وتابورا حيث كانت سلطة ميرامبو ولكن ميرامبو كان معجباً بتيبو تيب وربما كانت المساعدة التي قدمها جد تيبو جمعة بن رجب إلى جد ميرامبو ليتمكن من الوصل إلى زعامة احدى فروع دولة أوجوا التي ورثها ميرامبو ، دخل في ذلك وربما كان ميرامبو حسب قول أنفمان يحاول فصل أكبر التجار العرب تأثيراً عن بقية التجار بالاضافة إلى أسباب أخرى أدت إلى جعل قافلة تيبو تيب تمر بسلام في بلاد ميرامبو، وبعد فترة استقبل هذا في مقره في تيبو تيب وابنه سيفو (سيف) بحفاوة بالغة بالرغم من محاولات بعضهم بدس السم لميرامبو .

وصل تيبو تيب إلى زنجبار في تشرين الثاني ١٨٨٢ حيث وجد السلطان برغش قلقاً من ازدياد مصالح الأوربين في شرقي افريقيا لذلك عرض على تيبو تيب أن يجعله والياً على تابوره ويكون ممثله في المنطقة إلا أن تيبو تيب رغم كونه في النهاية من أتباع سلطان زنجبار وولائه له إلا ان قوته الخاصة في مانيميا هي أوسع وأشد صلابة من مملكة برغش نفسه التي يأمل أن يمدها إلى أرض القارة في شرقي افريقيا بالإضافة إلى ذلك هناك البلجيكيون الذين كانوا يعرضون على تيبو تيب أن يدخل معهم في علاقات لمراقبة التجارة في أعالي الكونغو ، وقد علم أو كان يعلم برغش بتلك الأنباء ويعترف بقيمة وقوة وثبات وضع تيبو تيب في مانيميا كعامل توازن للنشاط الأوربي في أفريقيا لذلك لم يصر على احياء مشروعه الأول بجعل تيبو تيب والياً على تابوره من قبله بل على العكس طلب منه العودة بسرعة إلى مانيميا منطقة نفوذه حيث وصلها في منتصف عام ١٨٨٣ وكانت قوته مهددة بتقدم قوات دولة الكونغو الحرة التي أقامها ليوبولد الثاني بتأييد من الدول الكبرى وجمعيات مكافحة الرقيق لمصالح انسانية في حين كان يعمل لحسابه الخاص وتوطيد امبراطورية خاصة به

أسوةً ببقية الامبراطوريات الأوربية التي بدأت بتقسيم القارة بخاصة بعد مؤتمر برلين . وقد اضطر تيبو تيب للاعتراف بتفوق الأوربين عليه لذلك قبل بأن يحكم منطقة شلالات ستانلي باسم دولة الكونغو الحرة عام ١٨٨٧ عن طريق ستانلي وكان تيبو تيب في قمة مجده وكان كل من زعماء كوسنغو ، وليبونجو ، وريبا ريبا من عائلته كما يعتبر صديقاً لستانلي (كما ذكر بعد لقائه به عندما كان استانلي يحضر نفسه للنزول مع مجرى الكونغو) حيث استشاره حول إمكانية هبوطه مع نهر لولابا وهو على بعد ١٥٠٠ كم من المحيط الأطلسي و١٤٠٠ كم من المحيط الهندي وقد دله تيبو تيب على الطريق الأسهل نحو الغرب وإن كان قد رفض مواصلة الطريق معه .

كان ستانلي في زنجبار في شباط عام ١٨٨٧ لكي ينظم حملة لنجدة أمين باشا وقد التقى بتيبو تيب واقترح عليه باسم ملك بلجيكا ليبولد الثاني قيادة منطقة الشلالات وعقد اتفاق بين الاثنين لقاء ٧٥٠ فرنك في الشهر على أساس أن يحترم تيبو تيب سلطة الدولة البلجيكية اعتباراً من اوريني ومنع تجارة الرقيق فيها وعين معه احد الضباط البلجيكين وهو هانوس ليكون بجانب تيبو تيب الذي أصبح حاكماً لثلاث مقاطعات في دولة الكونغو الحرة ولكن تيبو تيب وجد نفسه عندما تقلد منصبه مثبتاً بمنصب دون امكانيات وكان الأوربيون يتوقعون منه الوقوف في وجه أخوانه العرب الذين تحت سلطته ولكن دون أن يعطوه السلاح اللازم بالاضافة إلى أن العرب انتقدوه لشغله هذا المنصب لدى أعدائهم لذا ترك منصبه في نيسان ١٨٩٠ وترك الشلالات نهائياً في حين تعرض ليبولد الثاني لانتقادات عنيفة من الصحافة الأوربية في ذلك الوقت كانت العصبية الصليبية تحرك الأوربيين في معاداتهم للعرب والمسلمين حتى ولو كان الهدف التعاون معهم انسانياً ويقال أنه عاد إلى زنجبار ليدافع عن

نفسه ضد اتهامات ستانلي له بأنه لم يفي بالاتفاق الذي عقد بينه وبين ستانلي لتزويد الأخير بالحمالين لرحلته الأخيرة .

وعلى كل حال فأيام العرب في مانيميا شرق وسط القارة أو شرق الكونغو أصبحت معدودة فقد أخذت قوات ليوبولد الثاني بالهجوم على تجار الرقيق في أعالي الكونغو في بداية عام ١٨٩٠ وقد اعترضهم العرب كما سنرى على طول الطريق التجاري الذي كان يسيطر عليه الألمان وحاولوا المقاومة دون أمل بالنجاح وقد أمضى تيبو تيب بقية حياته في زنجبار وعندما شاهده أحد العسكريين الشباب عام ١٩٠٣ وقال عنه أنه بالرغم من غناه الفاحش وكرمه الذي لايجارى لم يكن مطلقاً مهذاراً أو ثرثاراً ويبدو نه كان يرفض العودة إلى ايام تجارة الرقيق .

لم يؤسس تيبو تيب دوله ذات قواعد ثابته كدولة ميرامبو ولكن ميرامبو كان طاغية وقاطع طريق وقد انتقلت إليه السلطة ببساطة عن طريق شخصيته حيث انتقل من وضع محلي إلى وضع أكثر شمولية كغيره من الزعماء الذين سبقوه أمّا تيبو تيب فكان شيئاً استثنائياً في زمنه ففي أيامه كان شرق افريفيا يتعرض فجأة إلى تأثيرات وتطورات بين شعوبه . إن أي شخص يمتلك المعرفة أكثر من حدود الحرب المحلية والخرافات يصل إلى وضع ما أو لايصل ، ولكن عبقريته هي لتي تؤهله ليصبح مرموقاً في منطقة واسعة يمكن أن تكون أكبر من البلاد الأوربية التي عرفته أو تعرف عليها .

كان تيبو تيب رائدا في التجارة وهو الذي كان يوجهها في زمانه وهو يختلف عن غيره من التجار العرب فقد عمل على أن يضع نوعاً من التنظيم السياسي لإمبراطوريته التجارية ، وعندما استطاع تركيز نوع ما الادارة المحلية ابتعدت الأحكام الجائرة وطريقة التعامل وبخاصة ليونة النظام التجاري الذي فرضه . وكان توافقاً لنشر المعرفة في هذه البلاد

المتوحشة والتي كان بعضهم يعتقد بأنها غير مطروقة وأهلها وحوش لايمكن المرور فيها .

٣ - الوضع في زنجبار بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان والهيمنة البريطانية :

خلال الفترة التي كانت فيه العناصر العربية تعمل لتوطيد سلطتها ونفوذها داخل القارة الافريقية كانت زنجبار تقع شيئاً فشيئاً تحت السيطرة البريطانية مستغلة الخلافات الداخلية من جهة وازدياداً أهمية المنطقة بالنسبة لها بعد ازدياد توارد العناصر الأوربية إلى المنطقة التي كانت الطليعة في امتداد النفوذ الأوربي وتقسيم شرق افريقيا وكان الانكليز هم الموجهون في كل الأمور التي أدت إلى تقسيمها وإبعاد كل تأثير عربي عنها .

والواقع كان السيد سعيد يلقى صعوبة كبيرة في المحافظة على تماسك دولته بالرغم من سمعته الأدبية والمعنوية وكان تعيين اثنين من أبنائه أحدهما يجلس في مسقط والثاني يجلس في زنجبا ربداية التقسيم وخلفه ابنه ماجد في زنجبار في حين أصبح تويني حاكماً على مسقط . وقد أدت الخلافات بين الطرفين للتدخل البريطاني وبالتالي إلى التقسيم الذي اقترحه اللورد كاننغ نائب الملك في الهند عام ١٨٦١ وبعد موت ماجد عام ١٨٧٠ عادت المشاكل بين القسمين وكل قسم يعمل لاسترجاع القسم الآخر واستغلت بريطانيا هذه الخلافات لتزيد سيطرتها على مسقط وزنجبار لأن كلا الطرفين كان يعتقد بإمكانية مساعدتها له في حين كانت بريطانيا متشبثة بالتقسيم بشكل مطلق إنه الوحيد الذي كان يمكن مساعدتها باعتبار التقسيم دعامة من دعائم نفوذها في الشرق الافريقي وعمان أيضاً .

وبعد وفاة السلطان ماجد في بداية عام ١٨٧٠ منعوا أخاه تركي من استلام الحكم في زنجبار رغم أهليته لأن لديه الطموح في توحيد

المملكة وآثروا عليه أخاه برغش عدوهـم القديم الـذي كـان معتقـلاً في بومباي وكانوا يعتقدون أن سنوات النفي ستلين مـن طباعـه وطموحاتـه القومية . وكان هذا يعمل بالاتفـاق مـع أخيـه ثويـني في مسقط لتوحيـد المملكة وتوليته سـلطنة زنجبـار مكـان أخيـه مـاجد ولذلـك حـاول إثـارة القبائل على أخية وبخاصة الحـوارث (قبيلـة الحـارثي) الـتي تعتـبر العائلـة الثانية في عمان من الناحية المعنوية وحتـى في زنجبـار حيـث كـانت تحكـم احدى جـزر باسـم سـلطان عمـان كمـا حكمـت في زنجبار في وقـت مـا وكانت لها مطامعها الخاصة أيضاً وجرب الانقلاب على أخيه بالتعاون مع الفرنسيين وكان يرغش يكـره الانكليـز كثـيراً في اول حياتـه . وفي عـام ١٨٥٩ (تشـرين الأول) أعلـن الثـورة علـى أخيـه وتحصـن في مزرعتـه ولكن ماجد استطاع بمعونة الانكليز القضاء علـى الثـورة في حـين نصـح الانكليز الفرنسيين بعدم التدخل في شؤون زنجبار . وقد نفي برغش اثـر ذلك إلى بومباي ولم يسمح له بالعودة إلا بعد صدور التحكيم الذي قسم المملكة إلى قسمين . وكان ماجد مرحباً بالتقسيم ويعمل له ويحاول قطـع علاقات زنجبار مع الساحل الغربي كلياً وذلك عندما طلـب مـن مشـايخ المنطقة عدم ارسال مراكبهم إلى زنجبار .

كان استلام يرغش للسلطة بدعم من الانكليز بداية انهيـار النفـوذ العربي في السلطنة فقـد أخـذوا يضيقـون عليـه الخنـاق تدريجيـاً وأخـذوا يتدخلون في كل الأمور ويجعلوه يتدخـل فيهـا بعـد ماكـان والـده السيد سعيد لايتدخل في شؤون القبائل الداخلية إلا من الناحية المعنوية وبطلـب منها . بينما أصبح الجيش تحت سيطرة أحد الضباط الانكلـيز الـذي بـدأ يحل الأفارقة فيه مكان العرب . وقد نجح القنصل كيرك في توطيـد لنفـوذ البريطاني تدريجياً طوال عهد يرغش حتى انتهى به الأمر إلى القضاء علـى آخر مظهر من مظاهر استقلال زنجبار ووزع ممتلكاتها بين الدول الأوربية وقد انعكس هذا كمـا سـنرى عـل الجاليـات والامـارات العربيـة داخـل

القارة وحيث بقيت دون سند في نضالها ضد البلجيك رغم محاولات يرغش للتعاون مع تيبو تيب إلا ان الانكليز أخذوا يثيرون على تيبو تيب القبائل داخل القارة وفي الكونغو خاصة في الوقت الذي كانوا يسهلون الأمر أمام البلجيك وقد استغل كيرك بخاصة قانون إلغاء الرقيق استغلالاً كبيراً وطبقوه على املاك يرغش في زنجبار نفسها وداخل القارة عندما بدأت تجارته تتجه نحو السواحل الشمالية والسودان ابتعاداً عن استخدام البحر لوجود الأسطول البريطاني . ورغم أن الساحل ازدادت أهميته من الناحية الاقتصادية بالنسبة للتجارة الأوربية لإن التجار السواحلية اضطروا لإيجاد مواد أخرى للتجارة ولاسيما المطاط حيث أصبحت أهميته تعادل العاج والصمغ وقد أدى ذلك إلى ضعف صلات زنجبار ببلاد العرب والعالم الاسلامي عموماً ولإن هذه الأقطار لم تكن بحاجة إلى مثل هذه المواد الأولية الصناعية والتي تحتاجها الصناعة الأوربية في نهضتها الصناعية وزاد في اهتمام الأوربين بالسيطرة على المنطقة وخاصة الألمان الذين بدأوا يركزون نفوذهم في تانفانيكا . وكانت هذه النتيجة البعيدة لتقسيم امبراطورية البوسعيد ، فزنجبار التي قطعت علاقاتها بالعالم العربي لم يمكنها الانكليز من ان تكون دولة افريقية رغم ازدياد النفوذ العربي داخل القارة من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، ولكنهم في الوقت ذاته كانوا يتعرضون للذوبان اجتماعياً وجنسياً في البيئات الافريقية ولم تكن هذه الجاليات ترتبط بزنجبار إلا من ناحية الولاء الاسمي . وهذا التشتت هو الذي أدى إلى هزيمتها أمام الأطماع الأجنبية وربما لو كانت الصلات أقوى والتعاون أشد لما استطاع البلجيك القضاء على الدويلات العربية بهذه السهولة وكانت هي الآخرى تعاني من عدم الوحدة فيما بينها وقاتلت كل واحدة بمفردها ومما يؤسف له أنه في الوقت الذي كانت فيه زنجبار تعاني من الاطماع الأجنبية في املاكها على ساحل شرق افريقية كانت تتعرض أملاكها في الشمال للنفوذ

البريطاني تحت ستار النفوذ المصري ، ولم يستفد الزنجباريون ولاالمهديون في السودان من كونهم عرباً ومسلمين للعمل ضد الاطماع الاجنبية لذلك سقطت السودان وكينيا بيد الانكليز وسقط الصومال بيد الايطاليين والفرنسيين والانكليز في حين وحد الالمان نفوذهم في تنفانيكا والبلجيك في شرق وسط الكونغو . في الوقت ذاته كانت فيه أكبر دولة اسلامية (الرجل المريض تركيا) تسير نحو مصيرها المحتوم جارة معها العرب للوقوع تحت الاستعمار الأوربي وهكذا العرب خاصة والمسلمون عامة لا يغلبون إلا عن تفرقة و لله في خلقه شؤون ولاحول ولاقوة إلا با لله .

٤ – الطرق التجارية والموانئ الداخلية :

تعتبر الطرق التجارية أو بالأحرى شبكة الطرق التي أقامها العرب بين الساحل والداخل أهم عمل قاموا به ولاتزال آثاره باقية فعن طريق هذه الشبكة استطاعوا إقامة اتصال بين الساحل والداخل استخدمت فيما بعد لاقامة الطرق الحديثة وخطوط السكك الحديدية وحول هذه الطرق أقاموا المراكز التجارية التي تحولت إلى مدن وأصبحت مراكز حضارية ساعدت الأفارقة للتعرف على أنواع جديدة من الحياة العصرية أو الحياة الاجتماعية التي يدأو بتقليدها وحول هذه المدن ظهرت بعض الزارعات واستغلت الأرض التي حولها لتأمين حاجاتها من الغذاء وأدى ذلك إلى دخول عدد كبير من السكان بالاسلام تطورت حياتهم إلى الأفضل بخاصة تستر النساء والأبتعاد عن العري واتباع التقاليد وما جاء به الأسلام في المعاملة وإزالة الفوارق بين السكان والابتعاد عن الخرافات ... الخ وعن طريق هذه الشبكة وصلت البضائع الأجنبية إلى داخل القارة والعكس بالعكس وتعرف سكان الداخل على مايجري في العالم الخارجي بعيداً عن بلادهم . ولولا هذه الطرق لما استطاع المكتشفون الأوربيون الدخول إلى أعماق القارة .

كانت زنجبار رغم كونها جزيرة مركز البداية أو رأس الشبكة التي تنتهي عندها كل الخيوط . وإذا كانت الطرق في أوربا - كما يقال - كانت تؤدي إلى روما ، فكل طرق الداخل كانت تؤدي إلى زنجبار فالقوافل كانت تحضر نفسها وتجهز نفسها بالمواد والغذاء والحماليين والأدلاء . وتكون المواد والغذاء من زنجبار مع الأدلاء أمّا الحمالون فغالباً ماكانوا يوجدون على الساحل وبخاصة من قبائل النيومويزي .

أمّا أهم مراكز الانطلاق الساحلية فكانت باجامويو Bagamoyo قبالة جزيرة زنجبار ثم في الشمال مصب نهر بنجاني أو موقع تنفا Tanga أو ممباسا أيضاً ثم كلوا إلى الجنوب .

من باجا مويو يتجه الطريق جنوباً ثم ينحني في اتجاه شمال شرقي لتجنب المرتفعات وتقع أهم المستوطنا العربية على طول هذا الطريق وأهما تابورا الواقعة على بعد ١٠٠٠ كم من الساحل وينتهي هذا الطريق عند بحيرة تنفانيكا وإلى ماوراء البحيرة وكانت القوافل تعبر البحيرة وتنطلق إلىالداخل أي القسم الشرق من حوض الكونغو (زائير حالياً) وتصل إلى أبعاد تزيد إلى أكثر من مئتي كيلو متر بعد البحيرة . أمّا طريق كلوا في الجنوب فينتهي عند بحيرة نياسا (مالاوي حالياً) وربما إلى أبعد حيث كانت هي الأخرى مركز انطلاق .

أمّا الطريق الثالث فهو اطولها فيبدأ سواء من ممباسا أو مصب نهر بانجابي أو تنفا ويمر حول الحوافي الجنوبية لجبل كليما نجارو من هناك كانوا يعبرون بلاد الماساي ويواصلون طريقهم نحو خليج كافيروندو في بحير فكتوريا وحتى إلى ماوراء ذلك ولكن هذا الطريق لم يكن مأموناً وغير مطروق بشكل جيد لوجود الماساي الذين كانوا بعض الأحيان يعترضون القوافل وهناك معلومات قليلة عن الرحلات التي تمت عبر هذا الطريق وأهمها رحلة جمعة بن مبوانا عام ١٨٥٢ وهو سواحلي ومن الممكن وجود دماء هندية لديه . وقد تعب جمعة جداً من هذه الرحلة ولم

يعد يفكر مطلقاً بالعودة عن هذا الطريق . كما تردد التجار العرب على عاصمة مملكة يوغندا وأصبحوا على مقربة من التجار الذين يأتون إلى هذه المناطق من السودان . ومن المعروف أن ماسيندي الواقعة بقرب نيل فكتوريا قد أقامها المصريون في زمن اسماعيل وكان من الممكن الاتصال بين الفريقين لولا أن ملك يوغندا كان يمنع عرب السواحل من المرور بمملكته ومما لاشك فيه إن هناك طرق أخرى لم يكن التجار يعلنون عنها كعاداتهم في اخفاء طرقهم الخاصة للوصول إلى منابع الثروة . لو تحدث هؤلاء التجار كما تحدث المكتشفون عما شاهدوه لوجدنا أمامنا معلومات مفصلة عن تلك المناطق من مختلف النواحي كما هو الحال مع الرحالة العرب في غرب افريقيه .

ومع ذلك هناك معلومات مهمة حول استخدام هذا الطريق وإلى أبعد إلى الشمال في عام ١٨٦٠ فعلى خريطة ج كريستي التي وضعها حول امكانية وصول مرض الكوليرا التي ضربت شرق افريقية بين عامي ١٨٦٤ - ١٨٧١ من البلاد العربية حيث عبرت البحر الأحمر والمحيط الهندي خلال طريقين .

- الأول يمر من اثيوبية ويدخل شمال كينيا ويتجه بعد ذلك جنوباً ليصل إلى الطرف الشمال لبحيرة بارنغو ومن هناك يتوزع فرع يدرو باتجاه الغرب من منطقة نيغاشا إلى بحيرة فكتوريا والفرع الآخر يتجه نحو كليمانجارو . ومن كليمانجارو يواصل طريقه متجهاً نحو نهر بانغاني ثم إلى الساحل وزنجبار ثم يجتاز مرة ثانية البحر إلى الساحل ويلتقي في باجا ميو الطريق الرئيس نحو بحيرة تنفانيكا .

- الثاني عبر جنوب الصومال حيث مصب نهر جوبا - الذي يلتقي في كثير من الأوقات وخاصة خلال الامطار الغزيرة بنهر شبيللي القادم وهو الآخر من الشمال وقبل وصوله الساحل يتجه جنوباً ليلتقي بنهر جوبا أمّا في الأوقات العادية فينتهي في مستنقع قرب مدينة جلب

الصومالية. ويمكن أن يكون هذا المستنقع مجالاً لانتشار مرض الكولـيرا. وهذه أدلة على وجـود طـرق تجاريـة غـير معروفـة وقـد اجـتزت في عـام ١٩٦٦ اغلب هذه الطرق بالسيارة كانت لا تـزال طرقـاً ترابيـة خطـرة عبر الغابات .

وهناك خريطة اخرى اثبتت ما ذكر عن هذا الطريق وقـد ظهـرت هـذه الخريطـة في جريـدة الجمعيـة الجغرافيـة عـام ١٨٧٠ حيـث تصـف الطرقات التجارية في منطقة شمال كليمانجارو كتبهـا «ت . واكفيلـد» في كتابه طرقات القوافل الطبيعية من الساحل إلى داخل شرق افريقيا» وهو مبشر كان يقيم في ممباسا مستنداً إلى معلومات اعطاه إياهـا احـد التجـار العـرب وهـو السـيد «سـعدي بـن حميـدي» وقدكتـب الجـنرال مـاثيوس (وكـان قـائدا لجيـوش السـلطان عـام ١٨٨٥) ملمحـاً إلى وجـود تجـار وطنيين، وهم أصدقاء له ، كانوا يرافقـون القوافـل التجاريـة الـتي تحمـل العاج داخل بلاد الماساي ، ويقول انفمان «إن تعريف كلمـة وطـني الـتي يسـتخدمها مـاتيوس غـير واضحـة ولكــن مــن المحتمــل أنــه يشــير إلى السواحيليين على الساحل ، ولكن هناك نتيجة واحدة لهـذه الأشـارة هـو أنه كان هناك اتصال مع الماساي من أجـل العـاج ولكـن لم يكـن عامـاً في منتصف عام ١٨٨٠ وحتـى قبـل منتصـف القـرن التاسـع عشـر كـانت قوافل الواكيمبا تحمل العاج إلى الساحل في ممباسا حيث تشجع العرب في تاريخ سابق عندما سمعوا بوجود المستودعات الكبيرة من العاج لنقلها مع الطريق الشمالي وراء بحيرة بارينفو وإلى جبل /ايليفون/ وابعـد مـن ذلـك شمالاً إلى ارض قبائل السوك والتوركانا.

٥ – القضاء على دولة العرب في شرق الكونغو :

منـذ أن بـدأت الأمـم الأوربيـة بخاصـة الغربيـة تتطلـع إلى خــارج حدودها وتعمل للوصول إلى ثـروات الشـرق مقتفيـة آثـار الأمبراطوريـة الرومانية التي هزمـت امام العـرب في الـيرموك وذات الصـواري كـانت

تقدم اعذاراً وحججا واهيه للوصول إلىمآربها ، فقد اتخذت حجة تخليص قبر المسيح من العرب والمسلمين للسيطرة على فلسطين وسورية وظلت الأقوام الأوربية الغربية حوالي مائتي عام تعبث فساداً وخرابا في مختلف السواحل العربية الأسيوية والأفريقية. ويؤيد ذلك موقفهم الحالي من القدس وقبر المسيح واحتلال اليهود ولكل الأماكن المقدسة المسيحية والاسلامية وقد خرب البرتغاليون في القرن الخامس عشر مختلف السواحل الأفريقية والعربية بنفس الحجة وهيمنوا على المنطقة خلال مائتي عام تقريباً ، وقد لحقت بهم الامم الأوربية الغربية التي لم تكن تخفي غاياتها واهدافها الاستعمارية في كل من اسيا وأفريقيا وبعد أن ظلت هذه الأمم تعمل لنقل الرقيق من افريقيا إلى مستعمراتها الأخرى عدة قرون انقلبت هذه إلى مدافعه عن الرقيق ومن خلال تطبيق مبدأ إلقاء تجارته سيطرت على القارة الأفريقية وأخرجت العرب من شرق افريقيا على اساس أن العرب وحدهم هم تجار الرقيق ويمكن تشبيه استغلالهم لمنع تجارة الرقيق بما يحدث الآن من تدخل في شؤون الدول الآخرى بحجة احترام حقوق الانسان. ومحاربة الإرهاب ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل

لقد استغلت بريطانيا مبدأ إلغاء تجارة الرقيق للسيطرة على شرق افريقيا وتقاسمتها مع المانيا القيصرية وايطاليا الأمبراطورية. أمّا بلجيكا هذا البلد الصغير وبإمكانياتها الضعيفة استطاعت احتلال الكونغو وسيطرت على منطقة مساحتها أكبر بعشرات المرات من مساحة بلجيكا وذلك بدعم جمعيات مكافحة الرق. وشنت حرباً لاهوادة فيها على الجاليات العربية التي استقرت في شرق الكونغو منذ عشرات السنين ، وقد لعب المبشرون والمكتشفون دوراً رئيسياً في اقتسام القارة بين الأمبراطوريات الاستعمارية . ففي الوقت الذي كان فيه المبشرون ينتشرون في مختلف ارجاء المنطقة كان المستكشفون يخترقون القارة بحجة

اكتشاف منابع النيل واستطلاع نهر الكونغو والزامبيزي في الجنوب ونهر جوبا في الشمال. وعن طريق رحلات ستانلي في الكونغو وغيره استعمرت الكونغو كما سنرى وبقية الأجزاء الأخرى .

٢ - استكشاف نهر الكونغو (زائير) في القرن التاسع عشر

اوقف سد الشلالات السريعة في النهر طويلاً «عملياً حتى ستانلي وبرازا» اكتشاف الكونغو من الناحية الغربية وعلى العكس فعن طريق منابع النهر تم اكتشاف حوض الكونغو أمّا اعتباراً من المنطقة الجنوبية في افريقيا : (لفنفستون) أو اعتباراً من زنجبار «برتون . سبيك . غرانت . كاميرون» أو اعتباراً من اعالي النهر «بيكر شويتغورس» . ومن الملاحظ أن أغلب المكتشفين كانوا من الأنكليز.

- فمن الغرب قامت عدة حملات استكشافية اولها كانت فاشلة بقيادة توكاي ١٨١٦ يدعم من الجمعية الجغرافية الانكليزية في لندن التي هالها في نهاية الحرب النابليونية قلة المعلومات عن الكونغو (خلال ثلاثة قرون) من مصبه وكان الهدف من الحملة التي استخدمت مركباً شراعياً في الكونغو لاكتشاف مجراه وعلاقته بنهر النيجر وعن المجتمعات والحياة الحيوانية والنباتية على طول مجرى النهر وقد فشلت الحملة فشلاً ذريعا حيث قتل توكاي وقضى مع اغلب الحملة التي كانت برفقته. وتبعه المكتشف لاويسلاس ما جيار الذي كان اول رحالة منفرد وقام عام ١٨٤٨ حيث صعد مع مجرى النهر حتى شلالات «ياليلا» ودخل مجرى كوانزا حتى كوانفو.

١ - رحلة لنغنجستون في منطقة ديلو لو واعالي الكاساي عام ١٨٥٤ : بعد قيام لنغجستون برحلاته نحو بحيرة نغامي ١٨٤٩ والزامبيزي ارسل زوجته واولاده الثلاثة إلى انكلترا . ترك لينيانتي في ١١ تشرين ثاني ١٨٥٣ وفي ١٩ وجد قرية سيشيكيه . وفي شباط ١٨٥٤ وصل إلى السهول المستنقعيه حول بحيرة ديلولو ثم اجتاز

الكاساي «نهر جميل بعرض مائه متر يشبه «الكليد Clyde» ويجري نحو الشمال. وبذلك اجتاز خط تقسيم المياه بين الزامبيزي والكونغو . ثم تابع طريقه نحو لواند حيث وصلها في مايس. وفي بداية عام ١٨٥٥ انطلق مرة ثانية مع اصدقائه من ماكولو Makolo ووصل إلى كيليمان في ٢ مايس ١٨٥٦ ، وإذا كانت رحلة ليغنجستون لاتهم كثيراً الكونغو إلا أنها اثبتت سهوله الدخول إلى ديلولو عن طريق لواندا بعد ذلك اتى الملازم غراندي عام ١٨٧٣ بهدف اكتشاف الغرب الأفريقي . وقد وصل إلى سان سلفادور عاصمة الكونغو السابقة (انظر فصل الكونغو) التي كانت خرائب فقط عندما رآها المكتشف المذكور . وجاء بعده كل من بوغ Bogge ولوكس ١٨٧٤ - ١٨٧٧ والأول الماني والثاني نمساوي بهدف اكتشاف داخل انغولا. وقد انفصل بوغ عن لوكس عندما وصلوا إلى كيمبوندو واستطلع منطقة اعالي الكاساي وأخيراً استقر لمدة سنتين في لولوا حيث يقيم الزعيم الكونغولي مواتا يامغو وقد قص تجاربه مع هذا الأخير في كتابه ايامي مع مواتايامغو باللغة الالمانية.

٢ - أمّا اكتشاف البحيرات الكبرى فقد بدأ بها برتون وسبيك البريطانين عام ١٨٥٨ برحلتهما التي كانت تستهدف اكتشاف بحيرة تنفانيكا بتوجيه من الجمعية الملكية الجغرافية في لندن «هدفكم الرئيس اختراق الداخل ابتداء من كلوا أو أي مكان من الساحل الأفريقي والوصول إلى بحيرة نياسا (المشهورة) وعندما تحصلون على كافة المعلومات التي بإمكانكم جمعها مواصلة الطريق نحو الشمال حيث سلسلة الجبال المذكورة على خرائطنا فمن المحتمل أن تجدوا منابع النيل. أمّا هدفكم الثاني الكبير فهو اكتشاف هذه الينابيع . ويمكنكم بعد ذلك العودة إلى بريطانيا أمّا بالنزول مع النيل أو بالطريق الذي سلكتموه أو بأي طريق آخر حسب اختياركم . ويجب أن تأخذوا دائماً بعين الاعتبار ما لديكم من وسائط.

وقد وصل المكتشفان إلى بحيرة تنفانيكا في ١٣ شباط ١٨٥٨ واكتشفوا شمال البحيرة.

وفي ١٣ تموز اكتشف سبيك ما اصبح يعرف باسم بحيرة فكتوريا. وعندما اصطحب غرانت عام ١٨٦١ أظهرا بنزولهما مع النيل انها أحد الينابيع الكبرى لنهر النيل.

٣ - بعد ذلك اكتشف بيكر بحيرة البرت عام ١٨٦٤ وقد التقى به كل من سبيك وغرانت في غوندو جورو في نهاية عام ١٨٦٣ وكان اسم البحيرة نفوتان نزيفبيه M` votan n`zigbe فأطلق عليها بحيرة البرت تيمناً باسم الأمير البرت زوج الملكة فكتوريا وقد اثبت بيكر أن هذه البحيرة وبحيرة فكتوريا هما من منابع النيل حسب ما هو موجود في خريطة الجغرافي الروماني بطليموس.

٤ - رحلة ليفنجستون إلى لوالابا : وقد ابتدأ في كانون ثاني ١٨٦٧ رحلته بالصعود مع نهر روفوما وحيث وصل في اول نيسان إلى جنوب بحيرة تنفانيكا وفي ٨ تشرين ثاني وجد بحيرة مويرو . وسمح له هذا الأكتشاف بتحديد جزء من مجرى ما سيعرف بنهر كتنفا وقد ذكر في يومياته «في النهاية الغربية يجري الماء الذي يشكل نهر لوالابا . وقبل وصوله إلى البحيرة باعتباره اخفض منها ومن الذكاء حسب المعلومات أن نطلق عليه هنا شامبيزي قبل دخوله إلى بحيرة بنفويالو Bangaueala».

وقد تردد ليفنجستون أيضاً بين منابع النيل ومنابع الكونغو حسب قول برنارد دوثولكس في كتابه «خمسة آلاف عام من الأكتشاف في افريقيا» «هذه المشكلة لم تترك لليفنجستون أي مجال للراحة. وقد اغلق في نهاية سنين حياته على نفسه في مربع بين الدرجة (٥) والعرض ١٠ جنوباً من جهة ومن جهة أخرى بين لوالابا وتنفانيكا وأخذ يعيش هناك كفيلسوف في كوخه مثل الرسام في مرسمه عبداً لقوة داخلية» .

وفي ١٨ تموز عام ١٨٦٨ التقى ببحيرة /بانفويلو/ ثم انطلق مرة

ثانية نحو الجنوب حتى اوجيجي على بحيرة تنفانيكا والتي وصلها في آذار ١٨٦٩ وفي ١٢ تموز اجتاز البحيرة مرة ثانية متجها نحو الجنوب - الغربي وبعد دوران طويل وصل إلى لوالابا في آذار ١٨٧١ وكان يحاول الاجابة على السؤال فيما إذا كانت بحيرة تنفانيكا هي مكان متسع للنيل (إذا كان العكس فهل هي تصب في حوض الكونغو ، وعند عودته من لوالابا لاحظ أن لوغومبا هو مخرج مياه بحيرة تنفانيكا حيث يسمى بعد ذلك لواسيه ثم لوامو قبل أن يصب في نهر لوالابا فالانحدار العام للبلاد يتجه في هذا الاتجاه «ولكنني كنت مريضاً جداً فلم اتمكن من التأكيد من ذلك» وكان مهدماً وتعباً جداً ومع ذلك اجتاز مرة ثانية بحيرة تنفانيكا ووصل إلى أوجيجي في ٢٣ تشرين اول وفي ٢٨ استقبل الصحفي البريطاني هنري مورتن ستانلي الذي لعب دوراً كبيراً في عمليات الاستكشاف وإظهار قيمة الكونغو ومن المعروف أن هذا الصحفي الذي ولد باسم رولاند في عام ١٨٤٠ حيث اخذ اسم والده بالتبني ستانلي فيما بعد اشترك في الحرب الأهلية الأمريكية في بادئ الأمر مع الجنوبين (الكونفدرال) ثم مع الشمالين الوحدويين وعندما اعلن مدير جريدة نيورك هيرالد عن ارسال حملة للتفتيش عن ليغنجستون . وحتى ذلك الوقت لم يكن سوى صحفياً نشيطاً عاماً ولكن لقاءه مع ليغنجستون غير مجرى حياته.

كان اللقاء الأول متحفظاً على الطريقة البريطانية «السيد ليغنجستون على ما اعتقد ؟» سأل ستانلي ويقول ليغنجستون بروح هزلية أنه شعر بأن ستانلي قد ارسل «ليحصل على معلومات دقيقة عن الدكتور ليغنجستون فيما إذا كان حياً أو يعود على الأقل ببعض عظامي إن لم أكن ذلك» وقد قدم ستانلي للدكتور ليغنجستون تحريراً مرسلاً من قبل الجمعية الملكية الجغرافية من لندن تشير عليه باكتشاف البلاد شمال تنفانيكا ، وسوية استطلعا شمال نهر روزيزي حيث ظهر أنه يسير من

الشمال إلى الجنوب ويصب في تنفانيكا وبذلك استبعد كلياً من أن يكون أحد منابع النيل.

صحب ستانلي في رحلة العودة لعدة أيام ولكن القضية التي كانت تقلقه بعد قراره بالبقاء هي مشكلة نهر لوالابا وقد كتب في ٣١ مايس ١٨٧٢ «هل يمكن لنهر الوالابا الكبير أن يؤكد بأنه الكونغو إن اتجاهه نحو النيل هو الأقصر. وتؤكد ينابيعه التي تسير نحو الشمال والجنوب ذلك . ولكن منحناه الكبير نحو الغرب يعني أنه يتجه نحو الكونغو» .

بعد أن تلقى ليغنجستون التموين من الساحل انطلق مرة أخرى على أمل أن يجد منابع النيل بالقرب من بحيرة بنفويالو وقد توفي على شواطئ هذه البحيرة في ٣٠ نيسان ١٨٧٣ وسأل وهو على فراش الموت «كم يوم من المسير للوصول إلى لاوبولا؟» وقد ارسلت بريطانيا بعثتين لنجدته الأولى من الشاطئ الغربي والثانية من الشاطئ الشرقي وقاد غراندي الحملة الأولى إلا أنه توفي في سان سلفادور.

٥ - رحلة كميرون : كانت الحملة التي بدأت سيرها من الساحل الشرقي بقيادة كميرون (فيرني لوفيت كميرون) وهو ضابط من البحرية البريطانية ويعرف جيداً الساحل الشرقي الأفريقي وقد كلف من قبل الجمعية الجغرافية بالاتصال بلغنجستون والعمل معه في مواصلة أبحاثه وقد انطلق من باغا مويو في ١٥ آذار ١٨٧٣ حيث التقي في الطريق بالقافلة التي تحمل رفاة ليغنجستون لذلك قرر متابعة أبحاثه وفي ١٨ شباط ١٨٧٤ أي بعد ستة عشر عاماً من بورتون وصل إلى بحيرة تنفانيكا وقد جاب ساحل البحيرة من الشمال إلىالجنوب ثم اجتازها إلى الضفة الأخرى واكتشف نهر لاكوتما وقد لاحظ أنه يسيل نحو الغرب ثم اجتاز نهر لواما ثم وصل إلى نيانفوي على نهر لوابالابا . وقد لاحظ أن هذا النهر بمستوى أقل من مستوى النيل في غوندوكورو وهذا شاهد على أن هذه الشبكة المائية لاتسير نحو النيل . وقد جرب أن يهبط بنهر لوالابا

ولكن لم يجد الزوارق لذلك ، لذلك قرر أن يسير باتجاه الساحل الغربي الأفريقي . وقد تابع طريقه عن طريق لومامي ثم انحرف نحو اعالي الكاساي ووصل كاتومبيلا في ٦ تشرين ثاني ١٨٧٥ وهو أول من اشار إلى وجود مناجم النحاس والفحم والذهب في كتنفا وهو المكتشف الثاني الذي اجتاز القارة من الشرق إلى الغرب .

٦ – أمّا الرحلات التي جرت في بلاد الآزاندية والويللي فقد قام بها المكتشفون شوينفور ميائي . وبوتاغوس . وجونكر .

٧ – أمّا اهم الرحلات التي جرت فهي التي قام بها في الواقع ستانلي من الشرق إل الغرب لحساب جريدتي ديلي تلغراف ونيويورك هيرالد مبتدئاً من باغا مويو على الساحل الشرقي في ٩ آب ١٨٧٥ رحلته وبعد ٩٩ يوماً وبصراع مع الطبيعة والسكان وصل إلى الساحل الغربي للقارة الأفريقية في ٩ آب ١٨٧٥ وكاد أن يهلك هو ومن معه من الرجال والنساء والأطفال وعددهم ١١٥ عندما وصل في ٢٥ تموز إلى شلالات يلليلا yellel وهو على حافة الهاوية وفي ٦ آب ارسل رسالة نجده لأي كان في امبوا (بوما) يتكلم الانكليزية وقد شرح في الرسالة مدى وضعه اليائس . وقد وصلته النجدة مع الحمالين في ٧ آب ثم واصل طريقة إلى أمبوبا حيث وصلها في ٩ آب وكان قد مضى على خروجه من باغما مويو ٩٩٩ يوماً حيث فقد في الطريق ٧٣ من قافلته ٢١ بسبب الاسهال الحاد (ديزتري) ٥٨ خلال المعارك مع السكان و٤٥ بالجدري وأربعة عشر غرقاً والباقون لاسباب مختلفة .

وكان لرحلة ستانلي آثارها البعيدة حيث حلت خلال الأيام التي امضتها في الطريق مسألة افريقية الوسطى وقد اعتمد ليوبولد الثاني ملك بلجيكا على رحلة ستانلي وعليه أيضاً في خلق دولة الكونغو الحرة التي كانت بداية استعمار الكونغو (زائير حالياً) . وقد نبه أكثر المكتشفين لهذه المناطق أن نفوذ العرب قد وصل إلى شرق حوض الكونغو وأن الاسلام

كان ينتشر بسرعة في تلك المناطق وغيرها في الوقت الـذي لم يصمـد فيـه المبشرون لذلك منذ ذلك الوقت بدأ الاستعمار الأوربـي وبتحريـض مـن البابا والجمعيات الدينية باقتحام القـارة واقتسـامها ويقـول رولاندأوليفـر وجـون فيـج مؤلفـا كتـاب موجـز تـاريخ افريقيـة «أنـه لوتـأخر التدخـل الأوربي الواسع النطاق خمسين سنة أخرى لما أصبـح الثلـث الشـمالي مـن القارة فقط اسلامياً بل لأصبـح ثلثاهـا أيضـاً جـزءاً مـن العـالم الاسـلامي وكانت رحلة ستانلي الأفريقية الثانية التي عبر خلالها القارة علامـة تحـول في تاريخ الكشف الأفريقي حيث انه دخل ضمن برامج الضـم السياسـي لاجزاء افريقية» . وكان الكشف الجغـرافي لأفريقيـة حتـى ذلـك الوقـت مجالاً لأعمال البطولة ليـس في بريطانيـا وحدهـا بـل في كـل انحـاء اوربـة وأمريكا . غير أنـه كمـا يقـول أوليفـر ورفيقـه «كـانت بطولـة مصطبغة بصبغة إنسانية عميقة لأن كلاً من المكتشف والجمهور كان يعتقد اعتقاداً راسخاً أن الغرض من الكشف كان انقاذ الشعوب الزنجية والأخذ بيدهـا ودفعها في تيار الأنسـانية التقدمـي . ولم يكـن مـن التصـور خـلال ذلـك العصر الكلاسيكي والكشف الجغرافي أن الغرض من هذه الرحلات وهو الضم السياسي واكتساب القوة السياسية والاستغلال السياسي .

ولاشك أن العرب الذين قدمـوا المسـاعدات الحساسـة للمبشـرين وللمكتشفين وكما ذكرنا سابقاً قول الآن مورهيد في كتابه النيل الأبيض ، أن المسيحية دخلت افريقيـا تحـت مظلـة الاسـلام ولم يكتشـف العـرب اهداف هؤلاء إلا بعـد فـوات الاوان وكـانوا أول الخاسـرين» وإذا كـان العرب خسروا افريقيـا الشـرقية إلا أن الاسـلام لم يتوقـف عـن الانتشـار هناك حتى في زمن الاستعمار ووجود المبشـرين وخاصـة في تنغنيكـا الـتي وقعت تحت الاحتلال الالماني القيصري.

ب – ظهور دولة الكونغو الحرة والاستعمار البلجيكي :

لم تقتصر الأطماع الأوربية في شرق افريقيا الداخليـة علـى الـدول

التي اتصلت بزنجبار منذ زمن بعيد وأعني بها بريطانيا وفرنسا بل تسربت إليها اطماع جميع الدول التي ساهمت في استعمار القارة. وكانت بلجيكا من أهم الدول التي ظهر نشاطها في هذه الفترة في عهد السلطان برغش. وقد لعبت هذه الدولة الصغيرة دوراً خطيراً في تاريخ الأستعمار الأوربي لأفريقيا بشكل عام ودوراً قذراً في القضاء على نفوذ العرب في شرق الكونغو بخاصة ولا يماثله سوى دور البرتغاليون في قضائهم على البحرية العربية في البحر العربي. وقد اشتهر ليوبولد الثاني ملكها باهتمامه الكبير بحوض الكونغو الأعلى من النواحي الاجتماعية والسياسية والجغرافية وحتي لايثير ضده شكوك دولة من الدول الكبرى ، شكل لجنة اعطاها طابعاً دولياً ومنحها علماً خاصاً. وعقد مؤتمراً من المهتمين بالشؤون الأفريقية ببروكسل عام ١٨٧٧ حدد فيه اهداف هذه الجمعية ، فأظهرها بمظهر جمعية انسانية تسعى اساساً إلىنشر الحضارة بين الأفريقيين حسب زعمه.

لقد جذبت الرحلات الاستكشافية التي عمت ارجاء القارة انظار ليوبولد الذي كان يطمح في أن يكون لبلاده نشاط استعماري . وكان قد اعتلى عرش بلاده وهو في الثلاثين من عمره وكان طموحاً عرف عنه حبه للجغرافيا والرحلات تواقاً لأن يقوم بمغامرة تخلد ذكراه وترفع شأن بلاده الصغيرة التي لم يكن لديها امكانيات الدول الكبرى لذلك بدأت انظاره تتجه خارج اوربا فلم يجد امامه سوى الكونغو الداخلية التي لم يقترب منها حتى ذلك الوقت أية دولة أوربية رغم أنها اصبحت معروفة لكثرة الرواد والمكتشفين الذين زاروها وأكثر ما أثار اهتمامه رحلة ستانلي الأخيرة في الكونغو ، فعندما عاد إلى أوربا استقبله في مرسيليا ممثل ليوبولد الثاني ملك البلجيك ودعاه لمقابلة الملك في بروكسل ومنذ ذلك الوقت بدأت تظهر في الأفق ملامح دولة الكونغو الحرة.

بدأت مطامع ليوبولد الثاني في الواقع – في إنشاء امبراطورية

واسعة النطاق في الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر عندما سافر إلى مصر باسم دوق لبرابانت وشاهد ثغرات محتملة في أماكن بعيدة في اسيا مثل جزيرة فورموزا (تايوان حالياً) وساراواك وفيجي وجزر هبريد الجديدة وغيرها. وعندما تولى العرش عام ١٨٦٥ بذل جهداً كبيراً في دراسة اكتشاف افريقيا واصبح مستعداً للعمل بعد ذلك بعشر سنوات . فاستتر وراء الجمعية الأفريقية الدولية التي تكونت عام ١٨٧٦ لتقيم عدداً من المراكز والمحطات العلمية والتجارية عبر وسط افريقيا من زنجبار حتى الأطلسي. وكان لابد من وضع حراس على هذه المحطات التي تحولت فيما بعد كقواعد لمهاجمة تجارة الرقيق وحماية الأرساليات التبشيرية . وكان أول بعثتين كشفيتين للجمعية قد وصلتا القارة من زنجبار عام ١٨٧٨ و١٨٧٩ وارتبطتا بمحطات البعثات التبشيرية للآباء البيض في تابورا وبحيرة تنفانيكا . ومنذ ذلك الوقت تحولت انظار ليوبولد بازدياد نحو الساحل الغربي لأفريقيا. وكان ستانلي قد اكمل عام ١٨٧٩ رحلته عبر القارة كما مر معنا - ودخل في خدمة ليوبولد عام ١٩٧٩. وخلال خمس سنوات أنشأ شبكة مواصلات برية ومائية من مصب نهر الكونغو إلى شلالات ستانلي بمسافة تزيد على ١٥٠٠ كيلومتر حتى ستانلي فيل (حالياً كسينفاني).

وفي الوقت ذاته كان ليوبولد يعمل جاهداً لكسب اعتراف الدول الغربية رسمياً بحكمه لحوض الكونغو بأكمله واستطاع اقناع الدول بأنه من الأفضل جعل الكونغو منطقة تجارية حرة تحت نظامه الدولي من أن يقع في يد الدول المتنافسة ويقول أوليفر ورفيقه «أقر الجميع بمهارة ليوبولد الثاني الدبلوماسية إلا أن أحداً لم يفطن إلى ما أثارته مهارته من تبادل عدم الثقة والشكوك بين الدول الأوربية في الأمور الأفريقية كلها . ومن المحتمل أن يكون ليوبولد أكثر من أي شخص آخر هو المسؤول عن خلق جو «التكالب» على افريقية » ومن الغريب أن ليوبولد كان أول

من تلقـى اعترافـاً دوليـاً بامبراطوريتـه الأفريقيـة وعندمـا عـارض التجـار الأنكليز الذين اشتغلوا بالتجارة مـع الكونغـو حكومتهـم للاعـتراف بحـق البرتغـال في الكونغـو الأسـفل عـام ١٨٨٤ غـيرت البرتغـال وسـيلتها والتجأت إلى فرنسا وألمانيا وطلبت تأييدهما ، وقـد وافقـت فرنسـا علـى اقتراح بسمارك الخاص بتسـوية مسـألة الكونغـو في مؤتمـر دولي يعقـد في برلين وذلك لمضايقة بريطانيا وقبل أن ينعقد المؤتمر انضمت فرنسـا (الـتي عقدت اتفاقا مـع الملـك ليوبولـد بمقتضـاه حصلـت علـى حـق اسـترجاع امبراطوريـة الكونغـو إذا تبـين أن تنميتهـا تفـوق طاقـة الملـك) مـع ألمانيـا والولايات المتحدة في الاعتراف «بدولـة الكونغـو الحـرة» وعندمـا انعقـد المؤتمر لم يكن أمام الدول الأخرى سوى الاعتراف بالوضع .

عقد المؤتمر في برلـين في ١٥ تشـرين الثـاني ١٨٨٤ و٢٦ كـانون الثاني ١٨٨٥ واشتركت فيه ألمانيا القيصرية – إيطاليا وتركيـا بالإضافـة إلى هيئة دراسات الكونغو . وقد أقر المؤتمر قررات ذات صدىً عال فيما يختص بتجارة الرقيق والتجارة الحـرة وعـن الحاجـة لتثبيـت الاحتـلال في المستعمرات قبـل البـدء في ضـم غيرهـا وقـد شـهدت أيـام المؤتمـر أشـهر عمليات الضم السريع في تقسيم القارة »

استطاع ليوبولد بدملوماسيته واللعب علـى تـأمين مصـالح الـدول الكبرى في الكونغو . فكما رأينا وعوده لفرنسا بالتنازل عن الكونغـو لهـا إذا فشل في خلق دولـة الكنغـو وكـانت ألمانيـا تـرى في ليوبولـد الألمـاني الأصل حليفاً لها يؤمن مصالحها في الكونغو بعد ضمها مسـتعمرة جنـوب غرب افريقيا (ناميبيا) حالياً أمّا انكلترا فكانت ترى فيه حلاً لعدم وقـوع الكونغو بيد دولة كبرى كما ضرب على الوتر الحساس بالنسبة لها وهـو محاربته لتجارة الرقيق التي كانت مزدهرة في الكونغو .. الخ من الوعود .

وقد عقدت عدة اتفاقيات لتحديد حدود «دولة الكونغو الحرة مع جاراتهـا ففـي ٢٩ نيسـان ١٨٨٧ عقـد اتفـاق في بروكسـل بـين ملـك

بلجيكا وفرنسا حددت بمقتضاه الحدود بين دولة الكونغو الحرة والكونغو الفرنسي على أن تكون الحدود عند نهر أوبانجي وخط عرض ٤° فالمنطقة الشمالية تكون فرنسية والتي تقع إلى جنوب النهر تابعة لدولة الكونغو .

٢ – المراكز العربية في شرق حوض الكونغو :

كان العرب قد أستقروا في الإقليم الشرقي للكونغو بين بحيرة تنفانيكا وشلالات ستانلي ، قادمين من زنجبار وامتد نفوذهم إلى أكثر من ثلث مساحة الكونغو . وكان تقدمهم في بادئ الأمر وكما راينا محدد بالساحل القريب من زنجبار ، ثم انتشروا بسرعة على كل طرقات القوافل ووصلوا إلى أعالي الكونغو حيث استطاع بعض الزعماء من السيطرة على المناطق التي كانوا يتاجرون معها . وقد أثرى هؤلاء التجار من التجارة في سن الفيل والعاج والرفيق وغيرها من السلع الأفريقية التي كانوا ينقلونها إلى شرق افريقية للمبادلة بالسلع الأخرى التي يجلبها أخوانهم العرب من الخارج وقد أصبحت مراكزهم مزدهرة مما جذب إليهم كثيراً من الزعماء الأفارقة الذين أخذوا بمظاهر الغنى والرفاهية التي كانت حول مراكزهم . وقد ذكر بعض الكتاب البلجيكيين وغيرهم أن الدولة التي أقامها تيبو تيب وظل يحكمها حتى عام ١٨٩٠ من عاصمته «كاسنفو» وخلفه فيها ابنه سبفو (سيف) بلغت درجة كبيرة من التقدم . وكانت بها قصور تحوى أفخر الأثاث . كما كان بها مساجد ومدارس عربية يدرس فيها الطلاب القرآن الكريم وبعض علوم الدين والحساب . وكانت على اتصال بزنجبار بالطريق المباشر عبر أوجيجي وكذلك بطرقات أخرى أكثر تعقيداً وكان سلطان العرب يستند إلى مجموعة من الحصون القوية تمتد غرباً حتى نهر لومامي .

اضطر ليوبولد للسعي للتعاون مع تيبو تيب – كما ذكرنا سابقاً . وقد انتهز العرب هذه الفرصة واستطاعوا الحصول على مايحتاجون إليه

من الأسلحة دون اعتراض من ممثلي - دولة الكونغو الحرة ، بالاضافة إلى انضواء عدد من الزعماء المحليين الأفارقة تحت زعامة الدولة المذكورة. وكان العرب يعرفون أنه لا أمن لهم سوى قوتهم فالدولة الجديدة بسلطاتها الحاكمه لاشك أنها ستعمل للقضاء عليهم (أي العرب) متى أحست بقوتها وقد شجع نجاح حركة المهدي في السودان العرب في هذه المناطق على الوقوف في وجه السلطات البلجيكية التي عمدت إلى تحويل التجارة داخل الكونغو نحو غرب افريقية وهذا كان من اكبر الأسباب التي جعلت العرب يلجأون للقتال ضد السلطات البلجيكية . كما سنرى.

ء - القضاء على دولة العرب في الكونغو من قبل البلجيك (١٨٩١ - ١٨٩٤)

رأينا فيما سبق الأهمية الكبيرة التي أخذها النضال ضد الرق في مختلف المحافل الدولية والحجج الأنسانية الكاذبة التي قدمتها مشاريع ليوبولد الثاني لاستعمار الكونغو . وفي نفس الوقت كان الكردينال لافيجوري يشن حملة شعواء باسم البابا ليون الثالث عشر لتحرير العبيد وتخليص الشعوب التي لازالت تحت زعمه تئن من الظلم العربي . ورأينا كيف أن هذه الجملات لم تكن في الواقع سوى وسيلة لاستعمار القارة الأفريقية باسم الأنسانية وإبعاد العرب الذين كانوا مع مسلمي شرق افريقية بإمكانهم الوقوف في وجه الاستعمار البلجيكي ، كما هو الحال في غرب افريقية فالمسلمون الأفارقة هم الذين قادوا النضال ضد الاستعمارين الفرنسي والبريطاني .

أدى انتقاد مؤتمر بروكسل عام ١٨٩٠ م إلى ظهور عدد من الجمعيات التي اخذت على عاتقها محاربة تجارة الرقيق وأخذت تجمع الأموال لتمويل الحملات المسلحة المزمع إرسالها لمقاتلة تجار الرقيق .

في ذلك القوت كانت قوة العرب والمستعربين موزعة بين عدة

زعماء رئيسيين هم بوانازيفا Bwana ziga في كابامباريه . ثم سيفو بن تيبو تيب في كوسنفو . ومونيه موهارا في نيانفوية . نصـر الله في ريبـا – ديبـا «لوكاندو» . كيبونغ سلطان كيروندو «وتبعد ٥٠ كم عن بونثييرفيل » على نهر لوالايا رشيد بن أخت تيبو تيب في الشلالات وأخيراً رومـاليزا في منطقة أوجيجي . وكان يساندهم الزعيم الأفريقي نفونفو – لوتينـه في غاندو على نهر لومامي .

ومنذ أن بدأ البلجيكيون والجمعيات المضادة للرفيق ببنـاء المراكـز المحصنة داخل القارة أصبحـت هـذه المراكـز مصـدر قلـق واحتكـاك مـع العرب و المستعربين /أو بالاحرى المسلمين السود/ وقد تمت أول اتفاقيـة بين للملازم البلجيكي . وستر ورشيد بن أخت تيبو تيب حددت فيه منطقة عمليات كل منها . ولكن العرب عندمـا رأوا ضعـف الحاميـة البلجيكيـة قاموا بالهجوم على المراكز الـتي أقامتهـا في منطقـة الشـلالات في ٢٤ آب ١٨٨٦ حيث قتل فيها أحد الضباط البلجيكيين مـع أغلـب الحاميـة بعـد معركة دامت ثلاثة أيام وقد اضطرت بقاياها من ترك المراكز بعد تدمـيره ولم تستطيع النجدة التي أرسلت مـن القيـام بـأي عمـل سـوى جمـع بقايـا الحامية والأنسحاب .

وكما ذكرنا خلال الحديث عن تيبـو تيـب أن اتفاقـاً تم بينـه وبـين ستانلي في زنجبار ليكون حاكماً علـى عـدة مقاطعـات في شـرق الكونغـو باسم حكومة الكونغو الحره لأنه الوحيد في الواقع الذي بإمكانه السيطرة على المنطقة باعتبار أن أغلب الحكام مـن العـرب أو الأفارقـة كـانوا مـن أقاربه.

ولكن الأمور لن تستقم حسب رغبة البلجيكيين وربما لم يكن تيبـو تيب جاداً في عمله في منع تجارة الرقيق ويمكن أن لاتكون لديـه الوسـائل الكافية للسيطرة بشكل كامل على هذه المنطقة الواسعة بأنهارها وغاباتها الكثيفة وخاصة أن تجارة الرقيق لم تكن المادة الرئيسـية الـتي تقـوم عليهـا

تجارة تيبو - تيب . لذلك ترك مكانه وعاد إلى زنجبار تاركاً ولده سيفو ليحل محله في كاسينفو .

وقد استغل البلجيكيون فترة الهدوء هذه وأقاموا مراكزهم في باسوكو ١٨٨٩ - ١٨٩٠ وأخذوا منها يتعرضون لتجار الرقيق ويسلبونهم مامعهم من بضاعة من رقيق وغيره . وكان لابد من الصدام بين الطرفين ففي عام ١٨٩٣ هاجم العرب هوديستر ممثل دولة الكونغو الحرة في منطقة لومامي كما اعتدوا على أمين باشا الذي أخذ يعمل لصالح البلجيك . كما أخذوا يهاجمون الحاميات الأخرى التي أرسلتها السلطات الحاكمة في الكونغو لتأسيس محطات في (كتنفا) حالياً شابا .

خلال هذه الفترة ظهرت مشكلة الزعيم الأفريقي /نفو نفو لوتيته / الذي كان حليفاً للعرب ويتصل بنسب المصاهرة مع تيبو تيب . وكان من مركزه في نفاندو يهاجم المراكز الخاصة بدولة الكونغو الحرة في وقد هزم للمرة الأولى أمام الملازم البلجيكي ديسكامب ١٨٩٠ في غوندو على نهر لومامي . ثم إن نفونفو شن هجوماً على قاعدة لوسامبو عام ١٨٩٢ . وعند عبوره سانكورو في باتو جينيفيه في ٦ مايس هزم نهائياً بعد ثلاثة أيام من المعارك أمام البلجيكي دانيس Dahanis في مونا كيالو . مما جعله يقرر الالتحاق بالبلجيكين ويصبح حليفاً لهم ضد العرب وأخذ يمون البلجيك بالمؤن والرجال . كما دخلت قوات دولة الكونغو الحرة كابندا عاصمة الزعيم /لوبنجو/ حيث أقيمت محطة حصينه .

وهنا قام سيفو بن تيبو تيب بالاستعداد للأنتقام من حليفة الذي نقض العهد وانضم لإعدائه ولمواجهة هؤلاء الأعداء الذين يتربصون به ، وفي ٢٢ تشرين الأول ١٨٩٢ أرسل ممثل دولة الكونغو الحرة ببلاط الزعيم العربي سيفو رسالة لدانيس يفيد بأنه سجين في قصر سيفو وأن هذا خرج على رأس عشرة الاف رجل مسلحين بالبنادق والسيوف وقد صرح بأنه إذا لم يسلم البلجيكيون له نفو نفونفولوتينه حيا أو ميتا وإذا لم

يجلو عن المنطقة التي يعتبرها سيفو تحت سيطرته حسب الأتفاقيات السابقة مع والده فإنه سيعبر نهر لومامي ليقضي على قوة البلجيكيين ويستولي على كل الأقليم الممتد حتى مدينة ليوبولد فيل . وقد أبيدت خلال هذه الفترة بعثه هو ديستر التي ذكرناها سابقاً في مايس ١٨٩٢ في ريبا – ريب . ووقع بيده عدة ضباط بلجيكيين أسرى وقد استطاع سيفو عبور النهر ولكنه صد من قبل دانيس ومعاونه ميشو بخسائر فادحة حسب المصادر البلجيكية .

وفي ٢٦ تشرين ثاني ١٨٩٢ عبرت قوات دولة الكونغو نهر لومامي الذي كان يعتبر الحد الفاصل بين النفوذ العربي والبلجيكي من الجهة الغربية حسب الأتفاقية التي عقدت بين ستانلي وتيبو – تيب . واستطاعت احتلال بعض الحصون . أمّا سيفو فقد رجع إلى عاصمته كاسنفو ليستعد للمعركة القادمة وبذلك بدأت المعركة الحقيقية بين العرب والبلجيك .

١ – المعارك بين العرب والبلجيكك ١٨٩١ – ١٨٩٤ .

بدأ البلجيكيون بالهجوم على العرب على جبهتين فمن الجهة الشرقية كانت جمعيات ضد الرق التي تقود الهجوم ومن الغرب . قوات دولة الكونغو الحرة .

حملات جمعيات ضد الرق : ذكرنا في فصل سابق كيف كان الكردنيال لافيجوري يشن حمله صليبية عاتبه ضد العرب في داخل القارة . وقد لقيت هذه الحملة صدى خاصاً في بروكسل حيث أقامت احدى الجمعيات نظاماً قوياً لمنع تجارة الرقيق عام ١٨٨٩ وكانت تستهدف إقامة حاجز لايمكن اجتيازه من قبل قوافل التجار .

وقبل بضع سنين شكل بعض الآباء البيض مجموعات مسلحة لمقاتلة تجار الرقيق جمعت فيها وحدات من الزواف التابعين للبابا بزعامه بعض الضباط هوب . ستاس . تيلان ومعهم الضباط المشهور جوبير الذي

استطاع في مركز مبالا المقاومة بنجاح ضد كل الهجمات التي قام بها رومالينزا ١٨٨٦ بعد وصول الامدادات له ولكنه ظل مهدداً من أن يحطم بهجوم من قبل العرب .

تألفت الحملة الأولى م الملازم هنيك . فان ديركيركوفن وايكتور ولكنها اضطرت للعودة على أعقابها بعد مذبحة بعثه هوديستير . بعدها مرض فان ديركيركوفن وحل محله الملازم هينك حيث أخذ في تجنيد بعض المقاتلين من لدى الملازم بيرت في /بومبا/ ووصل إلى بينا كامبا حيث تلقى الأمر بالالتحاق ببعثه جاك في تنفانيكا .

وقد وصلت حمله جاك مستخدمة الطريق من الساحل الشرقي الذي يعتبر أسرع الطرق . وتم التحق بالكابتين جوبير في مركز مبالا . وقد أقام جاك مركز البيرت فيل على نهر لوكوغا . ولكن بعد أن قام ببعض المساعي الدبلوماسية في أوجيجي التقى في ٥ نيسان ١٩٩٢ بقوات روماليزا . التي استطاعت أن تجبر قوات الملازم فيرتشوف للقتال وهي تتراجع أمام بومبا كالوندا وقد قتل الضابط المذكور خلال معركه التراجع نحو البيرت فيل التي وقعت تحت حصار قوات روماليزا ، التي ترددت في اقتحام البيرت فيل إلا أنها خربت المنطقة حولها . وتحت زعامة توكا – توكا قام حوالي الف عربي من المحاربين بومبا (معسكر) على بعد ٢ كم من مركز البرت فيل . وقد اضطر جاك وجنوده الستون لاتخاذ موقع الدفاع في البرت فيل . وكان جاك يعرف بط ، وصول النجادات لذلك حاول تجميع بعض القوات من هنا وهناك بما فيها عناصر محلية ، حاول معها إزالة البوما العربية . ولكن القوات المحلية التي كانت معه هربت عندما سمعت لأول مرة صوت إطلاق النار (٢ آب ١٨٩٤ ، التي وصلت إلى المدينة في نهاية ١٨٩٢ . وبالمقابل كان محاربو توكا – توكا يعانون من نقص الغذاء ويئنون من الجوع لذلك فمن الطلقات الأولى عليهم دبت الفوضى بينهم واخليت /البوما/ ، لذلك

أقام جاك مركزاً جديداً ضد الرفيق في مكانها في موليرو كما أقيم مركزاً آخر في كاسنقا على نهر نيمبا .

استطاعت المعسكرات (البوما* العربية الصمود بقوة ضد هجمات البلجيك ولم يكن بالإمكان التغلب عليها إلا بالمدفعية لذلك أرسلت حملة ثالثة عن طريق نهر الزامبيزي ومعها المدافع وقد وصلت هذه الحملة في أيلول ١٨٩٣ إلى بحيرة تنفانيكا في الوقت الذي وصل فيه رتل بقيادة دنيس من الغرب . وكان روماليزا وقد أقام مجموعة من الحصون «البومبا» باتجاه الجنوب تحت قيادة موهينا موهارا الذي كان يتمركز في بوما واقعه بين كابا مبارية وميتوا وقد احتلت هذه الأخيرة بعد معركة بالحراب في ٦ كانون ثاني ١٨٩٤ . وبعد أربعة أيام استطاعت قوات ديكامب الذي قاد الحملة الثالثة الأتصال برتل لوثر وانطلق الأثنان في مطارده رومالبز .

- أعمال قوات دولة الكونغو المستقلة : عندما كانت جمعيات محاربة الرق نقاتل ضد المفارز العربية سالكه الطرق القادمة من الساحل الشرقي استطاعت حكومة الكونغو المستقلة إقامة سلسلة من المراكز الأدارية بحماية جنود من الفرقة التي شكلتها من سكان الكونغو والمعروفة باسم القوة العامة .

في ٢٧ تشرين ثاني ١٨٩٢ اجتازت قوات بلجيكية بقيادة /دانيس/ نهر لوماني في جوى موباسا وتقدمت نحو نحو لوزونا التي سقطت في ٨ كانون أول ثم جوي كابوبا ٩ كانون ثاني (١٨٩٣) ثم خندقت على نفسها بانتظار الامدادات التي كان يقودها أحد الرقباء (كاسارا) ومعه ٢٧ جندياً نظامياً و٤٣ جندياً مساعداً . واستطاعت قوات دانيس من صد المحاربين العرب بقيادة مونيه موهارا وعندما وصلت النجدات قامت هذه بالهجوم على القوات العربية التي استطاعت الصمود أمام البلجيك إلا أن رصاصة طائشة أصابت موهارا وكان من

أقوى انصار سيفو وقد اشتهر بأنه لم يخسر أيه معركة خاضها وكان دائماً يفضل أن يقتل في ميدان المعركة على أن يشاهد بعينيه هزيمة جيشه وكان يقود منطقة نيانفويه . أضعف هذا الحادث الروح المعنوية لدى الجيش العربي الذي تراجع نمو نيانفويه وكان هذا قد تمكن قبل ذلك من احراز عدة انتصارات على قوات دولة الكونغو المستقلة وقوات /نفو نفو لوتينيه / الموالية لها ، وقد سقطت فيانجويه في آذار ١٨٩٣ بيد قوات الكونغو وتقع على نهر لوالابا وهي مدينة كبيرة تعد أكثر من ثلاثين ألف وكانت مركزاً تجارياً هاماً . وقد عمد البلجيكيون لتخريب المدينة واشعال الحرائق فيها واطلاق النار على السكان . وقد ترتب على هذه الدمار والخراب الذي أصاب البلده وأعمال التقتيل والتنكيل بالسكان أن انتشر الجدري والأنفلونزا بين أفراد الجيش المهاجم فحصدت اعدادا كبير منهم . وفي ٢٢ نيسان ١٨٩٣ سقطت كاسو نفو العاصمة العربية بيد قوات دانيس . ويذكر الكابتن سدني هند الذي اشترك في حمله دانيس وهو طبيب انكليزي كان عضواً في الجمعية الجغرافية الملكية «أنه حتى الأفراد العاديين في هذه المدينة ينامون على أسرة مغطاة بالحرير ومزوده كل منها بكله (ناموسيه) كما توجد الستائر في المنازل . وكانت المنازل محاطة بحدائق البرتغال والموز وغيرها من الفواكه . كما وجدوا في المدينة كميات كبيرة من الأرز واللبن والذرة والصابون والأطعمة بالاضافة إلى الكماليات التي ذكرتهم بما تركوه في أروبا . وغنموا كميات كبيرة من الذخيرة ومن الأغنام والماشية وقد ذكر أيضاً أن كل منزل ملحق به حمام وأن المدينة ذاتها كانت مقامة عل حافة غابة ازبلت أشجارها ليزرع مكانها قصب السكر والذرة والأرز والفواكه . وقد استغل البلجيكيون العمال المهرة من سكان المدينة من نجارين وحدادين وزراع وغيرهم لتعليم فئات أخرى هذه الصناعات أو للمساهمة في إقامة الحصون والقلاع والقرى الجديدة في الأماكن المحيطة بالعاصمة كاسينفو.

ورغم ماقدمه «نفونفو لوتيته » للبلجيكين من خدمات فقد قبضوا عليه وسجنوه بتهمة التآمر عليهم وأعدموه وعينوا ابنه لو بنجـو محلـه ، وقد أدى هذا العمل لقيام الثورات ضدهم في كل مكان .

وقد اضطرت القوات البلجيكية لخوض معارك مريرة ضد العـرب ومن جاء لنصرتهم أمثال روماليزا القادم من أوجيجي وعبر بحيرة تنفانيكا ووضع نفسه تحت أمرة سيفو .

بدأت القوات البلجيكية في ٥ آذار ١٨٩٣ بالهجوم على القـوات العربية من مواقعها في منطقة (موقـع باسـوكو) وكـانت القـوات العربيـة متمركزة في بينا كامبا وريبـا - ريبـا ، وقـد سـقطت الأولى في ٢٨ آذار ١٨٩٣ .

وفي ٦ نيسان انطلقت قوات أخرى بلجيكية من معســكر نشاري اثر القوات العربية المتراجعة والتي كان يقودها نيسيرايرا (نصر اله) الـذي استطاع الوصول إلى منطقته الشلالات بأمل الأشتراك بالهجوم الذي كان يحضر له كيبو نفيه ضد مخفر الملازم توباك . في منطقـة الشـلالات . وقـد أثارت التحركات المشبوهة التي كان يقوم بها رشيد مخاوف البلجيكـين . ورشيد هذا هو أبن نزيجي الأبـن الأكـبر «لنفونفـو ليوتيـه » الـذي كـان متحصناً في كامباييارا بعد سجن أبيــه مـن قبـل البلجيكـين وكـان نزيجـي وابنه موالين للعرب ويبدو أنه كان متزوجاً مـن أخـت تيبـو تيـب . وقـد استطاع رشيد أن يكون قوة كبيرة من العرب والموالـين لهـم مـن القبـائل الأفريقية وكان يعمل للانضمام لقوات روماليزا . وفي الوقت ذاته كانت الامدادات تتدفق باستمرار على القوات العربية من المنطقة المحيطة ببحيرة تنفانيكا وقد اضطرت القوات البلجيكية لطلب النجدات السريعة ســواء من القوات الموجودة في غرب القارة أومن أروبا وقد وفد عدد جديد من الضبـاط الأوربيـين للعمـل مـع القـوات البلجيكيـة واسـتطاعت القـوات البلجيكية مع القوات الأخرى أن تضرب حصـاراً علـى القـوات العربيـة

وأن تعمل على قطع طرق اتصالها ببعضها بالاضافة إلى محاولة قطع الامدادات التي تصلها بالشرق والطرق التي توصلها بمصادرة المياه اللازمة للجنود العرب المتمركزين في حصونهم .

استطاع توباك بعد وصول الامدادات له بالقيام بعمل حاسم وطرد العرب من شلالات ستانلي في ١٨ مايس ١٨٩٣ وبعد بضعة أيام وصلت قوات بلجيكية أخرى لمساعدة مركز الشلالات في الوقت الذي كان فيه العرب يتراجعون نحو روميه في ٢٣ مايس وتركوا نهائياً منطقة الشلالات التي كانت إحدى المراكز الرئيسية لهم . وقد تم تعيين المقدم البلجيكي بونثيه حاكماً لمقاطعة الشلالات الجديدة وكانت لديه مهمة تدمير المراكز العربية وفتح الطريق إلى أبعد نحو الشرق . وقد انضمت إليه قوات أخرى بلجيكية مقدارها ٢٠٠ رجل وعند وصوله إلى الشلالات في ٢٥ حزيران قام في ٢٩ بعمليات تنظيف لإبعاد العرب عن الطريق (معركة كيوبه) والتي تتابعت حتى باما مفا حيث دمرها في ٣ آب وفي ٨ احتل كيروندو عاصمته كيبونفيه .

وفي كيما كيما اصطدمت قوات حكومة الكونغو المستقلة بمقاومة عربية شديدة دامت طوال يوم ١٠ تموز وانتهت بتراجع زعماء العرب نحو سوكه – سوكه . وقد صعدت القوات البلجيكية مع النهر وعن طريق /لوا/ استطاعت احتلال المعسكر العربي الذي كان متمركزا في أوتيا موتينفو . فجأة في ٥ آب ١٨٩٣ . وقد استطاع رشيد الهرب نحو أعالي ليندي باتجاه كابامبارا كيبينفو محاولاً الأتصال بروماليزا . وفي الوقت ذاته استطاعت القوات البلجيكية الإيقاع بقوات الزعيم نزيجي ومنعها من الانضمام لقوات روما ليزا واضطر نزيجي للهرب إلى زنجبار . وخلال شهر تشرين ثاني والأيام الأولى من شهر كانون الأول ١٨٩٣ وقعت معارك مريرة خسر فيها البلجيكيون بعض قادتهم وكثيراً من الجنود وقد جرح القائد العربي (سيفو بن تيبو تيب) في احدى المعارك

وكانت جراحة مميته وقضى هذا المناضل العربي الذي لايعرف العرب عنه إلا القليل دفاعاً عن عروبته ودينه شهيداً في ميدان المعركة ورغم موته فلم يفت بعضد حليفه الكبير روماليزا آخر المقاومين العرب في تلك المنطقة الذي كان يناضل بكل مالديه ضد قوات أخذت تتفوق عليه بالاسلحة الثقيلة وخاصة المدفعية التي بدأت تدك حصونه الواحد تلو الآخر .

- العمليات ضد روماليزا ١٨٩٣ - ١٨٩٤ : كان روماليزا من اقوى القادة العرب الذين قاتلوا ضد البلجيك والجمعيات التبشيرية وضد الرق التي تعاونت معها ، وحسب قول روبيرت كورنيفين Kornevin « إن روماليزا دون شك كان رجل حرب حقيقي وليس فقط يعرف كيف يوحد ويدفع محاربيه للقتال بل كان يعرف كيف يقيم التحصينات القوية التي ملأبها منطقة لوالابان لواما عن طريق إقامة عدد من /البوما/ /المعسكر المحصن / لذلك أخذ البلجيكيون بتجميع قوات كبيرة من هنا وهناك لقتل روماليزا و بدأوا في الهجوم على مواقع روماليزا من كل الجهات اعتباراً من ١٥ تشرين . وفي ٩١ تشرين أول اضطر روماليزا للتراجع تحت قصف المدفعية إلى مونيا - كوانفا في بادئ الأمر . ثم إلى نهر لوليندي . وبعد الهجوم على بوما أوغيلا في ١٧ تشرين الثاني اجتاز روماليزا نهر ليندي/ إلى الضفة اليمنى حيث أقام خطاً جديداً من العسكرات المحصنة (البومبا) Boma .

بعد أن تلقت القوات البلجيكية بقيادة دانيس الأمدادات تعويضاً عن خسائرها الفادحة تابع المسير إلى الأمام في ٢٣ كانون الأول ١٨٩٣ وفي ١٤ كانون ثاني ١٨٩٤ استطاعت مجموعات بلجيكية بقيادة الضباط لوثر وهنري من إخراج روماليزا من البوما الرئيسية الموجودة في بينا كالونفا . وبعد ذلك استطاع رتل لوثر احتلال مدينة /كاب مباريه / فجأة في ٢٠ كانون ثاني وهي آخر الحصون القوية لدى روماليزا كما

ستطاع أحد الأرتال البلجيكية بإقامة اتصال مع قوات جمعيات ضد
لرق وبذلك حوصر روماليزا وهنا ازدادت المعارك ضراوة عند احتلال
وما سونفولا في ١٣ شباط مازانس في ٢٨ شباط وأوفيرا في ١٧ آذار .
وقد اضطر روماليزا للانسحاب إلى افريقية الشرقية الالمانية .وهنا أخذت
لحصون تسقط الواحدة تلو الأخرى ثم احتلال البلاد وأقيمت في المنطقة
مراكز حكومية في أوفيرا وكامامبارية)

ولكن الأمور لن تستقم للبلجيكين في منطقة الشلالات فكان هناك الزعيم كيبونفيه الحليف للعرب يقاتل حرب عصابات ضد القوات البلجيكية . وعندما تحررت هذه من قتالها مع رومالبزا اتجهت إلى الشمال وأصدمت به في /ماكالا/ على نهر /ليندي / حيث أسر في كانون الأول وقد تم تأسيس مراكز حكومية جديدة في المنطقة . وثم واصلت الأرتالل البلجيكية السير في كل الاتجاهات بعد انتهاء المقاومة العربية الفعلية وحيث وصلت بعض الأرتال البلجيكية إلى شواطى بحيرة أدوارد والبرت . كما أصبح الطريق مفتوحاً نحو كيفو التي احتلتهما إحدى المفارز البلجيكية . وقد أجرى البلجيكيون محاكمات لمن وقع في أيديهم من الزعماء العرب .

لاشك أن الحملة التي شنها البلجيكيون ضد العرب كانت أكثر الأحداث أهمية في تاريخ شرق افريقية عامة وشرق الكونغو خاصة . ولايماثل المقاومة العربية ضد البلجيك سوى مقاومة قبائل الزولو للاستعمار البريطاني وقد استطاع البلجيك بأسلحتهم المتفوقة القضاء على هذه القوة العربية التي تمكنت من إقامة مدن متحضرة في قلب القارة أدهشت كل من شاهدها وأشاد كتاب كثيرون بها . في الوقت الذي استفاد فيه الالمان من هذه العناصر العربية المتحضرة وتعاونوا معهم في مستعمرتهم في تنفانيكا وأدى ذلك إلى انتشار الاسلام في مختلف انحاء

البلاد . ولكن الأمور لم تستتب للبلجيكين بسبب الثورات التي قامت ضدهم كما سنرى .

٦ - الثورات ضد البلجيك «ثورات العرب والمستعربين »

٢ - ثورة الباتينيلا (المستعربين) في لولوا بورغ

أدت الخسائر الفادحة التي أصيبت بها قوات حكومة الكونغو الحرة المعروفة باسم «القوة العامة» إلى نقص كبير في هذه القوات الخاصة بين المتطوعين الأفارقة . وقد عمد البلجيكيون لتدارك هذا النقص لتجنيد المحاربين الذين كانوا مع السلاطين العرب . هذه العناصر كانت تتألف من الأرقاء وأبناء الأرقاء الدين ظلوا أمناء لمالكيهم من السلاطين ومن المحتمل أنهم كانوا محررين ويدينون بالأسلام . وقد شكل هؤلاء نواة المقاومة ضد البلجيك سراً ضمن المجندين من منطقة الباتيتيلا Batetele وكانوا أكثر تدريباً وأكثر استعداداً للقتال من من غيرهم . وقد سمح لهم بالتمركز في منطقة لومامي لدى الباتيتيلا . لذلك أطلق على هؤلاء اسم الباتيتيلا وأطلق على ثورتهم اسم ثورة الباتيتيلا وأكثر هؤلاء المخلصين كانوا من المحاربين المستعربين وقسم منهم يعودون إلى جيوش نفو نفو لوتيته .

في ٤ تموز ١٨٩٥ وعند العودة من احدى الحملات ضد /بينا كانيوكا/ وبحجة التأخير في دفع الرواتب وقلة التموين ثارت هذه القوات وقتلت قائدها البلجيكي الكابتين زيلزر الذي كان قاسياً عليهم . ثم نهبوا مستودعات الأسلحة والتموين واتجهوا نحو الشرق . وقد انذرت القوات البلجيكية الأخرى في (لوزمبوا) التي جربت سد الطريق أمام الثائرين ولكن القوات المساعدة التي كانت مع القوات البلجيكية وهم من نفس العناصر الثائرة هربت من خدمة البلجيك والتحقت بالثائرين وهنا اضطر القائد البلجيكي ميشو للتخلي عن المعركة وأخذ ينتظر الامدادات في (كالبندا) . كما حاولت قوات اخرى بلجيكية تلفت

الدعم من كوسنفو التعرض للثائرين إلا أن هؤلاء تغلبوا على القوة البلجيكية وقتلوا قائدها في ١٨ آب ١٨٩٥ . وقد استطاع القائد البلجيكي ميشو تجميع حوالي ٤٠٠ جندي والتعرض للثائرين خلال اجتيازهم لنهر لوماني وأوقع بهم في تشرين أول ١٨٩٥ . كما حقق الاتصال مع رتل بلجيكي آخر كان قد أصيب بهزيمة ساحقة علي نهر لوماني أيضاً في ٢٢ أيلول . ويعد تجمع القوتين شن هؤلاء هجوماً على الثائرين في ١٨ تشرين أول عام ١٨٩٥ استطاعوا فيه تكبيد الثائرين خسائر فادحة في عدة معارك وخاصة في معركة ديبويه في ٦ تشرين ثاني.

في آب ١٨٩٦ استطاعت القوات البلجيكة التي تجمعت من مختلف المراكز . وهاجمت آخر نقاط مقاومة الثائرين الذين حاولوا الهجوم على القوات البلجيكية إلا أنهم صدوا في ١١ تشرين ثاني ١٨٩٦ في بينا كابوا فاضطر الثائرون للهرب باتجاه الجنوب . وتفرقوا (٢) ثورة المستعربين وحملة النيل ١٨٩٧ - ١٨٩٩

ثورة أخرى اندلعت في ١٤ شباط ١٨٩٧ في دير في وقامت بها أيضاً العناصر المستعمر به من بقايا جيوش السلاطين الذين جندوا في القطعات البلجيكية . وقد استغل هؤلاء صعوبة التموين وقتلوا اثنين من الأوربيين واتجهوا نحو الجنوب . وقد حاول القائد البلجيكي دانيس إيقافهم في /ايكونفا/ ولكن قسماً من قواته انضمت للثائرين . وقد اضطر بسبب ذلك أن يترابع مع بقية القوات التي ظلت معه إلى /افاكوبي/ حيث وصلته قوات بلجيكية وافريقية أخرى داعمه .

في ١٥ تموز استطاعت قوة بلجيكية بقيادة الملازم هنري من الأنتصار على الثائرين على نهر (ليندي) مما أدى إلى تشرزم القوات الثائرة إلى شرزام مختلفة فالرقيب السابق شانفو فو تزعم شرزمه ودخلت في معارك طويلة مع البلجيكيين ولكن نقص الاسلحة والذخيرة أدى به إلى الهزيمة في سيموران في ٢ كانون ثاني ١٨٩٨ أمّا شرزمة ساليبوتو

وكان هذا أيضاً برتبه رقيب فقد هزمت أيضاً مع شرزمة الرقيب السابق كاندولو في ٢٠ كانون أول ١٨٩٧ وفي ١٠ شباط ١٨٩٨ على منابع نهر لوا وفي بياني - كيكوندا.

وفي ٢٣ آذارر اوقفت مجموعة من الثائرين في كابوغيه من قبل القوات التابعة لمنطقة تنفانيكا ولكنها استطاعت الانسحاب بعد معركة في ١٨ مايس وأخيراً تشتتت مجموعة (شرزمة) ليبوكو بعد معركة بويسيه واتجهت بقاياها نحو المنطقة بين كيفو وباراكا .

بعد أن استلم القائد البلجيكي دانيس قيادة مجموعة العمليات في كاسونفو وبعد اعادة احتلال كابامباربه ثم اللحاق بالثائرين وهزيمتهم في (بوانا ديبوا / في ٣١ كانون أول ١٨٩٨ وقد تجمع هؤلاء باتجاه باراكا وأوفيرا حيث هزموا نهائياً في باراكا في ٨ تشرين أول ١٨٩٩ وفي كابوغيه في ١٢ تشرين أول وهناك تبعثروا فقسم منهم اتجه نحو المنطقة الألمانية وقسم آخر اتجه نحو الجنوب حيث التحقوا بالثائرين في لولبورغ .

٧ - نظرة عامة على أوضاع العرب في شرق افريقية :

بعد فشل هذه الثورات انتهى عملياً نفوذ العرب في شرق الكونغو في بداية القرن العشرين . بعد مقاومة دامت أكثر من عقدين كاملين . وهذا يبعد كلياً كل اتهام للعرب بأنهم كانوا يسيئون معاملة السكان فأغلب المقاتلين الذين ظلوا إلى النهاية يقاتلون كانوا من الأرقاء وأبناء الأرقاء ومن السكان المحليين الذين استعربوا واسلموا وظلوا أوفياء لقادتهم السابقين حتى النهاية . وحتى الآن لانزال بقاياهم منتشرة في تللك المناطق وكنت أرى بعضهم في كل مكان وصلت إليه على الحدود بين أوغندا والكونغو والحدود بين كينيا وتنزانيا . وكان يجذبهم نحوي سماعهم اللغة العربية منذ حديثي مع أولادي في الفنادق المبعثرة في الغابات خلال رحلة سفاري ابتدأت بها من كينيا خلال شهر أيلول عام ١٩٦٩ أوصلتني إلى منابع النيل وشلالات (موريشسون فولز) وبحيرة

البرت وجبال القمر والحدائق الوطنية في غورونفورو وسيرنفيتي في تنزانيا وجبال كليمانجارو . وفي عنتيبه العاصمة الإدارية لأوغندا الواقعة على بحيرة فكتوريا أشرت إلى أحد الخدم خلال إقامتي في فندق فكتوريا المطل على البحيرة طالباً منه احضار الطعام . وقد اعتبر هذا الخادم الفخور أن هذه الاشارة تنقص من قيمته كأنسان فاعترض عليها . وقد أدركت مباشرة ما يعانيه في هذا الفندق الذي لم يكن فيه سوى غلاة الأستعماريين الأوربيين فأجبته لا تظن أني من هؤلاء رغم شبهي وشبه أولادي بهم فأنا معقد أكثر منك ومنهم وأنا عربي فأجاب مباشرة . هل أنت من كايرو /فقلت نعم/ فليس هناك فرق كوني عربي من دمشق أوكوني عربي من القاهرة فانفرجت أسارير الخادم وقال انني من أصل عربي وانقلب إلى رجل يعمل كل جهده لتأمين الرحة لي ولعائلتي . ثم بعد ذلك التقيت به في غرفتي وأخذ يحدثني عما يعانيه العرب من الأوربيين وأذنابهم ، لذلك كنت متوقفاً انقلاب عيدي أمين في عام ١٩٧٠ ضد اوبوتي . وفي الطائرة بين مقديشو ونيروبي التقيت بأحد العرب من سكان كمبالا عاصمة أوغندا . ومن الطبيعي أن أسأله من أحوال العرب فذكر لي بأنهم يشكلون قسماً من الطبقة المثقفة والتجارية هناك ومن بينهم عدد من اساتذة الجامعات والسياسيين . وقد لفت نظري إلى بعض النسوة في الطائرة وقال انهن عربيات وتظهر على وجوههن وأزيائهن الوطنية علائم الثراء وبخاصة الرسوم الموجودة على أقدامهن وكنت أظن أنهن يلبسن نوعاً من الكلسات الخاصة المزينة أمّا أيديهن فكانت مخضبة بالحناء والخضاب برسوم مختلفة وكن جميلات الوجه بسمرة أخاذه وعيون سوداء . تستلفت النظر وفي كتاب حاضر العالم الاسلامي الجزء الثالث تعليق لأمير البيان شكيب ارسلان عن عرب الكونغو وكما هو معروف عن الأمير الجليل رحمه الله ملاحقته لأوضاع العرب والمسلمين في كل مكان ويقول هذا الرجل الذي نذر نفسه لخدمة أمته العربية والاسلامية

انه اضطلع على رحلة لأحد الأدباء البلجيكيين المسمى فريتز فان درليندن استوى فيها الشرح على الكونغو فعثرت فيها على بعض جمل تتعلق بالعرب في الكونغو حيث قال في الصفحة ٢٦١ «إن أكثر المستعربين يعرفون النقود وأن تجار العرب من الكاسنفو وأكبر التجار الذين لهم علاقات مع زنجبيار يؤثرون الذهب ولاسيما الليرة الاسترلينية ... وأما تجار الرقيق فإنهم لايتعاطونها إلا في داخل البلاد من قرية إلى قرية ومن الصعب الغاؤها ... فالعربي أو المستعرب لايشتغل بيده فلايستغني عن العبد لأجل الزراعة وخدمة البيت والنقل والحمل وليست معاملته للعبد بسيئة . وقد ينتقل العبد من سيد إلى سيد والذي يظهر أنه لو تحرر هؤلاء العبيد كلهم دفعة واحدة لكانت ضربة قاسية على سعادة البلاد وتحول هؤلاء إلى رعاع متشردين . »

ثم يقول إن العنصر العربي لايزال عظيماً في جهات كاسنفو ، ولكن مجده الماضي قد زال والمراكز التي كانت لموني محره وسعيد بن عبد لي (كان هؤلاء من كبار التجار) قد ذهبت أمّا كاسنفو القديمة فهي قرية جميلة مبنية باللبن تخترقها الشوارع وهناك عرب صراح يلبسون جبباً بيضاء ويلتقون بكوفيات مطرزة تطريزاً بديعاً سيماهم تدل على الكرامة والوقار وحركاتهم وسكناتهم مقرونة بالأدب التام والكياسة المتناهية والرصانة الفائقة .. الخ

«وترى القرى على لطرق المؤدية من كاسونفو القديمة إلى كاسونفو كلها جميلة ونظيفة والمسحة العربية بادية بها ... الخ ثم ذكر مدينة نيانجوه Niangwa فنقل عن قائم المقام السويدي غليروب قوله في سنة ١٨٨٦ :

«إن نيانقه هي مقر العرب الأصلي وهي مقسومة إلى قسمين يفصل بينهما واد عميق تكثر فيه مزارع الأرز . فإذا بلغ ارتفاع الكونغو معظمه طفت المياه على هذا الوادي . وقد ازدادت هذه المدينة من عهد

ستانلي ازدياداً عظيماً فأهلها اليوم يبلغون نحو عشرة آلاف . وترى على جانبي الوادي أفخر المزارع والمفارس .

وجميع الأشجار المثمرة المجلوبة من افريقية الشرقية جلبها العرب وأدخلوا فيها المواشي والحمير الفارهة للركوب » «ويقول فريتز فان درليدن» أمّا اليوم فقد نزلت نيانجوة عن درجتها هذه بسبب ثورة ١٨٩٣ ومرض النوم ولم يبق فيها إلا ألف رجل . وتحولت تلك الأماكن البديعة التي كانت مصطفة بها الأشجار على ضفتي النهر إلى شعاب سطاعليها العوسج والشوك . ولم يبق في نيانجوه منزل يستحق الذكر سوى بيت بيانيسنفا هذ الزعيم العربي الذي بقي أميناً للحكومة البلجيكية . وحظي بمقابلة الملك في قصر بيروكسل وفي الصفحة ٢٧٤ من الكتاب ذكر المؤلف نهراً يتشعب من الكونغو ويمتد نحو ٣١٥ كيلومتراً بعرض يتفاوت من ٢٠٠ إلى ٦٠٠ م وقال أن على جانبيه القرى وأن الأهالي هم من العرب والمستعربين والطرآء من أماكن بعيدة ووصف العرب بالنظافة والأتقان في العمل . وقال إن المستعربين والعبيد الذين يخدمونهم يشكلون قرى نظيفة تحيط بها مزارع أرز واسعة ، ثم اطرى هؤلاء الأهالي في شدة انهماكهم بالتجارة .

كما وصف الكاتب قرية مستعربه وشاهد سوقها ووصف الدكاكين فيها معروضة فيها أصناف البضائع وحوانيت الخياطين وباعة الخزف والخوص وغير ذلك وقال إن المستعمربين رحبوا بهم ترحيباً كبيراً ودعوهم إلى منازلهم فعاجوا على معلم كتاب أمامه جماعة من الصبيان بعلمهم القرآن وذكر أن عدد سكان القرية يبلغ عددهم ألفي رجل . وقال أنه سأل دومولمستر المندوب العام في الكونغو ، عن عدد المستعمربين في الولاية الشرقية من الكونغو فقال له لاقدر أن أجزم بشيء، ولكنني أظن انهم مائتي ألف مقال له ألا تراهم خطراً دائماً على المستعمرة فأجابه كلا وقد ذكر بأن هناك تهماً باطلة موجهة للعرب فلا

أنكر أنه يجب علينا مراقبتهم وإجبارهم على طاعة القوانين لا أنكـر أنهـم عنصر جيد في البلاد لأنهم قوامون على الزراعة مدنيون بطبعهم زعندهم ميل للجنس الأبيض ..... الخ »

انتهى دمشق ٢٣ / ٤ / ١٩٩٦

محمد عدنان مراد

المراجع :

قبل أن نستعرض مراجع الكتاب لابد لنا أن نشير إلى أهمية ما كتبه الرحالة والجغرافيون ولمؤرخون العرب والمسلمون عن القاررة الأفريقية وبخاصة المناطق التي انتشر فيها الاسلام واصبحت من ديار الاسلام في غرب القارة وشرقها وعلى سواحل المحيط الهندي وقد ظلت كتاباتهم ولاتزال المرجع الرئيسي لجميع المؤرخين في تعرضهم لتلك المناطق في الفترة التي سبقت الاستعمار وهي الفترة التي شهدت ظهور مجموعة ضخمة من المؤرخين والجغرافيين والرحالة اغنوا الحضارة والثقافة العالميتين بما كتبوه من ملاحظات وما سجلوه من افكار لم تشهد مثله أمة من الأمم. ومن هؤلاء من كتب ما شاهده في رحلاته ومنهم من كتب ذلك اعتماداً على المصادر والمراجع ولولا هذه المعلومات المستفيضة لم يتسن للانسانية أن تعرف إلا القليل عن المملك والشعوب التي سكنت وأقامت في تلك المناطق والتي كانت في تلك الفترة (وبخاصة غرب افريقيه) تحوي أقوى دول العالم.

١ - المسعودي : بغدادي الأصل . زار كثيراً من البلدان بما فيها الصين وجزيرة مدغشقر كما اشار في كتاباته إلى بلاد السودان (غرب افريقية) وذكر عن تجارة الذهب عبر الطرق الصحراوية وله كتابان رئيسان هما :

آ - مروج الذهب ومعادن الجوهر.

ب - اخبار الزمان من اباده الحدثان وعجائب البلدان. توفى ٩٥٦م

٢ ابو عبد الله محمد بن محمد الشريف الأدريسي. ولد في المدينة الاسبانية الواقعة على الساحل المغربي وهي مدينةسبتة عام (١١٠٠)

وقد استدعاه ملك صقلية روجر الثاني ليستعين به على رسم الخرائط وله كتاب نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدن والجزر. والمدائن والآفاق وفيه قسم خاص اطلق عليه صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس.

٣ – ابن حوقل «ابو القاسم النصيبي ٩٨٨م» زار مدناً كثيرة وبلاداً كثيرة منها بلاد الحبشة والمدن الساحلية على البحر الأحمر كما وصل إلى أرض الزنج والنيل الأبيض وزار بعض بلاد السودان الغربي وقد ظن النيجر هو النيل أالبرت فيل و فرعاً من فروعه وأشهر كتبه (صورة الأرض).

٤ – البكري ابو عبد الله بن عبد العزيز البكري ١٠٢٨ م ١٠٩٤ م وهو اندلسي وكتب تاريخه المشهور كتاب المسالك والممالك فيه قسم خاص «المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب» وكان في كتاباته دقيقاً رغم أنه لم يزر أي بلد من البلدان التي كتب عنها بل اعتمد على ماكانت تحويه المكتبات العامة والخاصة في قرطبة وقدخصص أيضاً لبلاد السودان جزءاً خاصاً اطلق عليه اسم تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان.

٥ العمري شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله توفي عام ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) وهو عربي من دمشق دخل في خدمة سلطان مصر ثم عاد لدمشق ومن كتبه

أ – التعريف بالمصطلح الشريف

ب – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (مخطوط).

٦ – ابن جبير (محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي الأصل الغرناطي الاستيطان وقد ولد ببلنسية) وبشاطبه ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠ أو سنة ٥٣٩ هـ وتوفي في الاسكندرية ليلة التاسع أو السابع والعشرين لشعبان سنة ٦١٤ هـ (يوم الأربعاء) وكان

ادیباً بارعاً شاعراً مجيداً ولم يقم ابن اجبير برحلة واحدة بل بثلاث رحلات بين اعوام ١١٨٢ - ١١٨٥ جاب فيها مصر وساحل البحر الاحمر ووصل إلى الحجاز والشام والعراق مبتدئاً من غرناطة إلى الاسكندرية فالقاهرة ثم سافر إلى قوص ومنها إلى عيذاب ثم إلى الحجاز لإداء فريضة الحج كما زار صقيلية وروما خلال عودته من احدى رحلاته وقد جمعت رحلاته في كتاب يسمى رحلة ابن جبير تحقيق دكتور حسين نصار.

٧ - ابن بطوطة ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (١٣٠٤ - ١٣٧٧م) ولاشك أنه اشهر الجغرافيين والرحالة العرب طاف معظم بقاع العالم المعروف انذاك من خلال رحلات ثلاث كانت الأولى لقضاء فريضية الحج وزار مصر وسواحل البحر الأحمر والثانية فقد زار سواحل البحر الأحمر ووصل ميناء سواكن السوداني وانتقل منها إلى اليمن وفي الرحلة الثالثة زار غرب افريقيا وتعرف على مملكة مالي ووصل إلى تمبكتو وزار (تاكدا) أكبر مدن الطوارق التي يتم فيها التبادل بالملح والذهب (التبر) ثم زار بعض الجهات الواقعة شرق النيجر وقد وصف ملوك مالي وقد ظن أن نهر النيجر هو نهر النيل لذلك تعجب كيف كان يسير باتجاه الشرق وقد املى ابن بطوطة رحلاته على الأديب محمد بن جزي الكلبي وانتهى من الكتاب عام ١٣٥٦ وأطلق عليه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار.

٨ - ابن خلدون عمر عبد الرحمن بن محمد (١٣٣٢ - ١٤٠٦م) وهو من أسرة عربية اندلسية جاءت لتونس وتنقل في عدة وظائف ولجأ إلى مصر حيث عمل مفتياً للمالكية وفي مصر جمع كتابه المعروف باسم العبر وديوان المبتدأ والخبر كما اشتهر بمقدمته المعروفة باسم مقدمة ابن خلدون .

٩ - حسن بن الوزان (ليون اوليو الأفريقي) ١٤٩٣ - ١٥٤٣

ولد في غرناطة وعاش في فاس بعد هجره والديه وعمل في عدة وظائف ثم أخذ خاله يصحبه بالتجارة ثم صحبه بالسفارة التي كلف بها من قبل سلطان المغرب إلى ملك السودان (مالي) العظيم الاسكيا محمد توري ٩١٠هـ ثم قام برحلة أخرى في نفس الاتجاه بسبب ابعاده عن فاس ودامت هذه الرحلة حوالي سنتين وهي التي الف بعدها كتابه عن مشاهداته في افريقيا تاريخ ووصف افريقيا ويقول في هذا المجال «عندما كان جغرافيونا القدماء يتكلمون على بلاد الزنج لم يكونوا يذكرون غانا ولا واحات صحراء ليبيا ، ثم وصل الغزاة الملثمون والوعاظ كبار التجار ، وأنا نفسي اعتبر آخر من يمكن ذكره في الرحالين اعرف اسماء ستين مملكة زنجية منها خمس عشرة اجتزت بها واحدة بعد الأخرى في ذلك العام من النيجر إلى النيل ولاوجود لبعضها في كتاب. ولكني اكذب إذا نسبت اكتشافها إلى شخصي لأني لم ازد على أن اتبعت الطريق المألوفة من القوافل المنطلقة من جنه أو مالي أو لاته أو تمبكتو إلى القاهرة» .

في عام ١٥١٨ اسر الوزان وهو على مركب عربي في البحر الأبيض المتوسط وحمله القرصان إلى روما وقدموه للبابا ليون العاشر الذي اعجب به وضمه إلى حاشيته واعطاه اسمه واسم عائلته واصبح يسمى يوحنا – ليون دو مديتشي التي ينتمي إليها البابوات في ذلك الوقت وكان ليو الأفريقي يتكلم العربية والتركية والغشتالية والبربرية والعبرية واللاتينية والعامية والايطالية وعندما اسر الوزان كان يحمل معه صورة كتابه عن افريقيا حيث نشر لأول مرة باللغة الأيطالية في عام ١٥٥٠.

١٠ – الحسن بن احمد (الحيمي) : قام برحلة من اليمن موفداً من امامها إلى امبراطور الحبشة في الفترة (١٦٤٧ – ١٦٤٩م) وقد وصف مشاهداته عن الطرق المؤدية من شرق القارة من ميناء بيلول إلى عاصمة

الحبشة والقبائل التي النقى بها مثل قبائل الجالا - الفلاشه وعاداتها وتقاليدها «حديقة النظر وبهجة الفكر وعجائب السفر» وكتابه الثاني سيرة الحبشة.

١١ - التونسي «محمد بن السيد عمر التونسي» وهو من الرحالة العرب الذين زاروا السودان ودوانوا ملاحظاتهم عنه وقد اقام في السودان عشر سنوات ١٨٠٣ - ١٨١٣ وزار دار فور وتحدث عنها وعن ظروف المعيشة فيها وقضى فيها سبع سنوات ونصف ثم سافر إلى وداي وقضي فيها عام ونصف ثم سافر إلى تونس ورحلته منشورة باسم تشحيذ الآذان بسيرة بلاد العرب والسودان وله كتاب آخر اسمه وداي).

١٢ - السعدي : عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي ولد في ١٥٩٦ توفي ١٦٥٥م وهو من اسرة سودانية ولد في تمبكتو وعين إماماً في /جني/ وكانت في ذلك الوقت من مراكز العلم . ثم عمل في تمبكتو وشغل فيها عدة وظائف كتابية وحكومية أخرى . وقد وجدت نسختان مخطوطتان في المكتبة الأهلية في باريس من كتابه «تاريخ السودان» وحققه ونشره هوداس وبنوا في باريس ١٨٩٨.

١٣ - القاضي الفح محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني داراً ، التنبكتي مسكناً الوعكري أصلاً وهو من علماء القرن السادس عشر الميلادي واشتهر بتاريخه (طريق الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس) وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار.

وقد بدأ تأليفه سنة ٩٢٥ هـ /١٥١٩م نشره هوداس وزميله باريس ١٩١٣ وقد افاض صاحب الفتاش (في وصف غانة وسعة نفوذها وأورد اخباراً هي أقرب إلى الأساطير منه إلى الحقيقة.

١٤ - ابن صود : مؤرخ سوداني في القرن السابع عشر ثم احمد

بابا التمبكتي وكان مرجعاً للسعدي .

١٥ - ابن ابي الزرع علي بن عبد الله بن ابي زرع الفاسي توفي عام ١٣٢٦ واشتهر بكتابه الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب.

١٦ - ابن الخطيب ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب الملقب بلسان الدين ابن الخطيب توفي ٧٦٩هـ/ ١٣٦٥م والف كتابه المشهور الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية.

١٧ - ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه وله كتاب يسمى البلدان.

١٨ - ابن الوردي : زين الدين ابو حفص عمر وتوفي عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م.

١٩ - ابن إياس : ابو البركات محمد بن احمد توفي ٩٣٠ هـ ١٥٢٤/ واسم كتابه نشق الأزهار في عجائب الأقطار.

٢٠ - ابو العباس الناصري وكتابه الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى .

٢١ - ابو الفداء اسماعيل صاحب حماه المتوفي ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م تقويم البلدان.

٢٢ - احمد بن الأمين الشنقيطي كتابه (الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ١٩١١م.

٢٣ - الغرناطي (ابو حامد محمد بن عبد الرحيم الأندلسي ت ١١٧٠م كتابه تحفة الأباب.

٢٤ - القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي توفي ٨٢١هـ ١٤١٨م صاحب صبح الأعش في صناعة الأنشا في اربعة عشر مجلداً وطبع دار الكتب المصرية ١٩١٩ وفيه اخبار الحبشة.

٢٥ - المقريزي تقي الدين احمد بن علي توفي ٨٤٥هـ ١٤٤١ م وتاريخه الالمام بأخبار من بالأرض «الحبشة» من ملوك الاسلام (مصر ١٨٩٥).

٢٦ : ابو عبد الله ياقوت الحموي ت ١٢٢٩ وتاريخه معجم البلدان.

٢٧ - الامام النكروري نصيحة أهل السودان .

٢٨ - شهاب الدين احمد بن عبد القادر الملقب بعرب فقيه وهو الذي الف كتاب فتوح الحبشة وأرخ غزوات الأمام احمد بن ابراهيم _جرين) في القرن السادس عشر وهو بجزئين والثاني مفقود .

٢٩ - الشيخ عبد الله الزيلعي زالشيخ عبد المؤمن الزيلعي وقد نقل عنهم القلقشندي.

- التراجم :

٣٠ - النيل الأبيض : الآن مورهيد ترجمة محمد بدر الدين خليل.

٣١ - الحضارات الأفريقية تأليف دنيس بولم ترجمة علي شاهين .

٣٢ - موجز تاريخ افريقيا تأليف رولاند اوليفر وجون فيج - ترجمة الدكتور دولت أحمد صادق.

٣٣ - افريقيا تختنق : رينيه دومون ماري فرانس موتان ترجمة عيسى عصفور.

٣٤ - ديانات الأرواح الوثنية في افريقيا السوداء هـ ز س فرديلبش - ترجمة الاستاذ يوسف شلب الشام.

٣٥ - مختارات من الأدب الأفريقي ترجمة شوكت يوسف.

٣٦ - زامبيا في سبيل التحرر كينيث كاوندا ، ترجمة حسين الحوت ، حمدي حافظ.

٣٧ - وثائق الخارجية الأيطالية حول احتلال ارتيرية : ترجمة ونشر البعثة الخارجية لجبهة التحرير الأريترية قوات التحرير الشعبية.

٣٨ - افريقيا للأفريقيين : ترجمة احمد كمال يونس ، تأليف كلـود فوتييه.

٣٩ - افريقيا اليوم : التقدم الصعاب ، الآفاق «دراسات افريقيـة للعماء السـوفييت اكاديمية العلوم السوفيتية موسكو ١٩٨٤ ، ترجمة موفق الديلمي.

٤٠ - كنته الشرقيون : تأليف بـول مارتي ، ترجمة وعلق عليه محمد محمود وداي سفير ووزير موريتاني .

٤١ - تاريخ الشعوب الأسلامية ، كارل بروكلمان.

٤٢ - القافلة : كارلتون كون ، ترجمة برهان الدجاني .

٤٣ - العرب والملاحة في المحيط الهندي : جورج فـاضلو حوراني ، ترجمة الدكتور يعقوب بكر.

٤٤ - بريطانيا في السودان تأليف اللـورد كرومر ، تعريـب عبد العزيز احمد عرابي .

٤٥ - أوربا والتخلف في افريقيـا ، الدكتـور والـتر رودنـي ترجمة احمد القصير (سلسلة عالم المعرفة) .

٤٦ - قصة الحضارة ويللي ديورانت.

٤٧ - حاضر العالم الاسلامي أربعة أجزاء تأليف لوثروب سـتودار ، ترجمة الأستاذ عجاج نويهض ،تعليق الأمير شكيب ارسلان.

٤٨ - الصحراء الكبرى ، جورج غيرستر ، تعريب خيري حماد.

٤٩ - الدول الاسلامية على جزئين تأليف ستانلي لـين بـول نقلـه إلى العربية محمد صبحي فرزات .

٥٠ - تاريخ الجزائر وأوربا جون . ب - وولـف ترجمة الدكتـور ابو القاسم سعد الله .

٥١ - اعـداد مجلـة ناشـيونال جيوغرافيـك National Geographic الأعـداد (١) المجموعـة ١١٦ العـدد ١ ، المجموعـة ١٥٨ العـدد (٥) ،

المجموعة ١٦٠ العدد (٦) مجموعة ١٥٦ عن كينيا. اوغندا - الصومال - الطوارق.

- المراجع العربية

٥٢ - مملكة الواندال في شمال افريقيا محمود سعيد عمران .

٥٣ - مملكة الفونج الاسلامية الدكتور مكي شبيكه .

٥٤ - امبراطورية غانا الاسلامية دكتور ابراهيم على طرفان .

٥٥ - تاريخ السودان من اقدم العصور إلى قيام الأحزاب السياسية «الحكومة السودانية».

٥٦ - تاريخ السودان البحر الأحمر واقليم البجه محمد صالح ضرار البجاوي.

٥٧ - الاسلام والحبشة عبر التاريخ مهندس فتحي غيث .

٥٨ - تاريخ الصومال قديماً وحديثا (٢ جزء) حمدي السيد سالم.

٥٩ - افريقيا السوداء يوسف روكز .

٦٠ - تشادمن الاستعمار - حتى الاستقلال ١٨٩٤ - ١٩٦٠ عبد الرحمن عمر الماحي.

٦١ - غانا تقاليد وثقافات عبد المنعم شميس - كامل عبد المجيد

٦٢ - غانا بين الماضي والحاضر شوقي محمد خشاب.

٦٣ - ارتيرية والتحديات المصيرية دراسات وثائقية حامد صالح تركي.

٦٤ - جولة في ربوع افريقية بين مصر والرجاء الصالح ، محمد ثابت.

٦٥ - الموانئ السودانية تأليف الدكتور صلاح الدين الشامي.

٦٦ - زنجبار تأليف الدكتور صلاح العقاد ، جمال زكريا قاسم.

٦٧ - القادة الأفريقيون عبد الحميد عبد النبي.

٦٨ - افريقية فصول من الماضي والحاضر ، احمد طاهر.

٦٩ – افريقيا الجديدة الحكومة التونسية.
٧٠ – اساس مشكلة القرن الأفريقي الاستاذ عبدي عواله جامع.
٧١ – قضية اتحاد ارتيرية والحبشة «الأمم المتحدة»
٧٢ – الهزيمة الثالثة – الكفاح التاريخي للصومال العربي ابراهيم عبد الله محمد ماح.
٧٣ – قصة الصومال ، دكتور حمدي الظاهري .
٧٤ – ارتيرية مستعمرة في مرحلة الأنتقال ١٩٤١ – ١٩٥٢.
٧٥ – ليبيا بين الماضي والحاضر ، الدكتور حسن سليمان محمود.
٧٦ – الدكتور محمود عبد الحميد احمد «الهجرات العربية القديمة» .
٧٧ – المسلمون والأستعمار الأوربي الأفريقية ، الدكتور عبد الله عبد الرزاق ابراهيم. – سلسلة عالم المعرفة .
٧٨ – تاريخ الجزائر العام خمس أجزاء عبد الرحمن بن محمد الجيلاني.
٧٩ – افريقيا من السنغال إلى نهر جوبا ، محمد عبد الفتاح ابراهيم مصر ١٩٦١م
٨٠ – افريقيا الغربية في ظل الاسلام ، نعيم قداح كوناكري ١٩٦٠م.
٨١ – بريطانية والعرب ، محمد عدنان مراد.
٨٢ – صراع القوى في المحيط الهندي والخليج ، محمد عدنان مراد.
٨٣ – الخليج العربي في الماضي والحاضر محمد عدنان مراد .
٨٤ – اليمن المحتل عدن والمحميات محمد عدنان مراد.
٨٥ – عمان والأمارات محمد عدنان مراد.
٨٦ – القارة الأفريقية اصولها وتاريخها وحضارتها ، مقالة العددان

٣٨ - ٣٩ مجلة الآداب الأجنبية الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق . بقلم محمد عدنان مراد.

٨٧ - عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨ الدكتور فاروق عثمان أباظة.

٨٨ - جغرافية وتاريخ السودان ، نعيم شقير.

٨٩ - تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ، الامام نور الدين عبد الله حميد السالمي.

٩٠ - نهضة الأعيان بحرية اهل عمان ، ابي بشير محمد بن شيبة بن نور الدين عبد الله ابن حميد السالمي.

٩١ - فليب حتى ٢ جزء خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى.

٩٢ - العرب وافريقيا ، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت).

٩٣ - موريتانيا الحديثة ، محمد يوسف مقلد.

٩٤ - تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية تأليف الدكتور شوقي عبد القوي عثمان سلسلة المعرفة.

٩٥ - الأدب الأفريقي الدكتور علي شلش «سلسلة عالم المعرفة»

٩٦ - تقارير وزارة خارجية الجمهورية العربية السورية.

٩٧ - استطلاعات مجلة العربي جزر القمر - مالي - زنجبار ... الخ.

٩٨ - مجلة السياسة الدولية الاعداد ٦ - ٢٧ - ٣٠ - ٣٣

آ - افريقيا وازمة الحركة الوحدوية - الدكتور بطرس غالي.

ب - وجهة الاسلام في القارة الأفريقية الكتور عبد العزيز كامل.

جـ - الأقليات الآسيوية في شرق افريقيا الدكتور عبد الملك عودة.

د - خريطة الوحدة الأفريقية بعد عقدها الأول - احمد ابو شادي.

٩٩ - منشورات حركـات المقاومـة الأريترية والصومـال الغربـي وحركة تحرير اورمو : الاستعمار الاستيطاني الاثيوبي) ومقاومة اوروموـو مع تاريخ الصومال الغربي.

١٠٠ - دراسات عن الصومال الغربي محمد عدنان مراد .

**

المراجع الفرنسية

1 Grand (Larouse) Encyclopidiques
2 - Quid : par Dominique et Michel Fremy
3 - Histoire du Dahomy (Benin) : Robert Cornevin
3 - Histoire du Togo : =
4 - Histoire du Congo "Zair" : =
5 - Histoire des peuples de l'Afrique noirs : =
7 - Le Roi - Dieu - au Benin : Palu M: Ti
8 - Dinamique Côte D'ivoir : R Qrivat
9 - Histoire du Madagascar : Hubert Deschamps
10 - Histoire du Niger : Edmand Seré de Rivière
11 - Histoire de l'Afrique occidental Francaise : C.D.T
J. chailly et H.Deschamps
12 - La Republique Malagache : Roger pascal
13 - La Rwanda et la civilisation interlacustre : Luc de Heusch
14 - Bibliographie du Madagascar (4 volumes) : Guillaume Grandidier
15 - Les origines des Malagaches : R.P. Dubois
16 - Histoire Palatique et colonial de Madagascar : G, Grandidier
17 - Les migration interieures a Madagascar : H. Deshamps
18 - L'empire de (Gao) Histoire Coutoumes : Berand Villars
19 - la penetration Touareg C.D.T Bertix
20 - Atlas general du Congo
21 - La Royaumes du Congo au XV - XVI Siecles : Balviehy
22 - L'Afrique noire pré Colonial : Cheikh Anta Diop Paris 1952
23 - Du Niger au Golfe de Guinée : Paris 1992 L. G Binger
24 - Islamisme Contre Naturisme au Soudan J. Brevié Paris 1923

25 - Delafosse.

a) traductions Historiques et légendaires du Soudan occidental (Traduites d'un manuscrit Arabe Paris 1919

b) Histoires des Colonies françaises T III Afrique occidentale Paris 193

c) Soro (Encycl. of islam vau IV

d) Takrur. encyclo. of islam vau IV

26 - Voyage au Soudan français (Haut Niger et pays de Segou 1879-1881 Paris 1882 : Le Camandant Gallieni

المراجع الإنكليزية

27 - Encyclopaedia Bricanica

28 - Races of Africa : E.G seligman

29 - An Atlas of African Affaires : Andrew Boyd and Patrick Van Rensburg

30 - Ethiopia To day (1960) . S.H Amlafu Makonnen

31 - A history of Africa 1918 - 1967 U.S.S.R Academy of sciences

institude of Africa Moscow 1968
32- African Bondaru Problems : Carl-Costa Widstand Uppsala
33- A History of East Africa : Kenneth Ingham
34 - Brode H Tippo-Tip Arnald London 1907
35 - Calvile H. The Land of The Nile Springs . Arnald London 1895
36 - Talbot . P. A The peaples of southern Nigeria London 1958
37 - Wiedner DL A History of Africa South of The Sahara
London 1948
38 - East Africa and its invaders : sir .R Coupland
39 - Livingstone's Last Journey -- =
40 - Kenya A political History The Colonial period : George Bem
41 - Education an Nation balding in Africa . L Gray Cows
James O'Connelle and Daved . Q.S Scanlan Gand
42 - The Somali Dispute John Drysdel
43 - A History of Kilwa : Sir John Cray
44 - Zanzibar its history and its peaple W. H Ingam
45 - The Right Honourable Cecil Rhodes 1910 Fuller . T. E
46 - The strugl for fawer in Rodesia Nyassaland
London 1966

الملحق رقم (١)

لائحة توزيع اللغات والشعوب الأفريقية في القارة

المجموعات اللغوية	الشعوب	المناطق
أولا – السامية الحامية	١ – عرب – عرب – بربر مصريون .. الخ ٢ – الأمهرة تبحيرينا – التيجيري .. الخ	: الشمال . الصحراء . وادي النيل : اثيوبيه : السودان
ثانيا – الكوشيه	١ – الصوماليون – الدناكل – عكار ٢ – الفالا ٣ – سيدامو (كافا ... الخ)	: الصومال ـ جيبوتي ـ اثيوبيه : اليوبيه : كينيا
ثالثا – البربريه	١ – الطوارق ٢ – بربر	: الصحراء : شمال غرب افريقيه
رابعا – التشاديه Chadie آ – السنغاي ب – الكانوري جـ – السودانية النيليه	١ – هوسا ... الخ ٢ – السنغاي جيرما ... الخ ٣ – كانوري ٤ – دنكا .. الخ ٥ – تيسو .. الخ ٦ – لو ٧ – ماساي	: شمال نيجيريا – النيجر مالي ، النيجر شمال نيجيريا سودان اوغندا كينيا ـ تنفاتيكا كينيا ـ تنفاتيكا
خامسا – النيجيرية آ – الأطلسية	١ – فولاني (فولا فول) فولب : بيول ٢ – الولوف : ٣ – سيرير ٤ – ديولا ٥ – التيمن Temne	: السنغال ـ مالي ـ غينيه ـ فولتا ـ داهومي ـ النيجر ـ شمال نيجيريا ـ الكمرون سنغال ـ غامبيا سنغال ـ غامبيا غامبيا سيراليون
ب – الماندية	١ – مالينكيه (ماندنقو) ٢ – بامبارا ٣ – سونيله ٤ – السوسو	سنغال ـ غامبيا ـ مالي ـ غينيه ساحل العاج مالي مالي غينيه

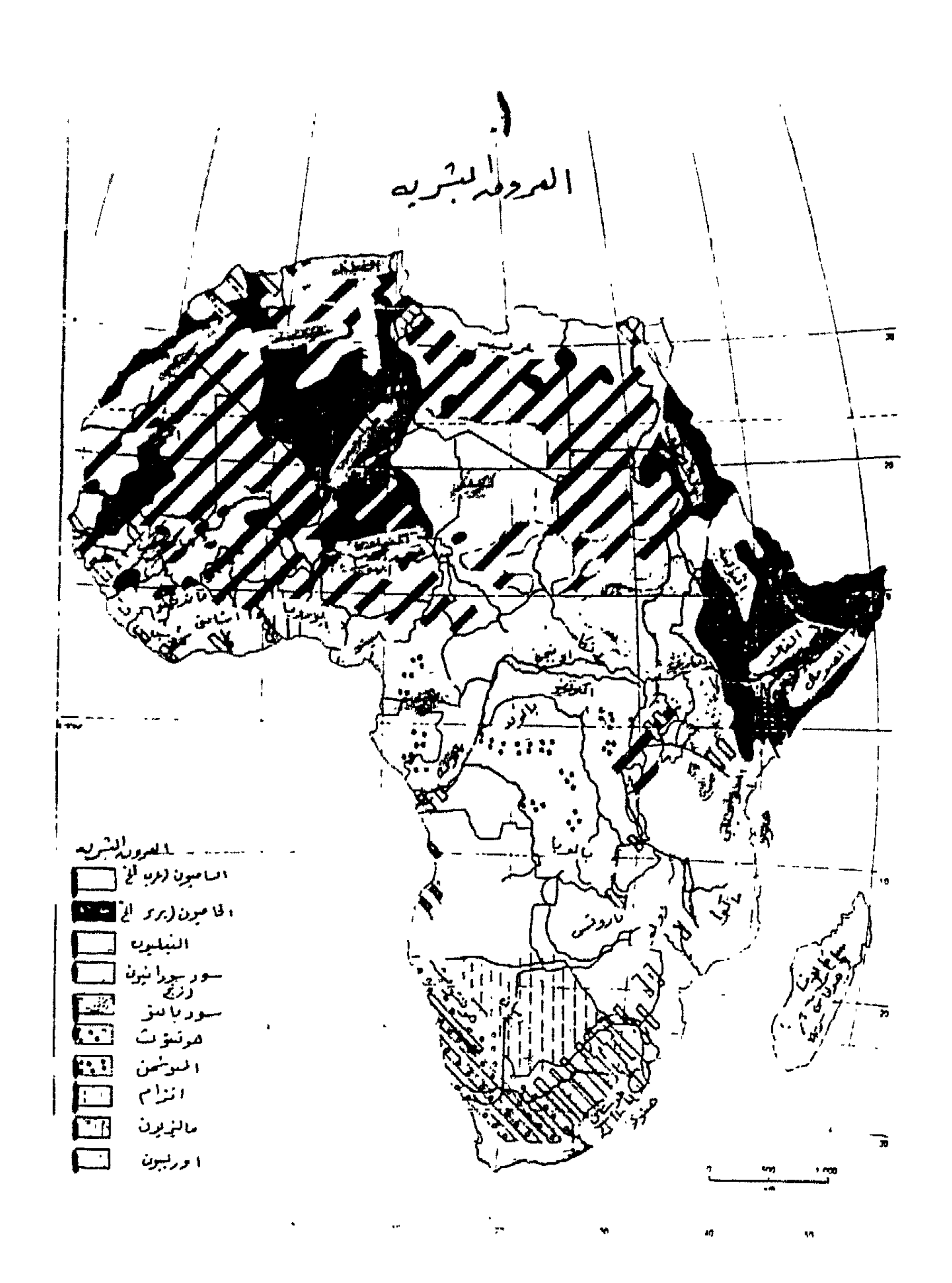
	٥ – الماند	سيراليون
	٦ – كبيليه	غينيه ـ ليبريا
جـ – الفولنيه	١ – الموسي داغومبا .. الخ	فولتا ـ غانا
	٢ – سينوفو (سينيه بسيينا)	ساحل العاج
– كـــــوا –	١ – كرو	ليبريا
كرو	٢ – باوليه	ساحل العاج
– كوا – توي	٣ – سانوي اني Anyi	ساحل العاج ـ غانا
– (الأكان)	٤ – الأشانتي	غانا
	٥ – الفانتي	غانا
	١ – ايوي	غانا ـ توجو
هـ – تـوي –	٢ – فون	توغو داهومي (بنين)
ايوي	١ – يوروبا	غرب نيجيريا
	٢ – ايفيا – ايكيتي ، ايفه	غرب نيجيريا داهومي (بنين)
ح – يوروبا	– نوب . ايفبيرا .. الخ	شمال نيجيريا
	– ايدو (بيني) ايسكوكو.. الخ	وسط وغرب نيجيريا
ك – نـــــوب	– ايبو	شرق وغرب نيجيريا
Nupe	– ايجاو (إجو)	شرق وغرب نيجيريا
ل – ايدو	– دوالا .. الخ	الكميرون
م – ايبو		
– اخــــــرون		
ليوابانتو		
سادســـــا –	١ – ايبيبو . الينيك .. الخ	شرق نيجيريا
النيجيريه بانتو	٢ – الباميليك	: الكميرون
آ – البانتويه	٣ – فانغ ـــ (منانغ.بولو)	: كميرون ـ غابون
ب – البانتو	٤ – الكونغو	: الكونغو ـ زائير ـ انغولا
	٥ – نفالا	: كونغو (زائير)
	٦ – مونغو	: كونغو (زائير)
	٧ – تيتيلا	: كونغو (زائير)
	٨ – لولوا (باما بيني)	: كونغو (زائير)
	٩ – لوبا	: كونغو (زائير)
	١٠ – لواندا	: كونغو (زائير) انغولا
	١١ – لوزي (باروتس)	: زامبيا
	١٢ – لامبا	زامبيا ـ الكونغو
	١٣ – باميا (با ـ واويمبا)	زامبيا
	١٤ – مبونـــــدو (اوفيلونــــــدا)	زامبيا ـ انغولا
	بيلوندا .. الخ	
	١٥ – امبـــــو (اون هـــــيريرو	انغولا . جنوب غرب افريقيه
	(دامارا)	جنـــوب غـــرب افريقيـــه ـــــ
		بيتشولاند
	١٦ – يـــار (م.دانيـــاموزي .	موزامبيك مالاوي . تنفانيكا

	باسوكوما) ١٧ - سـواحيلي (وا.هـاديمو زارومو .. الخ ١٨ - شاغا ١٩ - كمبا ٢٠ - كيكو	تنفانيكا كينيا . زنجبار تنفانيكا كينيا كينيا
جـ -	لغة البحيرات :	
	١ - رونـدي (بـا. وارونـدا) بانياغاندا ٢ - غاندا ٣ - سوغا (با) ٤ - نكول (بانيا ـ آ) ٥ - نيورو (با) ٦ - لوهيا (ابا ـ با) كافيروندو ٧ - هايا (وا) ٨ - زلينزا . ها ، باشي .. الخ	بوروندب رواندا اوغندا اوغندا اوغندا اوغندا كينيا تنفانيكا تنفانيكا كونفو
د - مارافي :	١ - شيوا (ماشيبا . ٢ - نيانجا (ما Wa ـ Na) ٣ - نياسا (وا Wa)	زامبيا ـ ملاوي موزامبيق ـ ملاوي موزامبيق تنفانيكا
هـ - شوفا :	شوفا (ماكارانفـا . كوريكوري ندو تونفا زيزورو ... الخ)	زيمبابوي ـ موزامبيق
و - سـونفا Thonga:	١ - سونفا (باشـانفانا الينفـوي شوبي رونفا ... الخ)	موزامبيق ـ الترانسفال
ح - نفونـي : Nguni	١ - انفوني ٢ - ندبيله (ماتابليه) ٣ - سوازي (اما AMA ٤ - زولو (اما AMA) ٥ - بوندو (اما ٦ - تميو (اما ٧ - خوسا اما	زامبيا ـ تنفانيكا زيمبابوي ـ الترنسفال وازيلاند ـ زانسفال الناتال الكاب الكاب الكاب
طـ - سـوتو /تسوانا/	١ - فاندا (با BA ٢ - بيدي (با ٣ - السوتو (باسوتو) ٤ - تسوانا (بيتيشونا)	زيمبابوي ـ الترانسفال الترانسفال باسوتولاند ـ الناتال باتشولاند ـ ترنسفال
سـابعا - الخويسان	البشمان - الهوتنتوت	جنوب غرب افريقيا ـ الكاب ـ باتشولاند
ثامنـا -	ملفاش (مارينا هوفا ... الخ	مدغشقر

ملايوبولينيز		

الخرائط

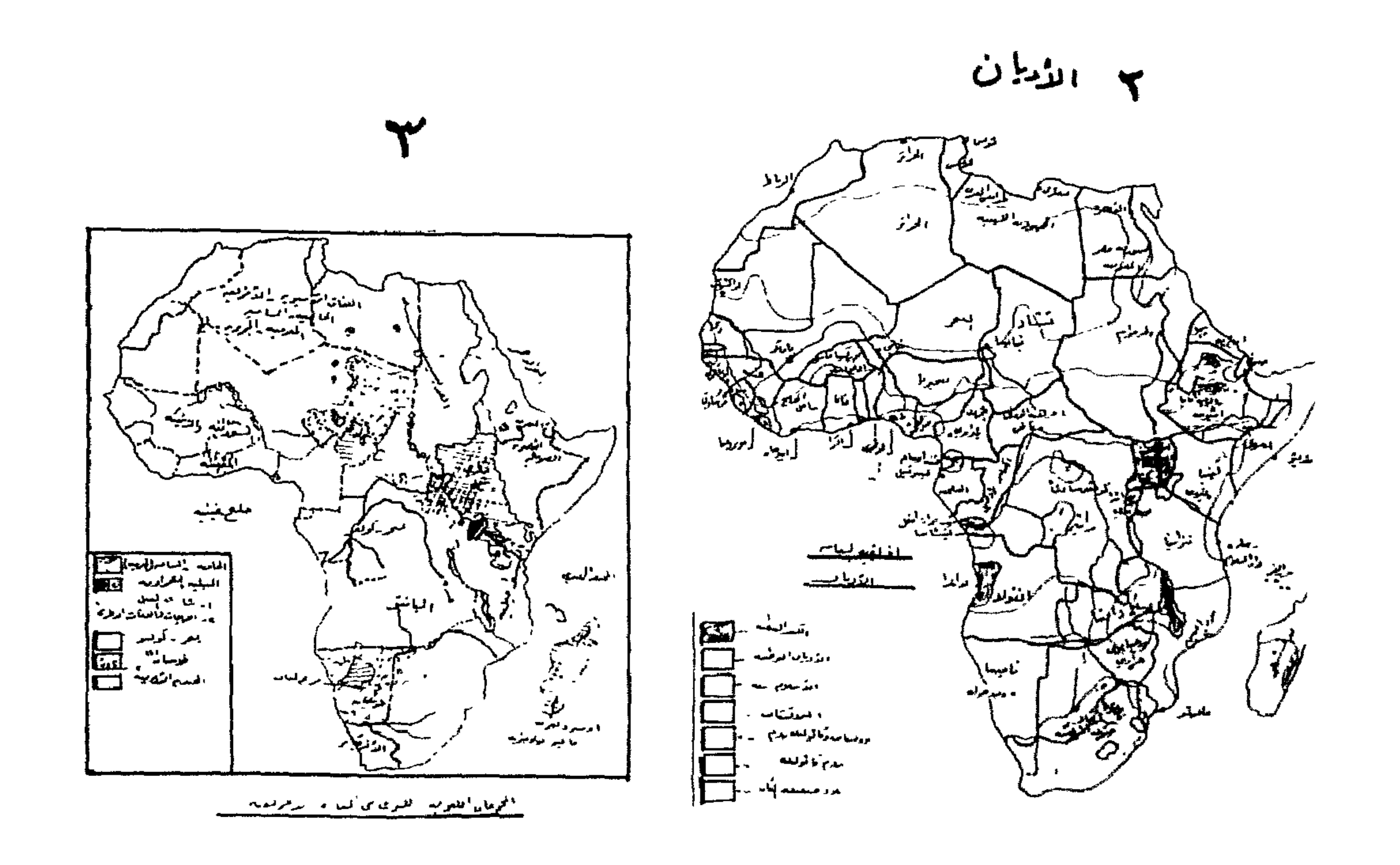
عشر والسادس عشر
٢١ - الانتشار التقريبي للمجموعات العرفية والثقافية في شرق افريقية
٢٢ - دول البانتو الغربيون بين ١٩ / ٢
٢٣ الانتشار العربي والمستعمريون في شرق الكونغو .



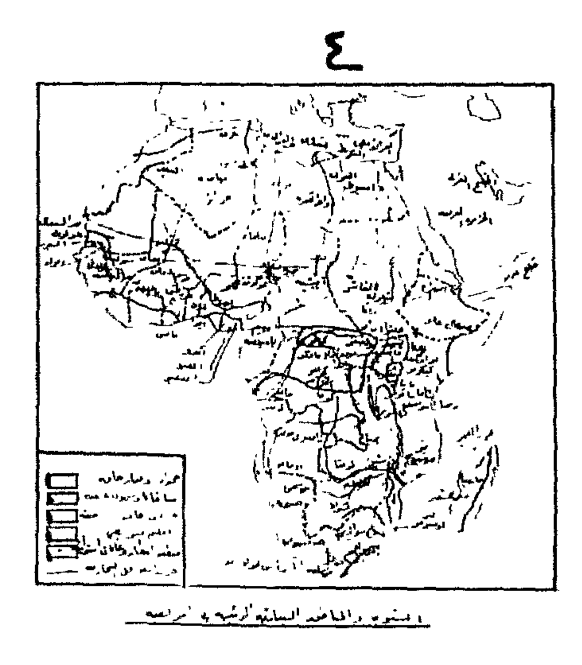
أ
العروقه البشريه
العروق البشرية
الساميون (عرب الخ)
الحاميون (بربر الخ)
النيليون
سود سودانيون وزنج
سود بانتو
هوتنتوت
البوشمن
انزام
ماليزيون
اوربيون

٢ الأديان

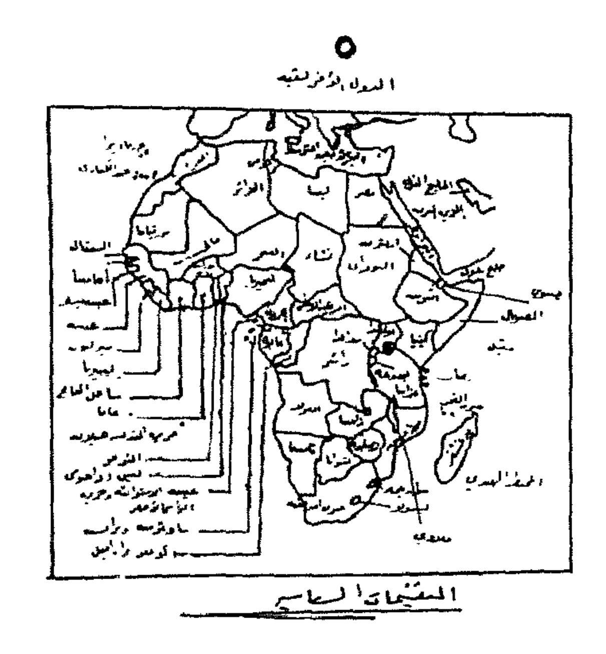
٣



٤

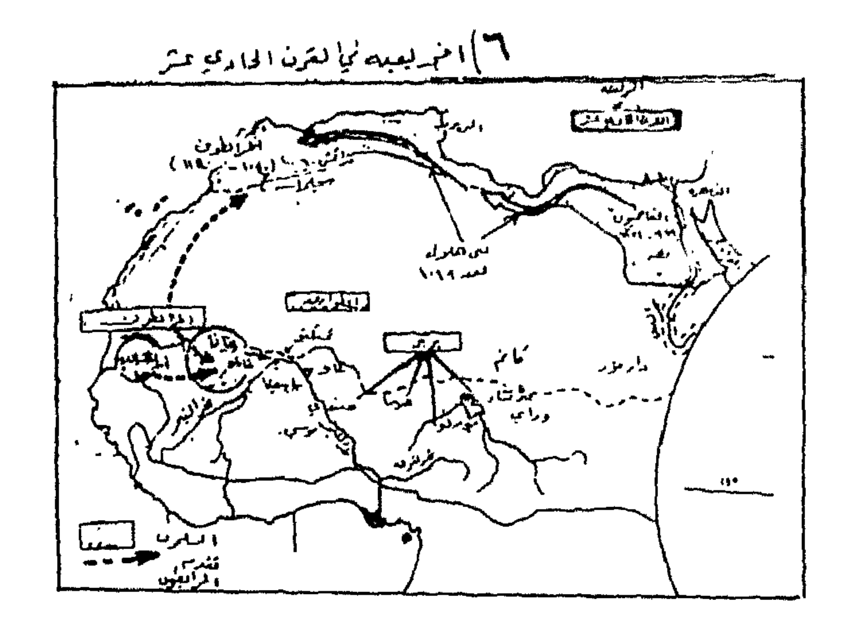


٥

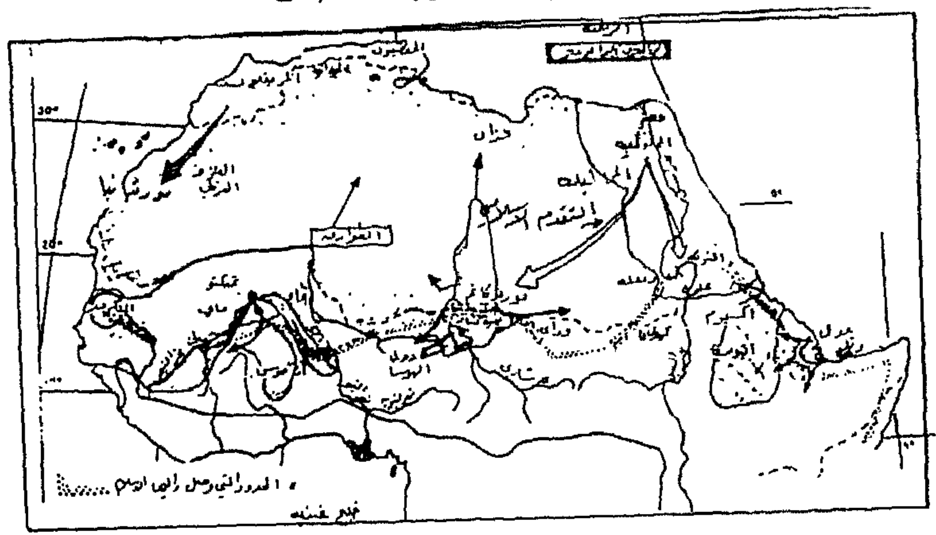


الدول الأفريقية
الجزائر
ليبيا
مصر
تشاد
موريتانيا
السودان
كينيا

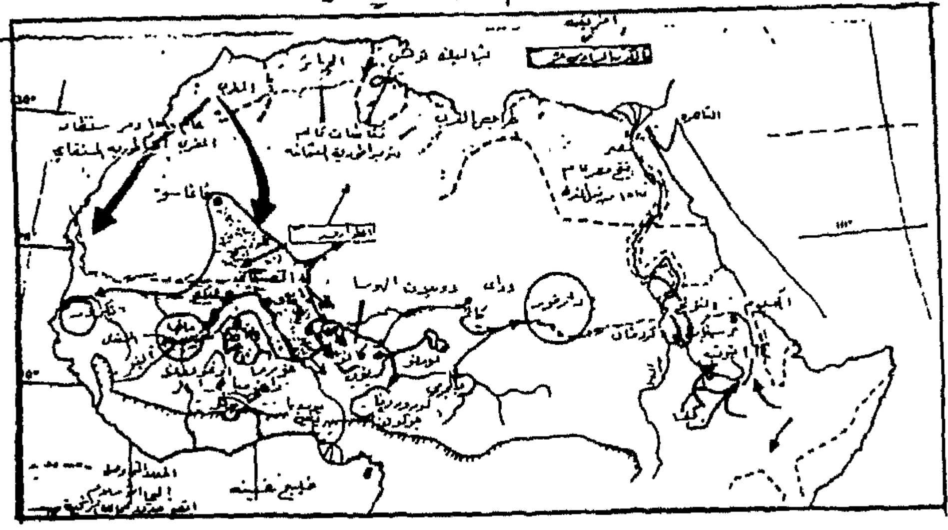
٦) افريقيه في القرن الحادي عشر



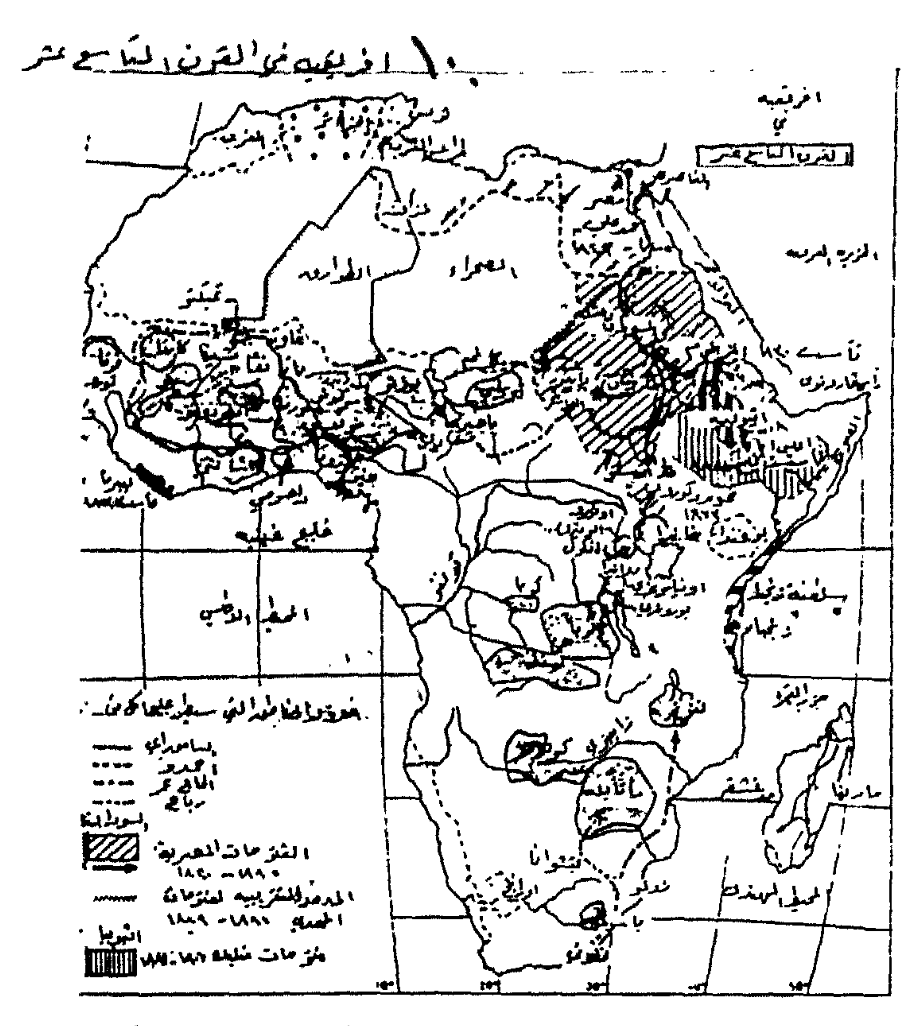
٧- افريقيه في القرن الرابع عشر



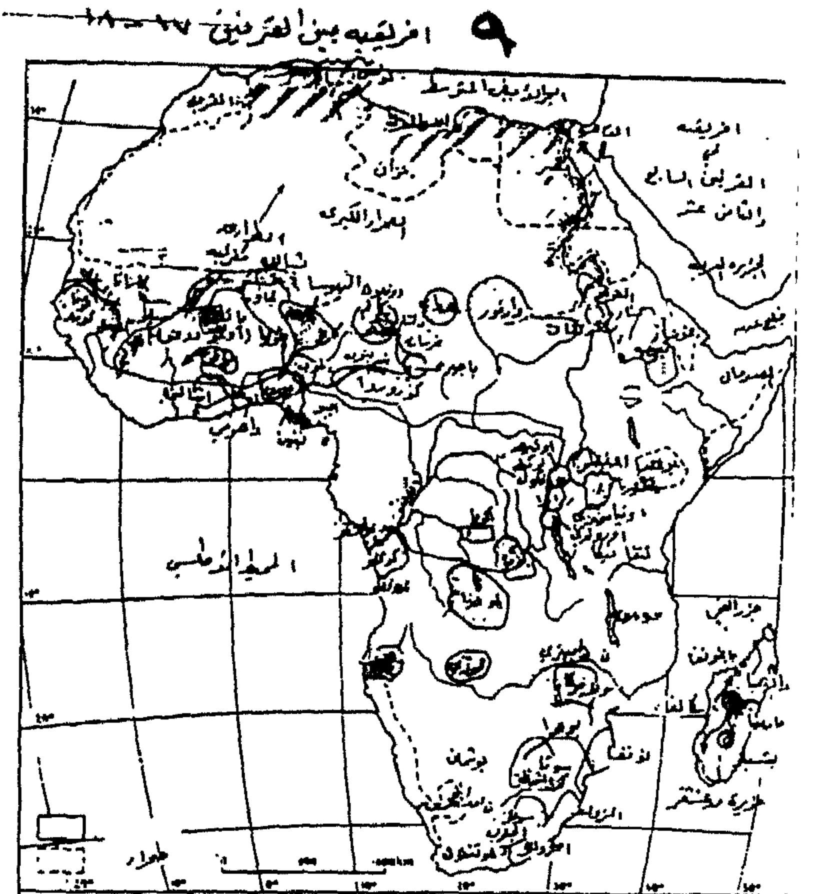
٨) افريقيه في القرن السادس عشر



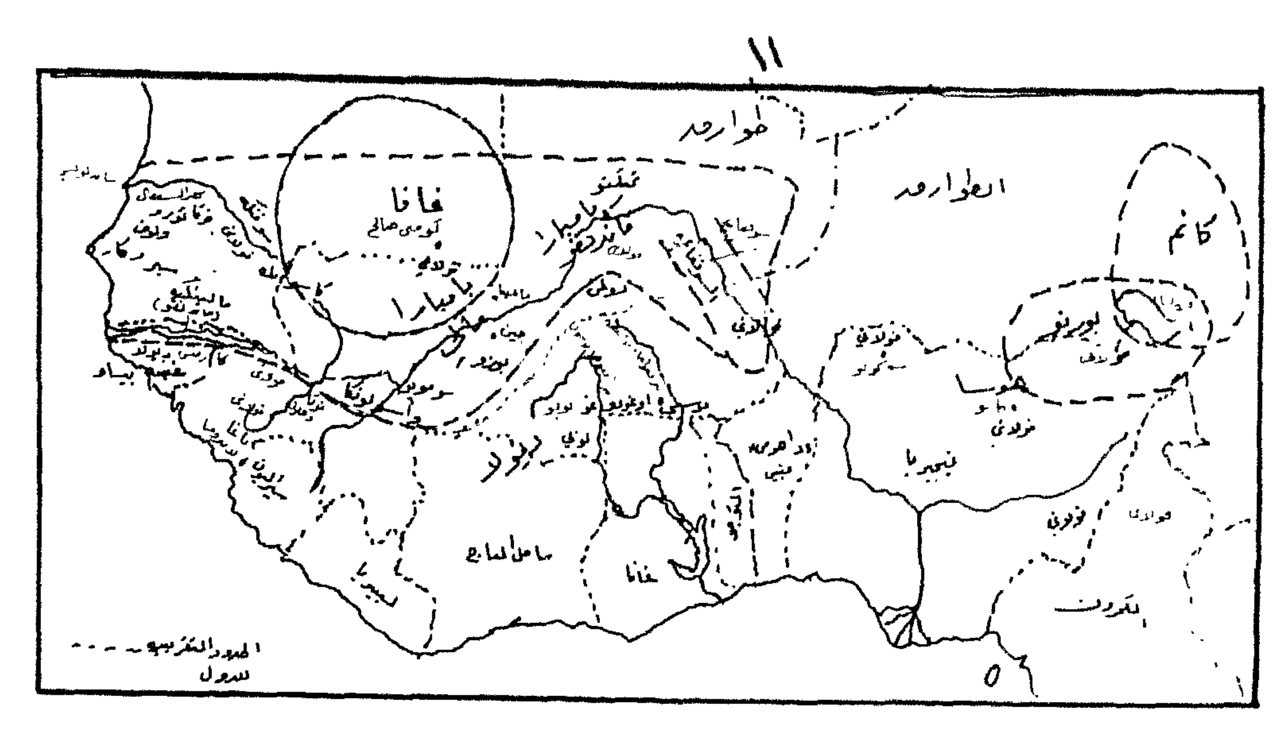
١٠ افريقيه في القرن التاسع عشر



٩ افريقيه بين القرنين ١٧ - ١٨

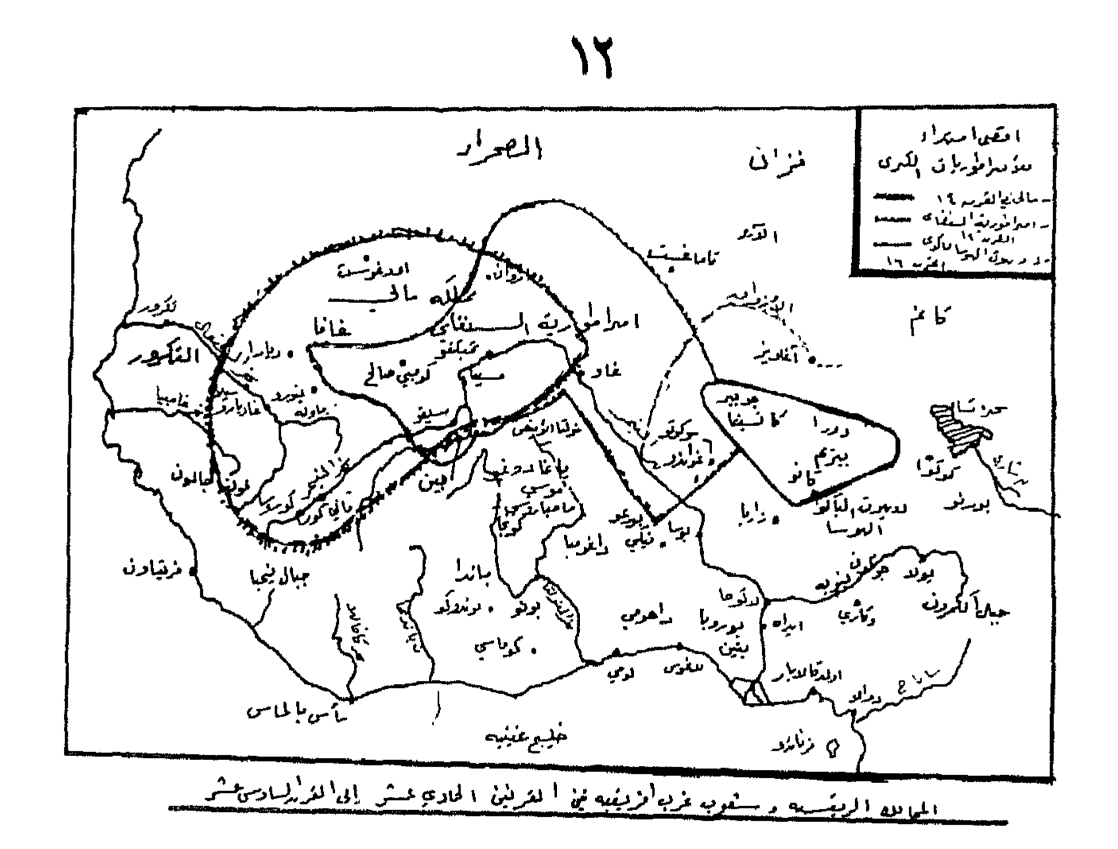


١١



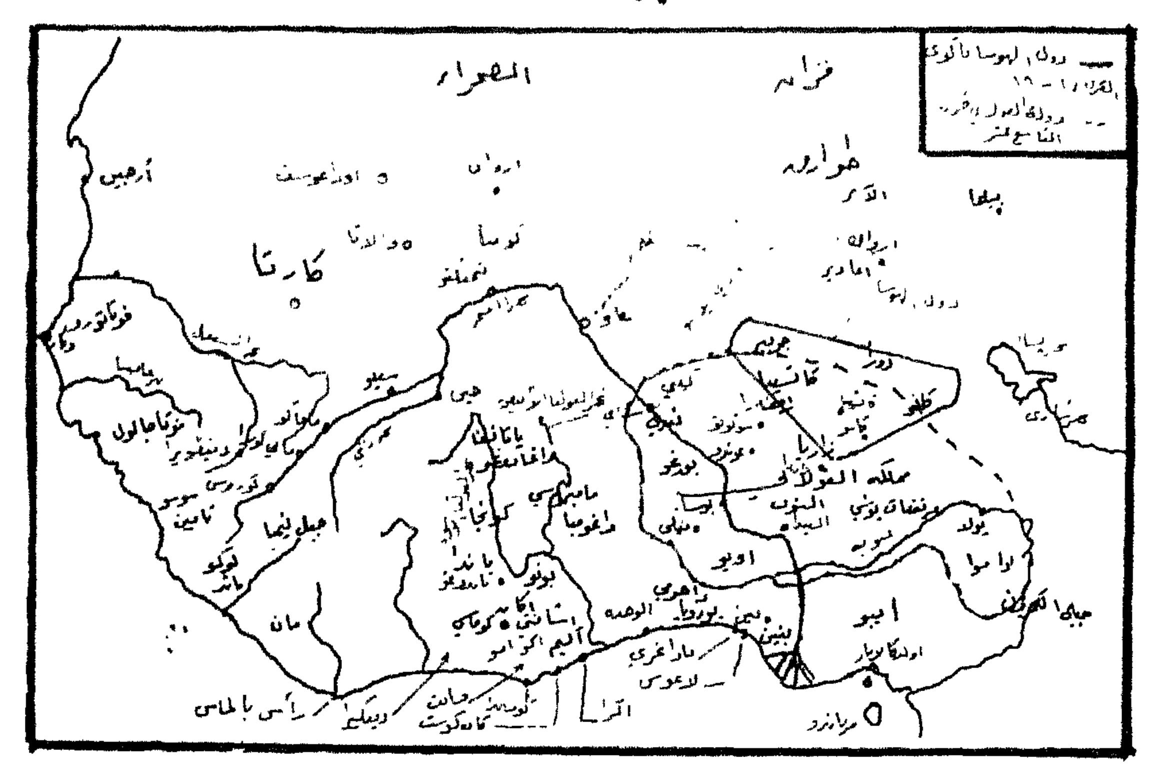
انتشار شعوب السودان الغربي والحدود التقريبية للدول الرئيسية التاريخية الكبرى

١٢



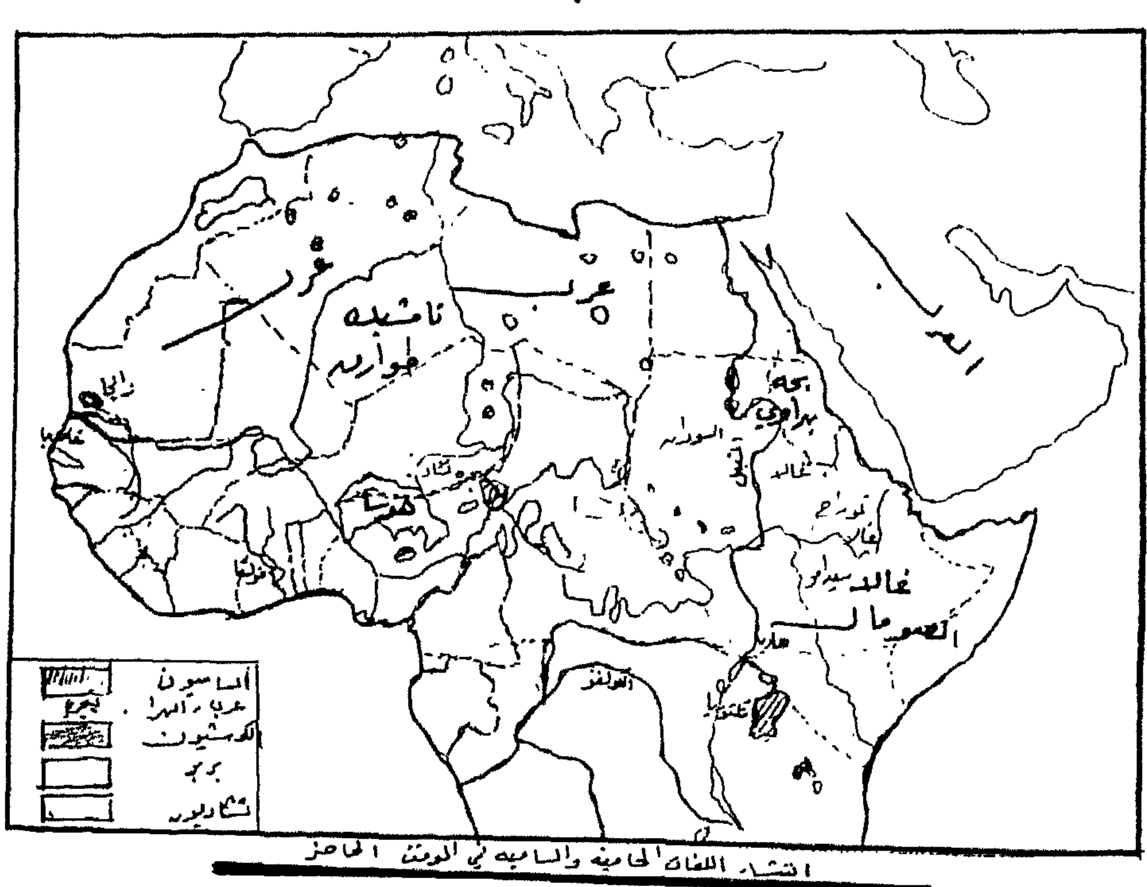
الممالك الرئيسية وشعوب غرب أفريقية في القرنين الحادي عشر إلى القرن السادس عشر

١٣



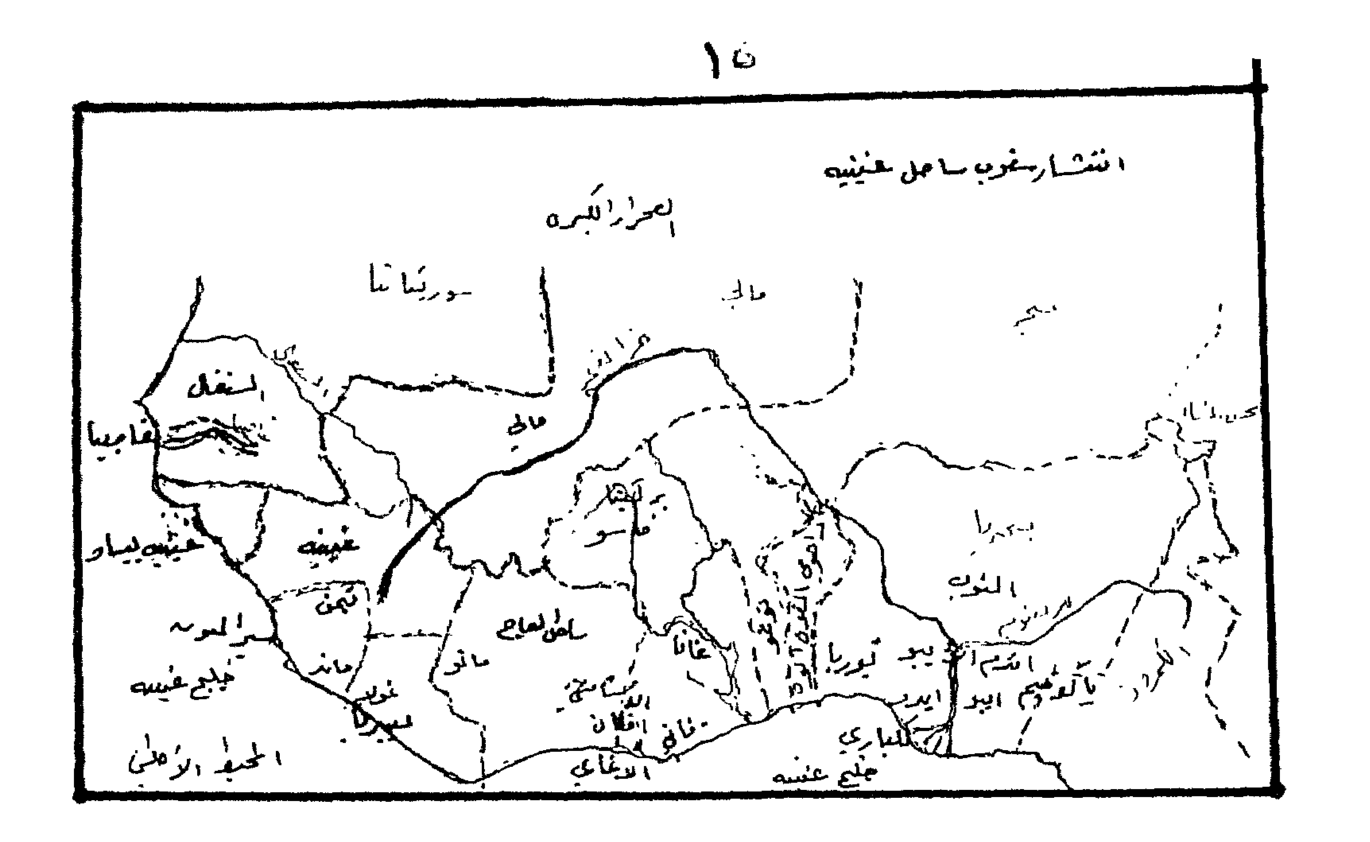
السعوب والدول الرئيسيه الكبرى في منطقة غرب افريقيه في القرنين السابع عشر والتاسع عشر

١٤



انتشار اللغات الحاميه والساميه في الوقت الحاضر

١٥

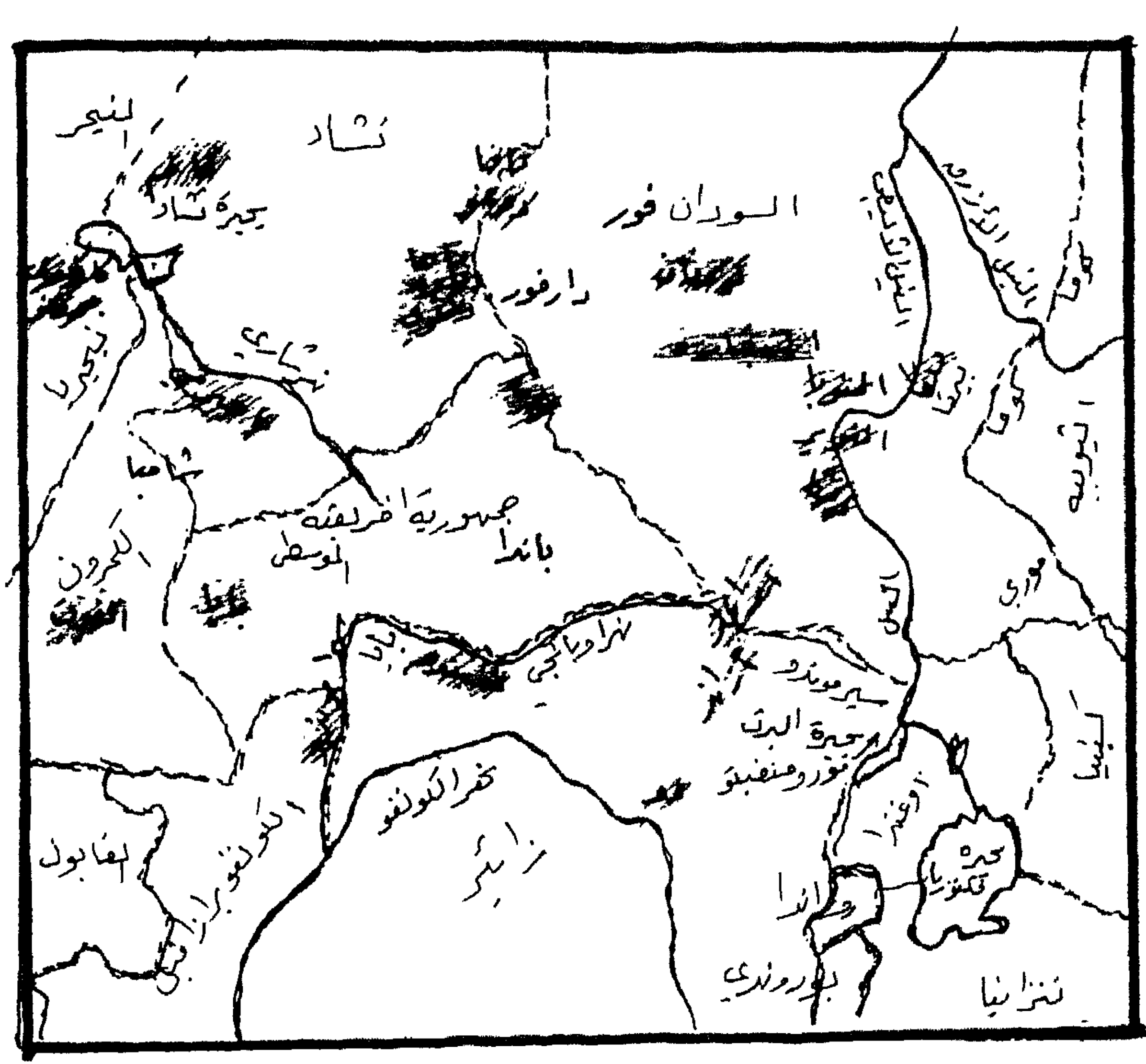


انتشار شعوب ساحل غينيه
الصحراء الكبرى
موريتانيا
مالي
السنغال
غامبيا
غينيه بيساو
غينيه
ساحل العاج
غانا
نيجيريا
خليج غينيه
المحيط الأطلسي

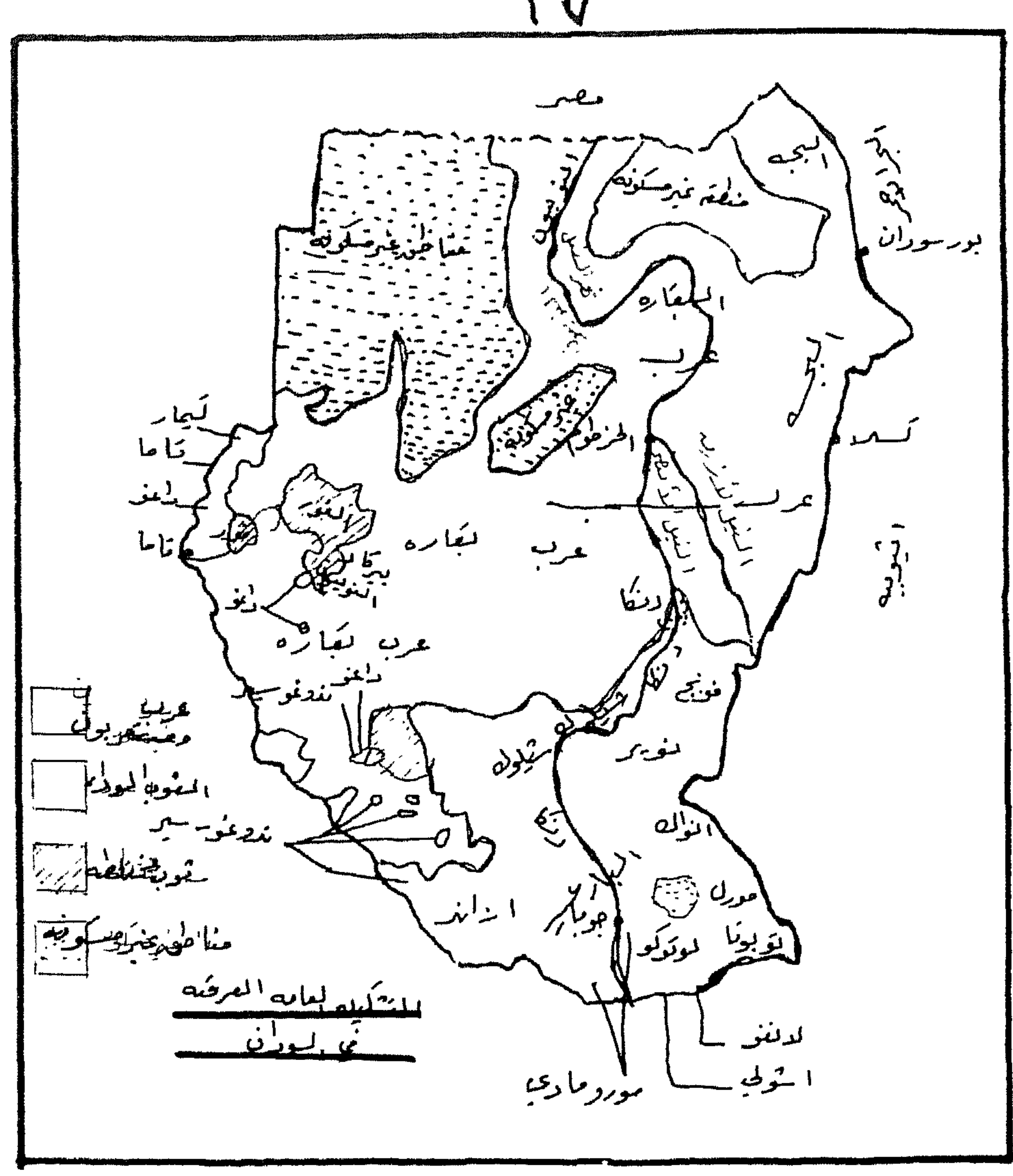
١٦

هجرة البانتو الأسطورية نحو الجنوب

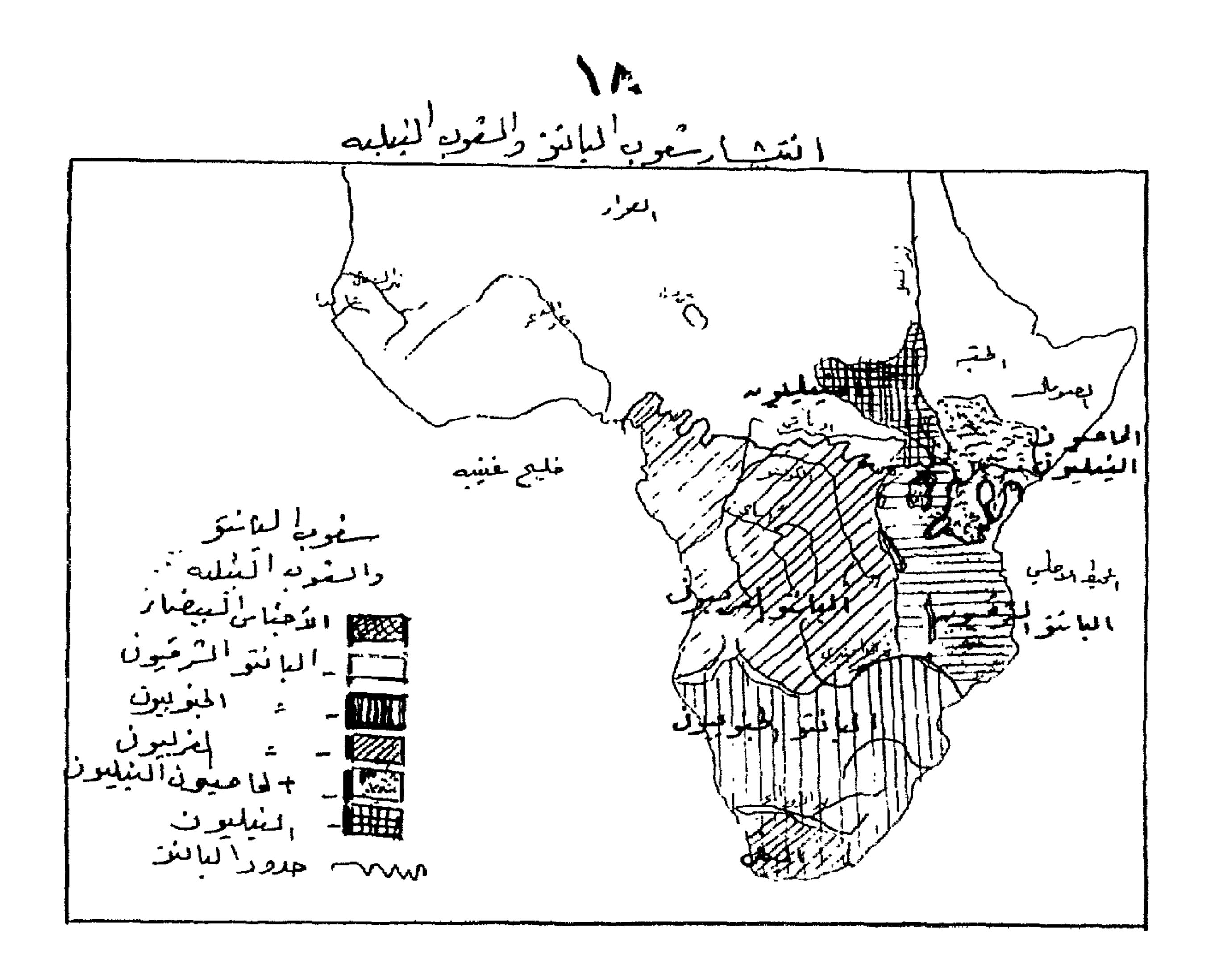




انتشار شعوب السودان الشرقي


مصر
البجه
منطقة غير مسكونة
مناطق غير مسكونة
بور سودان
عرب
الخرطوم
غير مسكونة
عرب البقارة
دنكا
فونج
نوير
شلوك
النوبة
الزاندي
باريا
التشكيلات العامة العرقيه
في السودان

١٨
انتشار شعوب البانتو والشعوب النيلية



١٩

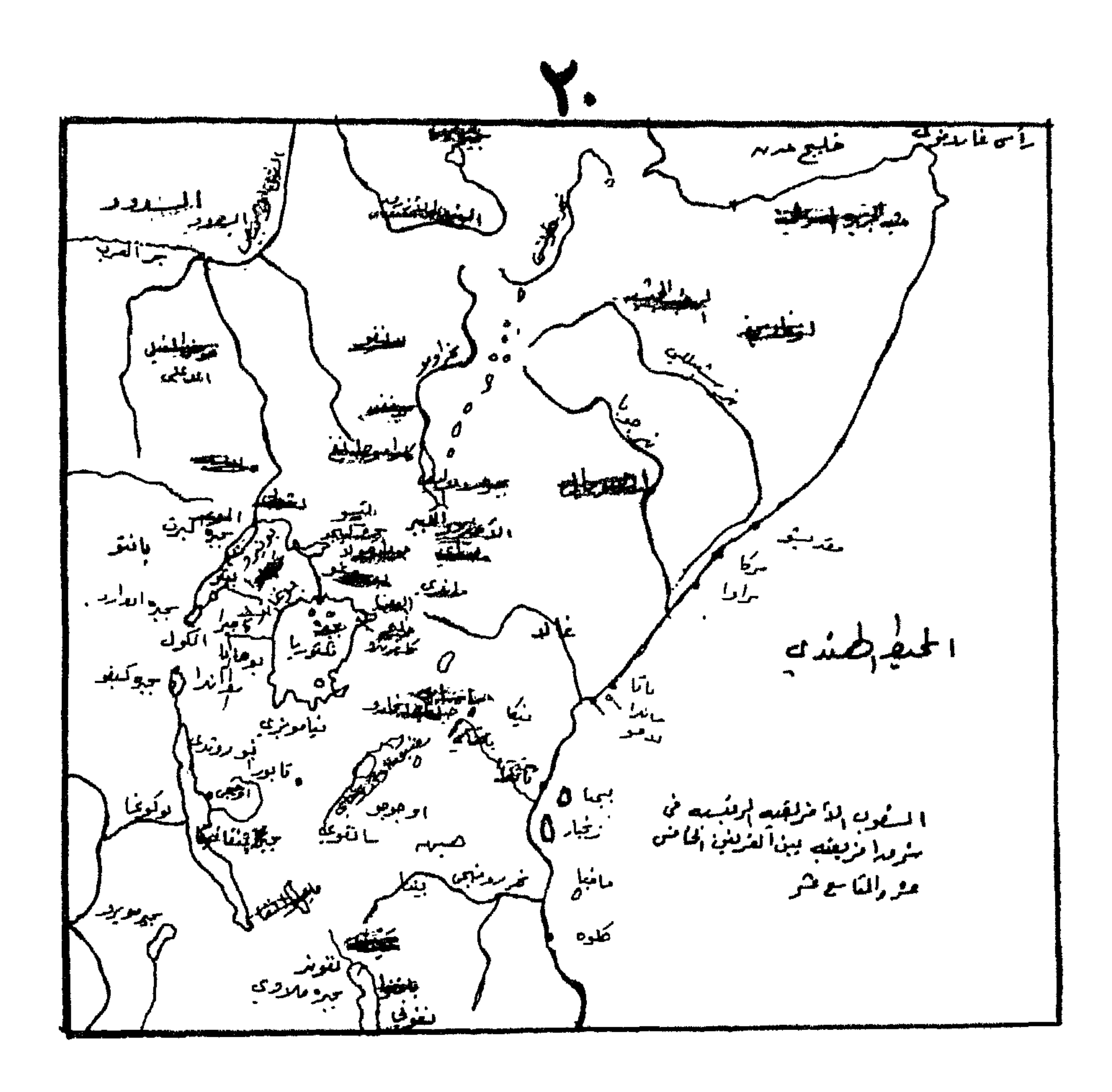
هجرة القبائل

هجرة البوير

تمت الهجرات في القرن التاسع عشر

الشعوب الرئيسية في جنوب افريقيه بالقرن ١٧ إلى منتصف القرن ١٩

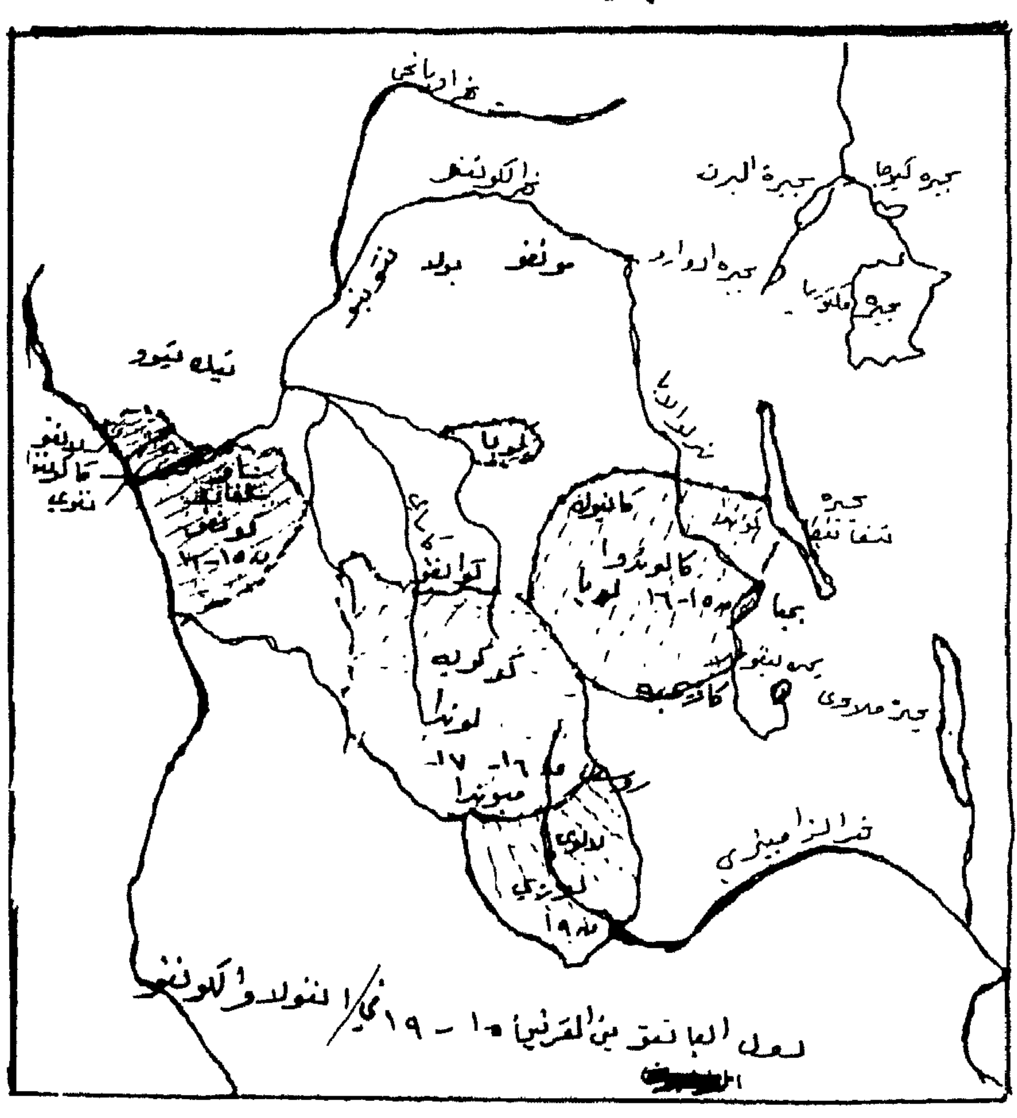
٢٠



٢١

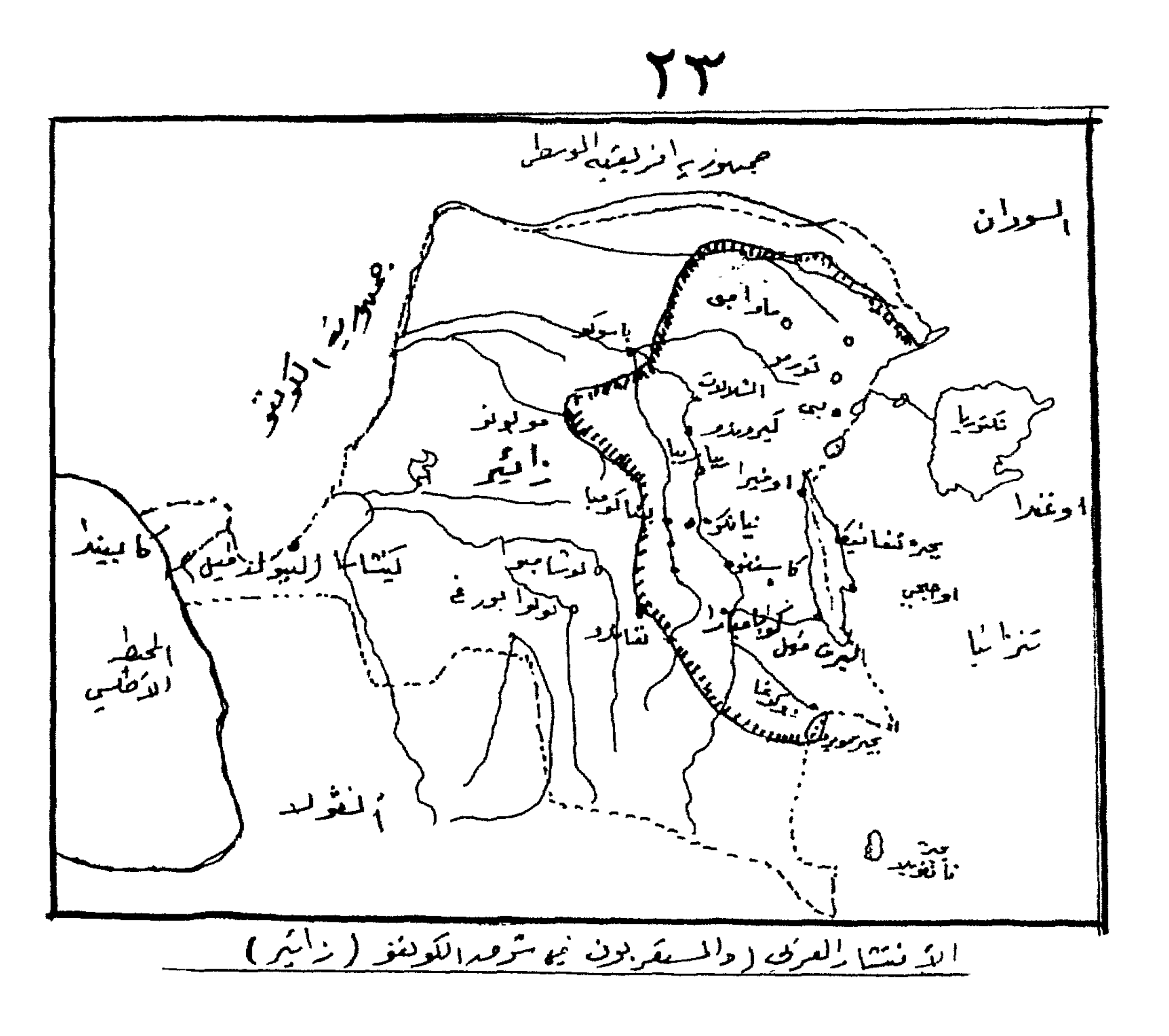


تشاد
السودان
اثيوبيه
خليج عدن
صومال
المحيط الهندي
زائير
كينيا
بوروندي
تنزانيا
زامبيا
ملاوي
جزر القمر
موزمبيق
زيمبابوي
بتسوانا
جنوب افريقيه
المحيط الهندي
الأنتشار التقريبي للمجموعات
العرقيه (الثقافيه) في شرق افريقيه
ما نتو البحيرات
الشماليون : الجنوبيون
غاندا ها
نكول هايا
نيورو نيامويزي
رواندا سكوما
مانتو الأخدود
هزمبو لوررو
ايراقما
البانتو الشرقيون (المنطقه الأخوية)
كاغورو لوغورو
بانتو طرابنجي
بينا : هيهه
بانتو هضبة الغرب الأخوية
ياك تونغا
الستونا
الشماليون : كوركوري
الوسط : رنزيرو
الزميزه : مانيكا ، ندو
الجنوبيون : كارنغا
لوزي
الشماليون : سوتو الشماليون
الغربيون : تسوانا سوتو
الجنوبيون : سوتو الجنوبيون باسوتو
سوازي ، زولو ، نغوني الجنوبيون
الشاليون : انواك دينكا
النوير ، الشيلوك
الجنوبيون : شولي الور
لانقو ، لوو
الشماليون : البير لوتوكو
الوسط : كاراموجونج
تيسو ، توركانا
الجنوبيون : كالنجين ، ماساي
الشرقيون : الشاغا ، كيكويو
ميرو كامبا
الغربيون : غوزل ، لوهايا



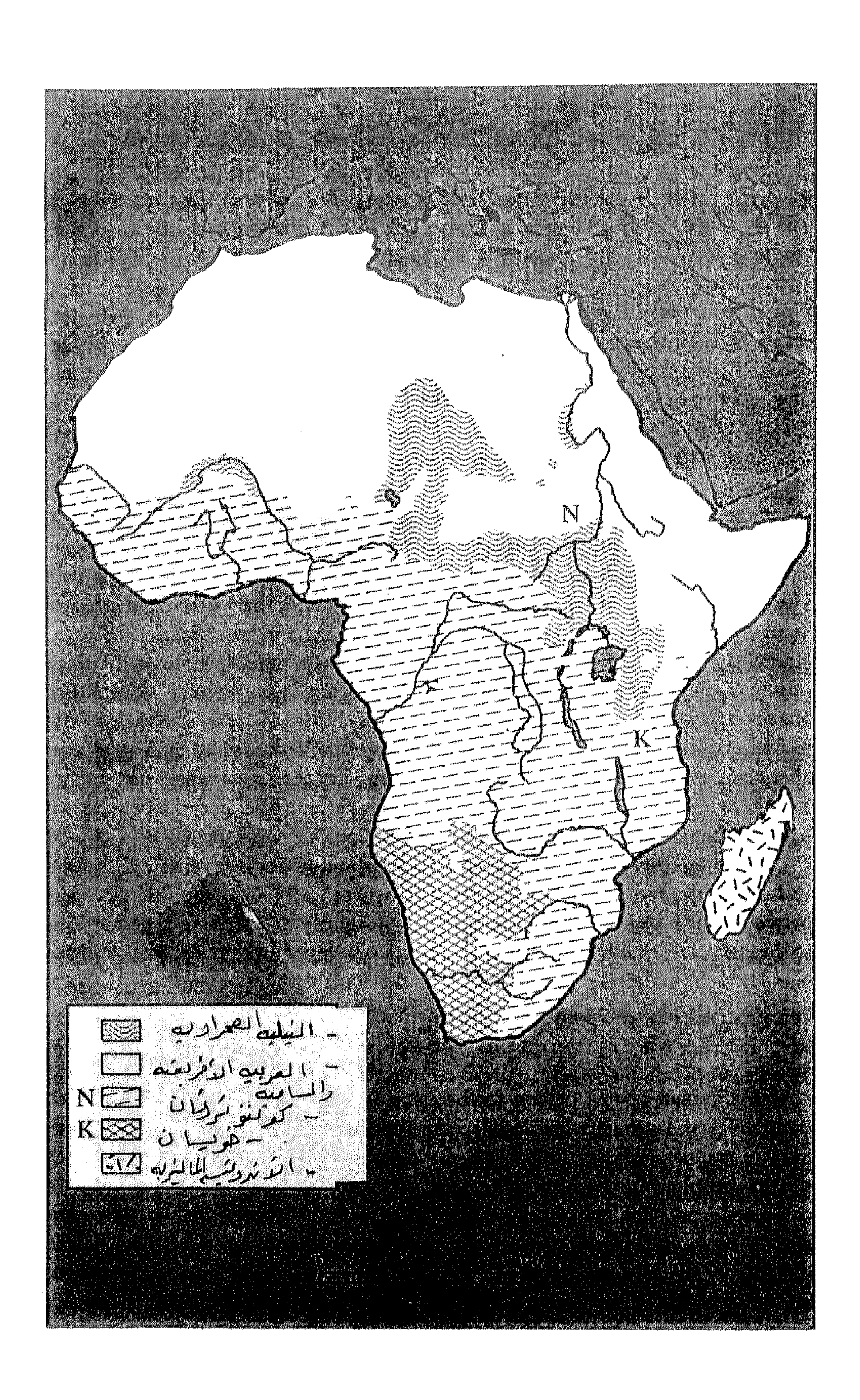
دول البانتو بين القرنين ١٥ - ١٩ في الكونغو

٢٣

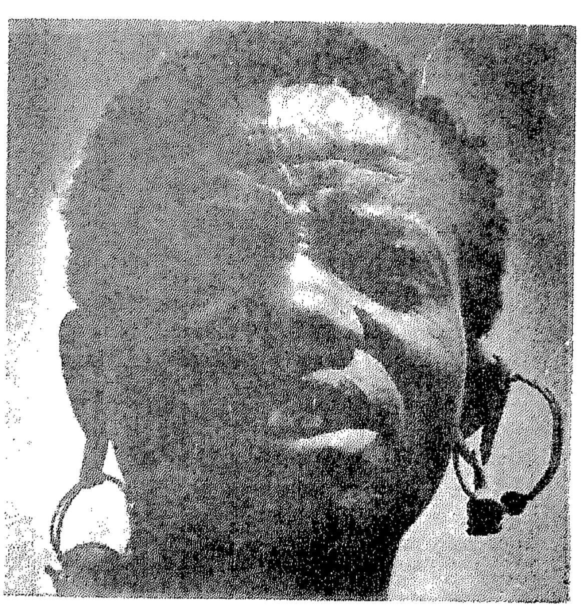


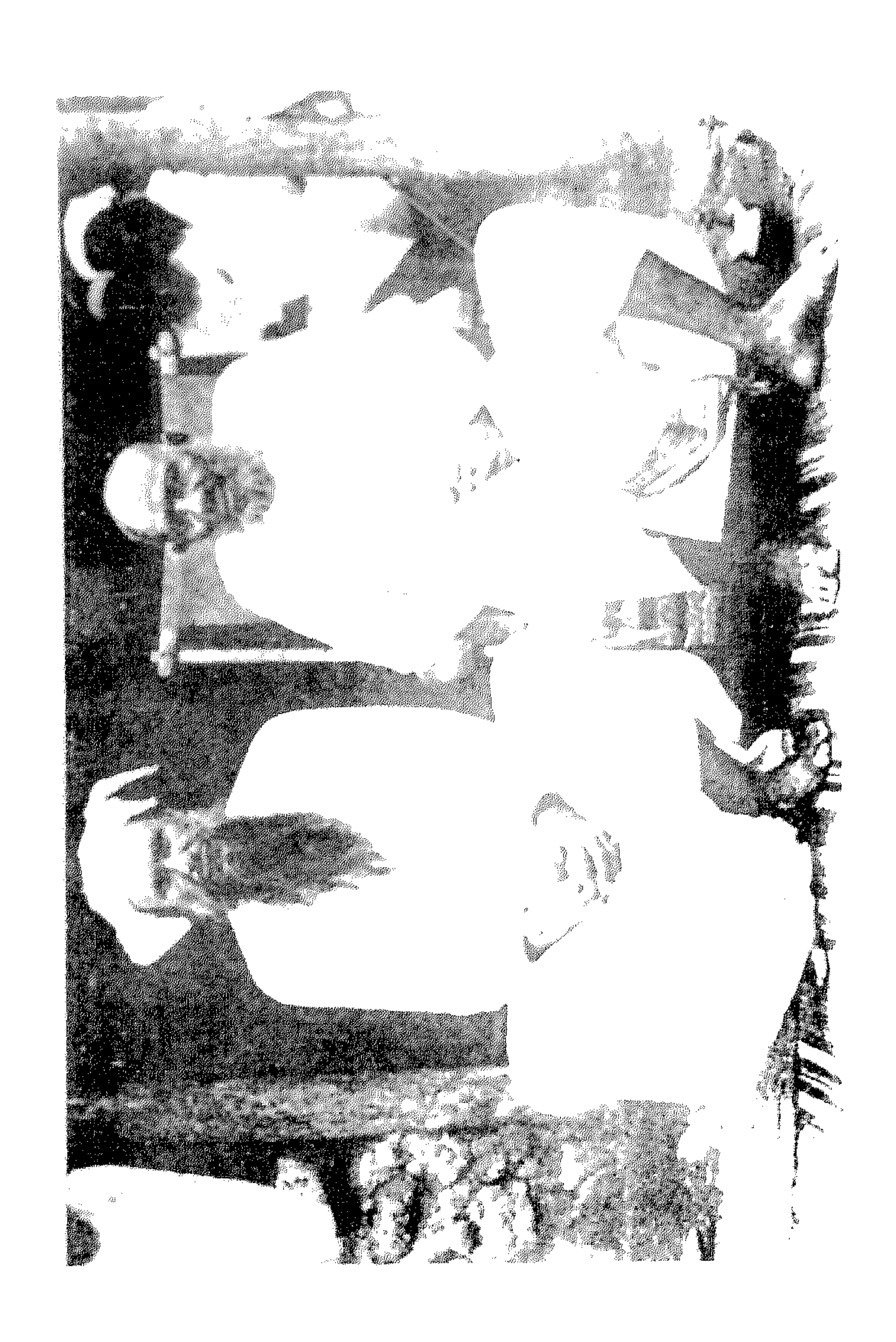
الانتشار العربي والمستعربون في شرق الكونغو (زائير)

فهرست الصور


N
K
- النيلية الصحراوية
- العربية الأفريقية والسامية
N - كونغو كردفان
K - خويسان
- الأندونيسية الماليزية







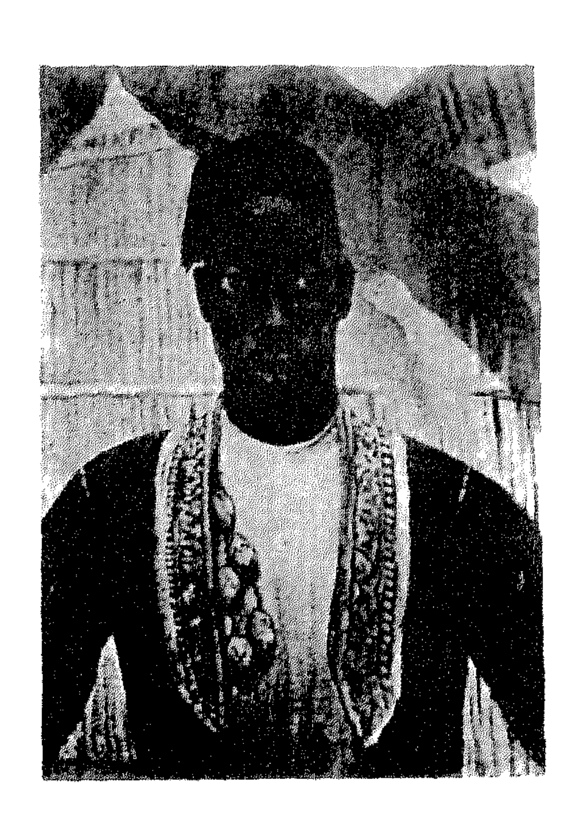
Seyyid Barghash



Tippoo Tip



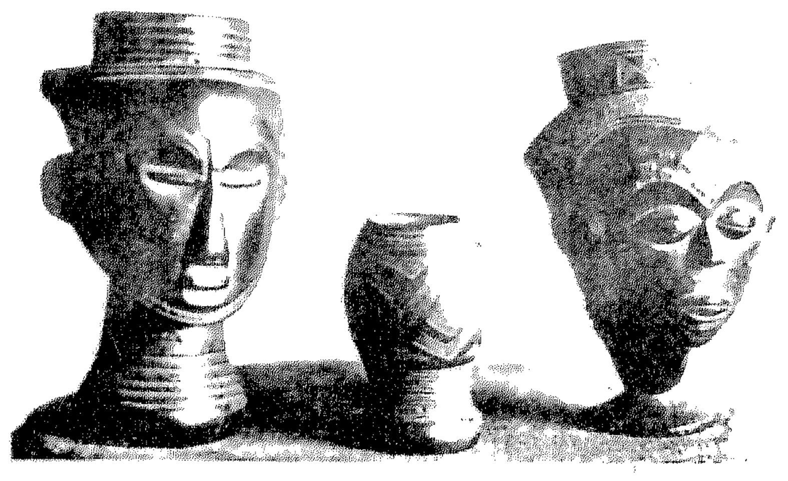
Sir Henry Morton Stanley

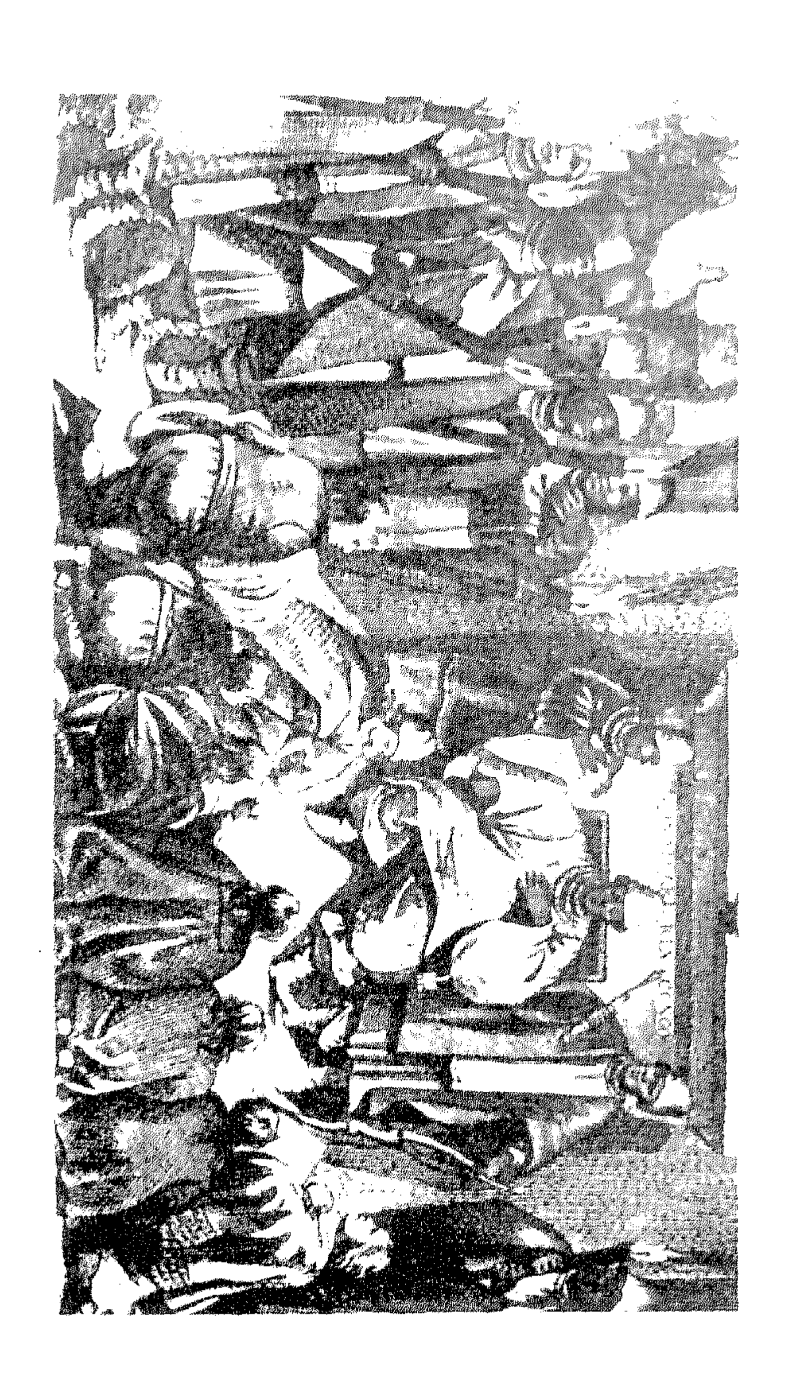


Mutesa of Buganda



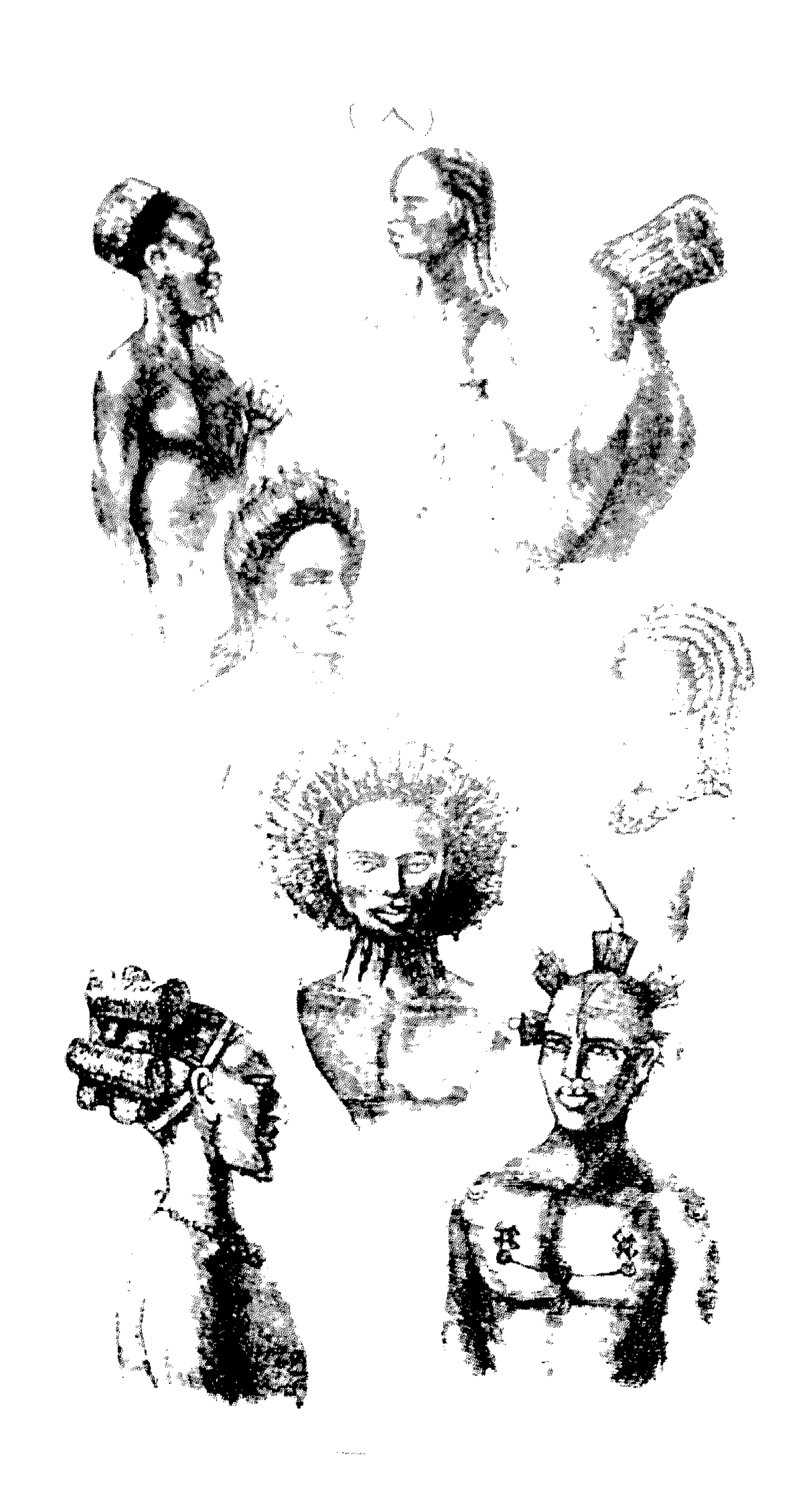


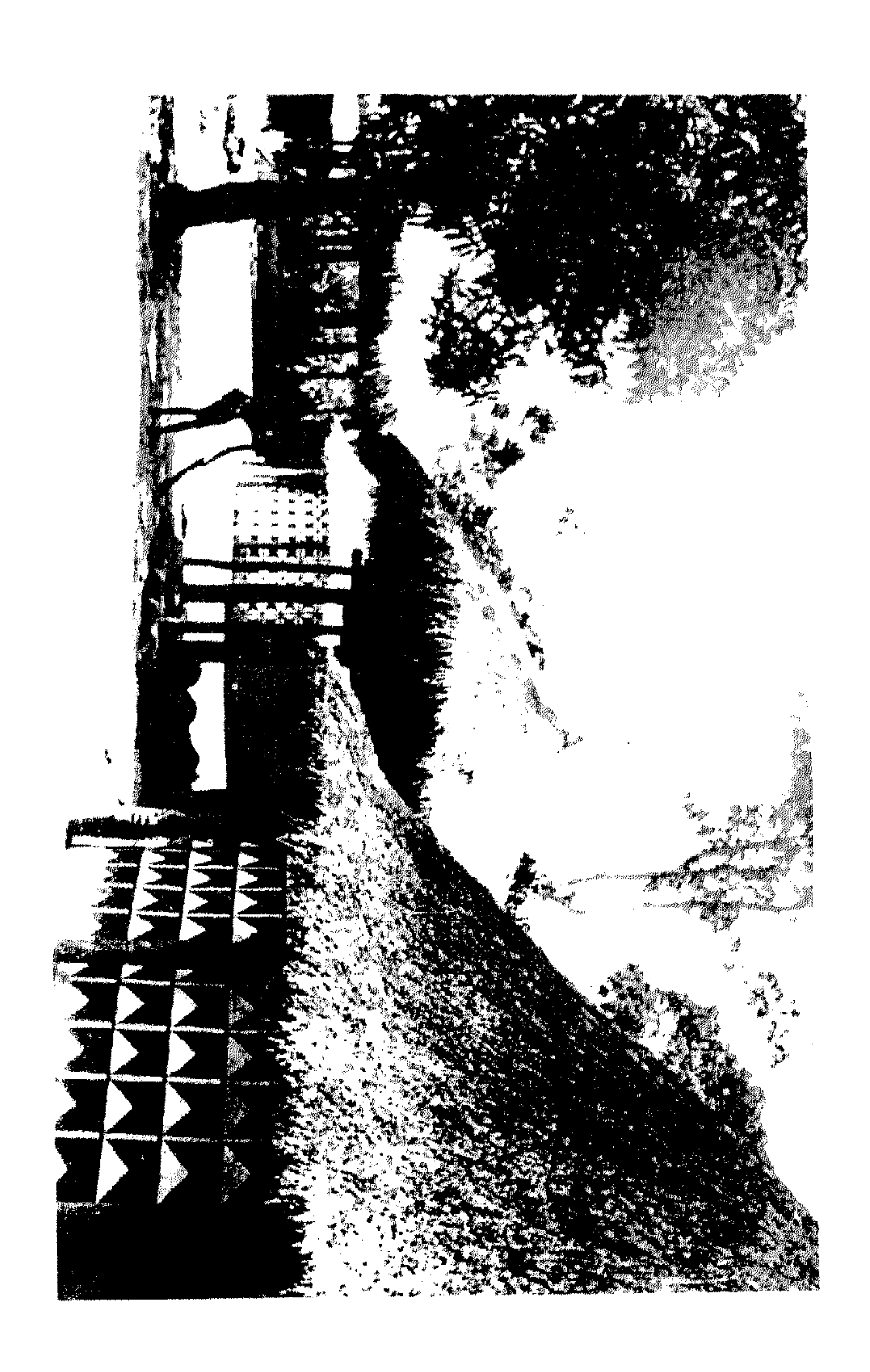









(ヘ)









Guerrier Bara, avec le « fela » frontal, le fusil de traite et la sagaie



Antandroy

Antaifasy





الفهرست

ملحق رقم (١) فهرست
الدول الأفريقية (معلومات موجزة)

الأحصائيات السكانية الموجودة هنا في اللائحة حسب احصائيات الأمم المتحدة لعام ١٩٩٦ المبرمجة لعام ٢٠٣٠

– مقدمة – القارة الأفريقية .

الدولة	عدد السكان	الدولة	عدد السكان
١ – الجزائر	٢٩ مليون	٢٧ – زيمباوي	١١ مليون
٢ – انغولا	١١ مليون	٢٨ – ساحل العاج	١٥ مليون
٣ – اثيوبيا	٢٣ م	٢٩– ساوتوميه دبرزبب	٥٠٠ ألف نسمة
٤ – اوغندا	٢٠ م	٣٠– سيراليون	٤,٥٥٥ م
٥ – السنغال	٨,٥ م	٣١– سوازيلاند	١ مليون
٦ – اريتريه	٣,٥٨١م	٣٢ – غانا	١٦,٦٨٦ م
٧ – الصومال	١٠ مليون	٣٣– غينيه (كوناكري)	٦,٤٠٠م
٨ – المغرب	٢٨,٥ م	٣٤ – غينيه بيساو	١,٠٣٩ م
٩ – السودان	٢٩,٣٨٠ م	٣٥ – غينية الأستوائية	٧٠٠ ألف نسمة
١٠ – بنين	٥,٤٠٠ م	٣٦– غامبيا	٩٤٣ ألف نسمة
١١ – بوتسوانا	١,٤٥٠ م	٣٧– غابون	١,٣٠٠ م
١٢– بوركينافاسو	١٠ م	٣٨– كونغوبرازفيل	٣,٥٠٠م
١٣– تونس	٨,٩٠٠ م	٣٩– كينيا	٢٨,٣٦٠ م
١٤– بوروندي	٦,٣٦٠م	٤٠– الكميرون	١٢,٧٢٥ م
١٥– تشاد	٦,٣٨٠م	٤١– ليبيريا	٢,٨٩٠ م
١٦ – تنزانيا	٣١ م	٤٢– ليبيا	٣ مليون
١٧ توجو	٤,١٥٠ م	٤٣ – ليسوتو	١,٩٠٠ م
١٨–ج جنوب افريقيا	٤٣,٢٠٠م	٤٤ – مصر	٥٩ مليون
١٩– ج افريقيا الوسطى	٣,٤٤٣ م	٤٥ – ملاوي	١٠,٧٦٠ م
٢٠ جيبوتي	٥٣٣,٠٠٠ نسمة	٤٦ – مالي	١٩,٤٠٠م
٢١ – جزر القمر	٦٥٦,٠٠٠ نسمة	٤٧ – مدغشقر	١٣,٥٠٠ م
٢٢–جزر الموزلشوس	١,١٣٠ مليون	٤٨ – موازمبيق	١٥,٧٠٠ م
٢٣– ارخبيل سيشل	٧٣,٣٤٤ نسمة	٤٩ – موريتانيا	٢,٢٥٠ م
٢٤– رواندا	٨,٣٧٠ مليون	٥٠ – ناميبيا	١,٦٠٩ م
٢٥ – زائير	٤٤ مليون	٥١– النيجر	٩,٠٠٠ م
٢٦– زامبيا	٩,٥٠٠ مليون	٥٢ – نيجيريا	١٢٨,٠٠٠م

مقدمة

القارة الأفريقية

إحدى قارات العالم القديم ، والثالثة من ناحية المساحة بين القارات الخمس ، تبلغ مساحتها ٣٠,٥٠٠,٠٠٠كم٢ وعدد سكانها ٦٠٠ مليون ويعتقد أنها في نهاية القرن العشرين سيكون عدد سكانها بين ٧٠٠ – ٧٥٠ مليون . وهي تتصل بآسيا عن طريق برزخ السويس الذي شقت فيه قناة السويس وتشرف على البحر الأبيض من الشمال ومن الغرب الميحط الأطلسي ومن الشرق البحر الأحمر والمحيط الهندي ويفصلها عن أوروبا مضيق جبل طارق . وتمتد بين ٣٧° من خط العرض شمالاً إلى ٣٥° من خط العرض جنوباً .

– **التضاريس والطبيعة :** كتله قارية وساحل غير متعرج تقريباً. وهي هضبة تشكلت قاعدتها قبل العصر الكمبري ، والمرحلة الأولى من العهد البدائي . مسطحة . ومفتوحة على ثلاث حفرات واسعة تتشكل من أحواض أنهار النيجر ، شاري ، زائير ، وصحراء كالاهاري . أما الجبال الرئيسة فهي موجودة في الشمال سلسلة جبال الأطلس . وكذلك في افريقيا الجنوبية وعلى الحدود الشرقية يظهر الصدع الكبير Rift ، ويتشكل من حفرة عملاقة للقشرة الأرضية تحدها البراكين الجبلية العالية وأعلى نقطة فيها قمة كليما

نجارو (٥٨٩٥م) وبحيرات ملاوي وتنغانيكا . ويتلائم الوسط المناخي مع توزيع الأمطار . ورغم أنها تقع في منطقة حارة إلا أن المناخ في افريقيا يتدرج من المناطق ذات الأقليم المتوسطي (نسبة للبحر الأبيض المتوسط) بلاد (المغرب وجنوب افريقيا) إلى منطقة صحراوية (الصحراء الكبرى ، صحراء كالاهاري) ثم منطقة السافانا حول خليج غينيه وحوض نهر زائير (الكونغو) وبعدها الغابات الكثيفة في المنطقة الأستوائية والتي هي دائماً حارة ورطبة . إما المناطق الشرقية في افريقية فهي أكثر تعقيداً بشروطها وتبتعد عن التصنيف المنهجي انهار غزيرة وطويلة النيل زائير (الكونغو) النيجر، الزامبيزي ، وكلها تنبع من المناطق الأفريقية الرطبة .

- <u>الأحوال البشرية والاقتصادية</u> : تعتبر افريقية بالنسبة لمساحتها ضعيفة السكان بسبب الظروف الطبيعية وما مر عليها من كوارث خلال فترة تجارة العبيد في القرن التاسع عشر حيث يقدر بعضهم ما فقدته القارة بمائة مليون نسمة ، والشعوب السوداء هي الغالبة ثم الشعوب البيضاء والسمراء ، وتعيش الشعوب الأخيرة (أصول قوقازية) في الشمال وبعض أقسام الوسط والشرق (أما الشعوب السوداء الزنجية والبانتو فتغطي بقية القارة عدا المناطق الجنوبية حيث بعض الأجناس الأوربية . ولا يزال يعيش فيها عدد كبير من الأقزام. ويعمل في الزراعة ٦٠٪ من السكان . وقد ورثت من الأستعمار أفضلية الاعتماد على المواد الزراعية الخاصة بالتصدير (الفول السوداني - الكاكاو - القهوة - القطن) وتستخدم في زراعتها التقنية الحديثة في حين ظلت الزراعات الخاصة بالاستهلاك المحلي تعتمد على الأساليب القديمة المتوارثة . وأغلب الحكومات الأفريقية لا تعرف أو تستطيع استغلال ما لديها من موارد مائية في

السقاية أو تعمل على رفع مستوى الزراعة والأصلاح الزراعي . وقد انخفض الأنتاج الغذائي بالنسبة للشخص عامة ٢٠٪ منذ عام ١٩٦٠ . وقد قدرت الأمم المتحدة أن (٢٠) مليوناً من السكان قضوا نحبهم بشكل غير مباشر أو مباشر بسبب سوء التغذية بين عامي ١٩٨٤ - ١٩٨٧) وقد عرفت الأوضاع الصحية الأفريقية تدهوراً مخيفاً بسبب انتشار الأمراض الجائحية /مثل الأيدز/ بخاصة .

ولا تزال الصناعة الأفريقية جنينية وموزعة بشكل غير متساو، أما شبكة المواصلات فغالباً غير موجودة وإذا وجدت فلا تتصل ببعضها ، وقد تدنت في الآونة الأخيرة الدخول المالية القومية المرتبطة بالتصدير الزراعي والمعدني بالنسبة للانتاج العالمي مثل (الكوبالت - البلاتين - الذهب ، الكروم - اليورانيوم - المنغنيز - البوكسيت - التيتان» حيث انخفض انتاجها في السنين الأخيرة وهناك عدد من الدول على شفا الافلاس .

- التاريخ : القارة الأفريقية غنية بتاريخها الأقدم من التاريخ بخاصة افريقية الشرقية والجنوبية من الناحية الانسانية ، فقد وجدت فيها آثار إنسانية هي أقدم ما وجد في العالم . وتتمثل الشعوب القديمة الأصيله في افريقيا بالبوشمن والهوتنتوت وأشباه الزنوج (الأقزام) وقد قدموا من افريقيا الوسطى ، والجنوبية والشرقية . ومن المحتمل أن السود الذين حلوا محلهم . قدموا من المنخفض الصحراوي وشكلوا المجموعات الأصغر من سودانية وبانتو . ونيليه وكونغوليه ، أما في مصر وما تبقى من أفريقية الشمالية فهناك شعوب مختلفة لعبت فيها الأجناس البيضاء ، منذ اقدم العصور دوراً رئيسياً ، قدماء البربر قدماء المصريين .

ومع الفتح العربي في القرن السابع ، أصبح الإسلام المحرك

الرئيسي في عدد من المناطق الأفريقيـة السـوداء بين القرن الحـادي عشر إلى القرن الخامس عشر وهو لا يزال في تطوره رغم ما يلاقيـه في بعـض المنـاطق مـن مقاومـه مـن معتنقـي الديانـات المحليـة الذيـن يعيشون في داخل الغابات في افريقيا الغربية والأستوائية . وقـد ادى التفتيش عن طريق للهند إلى اكتشاف الشـواطئ الأفريقيـة مـن قبـل الأوربيين في القرن الخـامس عشـر والسـادس عشـر والثـامن حيث حيث أقاموا في المناطق الساحلية عدداً من الوكلات من التي كـانت تخدم عملية نقل العبيد إلى امريكا ومـن المنـاطق الوسـطى والشـرقية كان تجار عرب وهنود يقومون بنفس العملية ولكـن بشـكل أخـف وعدد أقل وعناية أرحم .

في الداخل أقيمت وظهرت دول أفريقيا سـوداء (السـنغاي – مونوموتابا – بنين – دارفور كروفان) عدا امبرطوريات مالي وغانـا وكانم ، واعتباراً من عام ١٨٥٠ اصبحـت القـارة الأفريقيـة سـاحة نزاع بين الدول الأوربية التي كـانت تتنـافس علـى استغلال القـارة وامتلاكها ، ولكن الحرب العالمية الثانية غيرت الأمور وقلبتها رأسـاً على عقب . حيث عملـت الـدول الأفريقيـة بنشـاط وحمـاس علـى الحصـول علـى استقلالها . منهـا مـن اتبـع أسـلوب الديبلوماسـية والمفاوضات ومنها من لجأ إلى الثورة المسلحة وكانت آخر دولـة في افريقيـا تحصـل علـى اسـتقلالها هـي ناميبيـا عـام ١٩٩٠ إلا أن الأستعمار انتهى في الواقع عام ١٩٧٧ مع اسـتقلال جيبوتـي وبعـد ثلاثين عاماً وبتاريخ ١٩٩٠ هدأت أغلب الحروب الأهلية وانهارت أكثر الدول ذات الحزب الواحد واتجهت نحو الديمقراطية . ولا تزال هناك محاولات لتجزئة بعض الدول الموحدة خلال عهـد الاسـتعمار مثل اثيوبيا والسـودان والصومـال كمـا ظهـرت دولـة جديـدة هـي ايرتيريا بعد حرب دامت ربع قرن وأكثر من الزمن .

١ - الجزائر

- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية : ALGerie

- عموميات :

- تقع الجزائر في شمال القارة الأفريقية ، وهي جزء من الوطن العربي وتطل من الشمال على البحر الأبيض المتوسط (١٢٠٠كم طول الساحل) ويحدها من الغرب المغرب ومن الشرق تونس وليبيا، ومن الجنوب الغربي موريتانيا ، ومن الجنوب مالي والنيجر . وتبلغ مساحتها (١,٣٨١,٧٤١كم٢) وعدد سكانها ٢٣ مليون نسمة يعودون بأغلبيتهم للأصول العربية والباقي من البربر وهي جمهورية رئاسية واللغة العربية هي اللغة الرسمية ويتكلم بها أغلبية السكان وهناك ٢٥٪ من السكان يتكلمون اللغة البربرية (قسم كبير وتعتبر اللغة الفرنسية لغة ثانية) ، ويدين الجميع بالدين الإسلامي ، إما العملة فهي الدينار .

المدن الرئيسية :

- **مدينة الجزائر** : وهي ميناء هام على البحر الأبيض المتوسط يبلغ عدد سكان المدينة ١,٦٩٠,١٩٠ نسمة ، أما الجزائر الكبرى فيصل عدد السكان فيها إلى أربعة ملايين تقريباً . ومنها تصدر المواد الزراعة لمنطقة ميتيجا . وقد احتلها الفرنسيون عام ١٨٣٠ . ونزل فيها الأمريكيون عام ١٩٤٢ . وتشكلت فيها اللجنة الفرنسية للتحرر الوطني عام ١٩٤٣ وتحولت عام ١٩٤٤ إلى حكومة مؤقتة للجمهورية الفرنسية ١٩٥٤ - ١٩٦٢ وأصبحت مسرح عمليات حادة بين الجيش الفرنسي وجبهة التحرير الجزائري التي لجأت للقتال ضمن المدن والضواحي (معركة الجزائر ١٩٥٧) كما كانت

مسرح عمليات الجيش السري الفرنسي وانقلابات أنصار الجزائر الفرنسية (١٣ مايس ١٩٥٩- نيسان ١٩٦١) . وهي الآن المقر الرسمي لمؤتمر العالم الثالث واشتهرت بمساجدها وبيوتها التركية القديمة وعدد من المتاحف وبخاصة قصبتها (المدينة القديمة) المشهورة.

- وهران : تقع في غرب الجزائر على البحر الأبيض المتوسط عدد سكانها ٦١٠,٣٨٠ نسمة ميناء تجاري يصدر منها الغاز الطبيعي والإنتاج الزراعي . مركز صناعي نشيط (أعمال الحديد والنجارة والنسيج) وفيها الجامع - الجامعة (جامع الباشا) بني في القرن الثامن عشر وتأسست الجامعة عام ٩٠٣م واحتلها الفرنسيون ١٨٣١ م .

- قسطنطينة : تقع في عنق روميل Rummel عدد سكانها ٤٥٠,٧٤٠ نسمة ، مركز صناعي (نسيج وصناعة غذائية ومعدنية، فيها جامعة . متحف ارشيولوجي . وهي مدينة سيرتا القديمة عاصمة النوميديين ، وقد دمرت عام ٣٣١ خلال إحدى الثورات وأصبحت مستعمرة رومانية وأعيد بناؤها من قبل قسطنطين وقداحتلها الفرنسيون عام ١٨٣٧ م .

- عنابة : ميناء على البحر ، ٢٢٨,٣٩٠ نسمة وفيها بمجمع الصلب (الحجار) .

- تيزي اوزو : تقع في منطقة القبائل الكبرى ، وعدد سكانها ٢٩٢,٤١٠ نسمة وهي مركز زراعي داخلي .

- التضاريس والحياة الطبيعية والإنسانية :

هناك ثلاث مناطق طبيعية مختلفة تتتابع من الشمال إلى

الجنوب ، الجبال المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، وهي جبال الأطلس التلية وأعلى نقطة فيها جرجورة ٣٣٠٨م وتغذي هذه الجبال بمجاري المياه القليلة والأحواض التي تمر منها وتلتقي بالسهول الساحلية التي تحوي حالياً أكبر تمركز سكاني في البلاد وإلى الأبعد وإلى الجنوب تظهر السهول العالية الصحراوية (الصحراء الكبرى) التي تبلغ مساحتها مليوني كم[٢] حيث يتركز السكان فيها فقط في الواحات القليلة . ويسيطر على المناطق الساحلية أقليم البحر الأبيض المتوسط ، ويصبح جافاً عندما يصل إلى السهول العليا ، ومجاري المياه قليلة الأهمية وغالباً ما تكون منخفضة ومنقطعة ، ويتركز السكان في الشمال ويتجاوز عدد سكان المدن ٣٠٪ قبل الاستقلال و ٥٠٪ بعد الاستقلال نظراً لتزايد الهجرة من القرية إلى المدينة .

– **الحياة الاقتصادية** : يلاقي الاقتصاد الجزائري صعوبات جمة وتزداد هذه الصعوبات مع تزايد النمو السكاني المتواصل ٢,٧٪ سنوياً (رغم النقص في المواليد) ويترجم هذا بفشل سياسة التنمية التي تم السير عليها منذ إعلان الأستقلال ، وقد تمت التضحية بالزراعة من قبل الأنظمة المتتابعة ودخلتها الفوضى بسبب سياسة التأميم التي بدأت عام ١٩٧٠ . وبالرغم من إلغاء التأميم كانون أول ١٩٩٠ إلا أن المردود ظل ضعيفاً بخاصة المواد الغذائية الداخلية اليومية مثل القمح والدخن ، تربية الحيوانات ، بالإضافة إلى تراجع زراعات التصدير مثل النبيذ والحمضيات ، وقد اقتضى النقص في المواد الغذائية استيرادها من الخارج ، وكان أكبر فشل أصاب الاقتصاد في محاولته إقامة الصناعات الثقيلة والكيماوية ، وإنتاج الصلب ، في كل من وهران وسكيدا وعنابة ، فالمواد المصنعة لم

تكن وفق السوق الداخلي ، بالإضافة إلى أنها كانت سيئة ولا يمكنها منافسة الصناعات الخارجية لذلك أخذت هذه الصناعة بالتراجع وأصبحت تعمل فقط بـ ٥٠٪ من طاقتها الإنتاجية ، وتمثل الدخول المتأتية من بترول الصحراء والغاز حالياً ٩٨٪ من الدخل التجاري . وظلت لفترة طويلة تخفف من تأثير الضغوط والأزمات ، لكن انخفاض أسعار البترول في النصف الثاني من الثمانينات زاد في الديون الخارجية على الدولة ووصلت إلى ٢٨ مليار دولار ، مما دفع البلاد إلى أزمة اجتماعية وزاد في عدد العاطلين حتى وصل إلى ٢٥٪ من مجموع العمال . وإعادة تنظيم الاقتصاد التي جرت عام ١٩٩٠ ادخلت الاقتصاد الجزائري في اتجاه التحرر ونظم السوق .

التاريخ : سيطرت كل من قرطاجة وبعدها روما بعد عام ٢٠٢ ق.م على الأمراء النوميديين . وفي عام ٤٢ق.م الحق الرومان المقاطعة الجزائرية بهم وشكلوا المقاطعة الموريتانية القيصرية الرومانية ثم احتلها الفاندال عام ٤٣٠ م حتى عام ٥٢٤م حتى وصول البيزنطيين الذين احتلوها بعد إخراخ الفاندال . وبعد عام ٧٢٠م أصبح العرب أسياد البلاد ودخل السكان بالدين الإسلامي وتعصبوا له . وقد أدى الخلاف العربي البربري ، وبين البربر أنفسهم إلى جعل البلاد تعيش فترة طويلة من عدم الاستقرار السياسي المتواصل، فقط مملكة تلمسان ظلت مزدهرة من القرن الثالث عشر حتى السادس عشر ، وفي القرن السادس عشر أصبحت الجزائر تابعة للدولة العثمانية بسبب القراصنة الأتراك الذين قدموا للحرب ضد الاسبان . وأخيراً كلف أحدهم بالسلطة الادارية عام ١٦٧١ وأصبح يسمى (الداي) وبذلك أصبحت مدينة الجزائر قاعدة رئيسية ونشيطة للقباطنة الأتراك في البحر المتوسط ، خلال نضالهم ضد

الهجمات الاسبانية على السواحل الأفريقية الشمالية ، وقد هددوا مراراً ونهبوا السواحل الأوربية وأشهر هؤلاء القباطنة خير الدين بارباروس وشقيقه عروج الذي أسس مملكة الجزائر في القرن الخامس عشر ، ورغم محاولات الاسبان السيطرة على السواحل الجزائرية والتونسية والمغربية إلا أنهم فشلوا في كل محاولاتهم . إلا أن الفرنسيين استطاعوا في ٥ تموز ١٨٣٠ احتلال مدينة الجزائر دون عناء ولكن احتلالهم لداخل البلاد تم ببطء شديد حتى عام ١٨٥٧م وقاد المجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري بطل التحرير المقاومة ١٨٣٩ – ١٨٤٧م . أما خصمه الجنرال بوجو فقد أسس ما يعرف بجيش أفريقيا الذي اشترك في حرب ١٨٧٠ والحرب العالمية الأولى وأغلبيته من الجزائريين ، ومن خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ اشتركت الجزائر في المجهود الحربي للحلفاء وأصبحت الجزائر عام ١٩٤٤ مقر الحكومة الفرنسية المؤقتة بزعامة ديغول واستحالة حصول حركات التحرر على المساواة السياسية بين الفرنسيين والمسلمين جعل الصدام بين الطرفين لا يمكن تجنبه وتهيأت الظروف للثورة ضد الاستعمار . وقدتشكلت جبهة التحرير الجزائرية F.L.N عام ١٩٥٤ وهي التي قررت الثورة العامة. وفي أول تشرين أول ١٩٥٤ بدأت الحرب . حين جرت مصادمات مخيفة بين السكان والمستعمرين الفرنسيين الذين تسببوا في سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، ثم هددوا بقاء الجمهورية الخامسة بسبب أعمال الجيش السري O . A. S الذي شكله المستعمرون . وفي ١٨ آذارعام ١٩٦٢ أي عند استلام الجنرال (ديغول) رئاسة الجمهورية تم الاتفاق بين الفرنسيين والجزائريين على وقف إطلاق النار في مدينة أيفيان الفرنسية . وقد وافقت

فرنسا بعد الاستفتاء على إعطاء الاستقلال للجزائر حيث أعلنت الجمهورية الجزائرية في ١ تموز ١٩٦٢ وأدى ذلك إلى مغادرة كثير من الأوربيين والمستعمرين الفرنسيين الجزائر . وقد حدد دستور عام ١٩٦٣ نظام الحكم في الجزائر التي أصبحت جمهورية رئاسية ، وتسلم الرئاسة محمد بن بلا عام ١٩٦٣ . ولكنه أبعد عن الرئاسة واعتقل بعد انقلاب حدث في عام ١٩٦٥ بزعامة العقيد هواري ابو مدين قائد الجيش ووزير الدفاع .

أعلنت الجزائر جمهورية اشتراكية وإسلامية ، وعند موت هواري ابو مدين ، خلفه في الرئاسة الشاذلي بن جديد عام ١٩٧٩، وأعيد انتخابه في عام ١٩٨٤ ، حيث تبنى ميثاقاً جديداً ، وفي تشرين أول ١٩٨٨ شبت ثورة شعبية أجبرته على أعادة تشكيل بنية الدولة ثم أعيد انتخابه في كانون أول ١٩٨٨ ، وفي شباط ١٩٨٨ وضع دستور جديد سمح بتعدد الأحزاب في البلاد ، وأدى المؤتمر الذي عقدته جبهة التحرير الجزائرية في تشرين أول ١٩٨٨ إلى ابعاد أغلب قادة الجبهة من العهود السابقة عن الحياة السياسية . وكان النجاح الذي أحرزته الجبهة الإسلامية للانقاذ FiS في الانتخابات البلدية التي جرت في حزيران ١٩٩٠ ، يعبر في الواقع عن غضب الجماهير من جبهة التحرير الوطني ، وحساسية هذه الجماهير نحو القضايا الإسلامية بعد نمو الاتجاهات الإسلامية في البلاد العربية والعالم الإسلامي . وبعد مصادمات حادة بين متطرفي الجبهة الإسلامية للإنقاذ والشرطة عام ١٩٩١ اعتقل الزعماء الرئيسيون في الجبهة وأودعوا السجن . وقد اتخذ رئيس الوزراء الجديد المقرب من الجيش السيد أحمد الغزالي موقفاً ضد جبهة التحرير . وأدى فشل المشاريع التي بدأتها الجبهة عام ١٩٨٨ إلى

فشلها في انتخابات الدورة التشريعية الأولى عام ١٩٩١ أمام الجبهة الإسلامية للأنقاذ والتي حصلت على ٤٨٪ من الأصوات . وقبل عدة أيام من الدورة الانتخابية الثانية خشي الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، من تدخل الجيش للإطاحة به وألغى الأنتخابات وشكل هيئة رئاسية عليا لحكم البلاد بعد استقالته وأسند رئاستها إلى السيد محمد أبو ضياف ، أحد زعماء جبهة التحرير الوطني التاريخيين وكان يقيم منذ فترة طويلة في المغرب . وقد قام الزعيم الجديد بتقديم زعماء الجبهة الإسلامية للأنقاذ للمحاكمة وحكم على اثنين منهم بالسجن مدة ١٢ عاماً ، وتم اعتقال آلاف من أعضاء الجبهة . وقد قتل الرئيس محمد ابو ضياف في حزيران ١٩٩٢ وحل محله السيد علي الكافي في محاولة لاعادة الأستقرار في البلاد وأخيراً انتخب الأمين زروال عام ١٩٩٥ رئيساً للجمهورية في انتخابات مباشرة جرت لأول مرة في تاريخ الجزائر وحصل المذكور على ٦٥٪ من أصوات الناخبين ، وجرت الانتخابات ضمن التعددية الحزبية .

٢ - انغولا

- أنغولا ANGOLA جمهورية انغولا الشعبية :

تقع جمهورية انغولا في الجنوب الغربي من القارة على شكل مربع طول ضلعه حوالي ١٦٠٠ كم ويضاف إليها جيب /كابيندا/ الذي يفصله عن بقية البلاد بشريط يمر فيه نهر الكونغو (زائير) ويعود إلى زائير ، ويحد انغولا من الجنوب ناميبيا ومن الشرق زامبيا ومن الشمال زائير ويبلغ طول ساحلها ١٢٠٠ كم ، ومساحتها ١,٢٤٦,٧٠٠ كم٢ وعدد السكان ٩ مليون نسمة مع زيادة سنوية في السكان ٢,٧٪ وهي جمهورية شعبية ذات ميول اشتراكية . ولغتها الرسمية اللغة البرتغالية وهي لغة الادارة ويتكلم السكان عدداً من اللغات المحلية كيمبوندو ، أو مبوندو ، لوندا ، كيكونغو .... الخ ، وعملتها المحلية تسمى كونزا حالياً بعد إلغاء الأيسكودو البرتغالي ، ويعود سكانها إلى البانتو والبوشمن ، ٩٠٪ من السكان يدينون بالديانات المحلية والباقي مسيحيون وتبلغ الكثافة السكانية ٦,٥ بالكيلومتر المربع . الدخل الفردي ٣٠٠ دولار (١٩٧٨ البنك الدولي) .

- المدن الرئيسية :

- لواندا : عاصمة انغولا وهي ميناء على المحيط الأطلسي ويبلغ عدد سكانها (٧٠٠) ألف وهي في تزايد مستمر بسبب الهجرة الداخلية نحو المدن وتعتبر المركز الصناعي والتجاري الرئيسي في البلاد وفيها مصانع للتبغ ومصفاة للبترول .

وأهم المدن : هي يامبو ٨٠ ألف ، لوبيتو ٦٥ ألف ، بنغويلا: ميناء على الساحل ٥٥ألف ، ويمر أمامها تيار بنغويلا البارد القادم

من البحار الجنوبية ويمر أمام كل من انغولا والكونغو (برازافيل) والغابون ثم مدينة كابيندا وعدد سكانها ٢٣ ألف نسمة وهي مركز جيب كابيندا وتبلغ مساحته ٧٢٧٠كم٢ وعدد سكانه ٤,١١٤,٠٠٠ نسمة وفيه آبار البترول الغزيرة .

- التضاريس والحياة الطبيعية ،والإنسانية والاقتصادية :

ترتفع الهضبة الكريستالية حتى ٢٦٢٠م في قمة جبل موكو ، وتشرف على السهل الساحلي من الغرب ، وتمتد السهول الساحلية المذكورة جنوباً حتى تصل إلى صحراء ناميبيا ، ويعتبر غرب الوسط الرطب وغزارة الأمطار خزان المياه للبلاد والمناطق التي تأوي أغلبية السكان مع السواحل الشمالية ، ويشكل سكان الريف ٧٠٪ من السكان رغم الهجرة المتزايدة نحو المدن بسبب الحرب الأهلية وسوء التخطيط وقد حطمت الحرب الأهلية والتأميم اقتصاد انغولا الذي كان مزدهراً حتى بداية السبعينات ، ويعود ذلك إلى تراجع انتاج المواد التصديرية (القهوة - القطن - قصب السكر - الكاكاو) رغم خصوبة الأرض . وتؤمن صادرات البترول والماس ٩٥٪ من المواد التصديرية التي تعود على السكان بالعملة الصعبة .

- التاريخ : استقر البرتغاليون في انغولا منذ عام ١٤٨٤ ، و لم يدخلوا البلاد إلا في نهاية القرن التاسع عشر وكانت تقوم في البلاد مملكة قوية تسمى ندنغو N,DONGO وكان الملك يحمل لقب نغولا N'gola وهي أصل كلمة أنغولا التي اتخذها الوطنيون اسماً لدولتهم بعد الاستقلال . أصبحت البلاد في القرن السادس عشر ذات أهمية كبيرة لظهور تجارة العبيد التي وصلت ذروتها حتى عام ١٨٣٦ ، حيث نقل البرتغاليون قسماً كبيراً من السكان إلى القارات المختلفة وقد أطلق عليها البرتغاليون بعد ذلك افريقيا الغربية البرتغالية ، ثم أصبحت جزءاً من البلاد البرتغالية ١٩٥١ وبعد ذلك

أطلق عليها اقليم ما وراء البحار عـام ١٩٥٥ ، عرفـت انغـولا منـذ عام ١٩٦١ الحركات التحريرية الثورية حتى الاسـتقلال في تشـرين أول ١٩٧٠ وذلك بعد انتهـاء حكـم سـالازار (ديكتـاتور البرتغـال المتشدد) عام ١٩٧٤ وقد استطاعت الحركة الشعبية لتحرير انغـولا M . P . L A بمساعدة الاتحاد السوفيتي والقـوات الكوبيـة الـتي نزلـت البلاد التغلب على بقية حركات التحرير الأخرى ، ولم تبـق سـوى حركة اليوينتا UNITA (الاتحاد الوطني) لاستقلال عموم انغولا بدعم مـن حكومـة جنـوب افريقيـا تقـاوم وتنـاهض الحكومـة المركزيـة المدعومـة بـالجيوش الكوبيـة ، وفي حزيـران ١٩٨٠ دخـل جيـش جنوب افريقيا مسـافة ٢٠٠ كـم داخـل البـلاد لكـي يدمـر قواعـد حركة سوابو التي كانت تطالب باستقلال ناميبيا وتدعمها انغولا .

أدى موت الرئيس اغيستينو نيتو في ١٦ ايلول ١٩٧٩ لوجود فراغ كبير في السياسة الداخلية وقـد خلفـه جوزيـه ايـدواردو دوس سانتوس (شاب تقني) ورغم اعتماده الكامل علـى القـوات الكوبيـة والمساعدة السوفيتية إلا أن اتفاقاً وقع عام ١٩٨٨ بين انغولا وكوبـا من جهة وجنـوب افريقيـا مـن جهـة أخـرى ينـص علـى انسـحاب القوات الكوبية وقوات جنوب افريقيا من انغولا ، وقـد اسـتطاعت الأمم المتحدة الحصول على اتفاق لوقف اطلاق النار عـام ١٩٩١ ، وجرت انتخابات في البلاد في ايلول ١٩٩٢ هزمت فيهـا اليونيتـا . وحصلت الحكومة على أغلبيـة المقـاعد ولكـن (اليونيتـا) رفضـت النتيجة ودب الصراع بينهـا وبـين الحكومـة واسـتطاعت اليونيتـا أن تسيطر على القسـم الأكـبر مـن البـلاد ولكـن الحكومـة اسـتطاعت استرداد الأراضي وساعد استقلال نامبيا وانهيار النظام العنصري في افريقيا الجنوبية على هدوء الأحوال في انغولا بعد ما هدمت الحـرب الأهلية نصف البلاد واضطـر أكـثر مـن ١٥٠ ألـف مـن البرتغـاليين لترك انغولا .

٣ - أثيوبيه

اثيوبيـه Ethiopie الجمهوريـة الديمقراطيـة الشـعبية لأثيوبيـه (الحبشة القديمة) .

تقع في افريقيا الشـمالية الشـرقية وقـد أصبحـت معزولـة عـن البحر بعد استقلال ارتيريه ويحدها من الشـمال والشـرق السـودان وارتيريه ومن الجنوب كينيا وجنوب الصومال ومن الغرب الصومال وجـزء مـن اريتريـه . تبلـغ مسـاحتها ١,٢٢١,٩٠٠ كـم٢ وعـدد سكانها ٥٠ مليون نسـمة ، الكثافـة السـكانية ٢٥ - ٣٠ شـخص بالكيلو متر المربع وهي جمهورية اشتراكية ، واللغة الرسمية هي اللغـة الأمهرية ، وفيما عدا الأمهرية اللغـات الصوماليـة وأورومـو (الغـالا) سيدامو ، التيجري غوراغ مـع ٥٠ لهجـة محليـة ويتكلـم كثـير مـن الأحباش اللغة العربية بخاصة منطقة هرر وتستخدم اللغـة الانكليزيـة كلغة رسمية ثانية . العملة (بير birr) ويعتنق الإسلام أكثر من نصف سكان اثيوبيه ويأتي بعدها المسيحية (الكنيسة الحبشية ذات الطبيعـة الواحدة للمسيح ٤٥٪) والباقي يعتنقون ديانات محلية وتعتبر أثيوبيـة موزاييك شـعوب وهـم ٣٠٪ غـاللا، ٢٥٪ امهـره ، ٩٪ تيجرينـا وتيغره ٥٪ ، لامو ٨٪ ، صومـال ٦٪ غـوراج ، ٤٪ عفارسـاهو ، ٣٪ هرريون و عرب ٣٪ ، سيدامو ٣٪ وشعوب أخرى .

المدن الرئيسية :

اديس ابابا : وهي عاصمة اثيوبيا ويبلغ ارتفاعهـا عـن سـطح البحر ٢٥٠٠ م وعدد سـكانها حاليـا ١,٤٦٤,٩٠٠ وهـي مركـز منظمـة الوحـدة الأفريقيـة . مركـز صنـاعي للصناعـات الغذائيـة والنسيج وترتبط بميناء جيبوتي بخط حديـدي ، وقـد تأسسـت عـام

١٨٨٧ من قبل منليك الثاني ، ومعناها باللغة الأمهرية الزهرة الجديدة .

غوندار : ٨٠ ألف نسمة وقد ظلت عاصمة للحبشة من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر .

ديرداوا : وعدد سكانها ٧٦ ألف نسمة وهي محطة كبرى للسكة الحديدية .

هرر : ويبلغ عدد سكانها ٦٢ ألف نسمة وتقع في جنوب أثيوبيا واشتهرت بزراعة القهوة ، وكانت في القرن التاسع عشر تشكل دولة خاصة بها ويقطنها عدد كبير من المتكلمين باللغة العربية .

- التضاريس والحياة الطبيعة والبشرية :

تتألف الحبشة (أثيوبيا) من هضبة جبلية عالية بركانية التشكيل يقطعها بعمق الأخدود العظيم (ريفت فالي **rift valle**) من شمال شرق إلى جنوب غرب ويُشكل الظاهرة الرئيسية في التضاريس . والهضبة رطبه ومروية وهي أحدى المخازن الرئيسية للمياه في شرق القارة ، حيث تهبط من أعاليها وديان ذات انحدار قوي كوديان أومو والنيل الأزرق وفيها بحيرة تانا وتبلغ مساحتها ٣٦٠٠م وتقع على ارتفاع ١٨٣٠ م وينبع منها النيل الأزرق . كما ينبع من الهضبة الشرقية نهران كبيران هما نهر شبيللي ونهر جوبا ويصبان في المحيط الهندي بعد اجتيازهما الصومال . وهناك عدة بحيرات موجودة في الأخدود العظيم كما يمر فيه نهر هواش السريع الأنحدار .

ويبدأ السكان اعتباراً من علو ١٨٠٠م أو أقل من ١٢٥٠م

عندما لا تعود هناك غابات كثيفة وهناك تبدأ الزراعة ، أما السهول العريضة المتغيرة فهي امتداد لسهول القرن الأفريقي الصحراوية : السهول الصومالية في الشرق ، سهول الدناكل في الشمال ، صحراء النوبة في الشمال الغربي والغرب . ويعيش الأمهرة المسيحيون على الزراعة ويقيمون في أعالي الهضبة ، أما المسلمون فأغلبهم رعاة ومزارعون ويعيشون في السهول الجافة (السيتب) ويعودون إلى شعوب الأورومو والدناكل والصومال . وفي الجنوب الغربي تعيش أقلية سوداء سودانية (بانتويه) يدينون بالديانات المحلية و ٩٠٪ من الأثيوبيين يعيشون في الأرياف ، ويتجاوز النمو السكاني السنوي ٢,٥٪ بالرغم من كثرة الوفيات بخاصة بين الأطفال .

- **الاقتصاد** : بالرغم من طاقاتها الكبيرة وإمكانياتها الواسعة تعتبر أثيوبيا إحدى الدول الأكثر فقراً (الدخل الفردي السنوي أقل من ١٥٠دولار . ويعيش ثلاثة أرباع السكان على الزراعة وهي قليلة الإنتاج (الذرة البيضاء - الدخن - الذرة الصفراء) في المواد الغذائية ، وللثروة الحيوانية أهميتها في الحبشة حيث المراعي العالية والسهول الساحلية . وتنبت نباتات القهوة على ارتفاع بين ١٥٠٠ - ٢٥٠٠م وهي إحدى المواد الرئيسية للتصدير مع الجلود والجلود المدبوغة . أما الإنتاج الصناعي فلا يزال بدائيا وفي أول تطوره (صناعة النسيج , الصناعات الغذائية) وقد شلت الحروب الأهلية والتأميم الاقتصاد منذ سقوط الأمبراطور هيلاسلاسي وهدمته ، كما تهدمت شبكة المواصلات (الطرق) بين المقاطعات ، وقد تم تجميع أكثر من مليوني شخص بالإضافة إلى ٧٠٠ ألف مماثلة في القرى الجديدة التي بنتها الحكومة ، عدا على تهجير العائلات

بأعداد كبيرة من الشمال نحو الجنوب قليل السكان وبعد ألغاء النظام الماركسي عاد الاقتصاد الأثيوبي لاقتصاد السوق (١٩٩٠) وقد واجهت البلاد تركة ثقيلة في إعادة البناء بعد الحرب الأهلية .

التاريخ : سكن الإنسان اثيوبيا منذ عصور ما قبل التاريخ ، وتذكر الروايات الأثيوبية أن ملوكهم الذين تتابعوا على عرش البلاد حتى عام ١٩٧٤ وآخرهم الأمبراطور هيلاسلاسي هم من نسل سليمان بن داوود وملكة سبأ . وأسس منليك الأول قبل العصور المسيحية دولة كبيرة حول مدينة اكسيوم بعد هجرة شعوب سامية تتكلم لغة الجعيز من اليمن وقد اعتنقت هذه المملكة الديانة المسيحية في القرن الرابع زمن ملكها المعروف باسم (النجاشي) نيغوس ناغاست Negus nagast ملك الملوك) أيزانا Aezanas . ثم ارتبطت الكنيسة الجديدة بالكنيسة القبطية في الاسكندرية ، التي تعتنق مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح ، وعند تقدم العرب في القرن السابع قطعت اكسيوم عن البحر ثم تهدمت بسبب الحروب الداخلية ، وسجلت القرون الوسطى فترة قتال بين الأحباش والصوماليين في شرق أفريقيا وتعاون فيها الأحباش والبرتغال وعقدوا معهم اتفاقية تعاون عسكري وكذلك مع بعض الدول الأوربية ، ولكن الحكم المركزي أخذ يضعف أمام ازدياد نفوذ زعماء الاقطاع ويطلق عليهم (رأس) وأغلبهم من الأمهرة ، ثم التيجري وشوا وتوج بعضهم امبراطوراً والواقع أن التاريخ الحديث لأثيوبيا يبدأ مع وصول الأمبراطور منليك الثاني ١٨٨٩ - ١٩٠٩ وهو من الأمهرة ويدعي النسب لسليمان ، وهو الذي أسس مدينة اديس بابا (الزهرة الجديدة) وخطط لها لأن تكون مدينة حديثة . وعن طريق اتفاقية أوتشيللي Uecialli ١٨٨٩ منح منليك للايطاليين

حق تمثيله في الخارج وامتياز استغلال ميناء مصـوع الأريـتري، وقـد اعتقدت ايطاليا أن هذه المعاهدة تعطيها الحـق بفـرض حمايتهـا علـى اثيوبيا ، ولكن منليك الثاني رفض ذلك وهنا هاجم الجيش الايطالي الحبشة لاحتلالها ولكنه هزم في معركة عدوة ١٨٩٦ ولكــن نتليـك لم يعترض على إحتلال الايطاليين لأريترية بعد عقــده معهـم اتفاقيـة ماليـة ، وفي عـام ١٩٣٠ تـوج زعيـم اثيوبـي (تافـاري مكنويـن) امبراطوراً على اثيوبيا باسم هيلاسلاسي الأول بعد حرب أهلية وفي عام ١٩٣٥ احتـل الايطـاليون اثيوبيـا وتـرك هيلاسلاسـي البـلاد ، وخلال الحرب العالمية الثانية تم تحرير اثيوبيـا عـام ١٩٤١ وتم اتحـاد فيـدرالي بـين الحبشـة واريتريـه (١٩٥٢) ولكـن هيلاسلاسـي ألغـى الأتحاد الذي أقامته الأمم المتحدة وضم ارتيريـه إلي أثيوبيـه في نفـس العام . وتحت حكـم هيلاسلاسي لعبت اثيوبيا دوراً هامـاً في أفريقيـا وعقـد أول اجتمـاع لمنظمـة الوحـدة الأفريقيـة في أديـس أبابـا الـتي أصبحت المركز الرئيسي للمنظمة . ولكن الأوضاع الداخلية كانت سيئة وذلك بسبب غضـب الطبقـة المثقفـة مـن بطء تطـور البـلاد وأخيراً اجتاح الجوع نظام الأمبراطور الكهــل وبعـد عـدة محـاولات انقلابية نجـح أخرهـا . حيـث سيطر الجيش علـى السـلطة في آذار ١٩٧٤ وتم خلـع الأمـبراطور في أيلـول ١٩٧٤ وتشـكلت اللجنــة الرئاسية لحكم البلاد من القيادة العسكرية المعروفة باسـم (ديـرغ) ، وكـانت الثـورة الأريرتيريـة المسـلحة الـتي بـدأت منـذ عـام ١٩٦٤ بالإضافة إلى التوتر في منطقة الأوغادين الصوماليـة أول الأمـور الـتي واجهتها القيادة الجديدة ولكن الخلاف دب بـين أفرادهـا في محاولـة للوصول إلى قمة السلطة وجرت عدة حركات تطهير أخرهـا مقتـل العقيد انتافوابان ثم خلصت السلطة لمنغستو هيليه مريام الـذي تبنـى

النظرية الاشتراكية لتنظيم البلاد مع عملية إصلاح وأنقلاب زراعي جذري في آذار ١٩٧٥ مما أدخل البلاد في فوضى لا حدود لها ثم ازدادت العلاقات وثوقاً مع الاتحاد السوفيتي وزار الجنرال منغستو في تشرين الثاني ١٩٧٨ الاتحاد السوفيتي بسبب الحرب في الأوغادين مع الصومال في تموز ١٩٧٧ ثم زار كوسيجين اديس ابابا في أيلول ١٩٧٩ ، وفي نفس العام استطاع منغستو التخلص من رفاقه واعدمهم في تموز ١٩٧٩ وقطع البلاد عن العالم الخارجي ثم اتبع أسلوب البطش والقوة في حربه مع اريترية والاضطرابات التي ظهرت في الأوغادين والتيجرة بدعم من الاتحاد السوفيتي وكوبا. بعد أن غير الاتحاد السوفيتي مواقفه ومنع المساعدة العسكرية التي كان يقدمها للصومال كما ازداد منغستو ارتباطاً بالاتحاد السوفيتي وأخذ في تطبيق أسلوب الأشتراكية العلمية التي كان المقاتلون الأريتريون والتيجريون قد اتبعوها وكان الأريتريون الذين سلحوا من قبل العرب أول من ترك النظريات الماركسية .
وقد انتظر نظام منغستو حتى عام ١٩٩٠لترك وإبعاد النظريات الأشتراكية عن الدولة وأعلن عن فك الارتباط مع الشرق (الدول الشرقية) وإبعاد البلاد عن كل ايديولوجية . وعمل على التقرب من الدول الغربية ، ولكن في عام ١٩٩١ اضطر منغستو لترك البلاد بعد هزيمة جيوشه أمام قوات جبهة التحرير الاريتريه وقوات الثوار التيجريين واحتلال مدينة اديس أبابا . وفي تموز انتخب الزعيم ملس زيناوي زعيم الجبهة الديمقراطية الثورية لشعب اثيوبيا FDRPE المؤلفة بأغلبيتها من جبهة تحرير التيجري FPLT رئيساً للحكومة المؤقتة لأثيوبيا حتى الانتخابات الديمقراطية التي تقررت عام ١٩٩٣ ولأول مرة منذ أكثر من قرن ونصف يحكم اثيوبيا رجل من أصل

غير أمهري ، كما تقرر أيضاً إجراء استفتاء حول استقلال اريترية وانفصالها عن اثيوبيا في نفس الوقت . وقد جرت الانتخابات في الوقت المحدد . استطاع فيها ملس زيناوي الفوز بالأنتخابات وأصبح رئيساً للجمهورية الأثيوبية كما أعلن في نفس الوقت عن الاعتراف باستقلال اريتريه وانفصالها عن اثيوبيا وكان قد أعلن عن استقلالها في آب ١٩٩١ برئاسة اسياس (أفورقي) وحزبه الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة .

٤ - اوغندا

أوغندا Ouganda - جمهورية اوغندا

تقع أوغندا في أفريقيا الشرقية وهي دولة قارية داخلية ويمر فيها خط الاستواء ، ويحيط بها السودان من الشمال ،ومن الغرب زائير ومن الجنوب رواندا وتنزانيا ، ومن الشرق كينيا . مساحتها ٢٣٦,٨٦٠كم٢ منها ٣٩ ألف كم٢ من البحيرات ، عدد سكانها حوالي ١٥,٥ مليون نسمة مع زيادة سنوية للسكان ٣,٥٪ أما الكثافة السكانية فهي ٦٧,٣١كم٢ . وهي جمهورية ، عضو في الكومونولث البريطاني ودستورها معلق منذ عام ١٩٧١ .

وتعتبر اللغة الأنكليزية اللغة الرسمية ثم السواحلية ولغة لوغاندا أما العملة فهي الشلن الأوغاندي ، وأغلب السكان من النيليين ثم البانتو وأكثر القوميات عدداً البوغندا ويوجد فيها ٩٠٪ أفارقة و ٧,٧ ٪ اسيويون و٣٪ بيض وتنتشر فيها الأديان ٥٠ - ٦٠ ٪ مسيحيون نصفهم بروتستانت والنصف الآخر كاثوليك ، ٣٠ ٪ يتبعون الديانات المحلية ، ١٠٪ من المسلمين ، الدخل الفردي السنوي ٢٢٠ دولار (احصاء ١٩٧٨) البنك الدولي .

- المدن الرئيسية

كمبالا : عاصمة أوغندا وعدد سكانها ٤٥٨,٠٠٠ وتبعد عن بحيرة فكتوريا ٢٥ كم وهي سوق زراعية وتتصل بنيروبي في كينيا بالسكة الحديدية ، وفيها بعض الصناعات الغذائية والنسيج والمواد المعدنية وتشتهر بطبيعتها الجميلة وفيها قصور ملوك البوغندا.

عنتيبه : وهي العاصمة الادارية وعدد سكانها ٤٠ ألف وفيها المطار الدولي وتقع على بحيرة فكتريا مباشرة .

جينجا : وعدد سكانها ٦٠ ألف وتقع على مخرج النيل من بحيرة فكتوريا ويقع بجانبها سد أوين الكهربائي وهي مركز صناعي للصناعات الميكانيكية (نحاس ، حديد ، نسيج ، مواد غذائية ، الحلي والمجوهرات) .

– **التضاريس** : الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية : هضبة عالية ذات ارتفاعات حادة تهبط في الجنوب نحو بحيرة فكتوريا التي تحتل القسم الأكبر من البلاد ، ويقسم الهضبة مجرى نهر النيل (نيل فكتوريا) الذي يصب في بحيرة موبوتو سيس سيكو (البرت سابقاً) بعد خروجه من بحيرة كيوجا ، ويهبط إليها بشلالات موريشوسون فولز ، وتقع هذه البحيرة هي وبحيرة ادوارد في حفرة الأخدود العظيم (ريفت فالي) وعند خروج النيل من بحيرة البرت يصبح اسمه نيل البرت وعلى الطرف الغربي ترتفع قمة جبال القمر (روينزوري ٥١١٩م) أما طقسها فهو استوائي على المرتفعات وتتوافق مع السافانا المشجرة . الحرارة الوسطى السنوية ٢١درجة وأمطارها المتوسطية السنوية ١,٢٥م وتكون الأمطار حول بحيرة فكتوريا أكثر غزارة (٢م) بسبب الارتفاع . وفي الجنوب وفي الشمال الشرقي طقس مداري حار وأكثر جفافاً أقل من ٠,٧٥م ، ويزيد عدد سكان الريف على ٨٠٪ يعيشون بخاصة على الزراعة الغذائية وتربية الحيوانات . وتشكل القهوة المصدر الرئيسي للتصدير مع قليل من القطن والشاي ، وفيها بعض الموارد المعدنية (النحاس – الكوبالت – التنغستين ، الفوسفات) وتشكل القوة الكهربائية التي يولدها سد ،أوين/ على النيل دعامة قوية لبداية التصنيع . وتعتبر أوغندا إحدى الدول الأقل تقدماً ، وقد تخرب اقتصادها بسبب مرور عشرين عاماً من الاضطرابات والقلاقل في البلاد وهناك محاولة جادة لاعادة البناء بمساعدة خارجية .

وبالرغم أن أوغندا لديها أخصب الأراضي في المناطق الجنوبية وتتمتع بظروف ملائمة جـدا للزراعـة وكـان يطلـق عليهـا جوهـرة الامبراطورية البريطانيـة ولكـن خـلال حكـم عيـدي أمـين انهـارت أغلـب القطاعـات التجاريـة (القطـن - السـكر - الاسمنـت - الفوسفات) ويعـود ذلـك إلى إبعـاد ٨٥ ألفـاً مـن الأسـيويين هنـود وباكستانيون وهم الذين كانوا يتحكمون بالتجارة .

- **التاريخ** : أول من دخل أوغندا مـن غـير الأفارقـة الرحالـة والمبشر العربي أحمد بن ابراهيـم في الأربعينيـات مـن القـرن التاسـع عشر واطلق عليهـا وديـان الجنـة وكـان لسـلاطين زنجبـار في ذلـك الوقت اتصال وثيق مع ملوك يوغندا قبل الاحتلال البريطاني لها وقد اصبحت عام ١٨٩٤ محمية بريطانية وكان فيها ثلاث إلى أربع دول قوية دمرها الاستعمار البريطاني ، ثم حصلت البلاد على استقلالها في تشرين أول ١٩٦٢م واستلم رئاسة الوزارة فيهـا ملتـون اوبوتـي ١٩٦٦ - ١٩٧١ وكان يرأس البلاد الملك سـيرفردريك (موتيسـا) ملك يوغندا وهم الأكثرية في البلاد ، وفي آذار ١٩٦٦ علق ملتـون اوبوني الدستور وابعد الرئيس (أي الملـك المعـروف باسـم كاباكـا) وأوقف خمسة من وزرائـه ثـم ألغـى أوبوتـي الملكيـة عـام ١٩٦٧ . وأصبحت اوغندا جمهورية يرأسها (اوبوتي) . ولكنه أبعد هو أيضـاً عن الحكم من قبل الجنرال عيدي أمـين في شـباط ١٩٧١ ، الـذي طبق في البلاد حكماً ديكتاتوريـاً مسـتنداً إلى القـوة العسـكرية الـتي كان يسيطر عليهـا المسـلمون وقسـم مـن السـكان النـاقمين بخاصـة العمـال الزراعيـين الذيـن يعملـون في الزراعـات الغنيـة في الجنـوب وأغلبهم من العروق الوطنية في الشمال . وبعد سلسلة من حركات التطهير والضغط مع الصراع الطبقي والعرقي أدى إلى مقتـل حـوالي

٢٠٠ ألف بين عام ١٩٧١ - ١٩٧٨ مما أتعب البلاد والحدر اقتصادها وفي بداية عام ١٩٧٩ هاجمت تنزانيا اوغندا بدعم من الدول الأوربية وكانت الغاية ابعاد عيدي أمين لاتجاهاته الإسلامية والعربية وسقطت كمبالا في ١١ نيسان من نفس العام بيد القوات التنزانية .

وقد اقيمت حكومة بزعامة الدكتور يوسف لولو وهو استاذ جامعي قديم كان بعيداً دائماً عن مجرى الأحداث يعاونه في إدارة البلاد المجلس الاستشاري الذي كان يمثل مختلف الاتجاهات السياسية التي ظهرت ضد عيدي أمين . وقد شغل الجيش التنزاني مكان الحكم في أحداث أوغندا . ثم حدثت خلافات ضمن المجلس الاستشاري بين الرئيس لولو والمجلس نفسه مما دعا إلى ابعاده في ٢٠ حزيران ١٩٧٩ وحل محله الرئيس جودفري بينيسا الذي أخذ يبتعد شيئاً فشيئاً عن الرئيس نيريري وتم تحديد شهر كانون أول ١٩٨٠ كموعد لانسحاب القوات التنزانية كما حدث تقارب مع كينيا التي ساعدت رئيس الجمهورية على الاحتفاظ بالحكم عن طريق ارسال قواتها بمعونة الهند واستطاعت هذه القوات أن تفرض الأمن والأستقرار . وفي مايس ١٩٨٠ أبعد الرئيس بينيسا Bainisa وحل محله مجلس عسكري برئاسة باولو موانفا . الذي وعد بانتخابات جديدة ، وهنا عاد للبلاد الرئيس السابق ملتون اوبوتي. الذي فاز بالانتخابات ، وعاد إلى رئاسة الجمهورية في مايس ١٩٨٠ وقد ظهر أن حكمه كان أكثر قهراً للشعوب من الحكم العسكري بالإضافة إلى تحطيمه للنشاط الاقتصادي ، مما أدى إلى طرده في تموز ١٩٨٥ من قبل رجال الجنرال باسيليو أوكيلو. وفي كانون ثاني ١٩٨٦ استطاعت قوات الجنرال يوري مويسيني قائد

الجيش الوطني للمقاومة (الحركة الثورية الشعبية) احتلال العاصمة (كمبالا) بعد قتال طويل وفرض نفسه رئيساً للجمهورية وهو من البانتو الجنوبيين .

١١ – السنغال Senegal . جمهورية السنغال

– تقع جمهورية السنغال في أفريقية الغربية تحدها من الشمال موريتانيا . ومن الشرق مالي ومن الجنوب غينيه بيساو وجمهورية غينية وتضم في وسطها الجنوبي على شكل ممر جمهورية غامبيا وتطل من الغرب على المحيط الأطلسي بساحل طوله ٦٠٠ كم . تبلغ مساحتها ١٩٦,٧٢٢ كم[٢] وعدد السكان ٦,٨٨٢,٠٠٠ نسمة مع زيادة سنوية ٢,٥٪ الكثافة ٣٠,١٣ بالكم٢ . وهي جمهورية من النموذج الرئاسي .

– **العملة :** ترتبط السنغال بالمنطقة الحرة الفرنسية لما وراء البحار . وعملتها مرتبطة بالفرنك الفرنسي بمعادلة محدوده فرانك واحد C . F . A يعادل ٠,٠٢ فرنك فرنسي . الدخل الفردي السنوي ١٠٥ دولار .

– **اللغات :** تعتبر اللغة الفرنسية اللغة الرسمية وهي لغة الادراة والتعليم أما اللغة الوطنية فهي لغة الولوف ويتكلم بها أغلب السكان وهناك عدد كبير من اللهجات واللغات حسب الاعراق .

– **العروق البشرية :** الولوف ٤٠,٣٦٪ وهم موظفون ومعلمون وبينهم مزارعون وتجار بخاصة في مناطق الرأس الأخضر – البربر ١٩٪ مزارعون في منطقة ثيه . الستوكلور ١٢٪ على الضفة اليسرى لنهر السنغال . البول (فولاني) رعاة قطعان الماشية ومزارعون – الماندنغ ٩٪ ديولا ٩٪ بينوك وبالانت ٣٪ ثم الساراكوليه . البامبارا . البساري .

– **الأديان :** ٨٣ ٪ مسلمون ٦٪ كاثوليك والباقي يعتنقون الديانات المحلية ، وتنتشر في السنغال الطرق الصوفية وأهمها التيجانية ثم القادرية والمريديه .

- **المدن الرئيسيه :**

Dakar دكار : عاصمة السنغال منذ عام ١٩٥٧ وتقع في شبه جزيرة الراس الأخضر على الأطلسي وعدد سكانها حوالي ١,٢١٠,٠٠٠ نسمة وفيها المطار الدولي مع ميناء كبير للتجارة والصيد مع مصفاة للبترول وتنمو فيها الصناعات المعدنية والنسيجية وبناء السفن وتعتبر احدى المراكز السياسية الأفريقية . أسسها عام ١٨٦٢ الفرنسي فيدهرب وهو الذي احتل السنغال وكانت عاصمة افريقية الفرنسية اعتباراً من عام ١٩٠٢ .

ثيه – Thies عدد سكانها ١٥٠ ألف وتقع على الخط الحديدي داكار – النيجر وهي مركز تجاري للفول السوداني ولديها بعض الصناعات النسيجية ومعالجة الفوسفات .

كاولاك – ميناء على نهر السلوم عدد السكان (١٤٠) ألف نسمة ويجري تصدير الفول السوداني منها مع الزيوت .

سانت لويس : ميناء قديم للسنغال على مصب نهر السنغال مبنية على جزيرة عدد سكانها ١١٨,٢٠ وقد تأسست عام ١٦٣٠ من قبل الفرنسيين . واصبحت عاصمة افريقية الغربية الفرنسية من عام ١٨٩٥ حتى ١٩٠٣ حيث انتقلت إلى دكار في بداية القرن العشرين وهناك مدن أخرى هي :

زيفينشور ٨٠ ألف . ديوريل ٥٥ ألف ميور ٣٨ ألف

- **التضاريس ، الحياة الطبيعية والبشرية :**

أغلب أراضي السنغال مسطحة تقريباً وقليله التعاريج ، يسبقها في الشمال نهر السنغال وطوله /١٣٠٠/ كم وينبع من مرتفعات توتا دجلون في غينية ويسقيها من الجنوب نهر غامبيا

(١١٣٠ كم) ونهر الكازماس ٣٠٠ كم أمّا طقسها فهو مداري يعود إلى مايعرف بأقليم (الساحل) في الشمال (وهو منطقة الستيب (قفار) التي تحد الصحراء من الجنوب وتتميز بقصر فصل الأمطار). ونموذج سوداني أكثر رطوبة في الجنوب (سافانا مشجرة) وتضم أيضاً غابات منطقة الكازاماس . وينتشر السكان على السواحل وعلى طول الأنهار ويصل عدد الذين يعيشون في الأرياف إلى ٦٠٪ .

– **الحياة الاقتصادية :** تعتبر السنغال من البلدان الفقيرة . فلايوجد فيها بترول ولاسدود لتوليد الطاقة الكهربائية التي تساعد بشكل قوي على تقدم الصناعة بخاصة . وهناك بعض مناجم الحديد ولكنها بعيدة عن الساحل . بالإضافة إلى مناخ لايساعد على اقامة الزراعات المدارية كما هو الحال بالنسبة لبعض الدول الأفريقية كالقهوة والكاكاو والشاي والخضار كما لايلائم إنتاج الحبوب لذلك فالمادتان الرئيسيتان للتصدير هما الفول السوداني والفوسفات وهما مرتبطتان بتقلب الأسعار العالمية يضاف إلى ذلك فترة الجفاف الطويلة التي خربت منطقة الساحل جميعها . ومع ذلك تبذل مجهودات كبيرة لتنويع المحاصيل الزراعية الخاصة بالتصدير بأضافة مادة القطن وقصب السكر مع تحسين انتاج الفول السوداني. ويأتي السنغال ثاني دولة في انتاج هذه المادة وهي في تراجع . والزيادة الطفيفة التي تحققت في انتاج الزراعات الغذائية (الرز – الدخن . الذرة البيضاء) توقفت كما ذكرنا بسبب الجفاف الذي ضرب المنطقة منذ عام ١٩٦٨ ولم يسمح للبلاد أن تكتفي ذاتياً من المواد الزراعية للاستهلاك المحلي . لذلك ظل الاقتصاد يعاني صعوبات قوية وأدى إلى ازدياد البطالة ..... في

حين ازدهرت قليلاً تربية الماشية مع الصيد الـذي يشـكل ، عـادة ، مورداً هاماً للغذاء . وقد ازداد استثمار الموارد المنجمية قليلاً بخاصـة البترول والفوسفات والحديد والملح . وتتمركـز الصناعـة بخاصـة في منطقة دكارو كلها متعلقة بالمواد المسـتخرجة مـن الفـول السـوداني (الراشيد) والفوسفات ، زيوت الطعام كذلك صناعة النسيج القطني وبعـض المـواد المطلوبـة للسـوق المحليـة والاسـتخدام المنزلي (انتـاج الأدوية - المنظفات تصليـح السـيارات . الأدوات الزراعيـة) . أمّـا التجارة الخارجية فهي على الـدوام غير متوازنـة وليسـت في صـالح السنغال بخاصة مـع فرنسـا وجميـع الصـادرات والـواردات تمـر عـبر طريـق مينـاء دكـار تقريبـاً . وعلــى العمــوم السـنغال ارتباطــات واتصالات خارجية جيدة . وتعتبر السياحة حاليـاً في أوج قوتهـا ، ويظل ميناء داكار أهم موانئ الساحل الأفريقي .

- **التـاريخ :** كـانت السـنغال مأهولـة منـذ العهــود الأولى التاريخية ، وفي القرن الحادي عشـر اسـتطاع المرابطـون أن ينشـروا فيها الدين الأسلامي الـذي عـم البـلاد وأصبحـت السـنغال قـاعدة رئيسية لنشر الدين الاسلامي الذي أصبح له قيمـة كـبرى في غـرب أفريقية وقد قامت في السنغال عدة دول قبل الاسلام وبعده واعتباراً من القرن الخامس عشر عرف الأوربيون السواحل وأولهـم البرتغـال ١٤٤٦ . ثم ابتدأ الاستعمار الفرنسي في القرن السابع عشر حيـث تم تأسيس مدينة سان لويس ١٦٥٩ . ولم يتم إخضـاع الداخـل إلا بعد فترة زمنية طويلة في زمن فيدهـرب ١٨٥٤ - ١٨٦٥ . الـذي ادخل زراعة الراشيد (الفول السوداني) والقطـن وتم تأسـيس مدينـة دكار ١٨٥٧ ثم أعطيت المواطنة الفرنسية لسكان السنغال : أربعـة منـاطق (دكـار - غوريـه - روفيسـك - وسـانت لويـس) وقـد

أصبحت مستعمرة السنغال القاعده للتوسع الفرنسي الاستعماري وساهم الجنود السنغاليون مساهمة فعاله في عملية الفتح الاستعماري. في عام ١٩٥٨ أصبحت جمهورية ذات استقلال داخلي ضمن الاتحاد الفرنسي وكانت مدينة داكار قد أصبحت عام ١٩٠٢ مقر الحكومة العامة لغرب افريقية الفرنسية . وقد اتحدت السنغال في بادئ الأمر مع جمهورية السودان (مالي حالياً) وتشكل اتحاد مالي ١٩٥٩ – ١٩٦٠ ولكنه لم يدم حيث تم الانفصال بين البلدين وأصبحت السينغال مستقلة عام ١٩٦٠ لها دستورها الخاص، جمهوري من النوع الرئاسي وحكم الحزب الواحد وكان ليوبولد سنغور أول رئيس للجمهورية الجديدة وظل رئيساً لها من عام ١٩٦٠ إلى ١٩٨٠ وفي الأول من كانون ثاني ١٩٨١ تخلى عن رئاسة الجمهورية لصالح رئيس وزرائه عبدو ضيوف . الذي ألغى فكرة حكم الحزب الواحد وسمح بتعدد الأحزاب وادخلها بصلب الدستور . وقد انتخب ضيوف رئيساً للجمهورية عام ١٩٨٣ بأغلبية ٨٤٪ من الأصوات وألغى منصب رئيس الوزراء وخلال ذلك تدخل الجيش السينغالي في غامبيا ، تشرين ثاني ١٩٨٥ للقضاء على حركة تمرد تخريبية حيث أعلن عن قيام اتحاد سنغامبيا في ١٧ كانون أول ١٩٨١ . وكانت نتائج الانتخابات العامة ١٩٨٨ حصول الرئيس ضيوف على أغلبية كبيرة ولكنها أدت إلى انتقادات على طريقة الانتخاب واعتباراً من عام (شباط ١٩٨٩) جرت مذابح عرقية بين السود السينيغاليين والموريتانيين على طرفي الحدود بين موريتانيا والسنغال . وفي آب قطعت العلاقات الدبلوماسية بين السنغال وموريتانيا . وهنا انهى السنغال اتحاده الكونفدرالي مع غامبيا المعروف باسم سينغامبيا . وفي عام

١٩٩١ شكل حبيب ثيام Thiam رئيس الوزراء وزارته وادخل فيها أشخاصاً من المعارضة وأهمهم زعيم المعارضة عبد الله (أبدولـلاي) وقد انتخب ضيوف مرة أخرى رئيساً للجمهورية ١٩٩٣ الـذي أعـاد العلاقـات الدبلوماسية مع موريتانيـا وخـلال ذلـك ظهـرت الحركات الانفصالية لدى الكازاماس وكذلك المعارضة للحكم .

- ٦ - ايرتيريه -

- جمهورية ايرتيريه ERYTHREE

- التضاريس الأحوال الطبيعية والبشرية

تقع جمهورية ايرتيريه في افريقية الشرقية على الساحل الغربي للبحر الأحمر المقابل لشبه الجزيرة العربية ويحدها من الشمال والغرب جمهورية السودان من الجنوب اثيوبية ومن الجنوب الشرقي ـجيبوتي) ومن الشرق البحر الأحمر وطول واجهتها البحرية (١٠٠٠) كيلو متر وتبلغ مساحتها ١٢٤,٣٢٠ كم٢ وتمتلك جزراً كثيرة وعدة خلجان على البحر الاحمر . يبلغ عدد السكان بين ٣ – ٤ مليون نسمة وهم ينتسبون إلى أصول مختلفة امتزجت مع بعضها ومن المعتقد أن سكان ايرتيريه الأوائل كانوا شعباً نيليا . ثم تعرضت ارتيريا فيما بعد إلى غزوات من القبائل الحامية الرعوية التي زحفت من من صحاري السودان الشمالية واحتلت منخفضات بركه والمرتفعات الشمالية بعد أن اخضعت أو طردت سكانها النيليين . وتلا ذلك وفود هجرات عربية (سامية) من السبأيين والحميريين الذين عبروا البحر الاحمر لاستيطان الهضبة الأرتيرية والحبشية لتشابه مناخهما مع مرتفعات جنوب شبه الجزيرة العربية التي جاءوا منها . واستطاع القادمون الجدد بما لديهم من ثقافة في مختلف المجالات أن يخضعوا الحاميين لسلطانهم ونفوذهم وأن يمتصوهم عن طريق التزواج وقد استمرت الهجرات العربية إلى ايرتيريه طوال القرون الوسطى واندمج المهاجرون العرب بالسكان عن طريق التزواج ولذا فإن السحنة العربية واضحة في ملامح الأريتيريين وأهم القبائل التبجراي – الجبرته – بني عامر – الدناكل. وتنتشر في أرتيرية الديانتان الاسلام والمسيحية (الأسلام

أكثر من النصف) ويعيش المسلمون في المناطق الساحلية أمّا المسيحيون ففي المناطق الداخلية والجبلية واللغتان الرسميتان هما العربية والنيجرية . وأغلب المسيحيين فيها من الكاثوليك .

– **المدن الرئيسية :**

اسمره : وهي عاصمة البلاد عدد سكانها ٢٨٤,٧٢٠ وقد أقام الأيطاليون فيها سابقاً صناعات غذائية كثيرة وظلت تأوي أكثرمن ٣٣٪ من الصناعة بعد انضمامها للحبشة بالأضافة إلى ذلك توجد صناعات النسيج وتقع اسمره في الداخل وهي مرتفعة (٣٣٢٧) م .

مصوع : وهي ميناء على البحر عدد سكانها ٣٧ ألف وقد تهدمت (٨٠٪) في نيسان ١٩٩٠ بسبب الحرب ضد الحبشة .

عصب : ميناء أيضاً في سهل دنكاليا .

– **الاقتصاد ،** تعتبر ايرتيريه منفذ الحبشة إلى البحر من خلال مينائي عصب ومصوع وطقسها مختلف منه المداري الجاف _حيث يزرع القطن والتبغ) والثروة الحيوانية فيها نامية . ولاشك أن هذه السنين الطويلة من الحرب مع الحبشة زعزعت الاقتصاد الأيريتيري من أساسه . وتجري عملية اعادة البناء بشكل جيد .

– **التاريخ :** يعتقد أن مملكه اكسيوم القديمة ظهرت فيها . وبعد تدمير هذه المملكة تدمرت ايرتيريه معها واتحدت مع المملكه الحبشية بعد احتلالها في أعوام ١٨٨٢ حتى ١٨٩٠ . ثم أصبحت مستعمرة إيطالية حتى عام ١٩٤١ وبعد احتلالها من قبل بريطانيا . تم ضمها إلى الحبشة على أساس اتحادي عام ١٩٥٢ باعتراف الأمم المتحدة ولكن الحبشة ضمتها إليها في نفس العام وألغت الاستقلال

الذاتي وأصبحت مقاطعة حبشية مما أدى إلى اثارة الاضطرابات ونشبت الثورات اعتباراً من عام ١٩٦٢ وقد قادت هذه الحركات جبهة التحرير الأريترية F , L , E ثم الجبهة الشعبية لتحرير اريترية F , P , L , E وكان الهدف هو استقلال البلاد بعيداً عن الحبشة وقد حاول الأثيوبيون الوقوف ضد الثورة واستطاعوا بدعم من السوفييت والكوبيين الصمود حتى عام ١٩٨٨ وفرض سيطرتهم على المدن والموانئ ومحاور الطرق والمواصلات واعتباراً من عام ١٩٩١ استطاعت الجبهة الشعبية لتحرير ايرتيريه أن تحتل أجزاء كثيرة من اريترية وتفرض عليها نظامها وإدراتها . وكان انهيار الجيش الأثيوبي أمام حركة تحرير التيجري والجبهة ودخولهم اديس ابابا سبباً في نجاح اريترية بالحصول على استقلالها بعد استفتاء جرى في نيسان عام ١٩٩٣ والتأكيد على انفصالها عن اثيوبية . وكانت اريترية قد أعلنت استقلالها في ايار عام ١٩٩١ وتشكلت فيها حكومة انتقالية يرأسها الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير اريترية اسایاس أفورقي .

- الصومـــال : Somalie : جمهوريـــة الصومـــال الديموقراطية

تقع جمهورية الصومال في أفريقية الشرقية وتطل من جهة على خليج عدن ومن جهة أخرى على المحيط الهندي وطول سواحلها ٢٨٠٠ كم . ويندفع راس غاردفوي (القرن الأفريقي) في الشمال عميقاً في البحر (٣٠٠ كم من الرمل) . يحدها من الشمال الغربي جيبوتي . ومن الغرب اثيوبية ومن الجنوب الغربي كينيا . تبلغ مساحة الصومال ٦٣٧,٦٥٧ كم^2 وعدد السكان ٨,١٢٩,٠٠٠ والزيادة السكانية السنوية ٣٪ أمّا الكثافة السكانية فهي ٨,٧ بالكم٢ . وتضم التركيبة السكانية ثلاث مجموعات رئيسيه وهي الاسحاق . الهوية والداروت ويتفرغ منها أكثر من مائة قبيلة صغيرة وكبيرة وجميعهم يتكلمون اللغة الصومالية ويدينون بالاسلام الذي يعتبر احدى المقومات الاساسية للقومية الصومالية (اللغة العربية نظرياً هي اللغة الرسمية باعتبار الصومال عضواً في جامعة الدول العربية ولكن بعد كتابة اللغة الصومالية المحكية بالاحرف اللاتينية تعتبر هي اللغة الرسمية وكذلك لغة التعليم في المراحل المتأخرة . والعملة هي الشلن والدخل الفردي ١١٠ دولار .

- المدن الرئيسية

مقديشو : عاصمة الجمهورية وتقع في جنوب الصومال على المحيط الهندي وعدد سكانها يفوق ٥٠٠ ألف وهي ميناء هام، ومركز تجاري وصناعي وتقع بقربها مزارع الموز .

هرجيسه : عاصمة شمال الصومال (حالياً عاصمة جمهورية

أرض الصومال المنفصلة) ويبلغ عدد سكانها ٨٠ ألف وكانت عاصمة الصومال البريطاني واشتهرت بجودة هوائها وهي مركز رئيسي لتجارة الجلود وبيع الماشية ويعني اسمها باللغة الصومالية (بائع الجلد) .

كيمايو ٤٠ ألف ميناء الجنوب وفيها معمل لتعليب لحم البقر وهي قريبة من مصب نهو جوبا كما أنها ميناء لتصدير المواد من جنوب الصومال وبخاصة الموز .

بربره : ٤٠ ألف نسمة ميناء الشمال لتصدير الماشية إلى البلاد العربية .

بيدوا : تقع في جنوب وسط الصومال وعدد سكانها ٥٠ ألف وهي مركز زراعي هام وهناك مدن بلدوين واوبيا ثم مركه : مركز تصدير الموز وكذلك براوه . وفي الشمال توجد برعو وبوصاصو ويعيش السكان ٧٧٪ منهم في المدن الصغيرة التي أقل من ٢٠٠٠ من السكان وأكثر من ٦٦٪ من السكان هم رعاة .

– **التضاريس والاقتصاد :** مخده جبلية في الشمال يتجاوز ارتفاعها ٢٠٠٠ م على طول الساحل الشمالي أما بقية البلاد فهي هضبة جافة يوازيها سهل ساحلي يخترقه في الجنوب واديا نهري شبيللي وجوبا القادمين من الحبشة طول الأول ١٨٥٠ كم ويسير على طول الشاطيء مسافة ٣٠٠ كم أما الثاني فطوله ١٥٠٠ كم ولكنه اغزر مياها ويصبان في المحيط الهندي . وتتعرض المنطقة الجنوبية عادة للرياح الموسمية في فصل الصيف أي فصل الأمطار ويتجمع فيها أكثر من ٦٠٪ من السكان وهي المنطقة المزروعة والمروية وينبت فيها (الذرة . قصب السكر . الذرة البيضاء – الموز

وأكثر الأمطار تهطل بين نيسان حتى حزيران . وقد اشتهرت الصومال بثروتها الحيوانية . أهم أنشطة البلاد الاقتصادية مع الموز بخاصة للتصدير ويعيش أكثر من ٩٠٪ من تربية الماشية ولكن الأقتصاد الصومالي يعتبر بحكم المنهار بسبب الحروب مع اثيوبية والحروب الداخلية فمن جهة تدفق على البلاد أكثر من ستمائة ألف لاجئ ومن جهة أخرى خرج منها بسبب الاضطرابات عشرات الآلاف من السكان خارج البلاد . بالأضافة إلى تربية الحيوان يوجد مورد الصيد واستثمار الملح ويعتقد أن في الصومال مناجم غنية لمادة اليورانيوم حسب المؤشرات التي اكتشفت مؤخراً .

– **التاريخ :** عرف المصريون القدماء بلاد الصومال منذ زمن المملكة القديمة وأطلقوا عليها اسم بلاد البنت عندما كانوا يفتشون عن الذهب فيها وكذلك عن البخور واللبان لحرقها في المعابد المصرية لذلك كانت لهاصفة القدسية ثم وصلها العرب وارتادها التجار منهم من استقر فيها ومنهم من كان في طريقه إلى افريقية الشرقية كما كانت ملجأ لكثير من الهاربين من الجزيرة العربية لاسباب سياسية أو دينية مذهبية . ويعتقد أن سكان الصومال اتوا من جنوب البلاد العربية حيث استقروا فيها في القرن العاشر وقد انتشر فيها الاسلام كاملاً منذ العهود الأولى للأسلام وانتهى في القرن الثالث عشر وحتى القرن التاسع عشر كان الصومال يخضع لبعض السلطنات الداخلية إن كان في الجنوب كسلطنة مقديشو والشمال سلطنات الطراز الاسلامي وأخيرا خضع بعد القرن التاسع عشر لسيطرة سلطان زنجبار ، وقد حاول البرتغاليون احتلال مقديشو مراراً فلم يستطيعوا وأخيرا استقرت بريطانيا في شمال الصومال اعتباراً من عام ١٨٨٤ أما ايطاليا فقد

استقرت في جنوب ووسط الصومال اعتباراً من عام ١٨٨٩ ، حيث سيطرت على القسم الأكبر من البلاد . بينما ضمت الحبشة القسم المعروف بأوغادين واحتلت فرنسا جيبوتي كما ضمت بريطانيا جنوب الصومال إلى كينيا . وتطالب الحكومة الصومالية باستعادة هذه البلاد التي تتكلم اللغة الصومالية إليها ، في عام ١٩٤١ احتلت بريطانيا الصومال الايطالي ولكن الأمم المتحدة اعادته لوصاية ايطاليا عام ١٩٥٠ لمدة عشر سنوات انتهت عام ١٩٦٠ . حيث تم توحيد الصوماليين الايطالي والبريطاني وأعلن استقلال الصومال في أيلول ١٩٦٠ وطالبت بقية الدول التي تحتل أجزاء من الصومال بالانسحاب منها حيث قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع كينيا بين عامي ١٩٦٣ – ١٩٦٨ ودخلت في حرب مع اثيوبية عام ١٩٦٤ من أجل الأغاودين وكان الجيش الصومالي بقيادة الجنرال محمد سياد بري ، ولكن مقتل الرئيس الصومالي الدكتور عبد الرشيد شيرماكي . في تشرين أول ١٩٦٩ قلب الأوضاع فبعد ستة أيام قام بمجموعة من الضباط بزعامة الجنرال محمد سياد بري باستلام السلطة وشكلوا مايعرف بمجلس الثورة الصومالية حيث أعلنت الصومال جمهورية ديموقراطية (جمهورية الصومال الديمقراطية) وبعد عام أعلن عنها جمهورية اشتراكية وفي أيلول ١٩٧٧ ألغي اسم مجلس الثورة وأصبح اسمه مجلس الثورة الصومالية الشعبية .

ومنذ وصوله للسلطة أخذ الجنرال سياد يسعى لتحقيق أحلام الصوماليين باستعادة الأراضي التي يعتبرونها بلادهم وتأسيس صوماليا الكبرى وكان أول أجراء اتخذه تحالفه مع الدول الأشتراكية ومع الاتحاد السوفيتي بخاصة ثم هاجم اثيوبية وبدأت الحرب الثانية

بين البلدين من أجل استعادة منطقة الأوغادين وغيرها واستطاعت الجيوش الصومالية دحر الجيش الأثيوبي حتى ديرداوا في منتصف الحبشة (١٩٧٠ - ١٩٧٧) ولكن السوفيت والكوبيين حلفاء الصومال غيروا من مواقعهم ودعموا الحبشة فجأة مما أدى إلى تراجع القوات الصومالية ومعها مئات الآلاف من اللاجئين الذين أصبحوا عبئاً على الاقتصاد الصومالي الضعيف . وفي آب ١٩٨٠ عقدت الولايات المتحدة والصومال اتفاقية لاستخدام قاعدة بربره الواقعة في الشمال . والتي بناها السوفيت سابقاً و لم تعد العلاقات بين اثيوبية والصومال إلى طبيعتهما حتى عام ١٩٨٨ . وكما لم تعد الصومال لطبيعتها من مختلف النواحي الاقتصادية والسياسية حيث استطاعت ميليشيا قبائل العيسى التي تكن روح العداء لكل الصوماليين (رغم كونها منهم) والأحباش على حد سواء من احتلال ماكان يعرف بالصومال البريطاني في الشمال وتأسيس دوله (أرض الصومال) بزعامة محمد ابراهيم عقال الذي كان رئيساً للوزارة الصومالية في وقت ما واعتقله الجنرال سياد وظل معتقلاً حتى سقوط سياد في كانون ثاني ١٩٩١ حيث فرض ثوار منطقة مقديشو الذين هبوا متأخرين للثورة سيطرتهم على العاصمة مقديشو ، بينما اصبحت هرجيسه العاصمة الشمالية عاصمة جمهورية أرض الصومال بعد اضطرابات دامت أربعة أعوام في الوقت ذاته تدفقت الميليشيات المسلحة من قبل الحبشة بالدخول في اللعبة وبدأت الحرب الأهلية الداخلية تمزق البلاد وتقضي على الاقتصاد الهش بسبب الجفاف الذي ضرب البلاد عام ١٩٩٢ مما جعلها تئن تحت وطأة المجاعة الحادة التي رافقها هرب عدد كبير خارج البلاد . و لم تستطع قوات الأمم المتحدة والقوات الامريكية

والأوربية السيطرة على المنازعات الداخلية حتى لم تتمكن من تأمين الطعام للجائعين بشكل جيد . وقد اشترك في عملية الأمم المتحدة التي عرفت باسم يونوصوم ٢٢ دولة مع امريكا التي أطلقت على عمليتها اسم إعادة الأمل . ظلت قوات الأمم المتحدة من كانون أول ١٩٩٢ حتى آذار ١٩٩٤ حيث انسحبت تحت ضغط الشعب الصومالي .

لاتوجد حالياً في جمهورية الصومال حكومة مركزية بل توزعت البلاد تحت سيطرة زعماء وقادة الحرب والفصائل المسلحة التي تسندهم . ففي وسط البلاد وقسم من مقديشو يسيطر محمد مهدي وأنصاره حيث أعلن عن نفسه رئيساً للجمهورية أمّا الجنرال محمد فارح عيد يد الذي كان قد تزعم حركة الثورة ضد سياد مع فصائله السبعة فقد انتقل مجدداً إلى بيدوا في الجنوب وجعلها عاصمة له وتلقب برئيس للجمهورية ولم يستطع الأمريكان القبض عليه خلال فترة وجودهم في مقديشو ولايزال عيد يد أكثر زعماء الفصائل شعبية أما في أقصى الجنوب فيوجد محمد سعيد (حرس) الملقب بمورغان ويسيطر على فلول أنصار الرئيس السابق سياد بري أما الجنرال عبد الله يوسف فيسيطر على المناطق الشمالية الشرقية . وقد توفي الجنرال عيد يد في بداية عام ١٩٩٦ وحل محله ابنه حسين.

- **المغرب MAROC المملكة المغربية :**

- تقع المملكة المغربية في أفريقية الشمالية وهي جزء من الوطن العربي وتقع على جناحه الغربي وتشرف على المحيط الأطلسي من جهة وعلى البحرِ الأبيض المتوسط من جهة أخرى لذلك كان مناخها متوسطياً من البحر الأبيض تعد له رياح الأطلسي . ويحدها من الشرق الجزائر ومن الجنوب موريتانيا وتنفتح على الصحراء ورياحها من الجنوب الغربي . تبلغ مساحة المغرب وحدها (٤٥٨,٧٣٠) كم٢ ومع انضمام الصحراء الغربية تصبح مساحتها ٧١٢,٥٥ كم٢ ويبلغ عدد السكان ٢٣,٣٧٦,٠٠ نسمة مع زيادة سكانية سنوية ٢,٥٪ نسمة منهم ٦٥٪ من الأصول العربية والباقي من البربر . واللغة العربية هي اللغة الرسمية . وتنتشر أيضاً اللغتان الفرنسية والأسبانية وثلث السكان يتكلمون عده لهجات بربرية ٩٩٪ منهم مسلمون سنيون والعمله فيها هي الدرهم والدخل الفردي السنوي ٦٧٠ دولار (١٩٧٨) وفيها بعض الأقليات اليهودية التي هاجر قسم كبير منها إلى اسرائيل . ويعيش أكثر من ٦١٪ من السكان في الأرياف . نظام الحكم ملكية دستورية .

- **المدن الرئيسية :**

الرباط : وهي عاصمة البلاد وتقع على مصب نهر الرقرق. عدد سكانها ٥٥٦,٠٠٠ نسمة ومع ضواحيها مليون . وهي المركز السياسي للبلاد وفيها بعض الصناعات الغذائية والسجاد أسسها الأندلسيون عندما هجروا الأندلس .

الدار البيضاء : (كازا بلانكا) وعدد سكانها ٢,٤٠٨,٠٠٠ نسمة وقد حدث فيها الاجتماع بين تشرشل وروز فلت مما أدى إلى اتفاقية كازابلانكا التي وجهت الاستراتيجية العامة للحلفاء في الحرب عام ١٩٤٣ وهي أكبر مدن المغرب وميناء البلاد الرئيسي وأكبر المراكز الاقتصادية . فيها صناعات كيماوية غذائية ميكانيكية ونسيجية تصدر الفوسفات وبُنى فيها مؤخراً أكبر جامع في المغرب (جامع الحسن الثاني) ويتسع لعشرين ألف نسمة ومأذنته أعلى مأذنة في العالم (٢٠٠) م .

– **مراكش** : تقع في وسط البلاد والى الشرق وهي مدينة داخلية بعيدة عن البحر وتقع في وسط سهول الحوز في أسفل سلسلة الأطلس العليا من الشمال وهي سوق تجارية كبيرة للجنوب وفيها صناعات (الزيوت الأرتيزانا) كما هي مركز سياحي وفيها عدد كبير من المساجد وأجملها هو الكتوبية (القرن الحادي عشر) باب أغنو ، مدخل القصبة ، القصور قبور السعديين وقد أسسها المرابطون عام ١٠٦٢ وكانت عاصمتهم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر .

– **فاس** : تقع على وادي فاس عدد سكانها ٤٥٠,٠٠٠ نسمة وهي عاصمة دينية وثقافية للمغرب ومركز سياحي هام ويوجد في المدينة عدد من الصناعات الحديثة خاصة في القطاع الغذائي والنسيج وفيها جامعات دينية وحديثة وفيها أسوار المدينة القديمة وجامع الأندلسيين وجامع القروميين (القرن الحادي عشر) إلى القرن الثاني عشر مدارس (العطارين ثم أبو انيانياها و حي الفنانين (التطريز والتنتنه ..... الخ) .

مكناس : تقع بين الريف والأطلس الأوسط ٣٢٠,٠٠٠

نسمة وهي مركز تجاري هام في منطقة غنية زراعيـة وأجمـل مافيهـا باب المنصور وكانت عاصمة المغرب خلال حكـم مـولاي اسماعيل ١٦٧٢ - ١٧٢٧ .

طنجة : أحد الموانئ الرئيسية في المغرب وتقـع على مضيـق جبل طارق عدد سكانها ٢٦٦,٣٥٠ نسـمة وهـي مركـز سياحي هام . لقد طمع بالمدينة (تنجي القديمة القرطاجية وتنجيز الرومانية) أغلب الدول التجارية منذ العصور الوسطى وذلـك بسبب موقعهـا الجغـرافي وأول مـن احتلهـا هـم البرتغـاليون ١٤٧١ - ١٦٦٢ ثـم اصبحت مدينة دولية ١٩٢٣ ، وقد احتلهـا الأسبان ١٩٤٠ حتى عام ١٩٥٤ ثم أعيدت للمغرب ١٩٥٦ .

تطوان : تقـع في شمـال البـلاد عـدد سـكانها ١٩٩,٧٠٠ وكانت عاصمة المنطقة الاسبانية عـدد تطـوان الكـبرى ، ٣٧١,٧٠٠ كما فيها مدن القنيطرة ٣٤١ ألف اغادير ١٨٩ ألف مدينة العيـون عاصمة الصحراء الغربية . وهنـاك مدينتـان تحـت الحكـم الاسباني حتى الآن وهمـا سبتة عـدد سـكانها ٦٢ ألـف وتقـع على البحـر الأبيض المتوسط باتجاه جبل طارق وفيها منطقة حرة ثم مدينة مليلـة وهي جيب اسباني على الساحل المغربي وعدد سكانها (٥٣) ألـف ويصدر منها الحديد والرصاص وقد احتلها الأسبان عام ١٤٩٧ .

- التضاريس الأحوال الطبيعية والبشرية :

يمتـد المغـرب الأطلسـي شمـالاً غربيـا وهـي منطقـة هضـاب وسهول (هضبة وسطى . غربا ، شاوية) متوسطية المناخ الرطوبـة نسبية ، بجـاري ميـاه دائمـة (سـيبو - أم الربيعـة ، وهـي تشـكل المغرب الخصب وتحوي ثلثي السكان . ويحاذيها في الشمال سلسـلة

جبال الريف التي تهبط نحو البحر الأبيض المتوسط بساحل منحدر وممر يفصلها عن المغرب الشرقية (هضاب عالية دوادى الملوية) . وهي منطقة جافة قليلة السكان ! المنطقة الجبلية على شكل شبه منحرف وتتألف من سلسلة جبال الأطلس (الأطلس الأوسط والأطلس الأعلى وارتفاعه في جبل توبكال ٤١٦٥م ثم سلسلة انتي أطلس التي تغلق في الجنوب وادي سوس ، وإلى أبعد من ذلك في الجنوب الأقصى تبدأ الصحارى المراكشية التي تتناثر فيها المدن الساحلية حيث تعيش القبائل الرحل التي أخذت حالياً تستقر شيئاً فشيئاً ورغم النقص في التوالد فالسكان في طريقهم للأزدياد ويزداد سكان المدن بسرعة وتحوي المدن أكثر من نصف السكان .

- الاقتصاد :

تعود المغرب أيضا للعالم الثالث رغم ذلك فلديها قاعدة اقتصادية متنوعة فالزراعة تضم ٤٪ من النشاط السكاني ولكنها تنتج أقل من خمس الثروة الوطنية . والأستثمار الحديث والكبير لسهول الأطلس هو الذي يصدر انتاجه إلى أوربا (الخمر ، الخضار، الفواكه ، الحمضيات) وقد أصبحت المنافسة شديدة مع اسبانيا منذ أن أصبحت هذه عضواً في السوق الأوربية المشتركة . وهي تعتمد على الزراعات التقليدية في الداخل ، وفي الجبال (الحبوب - الثروة الحيوانية تربية الماشية ومع ذلك لا تحقق لها الاكتفاء الذاتي وبالرغم من تقدم وسائل الأرواء والسقاية ، أما الصيد فله أهميته (السردين بخاصة) . أما الفوسفات فهو يستخرج من مناجمه في الهضبة الوسطى والصحراء الغربية وهو أكبر المصادر المنجمية في البلاد وفي المغرب ثالث انتاج عالمي ولكنها الأولى في العالم في التصدير . والدخول من هذه المادة يسمح بتطوير صناعة

كيماوية للسماد التجاري (اسيد فوسفوريك) يضاف إلى ذلك التصفية . ثم الصناعة الغذائية ، النسيجية . أشغال الجلود والأدوات المعدنية ، ويشكل محور كازابلانكا - الرباط - القنيطرة. المنطقة الأولى في الصناعة في البلاد وقد طورت المغرب الصناعة السياحية بشكل جيد من الناحية الثقافية وتشكل ٢٠٪ من الدخل الخارجي ، ويشكل الفوسفات والمواد التحويلية ٤٠٪ مقابل انتاج المواد الزراعية الغذائية ٢٥٪ ولكن الميزان العام خاسر لأن البلاد تستورد البترول والحبوب والتجهيزات . في عام ١٩٨٩ نقص النمو المتزايد الذي سجل في الأعوام السابقة . وعدم التوازن المالي قد تضاعف كما أثرت الأزمة التي ارتبطت بحرب الخليج وأضرت بالسياحة عام ١٩٩١ .

التاريخ : وصل الفينيقيون إلى المنطقة منذ القرن الحادي عشر ق.م ، ثم القرطاجيون والرومان الذين ألحقوا بهم مملكة المور (القسم الشمالي من الغرب) ، وأنشأوا مقاطعة موريتانيا (تينجيتان) ٤٢ق.م ثم غزاها الغاندال في القرن الخامس ميلادي ثم دخلها الإسلام اعتباراً من القرن الثامن الميلادي مع وصول العرب . وقد عرفت الازدهار والتوسع في عهد المرابطين والموحدين الذين ضموا لهم أيضاً اسبانيا المسلمة القرن الحادي عشر - القرن الثاني عشر - وبعد عام ١٦٦٠م حكمت العائلة المالكة العلوية العربية ، ولكنها عانت بعد ذلك من التفرقة والتشرذم ، ثم بدأ الضغط الأوربي يصل إليها منذ القرن الثامن عشر حيث هيمنت عليها فرنسا بالرغم من اعتراض ألمانيا (مؤتمر الجزيرة ١٩٠٦ حادثة أغادير ١٩١١) . وقد جعلتها فرنسا محمية عام ١٩١٢ تاركة للأسبان احتلال منطقة الريف وإقليم أفني ، وقد تركت الماريشال ليوتي لينظمها وهو الذي

ساعد على سحق ثورة عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف ١٩٢١ - ١٩٢٦ . ولكن الحركة الوطنية أخذت في الازدياد مع الحرب العالمية الثانية بزعامة حزب الاستقلال وقد أقيل السلطان محمد الخامس عام ١٩٥٣ من قبل فرنسا ولكنه أعيد عام ١٩٥٥ وحصلت البلاد على استقلالها عام ١٩٦١ ، تبعت المغرب سياسة دبلوماسية نشطة ، وقد تم امتصاص الخلاف المغربي الفرنسي (مشكله بن بركه) الذي حصل عام ١٩٦٥ ، ثم بدأت الخلافات الحدودية بين المغرب والجزائر منذ عام ١٩٦٣م . وقد تصارع الطرفان على السيطرة على اقليم (تندوف) . وفي تشرين ثاني ١٩٧٥ بدأت المسيرة الخضراء التي اشترك فيها ٣٥٠ ألف متطوع وأدى ذلك عام ١٩٧٦ إلى ضم القسم الشمالي من الصحراء الغربية والتي كانت حتى ذلك الوقت يطلق عليها الصحراء الأسبانية . وكانت في ذلك الوقت تنمو فيها حركة مطالبة بالاستقلال وتعرف باسم جبهة البوليساربو التي رفضت انضمامها للمغرب وأعلنت عن استقلالها في شباط ١٩٧٦ تحت اسم الجمهورية الصحرواية ودخلت منظمة الوحدة الأفريقية عام ١٩٨٤. وفي آب ١٩٧٩ احتل المغرب أيضاً القسم الجنوبي من الصحراء الاسبانية القديمة التي انسحبت منها موريتانيا ، ثم بنى الجيش المغربي اعتباراً من عام ١٩٨١ سلسلة من الأسوار الترابية (حواجز رملية) عالية من الأرض تمنع تسرب المهاجرين نحو المنطقة المأهولة ، الثلث الشمالي الغربي وحدثت عدة هجمات من قبل الصحرواين بدعم الجزائر ، وفي عام ١٩٩١ قبلت كل من المغرب والبوليساريو إجراء استفتاء على استقلال البلاد والذي كان مقدراً له أن يجري عام ١٩٩٢ ولكنه أجل عدة مرات تحت إشراف كل

من منظمة الوحدة الافريقيـة والأمـم المتحـدة ولكـن الحسـن الثـاني الـذي نجـا مـن عمليـتي انقـلاب عـام ١٩٧١ - ١٩٧٢ كـانت لـه سيطرة قوية على البلاد وقام بعملية تقارب مـع المعارضـة ، عندمـا حرر عدداً من المعتقلين السياسيين .

٩ - السودان Soudan

جمهورية السودان الديمقراطية

تقع جمهورية السودان في شرق أفريقيا وهي جزء من الوطن العربي . تطل على البحر الأحمر ، يحدها من الشمال مصر وليبيا ، ومن الغرب تشاد وجمهورية وسط أفريقيا ومن الجنوب أوغندا وزائير وكينيا وهي أكبر الدول الأفريقية مساحة تبلغ مساحتها ٢,٥٠٥,٨١٣كم٢ وعدد سكانها (٢٦) مليوناً والزيادة السكانية السنوية ٣٪ ، والعملة الجنيه ، ٧٥٪ من السكان عرب و ٢٥٪ من القبائل الجنوبيه : الدنكا ، النوير ، النوبا ، الآزاند ، الشيلك . ٨٥٪ مسلمون والباقي ديانات محلية مع ٦٪ من المسيحيين وكلهم في الجنوب . وتعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية . وتنتشر أيضاً اللغة الانكليزية وهناك أكثر من ٥٠٠ قبيلة في مجموع السودان أبرزها النوبة والجعليون . نظام الحكم عسكري برئاسة عمر حسن البشير بعد انقلابه على حكومة الصادق المهدي ١٩٨٩ .

المدن الرئيسية :

- **الخرطوم** : عاصمة السودان وتقع على ملتقى النيل الأبيض بالنيل الأزرق ، عدد السكان ٥٥٧,٣٥٠ نسمة وتتمركز فيها بعض صناعات النسيج والاسمنت والكيماويات والصناعات الغذائية، حاصرها في عام ١٨٨٤ المهدي وأنصاره واحتلوها بعد مقتل غوردن ولكن الانكليز عادوا واستعادوها ١٨٩٨ . وتقع بجانبها مدينة أم درمان على النيل مقابل الخرطوم وعدد سكانها ٦٤٨ ألف وقد جعلها المهدي عاصمة له عام ١٨٨٤ وقد استعادها الانكليز ١٨٩٨ والمدينة الثالثة هي الخرطوم الشمالية وأهم المدن هي :

- **بورت سودان** : وهي ميناء على البحر الأحمر وعدد سكانها ٢٤٠ ألف . وادي مدين ١٣٠ ألف . الأبيض : عاصمة كردفان ١٠٠ الف نسمة ، جوبا : وتقع في جنوب البلاد ١٦٦ ألف ومن مدنها القديمة ميناء سواكن ، ووادي مدني (١٣٠ألف نسمة) والدخل الفردي السنوي ٣٢٠ دولار (١٩٧٨) .

التضاريس والأحوال الطبيعية والبشرية:

مجموعات من الهضاب ترتفع من ٣٠٠م حتى ١٢٠٠م تسقيها في الجنوب أعالي النيل وروافده بحر الغزال ، وبحر العرب وسوباط وعطبره . وهي محاطة بعدة كتل جبلية مرتفعة ففي الغرب توجد جبال دارفور (٣٠٨٨م) في جبل بني مره وفي الشمال الشرقي على شواطئ البحر الأحمر جبل أوضا (٢٢٥٩م) وجبل أربا (٢٢١٧) جبل اسطوريبا (٢٢١٦م) وكذلك في الجنوب بالقرب من اوغندا (٣١٨٧م جبل كينيتي) الاقليم مداري يتبعه اقليم صحراوي في الشمال ثم سهول (الستيب) نموذج بلاد الساحل في الوسط والسافانا في الجنوب ، ويتمركز السكان بكثافة في المناطق القريبة من التقاء الفعيلين .

الاقتصاد : يعتمد الاقتصاد السوداني بكليته على الزراعة والتي تشغل ٧٥٪ من السكان وعلى كل حال فهناك فقط ٥٪ من الأرض هي التي تزرع حتى الآن . لذلك هي معرضة للزراعة الكثيفة أو المكثفة التي تهلك الأرض وتساعد على التصحر فيها ، ولكن السقاية تعوض ذلك ، وتزرع في السودان الزراعات التقليدية (الذرة - البطاطا الحلوة - المانيوك ومختلف الدرنيات ثم زراعة القطن الواسعة في منطقة الجزيرة وكذلك قصب السكر في مزرعة كنانة ويعتبر القطن المصدر الرئيسي للدخل من العملات الصعبة .

أما الثروة الحيوانية فهي نامية جداً ويقال أن الماشية ستأكل الإنسان في السودان يوماً ما لكثرتها (الجمال والماعز والخراف في الشمال) وفي الجنوب ينتشر البقروبمجموع رؤوس الماشية حوالي ٥٠ مليون رأس . ولكن هذه الثروة غير مستغلة بشكل جيد ، وهناك الموارد المعدنية (النحاس ، الحديد ، المنغنيز) وهي قليلة وغير مستغلة ، وفي الجنوب توجد احتياطات ضخمة للبترول ولكنها لم تستغل حتى الآن بسبب الحرب الأهلية ومع ذلك فالسودان يكتفي ذاتيا من البترول حالياً .

أما الصناعة القليلة فهي متمركزة في الخرطوم وبورت سودان وهما أكبر المراكز السكنية في البلاد ، وتئن البلاد من قلة وسوء المواصلات بالإضافة إلى الثورات التي تحدث عادة في الجنوب بسبب الحركات الانفصالية مما يجعل المجاعة في بعض الأحيان تظهر في كثير من المناطق وهناك كثير من اللاجئين في أثيوبيا وبالمقابل هناك عدد من المهاجرين من الدول الأخرى في السودان وذلك بسبب الخلافات السياسية . والديون الخارجة في السودان هي ضعف الدخل القومي .

– **التاريخ** : احتل المصريون القدماء في الشمال (نوبيا القديمة) وذلك في القرن العشرين ق.م وكانوا يطلقون عليها بلاد الكوش والتي أصبحت في الألف الأول ق.م دولة مستقلة (العاصمة الأولى نباتا وميروه) وقد حكمت هي بدورها مصر في فترة ما خلال حكم الأسرة الخامسة والعشرين والتي يطلق عليها الأثيوبية ٧٥٠ – ٦٦٣ ق.م ثم دخلت المسيحية في القرن السادس م وعند وصول العرب لمصر تم احتلال نوبيا ببطء وبشكل جزئي من قبلهم وانتشر الإسلام في السودان في القرن السادس عشر حيث أنقسمت البلاد إلى عدة

ممالك . مملكة دارفور ، كردفان ، الفونج أو السلطنة الزرقاء وقد احتل المصريون السودان عام ١٨٢٠ - ١٨٢١ ، ثم تدخل البريطانيون في الثورة التي نشبت عام ١٨٨١ - ١٨٩٨م والتي أشعلها محمد أحمد بن عبد الله المدعو بالمهدي والذي استطاع إقامة دولة ضمت كل السودان تقريباً وحاول التقدم نحو مصر ، وبعد موته خلفه الخليفة عبد الله التعايشي الذي هيمن على البلاد بقوة قبيلة البقارة . وأخيراً استغلت بريطانيا الفرصة للقضاء على الدولة المهدية حيث استطاع جيش مصري - بريطاني بقيادة كيتشنر البريطاني القضاء على المملكة المهدية (١٨٩٨م) بعد انتصاره على قوات التعايشي قرب الخرطوم ، وفي الوقت ذاته حاولت فرنسا احتلال جنوب السودان ووصلت القوات الفرنسية بقيادة المقدم مارشان إلى مدينة فاشوده عاصمة بلاد الدنكا ولكن الفرنسيين اضطروا لترك المنطقة تحت تهديد الأنكليز وتمت السيطرة المصرية - البريطانية (١٨٩٩م) على السودان - وفي عام ١٩٥١ ألغيت الاتفاقية المصرية البريطانية والحكم الثنائي بين الطرفين في الوقت الذي أعلن الملك فاروق ملكاً على السودان ، وهنا أبعدت بريطانيا كل القوات المصرية عن السودان . وفي ٢٣ تموز ١٩٥٢ زال النظام الملكي في مصر ، وقامت الثورة المصرية التي اعترفت بحق السودان بحق تقرير مصيره ، حيث ظهر اتجاهان رئيسيان في البلاد الأول هو الاتحاد مع مصر ويؤيده الحزب الوطني الاتحادي (الختمية) بزعامة الميرغني ، أما الاتجاه الثاني فهو الاستقلال بزعامة حزب الأمة الذي يرأسه المهدي مع جماعة من الأنصار ، وقد ترك للسودان حق تقرير ذلك وفي آب ١٩٥٥ أجمعت الأحزاب السودانية على المطالبة بالاستقلال الفوري . وفي تشرين ثاني

١٩٥٥ جلت القوات البريطانية مع الكتيبتين المصريتين عن السودان، وفي كانون أول ١٩٥٥ أعلن البرلمان السوداني استقلال السودان وفي أول كانون ثاني ١٩٥٦ أصبح السودان جمهورية مستقلة ذات سيادة وفي ٨ تموز ١٩٥٦ تشكلت أول حكومة ائتلافية برئاسة عبد الله خليل . وفي ١٧ تشرين ثاني ١٩٥٨ وقع انقلاب في السودان برئاسة الفريق ابراهيم عيود قائد الجيش ودام حكمه حتى ١٥ تشرين ثاني ١٩٦٤ وتبع سقوطه قيام عدة حكومات مدنية (حكومة سر الختم خليفة الأولى والثانية وحكومة عبد الخالق محجوب ، الصادق المهدي ... الخ مما جعل الأوضاع تتفاعل وتتفاقم في الجنوب .

وفي ليلة الخامس والعشرين من أيار ١٩٦٩ قام انقلاب عسكري بزعامة العقيد جعفر محمد نميري رئيس الضباط الأحرار الذي أعلن قيام جمهورية السودان الديمقراطية ، وفي عام ١٩٧٣ أعلن النميري عن دستور جديد جعل السلطة بيد حزب واحد . ووافق على اعطاء المقاطعات الجنوبيه الاستقلال الذاتي على أساس العاصمة جوبا وفي الوقت ذاته تقرر تقسيم جنوب السودان إلى ثلاثة مقاطعات وتطبيق الشريعة الإسلامية .

سببت هذه القرارات عدة ثورات في الوقت الذي انهار فيه الاقتصاد السوداني بسبب حركات التأميم التي طالت عدداً من القطاعات والمؤسسات الاقتصادية وأخيراً في عام ١٩٨٥م انتهى حكم النميري بعد قضائه على عدة محاولات انقلاب ضده وقد تألفت حكومة انتقالية برئاسة الفريق سوار الذهب أو بالاحرى مجلس عسكري حضر للانتخابات وإعادة السلطة المدنية للحكم وتولى رئاسة الحكومة الصادق المهدي في حزيران ١٩٨٩ وبعد

فشل الحكومة في سياساتها الداخلية والخارجية حدث انقلاب عسكري بزعامة الفريق عمر حسن البشير في ٢٠ حزيران ١٩٨٩ وتكون في البلاد مجلس قيادة لثورة الأنقاذ الوطني .

واعتباراً من عام ١٩٩٢ حقق العسكريون نجاحات كبيرة في الجنوب .

١٠ – بنين Benin

جمهورية بنين الشعبية :

كان اسم بنين سابقاً داهومي من عام ١٩٦٠ – ١٩٧٥م وقد اعطي لها اسم بنين تيمنا بدولة بنين الكبيرة في جنوب نيجيريا وكانت تضم داهومي من جملة بلادها وتقع الجمهورية في غرب افريقيا تطل على خليج بنين الواقع ضمن خليج غينيه الواسع . تبلغ مساحتها ١١٢,٦٢٢ كم٢ وعدد سكانها ٤,٤٠٠ مليون نسمة وكان عدد سكانها عام ١٩٥٧م (١,٧١٣,٠٠٠ نسمة) وهي جمهورية شعبية ذات حزب حاكم واحد وتعتبر اللغة الرسمية اللغة الفرنسية بالإضافة إلى عدد من اللهجات واللغات المحكية ، العملة الفرنك (غرب افريقيا) وتنتشر في بنين الأعراق التالية : الفون ، الآجا ، البازيا ، اليوروبا ، أما الديانات : فهي الكاثوليك ٦٥٪ ، وبروتستانت ١٠٪ ، مسلمون ١٥٪ . وديانات محلية ١٠٪ والنمو السكاني السنوي ٣٪ .

– التضاريس والأحوال الطبيعة والبشرية :

تمتد البلاد بين حوضي النيجر ونهر الفولتا ، وتعتبر بلاد بنين ذات طبيعة موحدة لا تتغير بشكل حساس بين منطقة وأخرى ، ففي الجنوب تمتد السهول الخصبة والمملوءة بالغابات مع كثافة سكانية لابأس بها ويمتلئ ساحلها بالأغوار والخلجان الصغيرة ، وفي الوسط والشمال تظهر بعض الهضاب ذات ارتفاعات عالية (كتلة جبال آكاتور على ارتفاع ٦٧٥م) . طقسها استوائي جاف وأرضها عبارة عن سافانا صالحة للزراعة ٦٠٪ من السكان يعيشون في الأرياف .

- **المدن الرئيسية :**

- **بورتو نوفو** : وهي ميناء على حوض في خليج غينيه وعدد سكانها (٢٠٠ ألف نسمة) وفيها بعض الصناعات الغذائية وهي عاصمة البلاد وأكبر المدن فيها هي :

- **كوتونو** وهي العاصمة السابقة عدد سكانها (٥٠٠ ألف نسمة) وهي ميناء نشيط وتتصل بالشمال بخط حديدي يصل إلى باراكو في الشمال وإلى لوميه في الغرب وبورتونوفو في الشرق وفي الداخل توجد مدن أبومي ، كاندي .

- **الاقتصاد** : يعتمد الاقتصاد على الزراعة وإنتاج المواد الغذائية «أغنام ، مانيوك **Maniace** ذرة ، وكذلك على الزراعات التجارية (القطن – القهوة – الكاكاو – شجر البالم الزيتي ، كما تصدر البلاد كميات قليلة من البترول ، وقد سجل عام ١٩٩٠ نهاية للعصر الماركسي اللينيني الذي ترك اقتصاد البلاد مهدوماً ولم يعد لحالته الطبيعية إلا بمساعدة فرنسا وتعتبر بنين من البلدان المتخلفة .

التاريخ : أصبح ساحل مملكة داهومي في القرن السادس عشر المكان المفضل لتجار العبيد لذلك اطلق عليها اسم ساحل العبيد حتى الاستقلال . وقد أقامت فرنسا كثيراً من الوكالات التجارية إلا أنها اضطرت لتركها في القرن الثامن عشر . ولكنها استعادتها بعد حربها ضد بيمانزين ملك داهومي (آبومي) المشهور بجيوشه النسوية المعروفة باسم الأمازونات ، وفي عام ١٨٩٩م أصبحت قسماً من أفريقيا الغربية الفرنسية استقلت الداهومي (١ آب ١٩٦٠ تحت اسم داهومي حتى عام ١٩٧٥) وأصبحت عضواً في

مجلس الاتفاق الذي يضم عدداً من دول غرب أفريقيا تحت السيطرة الفرنسية ثم تتابعت الحكومات من عام ١٩٦٠ - ١٩٧٢ والسلطة بيد المدنيين ومع ذلك دون تغيير في الوجوه من سياسيين أو عسكريين ، وقد وضع الأنقلاب العسكري الذي حدث في ٢٦ تشرين أول ١٩٧٢ نهاية للتفرقة وللأقليمية وكان بزعامة المقدم ماثيو كيريكو ولما كانت السلطة التشريعية بيد الجمعية الوطنية الثورية والتي انتخبت عام ١٩٧٩ فقد انتخبت هذه بدورها في ٦ شباط (١٩٨٠م) كيريكو كرئيس للجمهورية لفترة ثلاث سنوات، وكان رئيس الدولة يرأس أيضاً الحزب الوحيد وهو الحزب الثوري لشعب بنين وقد تأسس عام ١٩٧٥ وقد أعلن الرئيس الجديد سياسة الدولة التي تستند على الماركسية ولكن سرعان ما انتشر الفساد ، وأخذ اتجاه العودة للحكم المدني يقوى حيث أعيد تنظيم دستور جديد ١٩٧٧ م وجرت انتخابات للجمعية الوطنية في تشرين ثاني ١٩٧٩ وهنا حدثت محاولة فاشلة للإطاحة بالحكم بالتعاون مع مرتزقة أجانب (كانون ثاني ١٩٧٧) ، وفي عام ١٩٧٩ اضطر رئيس الجمهورية كيريكو الذي كان يحكم منذ عام ١٩٨٠ تحت ضغط الرأي العام على تعيين رئيس للوزراء هو جون سوغلو Soglo الذي اختار وزراءه من المدنيين عام ١٩٩٠ ، وقد أصبح جون سوغلو رئيساً للجمهورية في آذار ١٩٩١ بعد حصوله في الانتخابات على ٦٥٪ من الأصوات ضد كيريكو وحزبه الذي سقط .

■■

١١ - بتسوانا Botswana

جمهورية بوتسوانا

تقع بوتسوانا في أفريقيا الجنوبية كجيب داخل القارة دون ساحل وهي تقع بين جنوب افريقيا وناميبيا وزيمباوي مساحتها ٦٠,٣٧٥كم٢ وعدد سكانها حوالي ١,٣٠٠,٠٠٠ وهي ذات نظام جمهوري وعضو في الكمونولوث البريطاني واللغة الرسمية هي الانكليزية ، وعملتها تسمى البولا ، سبعة قبائل من الثمانية التي تشكل شعب بوتسوانا وكذلك لأوروبيين والآسيويين يعيشون في المنطقة الخصبة في حين يعيش البوشمان وعددهم حوالي ١٥٠ ألف نسمة في صحراء كالاهاري وتعتمد حياتهم على التقاط غذائهم من الأرض ، وحسب أحصاء ١٩٨١ تعيش قبائل بامانغواتو في وسط البلاد وعددهم حوالي ٤٠٠ ألف وفي الجنوب يعيش البانغواليتس ١٢٥ ألف ثم الكويننغ باكوينغ ١٢٥ ألف في المناطق الشمالية الشرقية أما الكاتلنغ (٧٠) ألف فيعيشون في مناطق متفرقة ويدين السكان بالديانات المحلية وواحد من سبعة هو مسيحي بروتستانت والكثافة بالكيلو متر المربع ١,٥٦ .

- المدن الرئيسية :

- **غابرون** : عاصمة الدولة وعدد سكانها ٩٤,٧١٠نسمة وتقع على حدود الترتسفال وأهم المدن سيروه ١٥٠ ألف ثم سيلبي بيكويه ١٤٠ ألف فراتسيستاون ١٤٥ ألف .

- التضاريس الحياة الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تحتل صحراء كالاهاري القسم الأكبر من البلاد وما تبقى فهو هضبة دون تضاريس هامة بارتفاع متوسطي ١,٠٠٠م

بالإضافة إلى منخفض رعوي في داخله في الشمال الغربي مستنقعات أوكافانكو وفي الشمال الشرقي السبخات الملحية المسماة ماكاربكاري وتنفصل بوتسوانا عن جيرانها بأنهار حدودية هي نهر ليمبو في الجنوب الشرقي ونهر شويه في الشمال . طقس البلاد صحرواي حيث يزداد التصحر فيها ويصلها من الأمطار ٢٠٠مم سنوياً ، أما الحرارة فمرتفعة اقصاها ٣٥ في كانون أول وقبل التطور السريع للقطاع المنجمي في بداية السبعينات كانت الزراعة هي النشاط الرئيسي للسكان فعند إعلان الاستقلال عام ١٩٦٦ كانت بوتسوانا تعتبر أفقر دول العالم وكان مصدر رزقها الوحيد هو ثروتها الحيوانية . ولكن فيما بعد تم اكتشاف (وضعت تحت الاستثمار اعتباراً من عام ١٩٧١م) مناجم غنية للماس أدى إلى تطور سريع للانتاج الوطني الصافي بزيادة ٢٨٪ سنوياً ، ويوجد في أرض بوتسوانا (لم تستغل مناجم للنحاس والنيكل والفحم ويعتبر منجم اورابا ثاني منجم عالمي في انتاجه ،) تنتشر في الشمال تربية الحيوانات على نطاق واسع ولكن توجد الزراعات الغذائية في الغرب حيث تنتج البلاد (الذرة والسرغوم) . وتعتمد البلاد كلياً على جنوب أفريقيا التي تشكل المنفذ الوحيد للوصول إلى البحر عن طريق السكك الحديدية ، كانت محمية بريطانية منذ عام ١٨٩٥ حتى عام ١٩٦٦ وكان يطلق عليها بتشوانا لاند وفي ٣٠ ايلول ١٩٦٩ حصلت على استقلالها بزعامة سيريتس ضاما الذي ينحدر مباشرة من سلالة أكثر الزعامات القبلية أهمية في البلاد وهم البامانغواتو وهو الذي أسس في ١٤ تموز ١٩٨٠ الحزب الديمقراطي وكان معاديا بصراحة كاملة للتفرقة العنصرية بعكس سوازيلاند وليسوتو وتعتبر بوتسوانا أحدى الدول الإفريقية القليلة التي كانت

تعتمد على التعددية الحزبيـة في البـلاد ، وقـد انتخـب عـدة مـرات وكان محبوباً من قبل الفلاحين ، وقد توفي الرئيس غاما بعـد مـرض طويل في ١٤ تموز ١٩٨٠ وخلفه في رئاسة الحكومة كيت ماسيري وهو مثقف وكان صحفيـاً وقريبـاً مـن الرئيـس السـابق وسـاعد في تأسيس الحزب الديمقراطي الحاكم .

١٢ – بوركينافاسو Burkina Faso

جمهورية بوركينافسو الديمقراطية الشعبية :

كانت تسمى سابقاً جمهورية فولتا العليا وهي دولة داخلية من أفريقيا الغربية مساحتها ٢٧٤,٠٠٠كم٢ وتحيط بها مالي من الشمال والغرب ، وساحل العاج وغانا وتوجو وبنين من الجنوب والنيجر من الشرق .

وتبعد (٥٠٠كم) عن البحر بشكل مباشر وعدد سكانها ٧,٩٠٠ مليون . اللغة الرسمية هي الفرنسية ولكن توجد مجموعتان من اللغات يتحدث بهما وهي لغة الغولتيك ، والماندية ، ويعيش فيها الأعراق التالية الموسي ٤٨٪ وهم يعيشون في شرق الوسط ، ١٠٪ بيول ، ٧٪ لوبي دوغاري ، ٧٪ بوبوس ، ٧٪ ماندية ، ٧٪ سينوفو ، ٦٪ غورينسي ، ٥٪ بيساس ، ٥٪ غورمانتشيه ، ٥٪ أور . تستخدم اللغة الفولتية أوغور augaour (غورمانتور) من قبل الفرمانتسية والموسي والدوغن ... الخ أما لغة الماندية فيستخدمها الديولا للتجارة ، وفي الجنوب توجد (البيسا) الفولتية فيتكلم بها البول التاما سينغ (الطوارق) . إن ٥٣٪ من السكان يعتنقون الديانات المحلية فيما ٣٦٪ من السكان مسلمون و١١٪ من الكاثوليك ، العملة : هي فرنك أفريقيا الغربية ، الدخل الفردي السنوي ١٦٠ دولاراً .

– المدن الرئيسية :

– أواغادوغو Ouagadougou وهي العاصمة وتتصل بأبيدجان بخط حديدي عدد سكانها ٤٤٢,٠٠٠ نسمة وكان عدد السكان فيها ٧٢٫٩٦٥ ألف وهي مركز تجاري وصناعي

للصناعات الغذائية وقد جرى في هذه المدينة عام ١٩٧٧ أهم مظاهره ثقافية افريقية هي المهرجان الأول للسينما الأفريقية . وأهم المدن : هي بوبو - ديولاسو عدد سكانها ٢٣١,١٦٠ وهي مركز زراعي وتقع على خط سكة الحديد الذي يصل الأوغادوغو وابيدجان . كودوغو (٣٧ ألف نسمة و اهي غويا : ٢٦ ألف . بانغورا ١٢ ألف .

- التضاريس والحياة الاقتصادية :

طقس مداري مع فوراق بسيطة ففي الشمال (الأواغودوغو) أقل من ٩٠٠ مم الأمطار السنوية ، ثم منطقة سودانية ساحلية تتميز بأمطار غير كافية وغير نظامية . ثم تأتي المنطقة السودانية الغينية مع فصل طويل للمطر . أما أرضها فتتشكل من سهوب كريستالية متشابهة ذات تربة ضعيفة الأنتاج ويشكل السكان خارج المدن ٩١٪ ومع ازدياد عدد السكان تنتشر البطالة ويزداد عدد الذين يضطرون لترك البلاد والعمل في الدول المجاورة أما مواردها الاقتصادية فهي ضعيفة جداً وفيها بعض الزراعات للمواد الغذائية للاستهلاك المحلي ثم القطن والفول السوداني وفيها أيضاً ثروة حيوانية كثيفة بخاصة (البقر) وتعود البلاد إلى أسرة البلدان المتخلفة وتعتمد على الدعم الخارجي والمساعدة الدولية ، وتشكل الأموال التي يرسلها العمال في الخارج أحدى المصادر للقطع الخارجي .

- **التاريخ :** احتلها الفرنسيون عام ١٨٩٥ - ١٨٩٨ وتم فصلها عن بلاد السنغال العليا - النيجر عام ١٩١٩ ثم قسمت بين المستعمرات المجاورة عام ١٩٣٢ ثم أعيد جمعها عام ١٩٤٧ وقد حصلت على الاستقلال في ٥ آب ١٩٦٠ ولكن الجيش قام

بانقلاب عام ١٩٦٦ وأبعد رئيس البلادياميغو Yamego وحل محله الجنرال الحاج أبو بكر سانتثوليه لاميزانا حيث وضع كل السلطات بيده عام ١٩٧٤ ولكنه أبعد عن السلطة عام ١٩٨٠ وبعد حركتي انقلاب استطاع النقيب توماس سنكارا أن يصل إلى رئاسة البلاد في آب ١٩٨٣ تدعمه اللجنة العليا للدفاع عن الثورة وكان ذا اتجاهات ماركسية . وقد ظل في الحكم حتى أبعد من قبل معاونه الشخصي الثاني في البلاد النقيب بليز كومباوريه في ٧ تشرين أول ١٩٨٧ م . وقد قتل سنكارا من قبل حراسه نافيا معاونه بليز أي اشتراك في قتل الرئيس المذكور وفي أيلول ١٩٨٩ أعدم النقيب بليز كل رؤساء انقلاب عام ١٩٨٣ وأخيراً وفي عام ١٩٩١ الغى الرؤساء العسكريون في السلطة كل اتصالهم بالمبادئ الماركسية – اللينينية وعادوا إلى نظام السوق . وقد أعيد تنظيم الدستور الذي وافقت عليه البلاد اثر إجراء استفتاء سمح بموجبه بتعدد الأحزاب وفي انتخابات كانون أول نفس العام انتخب كومبارويه رئيساً للجمهورية بأغلبية ٧٥٪ من الأصوات .

ملاحظة :

يتمتع الفن في بوركينا بأهمية كبيرة واشتهرت البلاد بإنتاج الأقنعة المشهورة ، البوبوس ، وكورومباس ولوبي وموسي . وأشهر هذه الأقنعة البوبوس التي يصنعها مجموعة شعب البوبوس وهم مزراعون ويعملون في الصيد النهري وصيد الغابة وأجمل الأقنعة وهي المتعددة الألوان مركبة على لوحة خشبية بارتفاع متر إلى خمسة أمتار .

١٣ - بوروندي Burundi

جمهورية بوروندي واسمها القديم اوروندي :

تقع جمهورية بوروندي في افريقيا الوسطى وتشرف على بحيرة تنغانيكا ويحدها من الشمال رواندا ومن الغرب زائير وبحيرة تنغانيكا وتنزانيا من الشرق والجنوب . مساحتها ٢٧,٨٣٤كم٢ وعدد سكانها ٥,٥ مليون نسمة مع كثافة سكانية هي الأعلى في افريقية ٢٠٠ شخص بالكيلو متر . واللغة الفرنسية ، ولغة كوروندي وهما لغتان رسميتان وسكانها يعودون بأصولهم إلى : ٨٥٪ من الهوتو ، ١٣٪ التوتسي ، توا ١٪ ، أما الأديان ٥٥٪ مسيحيون ، ١٥ مسلمون ، ٣٠ ٪ ديانات محلية ، أما العملة فهي الفرنك البوروندي ويسمى باربتيه ويعادل دولاراً تقريباً .

- **التضاريس والحياة الاقتصادية :**

تتشكل بوروندي من كتلة من الجبال وأعلى نقطة فيها ٢٦٢٠م وكذلك من هضاب ، والبلاد ذات مناخ استوائي وما يساعدها على البرودة هو الارتفاع . أما الزراعة فهي رئيسية وتزرع الذرة والفاصولياء والذرة البيضاء - القهوة - الشاي - القطن - الموز - البالم الزيتي وهناك الثروة الحيوانية (الماعز ، الغنم، البقر ، الثيران) أما مواد التصدير فتتألف من الشاي والقهوة والموز وبوروندي هي إحدى البلدان المتخلفة .

- **التاريخ** : مملكة البوروندي مملكة افريقية تقليدية تقع في شرق افريقيا وهي حالياً جمهورية بوروندي ، وقبل قليل من القرن السابع عشر هبطت قبائل التوتسي (الهيما) وهم شعب من الرعاة من المحتمل أن لهم علاقة مع الغاللا في جنوب الحبشة واتجهوا نحو

الجنوب واستطاع هؤلاء السيطرة على الهوتو الفلاحين الذين يعيشون في المنطقة وفي الفترة بين ١٦٧٥م و١٧٠٥م ، مد ملك الهيما (موامي Mawami) يعني (ملك) ناتار – روشاتسي ، سلطته إلى وسط فكوما وعلى جيرانه اليوتوتسي والكيلبجيرو وضم منطقة بويانزي ، وقد استطاع آخر ملك ، ناتار الثاني روغامبا (١٧٩٥ – ١٨٥٢) أن يسيطر على جنوب رواندا وغرب تنزانيا وكان تنظيم المملكة غير مركزي ، فالأمراء المحليون يتوارثون الحكم في مقاطعاتهم وكانوا في حروب دائمة مع بعضهم بخاصة عند موت أحد الزعماء وما يحدث من صراع على السلطة . وفي نهاية القرن التاسع عشر ١٩٠٠ استطاع خليفة الملك روغامبا واسمه مويزي كيسبو السيطرة فقط على نصف البلاد واعتباراً من عام ١٨٩٠ سيطر عليها الألمان وأصبحت جزءاً من افريقيا الشرقية الألمانية ولكنها لم تحتلها مطلقاً وقد احتلها البلجيكيون خلال الحرب العالمية الأولى منطلقين من الكونغو ، ثم وضعتها عصبة الأمم هي ورواندا تحت وصاية البلجيك وقد استطاع هؤلاء بالرغم من وجود الملوك التقليديين أن يقوموا ببعض التغيرات المفيدة ولكن عندما استقلت البلاد عام ١٩٦٢م بدأت المشاكل بين التوتسي الأرستقراطيون والهوتو ، بخاصة المذابح التي انتقلت إلى حروب أهلية مدمرة دامت خلال أعوام ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٨٨ ، وفي عام ١٩٦٦ قام النقيب ميشانبورا وهو من التوتسي بانقلاب على مليكه (من التوتسي) والغى الملكية وأعلن الجمهورية ، وقد اضعفت هذه الحادثة سلطة التوتسي لذلك لم يلبث ميشانبورا نفسه أن أبعد عن السلطة وتولى مكانه المقدم باغازا وهو من الهوتو . الذي لم يستقر هو الآخر في الحكم فقد أطاح به انقلاب في أيلول ١٩٨٧ بزعامة

بييربويويا وهو من الهوتو وكان يتزعم أيضاً حزب الاتحاد من أجل التقدم الوطني الذي أصبح الحزب الوحيد في البلاد ومنذ عام ١٩٨٨ اشترك في الحكم كل من الهوتو والتوتسي وشكل الوزارة الأولى أسيبوناما وهو من الهوتو وبعد استفتاء عام تم تغيير الدستور وسمح للأحزاب السياسية بالظهور اعتباراً من عام ١٩٩١ . ولكن الجيش بأغلبيته من التوتسي أطاح برئيس الجمهورية (ميشور نواداي) والتجأت رئيسة الوزراء سيلفي كينجي إلى السفارة الفرنسية وقد رافقت هذه الأحداث مجازر رهيبة متبادلة بين الطرفين واضطر أكثر من نصف مليون شخص لترك البلاد اعتباراً من ٢١ تشرين أول ١٩٩٣ . وبعد حرب منهكة تسلم الرئاسة (سفريان تمياميرا) وهو من الهوتو وذلك في منتصف كانون ثاني ١٩٩٤ وكادت الأمور أن تستقر ولكن لسوء الحظ لقي المذكور مصرعه بعد أربعة أشهر من تسلمه السلطة وذلك أثر سقوط طائرته التي كانت تقله برفقة الرئيس الرواندي جوفينال بياريمانا (٦ نيسان ١٩٩٤) بالقرب من مدرجات مطار كيفالي عاصمة رواندا وتم تعيين الرئيس سيلفستر تيبينغانيا الذي أسند رئاسة الحكومة إلى آناتول كانينكيلو وهو من التوتسي . ولا تزال الأوضاع غير مستقرة .

١٤ – تونس Tunisie

الجمهورية التونسية :

تقع جمهورية تونس في أفريقيا الشمالية وهي جزء من الوطن العربي الكبير ، وهي قلب المغرب الكبير وتقع بين ليبيا والجزائر ، ولها واجهة كبيرة على البحر الأبيض المتوسط ١٩٠٠ كم من السواحل في الشمال والشرق وتتبعها عدة جزر أهمها جزيرة جربة الواقعة في خليج قابس وتبلغ مساحتها ١٥٤,٥٣٠كم٢ وعدد السكان ٧,٥ مليون نسمة . الزيادة السكانية السنوية ٢,١٪ ، والكثافة ٨,٦بالكم٢ وهي جمهورية رئاسية واللغة الرسمية هي العربية ، والعملة الدينار ، ويدين جميع سكان تونس بالديانة الإسلامية .

– المدن الرئيسية :

تونس : عاصمة الجمهورية وتقع في وسط خليج تونس عدد السكان ٥٩٦,٦٥٠ ومع الضواحي ١,٥٠٠مليون وهي مركز تجاري وصناعي (الحديد ، الفوسفات) ، وتتصل بالبحر بواسطة قناة تصلها بميناء الغوليت .

وفيها مطار دولي وأهم معالمها جامع الزيتونة المشهور بجامعته التي تأسست عام ٧٣٢ هـ وقد تهدم وأعيد بناؤه في القرن التاسع والمدينة من أصل بوني وهم قريبون من القرطاجيين ووصلت قمة مجدها منذ وصول العرب المسلمين إليها في نهاية القرن السابع .

بيزرت : ميناء تونس ومفتوحة على بحيرة بيزرت وتتصل بالبحر الأبيض المتوسط بقناة ، عدد سكانها ٩٤,٥١٠ نسمة وهي عاصمة مقاطعة بيزرت وفيها مصفاة للبترول وكانت ميناء بحريا

للأسطول الفرنسي منذ عام ١٨٨٢ وقد بنيت في نفس العام وظلت حتى خروج الفرنسيين عام ١٩٦٣ .

- **القيروان** : عدد سكانها ٧٢,٢٠٠ مركز ديني يحج إليه المسلمون من بلاد المغرب . وفيها فن الأرتيزانا وعمل الجلود والسجاد . كما يوجد فيها الجامع الكبير الذي بني في القرن التاسع وكذلك جامع الأبواب الثلاثة بني عام ٨٦٦م ويعتبر جامع القيروان الكبير أول جامع في شمال أفريقية بعد وصول الإسلام إليها .

- **سوس** : تقع على خليج الحمامات سكانها ٨٣,٥١٠ مركز مقاطعة سوس ويصدر منها الفوسفات وفيها مصانع لتجميع السيارات وفيها جامع القصبة الكبير الذي بني في القرن التاسع وهي عبارة عن رباط (القلاع المدن الإسلامية التي بنيت للدفاع في القرن الثامن) . وقد أخليت ثم أعيدت في القرن العشرين . وفيها متحف لفنون الموزاييك .

- التضاريس - الأحوال الطبيعية - الاقتصادية :

هناك ثلاث مجموعات طبيعية تتقاسم البلاد ، الأولى هي تونس الساحلية من الشرق ، ومن بيزرت وحتى سهل صفاقس مناطق سهلية والتلال المعروفة في منطقة البحر المتوسط) رطبة وهي مأهولة بالسكان ١٥٠ شخص بالكم٢ و ٥٠ وسطياً بالنسبة لجميع البلاد وقد نشأت في هذه المنطقة معظم المدن التونسية . ويظهر في تونس الداخلية خط الجبال التونسية المتوسطية وهي رطبة ، وتنتشر فيها الغابات (كروميري ، موغود ، التل العالي) وهي مشبعة بالهواء من المناطق المنخفضة الخصبة وادي المجردة سهل سالينا وأما السهول والهضاب فهي أكثر جفافاً في جنوب القفار العالية (الستيب) وإلى

ما وراء المنخفضات شبه الصحراوية المشكلة من السبخات الملحية (شط الجريد) تبدأ تونس الصحراوية التي تشكل ٥٥٪ من البلاد حيث يتركز السكان الدائمون في بعض الواحات مثل غابس - الجريد - نغزاوا ويشكل سكان المدن ٦٠٪ ويظل التزايد السكاني قوياً رغم تناقصه النسبي بسبب سياسة تنظيم الأسرة والتخطيط العائلي التي اتبعتها الدولة منذ عام ١٩٦٤ . وهناك أكثر من ٢٣٠ ألف خارج تونس واغلبهم يذهبون إلى فرنسا والاقتصاد التونسي متنوع نوعاً ما وتستوعب الزراعة ٣٠٪ من اليد العاملة ويجري حالياً تطوير الزراعة المروية الكثيفة في الشمال ولكن تظل هذه نسبياً ضعيفة ، ولا تصدر تونس سوى الزيت (زيت الزيتون) والغاز والفوسفات وهي المواد الرئيسية للتصدير والتي مداخيلها تسمح بإقامة مجمع هام صناعي على الشواطئ بالإضافة إلى صناعة النسيج وتجميع الآليات وهذه الصناعات تنمو بتزايد في المدن وأخيراً السياحة والأموال التي يرسلها المغتربون التونسيون إلى ذويهم هي إحدى الموارد الرئيسية للدخل القومي ويظل الدخل الفردي ضعيفاً والمصاعب الأقتصادية حقيقة (الديون الخارجية البطالة) ومع ذلك فتعتبر تونس أكثر دول أفريقيا تطوراً .

- **التاريخ** : سكنها منذ القدم أقوام من أصول بربريه ولكنها احتلت من القرن التاسع ق.م حتى القرن الثاني ق.م من قبل الفينيقيين الذين أسسوا مدينة قرطاجة وبعد تغلب الرومان على القرطاجيين الحقوها بهم وأصبحت تسمى المقاطعة الأفريقية والتي كانت تصدر الخمر والحبوب والزيت للرومان ثم غزاها الفاندال ٤٢٩ - ٥٣٣ ق. م . وبدأت البلاد تتراجع تحت حكمهم حتى وصول العرب الذين نهضوا باقتصاد البلاد . وقد توالت عليها

خلال فترة طويلة من الزمن الممالك والامارات وتعرضت لعدة غزوات أسبانية ثم أصبحت تحت الحكم التركي بين أعوام ١٨٨١م – ١٨٨٣م (معاهدة باردو واتفاقية المرسى) وهي التي ربطتها بالحماية الفرنسية ولكن المقاومة الوطنية لم تلبث أن ظهرت بسرعة (اضطرابات ١٩١١) أدت إلى وضع دستور للبلاد ، في عام ١٩٢٠ ثم وضع دستور جديد عام ١٩٣٤ وقد أدى الاحتلال الايطالي ١٩٤٢ – ١٩٤٣ إلى ازدياد المقاومة الشعبية التي عبرت عن نفسها بالقيام بحرب العصابات التي تم الشروع بها عام ١٩٥٢ وجعلت مانديس فرانس رئيس الوزراء الفرنسي يقرر أعطاء البلاد استقلالها الذاتي ١٩٥٤ ثم الاستقلال التام ١٩٥٦ ومنذ عام ١٩٥٧ ألغت الجمعية التشريعية الملكية من تونس (حكم الباي) ووقعت مسؤولية البلاد على عاتق زعيم حزب الدستور الجديد الحبيب أبو رقيبه الذي ركز شيئاً فشيئاً كل السلطات بيده ثم أصبح رئيساً للجمهورية مدى الحياة ، ومع الزمن أبعد كل معارضيه حتى عام ١٩٦٣ جاعلاً من الحزب الاشتراكي الدستوري الحزب الوحيد عام ١٩٦٤ ، وبين أعوام ١٩٦٠ – ١٩٦٩ سيطرت الاتجاهات الأشتراكية على الاقتصاد التونسي (انشاء التعاونيات ، تأميم الأراضي) بخاصة ثم وجهت الدولة همها نحو التعليم ورفع مستواه (خصص له ربع الميزانية) مع تحرير المرأة . وأصبحت تونس عضواً في جامعة الدول العربية منذ عام ١٩٥٨ . وقد نهجت تونس دائماً سياسة متحررة بين الشرق والغرب وفي عام ١٩٦٩ حلت الاتجاهات الليبرالية محل الاتجاهات الاشتراكية الضيقة مما ساعد على نمو الاقتصاد بسرعة . فبعد فشل أحمد بن صلاح وزير الاقتصاد في سياسته الاشتراكية (هرب من السجن بعد ادانته بسوء التصرف عام

١٩٧٠ لمدة عشر سنوات مع الأشغال الشاقة) اتجهت البلاد اتجاهاً تحريرياً في الأقتصاد بزعامة رئيس الوزراء الهادي نويره وفي عام ١٩٨٠ ابعد نويره ليحل محله محمد المزالي ١٩٨٧ على رأس الحكومة بسبب حالته الصحية وكانت لديه كل المؤهلات التي تساعده على النجاح وابعاد البلاد عن التخبط السياسي بخاصة وقد استطاع أبعاد زعماء العمال (الاتحاد العام للشغيلة التونسيين UGTT) . خلال ذلك فشل مشروع الوحدة والأنصهار بين ليبيا وتونس ١٩٧٤ وأخذت تونس تقترب من فرنسا والولايات المتحدة. كما حدثت فتنة شباط ١٩٧٧ - ١٩٧٨ التي أخمدت بعنف وقوة وعلى أثرها أبعد كما ذكرنا زعماء العمال حيث أتهموا بتدبير الفتنة وقد أدين السكرتير العام حبيب عاشور في ١٠ تشرين أول ١٩٧٨ بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات ثم وضع قيد الاقامة الجبرية اعتباراً من ١٣ آب ١٩٧٩ - ومنذ الشهور الأولى دخل محمد المزالي في حوار مع الطلبة والعمال (الشغيلة) ثم حظيت الصحافة بحرية كبيرة كما تم أخراج كثير من المعتقلين وفي عام ١٩٨٤ أعيد العمل بنظام التعددية الحزبية ، وفي عام ١٩٨٤ ظهرت صعوبات اقتصادية ، أدت إلى مظاهرات وهيجانات قوية ، من قبل المعارضة ضد الديمقراطية المزيفة التي أنتهجتها الحكومة وقاطعت المعارضة الانتخابات التشريعية في تشرين ثاني ١٩٨٦ ، وفي عام ١٩٨٧ أصبح الجنرال زين العابدين بن علي وزيراً للداخلية ثم رئيساً للوزراء وبسبب الأضطرابات التي أثارها الأصوليون ، أبعد الحبيب بورقيبه من منصبه كرئيس للجمهورية بعد انهيار صحته ، وهنا بدأ زين العابدين بأزالة النظام العتيق الذي خلفه أبو رقيبه وقد رشح نفسه لرئاسة الجمهورية

وكان المرشح الوحيد حيث انتخب في ٢ نيسان ١٩٨٩ رئيساً للجمهورية وأصبح الاسم الجديد للحزب الاشتراكي الدستوري هو التجمع الدستوري الديمقراطي . وقد تم تجديد رئاسة زين العابدين بن علي في آذار ١٩٩٣ للمرة الثانية .

١٥ – تشاد Tchad

جمهورية تشاد :

تقع جمهورية تشاد في افريقيا الوسطى كجيب داخلي دون سواحل بحرية ، وتقع العاصمة نجامينا على بعد ١٧٦٥كم من أقرب منفذ بحري ، وهو بورت هاركوت في نيجيريا تحدها من الشمال ليبيا ومن الشرق السودان ومن الجنوب جمهورية أفريقيا الوسطى ، ومن الغرب النيجر ونيجيريا والكمرون ، تبلغ مساحتها ١,٢٨٤,٠٠٠ وعدد سكانها ٥,٤٠٠,٠٠٠ نسمة مع زيادة سكانية سنوية ٢٪ الكثافة ٣,٤ في الكم٢ . اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية ، وفي الجنوب يتحدثون مختلف اللغات الأفريقية أما في الشمال فيتحدثون باللغة العربية وتعتبر اللغة الرسمية الثانية ويعيش في تشاد أعراق مختلفة أهمها التيبو ويعيشون في الشمال في منطقة التيبستي وهم من الأجناس البربرية التي اختلطت مع القبائل العربية ثم السارابي الذين لا يزالون على دياناتهم المحلية ويعيشون في جنوب البلاد (مزراعون وموظفون) أكثر من ٥٥٪ من المسلمين ثم ٥٪ مسيحيون و ٤٠٪ لا يزالون على الديانات المحلية ، والدخل الفردي ١٤٠ دولار (١٩٧٩) والعملة (الفرنك C.F,A) .

– التضاريس – الحياة الطبيعية والبشرية :

هي بشكل عام منخفض واسع وأكثرها انخفاضاً المنطقة الواقعة فيها بحيرة تشاد ذات المياه العذبة (١٠ آلاف كم٢ صيفاً و٢٥٠٠٠كم٢ شتاء ، كثيرة الأسماك) والتي يغذيها نهر شاري وتزرع حولها الحنطة والذرة الصفراء ، تحيط بالبلاد المرتفعات من جهات ثلاثة ، وفي المناطق الشمالية كتلة مرتفعات التيبستي

Tebesti وفي الشرق توجد مرتفعات الأنيدي وودآي ، ويعود الشمال في الواقع إلى الصحراء الكبرى ويسيطر المناخ المعروف بالساحلي الجاف (ستيب) في الوسط أما في الجنوب فهو المناخ السوداني الرطب بمناطق السافانا المنتشرة فيه ، وأغلب السكان من الرحل الصحراويين ورعاة الغنم الساحليين ، وكلهم مسلمون ويعودون إلى التيبو – دازا – كوكوكوس – أما السود المستقرون فيعتنقون الديانات المحلية مع أقلية مسيحية ، ويستقر هؤلاء في حوض نهر شاري ولوغون و٧٥٪ من هؤلاء من المزارعين .

– **الاقتصاد** : تعتبر تشاد من الدول المتخلفة والدخل الفردي فيها هو الأقل في أفريقيا وفيها زراعات غذائية مثل المانيوك . الدخن – الذرة البيضاء – الأغنام – الفول السوداني – وهي مع الثروة الحيوانية لا تفي بحاجات السكان أما الزراعة التجارية فهي القطن ويشكل ٩٠٪ من الصادرات . وانغلاق البلاد على البحر والنقص في التقنية لا يسمح باستثمار الموارد الموجودة تحت الأرض ، والصناعة لا تزال جنينية (بدايتها) كالصناعة الغذائية وقد انهار الاقتصاد تماماً بعد ٢٥ عاماً من الحرب الأهلية ، وحالياً تجري المحاولات الجادة للعودة بالبلاد إلى طبيعتها وأكبر شريك لها هي فرنسا .

– **المدن الرئيسية :**

نجامينا : وهي عاصمة البلاد وكان يطلق عليها حتى عام ١٩٧٣ (فورت لامي) تخليداً لذكرى الضابط الفرنسي لامي الذي قتل في المنطقة عام ١٩٠٠ وكانت تعرف باسم السودان وعدد سكانها ٣٠٣,٠٠٠ نسمة وتقع على نهر شاري الذي يصب في بحيرة تشاد . وهي مركز تجاري وصناعي للمواد الغذائية وعقدة

مواصلات . ثم سحر ٥٠ ألف و موندو ٤٥ ألف ، بيشه ٢٥ ألف وهي عقدة مواصلات مع السودان .

– **التاريخ** : تظهر المنحوتات الصخرية الموجودة في جبال التيبستي والأينيندي على أن شعباً قطن البلاد قبل ثلاثة آلاف عام ق. م وهو بداية جفاف الصحراء الكبرى وتمر في هذه المنطقة طرق عبر الصحراء كما هي ملتقى الطرق بين شمال افريقيا ومصر وكذلك مع افريقيا السوداء في جنوب المنطقة وتأوي إلى هذه البلاد الشعوب التي أقامت في تاريخها الطويل الممالك والأمبراطوريات القوية كمملكة غانم التي تأسست في القرن الحادي عشر من قبل التيبو في التيبستي ثم مملكة البورنو التي خلفتها ، وقد اعتنقت هذه الدول الإسلام بدءاً من القرن الحادي عشر ولكن هذه الدول عاشت بخاصة على تجارة الرقيق القادمين من الجنوب . وفي القرن التاسع عشر ارتاد المنطقة الأنكليز والألمان والفرنسيين . وفي الوقت ذاته ظهرت دولة رباح بن فضل الله (أو رباح بن الزبير الذي قاوم الفرنسيين عام ١٩٠٠ ولكنهم تغلبوا عليه وأعلنوا حمايتهم على تشاد ولكن الثورات اشتعلت في ودآي . واستخدمها الفرنسيون نقطة انطلاق ، في القتال ضد السنوسيين عام ١٩١٢ وفي بورنو والأنيندي . وقد ضمت هذه الأقاليم غير الموحدة إلى أوبانجي شاري وتم تشكيل محمية منهم منفصلة عام ١٩٢٢ وكانت تشاد أول أقليم التحق بفرنسا الحرة خلال الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٠ ثم أصبحت تشاد دولة ذات استقلال ذاتي عام ١٩٥٨ واستقلت عام ١٩٦٠ وأصبحت جمهورية برئاسة نرانوا تومبلباي) ولكن الأمور لم تستقر وبدأت الثورة في الشمال والشرق وتلقت الحكومة دعم القوات الفرنسية ١٩٦٩ للقتال ضد جبهة الفرولينو

(جبهة تحرير تشاد) . وفي عام ١٩٧٥ أطيح بحكم تومبلباي وقتل وحل محله الجنرال فيليكس مالون ، ولكن الثورة والفوضى امتدت إلى القسم الأكبر من البلاد والتي دخلت اعتباراً من عام ١٩٧٩ في خضم الحرب الأهلية ، وكان الخلاف قد دب بين غوكوني عويدي وحسين حبري ، وهما من الشمال (التيبو) ، وبينما استقر الثاني منتصراً في العاصمة نجامينا ١٩٨٢ كرئيس للجمهورية بعد الأطاحة بمالون ارتبط عويدي بالليبيين وتحالف معهم واحتل المنطقة الشمالية (١٩٨٣) وقد ادى تدخل الجيش الفرنسي ١٩٨٣ - ١٩٨٤ إلى انقسام البلاد إلى قسمين ففي الشمال شمال خط العرض ١٦ تمركزت مجموعة عويدي (تافانت) مع الليبيين وفي الجنوب حسين حبري مدعوماً من الفرنسيين والأمريكان ، وبالرغم من انتصار حسين حبري على الليبيين وأنصارهم بمساعدة القوات الفرنسية ١٩٨٩ وعقده اتفاقاً مع الليبيين أخلوا بموجبه شريط (أوزو) لم يكن حبري بأفضل ممن سبقه في تدعيم وحدة البلاد وتثبيتها ، ففي عام ١٩٩٠ قام مساعده (ادريس ديبي) بطرده من السلطة واستلم مكانه رئيساً للجمهورية ١٩٩٤ تركت ليبيا شريط اوزو الذي احتلته عام ١٩٩٣ وعاد لتشاد ...

١٦ - تنزانيا TANZANIE

جمهورية تنزانيا - الاتحاد التنزاني .

ويطلق على تنزانيا باللغة السواحيلية جمهوري ياموانغانوا تنزانيا . وهي تقع في افريقيا الشرقية وتطل على المحيط الهندي قليلاً جنوب خط الاستواء ، وتتألف البلاد من قسمين : القسم الأول في القارة ويدعى (تنغانيكا) وقسم بحري وهو مؤلف من جزيرة زنجبار والجزر التابعة لها بمبا ومافيا . وتحيط المياه بنصف البلاد فمن جهة الشرق كما ذكرنا يوجد المحيط الهندي ومن الغرب بحيرة تنغانيكا (٣١,٩٠٠كم٢) بطول ٦٥٠ كم وعرض ٣٠ - ٥٠ كم وتقع على ارتفاع ٧٨٢م وأعمق نقطة فيها (١٤٣٠م) ومن الجنوب الشرقي بحيرة ملاوي (٢٦,٠٠٠كم٢) (حوالي ٢٠٠ كم من ساحلها فقط) ومن الشمال بحيرة فكتوريا ٦٨,١٠٠كم٢ والجزر فيها تشكل الحدود الطبيعية مع البلدان المجاورة أوغندا ، كينيا في الشمال وزائير ورواندا وبوروندي في الغرب وزامبيا وملاوي في الجنوب الشرقي ، وموزامبيق في الجنوب ، عدد السكان ٢٤ مليون نسمة الزيادة السنوية ٣,٥٪ ، وترتبط تنزانيا بالكومونولث البريطاني ، العملة هي الشلن ، والدخل الفردي ٢٧٩ دولار .

أما اللغة الرسمية فهي اللغة السواحيلية (لهجة تنغانيكا في القارة) ولهجة زنجبار في الجزيرة وتوابعها وتنتشر اللغة العربية كثيراً في تنزانيا بخاصة على السواحل وزنجبار وتوابعها . نظام الحكم فيها هو جمهوري اتحادي تشكل عام ١٩٤٦ من اتحاد تنغانيكا وزنجبار، وينتشر في تنزانيا عروق بشرية مختلفة وكثيرة (١٢٠ عرقاً) الأفارقة ٩٧,١٪ منهم و ١٢,٦ قبائل سوكوما و ٤٪ ماكوند ،٣,٦٪ شاغا ، ٣,٤ ٪ هبا . ٣,٤ ٪ نياموزيزي ، ١٪ اسيويون ، ٠,٧٪

عرب . يعتنق ٥٥٪ منهم الاسلام و ٣٠٪ منهم المسيحية والباقي ديانات محلية ويعيش المسلمون في زنجبار وعلى السواحل بخاصة دار السلام وتوابع زنجبار ، أما المسيحيون فيعيشون في منطقة كليما نجارو وقرب بحيرة فكتوريا .

المدن الرئيسية :

دار السلام : كانت عاصمة تنزانيا الموحدة وهي العاصمة القديمة لتنغانيكا عدد سكانها ١,٠٩٦,٦٠٠ نسمة وهي ميناء على المحيط الهندي وتتصل عن طريق السكة الحديدية بميناء موانزا على ساحل بحيرة فكتوريا ومن جهة تتصل بلوساكا عاصمة زامبيا بالسكة الحديدية المعروفة باسم (تازارا) والتي بنيت لنقل النحاس الزامبي إلى البحر وجلب البترول إلى زامبيا ، يتم مؤخراً نقل العاصمة الإدارية في الداخل حيث بنيت مدينة جديدة اسمها دودوما وأصبح عدد سكانها ١٨٠ ألف وتقع في وسط البلاد في منطقة مرتفعة .

وأهم المدن : تنغا (١٧٢ ألف) ، موانزا ميناء على بحيرة فكتوريا ٢٥٠ ألف وفيها صناعة النسيج والذهب والماس والفضة ، عروشا في الشمال ٩٠ ألف وكانت مركز سوق افريقية الشرقية وموشي ٦٠ ألف وفي وسط البلاد تقع عقدة المواصلات المشهورة تابورا التي بناها العرب في القرن التاسع عشر .

نظام الحكم في البلاد جمهوري كونفدرالي وقد تشكلت عام ١٩٤٦ من اتحاد تنغانيكا زنجبار و٨٨٪ من السكان يعيشون في الريف في تنغانيكا و٧٥٪ في زنجبار وقد تضاعف في العشرين سنة الماضية .

– التضاريس – الأحوال الطبيعية والبشرية :

يتشكل القسم الأكبر من البلاد من هضبة واسعة وسطى بارتفاع متوسط ١٢٠٠م وتخترقها عدة ممرات ومجاري مياه . تصب في بحيرات الأخدود العظيم الغربي (بحيرات ملاوي وتنغانيكا الواسعتين ثم بحيرة فكتوريا في الشمال ، وتجتاز هذه المجاري السهل الساحلي الشرقي الذي هو امتداد مسطح (جزر تنزانيا) مع جزيرة زنجبار وبمبا . وفي الشمال ترتفع الجبال البركانية العالية كجبل اوهورد (معروف عالمياً باسم كليما نجارو) وارتفاعه ٥٨٩٥ ثم مرتفعات ميرو وغورنغورو أما طقس البلاد فهو مداري تهب عليه رياح الآليزه المتدرجة حرارياً حسب الارتفاع والبعد عن البحر . وتعتبر الجزر والسواحل وجبال الشمال ممطرة جداً ، لكن الأراضي الداخلية يسيطر عليها دائماً الجفاف وهو موسم أطول من مواسم المطر عادة . وهناك الغابات المتفرقة والسافانا هي الغالبة وهذه المنطقة كثيفة السكان مع غابات عذراء وحيوانات متوحشة متنوعة.

الحياة الاقتصادية : تحتل الزراعة أكثر من ٨٠٪ من النشاط السكاني الذي تزعزع بسبب التجارب الاشتراكية التي جمعت بين عام ١٩٦٧ و ١٩٨١ أكثر من ٨٥٪ من الريفيين ضمن تسعة آلاف قرية تعاونية وهي التي تعطي اليوم أفضل إنتاج من المانيوك ، الذرة ، الرز ، الذرة البيضاء ، وهو الذي يشكل الانتاج الرئيسي من المواد الغذائية اليومية بالتوازي مع ثروة حيوانية ضخمة وهامة أما الصيد فهو في تقدم بالإضافة إلى القطن والقهوة وهما نصف صادرات البلاد ، أمام السيسال ، ونواة الكاجيو والماس ، أما الصناعة بمعناها الحقيقي فهي جنينية وتتركز على الصناعة الزراعية

والنسيج أما الصناعات الحديثة فهي قليلة وفيها مصفاة للبترول ، وتعتبر تنزانيا من البلدان الفقيرة جداً ، وتحت إشراف البنك الدولي وضعت سياسة جديدة من النموذج المتحرر شرع بها في عام ١٩٨٦ ومع ذلك ظل الموقف الاقتصادي فيها صعباً .

التاريخ : تعتبر تنزانيا من البلاد التي قطنها البشر من عصور ما قبل التاريخ وقد ظهر فيها عدة أمور جعل من بعضهم يعتقد بأن البشر كان أصله من المنطقة بين اثيوبيا وتنزانيا . وقبل القرون الوسطى وصلها التجار الهنود والأندونيسيون والفرس والعرب حيث انتشر هؤلاء على السواحل ، وفي الجزر بخاصة زنجبار للتفتيش عن الذهب والعاج والعبيد ، ثم سيطر البرتغاليون على التجارة بين القرنين السادس عشر والسابع عشر . وفي القرن التاسع عشر استطاع سلطان عمان إخراجهم من المنطقة والحلول محلهم وسيطر على البلاد وفي القرن التاسع عشر حاولت بريطانيا ريادة الداخل . وكان العرب في ذلك الوقت وصلوا إلى شرق زائير عن طريق زنجبار واشتهر من المستكشفين الأوربيين ليفنغستون ثم ستانلي الأمريكي الذي اكتشف المنطقة وهو يفتش على ليفنغستون ولولا التجار العرب والأدلاء العرب لم يتمكن أحد من الأوربيين دخول القارة . وقد الحقت تنغانيكا بألمانيا بعد أن وضعت هذه قدمها بالقارة عام ١٨٨٤ . ولكن بريطانيا وضعت حمايتها على زنجبار في الوقت الذي تشكلت فيه افريقيا الألمانية عام ١٨٩١ وخلال الحرب العالمية الأولى احتل الانكليز تنغانيكا ، وخلال الحرب العالمية بدأت الحركات التحررية تجتاح القارة الأفريقية ومنها تنزانيا (تنغانيكا بزعامة جوليوس نيريري زعيم الحزب الأفريقي التانغانيكي الوطني TANU الذي قاد البلاد نحو الاستقلال الذي أعلن في ٩ كانون أول ١٩٦١م ولكن البلاد ظلت ضمن

الكومونولث البريطـاني . وفي شـباط ١٩٦٤ أي بعـد أسـبوع مـن ثورة زنجبار قامت مجموعة عسكرية وطنية بإبعاد الضباط البريطانيين عن السلطة وطالبت بزيادة أجور الوطنين وإبعاد الموظفين الأجـانب ووضع محلهم أفارقة . وهنا اضطـر نـيريري للأسـتنجاد بالبريطـانيين للقضاء على هذه الحركة الوطنيـة ، وألغـي بعدهـا الجيـش السـابق وأعيد تشكيل حزب جديد من أنصار نـيريري /أتـانو/ . وفي نفـس العام (نيسان) عقدت اتفاقية اتحاد مع زنجبار وأعطيت البـلاد اسمهـا الجديد جمهورية تنزانيا المتحدة ، وقد أخمدت ثورة الجيش واعطيـت الأهمية بعـد ذلـك لنقابـات العمـال الذيـن يتبعـون حـزب الرئيـس نيريري . ومنذ عام ١٩٦٢ ترأس نيريري بلاده كحاكم قـوي عـن طريق العـودة إلى الحـزب الواحـد ١٩٦٥ - ١٩٦٧ م مـع ادخـال الأفكار الاشتراكية في أسلوب معالجة الأمور الاقتصادية وعلى هـذا الأساس شكل التعاونيات الفلاحية الزراعية وأمم المشاريع الخاصة ، كما تدخلت تنزانيا في عدة مناسـبات في الشـؤون الداخليـة للـدول المجاورة ، وكذلك دعم حركات التحرير ضد البرتغـاليين في أنغـولا وموازمبيـق وكذلـك ضـد الأقليـة البيضـاء في زيمبـاوي (روديسـا الجنوبية) وفي الأحداث التي وقعت في زائـير والكمـيرون وأوغنـدا . وقد تضاعف عدد الجيـش التـنزاني مـن ١٥ ألـف شـخص إلى ٥١ ألف عام ١٩٧٩ عندما تدخل في اوغندا للقضاء على حكم عيـدي أمين وأخيراً استقال نيريري من رئاسة الجمهورية عام ١٩٨٥ ولكنه ظل رئيساً لحزب /تانو/ اتبع خلفه حسـين مويـني الـذي انتخـب في عـام ١٩٨٥ كرئيس للجمهوريـة في عـام ١٩٩٢ سياسـة تعـدد الأحزاب ثم وجه البلاد نحو حرية الاقتصاد وفي عام ١٩٩٥ انتخب بنيامين مكابا كرئيس للجمهورية مكانه .

زنجبار Zanzibar: وتوابعها بيمبا Pemba ومافيا Mafia .

– **زنجبار** : جزر مرجانية ساحلية وهي قسم من جمهورية تنزانيا حاليا مساحتها (زنجبار لوحدها ١,٦٥٨ كم٢ ومع توابعها ٢٦٤٢ كم٢ ، عدد السكان مع التوابع ٥٦٠,٠٠٠ نسمة وزنجبار لوحدها ٤٧٩,٠٠٠ ويبلغ عدد سكان العاصمة زنجبار ١٢٥ ألف نسمة ، وهي الأولى في العالم بإنتاج زهر القرنفل وزيوته وكذلك الكوبرا ومنذ القدم تعتبر زنجبار مركزاً هاماً للتجارة الأفريقية – الآسيوية وعن طريق زنجبار وبمساعدة سلاطينها تمكن المكتشفون الأوربيون من دخول القارة في القرن التاسع عشر ، سيطر عليها البرتغاليون لقرون عديدة ثم خضعت لسلاطين عمان وأصبحت جزءاً من الوطن العربي الكبير ثم أصبحت محمية بريطانية ١٨٩٠ ثم استقلت عام ١٩٦٣ ، وفي مساء ١١ كانون ثاني ١٩٦٤ عبرت المضيق بين زنجبار والساحل مجموعات من الجنود المرتزقة السوداء بزعامة اكيلو وبدعم من نيريري واحتلت زنجبار وأحاطت بالسلطان العربي جمشيد بن عبد الله بو سعيد وأعلنت الجمهورية وقد حدثت مذبحة رهيبة للسكان العرب من قبل الجنود السود وقدرها بعضهم بخمسين ألف قتيل . وفي صباح الأحد ١٢ كانون ثاني في ١٩٦٤ زالت آخر سلطنة عربية في أفريقيا و لم تعد زنجبار عربية وفقدت كما فقد قبلها الأندلس ومن بعدها فلسطين ويعود ذلك في كل وقت وزمن لاختلاف العرب مع بعضهم . وبعد شهرين انضمت زنجبار إلى تنغانيكا وتم تشكيل جمهورية تنزانيا بزعامة القس جوليوس نيريري . وكان هذا قد التقى في نيسان ١٩٦٤ بمطار زنجبار مع عبيد كرومي الذي كان يمثل الجناح

المحافظ في المجلس الثوري للجزيرة بعد الإطاحة بالسلطان وهو من مجموعة الشيرازيين في زنجبار وأعلن الطرفان توحيد بلديهما وأصبح كرومي نائباً لرئيس الجمهورية ورئيساً لحكومة زنجبار وقد اغتيل كرومي عام ١٩٧٢ بسبب ديكتاتوريته وإجباره الفتيات العربيات والشيرازيات على الزواج من الأفارقة وهناك حركة قوية انفصالية في زنجبار بسبب تفضيل الحكومة الاتحادية للمسيحين على المسلمين في المناصب العليا للدولة .

– توجو Togo

جمهورية توجو :

تقع جمهورية توجو في افريقيه الغربية على خليج بنين ويحدها من الغرب غانا ، ومن الشمال بوركينا فاسو ، ومن الشرق بنين (داهومي سابقاً) ومن الجنوب المحيط الأطلسي . تبلغ مساحة البلاد ٥٦,٧٨٥ كم٢ وعدد سكانها ٣,٢٥٠,٠٠٠ نسمة مع زيادة سنوية ٣,٥٪ ، والكثافة السكانية ٤٩ بالكم٢ ، واللغة الرسمية هي الفرنسية ويتكلم السكان عدة لغات محلية ايفيه ، كوتوكولي، وموبا بخاصة ، والدخل الفردي السنوي (١٩٧٨) ٣٢٠ دولار ، وتنتشر في البلاد العروق البشرية التالية : ايفيه ٤٧٪ ، كابريه ٢٢٪، اوتاسي ٧٪ ، كوتوكولي ٥,٩٣٪ ، مينا ٥,٨٧٪ ، موبا ٤,٨٩٪ ، لوسوس ٤,٥٪ ، غورما ٣,٩٥٪ .... الخ ويدين السكان ٦٢٪ منهم بالديانات المحلية و٢٣٪ كاثوليك وبروتستانت و١٠٪ مسلمون ونظام الحكم رئاسي جمهوري .

– المدن الرئيسية :

لومي : عاصمة توجو وهي ميناء على خليج بنين وعدد سكانها يزيد على ٤٠٠ ألف وهي سوق زراعي وصناعي ومركز اسقفية كاثوليكية ، عقدت فيها اتفاقية لومي وهي اتفاق للتعاون الاقتصادي افتتح عام ١٩٧٥ لومي (١) بين : C.E.F السوق الأوربية المشتركة وعدد من الدول الأفريقية ودول الكاريبي والباسفيك وكان عدد الدول المشتركة ٦٨عام ١٩٩٠ لومي ٤ . ومن المدن الرئيسية سوكوديه ٣٦ ألفاً ، باليميه ٢٥ ألفاً ، أتاكياميه ٢٥ألفاً ، باساري ٢٠ ألفاً ، اينشر ١٥ ألفاً .

- **التضاريس - الأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :**

التوجو بشكل عام بلاد منخفضة وأعلى ارتفاع فيها ٩٨٤م تحيط بها المرتفعات في الغرب جبل توجو ، وكذلك في الوسط وتمتد التوجو جنوباً شمالاً ٧٠٠ كم وعرضها لا يتجاوز المائة كم ولها شاطئ بطول ٦٤كم ، وتنفتح على خليج غينيه بساحل منخفض رملي تتخلله الخلجان والأحواض البحرية الصغيرة المغلقة ، تجعل من الصعب الدخول إليها دون مخاطر . ومناخها مداري رطب كثيرة الأمطار في الجنوب وعلى المرتفعات (غابات غنية كثيفة) وهو أكثر جفافاً في الشمال حيث تسيطر سهول السافانا ، والبلاد كثيرة الأعراق البشرية والمساواة الفعلية تعترض شعوب التوجو فشعوب الشمال الكابريه يسيطرون على قبائل الجنوب وأكثريتهم من الأيفيه .

واقتصاد البلاد بشكل رئيسي زراعي و٧٥٪ من السكان من المزراعين الذين يهتمون بزراعة المزروعات الغذائية (الذرة - الدخن - المانيوك) وكذلك زراعات التصدير كالقهوة والقطن والكاكاو ، وتصدر توجو بالإضافة إلى ذلك الفوسفات ، وتعتبر التوجو أيضاً من البلاد المتخلفة ويظل الاقتصاد فيها يعاني من المصاعب التي تعترضه بالرغم من الجهود المبذولة لاعادة الوضع في البلاد باتجاه صحيح برعاية البنك الدولي .

- **التاريخ** : عرف البرتغاليون سواحل التوجو في القرن الخامس عشر وفي القرن التاسع عشر وصل الألمان (بفضل المكتشف الألماني ناشتيغال **NACHTIGAL** بخاصة) وقد فرض الألمان حمايتهم على المنطقة الساحلية ثم لحقوا بالمكتشفين إلى الداخل حيث اقاموا مستعمرة حددت حدودها مع الفرنسيين عام ١٨٩٧م ومع بريطانيا

١٨٩٩ ، وخلال الحرب العالمية الأولى احتلت البلاد من قبل الفرنسيين والأنكليز . وفي عام ١٩٢٢ وضعت عصبة الأمم المنطقة الغربية تحت الوصاية البريطانية اما المنطقة الشرقية فقد وضعت تحت الحماية الفرنسية وتشكل ثلثي أراضي المستعمرة أما التوجو البريطانية توجو لاند فقد ضمت إلى مستعمرة ساحل الذهب (فيما بعد غانا) ١٩٥٦ أما التوجو الفرنسية فقد حصلت على الأستقلال عام ١٩٦٠ ، وترأس البلاد سيلفانوس أوليمبوس وهو من المهاجرين القادمين من البرازيل وقد قتل المذكور بحركة انقلاب عام ١٩٦٣ وحل محله زميله نيقولاس غرونيتسكي ومنذ عام ١٩٦٧ وبعد حركة انقلاب عسكري أصبح الجنرال ايتين Etienne ياديما Eyadima رئيساً للحكومة ثم رئيساً للجمهورية وكان يرأس الحزب الذي أنشأه هو بنفسه عام ١٩٩١ وهو تجمع الشعب التوغولي . ومع ذلك لم يؤد العفو العام الذي صدر في آذار ١٩٩١ ولا العودة إلى التعددية الحزبية في نيسان ، لوقف أعمال العنف بسبب الخلافات القبلية (القبائل الشمالية تسيطر على الجيش أمام معارضة متزايدة ، في جنوب البلاد) ، وقد توصلت المعارضة إلى فرض مؤتمر وطني على هؤلاء وتسمية رئيس وزراء مدني بصورة مؤقتة ، وفي آب ١٩٩١ انتخب جوزيف كوكو توفيغو رئيساً للوزراء ، وقد فقد اياديما بهذه الصورة قسماً من سلطته ولكن في كانون أول ١٩٩١ تدخل الجيش لكي يضع حداً لهذه الاتجاهات الديمقراطية ، استعاد فيها الرئيس أياديما عام ١٩٩٢ كل صلاحياته السابقة ثم قام بحركة تطهير تناولت المعارضة بين قتل واعتقال . ولكنه اصطدم بمقاومة عنيفة لاجباره على سلوك الطريق الديموقراطي ١٩٩٤ ، جاءت الانتخابات لصالح المعارضة .

١٨ - جمهورية اتحاد جنوب افريقيا :

- جمهورية جنوب افريقيا Afrique du sad

دولة أفريقية اتحادية تقع في النهاية الجنوبية للقارة الأفريقية ويحيط بها المحيطان الأطلسي والهندي تبلغ مساحتها ١,٢٢١,٠٣٧كم٢ وعدد سكانها ٣٨,٥٠٠,٠٠٠ نسمة وتتألف من ثلاث مقاطعات كبرى تشكل كل منها دولة وهي مقاطعة الكاب وعاصمتها الكاب وهي العاصمة التشريعية التي يوجد فيها البرلمان ومقاطعة دولة اورانج الحره (بلويمغونتين) وهي العاصمة القضائية أما مقاطعة التراتسغال فعاصمتها جوهانسبرغ العاصمة التجارية وأما العاصمة الادراية الاتحادية فهي مدينة بريتوريا . والتي تشكل لوحدها مقاطعة مستقلة ، واللغة الرسمية هي لغة الأفريكانز والأنكليزية وتسمى عملتها الرند وتنتشرفيها أعداد كبيرة من العروق والأجناس البشرية وحسب إحصائيات قديمة البانتو ٦٨٪ منهم الزولو ١٨,٨٪ ، الخوسان ١٨,٣٪ ، تسوانا ٨٪ ، سبيدي ٧,٥٪ ، سيشوه ٦,٨٪ . يبلغ عدد السكان البيض ١٨٪ ملونين ١١٪ ، اسيويين ٣٪ ، ويتكلم الناس عدا الأفريكانز والأنكليزية عدد من اللغات القبلية لغة الزولو ، الخوسا ، تسوانا ، وسوتو ، الكثافة السكانية ٢٢ بالكم٢ ، الدخل الفردي للبيض ١٤٠٠ دولار (١٩٧٨) أما الدخل الفردي السنوي للسود أو غير الأوربيين ، فيعادل ١ من ١٦ من دخل الأوربي ، وتنتشر الأديان كما يلي : ٥٠٪ ديانات محلية ، بروتستانت القسم الأكبر من الأوربيين (البوير) ثم الانجليكان ٦٨٪ من الأسيويين والهنود والملونينن هم مسلمون .

- **المدن الرئيسية :**

بريتوريا : العاصمة الاتحادية وهي مقاطعة مستقلة عدد سكانها ٥٠٠ ألف نسمة .

جوهانسبرغ : أكبر مدن الاتحاد وهي العاصمة الحقيقية المالية والاقتصادية والمركز البنكي الرئيس . عدد سكانها ١,٣٦٠,٨٧٠ نسمة كما أنها مركز صناعي هام بالقرب من مناجم الحديد وفيها الصناعات الثقيلة كما أنها عقدة مواصلات هامة يضاف إلى ذلك شهرتها في صناعة الذهب وصياغة الحلي والماس وصناعات النسيج والمواد الغذائية والصناعات الميكانيكية .

الكاب : تسمى باللغة الأفريكانز كاب ستاد Kaapstad وهي ميناء الجنوب وتقع في أقصى جنوب القارة الأفريقية ، عدد سكانها ٨٥٤ ألف ومع ضواحيها ١,٢٠٩,٤٢٠ نسمة وهي مركز صناعي لمختلف الصناعات (صياغة الحلي والصناعة الغذائية والسيارات) . اسسها الهولنديون عام ١٦٥٢م ومن المدن الرئيسية بلومفونتين ٢٣٢,٩٨٠نسمة . دوربن : وهي ميناء بلاد الناتال على المحيط الهندي سكانها مليون نسمة مع الضواحي . وفيها صناعات معدنية وكيماوية وصناعة الآليات وفيها مصفاة للبترول .

بورت اليزابيت : وهي ميناء على المحيط الهندي ٥٢٢,٨٨٠نسمة) ، وهي مركز هام لتجارة الصوف والصناعات الغذائية والنسيجية والكيماوية .

- **التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :**

هضبة من نوع بريكامبريان التي تتمثل بثلاثة أنواع من

التضاريس : هضبة واسعة داخلية منخفضة ، يشبه وسطها الحوض الواسع، أما محيط الحوض فترتفع الأراضي حوله ، بشكل حاد وتتشكل منه سلسلة جبال داركسنبرغ (٣٦٥٧م) ويحيط بهذه الارتفاعات سهل ضيق ساحلي ، ويتدرج الطقس من الساحل مع المناخ المتوسطي في مقاطعة الكاب والأقليم الأستوائي في الشمال ويشكل مانعاً مزدوجاً في مواجهة مناخ الأليزه الرطب من الشاطئ الشرقي والطقس الجاف من الغرب ومن ساحل المحيط الأطلسي ويتجمع السكان بخاصة في المناطق الساحلية الشرقية والجنوبية ، ومنطقة المناجم في الترنسفال وتعتبر أكثر الدول الأفريقية تقدماً ولديها أفضل الموانئ وأفضل الطرقات ولديها موارد منجمية كبرى وهي تزود العالم بالذهب والكروم ، وتعتبر أول دولة عالمياً تصديراً للذهب والكروم وفيها المنغنيز والفحم والبلاتين واليورانيوم والأنتيمون والتيتان والماس ، وتشكل المواد الأولية المعدنية ٥٠٪ من صادرات البلاد للخارج ، وقد نمت صناعة مزدهرة في المناطق المنجمية الكبرى مثل الترنسغال (بريتوريا) ويتواترسراند **Witwatersran** والناتلي ودربن والمناطق الجنوبيه في بورت اليزابيت والكاب ، وأخذت البلاد في الفترة الأخيرة تدخل ميدان صناعة الأسلحة الثقيلة والخفيفة والطائرات الحربية والهيلوكبتر . وبالإضافة إلى الصناعة ، توجد في البلاد ثروة حيوانية كبيرة مع زراعات تقليدية للحبوب وازدياد كبير في زراعة وإنتاج الفواكه والخضار التي تصدر إلى نصف القارة الشمالي بخاصة خلال فصل الشتاء . وقد أدى تطبيق التفرقة العنصرية في السابق لجعل العالم يطبق على البيض عقوبات اقتصادية وأدى ذلك إلى ضعف اليد العاملة بسبب

الجهل ٦٤٪ أميون ، وهناك ٣٠٪ عاطلون (عام ١٩٩١) .

- **التاريخ :**

تكرس الأبارتايد أو التفرقة العنصرية عام ١٩١١ وتم تطبيقه عام ١٩٤٠ ، وكان يعتبر شيئاً ضرورياً للسكان البيض بينما أدى الازدهار الصناعي بعد الحرب العالمية الثانية إلى تغيير في التوزيع البشري الجغرافي حيث انحدر السكان السود إلى المدن للعمل كيد عاملة رخصية . كما أدى منع البيض للسود من كل مشاركة في الحكم ومن الناحيتين السياسية والاجتماعية إلى خلق المستوطنات السوداء المعروفة باسم (بانتوستان) وهي نظرياً مستقلة أو باتجاه الاستقلال : (ترانسكاي) ١٩٧٩ ثم (بونوزاتسوانا) عام ١٩٧٧ (فاندا) ١٩٧٩ (سيكاي) ١٩٨١ ثم تتالت (كازانكولو) (كانجوان) (كوازولو) (ليبو) (أواكوا) وأصبح عددها عشرة مستوطنات قبل الغاء التفرقة العنصرية ، وقد رفضت الأمم المتحدة والدول الأخرى الاعتراف بهذه المستوطنات ، وكان رد فعل المجتمع الأسود شديداً وحدثت هيجانات كبيرة بخاصة عام ١٩٦٠ وفي سويتو في تموز ١٩٧٨ .

«من المحتمل أن لا تكون أفريقية الجنوبية مسكونة إلا من قبل البانتو والهوتنتوت والبوشمن ، وقد ابتدأ الاستعمار الأوربي في القرن السابع عشر من قبل الهولنديين التابعين لشركة الهند الشرقية التي تمركزت في منطقة الكاب وقد هاجر البروتستانت الفرنسيون بعد عام ١٦٨٥ ، وفي عام ١٨١٤ (معاهدة باريس) حصل الانكليز على منطقة الكاب وأدى ذلك إلى هجرة البوير الذين لم يرغبوا بالأدراة البريطانية واتجهوا نحو الشمال الشرقي بين عامي ١٨٩٩ - ١٩٠٥ وعرفت رحلتهم بالطريق الكبير تريك . وعندما وصلوا إلى

الشمال أسسوا دولتين مستقلتين هما التاتال وترانسغال والأورانج الحرة وكانت بريطانيا تدعي ملكية تلك البلاد . وبعد فشل الأنكليز خلال ١٨٧٧ – ١٨٨١ استطاعوا بعد حرب البوير المشهورة ١٨٩٩ – ١٩٠٢ م إزالة هذه الدول ، وفي عام ١٩١٠ ظهر اتحاد جنوب افريقيا وتألف من الكاب والناتال وأورانج والترانسغال ثم تحول هذا الاتحاد عام ١٩٦١ إلى جمهورية جنوب افريقيا ، وقد انسحبت من الكومونولث لكي تستطيع بشكل دائم تطبيق النظام العنصري »

ولكن بعد اضطرابات الستينات ، وهي الموجة الأولى من الصدمة الموجهة إلى الاستقلاليين الأفريقيين والتي كان ذروتها المواجهات الرئيسية في شتارفيل ٢٠ آذار ١٩٦٠ فالأقلية البيضاء (بخاصة الأكثرية من هذه الأقلية وهم الأفريكانز أصبح باستطاعتهم الحكم دون صعوبة وقد تتابع رؤساء الوزراء الواحد وراء الآخر منهم .

فيرويرد . فورستر حيث طبق هؤلاء نفس السياسة العنصرية ولكن في عام ١٩٧٦ وصلت الضربة الموجهة للاستعمار بعد استقلال انغولا وموازمبيق إلى جنوب افريقيا وكما رأينا بدأت الأضطرابات في حزيران – كانون أول في سوويتو وكابتاون وقد أخمدت هذه الأضطرابات بشدة متناهية . وفي عام ١٩٧٨ استقال جوهان بالتازار فورستر رئيس الحكومة الذي ظل لمدة عشر سنوات في منصبه بعد فضيحة مالية أطلق عليها «Muldergate» والتي تسببها أحد وزرائه . وحل محله وزير الدفاع بيتر بوتا وعن طريقه احتل العسكريون كثيراً من مناصب الدولة . وفي آب ١٩٨٠ كرُس قائد الجيش الجنرال ميلان كشخصية ثانية في نظام

الحكم ومع ذلك فقد حقق العسكريون بعض الحرية في عملية التفرقة العنصرية ، وفي عام ١٩٨٣ وبعد استفتاء ظهر برلمان جديد ودستور جديد أعطيت بموجبه بعض الحرية وبعض الحقوق للملونين (الهنود والمخلطون) ، وقد ألغي مركز رئيس الوزراء ثم أصبح رئيساً للجمهورية ، وقد قام هذا في محاولة لابعاد الحظر عن بلاده بالهجوم على الدول المجاورة التي كانت ضد التفرقة العنصرية، حيث استطاع إبعاد أعضاء حزب المؤتمر الوطني الأفريقي من ليسوتو وسوازيلاند وموازمبيق ، (أسس المؤتمر الوطني الأفريقي عام ١٩١٢). وفي أنغولا وموازمبيق دعمت حكومة جنوب أفريقيا العصابات التي كانت تناهض الحكام الماركسيين . ولكن جيش جنوب أفريقيا اضطر للأنسحاب من انغولا عام ١٩٨٨ بمقابل انسحاب الجيوش الكوبية . وقد وقعت الدبلوماسية الجنوبية (البيضاء) تحت ضغط التأثير العالمي والأمم المتحدة مما جعلها تنسحب من ناميبيا واعترفت باستقلالها وكانت جنوب أفريقيا قد ضمت ناميبيا لها عام ١٩٤٩ على أساس الوصاية . وبعد تأسيس الجبهة الديمقراطية المتحدة U,O.F عام ١٩٨٣ امتدت المعارضة لنظام التفرقة العنصرية لتشمل الكنيسة وكذلك للأكثرية السوداء (نقابات العمال بخاصة) وكذلك إلى قسم كبير من الأقلية البيضاء الحاكمة وأخيراً استطاع ف . دوكليرك التغلب على بوتا وأصبح رئيساً للبلاد وبالرغم من معارضة قسم كبير من السكان البيض اتخذ عدة اجراءات لتخفيف حدة الهيمنة العنصرية ، وتخفيف الضغط على القواعد السياسية ، وبعد أن أعطى الشرعية لحركات المعارضة مثل الحزب الشيوعي الممنوع من عام ١٩٥٠ وحزب المؤتمر الممنوع اعتباراً من عام (١٩٦١) كما تم تحرير عدد من

المعتقلين السياسيين بما فيهم نلسون منديلا الذي أفرج عنه في شباط عام ١٩٩٠ وكان قد اعتقل عام ١٩٦٢ ووضع في جزيرة روبن ثم اندلعت الأضطرابات العرقية فيما بين السكان بشكل خطير بخاصة في الناتال والمدن السوداء الأخرى وقامت المجموعات المؤيدة لحزب المؤتمر بالمطالبة بضم البانتوستانات في جيسكي وفاندا للبلاد وأخيراً فشلت الجبهة الديمقراطية المتحدة وهزمت في انتخابات عام ١٩٩١ وفي حزيران أعلنت الحكومة الغاء نظام الأبارتيد وأعلن عن دستور جديد يلغي التفرقة العنصرية من خلال الاستفتاء الذي تم في أذار ١٩٩٢ وفي الانتخابات التي جرت عام ١٩٩٤ حصل نلسون منديلا على الأغلبية ٥٠ - ٩٠٪ من الأصوات في ٧ مقاطعات من أصل تسع مقاطعات وفي المقاطعتين الباقيتين حصل حزب المؤتمر على ٣٠ - ٣٥ ٪ من الأصوات وفاز في الأولى الحزب الوطني برئاسة دوكليرك وفاز في الثانية حزب أينكاتا وتم تنصيب نلسون منديلا رئيساً للجمهورية في ١٠ أيار ١٩٩٤ وهو من شعب الخوسا وأصبح الرئيس السابق دوكليرك نائباً للرئيس منديلا الذي أعلن عن المصالحة الوطنية وطالب الشعب بالالتفاف حول حزبه ولكن الاضطرابات اندلعت في مقاطعة الناتال بعد أن رفض حزب اينكاتا بزعامة منغوسوتو بوتيليزي فكرة الدولة الاتحادية وطالب بدولة أو جمهورية كونفدرالية بعيداً عن تسلط حزب المؤتمر وأغلبيه من شعب الخوسا ، بينما ينتمي أعضاء اينكاتا لشعوب الزولو المشهورة ، وقد منح كل من دوكليرك ونلسون منديلا جائزة نوبل للسلام عام ١٩٩٣ .

١٩ – جمهورية أفريقيا الوسطى : Rep . Centrafricaine

جمهورية افريقيا الوسطى دولة افريقية استوائية داخلية تقع في وسط أفريقيا يحدها من الشمال تشاد والكميرون من الغرب والسودان من الشرق والكونغو وزائير في الجنوب ، تبعد حدودها الغربية عن البحر ١٠٠٠ كم ، مساحتها ٦٢٢,٩٤٨كم٢ وعدد سكانها ٢,٧٤٠,٠٠٠نسمة (١٩٥٩ ١,١٧٧,٠٠٠نسمة) الكثافة ٨٢بالكم٢ والتزايد السكاني ٢,٢٪ ، العملة فرنك C.F.A، واللغة الرسمية هي الفرنسية ، أما اللغة الوطنية فهي سانغو بالإضافة إلى اللغة العربية ولغة الهوسا والسواحيلية في الشرق ، أما الأديان ٦٠٪ ديانات محلية ، ٣٥٪ مسيحيون ، ٥٪ مسلمون ، وتنتشر فيها الأعراق البشرية من الأصول البانتوية والذين يقال عنهم البانجبين أو الأوبانجيين ، نسبة إلى اسم البلاد اوبانجي (على اسم النهر) ويختلط بين هؤلاء أعداد كبيرة من المستعربيين وكذلك من البيول وأهم عروق الأوبانجي (باياس ٦٤٨ ألف) ، (انداس ٥٧٣ ألف ، سارا ١٩٦ ألف ، مباكاس ١٤٠ألف ، مانجيا ١٨٢ ألف ، مبوم ١٨١ ألف ، مباكا ١٢٨ ، اوبانجي ١٤٠ ألف ، مازاكارس ٣٧ ألفاً ، زاند سبعة آلاف .

– **المدن الرئيسية :**

– **بانجوي** : وهي العاصمة وتقع على نهر الأوبانجي عدد سكانها ٤٧٣,٨٢٠ نسمة وهي مركز تجاري وصناعي لصناعة النسيج والمواد الزراعية ، وفيها مدن : بوار ٥٥ ألفاً ، بوسانغو ٣٥ ألفاً ، بيربيراتي ٤٥ ألفاً ، بمباري ٣٥ ألفاً ، الدخل الفردي السنوي ٢٥٠ دولار (١٩٧٩) .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

افريقيا الوسطى هضبة واسعة تسقيها روافد نهر شاري المتجه نحو بحيرة تشاد في الشمال (حوض تشاد) وروافد نهر (أوبانجي) في الجنوب (حوض الكونغو الكبير) وتسيطر السافانا على المناطق الشمالية بينما تنتشر الغابات الكثيفة في الجنوب وبسبب رطوبتها وصلاحية أرضها للزراعة تعيش أكثرية السكان فيها ويشكل سكان الريف ٥٥٪ من السكان ولا يزرع من البلاد سوى ٢٪ من أرضها ويزرع السكان عادة (الدرنيات المانيوك والأتيغام) ثم الذرة البيضاء - والذرة الصفراء والفول السوداني والبطاطا وجميعها للاستهلاك المحلي كما أنها تعتني بمواد التصدير مثل التبغ ، القطن ، القهوة والأخشاب من الغابات ومن مواردها المعدنية الماس والذهب. ولا يوجد فيها ثروة حيوانية بسبب ذبابة تسه تسه مما يضطرهم لاستيراد الماشية من تشاد والسودان ولا تزال التجارة الخارجية بيد الأوربيين أما التجارة الداخلية فهي بيد الهوسا (البيول) المسلمين أو بيد النساء أما الثروة الحقيقية فكما ذكرنا هي الماس (شركتي دارنوت و بيربراتي) وقد اكتشف اليورانيوم في بداية الثمانينات . والواسطة الوحيدة للاتصال مع الخارج عدا الطائرة هو نهر الكونغو وفرعه نهر الأوبانجي ويمكن الوصول حتى برازافيل وطول الطريق النهري ١٢٠٠ كم[٢] ولا توجد لدى البلاد صناعة فهي فقيرة جداً وهي جزء من العالم المتخلف .

التاريخ : كان بارتيلمي بوغاندا (أحد الشخصيات الأفريقية التي كان يعتمد عليها الأستعمار الفرنسي) يحلم بأفريقية لا تينية تجمع بلاد أفريقيا الأستوائية الفرنسية الكاميرون وزائير سابقاً وكونغو برازافيل وأنغولا ، وهو الذي أعطي اسم جمهورية افريقيا

الوسطى ، ولكنه توفي في ٢٩ آذار ١٩٥٥ قبل الاستقلال الذي حدث في ١٣ أب ١٩٦٠ وقد أعطت الجمعية الوطنية أصواتها لابن عمه دافيد داكو الذي أصبح رئيساً للبلاد عام ١٩٥٩ وظل حتى عام ١٩٦٦ .

«وكانت افريقيا الوسطى مستعمرة فرنسية قديمة تسمى اوبانجي – شاري عام ١٩٠٥ ، ثم أصبحت عام ١٩٥٨ عضواً في المجتمع الأفرنسي الذي يماثل الكومونولث البريطاني باسم جمهورية أفريقيا الوسطى واستقلت عام ١٩٦٠ .

لقي دافيد داكو المقاومة من غوما الذي ترك M.E.S.A.N(حركة التطور الاجتماعي لافريقيا السوداء) وأسس M.E.D.A.C (حركة تطور أفريقيا الوسطى) ولكنها منعت من العمل عام ١٩٦٠ بينما استقرت حامية فرنسية في وسط أفريقيا ومع ذلك لم يمنع ذلك من تشكيل جيش عام ١٩٦٢ وتعتمد البلاد من الناحية الاقتصادية والميزانية على فرنسا .

اثر الأضطرابات التي حدثت في البلاد ترك داكو الرئاسة وأعطاها إلى رئيس الدرك عام ١٩٦٥ ولكن جان بيدل بوكاسا قام بانقلاب بمساعدة الجيش في ١ كانون ثاني ١٩٦٦ . وكان بوكاسا رقيباً في الجيش الفرنسي وحارب في فيتنام وبعد الانقلاب أصبح جنرالاً بعد أن ألغى الدستور وأصبح (MESAN) الميسان الحزب الوحيد ورغم أن الشعب قد استقبل بوكاسا بفرح وهو ابن عم دافيد داكو إلا أن بوكاسا أخذ يتجه بتصرفاته كدكتاتور متعسف وأعدم في نيسان ١٩٦٩ العقيد بانزا وكان مثله في القوة والنفوذ وقد استنكر العالم الخارجي تصرفات بوكاسا بخاصة قضائه على مظاهرات الطلبة بعنف وقسوة ، ثم أعلن عن نفسه رئيسا

للجمهورية وعين نفسه امبراطوراً لافريقية الوسطى عام ١٩٧٦ ، بعد أن صرف على حفله التتويج أكثر من مليوني دولار ، ثم بدأت البلاد تعاني من العزلة والأضطرابات ، وأخيراً عمل على التقرب من الليبين وأعلن إسلامه وتسمى بصلاح الدين وأخيراً قام الجيش الفرنسي بإبعاد بوكاسا عن الحكم وأعاد داكو إلى السلطة في ٢٠ أيلول ١٩٧٩ ويعود الثلاثة داكو وبوغاندا وبوكاسو إلى أقلية عرقية واحدة ولكن داكو لم يتمكن من الاستمرار في الحكم وقد اتجه هو الآخر اتجاهاً ديكتاتوريا ، لذلك أبعد عن الحكم وتسلم مكانه الجنرال اندريه كولينفا ، الذي أعلن عن دستور جديد للبلاد أعاد فيه الجمهورية ، ثم انتخب رئيساً لها عام ١٩٩١ على أساس تعدد الأحزاب . ١٩٩٣ انتخب (أنج - فيليكس باتاسيه رئيساً للجمهورية .

٢٠ – جيبوتي Djibouti

جمهورية جيبوتي :

– تقع جمهورية جيبوتي في افريقية الشرقية وتعتبر جزءاً من الوطن العربي وهي عضو في الجامعة العربية وتشكل جيباً ضمن أثيوبيه واريترية والصومال . تبلغ مساحتها ٢٣ألف كم[٢] وتشرف على خليج عدن بساحل طوله ٥٠٠كم وكان يطلق عليها سابقاً الصومال الفرنسي ثم أخذت اسم اقليم عفار – عيس الفرنسية وعدد السكان ٣٦٥,٠٠٠ نسمة ، وتعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية مع اللغة الفرنسية – العملة الفرنك ، ويتشكل شعب جيبوتي من ثلاث مجموعات الأولى قبائل العيس الصومالية ٤٧٪ – العفر (او الدناكل ٣٧٪) ثم ١٠٪ عرب والباقي أجانب أوربيون أو أحباش ويدين جميع السكان بالإسلام ونظام الحكم فيها جمهوري رئاسي وهي علمانية الاتجاه .

– المدن الرئيسية :

جيبوتي العاصمة يبلغ عدد سكانها ٣٦٥ ألف نسمة ، وهي ميناء بحري وفيها مطار دولي لذلك تعتبر عقدة مواصلات هامة عالمية وقد افتتح في جيبوتي منطقة حرة منذ عام ١٩٤٩ ، ولم يكتب لها النجاح وهي أيضاً نهاية الخط الحديدي الذي يربط جيبوتي بأديس أبابا وأهم المدن فيها : علي صبيح ٦ آلاف ، تاجوره ٤ آلاف ، دخيل ٦ آلاف ، أوبيك ١٥٠٠ رجل . الدخل السنوي للفرد ٤٥٥ – ٤٧٥ دولار ، ٣٠٪ من السكان رعاة .

– التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تعتبر جيبوتي اقليم صحرواي بتضاريس متغيرة وتقع حول

طرفي الأخدود العظيم الذي يدخلها من البحر الأحمر ويفصل الهضبة الحبشية وجيبوتي إلى قسمين ، وهي بلاد غير مستقرة من الناحية الطبيعية فهناك دائماً زلازل ، أخرها عام ١٩٧٣ أما طقسها فهو مداري جاف مع هبوب رياح المنسون (الموسمية) ولكن أمطارها قليلة (١٥٠)مم في العام ولكن كمية الأمطار تختلف من سنة إلى أخرى ويعتقد أنه في مرحلة ليست بعيدة من الزمن ستنفصل هي والقرن الأفريقي عن القارة وتشكل جزيرة ، وتعتمد القاعدة الاقتصادية في البلاد ليس على مواردها الداخلية بل على الهضبة الحبشية من جهة والصومال من جهة أخرى وعلى التبادل البحري مع السويس وطريق المحيط الهندي ، لا توجد فيها زراعات تقريباً كما أنها قليلة الموارد المعدنية وهي محدودة بالملح المستخرج من بحيرة العسل ثم حجارة الكالكير للأسمنت ، وقد تركزت الخدمات في جيبوتي المنظمة بيد عشرة آلاف من الأجانب وأغلبهم من الفرنسيين ، وتحرس جيبوتي مضيق باب المندب الذي يفصل البحر الأحمر عن المحيط الهندي (بحر العرب) وأغلب الدناكل من البدو الرحل يعيشون على تربية الماشية أما القبائل الصومالية فهي في سبيل الاستيطان في الجنوب وعلى العموم فجيبوتي بلاد فقيرة جداً ومع ذلك فالنمو السكاني يتزايد فيها بسرعة .

- **التاريخ** : نزل الفرنسيون في أوبك (أو أبوك) عام ١٨٦٢ وفي عام ١٨٨٨ انشئت جيبوتي وفي عام ١٨٩٦ أحتل الفرنسيون المنطقة وأسسوا ما يعرف بساحل الصومال الفرنسي الذي اقتطع من الحبشة مقابل إقامة خط حديدي يصل جيبوتي وأديس أبابا عاصمة الحبشة ، وقد تم بناؤه بين عامي ١٨٩٧ - ١٩١٧ ثم أصبحت جيبوتي اقليماً من أقاليم ما وراء البحار (الفرنسية

١٩٤٦) وحصلت البلاد على استقلالها الذاتي ، وبعد الاستفتاء الذي جرى في أذار ١٩٦٧ حيث تم التصويت لبقائها مع الفرنسيين وأصبح أسمها اقليم عفر – عيس الفرنسي بالرغم من مطالبة كل من الصومال والحبشة بها . وأمام المظاهرات السياسية دعمت فرنسا وجودها العسكري ولكنها تعرضت لضغط الرأي العام الدولي واضطرت إلى اعطاء البلاد استقلالها ، كما حصل الاستفتاء الذي جرى فيها على نتائج لصالح الاستقلال حيث صوت الناخبون ٩٨٪ بنعم للاستقلال ولكن الوجود الفرنسي ظل هاماً في إدراة البلاد ، ثم انتخب حسن جوليد ابتيدون ضمن الأستفتاء كرئيس للجمهورية وكان رئيساً لحزب الرابطة الأفريقية للاستقلال . التي حل محلها التجمع الشعبي من أجل التقدم ، وكان رئيس الجمهورية هو رئيس الوزراء أيضاً ولديه صلاحيات غير محدودة ، لقد وضعت البلاد منذ استقلالها عام ١٩٧٧ أمام تجارب قاسية اتتها من الخارج. علاقات تكاد تكون مقطوعة كاملاً من الناحية الاقتصادية مع الجيران . هبوط مفاجئ في نشاط جيبوتي . شك حول تطور في العلاقات العسكرية والاقتصادية مع فرنسا . تدفق اللاجئين من اثيوبيه والصومال على البلاد بسبب الحرب بين البلدين بخاصة من الأوغادين وهرر ، ومع ذلك لم يهدد استقلال البلاد من قبل جيرانها . والتجربة الحقيقية التي ظهرت هي المحاولة للابقاء على الوحدة الوطنية بين القوميتين العيس والعفر والذي كان دائماً يعيد المنال ويعود ذلك إلى أيام الأستعمار الفرنسي الذي اعتمد على العفر في البقاء الشرعي في البلاد . وقد وضع الاتحاد الهش خلال معركة الأستقلال وبعد الأستقلال قيد التجربة والواقعية منذ كانون أول ١٩٧٧ بسبب الأنقلاب الدموي المعروف باسم (ثمرة الزنك)،

تبع ذلك ابعاد رئيس الوزراء العفري السيد أحمد ديني وتفكك الحركة الماركسية العفرية مباشرة التي كان لها علاقة وثيقة مع الحكومة الثورية الأثيوبية (الديرغ) كل ذلك أدى إلى ابتعاد القوميتين عن بعضهما حسب تصريحات المسؤولين العفر . ومن جهة أخرى أدى اندماج ميليشيات الحركة القومية F.L.C.S التي قادت النظال ضد الفرنسيين والتي كانت مدعومة من قبل مقديشو في الحرس الوطني وفي نشاط الحياة السياسية ، إلى زيادة خوف العفر من الهيمنة الصومالية ، حاليا وعلى حد سواء حركة الجامعة الصومالية وحركة الجامعة العفرية يجتازهما تياران الأول تقدمي F.L.C.S و MPL . والآخر متحرر . إن الانفتاح على الحياة السياسية بسبب وجود حكومة تقدمية في كلا البلدين المجاورين جعل من الصعب قيام اتحاد للقوى الوطنية ، والحكومة التي كانت موجودة في ذلك الوقت وعلى رأسها حسن جوليد من العيس مع عبد الله كامل كرئيس للوزراء (وهو من العفار وكان رئيسا لمجلس الوزراء اعتبارا من تموز ١٩٧٦ حتى الاستقلال اضطرت إلى العمل على زيادة وانعاش الحياة الاقتصادية وهو الخط الوحيد المتاح للاحتفاظ بالوحدة الوطنية في مجتمع جيبوتي . ولكن التحالف بين القوميتين قطع في ٣٠ تشرين أول ١٩٧٨ حيث انفصل حسن جولير عن رئيس الوزراء عبد الله كامل ووضع في رئاسة الوزارة من العفر أيضا وهو (بارات غورات حمادو) أما الوزراء الجدد فقد أقسموا اليمين على أن يتبعوا سياسة رئيس الجمهورية ولم يعد هناك إمكانية لاستعادة الحياة الاقتصادية في البلاد لنموها سوى اتفاق يعقد بين الحكومتين الصومالية والأثيوبية على عدم التدخل في مشاكل جيبوتي ، أدى استبعاد العفر من الاشتراك بالسلطة في

البلاد بشكل قوي إلى حدوث اضطرابات تحولت إلى حرب أهلية يقودها أحمد ديني الذي يترأس جبهة اعادة الوحدة والديمقراطية وبلغت قمتها عام ١٩٩١ ورغم الاتهامات الموجهة من الجبهة المذكورة لحسن غوليد أبتيدون على أساس تقديمه لقبيلته الماماسان والاعتماد عليها في السلطة (وهي فرع من قبيلة عيس) على حساب الوحدة الوطنية إلا أن استفتاء عام ١٩٩٢ دعم بخاصة سلطة الرئاسة أي حسن جوليد وقد أقر الأستفتاء التعددية الحزبية وتم تعديل الدستور واعترفت الحكومة بحزبين معارضين هما الحزب الوطني الديمقراطي بقيادة آدن روبليه عواليه وحزب التجديد الديمقراطي بزعامة محمد جامع علابي على أساس إجراء انتخابات رئاسية تحت إشراف دولي ، كما استطاعت الحكومة استعادة كل الأراضي التي استولت عليها الجبهة بين حزيران وتموز عام ١٩٩٣ في الوقت الذي كذبت فيه المعارضة ادعاءات الحكومة .

٢١ - جزر القمر - ارخبيل جزر الكومور Comores
- الجمهورية الفيدرالية الإسلامية لجزر القمر

يقع ارخبيل جزر القمر في المحيط الهندي . ويقال أن العرب عندما وصولها كان القمر بدراً لذلك اطلقوا عليها اسم جزر القمر الذي تحول إلى اسم الكومور ويتشكل الأرخبيل من أربعة جزر كبرى هي جزيرة القمر الكبرى وعدد سكانها ١٦٣ ألف نسمة وأنجوان ١١٨ ألف نسمة وتسمى الجزيرة المعطرة وجزيرة مهيلي ١٥,٥٠٠ ألف نسمة وجزيرة مايوت ٣٩ ألف نسمة . وتنتشر الجزر على شكل قوس في مدخل مضيق موازمبيق وتبعد عن مدغشقر ٣٥٠كم في الشمال الغربي ، و٢٥٠ كم من ساحل موزامبيق . ويطلق عادة على الجزر الأولى نفازيجا ومساحتها ١١٤٧كم٢ وعلى الثانية ندزواني ومساحتها ٤٢٥كم٢ والجزيرة الثالثة موهيلى يطلق عليها مولي ومساحتها ٢٩٠كم٢ أما الجزيرة الرابعة فلا يتغير اسمها مايوت ومساحتها ٣٧٥كم٢ ومجموع مساحة الجزر ٢٢٠٠كم٢ ولا تعتبر جزيرة مايوت حالياً من ضمن جمهورية جزر القمر لأنها تتبع فرنسا ، يبلغ عدد سكان الأرخبيل (٥٠٠) ألف والكثافة العامة ١٧٨ بالكم٢ وفي الجزيرة الكبرى الكثافة ١٢٢ بالكم٢ وفي انجوان ٢٦٦بالكم٢ وفي مايوت الكثافة ١٠٩بالكم٢ ، موهيلي الكثافة ٤٣ ويقطن ٩٩٪ في الأرياف ، وتعتبر اللغة السواحيلية المشتقة من العربية ، اللغة الرسمية وكذلك اللغة العربية والفرنسية ، والعملة هي الفرنك ويتكون المجتمع القمري من عائلات أصلية ومهاجرة غالبيتها الساحقة مسلمة وهناك أقلية مسيحية في مايوت . ويتميز الشعب باختلاط كبير فهناك المهاجرون من ماليزيا ثم المهاجرون العرب من تجار وغيرهم

حيث اختلطوا مع شعوب الكلافاس وشعوب الملغاس الأخرى ، وكذلك من الذين قدموا من الساحل الأفريقي كعبيد وأكبر مجموعة سكانية هي الأنتالاوترا وهم أيضاً من مزيج ، لكن أغلب هذه الشعوب قد امتزجت بالعرب واستعربت وأخذت تتكلم اللغة العربية وأصبحوا مسلمين وتستخدم حالياً اللغة السواحلية في التجارة ويمكن أن نجد أن نصف السكان يعيشون في جزيرة القمر الكبرى وثلثهم في انجوان وهناك هجرة مكثفة من الجزر إلى مدغشقر . ونظام الحكم في الأرخبيل فدرالية رئاسية وهي جزء من الوطن العربي الكبير وعضو في جامعة الدول العربية .

- المدن الرئيسية :

- ماروني : وهي العاصمة وتقع في جزيرة القمر الكبرى (نفازيجا) وعدد السكان ١٩,٨٠٠ وأهم المدن موتسامودو وعدد سكانها عشرة آلاف وتقع في جزيرة انجوان .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تعود تضاريس الجزر لأصول بركانية وتتشكل من هضاب تهبط بقوة نحو الشاطئ مشكلة عادة سهولاً صغيرة ضيقة . وفي مايوت يصل ارتفاع الهضبة إلى ٦٦٠م ، أما في أنجوان فيصل ارتفاعها إلى ١٥٧٨م أما في موهيللي فيصل إلى ٣٣٠م فقط ولكن أعلى الجبال هو في القمر الكبرى حيث يوجد جبل كارتالا وارتفاعه ٢٣٦١م وطقس الجزر على العموم استوائي معرض للرياح البحرية الموسمية المختلفة وترتفع درجة الحرارة وتهبط على أساس الارتفاع ، والفصل الجاف يبدأ من مايس حتى تشرين أول أما فصل الأمطار فيمتد من تشرين ثاني حتى نيسان ، ويحمل في

طياته بعض الأحيان عواصف وتيارات هوائية كبيرة . ويعتمد الاقتصاد في الجزر على الزراعات الخاصة بالتصدير وأهمها بالانغ يالانغ (المستخدم في الروائح العطرية ثم القرنفل والفانيلا وهي ثاني انتاج عالمي بعد مدغشقر ثم الكوبرا جوز الهند وتتغير أسعار هذه المواد مع تغير الأسواق العالمية وهذه الزراعات التجارية فقط ، تضطرهم دائماً لاستيراد المواد الغذائية ولا يشكل الصيد عادة مادة رئيسية للتصدير ، وهناك ١٦٪ من الأراضي غابات ، أما الصناعة فهي محدودة ببعض معامل عائدة للمواد الانتاجية للتصدير مثل تجفيف الكوبرا وكذلك تجفيف زهر القرنفل وتحسين وتحضير الفانيلا والبالانغ يالانغ ويعتبر الأرخبيل من الدول المتخلفة والدخل السنوي للفرد ١٩٧٨ (١٦٠ دولار فقط) وتنتج في البلاد الكاسافا والبطاطا الحلوة) والرز الجبلي ، بالإضافة إلى وجود البقر والماعز . وتصدر الأعشاب الصناعية خصوصاً الفانيليا والقرنفل . وقد تطورت السياحة فيها تطوراً كبيراً في الفترة الأخيرة .

- **التاريخ** : ظهرت جزر القمر على الخريطة عام ١٥٢٧ م حيث وضعها الجغرافي البرتغالي ديغو روبرتو ولكن أول من زارها من الأوربيين هو جيمس لانكستر البريطاني في عام ١٥٩١ ولكن العرب استوطنوها منذ أزمان مغرقة في القدم ويقال ان العائلات العربية وصلتها في زمن الملك سليمان ودخلها الإسلام عن طريق العمانيين في القرن الحادي عشر وتعرضت لغزوات شعوب الملاغاش في القرن التاسع عشر قبل الاحتلال الأفرنسي ١٨٤٣ حيث تمركز هؤلاء في جزيرة مايوت ثم احتلوا فيما بعد الجزر الثلاث عام ١٨٨٦ وقد وضعوها تحت الحماية الفرنسية وكانت تتبع الحاكم العام في جزيرة مدغشقر منذ عام ١٩١٤ وأخيراً أصبحت أحدى

مقاطعات ما وراء البحار الفرنسية ١٩٤٧ ثم حصلت على الاستقلال الاداري وتم التأكيد على ذلك بموجب استفتاء عام ١٩٥٨ ، وفي عام ١٩٦٠ حصلت البلاد على استقلالها الداخلي ولكن السكان صوتوا لصالح الاستقلال التام عن جزيرة مايوت التي صوتت للبقاء تحت الحكم الفرنسي في ٥ شباط ١٩٧٨ بالرغم من رفض حكومة جزر القمر والأمم المتحدة الاعتراف بذلك وجعلت فرنسا من الجزيرة مقاطعة تعاونية خاصة .

كان أول رئيس للجمهورية هو أحمد بن عبد الله عبد الرحمن إلا أن انقلاباً في ٣ آب ١٩٧٥ قامت به الجبهة المتحدة المعارضة أطاح بالرئيس أحمد عبد الله الذي هرب إلى فرنسا رغم أنه يعتبر بطل استقلال الجزر وقد حل محله علي صويلح الذي كان لديه اتجاهات اشتراكية . وبعد ثلاثة أعوام وبسبب الصعوبات الاقتصادية والسياسية التي استدعت القيام بعملية اصلاحية ابعد معها الرئيس علي صويلح الذي قتل في ١٣ مايس ١٩٧٨ ، وقد عاد الرئيس السابق أحمد عبد الله إلى موروني وأصبح يحكم البلاد مع محمد أحمد نائبه ، ومجلس عسكري مدني ، وتم الاستفتاء على بقائه في الحكم حيث حصل على ٩٠٪ من الأصوات وقد جرى الاستفتاء في ١ تشرين أول ١٩٧٨ . ولكن الأجراءات التعسفية الحكومية وبقائها تعتمد على المرتزقة بالرغم من ابعاد (بوب دينار الفرنسي زعيم المرتزقة لم تكن كافية لاعادة الهدوء والطمأنينه ومنذ ١٨ كانون ثاني ١٩٨٠ أخذت حكومة جزر القمر تطالب بجزر غلوريوس التي تطالب بها مدغشقر ، وقد قتل الرئيس أحمد عبد الله عبد الرحمن عام ١٩٨٩ بعد حركة انقلاب قام بها مرتزقة فرنسيون مع حرسه الخاص وفي عام ١٩٩٠ استلم سعيد محمد

جوهر رئاسة الجمهورية وفي تشرين أول عام ١٩٩٥ تكررت المأساة في جزر القمر حيث قام المرتزقة برئاسة بوب دينار الفرنسي باحتجاز رئيس الجمهورية جوهر ونصب أحد ضباط الحرس الرئاسي الكابتن كومبو زعيماً لانقلابه ولكن التدخل الفرنسي وضع حداً لحكم المرتزقة حيث ألقي القبض على زعيمهم بوب دينار ونقل إلى فرنسا لمحاكمته أما الرئيس جوهر فقد نقل إلى جزيرة لاريويون الفرنسية الواقعة في المحيط الهندي لإجراء الفحوص الطبية مما يدل على أنه أبعد عن البلاد نهائياً بعد حكم غير مستقر دام خمس سنوات تقريباً . وقد رفضت كل التكتلات السياسية التعاون مع المرتزقة .

وقد سيطر على البلاد رئيس الوزراء محمد كعب الياشورطي الذي لجأ أيام الانقلاب إلى السفارة الفرنسية في موروفي والذي دعا إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية تضم ممثلين للمعارضة والحزب الحاكم وأخيراً أعيد جوهر إلى جزر القمر كرئيس للجمهورية في نهاية عام ١٩٩٥ .

* * * *

٢٢ - الموريس

- جزر الموريس ilos Maurice ويطلق عليها الأنكليز جزر موريتيوس Mauritiuse . بـ اوموريشوس

دولة (جزيرة) تقع في المحيط الهندي وهي أحدى جزر ارخبيل ماسكاري الذي يتألف من جزيرة الريبينيون الفرنسية وجزر موريس، ورروديغو وسانت براندون . وتبعد موريس عن الريبينيون ٢٥٠كم شمالاً شرقياً وتبعد عن جزيرة مدغشقر ١١٠٠ وتقع على الطريق البحري الذاهب من رأس الرجاء الصالح نحو الهند واستراليا. مساحة الجزر كاملة ٢٠٤٥كم٢ ، منها ١٨٦٥كم٢ مساحة جزيرة موريس وطولها ٦١كم شمال جنوب وعرضها ٤٧كم شرق غرب وتتبعها جزيرة روديغو ١٠٠كم٢ مع عدد من الجزر أهمها آغاليفا وكارغادوس وكاراجوس وتبعد عن بعضها بالتوالي ٥٨٥كم إلى الشرق ٩٣٥للشمال و٣٦٠كم إلى الشمال الشرقي . وطقسها نموذج مداري بحري والحرارة معتدلة بسبب تأثير البحر في الشتاء ١٣ درجة في الصباح و١٩ ظهراً أما في الصيف فهي ١٩ صباحاً و٢٥ ظهراً . يبلغ عدد سكان الجزر مليون نسمة . نظام الحكم جمهوري رئاسي برلماني ديمقراطي وهي ضمن الكومونولث البريطاني أما اللغة الرسمية فهي الأنكليزية ثم الفرنسية بالنسبة للسكان (الكريول) من أصول فرنسية أما العملة فهي روبيه موريشوس ، السكان من أصول مختلفة ٦٨٪ هنود والباقي (كريول فرنسيون) ثم صينيون وعناصر أخرى محلية والديانة ٥١٪ هندوس، ٣٣٪ مسيحيون ، ١٦٪ مسلمون ، وتبلغ الكثافة في الجزيرة (٥٤٠) بالكم٢ .

– **المدن الرئيسية :**

بورت لويس : عاصمة الجزيرة (١٤٢) ألف نسمة ، كوربيب مركز سكني ٥٤ ألفاً ، روز هبل ٨٣ ألف نسمة .

– **التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :**

الجزر ذات طبيعية بركانية في الوسط ترتفع الهضاب العالية وعلى السواحل توجد السهول الضيقة التي تخترقها الممرات المائية المنحدرة من الجبال فتنتج البلاد تقليديا ، السكر والشاي وقد عرفت هذه المواد انهيارا في الأسعار في سنين الثمانينات . أدى وجود المنطقة الحرة إلى جذب عدد من المشاريع الأجنبية ٣٨٪ من الفعاليات الصناعية والسياحة في تطور سريع مع تطور مصرفي جيد مما أدى إلى مضاعفة الدخل الفردي السنوي عام ١٩٧٩ (٧٨٠ دولار) والزيادة السنوية بين عامي ١٩٧٠ – ١٩٧٦ كانت ٦,٣٪ وتمتص السوق الأوربية المشتركة ٨٠٪ من صادرات البلاد .

– **التاريخ** : اكتشف البرتغاليون الجزيرة ١٥٠٧م ثم وصلها الهولنديون الذين استعمروها وتمركزوا فيها بعد عام ١٥٩٨ وهم الذين اعطوها اسم اللاتيني موريس وذلك لتكريم موريس ناسو الذي أنهى السيطرة الأسبانية عام ١٦١٩ على الأراضي المنخفضة وفي عام ١٧١٥ احتل الفرنسيون الجزيرة ثم احتلها الأنكليز عام ١٨١٠ وقد اعطيت نهائياً للأنكليز عام ١٨١٤ بعد معاهدة باريس. وقد عرفت البلاد أزمة كبيرة في نقص اليد العاملة لمزارع السكر بعد الغاء تجارة العبيد عام ١٨٣٥ لذلك تم استدعاء كثير من الهنود وقد حصلت على استقلالها عام ١٩٦٨ وعدا فترة قصيرة مرت على البلاد تحت سيطرة الأحزاب السياسية اليسارية ١٩٨٢

- ١٩٨٣ أصبحت البلاد تحت نفوذ اليمين المحافظ والتي أخذت في حماية مصالح الأكثرية الهندية وهي تطالب حالياً بالسيطرة على خليج شاكوس (جنوب جزر المالديف) وأهم جزر الأرخبيل المذكور ديغو كارسيا حيث توجد فيها إحدى أكبر القواعد الأمريكية الكبرى في الخارج . وتحتل بريطانيا الأرخبيل المذكور .

جزيرة ريبونيون REUNION : جزيرة في المحيط الهندي تشكل مقاطعة افرنسيه لما وراء البحار ساحتها ٢٥٢٢ كم[٢] وعدد سكانها ٥٩٧,٨٢ نسمة وأهم مدنها سان بول - سان بينوت وسان ببير .

اقليم الجزيرة مداري معتدل لكونه جزيري وفي الداخل بسبب الارتفاع ولكنه معرض دائماً للعواصف ، وهي مشكلة من كتلة كبرى بركانيه ارتفاعها ٣٠٦٩ مكسوة بالثلج وعلى سفوحها وأسفلها تقوم زراعات الفانيلا والزراعات الفطرية ، بخاصة قصب السكر ويشكل السكر والروم المادتين الرئيسيتين للتصدير بخاصة السكر وزيادة السكان تعرقل نمو الاقتصاد .

- **التاريخ** : ١٥٢٨ كشفها البرتغليون ١٦٣٨ احتلها الفرنسيون وأطلقوا عليها (البوربون) ١٦٦٤-١٧٦٧ وضعت تحت ادارة شركة الهند الشرقية الفرنسية وذلك لتنمية زراعة القهوة والتي تطلبت جلب اليد العاملة من افريقية ١٧٩٣ أخذت الجزيرة اسمها الحالي في بداية القرن التاسع عشر تمت زراعة قصب السكر في عام ١٨٤٨ الغي الرق ، ١٩٤٦ أصبحت الجزيرة مقاطعة من مقاطعات وراء البحار الفرنسية ١٩٨٣ انتخب فيها أول مجلس اقليمي وأغلب سكان الجزيرة من السود والفرنسيين (الكريول المخلطون .

٢٣ – جزر ارخبيل سيشل :

ارخبيل سيشل Seychelles

– تقع دولة (جمهورية) سيشل في المحيط الهندي وتتألف من حوالي مائة جزيرة منتشرة في المحيط الهندي وتبعد عن شمال شرق مدغشقر ١,٠٠٠كم و ٢,٠٠٠كم عن الساحل الأفريقي ويتوزع الأرخبيل إلى أربعة مجموعات أولها مجموعة سيشل الرئيسية وهي جبلية من أصل بركاني ، ومجموعة من الجزر المرجانية ، ومجموعة الأميرانت والديرا ، ورابعا مجموعة الفاركوهار ، وتخضع جميعها لنفس التأثير البحري وتتمتع سيشل بطقس جميل مستقر (٢٥ درجة إلى ٣٢ درجة) ويمتد الطقس المعتدل من مايس حتى أيلول وتهب عليها رياح الأليزة من الجنوب الشرقي أما الرياح القوية أو الأعاصير فهي نادرة وحتى فصل الأمطار الذي يمتد من كانون أول حتى مايس ، والأرخبيل عموما بمنأى عن التيارات الهوائية بسبب موقعه الجغرافي .

تبلغ مساحة الأرخبيل (٤٤٣كم٢) والجزيرة الرئيسية فيه هي (ماهي) وتضم ٩٥٪ من السكان البالغ عددهم (٦٧) ألف ويوجد فيها العاصمة فكتوريا وعدد سكانها (٢٥) ألف نسمة ونظام الحكم في البلاد جمهوري وهي عضو في الكومونولث البريطاني والعملة ، هي الروبية (دولار تقريبا) والدخل الفردي السنوي ٤٦٠ دولار ، اللغة الرسمية الكريول المحرفة من اللغة الفرنسية ثم اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية وأغلب السكان مزيج (كريول) من أصول فرنسية وأغلب السكان من الكاثوليك ٩٠٪ ثم الأنكليكان الأنكليز .

- **الحياة الاقتصادية :**

يعود ازدهار الاقتصاد في جزر سيشل إلى السياحة وصيد التونة ، يقابل ذلك تراجع في الحياة الزراعية زراعة جوز الهند (الكوبرا ، قصب السكر ، الفانيلا) ويعود ذلك إلى أن أغلب المؤسسات السياحية قد اقيمت على المناطق الزراعية القليلة وكذلك المناطق السكنية التي خصصت لسكن الأجانب خلال قسم من العام وتصدر مع ذلك حتى الآن جوز الهند وقصب السكر والفانيلا وهي مضطرة لجلب القسم الأكبر من موادها الغذائية من الخارج .

- **التاريخ** : عرفها التجار العرب منذ العصور القديمة وارتادها البرتغاليون في القرن السادس عشر ولكن الفرنسيين هم الذين استعمروها عام ١٧٧٠ في القرن الثامن عشر ولكنها احتلت من قبل الانكليز عام ١٨١٠ خلال الحرب النابليونية وقد منحت الاستقلال في ٢٨ حزيران ١٩٧٦ ومنذ ذلك التاريخ جرت تغييرات كثيرة في حياة البلاد السياسية فأول حكومة بزعامة جيمس مانشام تميزت باتجاهاتها الليبرالية (الفوضوية) ولم تكن تقيم أي وزن للمطالب الاقتصادية بل عملت على تقوية السياحة على حساب الأراضي الزراعية ولكن الحكومة المذكورة أبعدت في ٥ حزيران ١٩٧٧ من قبل حزب فرانس البرت رينيه S.P.U.P ولكن الرئيس السابق مانشام لم يركن للهدوء وقام بعدة محاولات انقلابية ولكي تضمن الحكومة افشال كل محاولة تأتي من الخارج للاطاحة بها عمدت إلى تشكيل الميليشيات من الطلاب ونقابات العمال ولكنها اصطدمت بأباء الطلاب فقد فرضت الحكومة الخدمة العسكرية على الجنسين الذكور والإناث .

٢٤ - رواندا

جمهورية رواندا Ruanda أو Rwanda

تقع جمهورية رواندا في أفريقيا الشرقية بين زائير وبوروندي وتنزانيا وأوغندا وهي بلاد داخلية بعيدة عن السواحل البحرية تبلغ مساحتها ٢٦,٣٣٨كم٢ وعدد سكانها ٧ مليون نسمة والكثافة السكانية ١٩٧,٣٤بالكم٢ ونظام الحكم فيها رئاسي جمهوري . وتعتبر اللغة الرسمية الفرنسية ، وتستعمل فقط للتجارة والدبلوماسية أما اللغة الرئيسية فهي لغة (كينيا رواندا) وهي لغة وحيدة وينتشر في البلاد الأعراق التالية : ٨٥٪ هوتو ، ١٠٪ التوتسي ، و١٪ تواس والعملة فرنك روندي وأما الديانات فهي ٣٠٪ ديانات محلية، ٥٠ كاثوليك ، ١٢٪ بروتستانت ، ٨٪ مسلمون .

المدن الرئيسية :

كيغالي : عاصمة رواندا وعدد سكانها (١١٦ ألف نسمة) وهي مركز تجاري وعمل الآرتيزانا ومن المدن المهمة (بوتاربه ٢٠ ألف وروبا بحيري ١٥ ألف جيسعيني ١٥ ألفاً) .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

رواندا بلاد مرتفعة بركانية المنشأ ويصل أعلى ارتفاع فيها إلى (٤٥٠٧م) في الشمال في قمة فيرونغا ، وتطل رواندا من الغرب على بحيرة كيفود وفي الشرق على منطقة الألف تل حيث يتركز أغلب السكان أما الطقس فهو استوائي وتتناسب الحرارة مع الأرتفاع . ٩٥ من السكان يعيشون في الريف ويقومون بالزراعات الغذائية (المحلية) البطاطا الحلوة . المانيوك ، الذرة البيضاء ، بالإضافة إلى الثروة الحيوانية من الأبقار ، وتصدر القهوة والشاي وكذلك

معدن القصدير والتطوير الاقتصادي صعب بسبب وجودها داخل القارة بعيداً عن البحر مع ازدياد كبير بالسكان يضاف إلى ذلك الحروب الأهلية التي ابتدأت منذ عام ١٩٩٠ .

– **التاريخ** : كانت البلاد مأهولة منذ القدم من قبل المزراعين الهوتو (أصول بانتو) Hutu ولكن في القرن الخامس عشر غزتها أقوام التوتسي Tutsi وهم من الرعاة النيليين الذين قدموا من الشمال وفرضوا أنفسهم ونظامهم وأبقارهم على المزراعين الهوتو كما فرضوا حكمهم وملكهم عليهم . ويعتقد أن هؤلاء التوتسي يمتون بصلة إلى شعب الغاللا الذين يشكلون قسماً رئيسياً من شعوب اثيوبيا وقد شكل التوتسي الطبقة الحاكمة في البلاد وهم من رعاة البقر . وأخيراً استعمرت البلاد من قبل الألمان اعتباراً من عام ١٨٩٤م وشكلت الأقليم الثالث عشر في افريقيا الألمانية ، وفي عام ١٩١٦ م فتحها البلجيكيون القادمون من زائير (كونغوليوبولدفيل) خلال الحرب العالمية الأولى واعتباراً من عام ١٩٢٤م وضعت رواندا وبوروندي تحت الوصاية البلجيكية من قبل عصبة الأمم المتحدة ثم ضمت إلى الكونغو ١٩٢٥ ، وقد أبعد الملك (من التوتسي) عام ١٩٦١ وأعلنت الجمهورية من قبل الهوتو الأكثرية ، وبذلك انتهى حكم الأقلية وأصبحت جمهورية مستقلة اعتبارا من عام ١٩٦٢ وأصبح أول رئيس جمهورية لها هو غرايغوار كايياندا Kayibanda ، وكان عضواً في الجمعية الوطنية عام ١٩٥٩ مرشحاً من حزب البارميهوتو «حزب حركة تحرير الهوتو» وقد ظل في الحكم حتى عام ١٩٧٣ وخلال حكمه ازدادت الصعوبات الاقتصادية والخلافات القبلية حيث حاول التوتسي القيام بثورات عدة ١٩٦٦ – ١٩٧٣ – ١٩٩٠ ، (أبعد منهم خارج البلاد ٥٠٠

ألف في أوغندا لوحدها) وأشهرها عـام ١٩٦٣ الـتي سببت أبـادة جماعية كـان ضحيتهـا التوتسـي وفي ٥ تمـوز ١٩٧٣ قـام انقـلاب عسـكري حمـل إلى السـلطة الجـنرال جوفينيـال هـابي يازيمانـا Habyarimana الـذي علـق دسـتور عـام ١٩٧٣ وألغـى حـزب بارميهوتو ، ووضع حـداً للنظـام البرلمـاني وأبعـد رئيـس الجمهوريـة السابق الذي ظل في الحكـم منـذ عـام ١٩٦٢ وقـد وضـع دسـتوراً جديداً بعد إجراء استفتاء عام ١٩٧٨ وتم انتخاب الجنرال المذكـور هابي يازيمانا رئيساً للجمهورية في نفـس العـام ثـم أعيـد انتخابـه في عام ١٩٨٣ وعام ١٩٨٨ ولقد اشتهر المذكور بانتصـاره في عمليـة السلام والتمدن وهو من الهوتو وكان رئيساً للأركان عام ١٩٧٣ ، كما اشتهر بسحقه كل ثورات التوتسي ولكنه كـان يظهـر وكأنـه الرجـل الوحيـد الـذي يسـتطيع أن يؤمـن المصالحـة الوطنيـة بـين القوميتين.

لقد جهزت الجمهورية الثانية بعد خمس سنوات من تأسيسـها بدستور وقد تم تأسيس حـزب M.R.N.D عـام ١٩٧٥ وكـان يضـم خليطاً من العسكريين والمدنيين ويبدو أنه نجح إلى حد مـا في تهدئـة الخلاف الدموي بين القوميتين . وقد عملـت روانـدا في زمنـه علـى إقامة علاقات جيدة مع زائير وبورونـدي بـالرغم مـن الخـلاف بـين الطرفين . وكانت بورونـدي تسـتقبل بترحـاب اللاجئين التوتسـي وقد عقد المؤتمر الفرنسي الأفريقي عام ١٩٧٩ في كيغـالي . كـانت هـذه الدولـة الصغيرة تعمـل علـى تـأكيد هويتهـا ووجودهـا كأمـة مستقلة ضمن المجتمع العالمي .

وأخيراً وفي عام ١٩٩٠ نشبت الحـرب الأهليـة وقـد تصـدى الجيش الحكومـي للجبهـة الروانديـة F.P.R وأغلبيتهـا مـن التوتسـي

وأدت هذه الحرب المدمرة إلى هـرب مليـون شـخص مـن اللاجئـين حيث تدخلـت القـوات الفرنسـية في تشـرين ثـاني ١٩٩٠ وشـباط ١٩٩٣ عملية توركواز وذلك لدعم نظـام (هـابي يازيمانـا) وقـد تم اتفـاق سـلام بـين الأطـراف المتصارعـة في أذار - ١٩٩٣ ، وفي ٦ نيسان ١٩٩٤ وقع انقلاب عسكري بعد سقوط الطائرة التي كانت تقل يازيمانا ورئيس جمهورية بورونـدي وكـانت الرئاسـة في الواقـع ضمانة لوحدة الحكم ولكن فريقاً من الهوتو الحـاكمين انشـقوا عـن الحكم (الهوتو) والتحقوا بالمعارضة التوتسية المنضوية في أطار الجبهـة الوطنية الرواندية بزعامة الجنرال بـوب غـامي في حـين يتـولى قيـادة القوات الحكومية الجنرال اوغسطين بـيزيمنغو وقـد أدى هـذا الهـرب لتضعضع الكتلـة الحاكمـة وإلى فـوز الجبهـة الوطنيـة الروانديـة الـتي شنت هجوماً شاملاً وسريعاً تمكنت خلاله من احتلال شمـال البـلاد وشرقها وبعد ذلك استطاعت احتلال العاصمة كيغالي وخلال هـذه الفترة جرت بين الطرفين مذابح رهيبة لم يسمع بمثلها من قبل .

٢٥ – زائير Zaire

جمهورية زائير (الكونغو كينشاسا سابقاً أو الكونغو ليوبولدفيل)

تقع زائير في افريقيا الأستوائية يحدها من الشمال جمهورية أفريقيا الوسطى والسودان ومن الجنوب أنغولا وطول حدودها مع زائير ٢٦٠٠كم ، وزامبيا ومن الشرق أوغندا ورواندا وبوروندي ، ومن الغرب كونغو برازفيل وكذلك جيب كايبندا التابع لأنغولا حيث آبار البترول الأنغولية ويبلغ طول حدودها ٩٦١٥كم وليس لها سوى ٤٠ كم من الساحل حيث يخرج نهر الكونغو (زائير) بشلالاته الكثيرة ، تبلغ مساحة الكونغو (زائير) ٢,٣٤٤,٢٨٥كم٢ وعدد سكانها ٣٤ مليون والكثافة ١٢في الكم٢ وشعب زائير شعب خليط ٥٠٪ من البانتو والباقون من الأقزام والسودانيين ويصل عدد الأقزام أكثر من ٣٠٠ ألف وأهم الشعوب (العروق) بواكا – كونغو – كوانغو ، طويلو ، لواندا ، تشوكوه ، لوبا ، بالوبا ، لولوا ، مونغوي ، التوتيلا سونج – الزنـد – ويوجد حوالي ٤٠٠ لهجة ولغة ، أما اللغة الرسمية فهي اللغة الفرنسية أما أشهر اللغات التي يتكلم بها السكان فهي لينفالا سواحيلي كيفيننو ، والعملة زائير، أما الديانات المنتشرة فهي ٥٠٪ يدينون بالديانات المحلية ويوجد فيها أكثر من ١٢ مليون مسيحي أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم بخاصة في شرق البلاد وهم من أصول عربية ، وهناك مذهب مسيحي خاص يقال له توفيقي بين الأديان وكنيسه مسيح زائير E.G.Z وقد تأسست من قبل سيمون كيميانغو عام ١٩٢١م وعددهم أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة ، والدخل الفردي السنوي ٢١٠ دولار ، وتعتبر زائير ثالث دولة افريقية من حيث المساحة بعد السودان والجزائر .

- المدن الرئيسية :

كينشاسا : وهي عاصمة البلاد وكان يطلق عليها ليوبولدفيل وهي ميناء على نهر زائير وعدد سكانها ٣ مليون نسمة وتعتبر مركزاً صناعياً بخاصة الصناعات الغذائية والنسيج والتبغ وفيها مصفاة للبترول وترتبط بميناء ماتادي بخط حديدي وأهم المدن :

كانانجا : (لولوابورغ) سكانها ٥٠٠ ألف وتقع على نهر لولوا وهي عاصمة مقاطعة الكاساي الغربية . لومباشي : (اليزابيت فيل سابقاً) عاصمة اقليم كتنغا سابقاً (شابا) حالياً وعدد سكانها ٥٤٣,٢٧٠ وهي أيضاً عاصمة النحاس وفيها النحاس وبعض الصناعات الغذائية والعامة عصير الزيت ، معمل للسجاير .

كيسنغاي : ستانلي فيل سابقاً وتقع على نهر الكونغو (زائير) وعدد سكانها ٢٩٨,٠٠٠ ألف .

كيلورة ١٥٠ ألفاً ، كلويزه ١٥٠ ألفاً ، بوكافو ١٨٥ ألفاً .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تتألف البلاد من الثلثين الشرقيين لمنخفض زائير . وتستند في الشرق على أعلى مرتفعات أفريقيا الشرقية ، جبال القمر و(روينزوري) ٥١١٩م وفي الأخدود العظيم توجد بحيرات موبوتو - ادوارد - كيفو وتنغانيكا وتحدد هذه السلسلة من البحيرات الحدود الشرقية للبلاد ، هضاب وتلال تشكل القسم الأكبر من التضاريس ثم السهول المستنقعية المحيطة بنهر زائير وروافده وطول النهر ٤٨٠٠ كم بغزارة ٤٠ الف م٣ بالثانية . وطول الطرق النهرية الصالحة للملاحة ١٤١٦٦كم والقسم الأكبر من الحوض المطيري الأوسط مغطى بالغابات الكثيفة الأستوائية ولا يوجد فيها

إلا أقسام بسيطة يعيش فيها عدد قليل من السكان بسبب ذبابة تسه تسه ويتمركز السكان في السهول الشرقية العالية . بالإضافة إلى الثلث الجنوبي للبلاد حيث تنتشر الغابات المتفرقة مع مناطق السافانا (منطقة كينشاسا شابا (كتنغا سابقاً) وهناك أندفاع متزايد نحو المدن ٤٠٪ من السكان مع عدم وجود أية تدابير وقائية أو اجتماعية من خطر الأصابة بالأيدز (السيدا) .

الأقتصاد : يعيش أكثر من ٧٠٪ من السكان في الأرياف والزراعات الرئيسية هي : المانيوك ، الذرة البيضاء والصفراء) وجميعها موجهة للاستهلاك المحلي ومع ذلك فتضطر زائير لاستيراد المواد الغذائية من الخارج ، أما الزراعات التجارية فهي (الكاوتشوك - الكاكاو - زيت البالم في المناطق الغابية ، ثم القهوة والقطن والشاي في مناطق السافانا ، وقد أهملت منذ الاستقلال ولكن بعد عام ١٩٨٠ أعيدت زراعة القهوة والشاي وزيت البالم وكذلك الاستثمار المحدود للغابات .

وتتمركز المواد المنجمية في منطقة شابا (كتنغا) وتعتبر زائير من البلاد ذات الأهمية الكبرى بإنتاج الكوبالت ، النحاس ، وكذلك الذهب والماس ، ومجموعة كبيرة من الموارد المعدنية (الزنك - المنغنيز ، اليورانيوم) لكن كل هذه المواد ذات إنتاج ضعيف وهناك قليل من البترول . وتنتج الطاقة الكهربائية على سد اينغا في أسفل نهر زائير بعد كينشاسا وهو لا يعمل إلا بربع طاقته ، ومنذ عام ١٩٦٩ أخذت الحكومة بتشديد المراقبة على كل الشركات المنتجة للنحاس ، ولكن الاستثمارات الأجنبية (بلجيكية بخاصة) لا تزال قوية ، وبالرغم من تمتع البلاد بإمكانيات ضخمة يئن اقتصاد زائير من الضعف وتواجهه مشكلات صعبة منها انعدام الأنفتاح

على البحر وكذلك عدم وجود شبكة تجارية كافية كما أنها تخضع للقرارات السياسية وتقلبات الأسعار العالمية .

– **التاريخ** : أول من ارتاد الكونغو (زائير حالياً) البرتغاليون في القرن الخامس عشر وهم في طريقهم لفتح طريق الهند ، وعند وصولهم كانت دولة الكونغو دولة ممزقة وتسود فيها الاضطرابات المحلية وقد استنفدت اليد العاملة بسبب تجارة الرقيق الأسود وعندما شرع ليوبولد الثاني في استعمار المنطقة اعترف بشرعية الملك البلجيكي ثم أصبحت مستعمرة بلجيكية عام ١٩٠٨ ، وبالاستناد إلى موظفين أدرايين أكفاء وعلى البعثات التبشرية الكاثوليكية القوية وعلى الشركات الخاصة طورت بلجيكا البلاد بكفاءة وبخاصة الأبحاث الزراعية وقد أقام البلجيك نظاماً قوياً لاستثمار البلاد وعملوا على فتح الطرق ومد السكك الحديدية الموجهة لتسهيل إيصال الإنتاج المعدني إلى بلادها . وكذلك مس التطوير المواد الزراعية ، وأدى التطور الذي حدث بين سكان المدن والعمال إلى ظهور الحركات الوطنية وشخصياتها الرئيسية (آباكو جوزيف كازابوفو) (الحركة الوطنية الكونغولية : باتريس لومومبا) . وقد حصلت الكونغو بصعوبة على استقلالها في ٣٠ حزيران ١٩٦٠ ولكن بسبب عدم الكفاية من الموظفين المحليين دخلت البلاد والجمهورية الفتية بالفوضى والتفرقة ، وكان أن انفصلت كتنغا (شابا حالياً) عن البلاد وشكلت حكومتها الخاصة بزعامة مويس تشومبي مدعوماً بقوة الاتحاد المنجمي . وهنا حدث الخلاف بين أعضاء الحكومة المركزية بين الفيدراليين الذين يرأسهم الرئيس كازابوفو والوحدويين بزعامة لومومبا رئيس الوزراء ، وبعد خلع الطرفين بالتتابع قام الكولونيل موبوتو قائد ما يعرف (بالقوة العامة)

ووضع على رأس الحكم مجموعة من المستشارين ، ثم اوقف لومومبا ونفذ فيه حكم الاعدام ببشاعة في كتنغا (لا يعرف حتى الآن كيف قتل لومومبا وفي أي مكان) عام ١٩٦١ وبمساعدة الأمم المتحدة التي ابطلت انفصال كتنغا ١٩٦١ - ١٩٦٣ عاد كازابوفو إلى السدة الرئاسية وأصبح ادولا رئيس الحكومة الجديدة ، حيث أعاد إلى البلاد الوحدة التي لم تدم ، حيث عادت القلاقل تجتاح البلاد ، بعد أن استدعى كازافوبو تشومبي لرئاسة الوزارة عام ١٩٦٤ ، وفي عام ١٩٦٥ أصبح موبوتو جنرالاً واستعاد السلطة لنفسه وقضى على معارضيه وشتتهم وأقام نظاماً رئاسياً مركزياً جمع بيده كل السلطات الادارية وأمن السيطرة على الاقتصاد (وتوطينه) جعله وطنياً وأصبح رئيساً لحزب وحيد أسسه وأراد موبوتو تدعيم لحمة الوحدة الوطنية واستطاع القضاء على عدة محاولات للثورة في شابا (نيسان ١٩٧٧) ومايس ١٩٧٩ بمساعدة القوات الفرنسية والمغربية وقد أعيد انتخابه عام ١٩٧٨ في آب ١٩٨٤ ، وفي عام ١٩٩٠ ومع ظهور الجمهورية الثالثة سمح بتعدد الأحزاب وقد اضطر نظام حكم موبوتو السلطوي الديكتاتوري أن يذعن لمطالب المعارضة وسمح بتشكيل حقيقي للأحزاب بعد مؤتمر وطني ، وقد ادى تعليق المؤتمر الوطني لمحاولة انقلاب عليه كادت أن تطيح به ، ومنذ ذلك الوقت عاد إلى نظام الضغط الدموي رغم تعيينه أحد زعماء المعارضة تشيسكيدي E. Tshisekedi كرئيس للوزراء دون صلاحيات تذكر في آب ١٩٩٢ . وقد اتجه موبوتو منذ استلامه السلطة ٢٤ تشرين ثاني ١٩٦٥ نحو المعسكر الغربي (فرنسا والولايات المتحدة) وأعاد علاقاته مع بلجيكا . وفي عام ١٩٧١ - ١٩٧٤ ابتدأ موبوتو يضرب على النظرة القومية والعرقية حيث

غير اسم أكثر المدن فكونغو كينشاسا أصبح زائير وهو اسم افريقـي
وليوبولدفيل أصبحت كينشاسا كما أطلق على نفسه سـيس سـيكو
وكان اسمه عام ١٩٣٠ جوزيف ديزيريه ليسالا .

٢٦ – زامبيا Zambia

جمهورية زامبيا (قديماً روديسيا الشمالية)

تقع جمهورية زامبيا في أفريقيا الجنوبية في قلب القارة وقد أتى اسمها من نهر الزمبيزي الذي يخترقها هو وروافده من الشرق ويصب في المحيط الهندي (٢٦٦٠كم) وتقع زامبيا بين أنغولا إلى الغرب وزائير في الشمال وملاوي في الشرق ومن الجنوب زيمبابوي وناميبيا .

تبلغ مساحة زامبيا ٧٥٢,٦١٤ كم٢ وعدد السكان ٧ مليون تقريباً ، الكثافة السكانية حوالي ١٠ بالكم٢ ، أما الزيادة السنوية للسكان فتصل إلى ٣,٥٪ أي ضعف ما كانت عليه قبل ٢٠ عاماً ، نظام الحكم جمهوري رئاسي وهي عضو في الكومونولث البريطاني.

تعتبر اللغة الأنكليزية هي اللغة الرسمية ، ويوجد فيها ٧٠ مجموعة من اللغات حسب انتشار الأعراق البشرية فيها والتي يعود أصولها ٩٥٪ إلى البانتو مع عدد قليل من الهنود وأجناس أخرى أسيوية ، وأهم العروق المنتشرة والتي لها لغتها الخاصة البمبا ٣٥٪ من السكان ، التونغا ١٧,٤٪ ، فيانجا ١٥,٩٪ مجموعة اللغات الشمالية الغربية ١٢,٤٪ ثم الباروتسي ٩,٤٪ . العملة هي الكواتشا ، ويدين ٧٠٪ من السكان بالديانات المحلية وهناك أقلية مسيحية وكذلك أقلية مسلمة وهندوسية ذات أصول هندية .

– **المدن الرئيسية :**

لوزاكا : تقع في جنوب وسط البلاد وعدد سكانها ٨١٩,٠٠٠ نسمة ، وهي مركز تجاري وصناعي (الصناعات

القطنية والنسيج ، تجميع الجرارات) وهي عقدة مواصلات للطرق البرية والسكك الحديدية وأما المدن الرئيسية فهي كيتوه نكاما : في وسط زامبيا قريباً من الحدود مع زائير ٤٤٩,٤٠٠ ويوجد فيها مصانع لتصفية النحاس ومصفاة للبترول مع مصانع لتركيب السيارات ، مصنع سكر . كما هي مركز هام للطرق باتجاه تنزانيا، (شينغولا : ٢٠٢ ألف) (موفوليرا ١٣٦,٠٠٠) (لواتساي ١١٩ ألف) (قابوه (بروكن هيل) ١٩٨ ألف) ليفنغستون ٥٨ ألف .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تتشكل من هضبة عالية المستوى وسطياً ٩٠٠م - ١٥٠٠م ويفصلها عن بعضها وادي الزامبيزي ونهر لوانغوا وكافويه وفي الشرق حيث يرتفع جبل موشينغا ١٨٤٠م ويشكل الجزء الرئيسي من تضاريس البلاد مع طقس مداري رطب وتخف الحرارة نسبياً مع الأرتفاع وتقابلها زراعات السافانا المشجرة وبعض الغابات المتفرقة خفيفة الكثافة ، وزامبيا كغيرها من الدول الأفريقية تتشكل من أعراق مختلفة ٧٠ قومية يعيش في المدن ٥٠٪ من السكان أما الزراعة فهي ضعيفة ولكن ثروتها الحيوانية (البقر) كبيرة بالإضافة إلى زراعة المواد الغذائية للاستهلاك المحلي وتحتل ٧٠٪ من الأرض مثل «الذرة، المانيوك (درنيات) ، الذرة البيضاء ، دوار الشمس ، البطاطا الحلوة ، والتبغ وهو الوحيد من هذه الزراعات للتصدير. ولدى زامبيا طاقة كهربائية قوية (سد كاريبا على نهر الزامبيزي وقسم منها يرسل إلى زيمبامبوي ولكن أكبر ثروة في زامبيا هي النحاس وتعتبر الخامسة في العالم بإنتاجه ويعطيها ٨٠٪ من الدخل القومي . ويخضع لتقلبات الأسعار العالمية .

- **التاريخ** : كان الاقليم الذي يطلق عليه زامبيا حالياً مقسماً

بين عدد كبير من القبائل عندما ابتدأت بريطانيا بالاهتمام به وذلك بعد اكتشافات ليفنغستون في أعالي الزامبيزي واكتشاف مناجم الذهب ، ثم حصل سيسيل رودوس الأستعماري البريطاني المشهور عام ١٨٨٩ من جنوب افريقيا البريطانية على حق استثمار المناجم الواسعة في تلك المنطقة ، وفي عام ١٩١١ أصبحت هذه البلاد تسمى روديسيا الشمالية ، وفي عام ١٩٢٤ أصبحت مستعمرة للتاج البريطاني . وفي عام ١٩٥٣ شكلت بريطانيا اتحاداً لافريقيا الوسطى يضم روديسيا الشمالية والجنوبية مع نياسالاند (ملاوي حالياً) حيث طبق المستعمرون البيض في روديسيا الجنوبية (زيمبابوي) نظام التفرقة العنصرية وقد أدى الضغط الوطني لأنهيار الاتحاد واستقلال زامبيا عام ١٩٦٤ في شهر ٢٤ تشرين أول وانتخب كنيث كاوندا (وهوقس) رئيساً للجمهورية الزامبية وزعيم الحزب الموحد للاستقلال الوطني (حزب وحيد) ثم أعيد انتخابه خمس سنوات ، لقد امتزج في الواقع تاريخ زامبيا مع تاريخ رئيسها كاوندا الذي أصبح أحد القادة الأفريقيين اللامعين بخاصة نضاله ضد الأقلية البيضاء في زيمبابوي وجنوب أفريقيا ، كما استقطب الاهتمام العالمي وقد عقد في لوزاكا عام ١٩٧٠ مؤتمر دول عدم الانحياز واستطاع كاوندا شيئاً فشيئاً إبعاد كل معارضيه وكرس نظام الحزب الوحيد حيث توصل إلى العدواة بين اللوزي (ولديهم اتجاهات انفصالية) والبمبا لا تصل إلى حدود المواجهة المكشوفة ، وبالرغم من اتجاهاته وخطاباته الاشتراكية لم يكن يخيف الغرب الذي يقدر انسانيته ومحاولاته لتطوير بلاده في عام ١٩٩١ سمح كاوندا للمعارضة بالاشتراك بالانتخابات المتعددة الأحزاب ضمن إطار دستوري جديد وفي تشرين ثاني نجح مرشح المعارضة الرئيس

السابق لنقابات العمال ف . شيلوبا وانتخب رئيساً للجمهورية وهكذا ترك كاوندا رئاسة الجمهورية بعد ٢٧ عاماً من الحكم وكان أكثر أعمال كاوندا إثارة هو إيصال بلاده بالبحر عن طريق سكك الحديد تازارا (أوتانزام) والتي بنيت بمساعدة الصين الشعبية ، وهو يعمل حالياً لاستعادة نفوذه والعودة لرئاسة الجمهورية .

٢٧ - زيمبابوي Zimbabwe

جمهورية زيمبابوي (روديسا الجنوبية سابقاً)

- تقع في افريقيا الجنوبية بين نهري الزامبيزي في الشمال ونهر ليمبوبو في الجنوب ويحدها من الشمال موزامبيق وزامبيا ويحدها من الشرق موزامبيق ، ومن الجنوب جنوب أفريقيا ، ومن الغرب بوتسوانا ، تبلغ مساحتها ٣٩٠,٧٥٧كم٢ وعدد السكان ٨,٦٩٠,٠٠٠ نسمة أما الزيادة السكانية السنوية فهي تزيد على ٣٪ والكثافة السكانية ٢٠,٠٨بالكم٢ ، نظام الحكم جمهوري برلماني ، واللغة الرسمية هي الأنكليزية ولغة الشونا ، العملة دولار زيمبابوي ، ٩٦٪ من السكان سود ، ٢٪ بيض ، والباقي اسيويون ولكن ٧١٪ من السكان هم من شعب الشونا ويعيشون في وسط وشمال البلاد ثم الماتيبليه الذين يعيشون في جنوب غرب البلاد على حدود بوتسوانا أغلب السكان يدينون بالديانات المحلية وخاصة الأرياف وهناك ٢مليون مسيحي وأكثر من ٢٥٠ ألف مسلم ، الدخل الفردي السنوي ٣٢٥ دولار زامبي ويساوي ١,٦ دولار أمريكي (عام ١٩٨٠) .

- **المدن الرئيسية :**

- **هراري** : وهي العاصمة وكان يطلق عليها سالزبوري وعدد سكانها ٦٨١,٠٠٠ نسمة وهي مركز صناعي وتجاري .

- **بولاوايو** : وتقع على ارتفاع ١٣٦٠ وعدد سكانها ٤٢٩,٠٠٠ نسمة وهي عاصمة مقاطعة ماتيبليه وهي مركز صناعي للمواد المعدنية والزراعية . (هارتلي ٧٠ ألفاً) ، (اومتالي ٦٤ ألفاً) (غويلو ٦٤ ألفاً) .

- **التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :**

تتشكل البلاد من مجموعة من الهضاب الكريستالية ترتفع في الشرق ، أما الهضبة الوسطى (الهايولد) فترتفع بين ١٣٠٠ – ١٦٠٠م وتمتد على مسافة ٦٥٠كم من الشمال إلى الجنوب و٤٠٠ كم من الشرق إلى الغرب وأعلى قمة هي جبل اينانغاني ٢٥٩٢م ، طقسها مداري يتلاءم مع وجود الغابات غير الكثيفة وكثيراً ما تصبح سافانا تتدرج في كثافة الشجر بالإضافة إلى الزراعات التجارية للتصدير . والهايولد محاطة بالميدل ويلد ٦٠٠م – ١٢٠٠م وهي أيضاً محاطة بأطار منخفض حار وجاف وهو (لوويلد) ، الحرارة المتوسطة بين ١٨ تموز و٢٥° في شباط وتهطل الأمطار فيها من تشرين الأول حتى شباط ، يعيش ٧٥٪ من السكان في الريف وبالرغم من الانهيار الاقتصادي والسياسي لا تزال الأقلية البيضاء ، تشرف بشكل كبير على الزراعة والتنمية وتطوير الأقلية البيضاء ، وتطوير الأراضي الخصبة . وتصدر زيمبابوي التبغ والقطن والذرة والسكر ، ويعمل السود بشكل عام في الزراعات الغذائية (البستنه) واستثمارها وتمتلك البلاد قوة كهربائية ضخمة مشتركة مع زامبيا (سدكاريبا) وكذلك قواعد صناعة هامة (منطقة هراري وكيوه كيوه) والموارد المعدنية هي مواد التصدير الرئيسية التي تؤمن الدخل من العملات الأجنبية وهذه الموارد هي الذهب ، الأميانت – النيكل بخاصة وتعتبر أفريقيا الجنوبية الشريك الأكبر لزيمبابوي ثم بريطانيا .

- **التاريخ :** وصل العرب إلى زيمبابوي وزامبيا في أزمان بعيدة (ربما في القرنين العاشر والحادي عشر وربما في القرن الخامس عشر لجلب النحاس والذهب ويعتقد بعضهم أنها بلاد أوفير ولا

تزال آثار مدينة زيمبابوي القديمة وهي إحدى عواصم مملكة مونوموتابيه بالقرب من حصن فكتوريا في القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر موجودة وتشكل أقدم وأجمل آثار افريقية الجنوبية وعندما وصلها الأنكليز اطلقوا عليها روديسيا الجنوبية مثلما أطلقوا على زامبيا روديسيا الشمالية وقد حكمها الأنكليز عن طريق شركة جنوب افريقيا البريطانية التي اسسها سيسيل رودوس عام ١٨٩٩ وسميت تلك البلاد باسمه روديسيا وظل يحكمها حتى عام ١٩٢٣ في ذلك الوقت حصلت روديسيا الجنوبية التي يتمركز فيها عدد كبير من البيض على الاستقلال ثم وضع دستورها أما روديسيا الشمالية فكما رأينا في زامبيا أنها أصبحت مستعمرة للتاج في السنة التي تلت وفي عام ١٩٥٣ جمعت الروديستيان من قبل حكومة بريطانيا وضم إليها ملاوي نياسالاند وتأسس اتحاد وسط افريقيا ، ثم أصبحت ملاوي مستقلة عام ١٩٦٢ وكذلك زامبيا (روديسيا الشمالية) وفي عام ١٩٦٥ أعلن أيان سميت رئيس وزراء روديسيا وزعيم الجبهة الوطنية (طيار بريطاني سابق) الاستقلال من طرف واحد لروديسيا الجنوبية ، ولكن بريطانيا رفضت الاعتراف بها بسبب سياستها العنصرية التي انتهجتها الأقلية البيضاء منذ وصولها البلاد وهنا قامت الأمم المتحدة بعدة إجراءات ضد روديسيا بما فيها المقاطعة التجارية وتبعها عدد كبير من الدول كما أعلنت الجمهورية في أذار ١٩٧٠ وقد أدى غياب إيان سميث بأن قبلت بعض الدول ومنها بعض الدول الأفريقية استقلال روديسيا (الأقلية البيضاء ٢٠٠ ألف نسمة) وهنا انقسمت المقاومة الوطنية على بعضها ، ومع ذلك فقد اشتعلت الثورة بقوة بعد عام ١٩٧٢ لاسقاط إيان سميث وأدى ذلك إلى الاستغناء عنه وابعاده في ٣٠ كانون ثاني

١٩٧٤ وبعد استقلال موزامبيق أصبح بإمكان زعماء الثوار ومنهم روبرت موغابي وجوشو أنكومو العمل من موازمبيق بدلاً من روديسيا لذلك دخلت الثورة في مرحلة جديدة حاسمة وأجبرت الأقلية البيضاء على أن تقبل المفاوضات التي جرت في أيلول ١٩٧٩ في لندن وقد أدت المفاوضات التي جرت في أيلول ١٩٧٩ لعقد اتفاقية لانكستر هاوس . وفي ٢٧ شباط ١٩٨٠ حدثت الانتخابات التشريعية التي حققت نجاحاً ساحقاً لحزب زانو Zanu بزعامة موغابي وأصبح رئيساً للوزراء وجوشوانكومو وزيراً للخارجية ولكن هذا رفض استلام المنصب والتجأ إلى بلاده معلناً حالة الثورة. في ١٧ نيسان أعلن الاستقلال الحقيقي وانتخب موغابي من قبل الجمعية الوطنية لرئاسة الوزراء واستلم رئاسة الجمهورية ولكن دون أية سلطة (كانان باناما) عام ١٩٨٧ أصبحت زيمبابوي جمهورية رئاسة وأصبح موغابي رئيساً للجمهورية . وجه موغابي همه إلى ثلاثة أشياء أو بالاحرى أهداف رئيسية وهي العمل على المصالحة الوطنية وتطمين الأقلية البيضاء على مستقبلها وحياتها وجذب الاستثمارات الأجنبية لاستغلال الطاقة الضخمة التي لدى البلاد وإعادة تنظيم الجيش الوطني وإدخال اربعين ألف من الثوار في صفوفه . وبالرغم من اتجاهاته الاشتراكية حاز في انتخابات عام ١٩٨٥ على ٩٠٪ من الأصوات ولكنه في انتخابات عام ١٩٩١ لم يحصل إلا على ٧٨٪ من الأصوات مع غياب أكثر من نصف المنتخبين وفي تموز ازيلت الأحكام العرفية والتي أعلنت قبل ٢٥ عاماً .

٢٨ - ساحل العاج

جمهورية ساحل العاج Cote d' iuoire

- تقع جمهورية ساحل العاج في أفريقيا الغربية على ساحل غينيه وقد سميت ساحل العاج من قبل الأوربيين الأوائل بسبب طول أنياب الأفيال التي حصلوا عليها من السكان أول نزولهم البر ، مساحتها ٣٢٢,٤٦٣كم٢ وعدد سكانها ١١ مليون ويحدها من الجنوب الغربي ليبيريا ومن الغرب غينيه (ومن الشمال - الغربي مالي والشمال بوركينا فاسو ، من الشرق غانا ومن الجنوب المحيط الأطلسي ، بساحل طوله ٦٠٠ كم ، نظام الحكم جمهوري رئاسي وتعتبر اللغة الفرنسية اللغة الرسمية ويتكلم بها قسم كبير من السكان وهناك لغات وطنية حسب الأعراق البشرية حوالي ٥٠ لهجة ولغة ولكن أهمها هي لغة الديولا في الشمال والباوليه في الوسط والبيته في الوسط الغربي ، أما الأعراق البشرية الباولية ٢٣,٢ ، بيته ١٧,٦ ، سينوفو ١٥,٢ ، مالينكيه ١١,٤ ، وان دوغورو ٩,٨ ، لوبي ٥,٨ ، لاغون ٥,٢، بجير ٤,٥ ، تويه ٤,٥ وتنتشر في ساحل العاج الديانات المحلية ٥٦٪ ، ٢٥٪ مسلمون ، ١٥٪ كاثوليك ، العملة : الفرنك C. F. A .

- المدن الرئيسية :

ابيدجان : ميناء ساحل العاج وتقع على خليج (حوض) ابيريه وتتصل بخليج غينيه بواسطة قناة فيردي وعدد سكانها مليون هي وضواحيها ١,٦٦٢,٠٠٠ نسمة . مركز حراري للطاقة ، مصفاة للبترول معالجة الكاكاو والقهوة عاصمة البلاد حتى عام ١٩٨٣ وهي هدف لهجرة واسعة من الريف تتجمع في الضواحي

تريشعيل وادامیه ، وهناك اقلية أوربيه وكذلك من بوركنيافاسو . وفيها أكبر جامع في غرب افريقية السوداء .

ياماسوكورو : أصبحت عاصمة البلاد اعتباراً من عام ١٩٨٣ وتبعد عن ابيدجان للداخل ١٢٠ كم وطقس ملائم للسكن عدد سكانها ١٢٠ ألف وفيها اكبر كنيسه بازيليكيه في العالم تقليداً للفاتيكان .

وأهم المدن بواكيه ١٨٠ ألفاً ، دالوا ٦٠ ألفاً وديمبوكرو ٣٥ ألفاً .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تتشكل تضاريسها من هضاب كريستالية ذات ارتفاعات تصل في بعض الأحيان شمال غرب (جبل نيمبا ١٧٥٢م) وتنحدر نحو السهول الساحلية التي تحيط بالتعاريج والأحواض البحرية الطبيعية مع نباتات المانجروف أما طقسها فهو نموذج استوائي والغابات الاستوائية الكثيفة في الجنوب . وتصبح مدارية في الشمال «سافانا غابات متفرقة الأشجار ولديها شبكة مائية هامة ممتدة شمال جنوب وهناك نزوح سكاني من الشمال نحو الجنوب (منطقة ابيدجان وأغلبية السكان يعيشون بالأرياف والزيادة السنوية للسكان ٣,٥٪ وهناك مهاجرون كثيرون من بوركينافاسو ومالي وغينيه .

يعتمد الأقتصاد في ساحل العاج على الزراعات التصديرية الكبرى في الجنوب مثل الكاكاو (الأولى المصدرة في العالم) البن ، زيت البالم ، الموز ، الأناناس وتحتل هذه الزراعات ٥٠٪ من النشاط الإنساني وتساعد هذه على تطوير الزراعات الأخرى مثل

(الدرنيات : المانيوك اينيام) ، الذرة ، الأرز وكذلك الزراعات الصناعية (قصب السكر ، القطن ، شجر المطاط واستثمار الأكاجو يمثل ٦٪ من الدخل التجاري ، وقد أقيمت ستة سدود لتوليد الطاقة الكهربائية تؤمن ٦٠٪ من احتياجات البلاد من الطاقة الكهربائية ، ولكن آبار البترول البحرية المستثمرة منذ عام ١٩٨٢ والتي كانت تنتج مليوني طن من البترول سنوياً فقد قل انتاجها كثيراً ، ويعتبر ميناء أبيدجان ميناءاً لبوركينافاسو أيضاً لوجود السكة الحديدية التي تربط عاصمة بوركينا بالمحيط الأطلسي ، وهو في الوقت ذاته يجمع كل المؤسسات الرئيسية السياسية والزراعية والصناعية من نسيج وكيماويات وتركيب وتجميع الآليات ويصنف كأفضل ميناء في كل أنحاء القارة لنقل الكونتينرات (الحاويات) وقد ظل لفترة طويلة الواجهة المتألقة لتطور افريقيا الفرانكوفونيه . ولكن البلاد تعرضت لأزمة حادة لم يستطع البرنامج الموضوع بأشراف F.M.i حل الأزمة ويعود ذلك إلى انهيار أسعار الكاكاو وانخفاض أسعار القهوة مما جعل الدخل القومي العام يتراجع اعتبارا من عام ١٩٧٨ ، ويعتبر الدخل الفردي في ساحل العاج أعلى مستوى في القارة الأفريقية وقد وضعت خطة تم تطبيقها بين ١٩٩٠ - ١٩٩١ للعودة إلى ازدهار زراعي وتجاري ولكن البلاد لم تستطع التغلب على الضمانات البنكية إلا بمساعدة فرنسا .

- **التاريخ** : عرفت ساحل العاج من قبل البرتغاليين في القرن السادس عشر إثر محاولاتهم للدوران حول افريقيا ثم اكتشفت من قبل الفرنسيين في القرنين السابع عشر والتاسع عشر وأدى ذلك إلى تشكيل مستعمرة ساحل العاج عام ١٨٩٣ ودخلت ضمن افريقيا الغربية الفرنسية بعد استسلام الزعيم المسلم ساموري عام ١٨٩٣

وقد منحت استقلالاً ذاتياً عام ١٩٥٨ ثم استقلت في ٧ كانون أول عام ١٩٦٠ ومنذ ذلك الوقت حتى موته في ٧ كانون الأول ١٩٩٣ ظل فيليكس هفوت بوانييه رئيساً للجمهورية ، ولقب بحكيم أفريقيا الذي أعيد انتخابه في عام ١٩٦٥ - ١٩٧٠ - ١٩٧٥ - ١٩٨٠ - ١٩٨٥ وبسبب تفتت المعارضة بعد الاستقلال ظلت البلاد محكومة بحزب واحد هو الحزب الديمقراطي لساحل العاج P.O.C.i وتحت قيادة رئيس الحزب لعبت البلاد دورا سياسياً هاماً في افريقيا ، وقد أدت الاجراءات التقشفية الاقتصادية في بداية عام ١٩٩٠ إلى هيجان وطني قوي خاف معه الرئيس بوانيه من أن يفقد سيطرته على حزبه وعلى البلاد ، ومع ذلك أعيد انتخابه للمرة السابعة رئيساً للجمهورية في تشرين أول ١٩٩٠ ، وفي تشرين ثاني أجريت أول انتخابات حرة فاز فيها بأغلبية الأصوات الحزب القديم الوحيد بزعامة الحسن وتره الذي أصبح رئيساً للوزراء عام ١٩٩٠ وأخذ يعمل بعمق لاعادة تشكيل البنية الاقتصادية للبلاد وكان الهدف الأول هو إعادة القطاع الخاص والغاء القطاع العام وهي المطالب التي قدمت من قبل زعماء الباوليه والسينوفو واللوبين وهي الأعراق الرئيسية في البلاد ، وبعد وفاة بوانيه استلم مكانه هنري كونان بيديه رئيس البرلمان بموجب المادة ١١ من دستور ساحل العاج . ١٩٩٥ أعادت الانتخابات الرئاسية انتخاب بيديه كرئيس للجمهورية .

٢٩ – ساوتوميه برنسيب São Toméet Principe

جمهورية ساوتوميه برنسيب الديمقراطية

– تقع في خليج غينيه وتتشكل من جزر ساوتوميه وبرنسيب التي تقع قليلا شمال خط الأستواء على بعد ٥٠٠ كم من ساحل الغابون الشمالي تبلغ مساحة البلاد ٩٦٤كم٢ منها ٨٣٦كم٢ ساوتوميه و١٢٨كم٢ مساحة برنسيب وهي ثاني أصغر دولة في افريقية بعد ارخبيل سيشيل ويبلغ عدد السكان ١٢٠ ألفاً منهم مائة ألف في ساوتوميه و٢٠ ألفاً في برنسيب ، اللغة الرسمية هي اللغة البرتغالية ويتحدث السكان لغة الكريول وهي مزيج من البرتغالية القديمة واللغات المحلية ، ودين السكان ٨٠٪ كاثوليك والباقي ديانات محلية ، العملة : الدوبرا ، وأغلب السكان أحفاد العبيد الأرقاء القادمين من مختلف انحاء افريقيا الوسطى في طريقهم إلى أمريكا أو العائدين بعد الغاء تجارة الرقيق ، الدخل الفردي السنوي ٢٥٤ دولار أمريكي ، نظام الحكم جمهوري .

– **المدن الرئيسية :**

ساوتوميه العاصمة وعدد سكانها ٢٥ ألف نسمة وكل المدن الأخرى أقل من عشرة آلاف ويعيش أكثر السكان ٨٠٪ في الآرياف وهم مزراعون .

– **التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :**

جزر من أصول بركانية ومناخ مداري رطب وسطياً تهطل الأمطار (١ م) في ساوتوميه ، ٢,٨ في برنسيب ، الحرارة المتوسطة

السنوية ٣٢ درجة ، وأهم الموارد الاقتصادية : الكاكاو ، القهوة ، جوز الهند ، الكوبرا ، لقد وجه الاستعمار البرتغالي كل اقتصاد البلاد نحو المواد الزراعية للتصدير على حساب الزراعة الغذائية وعشية الاستقلال أدى ذهاب الكوادر الوظيفية البرتغالية إلى انهيار انتاج الكاكاو دون أن يؤدي ذلك إلى زيادة المواد الزراعية الغذائية للاستهلاك المحلي والنقص الغذائي حمل الميزانية عبءاً ثقيلاً في ميزان المدفوعات من ٢٩٪ من قيمة المواد المستوردة العامة و١٧ ٪ من كامل عائدات التصدير في عام ١٩٧٤ وقد ازدادت تدريجياً من ٢٩ ٪ إلى ٦٣ ٪ ، والهدف الأساسي في الفترة الأخيرة للحكومة هو العمل على زيادة الإنتاج الزراعي للاستهلاك المحلي عن طريق التخطيط الجيد .

– **التاريخ** : استعمرها البرتغاليون منذ القرن الخامس عشر وكانت مركز تجمع للارقاء القادمين من افريقيا الوسطى وهم في طريقهم إلى امريكا أو العودة منها بعد التحرير ثم أصبحت أحد أقاليم البرتغال لما وراء البحار ثم حصلت على استقلالها في ١٢ تموز ١٩٧٥ وحكمت البلاد حكومة تقدمية ودخلت في علاقات جيدة مع المستعمرات البرتغالية السابقة بخاصة أنغولا وفي عام ١٩٧٨ بدأت الاشاعات تدور حول أنزال قام به المرتزقة للجزر ولكن لم يؤكد الموضوع وبسبب الحاجة قبلت ساوتوميه بوضع نفسها تحت حماية أنغولا وذلك بطلب من وزير الدفاع (م . ديو) وفي شباط ١٩٧٩ تم نزول أول عناصر القوات الأنغولية مع بعض المدربين الكوبيين وفي حزيران ١٩٧٩ تم تقوية هؤلاء العناصر من قبل متطوعين من غينيه بيساو وقد وصل عددهم إلى ١٥٠٠ شخص ومنذ عام ١٩٧٧ جرت تغييرات متواصلة في الحكومة في

حزيران ١٩٧٧ تشرين أول ١٩٧٨ وربيع عام ١٩٧٩ ومـع ذلـك ظل مركز رئيس الوزراء يتقلده بشكل دائم ميجيـل ترافـوادا الـذي اوقـف في ١٢ تشـرين أول ١٩٧٩ وتم تدعيـم موقــف رئيــس الجمهورية ووزير الدفاع .

٣٠ - سيراليون Sierra Leone leonw

جمهورية سيراليون

تقع سيراليون في أفريقيا الغربية وتطل على المحيط الأطلسي وطولها من الشرق إلى الغرب ٣٢٠كم ومن الشمال إلى الجنوب ٤٣٠كم وتحدها من الشمال الشرقي غينيه ومن الغرب ليبيريا ، ومن الجنوب الغربي المحيط الأطلسي ويبلغ طول سواحلها ٦٦٠ كم وتبلغ مساحة سيراليون ٧٢,٧٧٢كم٢ وعدد سكانها ٣,٨٠٠,٠٠٠نسمة وهناك زيادة سكانية سنوية ٢,٥٪ الكثافة السكانية ٥٠,٨بالكم٢ ، والحكم جمهوري وهي عضو في الكومونولث أما اللغة الرسمية فهي اللغة الأنكليزية ويستخدم السكان لغة الكريول وهي خليط من اللغة الأنكليزية واللغات المحلية وتستخدم بخاصة من قبل المخلطين ، وتوجد في الداخل لغات نيجر - كونغو ، ماندية ، والتميه وتستخدم اللغة العربية لدى الجاليات اللبنانية والعربية وعددها حوالي ثمانية عشر ألف نسمة . العملة تسمى (ليون) وتنتشر فيها الأعراق البشرية المختلفة (١٨ مجموعة عرقية) اشهرها الماندية في الجنوب والتميه في الشمال ويمثل الماندية ٣٥٪ والتميه ٣٢٪ والكريول وهم أحفاد العبيد الأفارقة الذين عادوا من أمريكا وجامايكا ويمثلون فقط ٢٪ من السكان أما الأديان فثلثا القبائل لا تزال تدين بالديانات المحلية وهناك ٢٩٪ من السكان مسلمون في الشمال و٦٪ مسيحيون يعيشون في الجنوب والمدن القريبة .

- **المدن الرئيسية :**

فريتاون : العاصمة وعدد سكانها ٤٦٩,٧٨٠ نسمة وتقع

على المحيط الأطلسي وحوض الميناء فيها يعتبر ثالث أوسع ميناء عالمي بعد ريودوجانيرو ، وسدني ، واشتهرت بصناعة الماس ، وفي الداخل توجد مدينة (بو ٥٠ ألفاً) كينيما ٣٢ ألفاً) (ماكيني ١٣٠ ألفاً) (مارمبا ١٣ ألفاً) .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

سهل منخفض على طول الساحل ويغطي تقريباً ٦٠٪ من البلاد (بين ١٧٠ كم في الشمال الشرقي و١٠٠كم في الجنوب الشرقي وتنبت نباتات المانغرو على طول السواحل والهضاب في الشرق والشمال الشرقي تصل الأرتفاعات بين ٢٠٠ - ٥٠٠ م وكتلة جبلية على طول خط القمم الغينيه قمه لوما ١٩٤٨م سانكان بيريوا ١٨٥٣ وتتخلل هذه الكتل الجبلية مجاري المياه التي تهبط نحو البحر وأشهرها ليتل سكارسي وغراند سكارسي والركل وجونغ وسيوا ، موا ومداخلها جميعها صالحة للملاحة على بعد ٦٠ كم للداخل بسبب عمق مصباتها ، طقسها مداري رطب ، فصل الأمطار بين نيسان - تشرين ثاني ، حرارة متوسطة ٢٣,٧° - ٢٩درجة ، غابات كثيفة على الساحل سافانا في الداخل . وتتراجع الغابات بشكل ملحوظ أمام زراعة المواد الغذائية المحلية . الرز ، المانيوك ، وكذلك الزراعات الخاصة بالتصدير مثل القهوة والكاكاو، ويعيش أكثر من ٧٠٪ من السكان في الأرياف . وتصدر سيراليون انتاجاً معدنياً غنياً ، مثل الروتيل وهو معدن نادر يستخدم في تفجير المواد الصاروخية بالإضافة إلى ذلك يوجد الحديد الماس ، البوكسيت (المنيوم) وهي قواعد الاقتصاد ، ولاشك أن اقتصاد سيراليون يلاقي صعوبات كثيرة أولها الفساد والعصابات والحرب الأهلية بالإضافة إلى ازدياد عدد السكان .

- **التاريخ** : عرفها البرتغاليون في القرن الخامس عشر وكانت السواحل مركزا رئيسياً لتجارة العبيد والمكتشف البرتغالي بيدرو دو سنيترا كان أول أوربي وضع خريطة لميناء وحوض فريتاون في القرن الخامس عشر واطلق عليها الجبل الاسد حيث تظهر الهضبة المطلة على الميناء وكأنها الأسد ، وقد اشترتها جمعية بريطانية ضد تجارة الرقيق حيث جمعت فيها الأرقاء القدماء ، ثم أصبحت عام ١٨٠٨ مستعمرة بريطانية ثم خضع الداخل شيئاً فشيئاً للبريطانين حيث تم تشكيل محمية سيراليون ١٨٩٦م ولكن المحمية والمستعمرة ضمتا معاً واستقلتا في ٢٣ نيسان ١٩٦١ . وأول رئيس للوزراء هو السيد ميلتون مارغيه الذي شكل حكومة برلمانية وكان في الوقت ذاته رئيساً لحزب الشعب السيراليوني وهو من فروع الماندية وعندما توفي عام ١٩٦٤ استلم شقيقه سيراليوت مارغيه مكانه ولكن في آذار ١٩٦٧ سجلت الانتخابات نصراً باهراً لحزب المؤتمر الذي كان بزعامة سياكا ستيفن وكانت له شعبيته لدى عمال ميناء فريتاون . وفي مناطق تيمن ليمبا في الشمال ، وقد رفضت الحكومة نشر النتائج ثم مرت مرحلة عدم استقرار في البلاد انتهت في نيسان ١٩٧١ ، حيث قامت مفارز للجيش يقودها الجنرال دافنير لنسانا وجرب أن يضع نفسه رئيساً للوزراء ولكن بعد يومين استطاعت مجموعة من الضباط ابعاده وشكلت المجلس الوطني للاصلاح ووضعت على رأس الحكم الكولونيل اندرو جوكسون سميث والواقع أن الجيش انقسم على نفسه ، قسم كان يأمل أن يعيد الحكم لمستر ستيفن وهذا حال جوان بانغورا أما الآخرون فكانوا يعملون لاقامة حكم عسكري . وفي ٢٧ نيسان ١٩٦٨ نجح الأوائل ورجع ستيفن إلى الحكم كرئيس للوزراء ، وقد ورث وضعا

صعباً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . وقد ظهر أنه غير قادر على أن يعيد الوضع إلى ما كان عليه سابقاً ومن أجل الحفاظ على النظام أخذ الحكم الذي كان محبوباً من الشعب يلجأ للشدة والقسوة ، وقد فشل الانقلاب في أذار ١٩٧١ الذي قام به الجنرال بانغورا وهو الذي اتى بستيفن إلى الحكم . وقد سحق الانقلاب بفضل عناصر من الجيش الغيني التي كانت موجودة في سيراليون منذ عامين بموجب اتفاقية الدفاع المشترك بين الطرفين وقد أعلنت الجمهورية في ١٩ نيسان ١٩٧١ حيث أصبح سيرسياكا ستيفن رئيساً للجمهورية ورئيس الوزراء وقد جرب أن ينفرد بالسلطة لوحده وقد فشل الانقلاب الذي حدث في تموز ١٩٧٤ وكان هناك تذمر من قبل الماندية ، وفي بداية ١٩٧٧ كانت فريتاون مسرح اضطرابات طلابية عنيفة ، وقد رافقت الانتخابات عام ١٩٧٧ أعمال عنف واتهامات بالتزوير وتعود أكثر هذه الأضطرابات لسوء الأحوال الاقتصادية المتردية ومع ذلك ففي مايس ١٩٧٨ انتخب ستيفن رئيساً للجمهورية لمدة سبعة أعوام ، وقد استقال في تشرين أول ١٩٨٥ وانتخب مكانه الجنرال جوزيف سيدو مومو (جوزيف سعيد محمد) وقد ابعد هو الآخر عن رئاسة الجمهورية وعين مكانه الكابتن فالانتن ستراسر . وقد اقيل هو الآخر من منصبه في ١٦ كانون ثاني ١٩٩٦ وحل محله معاونه على أساس العودة إلى الحكم المدني وهو جوليوس ما غابالو كما وعد بإعادة التعددية الحزبية للبلاد وإجراء الأنتخابات في ٢٨ شباط ١٩٩٦ و مقابلة رئيس اللجنة الثورية المعارضة .

٣١ - سوازيلاند Swaziland

مملكة سوازيلاند

مملكة تتشكل من جيب بين افريقيا الجنوبية وموزامبيق وتبلغ مساحتها ١٧,٣٦٣ كم٢ وعدد سكانها ٧٠٦,٠٠٠ نسمة ، الكثافة السكانية ٢٩,٣ بالكم٢ / والزيادة السكانية تقترب من ٣,٥٪ سنوياً ، نظام الحكم ملكي دستوري وهي عضو في الكومونولث البريطاني ، اللغة الرسمية الانكليزية ولغة السوازي سيواتزي ، العملة ليلانجي ، وهي عضو في الاتحاد الجمركي والنقدي في جنوب افريقيا ويضم أيضاً ليسوتو وبوتسوانيا ، أغلب السكان من السوازي ٩٠٪ وهم من البانتو والباقي هم من الزولو والتونغا والشانغان ويوجد عدد من الأوربيين وأسيويين وفي افريقيا حوالي ٥٠٠ ألف لاجئ وفي جنوب افريقيا في سوزايلاند وهم يعودون إلى بلادهم بعد تسليم السلطة للسود ، أما الديانات فهي ديانات محلية يعتنقها بخاصة الملك وبطانته وبلاطه ، وفيها عدد أيضا من البروتستانت والكاثوليك والانكليكان وربما يصل عددهم ٦٠٪ ، الدخل الفردي السنوي ٥٩٠ دولار (البنك الدولي) عام (١٩٧٨) .

- **المدن الرئيسية :**

مبابان Mbabane وهي العاصمة وعدد سكانها ٤٠ ألفاً وأهم المدن (مانزيني ١٠ آلاف نسمة) ، (لامبومبا ١٥ ألفا) ، هلاتيكولو ستة آلاف) ، جميع السكان يعملون بالزراعة .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

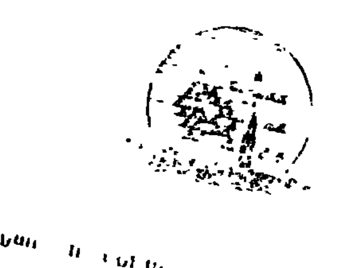
بلاد جبلية عالية مدارية الطقس كثيرة المياه يصفها بعضهم بأنها سويسرا أفريقيا الجنوبية وتتلقى في السنة ٢٠٠٠مم من الأمطار في المناطق الأكثر ارتفاعاً مثل هايلفيلد حيث تصل القمم إلى علو ١٠٠٠ م وتعتبر منطقة توزيع للمياه في المنطقة وأغلب الأنهار فيها تسير من الغرب إلى الشرق متجهة نحو موزامبيق والمحيط الهندي .

أما مواردها الطبيعية فهي متعددة منها الزراعة (السكر ، الثمار - الذرة الصفراء ، القطن ، أشجار الغابات أما الموارد المنجمية فهي الأميانت الأولى في العام ، الفحم ، الماس ، الحديد) ولديها بعض الصناعات الخاصة بالمواد التحويلية صناعة الأخشاب والصناعات الغذائية ، النسيج ، وتصدر عجينة الخشب للورق .

- التاريخ : أصبحت محمية بريطانية عام ١٩٠٢ ولكن أعلن استقلال المملكة منذ عام ١٩٦٨ ، وكانت افريقيا الجنوبية العنصرية تمارس عليها تأثيرات اقتصادية وسياسية كبيرة ، ولم يخفف اعلان الاستقلال الخصومة التي كانت بين حزب الدكتور امبروز زوان (نغوان ناسيونال لبيراتوري كونغرس N.N.L.C) والحكومة التي كان يرأسها ابن عم الملك الأمير ماخوسيني دلاميني في زمن الحماية البريطانية ، وفي انتخابات عام ١٩٧٢ حصل N.N.L.C على ثلاثة مقاعد رغم ممارسة الحكومة الضغط على أحد هؤلاء المنتخبين الثلاثة وفي عام ١٩٧٣ علق الملك الدستور ومنع N.N.L.C وأوقف البرلمان ، وقرر أن يشكل جيشاً قوياً وفي عام ١٩٧٧ وبعد أقالة الأمير ما خوسيني دلاميني وتعيين قائد الجيش

الكولونيل مافيغو دلاميني على رأس الحكومة ، الغى الملك الدستور واستعاض عن البرلمان بالتنغوندلا Tinkhundla و لم تمس سلطة الملك ولكن منذ عامٍ ١٩٧٤ - ١٩٧٥ بخاصة بعد استقلال موزامبيق أخذ شيئاً فشيئاً يضعف . وقد عرفت سوازيلاند بعض المظاهرات والهيجانات عام ١٩٧٧ ، وبمقابل الاضرابات في السكك الحديدية ومجال التعليم عملت الحكومة على زيادة الرواتب . وقد أوقف الدكتور امبروز سوان في شباط ١٩٧٨ للمرة الرابعة بموجب القانون رقم ١٩٧٣ الذي يسمح بالاعتقال الوقائي دون محاكمة لمدة شهرين ولكنه استطاع الهرب من سجنه وذهب إلى موزامبيق وفي حزيران أقال الملك ثلاثة وزراء منهم وزير الخارجية مهالانغانو ماتيسبولا الذي ألقى في الأمم المتحدة خطاباً حول الصراع مع جنوب افريقيا . والواقع أن سوازيلاند لا تستطيع في ذلك الوقت مجابهة أفريقيا الجنوبية جارتها القوية ، وطبقاً للخط المشترك مع (بريتوريا) ضد الشيوعية كانت سوازيلاند من الدول النادرة التي اعترفت باسرائيل وتايوان ومع ذلك علينا أن لا ننسى الاحترام الذي كان لموزامبيق الثورية بالإضافة إلى خط السكة الحديدية الذي يربط البلاد /بمابوتو/ عاصمة موزامبيق وقد استقبل الرئيس سامورا ميشيل في عاصمة سوزايلاند بحفاوة عام ١٩٧٩ . لقد كان الملك يحتفظ بتوازن في العلاقات الداخلية ، وتوزان حذر مع موزامبيق وافريقيا الجنوبية . ظل الملك سوبودا الثاني في الحكم حتى عام ١٩٨٢ وهو عام وفاته وقد حاول جعل البلاد دولة ملكية دستورية فالملك هو رئيس الدولة والسلطة التنفيذية بيد مجلس الوزراء ، أما السلطة التشريعية فهي مقسمة بين مجلس وطني ومجلس للقبائل أو القبيلة التي يعود إليها الملك ، ورغم كل هذه السلطات إلا أن كل

الأمور كانت بيده وكان يمارس سلطة مطلقة بالتعاون مع مجلس للقبائل ذكرناه سابقاً وهو التنجوندلا . وبعد موت الملك سوبوزا الثاني حكمت الملكة نيتومب لفترة ثم حكم بعدها الملك سوازي الثالث الذي توج في نيسان ١٩٨٦ .



٣٢ -غانا Ghana

جمهورية غانا أو ساحل الذهب سابقاً

كان الأوربيون الذين قدموا للحصول على الذهب يطلقون على غانا الحالية ساحل الذهب لكثرة ما كانوا يحصلون عليه من هذه المادة الثمينة ولكن بعد الاستقلال اطلق عليها غانا تيمنا بامبراطورية غانا القديمة التي ظهرت في مالي والمنطقة حولها وتتشكل من مستطيل طوله ٦٧٥ كم شمالاً جنوباً و ٥٥٠ كم شرقاً غربا وتطل على خليج غينيه في الجنوب ولديها حدود مشتركة مع ساحل العاج في الغرب وبوركينا فاسو في الشمال وتوجو في الشرق ، تبلغ مساحتها ٢٣٨,٥٣٨ كم٢ وعدد السكان ١٣ مليون نسمة ومعدل الزيادة السكانية ٣٪ ، اللغة الرسمية هي اللغة الانكليزية ، وهناك عدة لغات يتحدث بها السكان مثل لغة (غا) الأكثر استخداماً ثم الفانتيه ايفيه ، كوي ، الهوسا ، واغباوي ، نزيما ، الآشانتي وهناك أقلية من بوركينافاسو يتكلمون اللغة الفرنسية أما الديانات المنتشرة ٤٣٪ مسيحيون أكثرهم بروتستانت، ٤٣٪ ديانات محلية ، ١٥ - ٢٠ ٪ مسلمون . وتنتشر فيها الأعراق البشرية الآتية : الآكان بينهم الأشانتي ٤٤٪ في الغابات الغربية لنهر الفولتا ١٦٪ داغومبا ما مبيروس في الشمال الأيفيه ١٣٪ منطقة نهر الفولتا غا ادانغبا سكان اكرا ، إلى الشمال من هضبة اكرا غوان ٣,٧٪ غورما ٣,٥٪ وتنتشر في غانا جالية لبنانية وسورية كبيرة ، العملة دالاسي ، السكان الريفيون ٧١٪ ، الكثافة بالكم٢ ٥١,٩٨ ، نظام الحكم فيها جمهوري رئاسي وهي عضو في الكومونولث البريطاني وللأشانتي حتى الآن ملكهم .

- المدن الرئيسية :

اكرا : عاصمة غانا وهي الميناء الرئيسي في البلاد تقع على خليج غينيه عدد سكانها وحدها ٨٥٩,٦٤٠ ومع الضواحي ١,٤٢٠,٠٦٦ نسمة وقد ازدهرت واتسعت بسرعة مع ازدياد تصدير الكاكاو والمنغنيز والذهب وفيها جامعة ايفينه .

كوماسي : عاصمة الأشانتي سكانها ٣٤٨,٨٨٠ نسمة وهي مركز تجاري للكاكاو ومن المدن المهمة (سيكوندي - تاكورادي ١٦١,٠٠٠ ألف نسمة ، كاب كوست ٨٠ ألفاً ، تامال ٨٠ ألفاً، تيما ٨٠ ألفاً .

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

لا توجد فيها تضاريس معقدة فهي مشكلة من هضبة أو عدة هضاب تسيطر على السهول الساحلية في الجنوب وعلى المنخفض الواسع في الشرق ويمتلئ حالياً ببحيرة الفولتا حيث تحجز مياه نهر الفولتا بفروعه الفولتا الأسود والأحمر والأبيض وراء سد كوسومبوا الضخم مشكلة أكبر بحيرة اصطناعية في العالم . وفي الجنوب الشرقي توجد هضاب الآشانتي ، وهي رطبة ومغطاة بالغابات وتتركز فيها أغلبية السكان وأما الجنوب الشرقي والشمال حيث المناخ مداري فهو أكثر جفافاً وغاباته متفرقة وتنتشر فيه السافانا .

ويقابل الزيادة في السكان خروج اليد العاملة إلى خارج البلاد، الدخل الفردي السنوي ٣٩٠ دولار (١٩٧٨) .

وتعتبر غانا بلاداً في طور التنمية ويمثل الاقتصاد الغاني نوعاً من التنوع النسبي ، والزراعة والصناعة هما في مرحلة التطور

وكذلك السياحة ، ويمكن أن نضيف للصادرات التقليدية الكاكاو والذهب والخشب أيضاً الثمار (الفواكه) والذرة الصفراء والألمنيوم (البوكسيت) وقد حدث هذا منذ تبني عام ١٩٨٣ المنهاج الدقيق الذي وضعه البنك الدولي وبذلك ازداد الدخل القومي العام وتم تثبيت الوضع . ومع ذلك ظلت الديون الخارجية مرتفعة وترهق الاقتصاد والعجز المالي ظل ملحوظاً ولكن البلاد رغم ذلك تعتبر نموذجاً يحتذى به من الناحية الاقتصادية والتنمية .

– التاريخ :

بعد البرتغاليين الذين كانوا أول من وصل لتلك البلاد في القرن الخامس عشر جاء الهولنديون ثم الدنمركيون والبروسيون ثم جاء الأنكليز ، حيث تمركزوا على السواحل منذ القرن السادس عشر ، وقد أصبحت المنطقة مركزاً رئيسياً لتجارة العبيد في ذلك الوقت واصبحت مستعمرة بريطانية عام ١٨٧٤ ولكن السكان الأشانتي لم يخضعوا للأنكليز إلا عام ١٩١٠ ولم تكن تجارة العبيد الوحيدة التي اهتم بها الأوربيون بل الذهب المتدفق من الداخل وأصبحت تسمى ساحل الذهب ، وقد حصلت غانا على استقلالها في ٦ أذار ١٩٥٧ وكانت أول الدول الأفريقية التي حصلت على استقلالها تحت زعامة قوامي نكروما منذ عام ١٩٥١ ، وهو الذي كان يدعو للوحدة الأفريقية واستقلال جميع الدول الأفريقية (مؤتمر اكرا عام ١٩٥٨) وقد أعلنت الجمهورية عام ١٩٦٠ ولكنها ظلت ضمن الكومونولث البريطاني ، ولكن حكمه في الداخل تميز بنظام اوتوقراطي فردي كان له تأثيرات عميقة على الاقتصاد في البلاد وزاد في ذلك انهيار الأسعار العالمية للكاكاو وأظهر خطأ الاعتماد

على مادة واحدة في الانتاج وقد قام العسكريون بالتعاون مع الشرطة في ٢٤ شباط ١٩٦٦ بإقالة نكروما الذي التجأ إلى غينيه (لدى سيكو توري) ثم اعطى العسكريون السلطة للمدنيين في ايلول ١٩٦٩ بسبب عدم تمكنهم من التغلب على الصعوبات الاقتصادية ولكن نظام الدكتور كوفي بوسيا (جامعي متحرر) ابعد هو الآخر في شباط ١٩٧٢ ، واستلم الحكم الكولونيل اغناطيوس اشيا مبونغ **Acheampong** الذي استطاع بنجاح البقاء في الحكم سبع سنوات وقد خلفه في الحكم فريدريك ويليام اكوفو في تموز ١٩٧٨ وقد اضطر الأول للاستقالة بضغط من الضباط الكبار لعدم تمكنه من ايقاف انهيار الاقتصاد الذي خلفه نكروما ولكن رجل غانا القوي لم يستطع هو الآخر ايقاف تدهور الاقتصاد وقد تدخل ضباط الصف في المشكلة وقد أعلن الملازم جيري ج راولينغ **Rawling** سيد البلاد الجديد الحرب على الفساد وعلى المستغلين وأخذ في تنظيم عملية تطهير مشكلاً محاكم شعبية حيث أوقف كثيراً من الشخصيات المشبوهة ، كما أعدم الضباط القدامى الجنرالين اشيا مبونغ وأكوفو ، والجنرال افريفيرا وخمسة ضباط آخرين . وكانت المفاجأة اختيار الشعب في الانتخابات العامة التي جرت في ٢٤ أيلول ١٩٧٩ الدكتور هيلاليمان المحافظ وزعيم الحزب الوطني لرئاسة الجمهورية بسبب حركة التطهير التي قام بها راولينغ سابقاً وقد انحنى هذا للأمر الواقع في بادىء الأمر ولكنه ، عاد للسلطة بدعم من اللجنة الثورية للقوات المسلحة بزعامته وكان قد أسسها في حزيران عام ١٩٧٩ وكانت حجة راولينغ ازدياد انهيار الاقتصاد والناحية الاجتماعية ولكنه في كانون أول ١٩٨١ علق الدستور ومنع كل الأحزاب السياسية وقد عاد السير بالاقتصاد

نحو الطريق الصحيح ، وفي نيسان ١٩٩٢ تم تشكيل دستور جديد كرس التعددية الحزبية وفي تشرين ثاني احرز راولينغ انتصاراً باهراً في الانتخابات الرئيسية وأصبح رئيساً للجمهورية الغانية ولا يزال .

٣٣ – غينيه Guinée

جمهورية غينيه

تقع جمهورية غينيه في غرب أفريقيا وتطل على المحيط الأطلسي ، ويحدها من الشمال الغربي غينيه – بيساو ، ومن الشمال السينغال ومالي ، ومن الشرق مالي وساحل العاج ، ومن الجنوب ليبيريا ، والجنوب الغربي سيراليون ولها ساحل بطول ٣٠٤ كم ومساحة غينيه ٢٤٥,٨٥٧ كم٢ وعدد سكانها ٦,٤٠٠ مليون نسمة والزيادة السكانية ٢,٥٪ سنوياً والكثافة بالكم٢ ٥١,٥٥ ، ونظام الحكم جمهوري رئاسي وتعتبر اللغة الفرنسية اللغة الرسمية وهناك عدة لغات وطنية يتم التحدث بها وهي سوسو ، بولار ، مالينكيه ، توما ، جيرزبه ، كيسي ، العملة فرنك غينيه ، وتنتشر فيها الأعراق البشرية التالية : ٤٠٪ فولبيه (فولاني) ١,٠٢٠,٠٠٠، مالينكيه ٢٥,٠٠٠ سوسو ، ٢٥,٠٠٠ كيسي ، ثم الباغاس ١٦٠ ألف ، ٨٥٪ من السكان مسلمون ويوجد ٤ ديانات محلية وبعض المسيحين ، الدخل الفردب السنوي (٢١٠) دولار .

– المدن الرئيسية :

كوناكري : عاصمة وميناء غينيه عدد سكانها ٧٠٥,٢٨٠ نسمة (٤٩ ألف عام ١٩٥٧) ميناء فعال لتصدير الحديد والبوكسيت والموز فيها صناعات معدنية وغذائية وهي نهاية الخط الحديدي الذي يصل بينها وبين كانكان وفريا .

كانكان : مدينة داخلية في غينيه على نهر ميلو عدد سكانها

٨٨,٧٦٠ نسمة عاصمة المقاطعة بنفس الاسم ، توجد فيها محالج ومصانع للقطن وهي مرتبطة مع كوناكري بخط حديدي .

كنيديا : تقع في الشمال الشرقي من كوناكري ، عدد سكانها ٨٠ ألفاً نسمة عاصمة مقاطعة بنفس الاسم فيها المركز الحراري لتوليد الطاقة الكهربائية الرئيسية وفيها مناجم البوكسيت .

– التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

أعطيت كلمة غينيه في الزمن القديم للمنطقة الساحلية الأفريقية التي تمتد من مصب نهر الكازاماس حتى نهر الغابون وتطل هذه المنطقة بقسم منها على خليج غينيه الواسع والممتد من ساحل العاج حتى آغويه في الغابون ، وتنقسم غينيه إلى أربعة أقسام طبيعية ظاهرة الخواص ، غينيه السفلى في الغرب أو غينيه البحرية ثم غينيه الوسطى (كتلة مرتفعات فوتادجالون) وفي الشرق غينيه العليا ، وفي الجنوب غينيه الغابيه ، السهل الساحلي رطب وتشرف عليه مرتفعات فوتا دجلون وهي مستودع المياه الأفريقية الغربية ففيها منابع أنهار غامبيا والسينغال ، وهي ذات كثافة سكانية عالية ، ويقل السكان في امتداداتها نحو الشرق ، وعلى الجنوب الشرقي هضبة عالية مغطاة بالسافانا وهناك المرتفعات تطل على الغابات الكثيفة ١٧٥٠م في جبل نيمبا ، وتشغل الزراعة ثلثي النشاط السكاني وتنتج المانيوك والرز والذرة الصفراء وهي المواد الرئيسية للغذاء ثم القهوة والبالم والفول السوداني والأناناس وكلها للتصدير. ويعتبر البوكسيت الثروة الوطنية الأولى ٩٠٪ من مواد التصدير مما يجعل البلاد تحت رحمة تقلب الأسعار العالمية وتوليد الطاقة الكهربائية يسمح بإيجاد مصنع للالمنيوم في فربا ، أما ميناء

كوناكري فهو النواة الرئيسية للاقتصاد الغيني وقد أعيدت العلاقات التجارية والسياسية مع البلاد الغربية بخاصة مع فرنسا منذ عام ١٩٧٨ . وعن هذا الطريق يأملون بأن يستعيد الاقتصاد الغيني عافيته وتنتمي غينيه للبلاد المتخلفة والديون الخارجية لا تزال عالية ٨٠٪ من الدخل القومي .

– **التاريخ** : احتل الفرنسيون غينيه في القرن التاسع عشر حيث شكلت منها مستعمرة غينيه عام ١٨٩٣ وكانت غينيه مركز ظهور امبراطوريات قوية إسلامية بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (امبراطورية الحاج عمر، وساموراي ... الخ) ثم أصبحت غينيه فيما بعد أقليم افرنسي لما وراء البحار عام ١٩٤٦ ، وتعتبر غينيه أول دولة من بلاد افريقية الغربية الفرنسية التي حصلت على الاستقلال ، وهي الوحيدة التي صوتت في الاستفتاء الذي دعا إليه ديغول في ٢٨ ايلول ١٩٥٨م والذي خير الدول الأفريقية تحت الحكم الفرنسي بالبقاء ضمن المجموعة الفرنسية أو الانسحاب منها، وكان الرئيس أحمد سيكوتوري أحد الدعاة الرئيسيين للوحدة الأفريقية وكان مرتبطاً جداً بالرئيس الغاني نكروما وناضل سيكوتوري نضالاً جباراً لاستقلال كامل ومباشر لشعبه لذلك رفض كل المقترحات التي قدمت إليه من قبل المجموعة الفرنسية (أو المجتمع الفرنسي كومونولث الذي اقترحه ديغول) وقد تم استفتاء بأغلبية ١,١٣٤,٣٢٤ ضد ٢٦,٩٨١ لذلك رفض المشروع الفرنسي ، وقد دفعت غينيا ثمناً غالياً بسبب رفضها الإنضمام إلى الامبراطورية الفرنسية التي قطعت كل علاقاتها معها لذلك جربت الاتحاد مع غانا في أعوام الستينات ومع مالي ولكن كل هذه المبادرات فشلت ولاقت غينيه صعوبات اقتصادية ادت بسيكوتوري

أن يلجأ للضغط والشدة أمام المعارضة التي كـان يشـجعها الرأسمـال الفرنسي والأوربي . وفي عام ١٩٧١ جربت المعارضة الغينية بدعـم من البرتغال النزول في كوناكري ولكنها فشلت ، وفي عـام ١٩٧١ اعتقل ديالوتيلي الذي كان سكرتيراً لمنظمة الوحدة الأفريقية ، ومنذ عام ١٩٧٥ كان يبـدو على غينيـه أنهـا تسـير نحـو الانفتـاح علـى الغرب دون التخلي عن توجهاتها الاشتراكية حيـث تمـت المصالحـة مـع فرنسـا وزار الرئيـس جيسـكار ديسـتان غينيـه بـين ٢٠ - ٢٢ كـانون أول ١٩٧٨ كمـا قـام سـيكوتوري بزيـارات ١٩٧٦ إلى الغـرب والشـرق الأوسـط ومصـر عـام ١٩٦٧- ١٩٧٩ وحضـر اجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية ورغـم المسـاعدات الروسـية إلا أن غينيه كانت بحاجـة إلى رؤوس الأمـوال مـن الخـارج والواقـع أن أفكار سيكوتوري الأشتراكية خلقت توتراً شديداً بينه وبين جيرانـه وسببت له مشاكل كثيرة وقد اقـترب أحمـد سيكوتوري في أواخـر أيامه من امريكا لتطوير صناعة واستخراج البوكسيت وعندما مرض ذهب لأمريكا للأستشفاء وهناك توفي في مارس ١٩٨٤ في كليفلند اوهايو وقد أدت وفاته إلى تدهور الأوضاع في غينيه وبخاصة نظـام الحكم . حيـث وقـع انقـلاب عسـكري بزعامـة الكولونيـل لنسـانا كونته الذي اعلن عن ظهـور الجمهوريـة الثانيـة ، وفي عـام ١٩٩١ تمت إعادة تنظيم الدسـتور وجـرى الاسـتفتاء عليـه وقـد سمـح هـذا الدستور بتعدد الأحزاب على أساس عودة الحياة المدنية لنظام الحكم عام ١٩٩٢ .

٣٤ – غينيه بيساو Guinée - Bissau

تقع في أفريقيا الغربية وتطل على المحيط الأطلسي وهي تتشكل من جيب يشرف على مستنقعات بحرية سهلية في الغرب ومن الشمال السينغال ، وغينيه (كوناكري) شرقاً ، تبلغ مساحتها عند الجزر ٣٦,١٢٥ وعند المد ٢٨ ألف وعدد السكان ٩٠٠ ألف نسمة . اللغة الرسمية هي البرتغالية وهناك لغة الكريول يتكلم بها السكان وهي مزيج من البرتغالية ولغات أخرى داخلية ، العملة البيزو البرتغالي ، الكثافة السكانية ٢٢,٥٨ بالكم٢ وتنتشر فيها الأعراق البشرية السوداء ٣٠٪ بالانت يقطنون السواحل وهم مزراعون للرز ونشيطون ، فولب (فولاني) ٢٠٪ وهم مزارعون ومربون للماشية في الهضبة الجنوبية – الشرقية ، مالينيكه ١٤٪ ثم المانجاس أما الديانات ٥٥٪ ديانات محلية وهم البالانت أما المالينكيه (ماندنغو) والبول فهم مسلمون ٣٠٪ .

– المدن الرئيسية :

بيساو : عاصمة غينيه بيساو وهي ميناء البلاد وعدد سكانها ١١٠,٠٠٠ نسمة وهي مركز تجاري يصدر منها زيت البالم والفول السوداني وكان عدد سكانها ٤٠ ألفاً عند الاستقلال .

– التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

يتمركز السكان في السهل الساحلي بكثافة مع مناخ استوائي رطب ومهيمن مع فصل طويل للأمطار بين مايس – تشرين ثاني حوالي ٣٠٠ مم في العام وفي الغرب ٢٠٠ مم في بيساو وهناك تأثيرات من بلاد الساحل في الشمال (٨٠٠مم) حرارة مرتفعة في كل الأتجاهات ٢٦ – ٢٧° على الساحل ٢٤ – ٣٠° في الداخل

وغينية كثيرة الغابات وتستند على الهضاب الداخلية المرتفعة قليلاً والزراعة والصيد هما الموردان الرئيسان للسكان الذين يتزايد عددهم ٢٪ سنوياً ، وتشمل الزراعة الفول السوداني ، جوز الكاجيو ، البالم ، الأخشاب وكلها مؤهلة للتصدير وتعتبر غينيه بيساو من الدول الأكثر تخلفاً وتطبق منذ عام ١٩٨٦ منهاج تنمية تم وضعه وتخطيطه من قبل البنك الدولي أما الدخل الفردي السنوي فهو ١٨٠ دولار .

– **التاريخ** : احتلها البرتغاليون في القرن الخامس عشر ، وقد فصلت كمستعمرة من مستعمرة الرأس الأخضر عام ١٩٧٩ وأصبحت تسمى غينيه البرتغالية وأعلنت استقلالها من طرفها في ٢٤ ايلول ١٩٧٣ في منطقة (مدينا دوبويه المحررة . وتم الأعتراف باستقلالها في ١٠ تشرين أول ١٩٧٤ أي بعد أحد عشر عاماً من الثورة التي قادها الحزب الأفريقي لاستقلال غينيه بيساو والرأس الأخضر) بقيادة مؤسسة الزعيم الأسطوري للمقاومة اميلكاركابرال داعية الوطنية الغينية مما اضطر البرتغالين لترك البلاد بعد ٥٠٠ عام من الاستعمار ، من عام ١٩٥٩ حتى مقتله عام ١٩٧٣ ظل اميلكار الزعيم الوحيد وخلفه شقيقه لويس الذي فاوض البرتغاليين (البرتغال الثورية) وأصبح رئيساً للجمهورية وقد ابعد عن الحكم بعد انقلاب عسكري عام ١٩٨٠ . أدى ذلك إلى انفصال غينيه بيساو عن الرأس الأخضر (حيث ينتسب أخوه اميلكار إليها) وحل محله كرئيس للدولة الجنرال برناردو فيرا ١٩٩١ أعيد السماح للأحزاب المتعددة وفي عام ١٩٩٤ أعيد انتخاب فيير رئيساً للدولة.

غينيه الأستوائية Guinée equatariales

جمهورية غينيه الاستوائية

تقع جمهورية غينيه الاستوائية في أفريقيا الغربية على خليج غينيه وتتشكل من قسمين الأول في القارة ويطلق عليه مبيني Mbini (ريوموني قديماً) وتحيط بهذا القسم الكميرون في الشمال والغابون من الجنوب والشرق) ، أما القسم الثاني فهو عبارة عن مجموعة من الجزر البركانية الرئيسية فيها هي جزيرة بيوكو (سابقاً فرناندوبو) ثم انديون (باغالو سابقاً) وبعض الجزر الأخرى التي ليس لها أهمية وتقع هذه الجزر مقابل دوالا في الغابون ، وتبلغ مساحة البلاد ٢٨,٠٥١ كم٢ منها مبيني (في القارة) ٢٦,٠١٧ كم٢ والباقي مساحة الجزر ، وهي جمهورية ذات نظام رئاسي ، الكثافة بالكم٢ ١٣,٤ ، عدد السكان ٣٥٠ ألف وذات نظام جمهوري رئاسي : الدخل السنوي الفردي ٣٣٠ دولار في بيوكو و١٣٠ دولار في مبيني ، تعتبر اللغة الاسبانية اللغة الرسمية والسكان الريفيون ٨٠٪ ، العملة فرنك C.F.A أما الأعراق البشرية فهناك شعب البوبي ويسكن في بيوكو وهي قبيلة وطنية تعد ١٥ ألف نسمة مع أقلية من الأيبو والأيفيك القادمين من نيجيريا أما مبيني فهي مسكونة من قبل الأكثرية الفانغ Fang وهم من أصول بانتويه ، وقد طردوا بين عامي ١٩٧٥ - ١٩٧٦ وكانوا يعملون في تحضير الكاكاو وكذلك الفضة ، الأغلبية الدينية هم من الكاثوليك ولكن تدخل معتقداتهم كثير من العادات الدينية المحلية .

– المدن الرئيسية :

العاصمة مالابو (٢٥ – ٣٠ ألفاً) وتقع في جزيرة بيوكو وأهم المدن على الساحل هي باتا ٢٠ ألف نسمة .

– التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية : معظم المناطق الجبلية العالية مغطاة بالغابات الكثيفة المنعزلة وهي قليلة السكان وفي البلدان المنخفضة تزرع المواد الغذائية للاستهلاك المحلي وكذلك للتصدير مثل الكاكاو والقهوة والخشب وتعد غينية الاستوائية بين البلاد المتخلفة .

– التاريخ : ظلت منذ عام ١٧٧٨ م مستعمرة اسبانية وكانت تسمى غينية الأسبانية ثم أصبحت عام ١٩٦٤ جمهورية ذات استقلال ذاتي ثم جمهورية مستقلة عام ١٩٦٨ تحت رئاسة فرانسيسكو ناسياس نغيما Franeiseo Naeias Nguema . لقد حكم المذكور البلاد بشدة وقسوة وكان يشغل بصفته رئيساً مدى الحياة القائد العام للقوات المسلحة وهو السيد الأعلى للتربية الشعبية والعلوم والثقافة التقليدية . الزعيم الأوحد للحزب العمالي الوطني وهو الوحيد في البلاد . ويعتبر نفسه المعجزة الوحيدة التي انتجتها غينية الأستوائية . وقد أبعد عن الحكم في آب ١٩٧٩ أثر انقلاب بزعامة العقيد ت.و. نغيما مباسوغو الذي وجد البلاد دون اقتصاد أو إدارة ودون كهرباء وكان عليه البقاء فترة طويلة لإعادة البلاد لما كانت عليه قبل استلام سلفه في حين ترك ثلث سكان البلاد وقد أعاد العلاقات مع اسبانيا والغرب . ثم أعاد للأحزاب حريتها في عام في عام ١٩٩٢ ، ثم جرت انتخابات تشريعية عام ١٩٩٣ على أساس التعددية الحزبية وقد أحرز حزب الحكومة نجاحاً قوياً وقاطعت أحزاب المعارضة الرئيسية الانتخابات . والواقع أن

جمهورية افريقية الأستوائية . رغم قلة عدد سكانها إلا أن لديها من الموارد الاقتصادية الجيدة مثل الكاكاو والقهوة والخشب والمجال السياحي مما يجعلها تتقدم بسرعة .

- (٣٦) غامبيا) -

غامبيا Gambie جمهورية غامبيا

تقع جمهورية غامبيا في افريقية الغربية وتشكل جيباً عميقاً في جمهورية السنغال على طول نهر غامبيا ويبلغ طول ساحلها على البحر ٦٠ كم وهو يشكل مصب نهر غامبيا الذي يعتبر هو وميناء داكار وفريتاون من أفضل موانئ القارة وطول النهر في غامبيا ٣٣٠ كم بعرض ٥٠ م تقريباً وتعتبر أصغر الدول الأفريقية الغربية مساحة ومساحتها ١١,٢٩٥ كم٢ وعدد السكان ٥٨٠ ألف . الكثافة السكانية ٦١,٥ بالكم٢ والزيادة السكانية كبيرة وثلاثة أرباعهم يعيشون في الأرياف ونظام الحكم جمهوري رئاسي وهي عضو في الكومونولث البريطاني واللغة الرسمية فيها الانكليزية ويتحدث الناس أيضاً بلغة الماندنغو وهي أكثر اللغات استخداما والعملة تسمى دالاسي . الاعراق البشرية ٤٢ ٪ ماندنغو الولوف ١٥٪ ويعيشون في وسط البلاد ثم البيول (فولاني ١٨٪والسيراكوليه في الشرق والديولا في الغرب . جميع السكان مسلمون .

المدن الرئيسية بانجو Banjue وهي العاصمة وعدد سكانها ٧٠ ألفاً مع ضواحيها وتقع على الساحل وهي الميناء الرئيسي التجاري لغامبيا أما بقية المدن فهي تجمعات سكانية صغيرة نصف مستقرة وهي أقل من ٢٠ ألفاً من السكان .

التضاريس النواحي الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تتشكل البلاد من سهل مداري يحيط بمصب نهر غامبيا وطقسها من النموذج المداري أيضاً وفصل الأمطار يمتد من مايس

إلى تشرين أول . وتتغير درجة الحرارة بقدر ابتعادها عن البحر ٢٤ درجة إلى ١٩ درجة على الساحل ، ويشكل الفول السوداني (الرشيد) الدعامة الرئيسية في البلاد وللاقتصاد الوطني وهناك محاولات لزيادة زراعة الرز والصناعة فيها تقريباً معدومة أما السياحة فبالرغم من بطئها إلا أنها تزدهر شيئاً فشيئاً وعلى العموم فغامبيا فقيرة جداً وتنتمي للعالم الثالث .

– **التاريخ** : استلفت مصب نهر غامبيا البرتغاليين في القرن الخامس عشر وكانوا يعتقدون أن دخولهم فيه يوصلهم إلى مملكة الراهب هنا في الحبشة . ولكن الأنكليز الذين أتوا بعد البرتغاليين هم الوحيدون الذين استقروا فيها بقوة في القرن الثامن عشر ، أصبحت مستعمرة بريطانية في عام ١٨٤٣ ثم حصلت على استقلالها عام ١٩٦٥ في ١٨ شباط ثم تشكلت منها جمهورية بزعامة الرئيس داوودا جاوارا ، وتاريخها الحديث هو تاريخ علاقاتها مع جيرانها بخاصة السينغال ، وقد بذلت جهوداً ومشاريع كثيرة للتكامل مع السينغال ولكن الخلافات دبت على كيفية التنظيم السياسي والاقتصادي ، وهي التي أوقفت هذا التكامل وبعد توترات شديدة ومصالحات وفي عام ١٩٧٩ تمت إقامة منظمة من الدول الثلاث السنغال وغينية وغامبيا لاستخدام نهر غامبيا . وقد تدخلت السينغال مرتين في غامبيا لاعادة النظام والهدوء فيها ثم في عام ١٩٨٢ تم تأسيس الأتحاد الفيدرالي بين الدولتين وأطلق عليه سينغامبيا ولكن هذا الاتحاد الفيدرالي ألغي من قبل السنغال عام ١٩٨٩ وعادت البلاد مستقلة لوحدها . وفي عام ١٩٩٤ أطاح العسكريون بالرئيس داوودا جاوارا .

- (٣٧) الفابون) -

- الغابون Gabon جمهورية الغابون .

تقع جمهورية الفابون في افريقية الوسطى الاستوائية وتطل على المحيط الأطلسي يحدها من الشمال الغربي غينية الاستوائية ومن الشمال الكاميرون ومن الشرق والجنوب الكنغو برازافيل وتطل على الأطلسي بساحل طوله ٨٠٠كم ومساحتها ٢٦٧,٦٦٧ كم[٢] وعدد السكان مليون شخص الكثافة ٤ بالكم٢ ويقطن أغلب السكان في الريف ٥٧٪ نظام الحكم جمهوري رئاسي اللغة الرسمية هي الفرنسية أما اللغة الوطنية الأكثر انتشاراً فهي لغة فانغ حيث يتكلم بها ويفهمها ٤٠٪ من السكان ثم لغة مينيه وباتيكيه وتتألف الأعراق البشرية في الغابون من فانغ ٣٠٪ مينية بوروايشيرا ٢٢٪ لادوما ١٧٪ توتاتيكيه بوتيكيه . وتنتشر الديانات ٤٩,٥٪ ديانات محلية ٤٠٪ كاثوليك ٤٪ بروتسانت ٥,٥ ٪ مسلمون ويزداد عددهم بعد اعتناق رئيس الجمهورية عمر بونفو الديانة الاسلامية .

- المدن الرئيسية :

ليبرفيل : العاصمة وعدد سكانها ٢٥٠ ألف نسمة وهي ميناء الغابون وفيها المطار المدني ونهاية خط حديد عبر الغابون أمّا المدن الرئيسية فهي (بورت جانتيل ٧٥ ألفاً) ثم (لامبارينية) وتقع وسط غرب البلاد ثم (مويا) . (وفرانستيل) - (باتا) .

- التضاريس الأحوال الطبيعية والأقتصادية والبشرية :

يمر خط الأستواء من منتصفها وتتمركز على حوض لوغوية

L’ ogaaue وتتشكل الغابون من سهل ساحلي يمتد حتى يصل إلى منطقة الهضاب يرتفع بعضها ، قمة جبل ايبوندجي ١٥٧٥ م في سلسلة جبال شيللو ثم سلسلة جبال الكريستال وتغطي الغابات الكثيفة الرطبة ٧٥٪ من مساحة البلاد وطقسها استوائي والحرارة المتوسطة (٢٦°) وتسيطر الرياح الموسمية في فصل الأمطار من أيلول حتى كانون أول أما رياح الأليزه فتهب في فصل الجفاف . وتعتبر الغابون من البلاد قليلة السكان رغم وجود مائة ألف غريب فيها ويتزايد السكان ٢٪ سنوياً . ورغم نزول عدد كبير من سكان الريف إلى المدن إلا أن الريف لايزال يجمع أغلبية السكان . وتعتبر الغابون الدولة الأفريقية التي تمتلك أعلى دخل في افريقية بالنسبة لعدد السكان ٧٥٩٠ دولار (عام ١٩٧٩) وفيها البترول – الغاز، المنغنيز اليورانيوم وهي مواد جميعها للتصدير وتعتبر فرنسا الشريك الأول للغابون وتعتبر الثالثة في العالم بانتاج المنغنيز والثانية كمصدرة لهذه المادة ولديها احتياطي بترول ٢٠٠ مليون طن ثم اليورانيوم ١٠٢٠ طن ، تم تصديره عام ١٩٧٩ وكان الاقتصاد في الغابون يعتمد على تصدير الخشب من الغابات الكثيفة وكان المادة الرئيسية في السابق للتصدير . وبالنظر إلى تدهور وانخفاض الأسعار العالمية للمواد الأولية الستراتيجية المذكورة وزيادة الديون الخارجية فقد التجأت الحكومة وطبقت اجراءات التقشف في البلاد مما أدى للاضطرابات التي جرت عام ١٩٩٠ وقد فرض التقشف من قبل البنك الدولي .

– **التاريخ** : تم اكتشاف الغابون من قبل البرتغاليين . وكانت تشكل احدى المراكز الرئيسية لتجارة العبيد ولكن الفرنسيين استعمروها في القرن التاسع عشر بخاصة (أعمال

سافورنان دوبرازا) ثم ارتبطت بالكونغوالفرنسية عام ١٨٨٨ .
ودخلت الغابون ضمن منطقة افريقية الأستوائية الفرنسية A . E.F
عام ١٩١٠ ثم التحقت بفرنسا الحرة عام ١٩٤٠ ثم أصبحت
اقليماً فرنسياً لما وراء البحار ١٩٤٦ ثم حصلت على الاستقلال
الذاتي عام ١٩٥٨ وأخيراً حصلت على استقلالها الكامل عام
١٩٦٠ . وقد انتخب (ليون مبا) لعام ١٩٦١ وخلفه في منصب
الرئاسة ١٩٦٧ البرت بونغو (وقد اعتنق الاسلام عام ١٩٧٣ وحج
إلى مكة وتلقب باسم الحاج عمر بونفوا وقد شكل في آذار ١٩٦٨
الحزب الديمقراطي الغابوني وهو الحزب الوحيد المسموح به في
البلاد وقد انتخب مراراً للرئاسة بالانتخاب المباشر وقد أدى تدهور
اسعار البترول الخام والدولار إلى نقص كبير في الموارد المالية للدولة
كما أدت عملية التقشف إلى اضطرابات عنيفة مفاجئة و لم يستطع
الرئيس بونغو أن يتغلب عليها إلا بمساعدة القوات الفرنسية واثر
ذلك ألغى بونغو نظام الحزب الوحيد . ومع ذلك فقد احرز حزب
الرئيس انتصاراً قوياً في الانتخابات التشريعية التي جرت في تشرين
أول ١٩٩٠ وهو يحكم البلاد منذ عام ١٩٦٧ واصله من منطقة
فرانسفيل وهو من مواليد ١٩٣٥ .

٣٨ - كونغو Congo جمهورية الكونغو

(سابقاً كونغوبرازافيل)

تقع جمهورية الكونغو في افريقية الاستوائية يحدها من الغرب المحيط الأطلسي (٢٠٠ كم من السواحل) والغابون والكميرون، ومن الشمال جمهورية افريقية الوسطى ومن الشرق زائير ومن الجنوب الغربي كابندا (انغولا) تبلغ مساحتها ٣٤٢,٠٠٠ كم[٢] وعدد السكان ٢,٢٠٠,٠٠٠ نسمة وهناك ازدياد سكاني سنوي ٢,٥٪ والكثافة السكانية بالكم٢ ٤,٧٥ . نظام الحكم فيها جمهوري رئاسي وتعتبر اللغة الفرنسية اللغة الرسمية في المعاملات الحكومية والتجارة وهناك لغتان محليتان يتكلم بها السكان وهي لغة لينفالا ولغة الكوكونقو . ولاتزال أغلبية السكان يدينون بالديانات المحلية وهناك قسم يعتنقون الديانة المسيحية . العملة فرنك C.F.A وتنتشر في الكونغو الأعراق البشرية من أصول البانتو وأكثرهم يعود إلى (٤٥٪ الباكونغو) . (٢٠٪ والباتيكبه) . (١٠٪ ثم ، بوشي) M , bochies وتتمركز أغلبية السكان في الجنوب وعلى السواحل وفي الأودية . الدخل الفردي السنوي ٥٤٠ دولار ١٩٧٨ .

- المدن الرئيسية :

برازافيل : عاصمة الكونغو وتقع على الضفة اليمنى لنهر الكونغو وتتصل بسكه حديد مع مدينة النقطة السوداء الميناء على الأطلسي عدد سكانها (٦٠٠) ألف وهي ميناء نهري ومركز تجاري هام وفيها الصناعات الغذائية والنسيج وقد بنيت مكان

المركز العسكري ناهو وأسسها (برازا) عام ١٨٨٠ ثم أصبحت عاصمة أفريقية الفرنسية الاستوائية عام ١٩١٠ . وفي عام ١٩٤٤ عقد فيها مؤتمر برازافيل الذي تراسه الجنرال ديغول حيث أجتمع فيها كل ممثلي المستعمرات الفرنسية السوداء الدراسة إقامة نظام جديد للامبراطورية .

بوانت نوار (النقطة السوداء) الميناء الرئيسي في الكونغو وترتبط ببرازافيل بخط حديدي (الكونغو المحيط) عدد سكانها ٢٩٨ ألف نسمة وهي مركز مقاطعة . ثم (كابي kayie ١٣٥ ألفاً) ثم (لوبومو ٢٥ ألف).

- التضاريس الأحوال الطبيعية والبشرية والأقتصادية :

تضاريس رتيبه تتشكل من هضاب وتلال ويتخللها نهر الكونغو بروافده الغزيرة مع الضفة اليمنى لنهر الأوبانجي وسانفا . والغابات الكثيفة الموجودة في شمال البلاد تتدرج إلى سافانا والتي تظهر في الجنوب المداري . وهي معرضة لطقس استوائي واستوائي معتدل حار ورطب . فصل طويل على هضبة باتيكيه حيث تختلف درجة الحرارة بين ٢١ - ٢٧ ° أمّا المنخفض الكونغولي فهو أكثر رطوبة وتصل درجة الحرارة إلى ٢٤ - ٣٠° وتغطي الغابات الاستوائية ٥٠٪ وتعتبر زراعة المواد الغذائية للاستهلاك المحلي قاعدة الاقتصاد الكونغولي . ويشكل البترول المادة الرئيسية للتصدير ٩٠٪ من العملة الصعبة بالإضافة إلى صناعة وقطع الأشجار ومشتقاتها وتعتبر كل من برازافيل والبوانت نوار المركزين الرئيسين للأقتصاد في البلاد . وقد ارتفعت الديون الخارجية كما اتخذت اجراءات مشددة لتحرير الاقتصاد والاتجاه نحو الاستثمارات الخاصة أو

بالأحرى اقتصاد السوق . وقد وافق البنك الدولي على المناهج المتبعة والتي طبقت عام ١٩٩٠ . وينتشر السكان بشكل غير منتظم. وأكثر الأماكن كثافة جنوب برازافيل وعلى الساحل ثلاثة أرباع السكان .

– **التاريخ :** ظهرت في الكونغو عدة ممالك قديمة (ماتوبو في القرن الخامس عشر ولوانغو) وقد وضع المكتشف الفرنسي سافورنان دوبرازا تلك الممالك تحت الحماية الفرنسية بين ١٨٧٩ – ١٨٨٢ ثم تشكلت الكونغو عام ١٨٩١ واصبحت مستعمرة فرنسية واستقلت استقلالاً داخلياً عام ١٩٠٣ ، وأصبحت عضوا في افريقية الاستوائية الفرنسية وعاصمتها برازافيل وأصبح اسمها الكونغو الوسطى . ثم انضمت إلى فرنسا الحرة منذ عام ١٩٤٠ وحصلت على استقلالها الكامل عام ١٩٦٠ وكان القس فولبرت يولو قد انتخب رئيساً للجمهورية في ٢١ تشرين ثاني ١٩٥٩ وتم اعلان الاستقلال في ٥ آب ١٩٦٠ ولكن فولبرت استقال عام ١٩٦٢ لصالح ماسيمبا – ديبا . وقد أبعد هو الآخر عن الرئاسة ١٩٦٨ من قبل ماريان نغوبي الذي اتخذ الحزب الواحد كسبيل للحكم وغير وضع جمهورية الكونغو عام ١٩٧٠ إلا أنه قتل عام ١٩٧٧ وفي عام ١٩٩٠ جاء ساسو نغيسو الذي كان رئيساً للجمهورية منذ عام ١٩٧٩ فوضع حداً للنظام الماركسي السائد في البلاد . واتخذ فكرة الديموقراطية الاجتماعية كمنهج للحكم . ثم شكل الوزارة اندريه ميلونفو عن طريق مؤتمر وطني في حزيران ١٩٩١ ، وكلف بتنظيم الانتخابات العامة ثم نظم دستور جديد عام ١٩٩٢ وضع نهاية للنظام الماركسي – اللينيني . وفي نفس

العام انتخب زعيم المعارضة باسكال ليسونا رئيساً للجمهورية في أول انتخابات حرة في تاريخ البلاد . وبعد أزمة سياسية حادة ، وفي عام ١٩٩٥ جرت مصالحة وطنية .

- (٣٩) كينيا) -

كينيا Kenya جمهورية كينيا

تقع جمهورية كينيا في افريقية الشرقية ويحدها من الشرق الصومال والمحيط الهندي . ومن الجنوب تنزانيا ومن الغرب أوغندا ومن الشمال السودان واثيوبية تبلغ مساحتها ٥٨٣,٦٤٦ كم٢ وعدد السكان ٢٦ مليون ، ومع الزيادة الديموغرافية أكثر من ٤٪ سنوياً . ولديها (٤٠٠) كم ساحل المحيط الهندي كما أنها تطل على بحيرة فكتوريا الواسعة من الغرب . الكثافة بالكم٢ ٣٠,٢٠ . نظام الحكم جمهوري رئاسي وهي عضو في الكومونولث يتكلم السكان السواحيلية وهي اللغة الرسمية بالأضافة إلى الأنكليزية وعدة لغات ذات أصول بانتونية ونيلبه وكوشيه . العمله : الشلن الكيني: أمّا الأعراق البشرية : كيكيو ٢١٪ لو ١٥٪ كمبا ١١٪ وهناك البولايا ، الماساي فاندي كيلا نجين والرحل الصوماليون . وحسب احصاء ٨٢ كان يقطنها ١٧ مليون بينهم ٥٩ ألف اسيوي ٥٠ ألف أوربي ٣٩ ألف عربي ٤٨ ألف عناصر مختلفة بينهم ٥٠٪ يعتنقون ديانات محلية ٣٠٪ مسيحيون ٧٪ مسلمون هندوس ١٪ ويقطن ٧٥٪ من السكان في الشرق على بحيرة فكتوريا وفي منطقة الأرض العالية أو على الشريط الساحلي . الدخل الفردي السنوي ٣٠٤ دولار ١٩٧٩ . و٨٠٪ من السكان يعيشون في الريف .

– التضاريس الأحوال الطبيعية والأقتصادية والبشرية :

ترتفع في الغرب الأراضي العالية والبركانية وأعلاها قمة جبل كينيا ٥١٩٤ م . نصل بعد ذلك للأخدود الكبير (ريفت فالي) الذي يبدأ من الشمال مع بحيرة توسكان (بحيرة رودولف سابقا) الموازية للحدود الأوغاندية ، هناك هضبة عالية تظهر فيها بحيرة فكتوريا وتخضع هذه الأراضي بغاباتها الكثيفة لمناخ استوائي رطب (رياح الأليزة) وتسيطر على السهل الساحلي من الجنوب – الشرقي وتقل أمطارها حيث تسود مناطق السافانا المكشوفة أو الأشجار المتناثرة .. ويتركز في هاتين المنطقتين أغلب السكان في البلاد ، أمّا الهضبة الشمالية والشمالية الشرقية فهي أكثر جفافا وتسود فيها القفار (الستيب) أمّا المناخ فهو استوائي على الساحل ، وصحراوي مداري حار في الداخل ٣٠٠ مم من المطر سنويا في الشمال الغربي وحتى ٢٠٠٠ مم إلى الغرب .

تعتمد الزراعة على المنتجات الخاصة بالتصدير الموجودة في الأراضي العالية والسهل الساحلي مع الثروة الحيوانية الكثيفة بخاصة في الشمال حيث يعيش الصوماليون الرحل . وهناك بعض الصناعات في طريق التطور في نيروبي وممباسا وأهم منتجات التصدير ، القهوة ، الشاي ومنذ فترة أصبحت الفواكة والخضار والزهور مواد رئيسية للتصدير وتشكل أكثر الصادرات مردوداً . يضاف إلى ذلك السياحة النشيطة . وتستند على ١٨ حديقة وطنية طبيعية محجوزة . وهناك حماية قاسية للطبيعة وللحيوانات المتوحشة (نضال مرير ضد صيادي ومهربي تجارة العاج) وتؤمن ٢٥٪ من العائدات للبلاد ومع ذلك يظل اقتصاد كينيا هشا ويحتاج إلى المساعدات الخارجية والبنك الدولي .

وبسبب اتباع كينيا لطريق الحرية الاقتصادية فقد أصبحت مكانا لدخول رؤوس الأموال الأجنبية وهي التي لعبت دوراً كبيراً وحاسماً في ازدهارها السريع خلال الفترة التي تلت الاستقلال . ولكن هناك مسائل رئيسية تهيمن على الحياة الاقتصادية وهي النقص في انتاج المواد الغذائية للحياة اليومية كأغلب دول افريقية بالاضافة إلى سوء استخدام عام ، وازدياد ضخم ، في ميدان الخدمات ، فخطة التنمية الرابعة ١٩٧٩ - ١٩٨٣ كانت تستهدف ثلاث مسائل ذات أفضلية وهي النضال ضد الفقر في وسط ريفي ، توزيع الانتاج الصناعي وإعادة تنظيم اليد العاملة بشكل يوجه ٩٠٪ من الاستخدام نحو القطاعات الانتاجية . والمجموع الكلي للاستثمارات الأجنبية يصل إلى عشرة مليارات من الدولارات وكان المفروض أن يزداد الدخل القومي الصافي ٩,٣٪ سنوياً مسألتان هامتان لهما أثرهما في النجاحات العامة خلال تطبيق الخطة . اولا وجود طبقة بورجوازية قوية ذات فعالية كبيرة في الريف والمدن مع جالية بريطانية زراعية قوية في الريف وهناك قاعدة صناعية أخذت تتشكل وهي الأكثر أهمية في افريقية الشرقية. إن انخفاض أسعار القهوة والشاي وهما المنتجان الرئيسيان للتصدير ومع ذلك تم تسجيل نجاح لابأس به في الخطة . وقد انسحبت كينيا من سوق أفريقية الشرقية في حزيران ١٩٧٩والذي كان يضم تنزانيا وأوغندا واتجهت كينيا نحو بلاد الشرق الأوسط وداخليا تعتبر كينيا من الدول المستقرة سياسياً ولديها شبكة اتصالات قوية مع وسائط نقل جيدة . وتأمل كينيا ، الاستفادة من الاستثمارات القادمة من بلاد البترول .

– المدن الرئيسية :

توضح هذه الفقرة قبل السابقة (التضاريس والأحوال الطبيعية) ووراء العموميات .

نيروبي : عاصمة كينيا وتقع على ارتفاع ١٦٠٠ م عدد سكانها ١,١٦٢,١٩٠ وهي المركز الرئيسي في كينيا للتجارة والصناعة وتتصل بكل من كامبالا وممباسا بخط حديدي .

ممباسا . الميناء الرئيسي للتجارة في كينيا على المحيط الهندي عدد سكانها ٤٤٢,٣٧٠ وفيها مصفاة للبترول . وتعتبر ممباسا احدى المدن القديمة التجارية في كينيا وتكثر فيها الجاليات العربية وترتبط بخط حديدي مع نيروبي وتقع المدينة على جزيرة صغيرة داخل خليج ممباسا ومن المدن الهامة : (ناكورو ٧٠ ألف) . (تيسومو ٦٠ ألف) .

التاريخ : كانت السواحل الكينية أكثر سواحل شرق افريقية اتصالا بالخارج وعن طريقها كانت تصدر أغلب الصادرات الأفريقية من عاج الفيل وريش النعام ورقيق وحتى النحاس وغيره وقد أقام التجار العرب منذ القرن الرابع عشر مراكز تجارية هامة على الجزر الصغيرة الواقعة على السواحل وتحولت هذه المراكز إلى مدن وسلطنات مثل كلوه وممباسا وماليندي وغيرها وعندما وصل البرتغاليون في نهاية القرن الخامس عشر لتلك السواحل سيطروا على تجارتها فترة طويلة ، حتى استطاع العمانيون أخراجهم منها وأخيراً وقعت تحت سيطرة الأنكليز بعد سيطرتهم على سلطنة زنجبار وكانت تلك السواحل تتبع سلطانها وظل علمه على ميناء ممباسا حتى عام ١٩٦٤ عندما استقلت كينيا . أصبحت كينيا

مستعمرة للتاج اعتباراً من عام ١٩٢٠ . وهنا خضعت لاستنزاف أوربي في العهد الاستعماري مما دعا قبائل الكيكيو الى تأسيس الجمعية المركزية للكيكيو ١٩٢٥ بزعامة جومو كنمياتا أسد كينيا. الذي اعتقل وتبع ذلك ثورة الماوما والدموية ١٩٥٢ عندما وضع الأنكليز يدهم على الأراضي الزراعية المعروفة باسم المرتفعات البيضاء . قضى الأنكليز بشدة وقسوة على الثورة ١٩٥٣ - ١٩٥٦ م . وفي عام ١٩٦١حصلت كينيا على استقلالها الذاتي . وفي عام ١٩٦٣ حصلت على استقلالها الكامل وأصبح جومو كينياتا رئيساً للوزراء بعد أخراجه من السجن . ثم أصبح رئيساً للجمهورية من عام ١٩٦٤ حتى وفاته عام ١٩٧٨ وحكم البلاد بيدين قويتين . ورغم التوتر الشديد بين الأعراق البشرية الكثيرة . استطاع خليفته (آراب موي) تغيير وجه كينيا السياسي حيث ألغي عام ١٩٩١ سياسة الحزب الحاكم الواحد . وهنا دخل إلى كينيا نوع من الديموقراطية الحزبية . واستطاع آراب موي القضاء على كل الأضطرابات التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى وأعيد انتحابه عدة مرات . ولايزا ل رئيساً للجمهورية .

- (٤٠) الكميرون -

- الكميرون Cameroun جمهورية الكميرون المتحدة

تقع الكميرون في غرب أفريقية وتطل على خليج غينيه (٢٥٠ كم من السواحل) وهي على شكل مثلث متساوي الساقين ورأسه في بحيرة تشاد لذلك أصبحت الكميرون نقطة اتصال بين افريقية الوسطى والغربية . ولهذا المثلث حدود مع ست بلدان . نيجيريا ، تشاد جمهورية افريقية الوسطى . الكونغو . الغابون وغينية الاستوائية مساحتها ٤٧٥,٤٤٢ كم[٢] عدد السكان ١٠,٤٤٦,٠٠٠ نسمة معدل النمو السكاني السنوي ٢,٥٪ الكثافة ١٨,٥ بالكم ٢ . نظام الحكم جمهوري اتحادي . وهي عضو في الكومونولث البريطاني . اللغتان الأنكليزية والفرنسية لغتان رسميتان. ويتكلم السكان عدة لهجات ولغات محلية مثل الباميلكيه . والبانتيل ... الخ وتنتشر فيها الأعراق التالية ١٥ ألف قزم ١,٩٠٠ مليون بانتو (منهم ماكياس ٢٠٠ ألف فامغ ٩٠٠ ألف ماساس باتوكوس ٢٦٥ دوالا ١٤٠ ألف بيتي ٧٠ ألف مزيج مع البانتو ٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة باميليكيه ٨٥٠ ألف وهم رجال أعمال باباس ١٢٥,٠٠٠ سودانيون شماليون ١,٣٠,٠٠ قدماء سودانيون منهم (ماساس ، يوبوري بوم دورو) سودانيون جدد ١٦ ألفاً (٣٠٠) ألف ساميون عرب وشوا ١٦٠ ألفاً .

الديانات ٤٤٪ يدينون بالديانات المحلية ٢١ ٪ مسلمون ٣٥٪ بروتستانت وكاثوليك العمله : فرنك CFA ويعيش في المدن ٥٠٪ من السكان الدخل الفردي السنوي حوالي ٦٠٠ دولار احصاء البنك الدولي ١٩٧٨ .

المدن الرئيسية :

- يادونديه Yaounde عاصمة الكميرون وترتبط بدوالا بخط للسكة الحديدية عدد سكانها ٦٥٣,٦٧٠ نسمة ، وهي مركز اداري وتجاري وفيها اسقفية كاثوليكية وقد وقفت الكميرون في عام ١٩٦٩ اتفاقية ياونديه Yaounde (وهو اتفاق ارتباط مع بلاد CE . E) وقد تم توقيعها من قبل عشرة أقطار افريقية مع مدغشقر.

دوالا : هي ميناء الكميرون . عاصمة منطقة (دوالا) يبلغ عدد سكانها ١,٠٢٩,٧٣٠ نسمة ومنها يتم تصدير الخشب والكاوتشوك والألمنيوم من منطقة ايديا وفيها صناعات ميكانيكية ونسيج واسمنت ومن المدن المهمة (نكونقسامبا (٧٥) ألفاً بافوسان (٧٠) ألفاً) (غارونا ٦٠ ألفاً) (ماروا ٦٠ ألفاً)

التضاريس والأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية :

تتدرج من السهول الساحلية ذات الكثافة السكانية الواقعة في الجنوب الغربي هضبة واسعة وسطى ترتبط في الشمال بسهول حوضي نهر بنويه وبحيرة تشاد ، وتحيط بالجانب الغربي سلسلة بركانية حادة ترتفع ٤٠٧٠ م وهي قمة جبل الكميرون . أما المناطق الجنوبية فيسيطر عليها أقليم ماتحت الاستوائي وهي مغطاة بالغابات الكثيفة وكذلك في الشمال . وتتعرض مناطق السافانا إلى فصول جافة أكثر طولاً من غيرها .

أمّا اقتصاد الكميرون فيعتمد في تطوره على الزراعات التجارية : القهوة - الكاكاو بخاصة والتي تؤمن ٤٠٪ من الدخل القومي وهو ينافس في أنتاجه البترول الذي يستثمر منذ عام ١٩٧٨

في دوالا على تنمية القطاع الصناعي (قليل التنوع) المنيوم في (أيدا) ثم النسيج والزراعة الغذائية) وتعتبر الكميرون من البلدان الأفريقية المزدهرة فالدخل القومي الصافي للفرد سنوياً ألف دولار ولكن انخفاض أسعار مواد التصدير في الأسواق العالمية أصاب البلاد بخلخلة وعدم توازن وتم فرض سياسة تقشف منذ عام ١٩٨٦ دعم بمنهاج منظم من قبل البنك الدولي وقد أدت الأزمات الاقتصادية في البلاد إلى ظهور مشاكل واضطرابات اجتماعية عامة ١٩٩٠ .

– **التاريخ :** لاشك أن الشعب الكميروني هو شعب خليط تشكل من وصول اعداد كبيرة من السكان قدمت تباعاً وعلى فترات من الشمال ونشأت فيه ممالك قوية في القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر (باموم شوما – ميوم) اكتشفت المناطق الساحلية من قبل فرناندو بويو في القرن الخامس عشر وأصبحت المناطق الساحلية مراكز لتجارة العبيد في القرن السابع عشر وقد استكشفت المناطق الداخلية في القرن التاسع عشر وسميت البلاد باسم النقيب البريطاني كميرون الذي اجتاز القارة من البحر إلى البحر مبتدئاً من الكميرون ومنتهياً بزنجبار عام ١٨٧٢ وكان أول أوربي يقوم بهذا العمل وفي عام ١٨٨٤ أصبحت البلاد محمية ألمانية. وقد فتحت الاتفاقية التي وقعت بين فرنسا وألمانيا ١٩١١ للألمان بامتداد حتى حدود الكونغو ونهر الأوبانجي وتم احتلال الكميرون خلال الحرب العالمية الأولى من قبل القوات الفرنسية والبريطانية بين أعوام ١٩١٤ – ١٩١٦ ثم وضعت عصبة الأمم البلاد عام ١٩٢٢ تحت الوصاية الفرنسية ووضع قطاع صغير في الغرب تحت حكم بريطانيا . استقلت بلاد الكاميرون الفرنسية عام ١٩٦٠ وشكلت مع القسم الجنوبي من الكميرون البريطاني عام

١٩٦١ دولة الكميرون بينما فضل الجزء الشمالي من الكميرون البريطاني الانضمام إلى نيجيريا . وكانت دولة اتحادية في بادئ الأمر ثم أصبحت دولة متحدة عام ١٩٧٢ برئاسة / أحمدو اهيدجو الذي ظل رئيساً للجمهورية من عام ١٩٦٠ إلى ١٩٨٢. ومنذ اعلان الأستقلال كان هناك شك في صمود الوحدة بين قسمي الكميرون بالأضافة إلى قيام معارضة مسلحة داخل البلاد ضد السلطة المركزية للرئيس أحمدو اهيدجو ولكن بعد توحيد القسمين أو الجزءين الكبيرين نشر الدستور الذي نظم عام ١٩٧٢ ونص على وحدة الدولة التي سميت جمهورية الكميرون المتحدة بزعامة أحمدو اهيدجو ويعاونه الحزب الوحيد الاتحاد الوطني الكميروني و أمّا الثوار الذين ظهروا في بلاد الباسا والباميلكية فقد استؤصلوا بقسوة ، وفي شباط عام ١٩٨٠ عقد مؤتمر للحزب الوطني الكميروني في بلاد الباميبكليه للمصالحة الوطنية وأصبح اسم الحزب عام ١٩٨٢ التجمع الديموقراطي لشعب الكميرون R . o . p . c وفي عام ١٩٨٣ تخلى اهيدجو عن الحكم لنائبه (بول بيا) الذي كان المرشح الوحيد لحزب التجمع الديموقراطي حيث انتخب رئيساً للجمهورية ١٩٨٤ . وأعيد انتخابه عام ١٩٨٨ بأغلبية ضعيفة ثم أعيد انتخابه للمرة الثالثة ، م ١٩٩٢ بعد اعلانه اعادة الحياة السياسية والحزبية للبلاد عام ١٩٩٠ .

- (٤١) ليبيريا -

ليبيريا Liberia : جمهورية ليبيريا :

تقع في افريقية الغربية وتطل على المحيط الأطلسي من الجنوب والجنوب الغربي وتحدها سيرالون من الشمال الغربي وغينية من الشمال الشرقي وساحل العاج من الشرق - ويبلغ طول ساحلها على الأطلسي ٦٦٠ كم مساحتها ١١١,٣٦٥كم٢ وعدد سكانها ٢,٣ مليون الكثافة ٢٦١,٣٥ بالكم٢ والزيادة السكانية ٣٪ . اللغة الرسمية هي الأنكليزية ولكن السكان يستعملون لغاتهم الخاصة (الماندنغ) . غورا كرو وهناك ٢٢ عرقاً بشرياً واهمها الكيبل ٤٠٠ ألف باسا ٢٥٠ ألف دان ٢٤ ألف كرو ١٢١ ألف جيليبو ١١٥ ألف مانو ١٠٨ وهناك (١٧٠) ألف لبناني في ليبيريا ويدين ٧٥٪ من السكان بالديانات المحلية و١٥٪ مسلمون ١٠٪ مسيحيون . نظام الحكم جمهوري رئاسي العملة دولار الدخل الفردي السنوي ٤٦٠ دولار .

- المدن الرئيسية :

- **مونروفيا :** عاصمة ليبريا ومركز رئيسي للتجارة وميناء على البحر عدد سكانها ٦٠٠ ألف نسمة وتصدر منها المواد المعدنية وفيها مصفاة للبترول وأهم المدن فيها (بوثافان ٢٥ ألفاً) . (فوانجاما ٢٠ ألفا) ، (هيربل ١٢ ألفا) .

- التضاريس الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية :

تتألف البلاد من هضبة تظهر فيها كتل صخرية قديمة تصل في

الشمال الشرقي إلى علو ١٧٥٢ م في جبل نيمبا . وتهبط في المحيط وغالباً مايكون الساحل حاد الأنحدار ومؤلفاً من غابات المانغروا المستنقعية الساحلية وهي صعبة المسالك . وتغطي الغابات الكثيفة ليبيريا وتتلاءم مع طقس فوق الأستوائي الرطب جداً ، لذلك لايوجد فيها سوى فصل جاف قصير في الغرب . وفي داخل البلاد.

أمّا مواردها فهي مختلفة وهي تنتج الزراعات المدارية الكبرى مثل (الكاوتشوك ، القهوة ، الكاكاو) ثم الخشب . ومنذ عام ١٩٢٩ استقرت في البلاد الشركة الأمريكية (فيرستون) حيث اقطعتها الحكومة مليون هكتار لمدة ٩٩ سنة لزراعة الكاوتشوك ، ومع نمو الكاوتشوك أصبحت هذه الصناعة الأولى في البلاد وتستوعب أكثر القوة العاملة فيها . بالأضافة إلى المواد الزراعية يوجد الحديد في جبال نيمبا حيث تستغله عدة دول مثل أمريكا والسويد وألمانيا وإيطاليا وقد تطور هذا القطاع وتجاوز أنتاج الكاوتشوك وتجاوز الدخل منه سبعة أضعاف الدخل من الكاوتشوك يضاف إلى ذلك الواردات من مناجم الماس والذهب وكذلك الدخل القادم من الأسطول البحري الذي يحوي أكبر عدد من البواخر ومن مختلف الجنسيات ترفع جميعها العلم الليبيري في العالم وذلك بسبب التسهيلات والسعر المنخفض الذي تتقاضاه من الرسوم . وقد عانى الاقتصاد الليبيري مؤخراً من انهيار في الأسعار العالمية للمواد المصدرة الخارجية وكذلك بسبب الأضطرابات الداخلية في البلاد في سنين الثمانينات ولاتزال ثم أصبحت كارثية بعد الحرب الأهلية عام ١٩٩٠ ورغم الاتفاق الذي حدث بين الاطراف المتنازعة عام ١٩٩١ إلا أن الأمور لم تستقر .

– **التاريخ :** تأسست دوله ليبيريا عام ١٨٢٢ من قبل

جمعية أمريكية للاستعمار لكـي تنقـل إليهـا كـل العبيـد المحررين في أمريكا . وقد أعلنت جمهورية عام ١٨٤٧ وبذلك أصبحت الدولـة السوداء الوحيدة في القارة بعد اثيوبية ، وكان أول رئيس لها هـو جوزيف جانكيز روبيرتس ، ومعه أربعة آلاف أمريكي أسود محـرر وظلت البلاد فترة طويلة هادئـة ولكـن لم تلبـث أن أصبحـت تحـت حكم أقلية من الليبيريين الأمريكيين الذين أخذوا في اضطهاد واجبار السـكان الوطنيين المحليـين علـى العمـل الأجباري مـن أجـل إقامـة المشاريع الخاصة بهم وظل الوضع علـى حالـه حتـى الحـرب العالميـة الثانية ، وبعد الحرب أصبح الرئيس توبمان رئيساً للجمهورية وظـل في الحكم منذ عام ١٩٤٤ - ١٩٧١ بـالرغم مـن العـداء والمنافسة بين المنحدرين من العبيد الأمريكيين والسـكان الوطنيـين . وفي عـام ١٩٨٠ قام الجيش بانقلاب بزعامة الرقيب في الجيـش سـامويل ك . دو Samuel , k , Doe ووضع نهاية لحكم وليام تولبرت الذي كان في الحكـم منـذ عـام ١٩٧٢ . وقـد قتـل الرئيـس المذكـور بيـد الانقلابيين وبعد الأعلان عن ظهور دستور جديد عام ١٩٨٤ وبعد الانتخابات أصبح سامويل دو رئيساً للجمهوريـة عـام ١٩٨٥ وقـد فشلت عدة محاولات للانقلاب على الرئيس الجديـد واحدهـا كـان عـام ١٩٨٥ إلا أنهـا قدمـت للسـاحة السياسـية زعمـاء عسـكريين جدد أفرزتهم الثـورات المسـلحة الـتي نشـبت عـام (١٩٨٩) . وفي نهايـة ذلـك أي في أيلـول ١٩٩٠ انتهـى حكـم / سـامويل دو / الدمـوي حيـث أعـدم وهنـا تدخلـت قـوات تابعـة لمنظمـة الوحـدة الأفريقية مؤلفة من عدة دول إلى البلاد وقـد جربـت أن تسـاعد في وصول المدنيين للحكم وتعيد الوحدة الوطنيـة وأن تجعـل المعـارضين الموجوديـن في الخـارج يتلاحمـون مـع الداخـل ومباشـرة أصبحـت

مونروفيا ١٩٩٢ مسرحاً للقتال وعادت الاشتباكات المسلحة بين قوات ن. يايلور (الذي يهيمن على الأقسام الحساسة في البلاد) وقوات التدخل العائدة للدول لأفريقية . (منظمة الوحدة)

(٤٣) ليبيا –

ليبيا **Lybie** : الجماهيرية العربية الليبيــة الاشـتراكية الشـعبية العظمى .

تقع ليبيــا في شمـال أفريقيـة وهـي جـزء مـن الوطـن العربـي . وتشـرف علـى البحـر الأبيـض المتوسـط مـن الشـمال ويحدهـا مـن الشمال الغربي تونس ومن الغرب الجزائـر ، ومـن الجنـوب النيجـر وتشاد ، ومن الشرق مصر والســودان . مسـاحتها ١,٧٥٩,٤٥٠ نسمة عدد السكان ٣,٩٦٠,٠٠٠ والنمــو السـكاني السـنوي ٣٪ وأكثر . اللغة الرسميــة : اللغـة العربيـة ويديـن الجميـع بالأسـلام . العملة : الدينار الليبـي . نظام الحكم جماهيري اشتراكي . الدخل الفردي السنوي ٦٩١٠ دولار (١٩٧٩) .

المدن الرئيسية :

طرابلس الغرب : العاصمة وهي ميناء في الغرب من البـلاد عدد سكانها ٩٨٠,٠٠٠ وهي مركـز تجـاري وصنـاعي للنسيج . الجلود . التبغ . أسسها الفينيقيون القرطاجيون ثــم احتلهـا الرومـان وخضعت للبيزنطيين ثم دخلها العـرب في القـرن السـابع (٦٤٣م) ثم وقعت بيد الأسبان عام ١٥١٠ ثم فرسان مالطة (١٥٣٠) وبعد ذلك وقعت بيـد الـترك (١٥٥١) حيـث أصبحـت مركـزاً لتجـارة العبيد القــادمين مـن افريقيـة نحـو أوربـا وأخـيراً احتلهـا الأيطـاليون ١٩١١ ثـم الأنكليز ١٩٤٣ خـلال الحـرب العالميـة الثانيــة وهــي عاصمة ليبيا منذ الاستقلال .

بنغازي : تقـع في برقـة وهـي عاصمـة المقاطعـة وميناؤهـا . عدد سكانها ٤٥٠ ألفا وهي الثانية في البلاد وفيها بعض الصناعات الغذائية وقد دارت فيهـا وحولها معـارك طاحنـة في الحـرب العالميـة الثانية بين قوي المحور والحلفاء ١٩٤١ - ١٩٤٢ ومن المدن المهمـة فيها : (مسراطة) (البيضا) ، (درنة) (طبرق) (الزاوية) (وسـبها) (ومرزوق) وقد اشتهر بعضها خلال الحـرب العالميـة الثانيـة بسبب المعارك التي دارت فيها مثل طبرق ودرنه ... الخ

- التضاريس الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية :

يتجمع أكثر السكان علـى الشـريط السـاحلي الضيـق بمناخـه المتوسطي المعتدل _برقة – طرابلس) وفي هذه المنطقة تنمو الزراعات (الزيتـون – الحبـوب وغيرهـا) ومـاتبقى مـن البـلاد حـوالي ٩٩٪ صحراء حيث تنتشر الواحات الآهلة بالسكان وفيهـا ثـروة حيوانيـة ضخمة ولكنها في تراجع . وقـد سـاعدت المنتجـات البترولـية الـتي اكتشفت في عام ١٩٥٩ في خليج سرته على إقامة مشاريع هامة في مجال الزراعة والري وبخاصة مشروع النهر العظيم الذي يجلـب المـاء من الصحراء إلى الساحل بالأنابيب . ثـم الصناعـات البترولـية كـل ذلك جعلٍ من ازدياد عدد سكان المدن شيئاً طبيعياً لذلك يعيـش في المدن حاليا ٦٥٪ من المواطنين . وقد أدى نقص اليد العاملة لجلـب اعداد كبيرة من العمال وعددهم حوالي ٥٠٠ ألف . ومما يذكـر أن انهيار أسعار البترول أدى إلى تأخير وبطء الاستثمارات الأنتاجية .

- التاريخ : احتل القرطاجيون (الفينيقيون منطقـة طرابلـس الغرب منذ وصولهم إلى شمال افريقية فيمـا احتـل اليونـانيون منطقـة برقة اعتباراً من القرن السابع قبل الميـلاد ثـم أصبحـت تابعـة لحكـم

البطالسة في مصر وقد وحد الرومان البلاد وأصبحت ليبيا المقاطعة الغنية في الأمبراطورية الرومانية من الناحية الزراعية . ثم دخلها العرب وأصبحت جزءاً من الأمبراطورية العربية ثم احتلها الأتراك حوالي ١٧١٠ . استطاع أحد الانكشارية المدعو أحمد باشا القرمنلي أن يؤسس عائلة مالكه حكمت البلاد حتى عام ١٨٣٥ حيث أعيدت الادارة التركية للبلاد وتبعت استانبول وعندما ظهرت الطريقة السنوسية (طريقة دينية) سيطرت على برقة وحكم السنوسيون البلاد باستقلال تام ثم احتلها الايطاليون عام ١٩١٢ بعد مقاومة بطولية من الشعب الليبي بزعامة الشهيد عمر المختار وجعلوها مستعمرة ايطالية وخلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ أصبحت البلاد مسرحاً للمعارك العنيفة بين المحور والحلفاء وبعد انتهاء الحرب حصلت ليبيا على استقلالها عام (١٩٥١) حيث أعلن أدريس السنوسي الأول ملكاً على البلاد . أدى ظهور البترول عام ١٩٦٩ إلى اهتزاز النظام العشائري الذي يسود حكم الملك . وجرى انقلاب عسكري في ١ أيلول ١٩٦٩ اطاح بحكم الملك السنوي وعلى أثر ذلك تشكل المجلس الثوري بزعامة معمر القذافي الداعي للوحدة العربية . عمل هذا على إقامة اتحادات مع تونس وسورية ومصر والسودان والمغرب ولكنها جميعها لم تنجح . وقد أدى الموقف المتساهل من سياسة أنور السادات مع اسرائيل إلى حدوث صراع مسلح قصير بين البلدين تموز ١٩٧٧ . دعمت ليبيا كافة حركات التحرير الوطنية في الخارج حتى أنها أتهمت بمساعدة ومساندة الارهاب الدولي . ثم تدخلت في الحرب الداخلية في تشاد واحتلت شريط (أوزو) ١٩٧٣ وقد دعمت القوات الليبية حكومة الوحدة الوطنية للتغيير في تشاد والمعروفة باسم Gu , N , T ضد

حسين حبري حيث احتلت الأقسام الشمالية من تشاد . ولكن الجيوش الليبية تكبدت خسائر فادحة واضطرت للتراجع عام ١٩٨٧ بعد تدخل فرنسا في الحرب الأهلية . ثم جرت المفاوضات بين الليبين وحسين حبري عام ١٩٨٩ . وقد تم الأتفاق على الانسحاب من شريط اوزو مع تبادل الأسرى بين الطرفين . وأدت سياسة التدخل هذه إلى انقطاع العلاقات بين أمريكا وليبيا حيث قررت أمريكا مقاطعة ليبيا اقتصادياً ١٩٨١ ثم قامت الولايات المتحدة بغارة جوية مفاجئة على أهداف مدنية في ليبيا عام ١٩٨٦ منها منزل العقيد القذافي في محاولة لقتله . في داخل البلاد اتبع العقيد معمر القذافي مايعرف بالأشتراكية الأسلامية وأصدر الكتاب الأخضر . احتفظ القذافي بمنصب قائد الثورة . وترك المناصب التقليدية كرئيس للدولة عام ١٩٧٤ ، وفي عام ١٩٧٧ ألغى الدستور وأقيم محله ميثاق القوى الشعبية . حيث ألقى على عاتق اللجان الشعبية حكم البلاد ، وفي عام ١٩٩٠ أقيمت بين ليبيا والسودان وحدة سياسية واقتصادية . وبعد الموقف الحيادي الذي وقفه نظام الحكم في ليبيا خلال حرب الخليج وجدت ليبيا نفسها معزولة عن غيرها عام ١٩٩٢ وذلك عندما اتهمها الأمريكان والأنكليز بتفجير طائرة أزبكية فوق لوكربي بي اسكوتلندا وطالبوا بتسليم الفاعلين إلا أنها رفضت ذلك مما جعل الأمم المتحدة تفرض عليها العقوبات بمنع بيع السلاح لها ومنع شركات الطيران من الهبوط في مطاراتها وعدم قبول الطائرات الليبية .

- (٤٣) ليسوتو -

ليسوتو Lesotha مملكة موسوا ليسوتو Musa oa Lesotha

- بلاد جبلية تقع بكاملها كجيب ضمن افريقية الجنوبية تبلغ مساحتها ٣٠,٣٥٥ كم٢ وعدد السكان ١,٦٥٠,٠٠٠ نسمة . وهي مملكة برلمانية عضو في الكومونولث البريطاني . اللغة الرسمية هي الأنكليزية ثم لغة سوزوتو ولغات قبائل النفونى الكثيرة ، الكثافة بالكم٢ (٤٦,٢٢) : وتنتشر فيها الأعراق البشرية ٨٥٪ سوتو (والعمله (لوني) . الدخل الفردي السنوي ٢٨٠ دولار ١٩٧٩ .

المدن الرئيسية :

ماسيرو : العاصمة وعدد سكانها ١,٩,٣٠٠ نسمة وأهم مدنها (موهال هوك ٥٠ ألفاً) (ليبريب ٢٠ ألفاً) (ميفتنغ ١٣٥ ألفاً) (بوتابوث ١٨ ألفاً) .

- التضاريس الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية :

هضبة بركانية . وفيها عدة قمم تتجاوز . ارتفاعها ٣ ألاف ويفصلها عن بعضها نهر الأورانج وروافده . وهي تقع على السفوح الخلفية لجبال داركنسبرغ ويهيمن على البلاد طقس (مناخ) من النموذج المعتدل الملائم للمراعي وتجميع المياه الكثيرة والامطار أقل من ٧٥٠ مم وتعتبر ليسوتو من أكثر بلدان العالم فقرا فكثرة السكان ادى إلى تعطل الأرض (١٣٠٪) فقط التي يمكن زراعتهاولاتوجد فيها صناعة . وتتشكل مواردها الرئيسية من المنتجات الحيوانية (بخاصة الموهير ومن الماعز المعروف باسم الفورا

وكذلك بالدخول المرسلة من قبل العمال الذين يعملون خارج البلاد ، بخاصة في جنوب أفريقية حيث يعملون في المناجم ويقدمون ٣٠٪ من النشاط الداخلي ومنذ الأنقلاب الذي حدث عام ١٩٨٦ أصبحت الظروف ملائمة لجذب كثير من صناعات النسيج وتصدير الثياب إلى الخارج وقد أصبح هذا مورداً رئيسياً للعملة الصعبة وهي مرتبطة بالاتحاد النقدي والجمرجي الذي يضم الفياً سوازيلاند والبوتوانا .

- **التاريخ** : كانت محمية بريطانية اسمها باسوتولاند وأصبحت مستقلة في ٤ تشرين أول ١٩٦٦ تحت اسم ليسوتو . وتاريخ البلاد هو تاريخ علاقاتها مع افريقية الجنوبية . وضعف الملك امام رئيس الوزراء (ليبوا جوناثان مؤسس الحزب القديم الحزب الوطني الباسوتولاندي B . N . P . ومعارضوه ليتسو موكيلي زعيم حزب المؤتمر باسولاتد BCP وهو يدعو للوحدة الأفريقية ولديه المتوجهات الأشتراكية الماركسية والحزب الثالث ماريماتلو فريدوم بارتي M . F . Pوهو ملكي ، وقد عرفت البلاد أزمات سياسية حادة بين الأحزاب من جهة وتسلط رئيس الوزراء ليبوا جوناثان على السلطة ثم إبعاد الملك عام ١٩٧٠ عن السلطة وهو موشيه شوا Mashaeshae الثاني ثم إن جوناثان أبعد هو الآخر عن الحكم عام ١٩٨٦ بسبب انقلاب عسكري وقد ترأس اللجنة العسكرية الجنرال ليكانيا lethanya وأعاد الملك إلى السلطة ولكن دون سلطة مقلبة (مركز فخري فقط) ولكن هذا تنازل لأبنه عن الملك عام ١٩٩٠ وأصبح ليتس الثالث ملكاً على لسيوتو .

- (٤٤) مصر

- مصر EGYPTE جمهورية مصر العربية

- تقع مصر في شمال شرق القارة الافريقية وهي جزء من الوطن العربي الكبير ويحدها من الشرق البحر الأحمر . ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط وليبيا من الغرب . مساحتها ١,٠٠٣,٤٤٩ كم[٢]منها فقط ٣٥,٥٧٧ كم[٢] أرض صالحة للزراعة وعدد السكان (٥٥) مليون نسمة . الكثافة السكانية تزيد على ٤٠ بالكم٢ . نظام الحكم جمهوري رئاسي .

واللغة العربية هي اللغة الرسمية ويدين ٩٣٪ من السكان بالأسلام ٦,٢٢٪ بالديانة المسيحية العملة : الجنيه المصري الدخل السنوي للفرد ٤٠٠ دولار (١٩٧٩) والزيادة السنوية للسكان ٣٪.

- **المدن الرئيسية :**

القاهرة : وهي عاصمة مصر وأكبر مدينة في افريقية والبلاد العربية وتقع في بداية الدلتا (أعاليها) ويبلغ عدد سكان القاهرة لوحدها ٦,٠٥٢,٨٤٠ نسمة ومع ضواحيها ٩ مليون . وهي مركز تجاري كبير وصناعي وثقافي وسياسي وفيها جامعتا الجيزه وعين شمس ، عام (١٩٥٠) وفيها متحف للآثار القديمة المصرية . وعدد كبير من المساجد وبخاصة الجامع - الجامعة الأزهر (١٩٧٠ - ١٩٧٨ م) الذي أسس في زمن الفاطميين مع جامع الحكيم (٩١٠ - ١٠٠٤ م) عدا المتاحف الخاصة بالفن العربي والفن القبطي .

– **الاسكندرية** : الميناء الرئيسي في مصر تتبع إلى غرب الدلتا سكانها ٢,٩١٧,٣٣٠ نسمة وهي مركز تجاري كبير وللصناعة البحرية وكذلك للصناعات الكيماوية والنسيج ((أسست عام ٣٣٢ – ٣٣١ ق . م من قبل الأسكندر الكبير المقدوني ثم خضعت المدينة فيما بعد للبطالسة وأصبحت مركز اشعاع للثقافة الهيلينستيه وكذلك لتجارة البحر المتوسط وفيها ميناءان يشار إليهما بفنار (الذي يعتبر أحد أعاجيب الدنيا السبعة وكان فيها عدد من المعابد ومتحف ومكتبة فيها حوالي ٧٠٠ ألف كتاب وقد احرقت المكتبة خلال الثورة التي قامت ضد القيصر (سيراز) ٤٨ – ٤٧ ق . م تعرف باسم حرب الاسكندرية وقد احتلها الفرس عام (٦١٦) م ثم دخلها العرب ٦٤٢ م . ثم خضعت لسيطرة الترك ١٥١٧ كما وقعت بيد نابليون عام ١٧٩٨ . قصفها الأنكليز بالقنابل واحتلوها عام ١٨٨٢ وقد وصل رومل خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢ إلى مشارفها .

– أما المدن الأخرى في مصر فهي : (الجيزة ٢,٥ مليون) (أسيوط ١,٩٠ مليون) (أسوان مليون نسمة) (دمياط (٦١٠) ألف) (الاسماعيلية ٥٠٠ ألف) (السويس ٤٠٠ ألف) (بور سعيد ٣٨٠ ألفاً) وتشكل الزيادة السكانية السريعة في التجمعات السكنية الكبرى مسائل عويصة في المواصلات والخدمات وزيادة البطالة . يعيش في الأرياف ٦٥٪ من السكان .

– التضاريس الأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

أغلب الأراضي المصرية قاحلة ٧٠٪ من الأراضي وهي تتشكل في الغرب من الصحراء الليبية ذات الهضاب الحوارية

تتخللها انخفاضات تتشكل منها الواحات وفي الشرق توجد الصحراء العربية وهي منطقة وعرة ذات مرتفعات ومنخفضات حسب الجبال البركانية فيها (منطقة سيناء . أما مصر الحقيقية فهي محدوده بوادي النيل (١٥٠٠) كم وعرض ٢٠ كم تقريباً وهو الذي يجمع أغلبية السكان لتصبح الكثافة السكانية في بعض الأماكن إن لم يكن أكثرها ألف شخص في الكم٢ على طول النهر والزيادة البشرية ٣٪ وهي تعيق جداً خطط التنمية وتوقفها وتشكل انفجاراً سكانياً لدى ٥٠٪ من المواطنين . تستغل الزراعة ٣٠٪ من النشاط السكاني ولكنها لاتغطي سوى ٦٠٪ من الحاجات الغذائية الضرورية للسكان ويزداد الانتاج الزراعي توسعاً ٢٪ سنوياً ولكن المصروفات تتجاوز ٣٪ ويشكل البترول ٤٥ مليون طن ٥٠٪ من الصادرات ويتبعه القطن والمنسوجات وتستورد مصر الحبوب بخاصة وبعد المواد الزراعية المحدوده كما تستورد المواد المصنعه .

ومواد المانيفاتوره وبالرغم من تنوع الصناعة المصرية إلا أن هناك عجزاً دائماً في الميزان التجاري ولا يغطيه إلا ما تقدمه قناة السويس والسياحة من العملة الصعبة . وبالرغم من الدعم فالإقتصاد يبقى دائماً في حالة صعبة . فالتضخم مرتفع والعجز في الميزانية كبير مع كثره في الديون الخارجية والأموال المحوله من المهاجرين في الخارج كانت لها قيمتها ولاتزال رغم عودة كثير من المهاجرين إلى مصر .

– **التاريخ** : قبل عشرة آلاف عام ق . م ظهر في مصر القديمة أو بالاحرى نما مركزان رئيسيان للحضارة النيوليتيكيه Nealittiqwe واحد في الشمال والثاني في الجنوب . وفي الألف الخامس قبل الميلاد انقسمت البلاد إلى مملكتين الأولى هي مينيس

Menes الـتي وحـدت عـام ٣١ ق . م وأسســت الأسـرة الملكيــة الفرعونية الأولى في مدينة ممفيــس memphlis . العاصمـة المستقبلية للأمبراطوريـة القديمـة ٢٧٨٠ – ٢٣٨٠ ق . م العائلــة الثالثــة إلى السادسـة وقـد خلفـت مـن الآثـار الأهرامـات . وتظهـر هـذه الامبراطورية كأنها تشكل العصر الذهبي لمصر القديمة . وقد ضعفت السلطة المركزيـة خـلال الفـترة المتوسـطة ٢٢٦٠ – ٢٠٦٥ ق . م (الأسر الملكية ٧ – ١٠) وقد استقرت في زمـن امنحوتـب الأول الذي بدأت فيه الأمبراطورية بالمتوسطة ٢٠٦٥ – ١٧٨٠ الأسرتين ١١ – ١٢ وقد نمت زراعة الفيـوم وكذلـك التبـادل التجـاري مـع الفينيقيين وقد سـجل أيضـاً مولـد الفـن والنحـت . في هـذه الفـترة تتابعت المرحلـة الثانيـة الوسيطة ١٧٨٥ – ١٥٨٠ (الأسـرتين ١٣ حتى ١٧) وقد تميزت هذه المرحلة بهجوم قام به الهيكسـوس الذيـن استقروا في الدلتا . وفي مصر الوسطى . وقد طرد المحتلون من قبـل ثلاثة فراعنـه سـكنن رع . فـاحيس . احمـس وهـو الـذي طـاردهم خارج البلاد وهو أيضا الذي أسس الأمبرطورية الجديدة ١٥٨٠ – ١٠٨٥ (الأسر الملكية من ٨ حتـى ١٠) وتعتـبر هـذه الفـترة فـترة الامبريالية (حيث جرى فيها فتح مناطق النيل العليا ثـم سـورية مـن قبل تحتموس الأول وتحتمس الثالث حيث اقيمـت منشـآت ضخمـة (بناء مدينتي طيبه ونوبيا) وقد تميزت هذه الفترة بظهور أزمـة دينيـة خطره (دين خـارج عـن آتـون جـاء بـه امينوفيـس الرابـع) . وقـد استطاع المحاربون من الأسـر الملكيـة التاسعة عشـرة سيزي الأول ورمسيس الثاني ، وكذلك مـن الأسـر الملكيـة العشـرين (رمسـيس الثالث) المحافظة على استقلال البلاد . وتحت حكـم آخـر رمسـيس خسـرت الأمبراطوريـة وحدتهـا وأصبحـت مجزأة خـلال المرحلـة

الوسيطة الثالثة ١٠٨٥ – ٧١٥ ق م (الأسرتان ٢١ – ٢٤) وهناك أسر مالكة خارجية (الأسرة ٢٢ الليبية ثم الأسرة الأثيوبية ٢٥ حيث أعيد الاتحاد للبلاد مؤقتاً ، وكانت آخر أسرة حاكمة قوية هي المعروفة باسم سيتي (أو السيات) وهي الأسرة السادسة والعشرون (٦٦٣ – ٥٢٥ ق م) وفي عام ٥٣٥ ق م وقعت البلاد تحت حكم الفرس (٥٢٥ – ٣٣٢ ق م) ثم تعرضت لغزوه الأسكندر المكدوني وبعد ذلك أصبحت تحت حكم البطالسة ٣٢٣ – ٣٠ ق م وظهرت كليوبترا ٣٠ ق م وبعد ذلك أصبحت مصر مقاطعة رومانية ثم وقعت تحت حكم البيزنطيين ٣٩٥– ٦٣٩ م قبل أن تصبح عربية عام ٦٤٢ م ومركز اشعاع قومي وديني .

مصر العربية : دخلت مصر ضمن الأمبراطورية العربية ودخلها الاسلام وتعاقب عليها حكام وسلالات كثر هم (الأمويون ٦٦٠ – ٧٥٠ م) ثم (العباسيون ٧٥٠ – ٩٧٣ م) (الفاطميون ٩٧٣ – ١١٧١) الذين جعلوا القاهرة عاصمة لهم . بناها قائد جيش المعز لدين الله ، جوهر الصقيلي وأطلق عليها القاهرة المعزيه وخلفهم في الحكم صلاح الدين الأيوبي ١١٧١ بعد أن قضى على دولتهم ثم حل المماليك محل الأيوبيين حيث حكم هؤلاء مصر بين (١٢٥٠ – ١٥١٧) وهو تاريخ الاحتلال العثماني . وقد استطاع المماليك رد الغزو المغولي في عين جالوت (٣ أيلول ١٢٦٠ م) ، وعرفت مصر في ذلك الوقت ازدهاراً كبيراً بسبب موقعها التجاري وخلال هذه الفترة بنيت المساجد الكبرى في القاهرة وغيرها ثم وصلت بعد ذلك حملة نابليون بونابرت ١٧٩٨ – ١٨٠١) وهي التي أدت إلى تفتح مصر على الحضارة والتأثيرات الغربية ، بعد ذلك

أتى محمد علي الذي فرض نفسه على مصر وأصبح باشا عام ١٨٠٥ . وأخذ بالشروع بتحديث البلاد ودخلت زراعة القطن إلى مصر ثم الرز . وقد أقام في مصر ادارة جيدة وجيشاً وأسطولاً حديثين وعام ١٨٤٠ م كانت اتفاقية لندن التي تنص على أن يرث العرش أولاد محمد علي من بعده . وفي عام ١٨٩٧ وصل إلى الحكم السلطان الثالث اسماعيل (أصبح خديوي (حاكم) الذي فتحت في زمنه قناة السويس والتي بناها الفرنسي فرديناند دوليسبس عام ١٨٦٩ ولكن في عام ١٨٧٤ أصبح الأنكليز أكبر المساهمين فيها بعد شرائهم لأسهم الحكومة المصرية التي باعها اسماعيل . وفي عام ١٨٨٢ حدثت ثورة وطنية بزعامة أحمد عرابي باشا ضد تدخل الأجانب وضد الخديوي وبخاصة ضد التدخل الأنكليزي . ثم نزل الأنكليز في الاسماعيلية واتجهوا نحو القاهرة ، حيث حدثت معركة التل الكبير في ١٣أيلول ١٨٨٢ وهزم الجيش المصري وسيطر الأنكليز على مصر وأعلنوا حمايتهم عليها رسمياً عام ١٩١٤ وخلال الحرب العالمية الأولى بعد دخول تركيا الحرب ضد الأنكليز سيطر الأنكليز بعد ذلك كلياً على مصر وخلال هذه الفترة أقيمت السدود الكبرى على نهر النيل (أسيوط أسوان وغيرها وتم تطوير زراعة القطن وكذلك تم فتح السودان وبعد حركة أو انتفاضة تحريرية قوية قامت بها مصر اضطرت بريطانيا لاعطائها الاستقلال عام ١٩٢٢ وأعطيت فيها ايضاً بعض الامتيازات لبريطانيا على شكل قواعد عسكرية دائمة لحماية قناة السويس وضد القوات الالمانية والإيطالية بين عامي ١٩٤٠ – ١٩٤٢ . ومنذ الاستقلال المنقوص الذي أعلنته بريطانيا عام ١٩٢٢ لم تتوقف الانتفاضات ضد الأنكليز حتى عام ١٩٣٦ حيث وقع

الأنكليز مع حزب الوفد المصري الحاكم معاهدة اعترفت باحتلال الأنكليز لمدة عشرين عاماً وقد أجبرت مصر على الدخول في الحرب ضد الألمان والايطاليين . وبين عامي ١٩٤٠ - ١٩٤٩ خاضت مصر ضد اسرائيل حرباً خاسرة في زمن الملك فاروق (١٩٣٦ - ١٩٥٢) الذي أبعد عن الحكم من قبل الضباط الأحرار وحل محله في رئاسة البلاد الفريق محمد نجيب عام ١٩٥٢ قائد القوات المصرية ايضاً ثم أبعد محمد نجيب بدوره من قبل عبد الناصر ١٩٥٤ الذي وضع دستوراً جديداً للبلاد يعتمد على الحزب الواحد وهو نظام رئاسي جمهوري وتم تأميم قناة السويس ١٩٥٦ جواباً على رفض الغرب تمويل مشروع سد أسوان أو ما يعرف بالسد العالي وهنا تعرضت مصر لغزو ثلاثي قامت به فرنسا وبريطانيا واسرائيل التي سبقتهم بالهجوم وقد توقف الاعتداء بضغط من الروس والأمريكيين . وفي نفس الوقت تمت الوحدة بين مصر وسورية ثم مع اليمن في دولة واحدة كما أصبح الرئيس عبد الناصر (أحد قادة عدم الانحياز) وتمت تسميتها بالجمهورية العربية المتحدة). وقد اتجه عبد الناصر سياسيا نحو الاتحاد السوفيتي وهو الذي بنى السد العالي (سد أسوان) وفي عام ١٩٦٧ أدى اغلاق خليج العقبة بعد الاستفزازات الاسرائيلية إلى الحرب المعروفة باسم حرب الأيام الستة أيام التي حضرت لها اسرائيل منذ فترة طويلة رغم ادعاءاتها السلمية وقامت باحتلال سيناء في ٥ - ١٠ حزيران ١٩٦٧ . وقد استغلت اسرائيل الفرصة وقامت بالهجوم على الأردن وسورية واحتلت الجولان والضفة الغربية مع سيناء . ثم توفى الرئيس عبد الناصر عام ١٩٧٠ وحل محله أنور السادات الذي سار على خطا عبد الناصر تدريجياً . وفي عام ١٩٧٣ قامت

مصر وسورية بالهجوم على اسرائيل لاستعادة الأراضي التي احتلتها اسرائيل سابقاً وبعد حرب قاسية استطاع فيها المصريون اجتياز القناة ووصل السوريون إلى بحيرة طبريا أقامت أمريكا جسراً جويا لإنقاذ اسرائيل التي قامت بهجوم معاكس بدعم من الأسلحة الأمريكية ورغم وصول اسرائيل إلى السويس إلا أن الخسائر التي منيت بها أجبرتها على توقيع الهدنة مع مصر تلتها هدنة أخرى مع سورية استعادت فيها سورية مدينة القنيطرة وقد أعيد فتح قناة السويس بين أعوام ١٩٧٤ - ١٩٧٥ : وفي نفس الوقت ازداد التأثير الأمريكي على مصر بعد أن أبعد أنور السادات الخبراء السوفييت قبل الحرب كما ذهب السادات إلى اسرائيل واستقبله في تل أبيب مناحم بيغن في تشرين ثاني ١٩٧٧ وقد أدى ذلك إلى اضطرابات سيء في مصر بالاضافة إلى سوء الأحوال الغذائية وغلاء المعيشة . وعقد السادات مع بيغن رئيس وزراء اسرائيل في كمب ديفيد اتفاقية سلام عام ١٩٧٩ وأدى ذلك إلى قطع كافة الدول العربية علاقاتها مع مصر ونقلت الجامعة العربية إلى تونس . ولكن في عام ١٩٨١ قتل أنور السادات من قبل عناصرٍ دينية متطرفة . وحل محله الرئيس حسني مبارك بسياسة أكثر حذرا من سلفه وقد أعيد انتخابه لستة سنوات عام ١٩٨٧ . وفي عام ١٩٨٩ عادت مصر إلى الجامعة العربية دون أن تلغي اتفاقيتها مع اسرائيل . وفي عام ١٩٩٠ أعيدت العلاقات مع سورية والتي كانت قطعت منذ توقيع اتفاقية السلام بين السادات واسرائيل ١٩٧٧ وعلى أثر غزو العراق للكويت اشترك الجيش المصري بالحرب ضد العراق ضمن عملية عاصفة الصحراء .

(٤٥ ملاوي) –

– ملاوي Malawi (جمهورية مالاوي) (نياسالاند سابقاً)

– تقع ملاوي في أفريقية الشرقية بين زامبيا وتنزانيا وموزامبيق وتبلغ مساحتها (١١٨,٤٨٤) كم٢ بما فيها ٢٤,٥٠٠ كم٢ ضمن بحيرة ملاوي (مساحتها ٢٦ ألف كم٢) وهي أكبر بحيرة في افريقية الشرقية . عدد سكان ملاوي (٨,٢٧٨,٠٠٠) نسمة . الكثافة السكانية تزيد على ٣٦ بالكم٢ . نظام الحكم فيها جمهوري رئاسي وهي عضو في الكومولونولث البريطاني . اللغة الرسمية هي الأنكليزية ويتكلم السكان عدة لغات " شيشوا التي يتكلم بها عدد كبير من السكان وتدرس في المدارس الابتدائية ثم لغة تومبوكا وياو : العملة : كواتشا وأهم العروق البشرية في ملاوي هي ؛ شيوا . نيانجا ، لوموه ، ياو ، تمبوكا ، سينا ، تونغا . نفوني وكل القبائل لاتزال تعتمد النسب الأمومي عدا النفوني فتعتمد النسب الأبوي على طريقة الزولو أقاربهم و ٤٥٪ منهم يعتنقون الديانات المحلية ٣٠٪ مسيحيون ١٥٪ مسلمون الدخل الفردي السنوي ١٨٠ دولار .

– المدن الرئيسية :

العاصمة ليلونفو ١٧٥ ألف (بلانتير ٢٨٨ ألف) زومبا ١٦ ألف (موزوزو ١٦ ألف)

- التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية و البشرية :

تشكل بحيرة ملاوي (نياسا سابقا) مايعادل ربع أراضي البلاد وهناك في الغرب ترتفع هضبة عالية وتصل إلى ارتفاع أقصى ٣٠٣٠ م وينفذ في الجنوب وادي سيربه وهو المنطقة الأكثر سكانا في البلاد ، وتنتشر مناطق السافانا حسب الطقس الملائم مداري أو معتدل بسبب الأرتفاع وأهم الزراعات فيها (المانيوك . والذرة . والرز . وكذلك زراعات التصدير (الشاي . التبغ . القهوة . السكر) وهذه المواد هي القاعدة الرئيسية للاقتصاد في ملاوي حيث يتزايد السكان سنوياً ٣٪ وأغلب السكان يعيشون في الأرياف ٩٠٪ وملاوي من الدول الفقيرة المتخلفة وهناك عدد كبير من العمال يعملون في جنوب افريقية رغم عودة الكثير منهم . تعتبر بريطانيا شريكاً إقتصادياً رئيسياً لملاوي ثم جمهورية جنوب افريقيه.

- **التاريخ** : أصبحت ملاوي منذ عام ١٨٩١ محمية بريطانية وكان يطلق عليها نياسالاند عام ١٩٠٧ وشكلت مع ماكان يعرف برودسيا الشمالية (زامبيا) وروديسيا الجنوبية (زيمبابوي) اتحاد روديسيا ونياسالاند الذي تشكل عام ١٩٦٢ . وقد أعلنت استقلالها في ١٩٦٤/٨/٦ بزعامة رجل ملاوي هاسنغ كاموزوباندا حيث ظل رئيساً للبلاد منذ عام ١٩٦٤ ثم أصبح رئيساً مدى الحياة ١٩٧١ . ثم أمضى باندا أكثر من أربعين عاماً في الولايات المتحدة وقد عاد للبلاد عام ١٩٥٨ ليترأس حزب المؤتمر الوطني الملاوي . وقد اعتمد باندا سياسة محافظة خلال حكمه وأظهر مقاومة شديدة ضد اتجاهات جيرانه (سابقاً) الاشتراكية زامبيا ، وتنزانيا . وبعد شهرين من الاستقلال ، استقال كل الوزراء المتحررين عند رفضه المعونة المقدمة من الصين . وبالرغم من المعارضة المتزايدة التي كانت

تظهرها الطبقة المثقفة السوداء التي كانت تعمل على إبعاد الأجانب من السيطرة على البلاد واحلال السود محلهم إلا أن باندا ظل معتمداً على الجاليات البيضاء تدعمه قبيلته التي ينتمي إليها ، وهي الشيوا ذات العدد الكبير ، وقد استطاع سحق ثورتين قامتا لهذه الغاية . وفي عام ١٩٧٦ أقامت ملاوي علاقات دبلوماسية مع جنوب افريقيه البيضاء وأصبحت الدولة الوحيدة الأفريقية التي لها علاقات معها ، وقد تبنى سياسة ازالة التفرقة العنصرية عن طريق الصداقة . وكان حضوره في القمة الاقتصادية للبلاد الافريقية الجنوبية الذي عقد في لوزاكا ١٩٨٠ والنقاش الذي دار حول مشكلة التعاون الاقتصادي والاستقلال عن جنوب افريقية كان له صدى في الدول الأخرى مما ساعد على تحسين العلاقات بين ملاوي وجيرانها الذين كانوا يعرفون باسم بلاد الجبهة . ومع ذلك ظلت علاقاته مع افريقية العنصرية مميزة وقد وصل للبلاد أكثر من مليون شخص قادمين من موزامبيق بسبب الحرب الأهلية هناك وفي أوائل التسعينات توفي باندا .

- ((٤٦) مالي) -

مالي Mali جمهورية مالي ((بلاد السودان الفرنسي سابقاً)) :

تعتبر جمهورية مالي من الدول الداخلية في افريقية الغربية ويسقيها نهر النيجر ، وهي محاطة بسبع دول الجزائر من الشمال وموريتانيا والسنغال وغينية من الغرب ، ساحل العاج وبوركينا فاسو من الجنوب والنيجر من الشرق وتبعد عن البحر مسافة ١٢٠٠ كم مساحتها ١,٢٤٠,٠٠٠ كم[٢] وعدد سكانها ٨,٥ مليون نسمة الزيادة السكانية ٣٪ سنوياً . وهي ذات نظام جمهوري رئاسي . واللغة الرسمية هي الفرنسية ثم لغة البامبارا ويتحدث بها ٦٠٪ من السكان ثم لغات كاسونلكية وسونفاي ، بيول ، مينينكا، بوبي موسي ، ستراكوليه ، سوموفو ، دوغن . ويوجد في مالي ٢٣ عرقاً أهمها البامبارا ٢,٥٠٠,٠٠٠ ويعيشون في وسط البلاد وغربها وجنوبها ، يعملون بالزراعة وتربية الأغنام ثم الفولاني (بيول) ٦٠٠ ألف ويعيشون متفرقين في انحاء البلاد وعملهم في الزراعة وتربية ورعاية الأغنام ، والصونفاي ٣٠٠ ألف، وهم يتمركزون في الشمال والشرق ومعهم الطورق ويعملون في مهنة واحدة هي التجارة . وفي غرب البلاد المركا وعملهم أيضاً في التجارة وفي المناطق الوسطى والشرقية يوجد البوزو ٢٥٠ ألف الذين يمتهنون حرفة صيد الأسماك في نهر النيجر وفي المنطقة الجنوبية يوجد البوبو وأغلبهم وثنيون وأما العرب (٦٠ ألفاً) فيتمركزون في شمال البلاد ويعملون بالتجارة وتربية الأغنام وكذلك بالزراعة وهناك المالينكيه ٢٠٠ الف ثم كاسونيه ويولا والساراكوليه ٣٥٠

ألـف دوغـون الذين اشـتهروا بفنهـم في عمـل الأقنعــة وسـوموفو وسينونيه ٣٧٥ ألفاً الطوارق ٢٠٠ ألف المانيننكـا ١١ ألفـاً وسبعة أعراق أصولها زنجية ، البمبارا ، الراتوكي وبـوزو ، والمانينكـا وهـم فروع من قبائل الماندنجو أما قبائل الصنفاي والروجـون وبوبـو فهـم مـن أصـول زنجيـة أخـرى ولكـن الغولانـي (البـول) فيختلـط فيهـم العنصر السـوداني بـالعربي ثـم الطـوارق وهـم مـن أصـول بربريـة ويطالبون هم والعـرب بالاسـتقلال ، ٩٥٪ مـن السـكان مسـلمون ١٪ مسـيحيون ٤٪ أديـان مختلفـة . وتنتشـر بـين السـكان الطـرق الصوفية وأهمها القادرية والتيجانية وقد دخل الأسلام في مالي علـى يد المرابطين خلال توسعهم في القرن الحادي عشر الميلادي وأسسوا مدينة تمبكتو ذات الشهرة التاريخية والتي كانت تعد واحدة من أكثر وأكبر المراكـز الثقافيـة الاسـلامية في افريقيـة وأكثرهـا ازدهـاراً وفي مالي ظهرت امبراطورية مالي التي اعتنق قادتها الاسلام وأصبحوا من أكثر الشعوب تبشيراً بالأسـلام والدفـاع عنـه ويعـود زعماؤهـا إلى قبائل الماندنجو الزنجية وتعد من أكثر شعوب البلدان الأفريقية تمسكاً بالاسلام . العملة : فرنك E , E c

– المدن الرئيسية :

باماكو : عاصمة مالي وتقع علـى نهـر النيجـر عـدد سـكانها ٤١٩,٢٤٠ نسمة ومع ضواحيها ٦٤٦,٠٠٠ نسمة وتتصـل بكـل من كاي ودكار بخط حديدي وهي مركز تجـاري وصنـاعي (مـواد غذائية) ثم مدن موبتي (٥٣ ألفـاً) ،)سيفو ٦٤ ألفـاً) (سيكاسـو ٤٧ ألفـاً) (كـايس ٤٤ ألفـاً) . وأهـم المـدن التاريخيـة هـي مدينـة تمبكتـو: وعـدد سـكانها ١٩,١٦٠ ألـف وتقـع علـى نهـر النيجـر وتشكل ، نقطة انطلاق للقوافل ((وهـي مدينـة قديمـة جـدا (القـرن

١٢) وكانت ولاتزال مركز اشعاع اسلامي منع دخولها على الأوربين احتلها الفرنسيون عام ١٨٩٢ واعتبر أحد المؤرخين الفرنسيين احتلالها نصراً للمسيحية على الاسلام ، ٨٣ ٪ من السكان يعيشون في الريف والدخل الفردي السنوي ٩٠ دولار وهي من البلدان المتخلفة .

– التضاريس الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية :

تمتد البلاد ذات التضاريس المعتدلة (هضاب وسهول ممطرة) ضمن أقاليم مناخية ثلاثة : في الشمال صحراوي ويعود إلى المناطق المعروفة باسم الساحل . وهي مناطق مدارية قفراء (ستيب) ويطول فيها فصل الجفاف . وتنمو في هذه المناطق الثروة الحيوانية مع القبائل الرحل مثل البقر والغنم . وقد تأثرت هذه الثروة في السنين الأخيرة بسبب الجفاف الذي امتد من عام ١٩٧٠ حتى ١٩٨٥ ونقص عددها إلى أقل من النصف وحسب الاحصاء عام ١٩٨٧ يقدر عدد البقر بأربعة ملايين بقرة وعدد الماشية من أغنام وماعز عشرة ملايين وعدد الحمير ٣٠٠ ألف ، ويعتبر الجنوب أكثر المناطق سكانا ومناخه أكثر رطوبة في السافانا . وفي الغابات المتناثرة، اما المناطق الزراعية والتي تنتج (الرز ، القطن ، الفول السوداني ، المانيوك ، الفواكه (تنتج مالي سنويا ١٥٠ – ١٨٠ ألف طن من الفول السوداني) وتمتد هذه المناطق في مناطق السقاية والسدود على طول نهر النيجر (١٨٠٠ كم) في مالي ومنطقة مسينا والسنغال . ويعتبر نهر النيجر الوحيد من الأنهار التي تشكل دلتا داخلية في منطقة مسينا ثم تتجمع هذه المياه مرة ثانية وتعود لتشكل النهر ثانية الذي ينطلق نحو البحر عن طريق نيجيريا والنيجر، ويقال ان هذه الدلتا هي بحيرة قديمة كان النهر يصب فيها

ثم يخرج وأما الصيد النهري فهو مصدر هام أيضاً من الناحية الغذائية للسكان . وفي مالي كثير من المعادن (الذهب الماس البوكسيت ، المنغنيز) ولم تستغل هذه الموارد حتى الآن بشكل جيد لنقصٍ الأجهزة الفنية والنقص في الامكانيات ومع ذلك فمالي تعتبر جزءاً من العالم الثالث وعليها ديون كثيرة . وقد وضعت خطة من قبل البنك الدولي ١٩٨٩ ، ويعتبر الفن في مالي ذا أهمية كبيرة وهو يشمل كثيراً من الرموز الدينية لدى البامبارا والدوغمن بخاصة الأقنعة وكذلك لدى الكورومبا والسينوفو .

التاريخ : تحمل مالي حالياً اسم امبراطورية مالي التي أسسها الماندنغ في القرن الرابع عشر ، كانت تعتبر اكبر وأقوى دولة في العالم في ذلك الزمن . وقد عرفت عصرها الذهبي في عهد الكانكان موسى ١٣١٢ - ١٣٣٧ م وفي القرن التاسع عشر احتلها الفرنسيون بقيادة /نيدهرب/ الذي استطاع فتح كل الأقاليم الواقعة بين السنغال والنيجر وقد اكمل القائد الفرنسي / غاليتي / هذا الفتح ١٨٨٠ - ١٨٩٥) حيث ضم كل المناطق هذه إلى افريقية الغربية الفرنسية والتي أصبح أسمها السودان الفرنسي عام ١٩٢٠ ، وقد حصل السودان على الاستقلال عام ١٩٥٨ - ١٩٦٠ ضمن نطاق المجتمع الفرنسي ثم تم اتحاد بينها وبين السنغال دام بين ١٩٥٩ - ١٩٤٠ وبعد انهيار هذا الاتحاد احتفظت مناطق السودان الغربي السابق باسم مالي . وكان أول رئيس لجمهورية مالي هو موديبوكيتا وهو أحد الزعماء التاريخيين الأفارقة وحكم هذا اعتباراً من عام ١٩٦٠ حيث وجه البلاد نحو الاشتراكية ولكنه أبعد عن الحكم في ١٩ تشرين ثاني ١٩٦٨ من قبل انقلابٍ عسكري بزعامة النقيب موسى تراوري . الذي أسس حزباً جديداً

لحكم البلاد وكانت تعاونه في الحكم اللجنة العسكرية للتحرير الوطني C.M.L.N وقد تم وضع دستور جديد عن طريق استفتاء تم في ٢ حزيران ١٩٧٤ ، وفي ٢٢ أيلول ١٩٧٦ تم تأسيس الإتحاد الديمقراطي للشعب المالي u , D , p , m وأصبح الحزب الوحيد في البلاد بعد إلغاء كافة الأحزاب وفي ١٨ شباط ١٩٧٤ قام عدد من القادة العسكريين منهم المقدم كيسبما دوكار وزير الدفاع ، وتيودور باغايوتو وزير الداخلية والأمن العام والعقيد كريم ديميليه وزير النقل والأشغال العامه بانقلاب عسكري ضد رئيس الجمهورية ولكنه فشل وتم القبض على هؤلاء واعدم الأول أما الثاني فقد حكم عليه بالاشغال الشاقة عشرون عاما . وقد أعيد انتخاب تراوري في ١٩ حزيران ١٩٧٩ بأكثر من ثلاثة ملايين ناخب وأصبح رئيساً لجمهورية مالي الثانية كما انتخب ٨٢ نائباً الذين قدمهم الاتحاد الديمقراطي للجمعية الوطنية المالية ، وأخيراً بدأت الاضطرابات أمام موسى تراوري وبدأت ثورة الطليعة باضراب شامل في ١٦ تشرين ثاني ، ثم بدأت المظاهرات في آذار ١٩٨٠ ورغم الضغط الشديد الذي مارسه تراوري خلال عشر سنوات إلا أن الأمور لم تستقر له . وفي عام ١٩٩١ شكل لجنة انتقالية لسلامة الشعب . حيث تم الأنفتاح على المدنيين واعيد تنظيم الدولة على أساس تعدد الأحزاب وفي آذار ١٩٩٢ استطاع التحالف الديمقراطي المالي الحصول على أغلبية المقاعد الأنتخابية التشريعية وأصبح مرشحه الفاعمر كوناري رئيساً للبلاد .

- (٤٧) مدغشقر :

مدغشقر Madagascar : جمهورية مدغشقر الديمقراطية

- تقع مدغشقر في المحيط الهندي أمام الطرف الشرقي الجنوبي للقارة الافريقية وهي أكبر جزر القارة ويفصلها عن القارة ، مضيق موزامبيق ويبلغ عرضه بين ٣٥٠ كم - ٥٠٠ كم . وتبلغ مساحتها ٥٨٧,٠٤٠ كم[٢] وعدد سكانها ١٢ مليونـاً من المالاغاش والنمو السكاني أكثر من ٣٪ سنوياً ويعيش ٨٠٪ من السكان بالأرياف ، الدخل الفردي السنوي ٢٥٠ دولار (١٩٧٩) العملة الفرنك . وهي جمهورية ذات نظام رئاسي . واللغة الرسمية هي الملغاشية ثم الفرنسية وتنتشر فيها الاعراق البشرية التالية ٢٦٪ مارينا ١٥٪ بيتسبماراكاس ١٢٪ بتسيلو ١٠٪ كيسمانيتي ٩٪ انتيساكا ٩٪ سكالاف . ٨٪ انتاندوري ثم تاتالا ٤٪ التيمورو ٤٪ بارا ٤٪ انتانوسي ٢٪ (سيهاناكا ١٤٣,٤٥ نسمة) (ماغافلاي ٩٤٩١٨ نسمة) (ماكاو ٧٦,٧٤٩ نسمة) (بيزاموزانو ٤٥٣٢٧ نسمة) ٥٠٪ من السكان يدينون بالديانات المحلية (عبادة الأجداد) ٢٠٪ بروتستانت ٢٠٪ كاثوليك ١٠٪ مسلمون .

المدن الرئيسية :

- **أنتاناناريفو** : قديما تاناناريف . عاصمة مدغشقر وتقع على هضاب الأميرينا في منطقة عالية ترتفع حسب الأحياء بين ١٢٤٥ م حتى ١٤٧٠ م وعدد سكانها ١,٠٥٠,٠٠٠ وهي

مركز اداري ثقافي تجاري وفيها بعض الصناعات الخاصة بالمواد الغذائية والنسيج وهي مركز اسقفية كاثوليك .

– **انتسيرانافا** : (سابقا سان ديفو) ميناء مدغشقر في النهاية الشمالية للجزيرة على حوض بنفس الاسم عدد السكان ١٠٠ ألف نسمة وفيها ميناء عسكري .

– **انتسيرابيه** : تقع على هضاب الأمير ينا عدد سكانها ٧٨,٩٤٠ نسمة وفيها مركز لتوليد الطاقة الكهربائية .

– **تواماسينا** : (سابقاًتاماتاف) وهي الميناء الرئيسي للتجارة في البلاد على الشاطئ الشرقي عدد سكانها مائة ألف وفيها مصفاة للبترول .

– **توليرا** : سابقاً توليار ، ميناء مدغشقر على الطرف الجنوبي الغربي وعدد سكانها ٥٥ ألف نسمة وهي ميناء للصيد وحفظ اللحوم .

– **ماهاجانجا** : (سابقاً ماجونجا) وتقع إلى شمال غرب مدغشقر على قناة موزامبيق (٨٥ ألف) نسمة وفيها ميناء نشيط وفيها مصانع للحوم المعلبة وصناعة النسيج . في عام ١٨٩٤ نزلت فيها قوات فرنسية وشرعت باحتلال الجزيرة .

فينارانتسو : وتقع علىالمرتفعات الهضابية في الجنوب الشرقي (١٣٠ ألف نسمة) وهي مركز تجاري هام .

– التضاريس ، النواحي الطبيعة ، البشرية ، الاقتصادية :

تعتبر جزيرة مدغشقر قسماً من القارة القديمة الزائلة جوندوانا Gondwana وتتخللها السهول الجبلية ، في قسمها الأوسط ذات

تربة حمراء ترتفع بين ٨٠٠ – ١٢٠٠ م وتمتد في الشمال والوسط الكتل الجبلية البركانية والتي تجمع القمم العالية الحادة مثل (تساراتانانا) (٢٨٨٦ م) (انكارانا ٢٦٣٨ م) وهي ذات مناخ مداري معتدل حسب الارتفاع والأراضي العالية الوسطى تهبط بشدة نحو الشرق حيث السهل الساحلي الضيق ويتمتع بمناخ مداري ورياح الأليزة (تهب من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي) وهي رطبة جداً وتنحدر إلى الغرب نحو سهل رسوبي أكثر جفافا (غابات ذات أشجار متباعدة .. أدغال سافانا) وعلى العموم فمدغشقر ذات أقليم متغير جداً هواء استوائي على السهول البحرية الساحلية الضيقة والغابات في الشرق وهو معتدل في الأراضي العالية ١٢٠٠ م ١٥٠٠م جاف وحار في السهول الغربية نصف جاف في النهاية الجنوبية للجزيرة . هناك فصلان لهما تأثيرات مختلفة حسب الارتفاع وحسب التعرض للهواء البحري وفي الشتاء تهبط رياح الأليزة من مايس – أيلول أما في الصيف فتهب الرياح الموسمية الممطرة من تشرين ثاني حتى نيسان .

سكان مدغشقر من أصول مختلفة كلها قدمت من خارج الجزيرة التي لم تكن مأهولة في أزمان سابقة وهؤلاء السكان من أصول أفريقية وأندونيسية ماليزية وعربية وفيها أكثر من ١٨ مجموعة عرقية وهم موزعون في البلاد بشكل عشوائي . وفي الوسط والساحل الشرقي . تأتي المناطق الأكثر سكانا وكذلك في الشمال أما في الغرب والجنوب فتكاد أن تكون هذه المناطق فارغة . وثلاثة أرباع الملاغاش الآن يعيشون في الأرياف وسرعة التزايد السكاني مرتفعة بالرغم من ازدياد عدد الموتى .

وتعتبر الزراعة الغذائية ((الرز ، المانيوك)) والثروة الحيوانية

بخاصة البقر والصيد هي الدعائم الرئيسية للنشاط السكاني (٧٥٪ من الرجال) ثم القهوة والفانيلا (الانتاج الأول في العالم) ثم القرنفل وقصب السكر وهي تؤمن ٦٠٪ من الدخل الخارجي وتوجد فيها معادن ثمينة مثل الكروم . والميكا ، والغرافيت . أدى اتخاذ النمط الاشتراكي عام ١٩٧٥ إلى تراجع في الدخل القومي ولكن بعد عام ١٩٨٩ ، تمت العودة إلى القطاع الخاص رافقه فتح مناطق حرة ، وسياسة تقشف ، وأدت عودة العلاقات الطبيعية مع أوربا وفرنسا بخاصة إلى عودة المساعدات ودخول الاستثمارات الغربية مع تحسن الإداء والنشاط ومع ذلك فالوضع الاقتصادي في مدغشقر يظل هشاً . والعمل في ارساء البنية التحتية يظل صعباً لنقص التجهيزات وحالة المجتمعات في المدن .

– **التاريخ** : ارتادها العرب منذ أقدم العصور مع جزر القمر في القرون الوسطى بخاصة وأول من رآها من الأوربيين هم البرتغاليون عام ١٥٠٠ م ، وفي القرن الثاني عشر أسست فرنسا الوكالة التجارية المعروفة باسم فورت دوفين (حصن ولي العهد) ولكن استعمارها لم يتم . وكانت البلاد مقسمة إلى عدد من الممالك . وقد سيطرت عليها اعتباراً من القرن الثالث عشر مملكة الميرينا (أو ألأميرينا) . وفي بداية القرن الرابع عشر وصلت مدغشقر البعثات التبشيرية البروتستانتية الانكليزية لنشر الدين المسيحي . ولكن الملكه رانافالونا الأولى (١٨٢٨ – ١٨٦١) طردت هذه البعثات بعد سماحها لها بالعمل ولكن هؤلاء عادوا بعد سماح ابنها (رادامـا الثاني) وبعد تدخل عسكري فرضت فرنسا سيطرتها وجعلت من البلاد محمية فرنسية . وبعد عام من القتال ١٨٩٦ الحقت فرنسا البلاد بها ثم أتت مرحلة التهدئة التي قام بها القائد

الفرنس (غاليني) ١٨٩٧ - ١٩٠٥ م الذي وضع في الحكم الملكة رانافالونا الثالثة . وفي عام ١٩٤٧ نشبت ثورة وطنية في الشرق والشمال من الجزيرة . تبعها ضغط كبير يعود إلى الحركة الديمقراطية لنهضة ملاغاش . وهي التي أعلنت استقلال الجزيرة في ٢٦ حزيران ١٩٦٠ وسقطت الملكية وأعلنت الجمهورية حيث أصبح رئيسها فيلبرت تسيرانانا **Tsiranana** حيث اتخذ اسلوب الاشتراكية المعتدلة وظل في الحكم بين ١٩٥٩ - ١٩٧٢ م . وكان الدستور الذي أعلنه من النموذج الذي يؤمن لحزبه الحزب الاشتراكي الديمقراطي **p . s . d** مكانا رئيسيا على الساحة السياسية ، وقد سمح دون صعوبة بالوجود الفرنسي وكانت لدى فرنسا في ذلك الوقت قاعدة رئيسية عسكرية في انتاناريفو وديفو سواريز ، رفض تسيرانانا كل اتصال مع الدول الاشتراكية ، ثم نشبت الثورة في نيسان ١٩٧١ في الجنوب داخل منطقة فلاحية يدعم من المونيما . وفي الوقت ذاته أعيد انتخاب الرئيس تسيرانانا في ٣٠ حزيران ١٩٧٢ وحصل على ٩٩,٩ ٪ من الأصوات ، وأخيراً انسحبت القوات الفرنسية من البلاد اعتباراً من عام ١٩٧٣. كما خرجت مدغشقر من المنطقة الحرة الفرنسية . وفي ٣ مايس ١٩٧٨ نشبت اضطرابات بالعاصمة قام بها الطلاب والعمال مما أدى إلى استقالة رئيس الجمهورية تسيرانانا وأعطى كل مسؤولياته إلى الجنرال غبريل رامافاناتسوا ، منذ سقوط هذا النظام الذي ابتدأ في عام ١٩٧٢ بدأت التطورات السياسية تتفاعل بشدة حيث تم تغيير أربعة رؤساء جمهورية (واحد منهم قتل وهو العقيد ريشار راتسيماندرافا . وعندما قتل المذكور في ١١ شباط ١٩٧٥ حكمت البلاد حكومة مديرين مؤلفة من ١٩ عضو كتمثيل جماعي بحكم البلاد وقد تميز واحد من بينهم وهو النقيب البحري ديدبه

راتسيراكا . الذي انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٧٥ . وحيث تبنت البلاد ، الاشتراكية الثورية كقاعدة سياسية واقتصادية واجتماعية لتطوير عميق للمجتمع الملغاشي ، سجل عام ١٩٧٧ ظهور مجلس شعبي حل محل المجلس السابق وكلف بوضع نظام جديد يحل محل السابق وكان الهدف من هذا العمل إبعاد النفوذ الفرنسي ، كما أقيمت علاقات دبلوماسية مع كل من الاتحاد السوفيتي ، الصين رومانيا وكل البلاد الاشتراكية والتقدمية ، كما أعلنت عن دعمها لحركات التحرر في افريقية وفلسطين والصحراء الغربية . وقد اذاع الرئيس المذكور نداء لاجتماع يعقد في العاصمة الملغاشيه في نهاية ١٩٨١ أو عام١٩٨٢ على أن تشترك فيه الولايات المتحدة والسوق الأوربية المشتركة والأتحاد السوفيتي والصين الشعبية واليابان والأعضاء الدائمون في حركة عدم الأنحياز وكل البلاد على ساحل المحيط الهندي وكان الهدف من ذلك جعل المحيط الهندي منطقة سلام . أصبحت مدغشقر منذ كانون أول ١٩٧٥ جمهورية ديمقراطية ذات توجه اشتراكي . وفي عام ١٩٨٢ أعيد انتخاب الرئيس المذكور ولكنه لم يحصل على سوى ٦٠٪ عام ١٩٨٩ ، وقد أجبرت الأزمات التي حدثت بالبلاد الرئيس على إلابتعاد عن الاشتراكية عام ١٩٩٠ إلا أنه لعب على مشكلة العروق البشرية المختلفة ليحتفظ بالسلطة ، وفي عام ١٩٩١ وبعد أزمة سياسية طويلة تم الأتفاق بين المعارضة والحكومة على تنظيم دستور جديد للبلاد مع تشكيل حكومة مؤقتة. ١٩٩٣ تم الاستفتاء على الدستور الذي وضع عام عام ١٩٩٢ تبعته انتخابات لرئاسة الجمهورية وكان المرشح الرئيسي للمعارضة هو البرت زافاي الذي أصبح رئيسا للجمهورية .

- (٤٨) موزامبيق :

- موزامبيق Mozambique جمهورية موزامبيق

- تقع جمهورية موزامبيق في أفريقية الشرقية على المحيط الهندي وتطل على القناة المسماة باسمها . تبلغ مساحتها ٧٨٤,٤٩٢ كم[٢] وهي تحتل قسماً كبيراً من الساحل الشرقي لأفريقية الشرقية بطول ١٧٩٥ كم مما يجعلها المنفذ الطبيعي للدول الأفريقية الداخلية مثل بتسوانا . وسواز يلاند . وزيمبابوي وزامبيا . يبلغ عدد سكانها حوالي ١٤ مليون نسمة والزيادة السنوية السكانية ٢,٥٪ والكثافة ١٥ بالكم٢ وهي جمهورية شعبية رئاسية واللغة الرسمية فيها البرتغالية ولكن السكان يتحدثون بعدد من اللغات المحلية ، ماكوا ، وهي مزيج مع السواحيلية في الشمال وفي الجنوب مع لغات البانتو كما يتحدث سكان السواحل اللغة السواحيلية بخاصة شمال البلاد ويدين ٩ر٦٠٪ بالديانات المحلية ٥٠٪ مسيحيون (كاثوليك الأغلبية) ١٢٪ ملسمون هندوس وبوذيون ويهود ١٪ آخرون ٢,٥٪ العملة ميتياكا التي حلت محل الايسكوتو البرتغالية أما السكان فأغلبهم من السود البانتو مع قليل من المزيج مع البرتغاليين البانتو ٩٧,٨٪ البيض ١,٥٪ مزيج ٥٪ هنود ٣٪ وأهم المجموعات العرقية : التسونفا ، والشانفو نيز في جنوب البلاد والسينياس والمانيكاس في الوسط . النيانجا في الشمال الغربي والماكواس في الشمال وأخيرا ماكوندس في الشمال الشرقي .

- المدن الرئيسية :

مابوتو (سابقاً لورنزومركيز) عاصمة موزامبيق وهي ميناء في داخل حوض ديلاغوا وعدد سكانها ١,٠٠٧,٠٠٠ وهي تقع على مصب نهر الزامبيزي الكبير وفيها بعض الصناعات الغذائية .

بيريا : ميناء موزامبيق على القناة الموزامبيقية عدد السكان (١١٣,٨٠٠) نسمة مركز سكك حديدية وهي مركز تجاري وصناعي وهي بداية أنابيب البترول نحو زامبيا .

نامبولا : وتقع على الخط الحديدي الذي يصلها مع بحيرة ملاوي ومنها يتجه نحو الساحل الموزامبيقي عدد السكان ١٢٦,٠٠٠ .

كيليمانت : مدينة وميناء على المحيط عدد سكانها ١٦,٠٧٠ وفيها مطار كبير .

- التضاريس : الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية :

يفصل وادي نهر الزامبيزي البلاد إلى منطقتين ، الهضبة العليا في الشمال والدلتا والأراضي الواطئة وأكثرها مستنقعية في الجنوب. ويأخذ السهل الساحلي ٤٥٪ من مساحة البلاد حيث تنبت على السواحل نباتات المانغرو وفي الوسط توجد الأراضي القاحلة . ولكن هذا الشريط يضم أكثرية السكان في البلاد ، وتوجد أيضاً الهضاب الوسطى وتصل بين ٢٠٠ - ٦٠٠ م وتزداد هذه الارتفاعات في الشمال الشرقي وتصل إلى ثلاثة آلاف م (جبل مالانج) أما المناخ فهو مداري قليل الرطوبة ويتلاءم مع السافانا في

السهول والغابات المتفرقة على السفوح حتى ٦٠٠ م من الارتفاع. ويكثر في البلاد الأنهار القادمة من الدول الأخرى مثل نهر الزامبيزي الذي يشكل في المنطقة الشمالية الشرقية بحيرة (كابوراباسا) الصناعية بعد بناء السد الذي سمي بنفس الأسم وهو يولد الطاقة الكهربائية ثم نهر السافاني الوسط ونهر ليمبوبو في الجنوب كما تنفتح الأراضي في الشمال الغربي على بحيرة ملاوي الواسعة . عدا بعض البحيرات التي تتشكل ضمن الأخدود العظيم (ريفت فالي) وبالرغم من ازدياد عدد الوفيات من السكان إلا أن النمو السكاني في تزايد والسكان الريفيون يشكلون ٨٠٪ من السكان ويعيشون على الزراعة بخاصة حيث الانتاج الغذائي مثل الذرة . المانيوك . والذرة البيضاء) ثم زراعة مواد التصدير (الشاي - القطن قصب السكر والكاجو) ثم الموارد المعدنية الهامة جداً ((الفحم الحديد - الذهب - الغاز) ولكنه غير مستثمر بشكل كامل وتقتصر الصناعات على انتاج بعض النسيج ، والصناعات الغذائية. وقد تزعزع الاقتصاد بسبب غياب رجال الأعمال البرتغاليين عن البلاد ثم قيام التعاونيات التي لاقت كثيراً من الكوارث الطبيعية المتتابعة جفاف ، فيضانات وكذلك الحرب الأهلية (عمليات التخريب التي أدت إلى انقطاع التيار الكهربائي عن افريقية الجنوبية وهي التي تأخذ الكهرباء من سدكابورا باسا على نهر الزامبيزي ، من عام ١٩٨١ - ١٩٩٠ . وتعتبر موزامبيق احدى الدول المتخلفة وهي من بلاد العالم الفقيرة ولاتعيش بدون معونات .

التاريخ : في نهاية القرن الخامس عشر استقر البرتغاليون على ساحل موزامبيق جنوب سفالة بينما استقر التجار العرب في شمالها منذ القرن العاشر وقد أتم البرتغاليون احتلالهم داخلها عام ١٩١٧ ،

ثـم أصبحـت مـن أقـاليم البرتغـال عـبر البحـار ١٩٥١ . حصلـت موزامبيق على استقلالها عام ١٩٧٥ بعد ثورة دامية ابتدأت منذ عام ١٩٦٢ مـن قبـل جبهـة الفريليمـو (جبهـة تحرير موزامبيـق بزعامـة ادواردو مندلان ثم سامورا ميشيل الذي قاد الحرب التي عرفت فيما بعد باسـم ثـورة القرنفـل في آذار ١٩٧٩ . أدى فـرض الاشـتراكية (الماركسية اللينينة التي يدين بها حـزب الفريليمـو وزعيمـه سـامورا ميشيل بسرعة ومارافق ذلك من هرب البرتغاليين المقيمين منذ القدم وبيدهـم الادارة والمـال ومارافقـه مـن تخبـط في التطبيـق ، وماجرتـه الحرب الأهلية من أهوال وتخريـب ضـد روديسـيا الجنوبيـة البيضـاء (زيمبابوي حالياً) أدى كـل ذلـك لهبـوط حسـاس للانتـاج . ولكـن اسـتقلال زيمبـابوي في نيسـان ١٩٨٠ جعـل مـن الاشـتراكيين الموزامبيقيـين يلتقطـون أنفاسـهم ويعملـون بجـد لايقـاف تدهـور الاقتصاد رغم بقائها حتى ذلك الوقت في نضال ضد جنوب افريقية العنصرية. والواقع أن رياح التغيير بدأت تهب علـى موزامبيـق منـذ آذار ١٩٨١ عن طريق إجراءات متتابعـة وتسـتهدف جميعهـا خلـق قطاع خاص في البلاد (في التوزيع – التجـارة – التخطيـط) مرحبـه بشدة بالاستثمارات الغربية . منذ عام ١٩٧٩ ظهرت جبهة مضادة حملت السـلاح ضـد الحكومـة الاشـتراكية تقودهـا جبهـة ارنـامو / بدعم من حكومـة افريقيـة الجنوبيـة . وبعـد مـوت سـامورا ميشـيل ١٩٨٦ حيـث سـقطت طائرتـه أصبـح يؤكيـم شيسـانو رئيسـا للجمهوريـة ورئيساً لجبهـة الفريليمـو وقـد فتحـت الحكومـة بـاب المفاوضات مع جبهة رينـامو منـذ عـام ١٩٨٩ وأعيـدت العلاقـات الطبيعية مع جنوب افريقية البيضـاء ثـم جـرى إلغـاء الاشـتراكية في البلاد حيـث تم نشـر دسـتور جديـد اعتبـاراً مـن عـام ١٩٩٠م وتم

توقيع اتفاق السلام في تشرين أول ١٩٩٢ بين الحكومة وجبهة رينامو الذي وضع حداً للصراع المأساوي الذي أدى إلى مقتل مليون شخص مع تخريب إقتصاد البلاد . ١٩٩٤ تمت انتخابات رئاسية لأول مرة مع تعدد الأحزاب انتخب فيها شيسانو رئيساً شرعياً للبلاد ، ١٩٩٥ ، دخلت موزامبيق في الكومونولث وأصبحت عضواً فيه .

- (٤٩) موريتانيا :

موريتانيا Mawitanie جمهورية موريتانيا الاسلامية :

تقع جمهورية موريتانيا في أفريقية جنوب غرب الصحراء الغربية وهي على الأطلسي ، ويحدها من الشمال الجزائر والمغرب ومن الجنوب السنغال والجنوب الشرقي مالي . ومن الغرب المحيط الأطلسي . تبلغ مساحتها ١,٠٣٠٧٠٠ وعدد السكان ١,٩٠٠,٠٠٠ والزيادة السكانية أكثر من ٢,٥٪ فيهم ٢٠٠ ألف من السكان الرحل ، تعتبر اللغة العربية هي اللغة الرسمية أما اللغة الفرنسية فهي لغة العمل والمراسلات مع العربية ، وهناك بعض اللغات السودانية الأفريقية التي يتحدث بها السكان مثل الولوف ولغة التوكلور والسيراكولبه وهي لغات دارجة في منطقة نهر السينغال . العمله : أوقيه . أما السكان فهناك العرب والبربر والمزيج الذي يقال له المور وعددهم رسمياً ٧٠٪ وهناك الأفارقة التوكلور - والساركوليه والولوف والفولاني (البيول) . الديانة الاسلام .

- **المدن الرئيسية :**

نواكشوط : عاصمة موريتانيا قريبة من المحيط الأطلسي عدد سكانها ٥٠٠ ألف (١٣٥,٠٠٠) عام ١٩٧٦ وهي مركز تجاري وفيها مركز لتصفية مياه البحر وقد بنيت عام ١٩٥٨ .

نوازيبو : (سابقا بورت ايتين) ميناء في موريتانيا سكانها ٢٦ ألفاً وهي ميناء لتصدير المواد المعدنية الحديد من منطقة فديريك

F'derik عن طريق خط حديدي طوله (٦٧٥ كم) وينشط فيها الصيد وفيها مطار جوي وأهم المدن (كيدي ٢٢ ألفاً) (زويرات ١٧ ألفا) (روسو ١٧ ألفا) (عطار ٦ آلاف) .

– التضاريس الأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تتشكل موريتانيا من سهول قفراء واسعة (ستيب) مغطاة بالكثبان الرمليه . وتصل إلى شط نهر السنغال الذي يشكل الحدود الجنوبية مع السنغال وتتشكل ثلاثة أرباع البلاد من الصحراء المعروفة باسم الصحراء الغربية وتعود المنطقة في الجنوب إلى منطقة الساحل (الستيب) وهذه المنطقة قليلة الأمطار وتضم ٩٠٪ من السكان وقد أدى الجفاف الذي ابتدأ منذ عام ١٩٧٣ إلى هجرة كثير من السكان الرحل نحو نواكشوط التي كان عدد سكانها ١٥٠ ألفاً عام ١٩٨٣ وأصبحت الآن حوالي ٥٠٠ ألف .

والزراعة الغذائية (الشعير . الرز . التمر) . وتربية الماشية المكثفة (الغنم – البقر – الجمال) تبقى القاعدة الرئيسية لإقتصاد البلاد . أما الصادرات الرئيسية فهي السمك الذي يتم اصطياده من قبل المراكب الأجنبية ثم الحديد الذي يتم استخراجه من الصحراء بخاصة في منطقة زويرات وينقل ترابه عن طريق السكة الحديدية إلى نوازيبو . وتعتبر موريتانيا من البلاد الأكثر تخلفاً . فالاقتصاد الموريتاني ضعيف عادة وطلب المساعدة الأجنبية لابد منه .

– التاريخ :

يعتقد أن السكان الأصليين من السود ، وقد تعرضت لغزوات خارجية اعتباراً من القرن الرابع ، غزوات البربر الذين يملكون الجمال ثم تم ضمها إلى دولة المرابطين الذين مدوا

امبراطوريتهم من السنغال حتى اسبانيا ثم انتشر فيها الاسلام القرن الحادي عشر – القرن الثاني عشر . و لم يدخل العرب البلاد إلا بعد عام ١٤٠٠ . وفي القرن الخامس عشر ازداد الاتصال مع الساحل أي مع الأوربيين الذين كانوا يفتشون عن العبيد والملح والصمغ العربي وبعد عام ١٨٢٥ م وعن طريق نهر السنغال تم احتلال موريتانيا تدريجياً من قبل الفرنسيين . وكانت منعزلة طويلاً عن العالم . وقد أصبحت مستعمرة ضمن افريقية الغربية الفرنسية ، فقط عام ١٩٢٠ ولم يتم الحصول على السلام الذي كان مطلوباً منذ عام ١٩٢٠ إلا عام ١٩٣٤ ، وفي عام ١٩٥٨ تم الاعلان عن موريتانيا جمهورية اسلامية عام ١٩٦٠ ثم جاء ولدداده في تشرين ثاني ١٩٧٥ وكانت موريتانيا تخشى التوسع المغربي الذي كان يعتبرها جزء من المغرب منذ عام ١٩٦٩ وقد سمح هذا الاعتراف لرئيس الجمهورية ولدداده بإبعاد الهيمنة الفرنسية عن البلاد شيئاً فشيئاً بعد تركها المنطقة الحرة . وانضم للجامعة العربية عام ١٩٧٣. أمم أيضاً مناجم الحديد (ميغبرما) ١٩٧٤ ولكن مشاكل الصحراء الأسبانية سابقاً والتي كان يطالبه بها المغرب أدت إلى الحرب فقد أحتلت موريتانيا بموجب اتفاقية مدريد هي وجارتها المغرب الصحراء المغربية حيث ضمت إليها القسم الجنوبي من البلاد ولكن الصحراويين بزعامة جبهة البوليساريو قاموا بحرب العصابات ضد الدولتين منذ كانون أول ١٩٧٠ ولم تكن موريتانيا تحتل الجزء المخصص لها بموجب اتفاقية التقسيم مع المغرب إلا بتعب وأخذت البوليساريو تضرب المجال الاقتصادي الموريتاني بخاصة وكان ضعيفاً وهشاً للغاية وهنا قام بعض العسكريين الذين تعبوا من الحرب بحركة انقلابية أطاحت بالرئيس مختار ولدداده في ١٠ تموز ١٩٧٨ وحلت محله لجنة عسكرية وقد تعاقب على الحكم أربعة رجال أقوياء وهم الكولونيل مصطفى ولد ساليك **Saleek** ثم المقدم أحمد

ولد يوسف الذي توفي أثر حادثة ، ثم الكولونيل محمد لونلي واعتباراً من ٤ شباط ١٩٨٠ أصبح في رأس السلطة خونا ولد حيد ا لله . أما البوليساريو فمنذ الانقلاب على ولدداده أعلنت مباشرة وقف إطلاق النار من طرف واحد وفي ٥ آب ١٩٧٩ وقعت اتفاقية الجزائر مع البوليساريو خرجت فيه موريتانيا من الحرب مع البوليساريو وانسحبت من جنوب الصحراء الغربية والتي احتلها المغرب . وعندما استلم خونا ولد حيد ا لله السلطة بعد تسلمه لرئاسة اللجنة العسكرية للانقاذ الوطني c . m . s . n الغى الرق في بلاده وأعلن عن تحرير هؤلاء وقد استفاد من هذا القانون ١٥٠ ألف شخص ثم استدعى في كانون أول أول حكومة مدنية . ولكن لم يدم هذا طويلاً (بل أشهر فقط) تبعه سلسلة من عمليات الانقلاب الفاشلة ١٩٨١ - ١٩٨٢ . وقد اعترفت موريتانيا بالجمهورية الصحراوية الديموقراطية في شباط ١٩٨٤ ولكن اللجنة العسكرية أقالت الكولونيل ولد حيد ا لله في كانون أول وفي نفس العام حل محله من قبل اللجنة العسكرية معاوية سيد أحمد ولد طايع بينما تابع العسكريون تعريب البلاد وإبعاد السود عن المراكز الرئيسية في الجيش والإدارة . وقد أدت المذبحة التي تعرض لها الموريتانيون العرب في السينغال ربيع ١٩٨٩ والتي تحولت إلى عملية ثأر من السود في موريتانيا حيث أبعد أغلبهم إلى السنغال وأخرجوا من البلاد ، وفي عام ١٩٩١ تم وضع دستور جديد يسمح بتعدد الأحزاب وتوسيع حرية الصحافة ، وفي شباط ١٩٩٢ اتهمت المعارضة وطعنت بالانتخابات التي جرت لأول مرة في البلاد منذ الاستقلال على أساس التعددية الحزبية حسب قول ولد طايع ولايزال ولد طايع أقوى الشخصيات في البلاد .

– (٥٠) ناميبيا :

ناميبيا Namibie جمهورية ناميبيا (جنوب غرب افريقية سابقاً)

تقع جمهورية ناميبيا في جنوب غرب افريقية على المحيط الأطلسي . ويحدها من الشمال أنغولا وزامبيا ومن الشرق بوتسوانا ومن الجنوب الشرقي ومن الجنوب افريقية الجنوبية ويصلها مع زامبيا وزيمبابوي وبتسوانا لسان أرضي يعرف باسم شريط كابريفي الذي يندلع نحو الشمال الشرقي ليصل إلى حدود الدول المذكورة . تبلغ مساحتها ٨٢٤,٢٩٢كم٢ . نظام الحكم جمهوري . العملة الراند واللغة الأنكليزية هي الرسمية مع الأفريكانز ٨٠٪ يدينون بالديانة المسيحية والباقي ديانات محلية . ويوجد فيها ١١ مجموعة عرقية وأهمها الأفامبو avambo والدامارا والهور . وفي عام ١٩٧٩ أقيمت البانتوستان المسماة أوفامبو تلاند ويمثل الأفامبو ٤٦٪ من السكان بالإضافة إلى البوشمان والهوتنتوت وهم أقلية .

– المدن الرئيسية :

العاصمة ويندهوك وعدد سكانها مائة ألف نسمة وتقع في وسط البلاد بجانب الينابيع الحارة وتعيش على الثروة الحيوانية وأهم مدن ناميبيا : ميناء حوض والغيس (والغيس باي) وعدد سكانها ١٥ ألف نسمة ولاتزال جنوب أفريقية تضع يدها على هذا الميناء – ومن المدن الهامة (كيتامانتشوب) ١٢٠ ألفاً) (واكامباود ٢٠ ألفاً). ويشكل سكان المدن ٥٥٪ من السكان .

– التضاريس الأحوال الطبيعية – البشرية – الاقتصادية :

يصل ارتفاع الهضبة الوسطى إلى ٢٦٠٦ م (قمة اغراند غارسبرغ) الواقعة في جنوب البلاد وتجمع أكثرية السكان وتسقط من الغرب على الصحراء الساحلية الناميبيه المتأثرة بالتيار البارد المعروف باسم بانفويلا وكذلك على المنخفض نصف الصحراوي المعروف باسم كالاهاري والطقس فيها جاف وقليل الرطوية أما في الشمال فتزداد الرطوبة .

الاقتصاد : تعتبر نامبيا من البلدان الغنية بالموارد المعدنية . الماس الذي يستثمر من قبل بوير جنوب افريقية . نحاس . رصاص . فضة . زنك . نيكل وهي تعتبر إحدى الدول الغنيه بمناجم اليورانيوم في العالم (احصاء ٧٩) ١٠٠ ألف طن سنوياً وتقع المناجم في روسنغ بالقرب من سواكا مباوند وكان قد وضع منذ فترة طويلة قيد الاستثمار من قبل كونسورتيوم أهم اعضائه ريو دينتوزنك البريطاني وبالتعاون مع مجموعات من جنوب افريقية وفرنسا . ونجد المناخ الصحراوي ونصف الصحراوي الذي يسيطر على ناميبيا ، ويقلل من المناطق المزروعة كثيراً – وبخاصة في أوفامبولاند في الشمال حيث الأمطار نسبياً أكثر، هناك تربية مكثفة للخرفان من نوع استراكان ولكن مزارعه مملوكة جميعها من الأوربيين وهي تشكل ثروة معتبرة وكذلك الصيد في المياه الباردة في (تياربانفويلا) . ولم تكن جنوب أفريقية التي كانت ترغب في ضم ناميبيا إليها تعطي احصائيات مفصلة ومستقلة خاصة بناميبيا وخلال الثمانينات بدأت بعض الاحصائيات تظهر وكانت جنوب افريقية حتى الاستقلال هي المستفيد من الموارد الزراعية والمعدنية في ناميبيا .

- **التاريخ** : عندما تقرر في اتفاقية برلين عام ١٨٨٥ توزيع أفريقية على الدول الأوربية الاستعمارية كان نصيب المانيا عدة مناطق بما فيها جنوب غرب أفريقية عدا ميناء والفيس باي ثم أصبحت مستعمرة المانية ١٨٩٢ وكان بسمارك المخطط الأول لهذه الصفقة الأوربية وفي الحرب العالمية الأولى احتلتها قوات جنوب افريقية التي كانت تابعة لبريطانيا في ذلك الوقت وبموجب معاهدة فرساي وعن طريق عصبة الأمم وفي عام ١٩٢٠ وضعت البلاد تحت وصاية جنوب أفريقية وكلفت بإدارتها والوصول بها إلى الاستقلال ، وينطبق على ناميبيا بالنسبة للوصاية مثل ماكان ينطبق على سورية الكبرى ورواندا وبوروندي . وبعد الحرب العالمية الثانية طلبت جنوب افريقية عام ١٩٤٦ الحاق ناميبيا بها ، ولكن منظمة الأمم المتحدة التي حلت محل عصبة الأمم رفضت ذلك ، وفي عام ١٩٦٦ وضعت الأمم المتحدة نظرياً البلاد تحت سيطرتها ، رغم عدم خروج أفريقية الجنوبية منها . وهنا قامت حركة تحرير في جنوب غرب أفريقية باسم منظمة تحرير شعوب جنوب غرب افريقية ويطلق عليها اختصاراً (سوابو) وقد ظهرت عام ١٩٦٦ ، حيث بدأت حرب عصابات داخلية اعتباراً من قواعدها العسكرية في أنغولا وذلك ضد نظام الحكم الذي أقامته جنوب أفريقية . وقد اصطدمت المقاومة الشعبية بقوات جنوب أفريقية واضطرت هذه مراراً إلى الدخول في أراضي أنغولا وأخيراً تم توقيع اتفاق في كانون أول ١٩٨٨ على أساس أن تجري انتخابات حرة تقودها للاستقلال قبل نيسان ١٩٩٠ وقد جرت الانتخابات العامة تحت مراقبة الأمم المتحدة في تشرين ثاني ١٩٨٩ وكانت نتيجة الانتخابات العامة حصول سوابو على أغلبية مريحة من الأصوات ٥٧٪ ورغم ذلك

ولعدم كفايتها لوضع دستور جديد لوحدها احتفظت جنوب افريقية بجيب في نامبيا ميناء والفيس باي **walvis bay** وقد أصبحت ناميبيا مستقلة في ٢١ آذار ١٩٩٠ وأصبح زعيم سوابو سام نديجوما أول رئيس للجمهورية الجديدة وبحصول ناميبيا على استقلالها لم يعد في افريقية أي دولة غير مستقلة وأسدل الستار على الاستعمار الأوربي السياسي البغيض ولكن حل محله استعمار اقتصادي أقوى من السياسي .

- (٥١) النيجر :

النيجر Niger جمهورية النيجر .

تقع جمهورية النيجر في غرب افريقية وهي دولة داخلية لاساحل لها وتحيط بها من الشمال الجزائر وليبيا ومن الشرق تشاد ومن الجنوب نيجيريا ، بنين ، وبوركينافاسو ، ومن الغرب مالي وأقرب نقطة من البحر (نيامي . كوتنو) ١٢٧٠ كم ، مساحتها ١,٢٦٧,٠٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٧,٢٥٠,٠٠٠ نسمة أما الزيادة الديموغرافية السنوية فهي ٣٪ ونظام الحكم جمهوري رئاسي. اللغة الرسمية هي الفرنسية ولكن هناك عدد من اللغات الدارجة ٦٠٪ لغة الهوسا ٢٥٪ جيرماسونفاي ١٠٪ التأماهيك ١٠٪ غولفولديه ٩٪ كانوري أما الأعراق الرئيسية فهناك ٧٧ مجموعة إثينيه أهمها الهوسا ٢,٩٣٧,٩٥٠ جيرماسونفاي ١,١٢٤,٣٧١ الفولاني ٤٣٣,١٠٢ نسمة التاماهيك (الطوارق) ٤٠٥,٧٠١ الكانوري ٢١٩,٤٥ تويو ١٧,٥٢٣ العرب ٢٤,٦٥ الفورمانتشيه ١٦ ألفاً أما الديانات فهي ٩٠٪ من السكان مسلمون والباقي ديانات محلية . ٢٠٪ من السكان رحل . الدخل الفردي السنوي (٢٠٠) دولار حسب احصاءات البنك الدولي . العمله (فرنك غرب افريقية) .

- **المدن الرئيسية :**

نيامي : وهي العاصمة وعدد سكانها ٥٤٠ ألف نسمة وتقع على نهر النيجر في الجنوب الغربي من البلاد ، وهي مركز تجاري

وصناعي وغذائي وأهم المدن (زيندر ٥٩ ألفاً) (مارادي ٦٠ ألفـاً) تاهوا ٤١ ألفاً) (أغادير وتقع داخل البلاد ضمن الصحراء ٢٥ألفاً).

- التضاريس الأحوال الطبيعية البشرية الاقتصادية :

تتشكل البلاد من هضبة عالية واسعة تعود بشـكل رئيس إلى الصحراء التي تتصل بالصحراء الكبرى حيث ترتفع فيها كتلة جبـال (الآير) A.I.R التي تفصل حوض النيجر في الغـرب عـن حـوض تشاد في الشرق . والقسم الجنوبي يمتد فيه فصل الشتاء مـن ٢ – ٥ أشهر ، وهو الذي يشكل منطقة النيجر الخصبـة الـتي تضـم أكثريـة السكان . وتربيـة الحيوانـات المكثفـة هـي النشـاط الرئيسـي ولكنـه ساعد على تقدم الصحراء نحو الجنوب . وتعتبر بلاد النيجر احـدى الـدول الثلاثـين الأكـثر تصحـراً في العـالم . بـين أعـوام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ أصيب الانتاج الزراعي الذي يمثل ٤٠٪ من الدخل السنوي القومي أيضاً مثل بقية الدول المجاورة ولكن بدرجة أقـل بالجفـاف ، وفي عام ١٩٧٩ – ١٩٨٠ استطاع النيجـر أن يغطـي حاجاتـه مـن المواد الغذائية ولكن الزراعة التجارية بخاصـة القطـن (٤٣٠٠) طـن ١٩٧٩ أصبحت بعيـدة عـن الوصـول إلى مستوى عـام ١٩٧٠ – ٧٦ ، ١٢٨ر١١ وقد تحسنت الأحـوال الطبيعيـة في الثمانينـات مما ساعد على النمو الزراعــي .. تنتـج النيجـر مـن الزراعـات الغذائيـة (الشعير – الذرة البيضاء ، الرز) وبعض الانتـاج الخـاص بـالتصدير وهي التي تمثل مع الصيد النهري القواعد الثانية للاقتصـاد ، وتعتمـد النيجر حالياً على استخراج اليورانيوم وقد اكتشف عـام ١٩٦٦ في كتلة جبال الآير . المناجم الأولى الأربعة التي اكتشفت تضم حـوالي ٥٥ ألـف طـن وهـي الخامسـة في العـالم . وقـد تضـاعف انتـاج اليورانيوم بعد اكتشاف مناجم آكوتا عـام ١٩٧٨ – ٧٩ والشـراء

مضمون من قبل فرنسا ، وتعتبر النيجر احدى البلدان المتخلفة لذلك فالمساعدة الخارجية ضرورية والانفجار السكاني يزيد في تدهور الاقتصاد النيجيري .

مناخ النيجر حار وجاف وهو أقليم صحراوي وتصل في الشمال درجة الحرارة إلى ٢٥ درجة وسطياً مع ٧٥ مم مطر سنويا ثم نموذج مداري جاف في أقصى الجنوب ٦٠٠ إلى ٨٠٠ مم سنوياً . ويتلقى نصف البلاد أقل من ٢٥ مم سنوياً وهناك منطقة هضبية طولها ١٥٠٠ كم وعريضة من ٥٠ - ٢٥٠ كم تصل الأمطار فيها إلى أقلها وهو ٢٪ من مجموع البلاد .

- **التاريخ** : ظهرت في النيجر عدة ممالك قديمة مشهورة (انظر ماسبق) ارتادها الفرنسيون بعد عام ١٨٥٠ وشكلوا فيها مستعمرة فرنسية عام ١٩٢٢ وربطوها بأفريقية الغربية الفرنسية ، ثم أصبحت مستقلة في ٨ تشرين ثاني ١٩٦٠ ابتدأ صراع داخلي للسيطرة على السلطة وقد فشل حزب سوابو **Sawaba** في محاولاته لاغتيال الرئيس ديوري هامالي وتبع ذلك توتر شديد قام به الطلاب من خلال المظاهرات الصاخبة ، وأخيراً قام المقدم سينيه كونتشيه رئيس الأركان بانقلاب أطاح بالرئيس هاماني ، في ١٥ نيسان ١٩٧٤ وعلق الدستور وتسلم رئاسة الحكومة ورئاسة الجمهورية وتراس اللجنة العسكرية العليا ، وكانت البلاد على حافة الافلاس . وقد ظل هذا يحكم البلاد حتى موته ١٩٨٧ . وقد عمل كونتشيه في وجه معارضة داخلية وخارجية . وفي آب ١٩٧٥ تم إيقاف نائب الرئيس للجنة العسكرية العليا الرائد ساني موناسيدو الذي عمل بمساعدة الحزب الملغي سوابو كما فشلت حركة انقلابية جديدة في نيسان ١٩٧٦ قام بها الجيش وبعض القادة السياسيين .

أثر الضغط الذي تبع ذلك وساعد على وجود بعض الاستقرار للنظام عدا بعض الانتفاضات الطلابية ونقابات العمال ، ولكن ظل الحفاظ على وحدة البلاد الشغل الشاغل للحكومة النيجيرية المؤلفة من أغلبية مدنية وبعض العسكريين وأخيراً قبل الرئيس كونتشية في عام ١٩٨٠ أعطاء زعماء المعارضة نصف الحرية وهم ديوري هاماني ، وديوري باكار ، ديور عبد الرحمن . وديور أبو بكر ، أما على النطاق الخارجي فقد عملت الحكومة على إبقاء العلاقات الجيدة مع جيرانها الليبين والجزائريين - خلف كونتشيه بعد موته المقدم على سيبو الذي وضع دستوراً جديداً للبلاد وسمح باجراء انتخابات للجمعية التشريعية في كانون أول ١٩٨٩ . وقد تقدم المرشحون وجميعهم من المدنيين من الحزب الوحيد الحركة الوطنية الاجتماعية للتطور . ولكن لرئاسة الجمهورية كان المرشح الوحيد علي سيبو . وبعد اجتماع كبير عقد في عام ١٩٩١ تم تعليق الدستور وأبعدت الحكومة ولم يبق لسيبو من صلاحيات إلا القليل ثم انتخبت حكومة انتقالية كلفت بتنظيم انتخابات متعددة ولكن الأزمة الاقتصادية جعلت من الدولة لاتستطيع حتى دفع أجور الموظفين بخاصة العسكريين كما أظهرت الحكومة عجزا في مواجهة الثورة المسلحة للطوارق ، وفي آذار ١٩٩٣ نجح مرشح اليسار المتطور محمد عثمان وأصبح رئيساً للجمهورية . وفي ٢٧ كانون ثاني ١٩٩٦ حدث انقلاب عسكري قام به رئيس الأركان ابراهيم بارامانيسارا وأبعد محمد عثمان عن رئاسة الجمهورية خوفاً من الفوضى والاضطرابات المتوقعة حسب البلاغ الذي أصدره رئيس الأركان عن الانقلاب وتم تشكيل لجنة للانقاذ الوطني ترأسها ابراهيم بارامانيسارا .

٥٢ - نيجيريا NIGERIA

جمهورية نيجيريا الاتحادية

تقع في غرب أفريقيا على خليج غينيه ويحدها من الشرق الكمرون وتشاد ومن الشمال النيجر ومن الغرب بنين ، ويبلغ طول واجهتها البحرية على الأطلسي ما يقارب ٦٠٠ كم وتبلغ مساحة نيجيريا ٩٢٣,٧٦٨ كم٢ وعدد السكان ٩٢,٧٠٠,٠٠٠ نسمة وهي أكثر البلدان الأفريقية سكاناً والنمو السكاني السنوي ٣٪ وستكون عام ألفين ١٣٠ مليون نسمة ، العملة : النيرا Nera ، الدخل الفردي السنوي ٥٦٠ دولار ، نظام الحكم جمهوري اتحادي ، وتعتبر الأنكليزية هي اللغة الرسمية وهناك ١٥٠ لغة أهمها الهوسا التي تكتب حالياً بالحروف اللاتينية وكانت تكتب بالأحرف العربية ثم لغات اليوروبا والأيبو ، إيدو ، كانوري والفولفولديه ، وتتشكل من العروق التالية (٣٢٪ ، هوسا) (١٨٪ يوروباغ) ، (١٨٪ أيبو (شمال)) الفولاني ١٠,٣٪) (تيف ٥,٦٪) (كانوري ٤,٩٪) (يبيبو ٤,٧٪) ايدو ٣,٦ وآخرون غيرهم . ويدين السكان ، ٤٨٪ مسلمون و٣٤٪ مسيحيون و١٨٪ ديانات محلية ويتركز السكان المسلمون في الشمال والغرب والمسيحيون في الجنوب .

- المدن الرئيسية :

أبوجا : العاصمة الفدرالية وهي في طور البناء وتبعد عن لاغوس ٥٥٠ كم .

لاغوس : عاصمة نيجيريـا القديمـة والمينـاء الرئيسـي لنيجيريـا على خليج بنين ، عدد سـكان المدينـة ١,٠٩٧,٠٠٠ نسـمة ولكـن لاغوس الكبرى عدد سكانها حوالي سـتة ملايـين وتـتركز الصناعـة فيهـا في مرفـأ أبابـا ، ويوجـد مصـانع لتجميـع السـيارات وكذلـك الصناعات الميكانيكية وكذلك النسـيج والمـواد الغذائيـة ثـم مصـانع الإسمنت ومصانع التبغ .

ايبادان : وهي عاصمة مقاطعة OYO وعدد سكانها ٢ مليون نسمة وفيها عـدد مـن الصناعـات الغذائيـة والنسـيج وفيهـا جامعـة بالإضافة إلى ذلك توجد مدن (اينوجو Enugu ٥٠٠ ألـف نسـمة وهي عاصمة منطقة ومقاطعة بنفس الاسم وتقع بالقرب من منـاجم الفحم والحديد ، صب الحديد وصهره (صناعة الصلـب والاسمنـت) ثم (كانو : وهي عاصمة الشمال عـدد سـكانها ٩٠٠ ألـف نسـمة وهي مركز تجاري وترتبط بخط حديدي مع لاغوس وفيها صناعات الزيوت والنسيج وكانت عاصمة احـدى ممـالك الهوسـا في القرنـين الحادي عشر حتـى التاسـع عشـر ووصلـت إلى عصرهـا الذهـبي في القرن الرابع عشر والخامس عشر) (أبيوكوتا ٤٠٠ ألـف) (بـورت هاركورت: وهي أهم ميناء في نيجيريا وتقع على أحـد فـروع دلتـا النيجر عدد سكانها ٢٤٢ ألفا وفيها مصفاة للبترول) ، (سوكوتو: تقع في شمال نيجيريا عدد سـكانها ١١٨ ألفـاً وهـي عاصمـة قديمـة لأحدى دول الهوسا (الفولاني) وهي تصدر الاسمنت وقد تشـكلت في بدايـة القـرن التاسـع عشـر وضمهــا البريطـانيون عـام ١٩٠٣ (اوغومبوشو ٣٠٠ ألف) .

– التضاريس والأحوال الطبيعية والاقتصادية والبشرية :

تقع الهضاب العالية ذات التضاريس المتغـيرة والحـادة في شمـال

البلاد وتهبط نحو ساحل سهلي عريض يعيش فيه شجر المانغروف ، أما وديان نهر بينوي (رافد النيجر الكبير) وكذلك وادي النيجر الذي ينتهي بدلتا واسعة فإنها تعطي للبلاد معنىً خاصاً لوحدتها الجغرافية .

ويتدرج الطقس مع التوزيع الاقليمي ومن الجنوب نحو الشمال ، وهناك هيمنة لاقليم ما فوق الاستوائية الغابيه ، وهيمنة مدارية من السافانا ثم منطقة جافة قفراء أقرب للستيب منها للسهول العادية ويمثل السكان اختلافاً عرقياً شديداً وكثافة قوية ١٢٥ بالكم٢ والجنوب هو أكثر المناطق كثافة بالسكان والنزوح من القرى إلى المدن له أهميته وقد أدى إلى زيادة سريعة في النمو السكاني في المدن والضواحي وهناك عدة مدن تجاوزت المليون من السكان .

أما الاقتصاد فلم يلاحظ الاقلاع الاقتصادي بنيجيريا ابتداء من الثمانينات إلا بعد عشر سنين وقد ظلت الزراعة هي النشاط الحساس باعتبارها تشغل ٤٠٪ من النشاط السكاني وتؤمن انتاجاً متنوعاً ومختلفاً ، ويعود ذلك إلى اختلاف الأقاليم والمناطق (الذرة ، مانيوك ، الشعير ، الرز ، الذرة البيضاء والصفراء) وكلها مواد غذائية للاستهلاك الداخلي وهناك الزراعات الخاصة بالتصدير / مثل الكاكاو والكاتشوك ، الفول السوداني ، القطن ، الأخشاب) وقد أدى أنهيار أسعار المواد البترولية إلى نقص العائدات المقسمة على ثلاثة عام ١٩٨٠ - ١٩٩٠ م بسبب قلة الانتاج وانخفاض الأسعار لمعاناة شديدة في البلاد لا يمكن تحملها ، رغم المجهودات الكبيرة المبذولة للتنمية ، وأدى أيضاً إلى اضطرابات اجتماعية في المدن ولكن ظلت نيجيريا تحتفظ ببضعة أرصدة ، ثم أصبحت

الأفضلية للتنمية الزراعية مع تنويع الصناعات الهدف اليومي ثم الصناعات البتروكيماوية ، استثمار الموارد الغازية (معمل تمييع الغاز) ورغم كل ما تقدم تظل نيجيريا من الدول الكبرى في انتاج النفط .

– **التاريخ** : بعد البرتغاليين الذين استقروا في القرن الخامس عشر جاء البريطانيون ليستقروا على الشاطئ في القرن السادس عشر وعملوا في تجارة العبيد أما الداخل فقد أصبح معروفاً اعتبارا من عام ١٨٤٩ ، وأقوى الدول في ذلك الوقت كانت في الجنوب وهي بنين ومملكة اليوروبا أو بالأحرى ممالك اليوروبا ، استقر البريطانيون تدريجياً في البلاد ووقعت لاغوس بيدهم عام ١٨٦١ ، وأصبحت البلاد محمية بريطانية عام ١٨٨٥ ثم شمل الاستعمار كل نيجيريا عام ١٩٠٦ في الشمال وعام ١٩١٤ في الشمال والجنوب . حصل الاتحاد الفدرالي على الاستقلال في ١ تشرين أول ١٩٦٠ وتم تأسيس الجمهورية الاتحادية عام ١٩٦٣ وكان أول رئيس للوزراء هو الحاج أبو بكر تغاوا باليوا و لم يلبث أن ظهرت المشاكل العرقية وأثرت على هشاشة الوحدة النيجيرية ، وقع انقلاب قام به ضباط من الأيبو في كانون ثاني ١٩٦٦ حيث أبعد المدنيين عن الحكم واستبدلوا بعسكريين وأصبح الميجر جنرال جوهانس آغي ايرونسي **Aguiyi Jronsi** رئيساً للدولة على رأس مجلس عسكري أعلى ولكن لم يدم حكم هذا إلا فترة قصيرة حيث قتل أيرونسي في تموز ١٩٦٦ وقتل معه عشرات من الضباط الايبو في شمال البلاد. وكانوا ضحية عملية استئصال عرقي ، عندها وصل إلى الحكم العقيد يعقوب غوون **gowon** ولكن كان ذلك متأخراً و لم يستطع غوون أن يمنع العقيد اودو ميغو اوجوكو حاكم المنطقة

الشرقية (مقاطعة أغلبها من الايبو) من أن يعلـن استقلاله في مـايس ١٩٦٧ في مقاطعتـه ويعلـن انفصالـه عـن نيجيريـا وتأسـيس دولـة (بيافرا) وهذه المنطقة غنية بالبترول ، ويعتقـد أن الحـرب الأهليـة في نيجيريا والتي دامـت مـن تمـوز ١٩٦٧ حتـى كـانون ثـاني ١٩٧٠ كلفت البلاد حوالي ٢٠٠ ألف قتيـل . وقـد انتهـت حيـاة الجنرال غوون السياسية وهو المنتصر بابعاده عن الحكم بعد الانقلاب (في ٩ تموز ١٩٧٠) وقاده الجنرال مورتـا رامـات محمـد وقـد حـاول هـذا خلال حكمه القضاء على الفساد وتثبيت النظام والحد من الفوضـى التي دبت خلال الحرب الأهلية إلا أنه هو الآخـر أبعـد عـن الحكـم وقتل في ١٣ شباط ١٩٧٦ . واصبح رئيس اركان الجيـش الجنرال أوليسيجون أو بسانجو رئيساً للدولة . وبعد الانتخابـات في تمـوز - آب ١٩٧٩ أعاد هذا الحكم للمدنيين بزعامة الحاج شيخو شـفاري وهكذا بعد ثلاثة عشـر عامـاً مـن الحكـم العسـكري عـاد المدنيـون للحكم ولكن هذا لم يدم طويلاً فقط خلال (١٩٧٩ - ١٩٨٣) وعاد الجيش للحكم بعد انخفاض أسعار البترول عـام ١٩٨٣ ومنـذ انقلاب الجنرال باباجيد **Babangide** ١٩٨٢ واستلامه الحكم حتـى عام ١٩٩٣ طبقت سياسة التقشف بالاتفاق مع البنك الدولي وأدى ذلك إلى افقار أغلبية الشعب . ولكـن الفسـاد في الواقـع دائمـاً هـو السبب ففي عام ١٩٩٢ بـدأ الهمس يرتفـع عـن انتشـار المجاعـة في العاصمـة بالإضافـة إلى المسـائل العرقيـة في الشـمال وقـد أحـرزت المعارضة الإشتراكية الديمقراطية في الانتخابات التي جـرت في تمـوز نجاحاً باهراً ولكن الانتخابات اعيدت مرة ثانية حيث شكلت لجنـة انتقاليـة مؤلفـة مـن ١١ شـخص مـن بينهـم أربعـة مدنيـين في ١٢ حزيران ١٩٩٣ علـى أسـاس التعدديـة الحزبيـة ونجـح فيهـا المرشـح

اليمني مشووا بيولا ولكن لم يؤخذ بهذه النتيجة واستلم الحكم ارنست شونيكان ومن بعده ساني آباشي الرئيس الحالي لجمهورية نيجريا الأتحادية . وقد لاقى معارضة شديدة ، وبعد عدة إعدامات في صفوف الضباط والمعارضة عام ١٩٩٥ أدينت النيجر من قبل الرأي العام العالمي وعلقت عضويتها في الكومونولث .

■



هذا الكتاب

دراسات موسعة وشاملة حول المجتمعات الإفريقية، نشأتها وتطورها، عاداتها وتقاليدها وجغرافيتها، وآفاق نموها ومستقبلها، وتنم فصول الكتاب عن معايشة المؤلف لموضوعه، ودرايته بكل تفاصيلها وجزئياتها وتفاصيلها ودقائقها.

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق

ثمن النسخة ٣٥٠ ل.س في القطر
٤٠٠ ل.س في أقطار الوطن العربي